

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الاول

سنة ١٣١٥ وسنة ١٣١٦

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صاغاً في مصر والسودان
وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ١٨ فرنكاً
و١٥ شلناً في الهند و٧ روابل في روسيا والدفع سلفا

الطبعة الثانية سنة ١٣٢٧

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

مجلة
المنار

مجلة شهرية تبحث فى فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران

أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا عام ١٣١٥ هـ ، وظلت تصدر حتى عام ١٣٥٤هـ، ولقد كان الغرض من إنشاء هذه المجلة مسائل كثيرة يجمعها الإصلاح الديني والاجتماعي لأمتنا الإسلامية هى ومن يعيش معها ، وتتصل مصالحه بمصالحها ، وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل ، وموافقته لصالح البشر فى كل قطر وكل عصر ، وإبطال ما يرد من الشبهات عليه ، وتفنيد ما يعزى من الخرافات إليه ، وهو عمل قد ملأ فى عالم الصحافة الشرقية فراغا ، وأشرع لطلاب الارتقاء من الأمة منهاجا ، كان المنار فيه ـ سراجا وهاجا ـ ظهر على شدة حاجة الأمة إليه .

واستخلاصا مما تقدم .

وبالإضافة إليه فقد نهجت « المنار » منهجا إسلاميا يتضح فيما يلى :

١ ـ إصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات :

وفى هذا المجال نجد العديد من الموضوعات التى تصحح العقيدة وتحارب البدع والخرافات ، والتى منها على سبيل المثال : « بدع رجب » ، و« تكفير المسلم »، و«الحديث الموضوع » ، و « الدين : تعريفه وغايته » ، و « فهم الدين » ، و « منكرات الموالد » وغيرها كثير .

٢ ـ التربية والتعليم :

فلايكاد يخلو عدد من « المنار » من مقال فى إصلاح التربية والتعليم ، تمشيا مع رأى الإمام محمد عبده : إن التربية تصنع الرجال ، والرجال هم الذين يصنعون كل شىء .

٣ ـ قضية اللغة العربية :

فقد تصدى الشيخ رشيد رضا لمن يدعون إلى استخدام العامية بدلا من الفصحى وكتابتها ـ العامية ـ بحروف لاتينية .

٤ ـ موقف المنار من الحضارة الغربية :

وقد تمثل منهجها فى اتجاهين :

الأول : أن تساير البلاد الإسلامية أوربا فيما تفوقت فيه فى مجال العلوم الحديثة والصناعات والاختراعات .

الثانى : إعلان حرب لاهوادة فيها على ما اقترن بدخول الأوربيين البلاد الإسلامية ، من الانحلال الخلقى والعادات الضارة .

لماذا إعادة الطبع للمنار ؟

لقد قال بعض أهل الرأى والعلم بشئون الاجتماع ـ وقت صدور المنار ـ : إن هذا «المنار» لا يستغنى عنه بيت من بيوت المسلمين ، فإن لم يفقهوا هذا اليوم ، فسيفقهونه فى يوم ما ، وقد اتفق رجلان فى كلمة حددا بها الأجل لذلك اليوم المجهول ، أحدهما إنجليزى كان يقرأ له « المنار » محمود سامى البارودى ، و الآخر سورى من قرائه ، قالا كلمتهما التى تواردت عليها خواطرهما ، ولا تعارف بينهما ، قالا : إن المسلمين سيبحثون عن هذا « المنار » ويعنون بإعادة طبعه بعد خمسين سنة .

وها نحن هؤلاء إيمانا منا بهذه المقولة ، ولاشتداد حاجة المسلمين لهذه المجلة ، نعيد طباعتها فى ثوب قشيب وتجليد فاخر فى أربعة وثلاثين مجلداً ، مع العلم أننا حذفنا التفسير من المجلة لوجوده مستقلا فى تفسير المنار .

تطلب المجلة من :

دار الوفـاء للطباعـة والنشر والتوزيـع ـ المنصـورة

الوفاء للطباعة والنشر

الإدارة والمطابع : المنصورة ـ شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠ ـ ص . ب : ٢٣٠ ـ فاكس ٣٥٩٧٧٨

المكتبة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣



مقدمة الطبعة الثانية

﴿ للمجلد الأول من المنار ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، الذي جعل إرادة بعض عباده ، من أسباب انفاذ مراده ، فهم بقوة الارادة يمتازون ، وبحسن توجيهها للمرادات يتفاضلون ، فلولا الارادة الانسانية العجيبة لما أشرقت شموس العلوم والعرفان ، ولولاها لما ظهرت ثمراتها العملية في الاكوان ، والصلاة والسلام على أفضل مريد ومراد ، وأكمل مظهر للمشيئة الالهية في العباد ، سيد المصلحين ، وخاتم النبيين والمرسلين ، المرسل وهو الأمي ليعلم الأميين والمتعلمين ، والمبعوث وهو العربي الى جميع العالمين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المتقين ، ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين

أما بعد فقد أنشأنا هذا « المنار » في العشر الأخير من شهر شوال سنة ١٣١٥ وبينا غرضنا منه في الصحيفة الأولى من صحفه وهو مسائل

كثيرة يجمعها الاصلاح الديني والاجتماعي لامتنا الاسلامية هي ومن يعيش معها، وتتصل مصالحه بمصالحها، وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل، وموافقته لمصالح البشر في كل قطر وكل عصر، وابطال ما يورد من الشبهات عليه، وتفنيد ما يعزى من الخرافات اليه، وهو عمل قد ملأ في عالم الصحافة الشرقية فراغا، وأشرع لطلاب الارتقاء من الامة منهاجا، كان «المنار» فيه — على رأيهم — سراجا وهاجا، ظهر على شدة حاجة الامة اليه، واستعداد هذا القطر لظهور مثله فيه، ولكنه على هذا وذاك بدا كالاسلام غريبا، وممقوتا من السواد الاعظم لا محبوبا، يعشي نوره خفافيش البدع والخرافات، الذين ألفوا تلك الظلمات، حتى قال لنا خاتمة شيوخنا الاستاذ الامام: ان الحق يظهر في المنار عريانا في الغالب ليس عليه شيء من الحلي والحلل التي تجذب اليه أنظار من لم يألفوا الحق لذاته، وكتب الينا أول شيوخنا الشيخ حسين الجسر في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣١٥ ما نصه جوابا عن كتاب:

«وصلني كتابكم الكريم بعد مضي أشهر من وصولكم لمصر معتذرا عن تأخره فقبلت العذر ودعوت لكم بالتوفيق، وأعقب وصوله ظهور المنار ساطعا بأنوار غريبة مرغوبة الا انها مؤلفة من أشعة قوية كادت تذهب بالابصار» الى آخر ما كتبه وفيه انتقاد لبعض المسائل اجبناه عنها، مبينين له ما عندنا من الحجج عليها، وانباء بمقاومة الحكومة العثمانية للمنار، وكان ذلك كما قال

اني لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أتأثلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الاقران، وأباري به أعلياء الشان، بل لانه فرض من الفروض يرجى النفع من اقامته، وتأثم

الامة كلها بتركه ، فلم أكن أبالي بشيء الا قول الحق والدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكنت ان أصبت هذا بحسب علمي واجتهادي فسيان رضي الناس أم سخطوا ، مدحوا أم ذموا ، قبلوا المنار أم رفضوا ،

طبعت من الصحف الاولى ألفا وخمس مئة نسخة من كل عدد وأرسلت أكثرها الى من عرفت أسماءهم في البلاد المصرية والسورية وكذا في غيرها من البلاد (وهو الاقل) فأعيد اليّ أكثر ما أرسلته الى المصريين ، وما نشبت الحكومة الحميدية أن منعت ما يرسل الى السوريين وسائر العثمانيين ، ثم جعلت عدد المطبوع ألف نسخة ولكن مرت السنة وسنتان بعدها وما كاد المشتركون يزيدون على ثلث الالف، الا قليلا

ما كان انتقاص عملي ، منتقصا شيئا من أملي ، ولا زهد الامة في المنار ، باعثا على جعله طعاما للنار ، ولا لفائف لبضائع التجار ، كما هي سنة أصحاب الصحف في هذه الديار ،[1] بل كنت أحرص عليه ، حاسبا ان الناس سيعودون اليه ،

وكان يمدني في أملي هذا ما أسمعه من بعض أهل الرأي ، والعلم بشؤون الاجتماع ، من القول بأن هذا المنار حاجة من الحاج الطبيعية للمسلمين في هذا العصر ، لا يستغني عنه بيت من البيوت ، فان لم يفقهوا هذا اليوم ، فسيفقهونه في يوم ما ، وقد اتفق رجلان من غير المسلمين في كلمة حددا بها الاجل لذلك اليوم المجهول ، أحدهما انكليزي كان يقرأ له

(١) يبيع أصحاب الصحف ما زاد عن حاجة المشتركين والمبتاعين من صحفهم الى التجار وأصحاب الافران

المنار محمود سامي باشا البارودي والآخر سوري من قرائه ، قالا كلمتهما ، التي تواردت عليها خواطرهما ، ولا تعارف بينهما ، قالا ان المسلمين سيبحثون عن هذا المنار ويعنون باعادة طبعه بعد خمسين سنة . وان أدري أكانا يظنان حين قالا كلمتهما ان المسلمين لا يستيقظون لطلب هذا الاصلاح الا بعد خمسين سنة ، أم كانا يعنيان ان المنار لا بد ان يكون قد بطل في هذه المدة بموت صاحبه أو عجزه ، فيبحث الناس عنه لأنهم في الغالب لا يعرفون قيمة الشيء الا بفقده ، ولا يعترفون بقدر العامل الا من بعده ؟

لعل المسلمين خير مما ظننا فيهم ، ولعل الاجل الذي ضرباه أقرب مما حدده رأيهما ، فها نحن أولاء قد أعدنا طبع مجموعة السنة الاولى ، ويوشك أن نعيد طبع الثانية والثالثة أيضا فقد قلت نسخهما ، وغلا ثمنهما ، كانت السنة الخامسة للمنار (سنة ١٣٢٠) مبدأ رواجه وسعة انتشاره فمنذ ذلك العهد صار بعض طلاب الاشتراك يطلبون مجموعات السنين الماضية ، كما يطلبها بعض المشتركين السابقين رغبة في حفظ المنار من أوله ، وضناً به ان يضيع شيء منه ، حتى اذا قلت مجموعات السنة الاولى رفعت الادارة ثمنها حتى صارت تباع المجموعة الكاملة من تلك السنة بمئتي قرش اي بأربعة اضعاف ثمنها الاصلي، و بيعت المجموعة الناقصة بضعة اعداد فأكثر الى ١٢ و١٣ عددا بمئة قرش ولما لم يبق عندنا مجموعة معدة للبيع إلا وهي ناقصة اكثر من ١٥ عدداً، وكثر الطلب واقترح علينا إعادة طبع السنة كلها، شرعنا في طبعها في النصف الاول من سنة ١٣٢٥ وهي السنة العاشرة وقد تم الطبع في النصف الاول من هذه السنة وهي السنة الثانية عشرة

كان المنار في السنة الاولى من عمره جريدة اسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة وكنا ننشر فيه برقيات الاسبوع وبعض الاخبار التي ليست كلها ذات فائدة تحفظ وتدخر وان لم تخل من فائدة في وقت نشرها لبعض القراء . وقد اعدنا طبعه بشكل المجلة التي هي عليه منذ السنة الثانية ولم نحذف منه الا البرقيات و بعض الاخبار التي لا فائدة في تدوينها وحفظها ، واما الاخبار التي فيها عبرة دائمة أو فائدة تاريخية أو غير تاريخية فقد أبقيناها ، وحذفنا منه ايضا نبذ رسالة « قليل من الحقائق عن تركيا » المترجمة عن الانكليزية لقلة الثقه باخبارها . وسندقق النظر فيها فان وجدناها حرية بالحفظ والتخليد أثبتنا ما حذفناه من السنة الأولى في الطبعة الثانية للسنة الثانية متصلا ببقيته فيها ، والا حذفنا باقيها من طبعة السنة الثانية ايضا ، ومع هذا جاء المجلد الاول في حجم المجلدات الاخيرة يناهز الف صفحة

طبعنا اعداد السنة على ترتيب الاصل فمن أراد أن يقرأ المقالات المتسلسلة في موضوع واحد (كالمقالات التي عنوانها : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) متصلة فالفهرس يجمع له متفرقها بسهولة . وقد اشرنا الى اوائل الأعداد في الهامش عند المقالات الافتتاحية وفي أعلى الصفحات كما هو ظاهر

***

المنار في سنته الاولى والمنار في سنيه الاخيرة شرع ، ولو جاز لي أن أضرب له مثلا شرودا يشعر بالمدح ، لقلت «والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل » ، نعم لا فصل بين اوله وآخره ، في موضوعه وغايته ومسائله ، ولكنا كنا نكثر في السنة الاولى من الخطابيات ، لتنبيه الاذهان واعدادها لما

هوآت ، ونكتفي في اكثر المسائل بالإجمال، لتتهيأ النفوس لطلب التفصيل، وقلما جرينا فيها على شيء ثم تبين لنا خطأنا فيه الا ما اشرنا اليه في هوامش هذه الطبعة واكثره في المسائل السياسية، المتعلقة بحال الدولة العلية ، ومن البديهي أننا ازددنا علما وخبرا في جميع المسائل بطول البحث والتمحيص والوقوف على آراء الناس وأحوالهم

قد اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة من القرآن الحكيم، فان اكثر السور المكية لاسيما المنزلة في اوائل البعثة قوارع تصخ الجنان ، وتصدع الوجدان ، وتفزع القلوب الى استشعار الخوف ، وتدع العقول الى اطالة الفكر ، في الخطبين الغائب والعتيد ، والخطرين القريب والبعيد ، وهما عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال ، او الفتح الذاهب بالاستقلال، وعذاب الآخرة وهو اشد واقوى ، وأنكى وأخزى ، بكل من هذا وذاك أنذرت السور المكية اولئك المخاطبين اذا أصروا على شركهم ، ولم يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وافكهم ، ويأخذوا بتلك الاصول المجملة ، التي هي الحنيفية السمحة السهلة ، وليست بالشيء الذي ينكره العقل ، او يستثقله الطبع ، وانما ذلك تقليد الآباء والأجداد ، يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد ،

راجع تلك السور العزيزة لاسيما قصار المفصل منها كالحاقة ما الحاقة، والقارعة ما القارعة ، واذا وقعت الواقعة ، واذا الشمس كوّرت ، واذا السماء انفطرت، واذا السماء انشقت، واذا زُلزلت الارض زلزالها، والذاريات ذرواً، والمرسلات عرفا، والنازعات غرقا،

تلك السور التي كانت بنذرها ، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها ،

تفزعهم من سماع القرآن ، حتى يفروا من الداعي (ص) من مكان الى مكان(٧٤: ٥٠ كأنهم حُمُرٌ مستنفرة ٥١ فرّت من قَسْوَرَةٍ ، ١١: ٥ ألا إنهم يَثْنُونَ صدورهم ليستخفوا منه ، ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يُسرّون وما يعلنون) ثم ارجع الى السور المكية الطوال ، فلا تجدها تخرج في الأوامر والنواهي عن حد الاجمال ، كقوله عز وجل (١٧: ٢٣ وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) – الى ٣٧ منها، وقوله بعد إباحة الزينة وانكار تحريمها وتحريم الطيبات من الرزق (٧ : ٣٢ قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

تدبر هذا ثم أجل طرفك في فاتحة المنار الأولى وفي اكثر المقالات الافتتاحية [1] تجدها زواجر منبهة ، وبينات في الاصلاح مجملة ، ترشد المسلمين الى النظر في سوء حالهم، وتنذرهم الخطر المهددلهم في استقبالهم، وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين ، وما أضاعوا من مجد آبائهم الاولين، وتزعجهم إلى استردادما فقدوا، وايجاد مالم يجدوا ، بطريق الاجمال ، في أكثر الاقوال ، وما جاء في سائر السنين فهو من قبيل التفصيل ، أو اقامة البرهان والدليل، على تلك الدعوة الاجمالية، والمقالات

(١) راجع مقالات القول الفصل ص ٣١ وصيحة حق ص ٢١٧ والمدارس الوطنية ٢٥٦ والى اي تربية وتعليم نحن احوج ٢٧٨ والجيوش الغربية المعنوية في الفتوحات الشرقية ٢٩١ والعلم والحرب ٣٤١ والسلطتان الروحية والسياسية ٤٠٤ والمقالات المفتتحة بالآيات في ص ٥٨٥ و ٦٠٦ وما يتبعها ومقالات الاصلاح الديني والسياسي وغير ذلك الخ

الافتتاحية ، وترى بهذا كله اقتباس المنار لهدي الكتاب العزيز واتباعه لسنته في الترتيب كاتباعه له في المسائل والاحكام والحمد لله على ذلك

كان لتلك المقالات الخطابية الاجتماعية والفلسفية تأثير عظيم في نفوس القارئين: فمن مبالغ في الاستحسان كأن يطالب بعد الاقلال منها ان نعود اليها ، (١) ومن مبالغ في الاستهجان يقول قد بين عيوبنا وجهلنا للاجانب ويكتبون الينا ان نترك مثلها (٢) ولكن لم يكن يسكت عن الجمهور غضبه علينا ، ويقل خوضه فينا ، حتى رأينا كثيرا من كتاب المسلمين وخطبائهم قد تلوا تلونا ، واحتذوا في انتقاد حال المسلمين حذونا ، حتى صار ذلك في الجرائد مألوفا ، وأصبح منكره عند الاكثرين معروفا ، ولكن معظم كلامهم في الداء ، من غير بيان للعلاج والدواء

اما المنار فكان يصف العلاج لامراض الأمة بالاجمال ، ثم بالتفصيل والاستدلال ، والغرض من كل ذلك اعداد النفوس للعمل العظيم الذي نرجو ان يكون قد قرب زمانه ، « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز »

هذا ما اردت بيانه في مقدمة الطبعة الثانية للسنة الأولى ، والله الموفق وبه المستعان . وكتب في رمضان سنة ١٣٢٧

منشيء المنار
محمد رشيد رضا الحسيني

---

(١) من أعظم هؤلاء قدراً السيد مهدي خان محسن الملك نواب بهادر وناظم مدرسة العلوم في عليكده بالهند (رح) (٢) من أشهر هؤلاء الشيخ أبو الهدى الصيادي والشيخ حسين الجسر (رح)

فاتحة السنة الاولى للمنار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

أما بعد : فهذا صوت صارخ بلسان عربي مبين ، ونداء حق يقرع مع سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين ، ينادي من مكان قريب يسمعه الشرقي والغربي ، ويطير به البخار فيتناوله التركي والفارسي

يقول : أيها الشرقي المستغرق في منامه، المبتهج بلذيذ احلامه ، حسبك حسبك فقد تجاوزت بنومك حد الراحة ، وكاد يكون اغماء أو موتاً زؤاماً ، تنبه من رقادك ، وامسح النوم عن عينيك ، وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض ، ودخل الانسان في طور آخر خضع له به العالم الكبير

فهذه الجمادات تتكلم بغير لسان، وتكتب من غير قلم ولا بنان، والوحوش حشرت مع الانعام، والمراكب تجوب السهوب والفيافي وتفترع الاعلام، بل طارت في الهواء تسابق الرياح، وتساهم ذوات الجناح، واستولى اخوك المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار، وولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور فاخترق بذلك الجبال، واختبر اعماق البحار، وعرف مساحة الهواء ، ونفذت اشعة بصره الكثائف ، ووصلت أمواج صوته الى كل

مكان سحيق، فقرب ابعاد الارض وجمع بين اقطارها، بل عرج بهمته للقبة الفلكية فعرف الكواكب ومدارها، ومادتها ومقدارها

حسبك حسبك !! هب من سباتك، واستيقظ من هجوعك، فقد ولت حنادس الجهالة، واشرقت شمس المعرفة، انظر وتأمل ماذا يفعل اخوك المستيقظ بدك الحصون والصياصي، ويقوض المعاقل والهيا كل وهو متكىء على اريكته ينظر اليها بالآلة المقربة للبعيد، ويقيم الحصون والاسوار، ويشيد البوارج والابراج، ولا يتعب له عضل، ولا يندى له جبين، ولا يحتاج في امثال هذه الاعمال العظيمة الا الى اشارة لطيفة، وحركة خفيفة، فالطبيعة تخضع لاشارته، وتسير طوع يمينه، فيتم له كل ما يريد • لا يهولنك ماتسمع، ولا يروعنك ما ترى، واعلم ان هذا العصر عصر العلم والعمل، فمن علم وعمل ساد، ومن جهل وكسل باد، « وما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد، »

كانت العلوم الطبيعية على عهد اسلافك افكاراً متضاربة، وآراء متناقضة، وأقوالاً متعارضة، لم تأت عن امتحان وعمل، ولم يكد يبنى عليها عمل، ولذلك كثر ذاموها، وقل مادحوها، واما في هذا العصر فليس العلم الا ما اثبته العمل، أو بني عليه عمل، فما لم يحتف به العمل من قطريه، لا يعول عليه، فالاعمال تنمي العلوم، والعلوم تمد الاعمال، وشاهد ذلك عندك الحديث الشريف «من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » قاعدة وضعت في الشرق، واهتدى للانتفاع بعمومها أهل الغرب، والذين صدرت بلغتهم لاهون غافلون • فلا تضيع أوقاتك بالتخيل والتفكر، ولا تجعل حظك من حياتك الاماني والتشهي، ولا تدع للاوهام في ذهنك مجالاً واسعاً ومكاناً فسيحاً (ليس بأمانيكم

ولا أماني أهل الكتاب) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)

فعليك بالعلم والعمل رض بهما نفسك، وربّ عليهما ولدك ، فلقد حل من لساني عقدة الاعتقال والسكوت، وأطلق قلمي من عقال الدعة والسكون، استغراق بعض اخوتي واخوتك في النوم ،وغرق بعضهم في بحار الوهم، وجهل المريض منهم بدائه، ويأس العالم بمرضه من شفائه ،فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ،ومشايعة للساعين في مداواة الملل ،الذين أرشدتهم التعاليم الدينية ، وهداهم النظر في الآيات الكونية ،الى أن اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته جل علاه ،هو عين الكفر والضلال،وآية الخزي والنكال،فاحبوا أن يعملوا الامتهم،ويقوموا بخدمة ملتهم ، فالجريدة تكون وصلة بينهم وبين الامة تبعث بارشادهم روح الهمة في أفرادها ،وتحيي ميت الغيرة من نفوس آحادها ، وتجاري الحداة لدى السير في مناهج الترقي ، وتنتصب (منارا) في أخرات الشبهات ، ومجاهيل المشكلات

وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين ،لا الحط في الامراء والسلاطين ،والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم،والتنشيط على مجاراة الامم المتمدنة في الاعمال النافعة، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد ،وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة ، والاخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد،والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل ،حتى صار الجبر توحيدا،وانكار الاسباب

ايمانا، وترك الاعمال المفيدة توكلا، ومعرفة الحقائق كفرا وإلحادا ، وايذاء المخالف في المذهب دينا ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحا ، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفانا ، والذلة والمهانة تواضعا ، والخنوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليما ، والتقليد الاعمى لكل متقدم علما وايقانا

تشخص هذه الامراض الروحية وأشباهها، وتوضح عللها وتصف علاجها، وتجتهد في تأليف القلوب المتنافرة، ووصل العلائق المتقطعة، وجمع الكلمة المتفرقة ما استطاعت، وتحاول اقناع أرباب النحل المتباينة، والمذاهب المختلفة، ان الله تعالى شرع الدين للتحابّ والتوادّ، والبر والاحسان، وان المعارضة والمناهضة، والمناصبة والمواثبة، تفضي الى خراب الاوطان، وتقضي على هدي الاديان ، وتحث على التمسك بالدين ، وتبين انه أساس السعادة وان الكفر فساد العمران ، وتدرأ الشبه الواردة على الشريعة الاسلامية، وتدحض مزاعم من قال: انها حجاب كثيف وسد حائل بين الآخذين بها وبين المدنية الصحيحة: لجهلهم بما انطوت عليه من الحكم الرائعة، والاحكام العادلة، وترشد العاملين الى أن محاولة الطفور غرور ، وان طلب الغاية في البداية جهل وحرمان ، وان مراعاة السنن الالهية ، ومسايرة النواميس الطبيعية ، كافية بتوفيق الله تعالى لبلوغ كل مقصد، ونيل كل مرام، وتنبه العثمانيين على أن الشركات المالية هي مصدر العمران، وينبوع العرفان، وان عليها مدار تقدم أوربا في الفنون والصنائع، لا على الملوك والامراء ، فهي التي تنشيء المكاتب والمدارس، وتشيد المعامل والمصانع، وتسير المراكب والبواخر ، وتموذج ذلك بين أيديهم، وتحت مواقع أبصارهم، وتنشر محاسن

اللغة العربية بالتحلي بفرائدها واقتناص أوابدها ، وتقييدشواردها، على سبيل التدرج في الاستعمال . ولا تألي ان تذكر ماتفيد معرفته من أخبار السياسة الخارجية،وتثبت مايهم بيانه من الحوادث المحلية، مع انتقاء الصادق والاعتدال،لاتميل مع ريح حزب من الاحزاب، ولا تتطرف لجانب تفريط أو افراط ،بحسب مايصل اليه الاجتهاد . لكنها عثمانية المشرب ،حميدية اللهجة،تحامي عن الدولة العلية بحق،وتخدم مولانا السلطان الاعظم بصدق، وتحامى المطاعن الشخصية ،والاماديح الشعرية،لكنهالاتني في تقريظ الاعمال العامة الموضوع ،وتقريض الكتب المؤلفة لافادة الجمهور، بالقول الصحيح والانتقاد الرجيح ،وتقبل الانتقادالادبي من كل احد،وتقابل عليه بالثناء والشكر،وتذعن للحق كيفما طلع بدره ، ومن أين انبلج فجره ، وتتلقف الحكمة من حيث أتت ، وتأخذها أينما وجدت ،

هذا ماتوجهت اليه النفس، واعتزمت عليه بعد تصحيح النية واخلاص القلب ، ولا اجهل اني حاولت أمرًا جليلاً ،وحملت نفسي عبأً ثقيلا ،ينوء بالعصبة أولي القوة ،ويعوز الى تأليف لجنة أوعقد جمعية، لكنني مع ذلك أعلم ان للحق انصارا ،وللصالحات اعضادا ،تستمدالجريدةمن بحار افكارهم وتغتذي بالكلم الطيب من مجاني عرفانهم،وتستقي مداد الحكمة من أنابيب اقلامهم ،ومن جراء هذا أوذاك مر عليّ حين من الدهر بعد تصور الموضوع والعزم على الشروع،وانا بين اقدام واحجام،ويأس ورجاء،يحركني الباعثان ،ويتنازعني العاملان حتى اعملت الامل،ورجحت الاقدام على العمل، وما اجدرني بموقف الحيرة بين بين ،وقدانذرني بعض عظماء هذا القطر، عما صدقه به الابتلاء والخبر ، من ان الجد مرغوب عنه،لامرغوب فيه،

وان السواد الأعظم من الامة قد ثار حابلهم على نابلهم ،وهضم مفضولهم حقوق فاضلهم ،فاصبحوا ومطامح انظارهم انتقاد الحكومة المحلية، ومطارح افكارهم المداوات الشخصية،ولا يديرون ألحاظهم،أويعيرون التفاتهم لما وراء الغميزة والازراء.الاماكان من نكتة هزلية،أو رواية غرامية،فاذارأوا جريدة تفند أكثر أقوالهم ، وتنعي على اسرافهم في أمرهم ،وتسجل عليهم التقصير في العمل المفيد عمارة بلادهم، بل التشمير للعمل على خراب أوطانهم،أو تسليمها لايدي الاغيار ،من المهطعين للاستعمار ،يوشك ان يلفظوها لفظ النوى، ويضربوا بها عرض الحائط ،لكنني وطنت النفس على الاقتناع بموازرة الكرام، ومعاضدة الاخيار،ثم ان الكرام قليل ورجاؤنا ان يكونوا آخذين في النمو لماتقتضيه حالة العصر ويزعج الامة اليه موقفها الحرج.وبالله المستعان وعليه التكلان ، « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا »

اصطلاحات كتاب العصر

من القضايا المسلمة انه لامشاحة في الاصطلاح ولامندوحة عن مراعاة ما يتواطؤ عليه الجمهور ومجاراة الناس على ما يصطلحون عليه في كل زمان ومكان . وقد انطلقت أسنة أهل هذا العصر وجرت أقلامهم بالفاظ يريدون بها من المعاني غير ماتدل عليه في أصل اللغة أو في عرف العصور السالفة ولهم الفاظ أخرى جاءتهم من الفنون الحادثة والاكتشافات الجديدة والكثير منها مما لم تستعمله العرب فرأينا ان نشرح في صحيفتنا هذه

الالفاظ حيناً بعد حين لان الكثير من القراء غير عارفين بها على الوجه الذي نستعمله وبالمعنى الذي يفهمه العارفون وقد مر منها في فاتحة هذا العدد لفظ الطبيعة. والطبيعي. والنواميس الطبيعية. وقوى الطبيعة. والكفر

أما لفظ الطبيعة فقد كان فيما مضى مما لا يكاد يستعمله الا الاطباء والصوفية والفلاسفة وأكثر من كان يستعمله الاطباء ويطلق لفظ الطبيعة عندهم على عدة معان على الهيئة التركيبية وعلى المزاج الخاص بالبدن وعلى القوة المدبرة وعلى حركة النفس وربما أطلقت الطبيعة على النفس الناطقة باعتبار تدبيرها للبدن. والطبائع الاربع في عرف الاطباء والطبيعيين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وكان يطلق لقب الطبيعي على فرقة تعبد الطبائع الاربع وعلى من ينسب كل شيء للطبيعة كما يطلق على صاحب العلم الطبيعي. وقد عرف السيد الجرجاني (قدس سره) الطبيعة بالقوة السارية في الاجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي وكان الصوفية يستعملونه في غير هذا المعنى أيضاً وليس بين يدي الآن شيء من كتبهم أراجعه في ذلك

وأما لفظ الطبيعة اليوم فهو كثير الدوران على ألسنة جميع الكتاب في الفنون العلمية والادبية حتى الشعراء والمترسلين ويجرونه على معناه اللغوي وهو المخلوقات أو الحالة التي هي عليها

وبيان ذلك ان الطبيعة في اللغة بمعنى الخلقة والخليقة والفطرة فخلق الله الاشياء وفطرها وطبعها بمعنى واحد واذا قلنا ان هذا الشيء تقتضيه طبيعة الاجتماع الانساني فهو كما اذا قلنا تقتضيه فطرة الله التي فطر الناس عليها بلا فرق. وحاصل القول ان لفظ الطبيعة حيث اطلق فالمراد به الحالة التي طبع الله الموجودات عليها أي خلقهم وتطلق على الموجودات أنفسها

فيقال تأمل محاسن الطبيعة أي المخلوقات وأما الطبيعي فهو المنسوب للطبيعة كالخلق نسبة للخلقة ويستعمل في مقابلة الصناعي فيراد به مالا صنع للبشر فيه أي في هيئته التركيبية كالاشجار والبحار ويطلق على العالم بالفنون الطبيعية وان كان متديناً ولا يطلق على الملحد من حيث انه ملحد وان نسب الاشياء للطبيعة واعتقد انها موجدة لها ومؤثرة فيها من دون الله تعالى بل يطلقون على من هذا شأنه لفظ الكافر والدهري والمادي (لانه ينكر ما وراء المادة فلا يعتقد بالاله ولا بالعالم الآخر) وفي بلاد الهند يطلقون عليه لقب نيشري وأكثر عامة بلادنا لا يفهمون من لفظ الطبيعي اذا اطلق على انسان الا هذا المعنى الاخير وهو الذي حملنا على هذا البيان لئلا يحملوا كلامنا على مايفهمون

ويدور هذا اللفظ على الألسنة كثيراً في المحاورات المتعلقة بسائر الشؤون ويراد به مجرد التأكيد والتحقيق أو أن هذا الشيء ظاهر بالبداهة تراهم عند سماع شيء من المسلمات يقولون هذا طبيعي يعنون أنه بديهي أو محقق لانزاع فيه وأما العلماء والكتاب فيعنون بقولهم (هذا شيء طبيعي) ان له سبباً طبيعياً يعلل به

وأما النواميس الطبيعية فالمراد من الناموس الطريقة الثابتة المطردة التي يحكم الله تعالى بها على الكون وهو محرف عن لفظ (نومس) اليوناني ومعناه الشريعة وكثيراً ما يدور على ألسنة الطبيعيين (شريعة الطبيعة) و(الشرائع الطبيعية) ويستعمله كتاب العربية في المقالات الادبية والسياسية مجاراة لهم وعملا باصطلاحهم وكان الاولى ان يترجم لفظ (نومس) بالسنة فيقال سنة الطبيعة والسنن الطبيعية وبعض الكتاب يستعمل هذا الحرف

وستراه كثيراً في هذه الجريدة وقد نمتاض عنه احياناً بقولنا سنة الكون والسنن الالهية وسنة الله في خلقه

وأما القوي الطبيعية فهي عبارة عما تسند اليه الآثار الطارئة على الاجسام من حركة أوسكون ومنها ماهو حقيقي كالقوة البخارية والكهربائية وما هو فرضي كالجاذبية فان تعليل سقوط نحو الحجر من الهواء على الارض بانه سقط بقوة الجاذبية التي في مركز الارض يوهم ان هناك شيئاً موجوداً له هذا الفعل وانهم اطلعوا عليه وسموه بهذا الاسم وليس كذلك بل ان هذه القوة مفروضة والتسمية اصطلاحية ولما كان الفعل الذي نسب اليها يصدر عنها باطراد صح اطلاق لفظ الناموس عليها فقالوا ناموس جاذبية الثقل ومثل هذا كثير وقد اطلنا في البيان حتي كدنا نخرج عن المقصود

وأما لفظ الكفر فيطلق في عرف الكتاب اليوم على الملاحدة كما المعنا اليه في عرض كلامنا آنفا فمهما اطلقنا لقب الكافر أو اسم الكفر في كلامنا فنريد به ماذكرنا ولا نطلقه على المخالفين لنا في الدين من أصحاب الملل الاخرى لانهم ليسوا كفاراً بهذا المعنى بل نقول بعدم جواز اطلاقه عليهم شرعاً لانه صار في هذه الايام من اقبح الشتائم واجرح سهام الامتهان وذلك مما تحظره علينا الشريعة باتفاق علماء الاسلام ولا يصدنك عن قبول هذا القول اطلاق ماذكر في العصر الاول للملة على كل مخالف فانه لم يكن في زمن التشريع يرمى به لهذا الغرض بل كان من الطف الالفاظ التي تدل على المخالف من غير ملاحظة غميزة ولا ازراء فضلاً عن ارادة الشتم والايذاء المخالفة لمقاصد الدين وآدابه

ذلك ان معنى الكفر في أصل اللغة الستر والتغطية وكانوا يسمون الليل كافراً لانه يغطي بظلامه الاشياء واطلقوا لفظ الكافر على طلع النخل واكمام النور (الزهر) لما ذكر وعلى البحر لان الشمس تغيب فيه بحسب الظاهر وعلى ثوب كانوا يلبسونه فوق الدرع يقولون له كافر الدروع وقد سمى القرآن العظيم الزراع كفاراً كما هو المشهور في تفسير قوله تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) وامثال هذا في اللغة كثيرة ويظهر منها ان حقيقة الكفر تغطية المحسوس بالمحسوس ثم اطلق على من لم يذعن للدين ومن لم يشكر النعمة تجوزاً وكل مانقل من العبارات المستعملة من هذه المادة يومىء الى ماذكرنا (راجع الاساس وغيره)

وحيث قد اختلفت الحال وتغير الاستعمال فلا ينبغي اطلاق اسم الكفر على صاحب دين يؤمن بالله (ولا نغير كتب الفقه أو نعترض عليها)

ورب متحمس يرميني بالافتئات على الفقهاء أو مصانعة النصارى أو الميل مع ريح السياسة عن جادة الشرع فاقول على رسلك أيها المتحمس فان أذية الاجنبي المعاهد على ترك الحرب محرمة فما بالك بالوطني (أي من المخالفين لنا في الدين) وان كان لا يقنعك الا النص الصريح من كتب الفقه على هذه المسألة بخصوصها فاليك هذين النصين احدهما عام والآخر خاص بلفظ الكفر

جاء في (معين الاحكام) مانصه: اذا شتم الذمي يعزر لانه ارتكب معصية وفيه نقلا عن القنية ولو قال للذمي يا كافر يأثم ان شق عليه اه

ولعل وجدانك لايسمح لك بان تقول الآن انه لا يشق عليه وهو سب صريح واذا ثبت انه لايجوز نداؤه بهذا اللقب في وجهه لانه يستاء

منه فلا شك أن اطلاقه عليه في غيبته غير جائز أيضاً لان غيبته محرمة فينتج ان ذلك اثم في كل حال وسنفرد لهذه المباحث مقالات في الاعداد التالية ان شاء الله تعالى

مشروع مفيد

(سكة حديد بين بورسعيد والبصرة)

افتتحت جريدة المؤيد الغراء عددها (٢٤٢١) الصادر يوم الاحد الماضي برسالة وردت عليها من محرر جريدة (وكيل) في بنجاب من العمالات الهندية ونشرتها تحت هذا العنوان

فرأينا ان نلخص منها مايلي

قال الفاضل الهندي «ربما لايخفاكم ان شركة انكليزية تبذل جهدها وتعمل بكل همة سعياً للحصول على امتياز من الباب العالي بانشاء خط حديدي من بور سعيد الى البصرة أوالكويت عن طريق الجوف»

وفي شهر دسمبر اشار كاتب في جريدة (وكيل) الى مشروع جليل وهو ان تشكل لجنة تحت حماية جلالة مولانا السلطان الاعظم لفتح اكتتاب من المسلمين في جميع العالم لدفع غرامة الحرب الاخيرة الى الروسيا دفعة واحدة فتخلص بذلك الدولة العلية من تداخلها في أحوالها أما انا فلم أوافق على هذا الرأي لانه لايمكن للروسيا ان تطلب أكثر من ٣٢٠٠٠٠ جنيه في السنة لمدة مائة عام ولو فرضنا ان اللجنة المذكورة تنجح في عملها وتجمع المبالغ اللازمة لدفع الغرامة الروسية مرة واحدة

الزمنا ان ندفع لها مبلغاً ايراده السنوي ١٢٠٠٠٠ جنيه دائماً مع انه لا يمكن للروسيا ان تطلب سوى المبلغ المذكور قبل لمدة مائة سنة

ولكنني بينما كنت أناقش ذلك الكاتب في اقتراحه اذ لاح لي مشروع وقد كلفت به . ذلك ان تؤلف لجنة عالية تحت رعاية ومراقبة جلالة الخليفة الاعظم لانشاء سكة حديدية من البصرة ومنها عن طريق الموصل الى حلب فالاسكندرونة ثم ينشأ خط من حلب الى الشام فالحجاز فاليمن

وحيث ان نفوذ جلالة الخليفة المعنوي يزداد انتشاراً شيئاً فشيئاً في جميع ارجاء العالم الاسلامي فلا شك ان كل مسلم عاقل ينضم الى هذا المشروع ويساعد في نجاحه وفضلاً عن استعمال اللجنة لهذا النفوذ بقدر مايصل اليه صوتها فانه يلزمها ان تعلن وترسل مندوبين لها الى جميع الجهات التي يقطنها مسلمون كمصر ومراكش وتونس والجزائر وسكوتو والهند وايران والصين وتركستان وسومتره وجاوه وغيرها

فاذا نجحنا في عمل مهم كهذا كان أفضل واسطة لاتحاد جميع مسلمي العالم البشري المنتشرين في الارض بل كان واسطة لجمع مبالغ كثيرة لعمل مفيد

وان الوفا من شباننا الذين هم الآن بلا شغل وعمل يتمكنون بهذا المشروع من الاشتغال بمعاشهم بافتتاح ممالك فسيحة للتجارة والزراعة والاستعمار . وتكون مواصلاتنا مع الحجاز تامة وبغاية السهولة فضلا عن المنافع السياسية والحربية والتجارية التي تحصل للباب العالي من تنفيذ هذا المشروع الجليل

ولقد سردت أبواب هذه الفوائد المهمة في مقالة نشرتها في جريدة (وكيل) بتاريخ ٢٧ دسمبر سنة ١٩٨٧ ص ٥٤ واشرت على المقالة بالحبر

الاحمر في جميع النسخ التي ارسلت الى الجرائد المصرية والتركية مؤملاً ان تفصح هاته الجرائد عن افكارها في هذا الشأن وانها ان استحسنت اقتراحي عضدتني فيه بما تستطيعه وطلبت أيضاً من قنصل الدولة العلية تعضيدي فيه

ولكني أتأسف من ان ما كتبته ذهب كالنقش على الماء فلم يلتفت اليه أحد

اليس من العار على المصريين والعثمانيين وسائر المسلمين ان يروا الامم الاخرى تسعى في الحصول على امتيازات في ارجاء آسيا وأفريقيه بل في تركيا نفسها ونحن معاشر المسلمين في الارض ننظر اليها نظر المتفرج بدون عمل ولا حركة كانه لايهمنا قط ان نكون في غبطة عيش ونعيم وكانه لايهمنا ان تكون امتنا سعيدة بتدبير أحوال ممالكها الفسيحة وترقيتها

وفي ٢١ فبراير كتبت مقالة في هذا الشأن ونشرتها في « الوكيل » اه ثم ذكر انه دائب على تشويق أهل وطنه الى هذا العمل العظيم ورغب الى صاحب (المؤيد) ان يشوق المسلمين الى ذلك في جريدته الشهيرة وقد أجاب المؤيد دعاءه ولبى نداءه فذيل الرسالة بنبذة تنشيط ملخصها ان مايقترحه الكاتب أعظم مشروع ينعش الحياة ويجدد السعادة للدولة بل للملة الاسلامية

وان المسلمين اذا لم يبادروا لمثل هذا العمل فلا يبعد ان يأتي يوم يعجزون فيه عن الاتيان بأي عمل

فاذا لو ان جلالة مولانا الخليفة الاعظم الذي اشتهر في العالم كله بحب جمع شتات الاسلام حول عرشه استلم زمام هذا العمل العظيم

بنفسه وانفذه ليكون الفاتح والمجدد لعصر حضارة الاسلام على ماتقتضي ظروف الايام » اه

(المنار) لخصنا هذه المقالة لامور منها بيان تعلق المسلمين بمولانا أمير المؤمنين أيده الله تعالى في اقطار الهند وآمالهم العظيمة في ان تقدم الامة كلها منوط بحكمته المشهورة ومساعيه المشكورة وخضوعهم لسلطته الروحية وسيادته الدينية

ومنها ان المشروع من الاعمال التي لا تقوم الا بالشركات المالية والحث على الشركات المالية لاي عمل كان هو من أفضل الاعمال التي انشئت الجريدة لاجلها

وأما هذا المشروع بخصوصه فلا ننكر عظيم فائدته لكننا نفوّض النظر فيه لحكمة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى) ولوزرائه الصادقين فان لهم من المعرفة بمنافع الامة ووسائل تقدمها ما ليس لنا ورأينا ان سبب التقدم الذي يجمع كل الاسباب وترجع اليه جميع الوسائل هو تعميم التربية والتعليم في جميع عناصر الامة على طريقة واحدة ولا يمكن الوصول الى هذه الغاية الا بشركات مالية تنشيء المدارس الوطنية وتختار لها المعلمين المهذبين وسنواظب على الحث على هذا المشروع ونبين مزاياه في ما يأتي من الاعداد

وانا نفتخر بما لمولانا أمير المؤمنين من العناية بامر المكاتب والمدارس حتى انه انشأ من جيبه الخاص الكثير منها

ولا ننكر ما لسمو عزيز مصر (عباس الثاني) من الاهتمام بأمر العلم والازهر الشريف شاهد عدل ورجاؤنا باغنياء المصريين وسائر العثمانيين

الاقتداء بسلطانهم الاعظم وخديويهم المعظم في هذا الامر الذي هو كل أمر والله الموفق

مجمل الاحوال السياسية

لم نر عاماً كثرت مشاكله السياسية كهذا العام • فانا نرى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام في الشرق والغرب في العالم القديم والعالم الجديد

في مياه الصين تجمع الاساطيل الاوربية وتتكاثف تكاثف الغيوم قبل نزول الصواعق • وفي أفريقيا تزحف الجنود وتتسابق الحملات الى اعالي النيل تسابق خيل الطراد • وفي الهند قد سقيت الارض بدم الانسان وسمدتها فضلات النسور والعقبان من جثث القتلى فأخرجت في هذا الربيع نبتاً خصيباً • وفي كوبا وراء الاوقيانوس العظيم قد صارت الحرب بين الاسبان والاميركان قاب قوسين أو أدنى • وفي كريت لا يزال السيف مصلتاً والاخوة العثمانيون يفني بعضهم بعضاً • وفي النمسا استفحل الخلاف بين العناصر المختلفة فصار البعض يتوقعون انتشار عقد الوفاق وسقوط تلك المملكة العظيمة . وفي ايطاليا وسيسيليا ساد الجوع أثر غلاء الخبز وقلة الاعمال فثار الشعب ينهب الافران متنهماً حراب البوليس وهجمت النساء صارخات طالبات لهن ولاولادهن خبزاً . اما في فرنسا فقد مرت الزوبعة السياسية مرور الزوابع الطبيعية على اعشاب الارض تعبث بها ولا تجر ضرراً

ويطول بنا المقال ان رمنا تفصيل تلك الحوادث السياسية الخطيرة .
على انه لابد من الالماع اليها الماعاً يطلع قراء المنار على اجمال تفاصيلها
الماضية ويكون توطئة للحوادث الآتية

المسألة الصينية

قتل بعض أشقياء الصينيين بعض مراسلي الكاثوليك الالمان في
البلاد الصينية فاتخذت ذلك ألمانيا وسيلة الى احتلال ثغر من أهم الثغور
الصينية يدعى كياوتشو أنفذت اليه اسطولها في الشرق الاقصى فاحتله
بلا حرب ولا نزاع لان الحامية الصينية غادرته حين علمت بقصد الجنود
الالمانية . ثم احتل الاسطول الروسي بورث آرثر مقابل احتلال الالمان
لكياوتشو فأرغت اليابان وأزبدت وقامت انكلترا وقعدت وأنفذت
الدول بوارجها الى مياه الصين تباعاً حتى حسب الناس ان الحرب صارت
أقرب من حبل الوريد وظنوا انه قد حان تقسيم تلك المملكة الواسعة

ثم بان ان الدول لاتنوي التقسيم لما يحول دون ذلك من الموانع
السياسية . وطلبت الصين قرضاً فتنازع روسيا وانكلترا عقد هذا القرض ،
واشترطت انكلترا على الصين شروطاً أهمها (فتح تاليان وان) فأثار ذلك
ثائر روسيا وآذنت الصين بأنها ان هي فتحت (تاليان وان) أساءت الروسية
معاملتها . فتنازع الصين عاملان قويان فباتت لاتعلم أيهما تعمل حتى جاء
يوم قيل فيه ان انكلترا أرجأت البحث في فتح تاليان وان الى فرصة
أخرى . وقد وافت الرسائل البرقية في الاسبوع الماضي تقول ان الصين

اجابة لطلب اليابان سألت روسيا عما اذا كان ينسحب اسطولها من بورت آرثر في فصل الربيع فاجابت روسيا ان في احتلالها بورت آثر مصلحة للصين وكوريا معاً . ثم جاء ان روسيا تلح على الصين بأن تؤجرها بورت آرثر وتاليان وان الى ٩٩ سنة كما أجرت المانيا تتركيا وتشو وأنظرتها خمسة أيام فاذا انقضت ولم تجبها الصين الى طلبها عملت روسيا في الصين عملاً عسكرياً.
فقامت التيمس بعد هذا الانذار تقول ان انكلترا منذ حرب القريم لم تكن يوماً أفرغ صبراً مما هي الآن وخطب ناظر البحرية في مجلس العموم عند عرضه ميزانية البحرية فقال ان الاسطول في غاية الاستعداد فان بقيت السلم كانت سلماً شريفة وان نشبت الحرب (لا قدّر الله) خرج الاسطول ظافراً .
أما ناظر الخارجية الانكليزية فقد صرح انه لا يرى دليلاً على ما قيل من ان روسيا قدّمت للصين انذاراً . والله أعلم بمصير المسألة الصينية

المسائل الافريقية

قلنا المسائل الافريقية لا المسألة لان المشاكل في أفريقيا متعددة .
أولها حملة مصر على الدراويش . ثم الحملة الفرنساوية في النيل الاعلى .
ثم ثورة أوغنداه ثم مسألة النيجر بين الفرنساويين والانكليز . ثم مسألة الترنسفال بين البوير والانكليز أيضاً

أما الحملة المصرية فسنفرد للبحث في أمورها مقالات خصوصية .
وأما الحملة الافرنسية السائرة في مجاهل أفريقيا بقيادة الضابط الباسل مرشان فلا يعلم أحد الغرض الذي ترمي اليه حتى الآن . والمشهور انها زاحفة لاحتلال الاراضي التي وراء بحر الغزال في أعلى النيل . وبما ان

تلك الاراضي هي غرض انكلترا أيضاً فالمنتظر ان تقوم قائمة الخلاف والنزاع بين الدولتين بشأن تلك الاصقاع في وقت قريب . وقد انفذت انكلترا من جهة اوغندا الى أعالي النيل من شهور عديدة حملة انكليزية بقيادة الماجور مكدونالد . غير ان تلك الحملة ماقطعت مسافة قصيرة حتي ثار رجالها وهم من السودانيين على القائد مكدونالد فتحصنوا في حصن هناك فحاصرهم الماجور قمعاً لثورتهم وارغاما لانوفهم وطلب المدد تشديدا للحصار غير ان السودانيين رأوا من المحاصرين غفلة ففروا من الحصن ونجوا بأنفسهم . فرجع مكدونالد ادراجه ولم يزل مرشان ينفذ السير الى غرضه بخطى واسعة . وأشيع يومئذ ان حملة مرشان قد ذبحت عن آخرها غير انه ظهر بعد ذلك ان هذا الخبر كان مكذوبا . هذا ويرى البعض ان احتلال فرنسا أعالي النيل سيكون بداية فتح المسألة المصرية

واما الخلاف الذي بين فرنسا وانكلترا بشأن النيجر فهو ناشيء عن طمع كل من الدولتين في تلك الاراضي واختلافهما على تحديد املاكهما فيها . ويقول الفرنسيون ان شركة النيجر منشأ ذلك الخلاف كله وقد عقدت في باريس من عهد قريب لجنة من الانكليز والفرنسويين للبحث في دعاوي الطرفين وحل تلك المشاكل بالطريقة الودية . وقد أضيف في الاسبوع الماضي مشكلة جديدة الى تلك المشاكل القديمة فان حملة الفرنسيين اجتازت نهر النيجر وحاولت الزحف على أرض تقول انكلترا انها تحت حمايتها وقد امدت انكلترا سلطان تلك الارض بجند يساعده على ارجاع الفرنساويين على أعقابهم ولم يرد بعد ذلك نبأ جديد

واما الخلاف بشأن الترنسفال فمنشأه طموح انكلترا الى تقييد تلك

الجمهورية الصغيرة بقيود سيطرتها . وقد نظم دكتور انكليزي يدعي جمسن حملة هجم بها على تلك الجمهورية على حين غفلة فالتقتها سيوف البوير ونالت منها ما نالته سيوف الاحباش في موقعة عدوه من الطليان ولا يزال مستر شامبرلن وزير المستعمرات الانكليزية يؤكد لتلك الجمهورية حتى الآن انها تحت الحماية الانكليزية . ولعمر الحق ان امبراطورية الاحباش وجمهورية الترنسفال قد أظهرتا باسلوب عجيب مقدرة الشرقيين على الدفاع عن حريتهم واستقتالهم في سبيل ذلك الدفاع الشريف

وسنتكلم فيما يلي من الاعداد على بقية المشاكل السياسية

الحبشه

بنى السيف في القرن التاسع عشر امبراطوريتين عظيمتين الاولى الامبراطورية الالمانية والثانية الامبراطورية الحبشية

فان تسليم سيدان وباريز ألبس غليوم الاول تاج الامبراطورية الالمانية وانتصار الاحباش على الطليان في موقعة عدوه انال منليك رئاسة الحبشة وجعله امبراطوراً على ملوكها المتحدة .

والحبشة أمة شرقية قد أيقظها دوي مدافع الطليان من سباتها العميق فهبت الى دخول التمدن من أبوابه ولا يبعد ان نراها بعد خمسين سنة تضاهي شقيقتها اليابان الشرقية قوة ومنعة وعزاً . واذا بلغت الحبشة مبلغ اليابان كان ذلك دليلاً ثانياً على استعداد الشرقيين للتقدم العصري والارتقاء وعلى قابليتهم للانتظام ومقدرتهم على الثبات خلافا لما يشيعه عنهم الاخصام .

وليس غرضنا الآن تبيان ما بلغته الحبشة وما ستبلغه من التقدم ان استمرت على سيرها الحثيث

وانما غرضنا ذكر حديث جرى في بور سعيد بين أحمد مكاتبي الجرائد الاوروبية والمسيو اتوجوزف سكرتير منليك الخاص فان في ذلك الحديث بعض اللذة والفائدة وهو بصور السؤال والجواب

س : هل تحب مصر

ج : لا أحبها لانها بلاد قوم لا يحبوننا فهم يزعمون ان الحبشي ملك يدهم لذلك يسمونه «عبدا»

س : وما رأيك في الانكليز

ج : لا نخشى لهم بأساً وحسبهم الآن الدراويش خصماء وانا لا نحذر غير الفرنساويين ولو انا انكسرنا في حربنا مع الطليان لبتناطعمة للفرنساويين

س : وما صنعتم باسرى الطليان

ج : لقد عاملنا الجميع بكل رفق وتؤدة لان قوانين الحبشة تنهى عن مضايقة الاسرى أو تعذيبهم وقد أطلقنا سراحهم جميعهم فرحل البعض بسلام الى بلادهم وعلق البعض نساءنا فاستحبوا الاقامة عندنا . وقبل ان يطلق الطليان اسرانا سمعنا انهم اساؤا معاملتهم فلم يحملنا ذلك على مقابلة الاساءة بالاساءة لانا نعتبر الاسير مقدساً لايجب ان يمس بسوء

س : ماقولك فيما شاع من ان انكلترا ستمنحكم زيلع على ان تلتزموا الحياد في الحرب التي بين مصر والدراويش

ج : لا أعلم في ذلك شيئاً لاني أجهل حوادث بلادي منذ ستة أشهر . علماً اني لا أرى أفضل من الحياد في مثل هذه [illegible] فان المتحاربين

مسلمون ولا أرى ما يو... علينا اخترط الحسام دفاعاً عن المسلمين

س : وهل تحمل لجلالة الامبراطور كثيرا من الهدايا

ج : لقد بعث معي جلالة السلطان فرسين من الخيل الجياد و نيشاناً باهراً وبعث جلالة القيصر كلبي صيد وسيفاً ثميناً وغير ذلك من الهدايا

س : هل لك ان تتفضل عليّ بوصف هيئة الحكومة في بلادكم

ج :لا عندنا مجالس شورى ولا دستور ولا نواب فان جلالة الامبراطور هو الحاكم الاعلى وله مجلسان عقلاء الشيوخ يستدعيهم عند الاقتضاء وهناك محكمة فيها قاض واحد لا يحكم في قضية الا عند شهادة رجلين اما القاتل فجزاؤه القتل وان شاء الامبراطور ان يعفو عن القاتل كان لعائلة المقتول ان تعترض على ذلك العفو ولعائلة المقتول ان تنفذ بيدها حكم الاعدام

س: وهل الملكة نبيهة متهذبة

ج : اسم جلالتها تايتيس اعني الشمس وهي نبيهة وشديدة الاهتمام بالآداب العمومية

س : بما انك ذكرت لي معنى اسم الملكة فارجو ان تذكر لي ما معنى اسم « منليك »

ج : ان تاريخ هذه الكلمة قديم . فقد جاء في التقاليد القديمة ان ملكة سبا سمعت بحكمة سليمان الحكيم فوفدت عليه . ثم وضعت منه غلاماً فراعها ذلك فصاحت : « ماذا يقول سليمان »

فقولها « ماذا يقول » ترجمته في اللغة الحبشية « منليك » ولذلك سمي به ابن ملكة سبا

س: ما عدد سكان الحبشة

ج: عددهم خمسة ملايين من الاحباش المسيحيين ومليونان ونصف من المسلمين واثنى عشر مليوناً من الوثنيين

س: وهل يعيش هؤلاء كلهم براحة وسلام

ج: يعيشون بالراحة الممكنة . على ان الارض مخصبة والهواء معتدل والحرية مطلقة للجميع. اما الآداب العمومية فنقية لان الاهتمام بها عظيم. وفي المدن الكبرى مدارس للأديرة تربي الاولاد أحسن تربية

س: نسيت ان أسألك عن نظام البوليس

ج: لا بوليس في الحبشة . فان كلا منا يحترم ملك الغير وحقوقه وعنواننا كلنا: « اغلق شفتيك وافتح بابك » — يريد قلة الكلام وكثرة الضيافة . انتهى

على ان تلك الامة الخارجة من غياهب الهمجية خروج الزهور من أكمامها لا تزال في ظلمة التعصب الديني والجهل الوخيم لذلك لا تحسن معاملة المسلمين من رعاياها على انها ستعلم خطأها حين يسقط عن عينيها برقع الجهل والغباوة وما سبب التعصب الذميم الا الجهل الوخيم اهـ من ترجمة بعض الكتاب

هذا ما اخترناه من العدد الاول وما بعده الا « الاخبار المحلية » وبرقيات الاسبوع

القول الفصل

محاورة في سعادة الامة (١)

نظر بعض أصحاب الافكار الصافية والعقول النيرة في كتب التاريخ نظر التأمل والاعتبار ووقف على شيء من أحوال الامم في اطوارها وأدوارها من بداوة وحضارة وهمجية ومدنية وقوة وضعف وصعود وهبوط وغلبة وانغلاب ونحو هذا من الصفات المتقابلة والشؤون المختلفة فحدا بهمته النظر بعين البصيرة الى طلب النظر بعين البصر والسير في الارض لمشاهدة آثار العالمين وتطبيق ما يرى على ما علم فضرب في الارض شرقاً وغرباً وخالط الامم عجماً وعرباً واكتنه الاخلاق واختبر العادات وشاهد سير العلوم والفنون ووقف على امهات الصنائع والاعمال وسبر قوى العقول والافكار ثم شرع في المقابلة والتنظير فتجلى له ان الاستعداد الفطري والقوى الطبيعية في تلك الامم واحدة وان اختلاف الحالات لم يأت من اختلاف المدارك والتفاوت في الاستعداد وان انتهى الى درجة يكاد يلتحق بها فريق بالعجماوات ويخرج من عداد الانسان ويرتقي بها فريق آخر عن النوعية الآدمية الى مصاف الملائكة وانما جاء من أمور عارضة وظروف خارجية . وأعمل فكره في معرفة مناشيء هذه العوارض وعلل هاته الطواريء وارتقى في الاسباب الكثيرة وتبصر في تأثيرها فعرف كيف يمكن اتقاء العوارض المضرة وازالة الطواريء التي دفعت في صدور

(١) نشرت في فاتحة العدد الثاني الذي صدر في يوم الثلاث ٢٩ شوال سنة ١٣١٥ هـ

بعض الامم فأخرتها وامسكت بحجزاتها عن التقدم الذي يرشدها اليه الالهام الالهي والقوى القدسية التي منحها الله للانسان . ثم رجع هذا العاقل الى وطنه وقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب وصار من اطباء النفوس القادرين على مداواة أمراض أمته وعجب لاغفال الجماهير من قومه هذا النظر وهذه السياحة حتى كأنهم عميان وصار يردد في نفسه هذه النصوص (أفلم ينظروا) (أولم يتفكروا) (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

ثم وجه عنايته لتنبيه قومه على ما استفاد في سياحته (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرى)

ولما ان جاء القوم للسلام عليه سألوه عن رحلته من حيث سهولة السفر ومشقته وما كان طعامه وشرابه فيه وعن منتزهات البلاد التي زارها فعذلهم بلطف على هذه الاسئلة واعتذر لهم عن نسيانه لهذه الامور وطفق يحدثهم عن معارف البلاد لا عن معازفها وعن مصانعها لا عن مراقصها واطال في الكلام عن الامم المتمدنة وعما رأى فيها من موارد الراحة السائغة وبرود النعمة السابغة حتى ادهشهم وكان يتكلم عن انفعال وتأثر ويشوب كلامه بالتأوه والتحسر، فاثرت حالته في نفوسهم وحركت منها كوامن الغيرة واحب فريق منهم ان يبحث معه في سعادة الامم وشقائها، وشدتها ورخائها ، وهبوطها وارتقائها، فاعترضه آخرون قائلين ان الكلام في هذا الموضوع يتعب البال ويزعج الخاطر وهو عبث لا يفيد شيئاً فان الامر كله لله وليس لارادة الناس أثر في أعمالهم ولا لاعمالهم أثر في منافعهم

بل ليس لهم ارادة أيضاً بل هم في الحقيقة كالريش في الفضاء تصرفه رياح الاقدار المتناوحة وتتلاعب به ولا ارادة ولا اختيار نستغفر الله لا ننكر الاختيار فانه مذهب أهل السنة ولكن الحقيقة ما قاله بعض المحققين (سني في الظاهر جبري في الباطن) فاجابهم أولئك قائلين: انكم تؤمنون بلفظ الاختيار دون معناه وكأنكم ترون ان حركة اللسان بلفظ الاختيار هي الفصل الذي يخرجكم من عداد طائفة الجبرية الذين اتفق اساطين علماء الملة على فسوقهم من الاعتقاد الحق ونبذهم بلقب الابتداع في الدين

اما علمتم ان الالفاظ لا تدخل في ماهية العقائد وحقيقة المذاهب وان الخلاف في اطلاق اللفظ على معنى متفق عليه يرجع الى الاصطلاح الذي لا مشاحة فيه . أتزعمون انه لا واسطة بين الجبر والقدر وان الذين يسمون أهل السنة هم جبرية في الحقيقة لكنهم لما عجزوا عن الجواب على ما يستلزمه هذا المذهب من تخطئة تشريع الشرائع وانزال الكتب تستروا بلفظ الكسب والاختيار (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم). حاشاهم حاشاهم ونستغفر الله من هذا الضلال البعيد

فاجابهم السائح العاقل على رسلكم فما هؤلاء بجبرية ولا سنية ولا قدرية ولكن عموم الجهل جعلهم (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) واني رأيت الكثير من امثالهم في سياحتي في البلاد الاسلامية. كنت اذا ذاكرت المصري مثلا في أمر يتعلق بمصلحة وطنية يتوكأ على عكاز الجبر ويقول « هو بيدنا ايه » واذا كلمت سوريا في مثل ذلك

يستند على هذه العصا أيضاً ويقول « شوطالع باليد » وربما اردفوها على سبيل الاحتجاج بهذا النص الشريف (ليس لها من دون الله كاشفة)

كلمة حق أريد بها باطل وتمسكهم بها عرض زائل ارأيت ان ألمت ملمة بشؤنهم الخاصة كيف يجهدون بتلافيها بما يستطيعون من الاسباب بل ويتعدون الاسباب الطبيعية الى ماليس بسبب اصلا ويتخذون الوسائل الوهمية التي يأباها الشرع وينبذها العقل كالاستعاذة بالعوالم غير المنظورة من الجن والشياطين والاستعانة بالاموات من العلماء والصلحاء يخاطبون هؤلاء لدى اجداثهم ويستنهضون هممهم بالصياح والصراخ وتقديم هدايا الفواتح . ويستنفرون أولئك بالعزائم والطلاسم واحراق البخور في المجامر ويستنبؤن عن حقيقة الامور بخطوط الرمل أو الطرق بالحصا وحبوب الفول ويتعرفونها من الدجاجلة والعرافين

فتبين لكم كيف ان هؤلاء الحمقى قد جمعوا بين مذاهب المبتدعة على تضادها وتباينها وتخطوا أوساط الامور الى طرفي الافراط والتفريط فهم جبرية بازاء المصالح العامة وقدرية تلقاء منافعهم الخاصة

وقد نظرت في التاريخ سير العلوم واختبرت حالتها اليوم فرأيت العلماء الباحثين في مسائل الجبر والقدر والكسب قصروا انظارهم على مفهومات هذه الالفاظ وتفلسفوا فيها ولم يلتفتوا الى ما تحدث هذه العقائد في الارادة من الآثار وما يتبع تلك الآثار من الاعمال وما ينشأ عن تلك الاعمال من ضعف أو قوة فينهوا الامة عليه

ألفوا فيها المتون والشروح وعلقوا عليها الحواشي والتقارير فما زادت الامة تآليفهم الا حيرة واشكالا وكانوا كجواب المجاهيل ينفذ أحدهم السير

سحابة نهاره وعامة ليله ثم لا يدري هل ازداد بسيره قرباً أو بعداً (سيفرد المنار مقالة مخصوصة لهذه المسألة)

واما الذين لم يبلغ الجهل منهم مبلغ انكار الوجدان والقول بالجبر الصراح فهم يعلمون ان الاخذ بالاسباب عملا واعتقاد ارتباطها بالمسببات بحيث لا تتخلف عنها اذا تمت شروطها ولا تحصل الا معها هو الحق وان انكشاف الخطوب على أيدي الآخذين بأسبابها التي سنها الله تعالى لها لايقتضي انهم عاندوا الارادة الالهية وكانوا هم الكاشفين لها من دون الله تعالى

فخجل المحتجون بالجبر عند هذا البيان واتفق القوم كلهم على البحث مع السائح العاقل في شؤون ترقية امتهم وعن الاسباب التي ينبغي الاخذ بها للحصول على هذه الامنية الشريفة . واجمعوا على ان يكون البحث على طريق السؤال والجواب لانه أدعى الى إلقاء السمع وتوجيه الفكر وأقرب الى التنبه والتبصر وان يكون السائح هو السائل لانه اعلم بحاجج الامم لما أفاده العلم والاختبار ثم اذا اختلفوا في الاجوبة يحكمونه فيما شجر بينهم ويكون بقوله العمل وعليه الفتوى

فقال اني ملق عليكم مسائل متعددة في مواضيع مختلفة وكلها تتعلق بسعادة الامم وأطلب عليها كلها جواباً واحداً يؤدى بكلمة واحدة .

فقالوا له يشبه ان يكون كلامك هذا من الالغاز والأحاجي فكيف السبيل الى حل معماه، وكشف مخباه، وكيف يكون الجواب عن الاسئلة في المواضيع المختلفة واحداً (ان هذا لشيء عجاب)؟

فقال لا عجب فان كل كثرة لا بد ان تجمعها جهة وحدة فكما ان

الوحدة التي نسميها سعادة الامة لاتحصل الا بامور كثيرة ترجع الى شيء واحد وهو (سعادة الامة) كذلك وسائل هذه الامور الكثيرة التي منها تستمد مسائلي تؤول الى شيء واحد «وسيلة ترجع اليها جميع الوسائل وسبب يجمع كل الاسباب» وهو الجواب الذي سأشرحه لكم ثم انشأ يسرد الاسئلة فقال

(س) ماهو الناموس الذي يحصل به الجذب والانجذاب بين العناصر المتفرقة ويحكم الالتصاق بين افرادها فيكون المجموع أمة واحدة وبماذا توجد الرابطة التي تجعل مدار هذا المجموع على محور واحد

(س) أي شيء يمحو من نفوس افراد الامة الاثرة والاختصاص بالمنافع دون قومهم ويثبت فيها حب الوطنية والجامعة الجنسية بحيث يرى كل واحد ان منفعته في منفعة أمته ومضرتها عين مضرته . بل ماهي الروح التي تنفخ في آحادها فتحيا بعد مماتها، وتجتمع بعد شتاتها، وتكون جسداً واحداً اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد فاني أرى هذا الروح هو المدبر لبعض الامم وكانه فقد من امتنا بالكلية فانتثر عقد اجتماعهم . وانحل تركيب بنيتهم . وتفرقت كلمتهم . ورزؤا بالتخاصم والتنازع . والتباغض والتحاسد . وأصبحوا و « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » وأنى يفقهون معنى هذه الحياة الجنسية . وسرها به الجامعة الوطنية . وكيف تحصل لهم . وبماذا توجد فيهم . وأنى يجتمعون في صعيد واحد مع اختلاف مناتبهم وتقطع وشائجهم

(س) اذا اعتقدت الامة بافرادها انحطاط المدارك وضعف العقول وعدم الاستعداد الفطري لاحتذاء الامم الاخرى فيما جاءت به من عجائب

الصناعات وما استنبطته من دقائق العلوم والفنون لانها شاهدت الآثار التي انتهت اليها وهي في غيبة عن مبدأها وكيفية نموها فاني يكون تنبيهها الى ما أودع فيها من القوى الطبيعية والقدر الوهبية الكامنة في أرواحها ككمون النار في الحجر ان قدحته أوري ، وان تركته تواري، وانه ليس عليهم في ابراز آثار هذه القوى الا استعمالها فيما خلقت كما استعملها الآخرون

(س) اذا تمكن في النفوس اليأس من التقدم والقنوط من الترقي لاعتقاد ان زمن التدارك قدفات وانه لا يمكن مجاراة المتخلف لمن بلغ الغاية وان كان الاستعداد واحداً . فغلت لذلك الايدي عن العمل كانما هي مشلولة . ووقفت الارجل عن السعي حتى كأنها مقطورة . (أي محبوسة في المقطرة وهي خشبة مثقوبة توضع فيها ارجل المحبوسين) فبماذا تنزع الاغلال وتكسر المقاطر وتنعم تلك النفوس بحلاوة الرجاء بعد مرارة اليأس وتندفع اندفاع الجياد القرح الى طلب المجد المؤثل الذي تطلبه بحق وتجري فيه على عرق

(س) اذا حاول بعض أهل الثراء ان يحتذي شاكلة السابقين ويتلو تلو الشعوب المتمدنة فانشأ يقلدهم في أحوال معيشتهم التي انتهت بهم اليها طبيعة بسطة الملك وسعة الثروة فشيد القصور ونقش الجدران وزينها بالارائك والزرابي والسجوف والمصابيح وسائر أنواع الآنية والماعون النفيس الذي يجلبه من بلاد تلك الشعوب . فكيف يمكن اقناع هؤلاء بأن هذا التقليد تذفيف على جرح الامة واجهاز على حياتها وبه ينضب معين ثروتها على انه ليس لديها من أمواه الثروة الى بقية وشل . وان التقليد النافع انما يكون في خدمة المعارف والسير في طرقها التي سار فيها أولئك

وفي الاعمال النافعة التي هم لها عاملون

(س) كيف تحافظ الامم على اديانها ولغاتها وعوائدها النافعة اذا كانت مهددة من أمم أخرى بحكم ناموس تنازع البقاء . وكيف ظلت اللغة العبرانية محفوظة في ألسنة الاسرائيليين معما ابتلوا به من فقد السلطة والشتات في الاقطار وما رزؤا به من جور الحاكمين واضطهاد الظالمين . ولماذا فسدت ملكة اللغة العربية من ألسنة اربابها مع نمو عمرانهم وامتداد سلطانهم

تسمع ولدان اليهود في روسيا والمانيا واستريا وفرنسا وانكلترا واسبانيا وافريقية وأميركا يتكلمون بلسان كتابهم (التوراة) على نحو ما كان يتكلم به أباؤهم الاولون . ولم يصدهم عن حفظه معرفة لغات الشعوب الذين هم عائشون في بلادهم . وشيوخ العلم في مصر والشام والعراق والمغرب بل وفي الحجاز واليمن يكتفون بوجود لغة (القرآن) في مطاوي الكتب وبطون الدواوين

(س) كيف يمكن التفلت من اشراك العادات الرديئة وأحابيلها . والتفصي من عقل التقليدات المضرة التي أوقفتنا عن السير وأحدثت فينا قناعة البهم وبغضت الينا كل جديد وان كان فيه سعادتنا وقد استحكمت بتوالي الايام وكرور السنين . وقويت على سلطان العقل وارشاد الدين حتى اعتقد الآخذون بها حسنها وأنكروا على من أخل بشيء منها « ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً » اما والله لو أن أجسادنا هذه تدبرها أرواح كارواح أبائنا الاولين لكنا نحن السابقين الى كل ما يسمى اختراعاً واكتشافاً وعملاً نافعاً

(س) انا نرى كثيراً من الاخلاق والعادات لها وجهة للخير ووجهة للشر يجتني نفعها أناس ويصاب منها بالضرر آخرون . فكيف يتفرع عن الاصل الواحد فروع مختلفة وآثار متباينة . وبماذا اهتدى الاوربيون للانتفاع من اختلاف رجال العلم ورجال السياسة وتنازعهم وتبينوا من هذا الاختلاف والتنازع محجة الصواب وحقيقة الامر حتى كان نور الحقائق العلمية والمصالح السياسية لمعان البرق لا يظهر الا بين الايجاب والسلب

ولماذا كان الاختلاف والتنازع في الشعوب الشرقية حجاباً على وجه الحقيقة وغشاوة على عين البصيرة تضيع فيه المصالح وتندرس رسوم المنافع حتى كان تصادم أفكارهم تصادم القوارير

(س) ماهو الغاسول المطهر للاذهان من أقذار الوساوس والاوهام التي توقع في الخوف مما لا يخيف ورجاء ما لا يفيد وبماذا يكون ترميج (افساد السطور المكتوبة) ما سطر في ألواح النفوس من أساطير الخرافات أو محوه بالكلية . ورسم آيات الحكمة واثبات نقوش الحقائق على هذه الالواح الشريفة القدسية

(س) بماذا يعرف المجد الصحيح من المجد الباطل والكمال الحقيقي من الكمال الوهمي فتحول مجاري نفقات الافراح والاحزان من الولائم والوضائم وما يتبعها الى التعليم والتربية ويستبدل تشييد المكاتب والمدارس الوطنية بتشييد القصور على القبور (الاحواش) الذي استن المصريون فيه بسنة «خوفو» و«خفرع» و«منكورع» الذين شادوا الاهرام لحفظ جثثهم الشريفة

(س) ما هو العلاج الذي يستأصل جراثيم الفساد والدواء القاتل

« ميكروب » الادواء الروحية الشافي من الامراض القلبية التي تتولد عنها الآثم والموبقات

(س) متى تقل الامراض الجسدية ويتزين مجموع الامة ببرود الصحة الضافية ويلقون عن عواتقهم اسمال الامراض وأخلاق الاسقام ويقل فيهم فتك الاوبئة اذا لم يمكن محو هذه المصائب بالكلية

(س) بماذا تحصل الثروة للامم فاننا نرى بعض الشعوب استولى عليها الفقر المدقع فلا يوجد فيها من الاغنياء الا افراد قلائل والكثير منهم ما نال الثروة بطرق مشروعة واعمال شريفة والسؤال انما هو عن ثروة الأمة من الطرق الشريفة المشروعة . ولو وزعت ثروة من ذكرنا على الامة بالتعديل لم تخرج من عداد الامم الفقيرة (قال السائل الحكيم) واذا قلتم زراعة . صناعة . تجارة . فانني لا اعتد ذلك جواباً بل هو يحملني على التفصيل بالقاء اسئلة أخرى في موضوع الثروة فأقول .

(س) ما الوسيلة الى تحسين حالة الزراعة بحيث تفيض الارض بالخيرات والبركات التي هي كنوزها الحقيقية . ولماذا كان أهالي فرنسا بل وأهالي زيلندا (جزيرة في البحر المحيط) أكثر ثروة زراعية من أهالي مصر بالنسبة لمساحة الارض مع ان أرض مصر أخصب تربة ورجالها أكثر جلداً على العمل وعندهم النيل الذي ليس له في زيلندا ولا في فرنسا نظير .

(س) ما الذريعة الى اتقان الصناعة وتوسيع دائرتها والتفنن في تنويعها بحيث تكتفي بها الأمة وتحفظ ثروتها عن اغتيال الاجانب لها وجعلها عالة عليهم ثم تكفي غيرها من الامم التي أصابها مرض الجهل والكسل فاقعدها عن الاعمال

(س) ماهي الطريقة التصرف بأساليب التجارة التي عليها مدار الثروة الاكبر والتي هي من الصناعة والزراعة كالقوة المتصرفة من المعلومات والمدركات . أو كالشرايين والاوردة لدم الانسان والحيوان

(س) كيف تسنى لافراد من طلاب الكسب الاجانب احتكار ماء النيل وماء نهر الكلب (نهر في لبنان تجره الى بيروت شركة اجنبية) كما تحتكر السلع وعروض التجارة وبيعه لاهل البلاد بالمال . ومن كان (لولا المشاهدة) يصدق ان الامة تنحط الى دركة لا يمكن للوطني معها ان يتناول جرعة من ماء بلاده الا اذا اقتضى الاجنبي منه ثمنها المعلوم عن رضى واختيار (أما وسر العلم والاجتهاد لو وجد مثل هذا الخبر في كتب تاريخ الامم القديمة لعد من هذيان القصاص المولعين بتلفيق الاكاذيب للاعجاب والاغراب)

(س) بماذا تحرز الامم القوة والمنعة وتعقد على ألويتها الغلبة والظفر وكيف استولت انكلترا على ممالك الهند وعلى استراليا والكاب والنيجر وكندا وكيف استولت فرنسا على بلاد الجزائر وتونس والسنغال ومدغسكر وأنام وكمبوديا وكوشين صين وتونكين وكيف استولت هولندا على كذا والمانيا على كذا

(س) كيف يسهل على نفر قليل الاستيلاء على شعب كبير يصرفونه في مصالحهم ويستخدمون افراده في منافعهم ويستعملونه كما تستعمل الدواب والانعام بل يديرونه كما تدار الآلة الصماء وهو لا يدري علة هذه السلطة ولا وقوف لافراده على حقيقة اسبابها ولعله لا يفكر فيها أيضاً كأنما فقد

كل احساس وشعور

(س) كيف أمكن للاميركانيين إلقاء السلطة الانكليزية عن عواتقهم وطرح أوزار سيطرتها عن كواهلهم واتحاد ولايات بلادهم تحت لواء واحد تستضيء بنجومه امم ويخشى من شهبه آخرون . حتى ان أوربا تحذر منه على مابقي لها في العالم الجديد وتتوقع تنفيذ قول مونرو « أميركا للاميركيين » وبالجملة

(س) ما هي الآلة الرافعة للمتطوحين في عواثير التعاسة والشقاء والمتدهورين في مهاوي الخذلان . وما هي المدارج التي ترقى فيها الامم الى المدنية الصحيحة والمعارج التي تصعد عليها الى مراتب الكمالات الصورية والمعنوية، من دينية ودنيوية، وماهو النور الذي يستضاء به في ظلمات الجهل والغباوة والمنار الذي يهتدى به في مهامه الحيرة ومجاهيل الخطوب ؟؟

فلما فرغت المسائل، وسكت السائل، وطلب ما عند القوم من الجواب ابتدر أحدهم فقال لاشك ان الامراء والحكام هم الذين يكوّنون بنى (جمع بنية) الامم وينفخون فيها روح الوحدة، وينشقونها نسيم الحياة الوطنية، ويمدون فيها جداول الثروة بما يمهدون من طرق الكسب ويحفرون من الترع ويبنون من المعامل والمصانع ويهيئون من الآلات والادوات الخ ما اشرتم اليه من أسباب السعادة

فرد عليه السائل قائلا اذا فرضنا ان الحكومة غنية مع فقر الامة وأمكنها أن تعمل كل هذه الاعمال فهل في استطاعة الحاكم أن يقتلع من نفوس الامة جراثيم الاخلاق الذميمة وينقي منها بذور العادات الرديئة التي تنجم عنها الافعال المضرة ويغرس فيها أشجار الاخلاق

الفاضلة والسجايا الجميلة التي تثمر الاعمال النافعة ؟ كلا ان من يلقي التبعة كلها على الحكام مخطىء في حكمه واني رأيت أكثر الامم الشرقية لا يرون لاتقسهم وجوداً الا بالحكام ويرون ان صلاح الامة وفسادها وغيها ورشادها وصحتها ومرضها وغناها وفقرها بل ومحياها ومماتها كل ذلك بيد الحاكم حتى كأن الحاكم بيده ملكوت شيء وهو يجير ولا يجار عليه وكأن هذا الوهم متسلسل فيهم بالارث من عهد من قال « أنا أحيي وأميت وعهد من قال « أنا ربكم الاعلى » وجهلوا أن الحاكم ليس الا رجلا من الامة وان الحاكمية مازادت في فضائله ولا منحته قوة فوق القوى البشرية بل ربما أفسدت أخلاقه وأسقمت مداركه (كما شوهد في البعض) والصواب ان اصلاح الامة لا يكون من الحاكم نعم ان الحاكم اذا ساعده يكون أسرع سيراً وأقرب نجاحاً . ثم انبرى آخر للمجاوبة وقال

ان الطريق الوحيد لانهاض الامة من ضعفها واقالة عثرتها واقامتها في مصاف الامم القوية انما هو تسليم ازمة أمورها الكلية الى رجال من ساسة تلك الامم يقيمون فيها القسط ويرفعون لواء العدل والمساواة ويغلون أيدي المتسلطين عن التعدي ويجتثون شجرة الرشوة الخبيثة من أصولها ويعممون فيها الامن وينشئون المعامل والمصانع ويسهلون الطرقات ويقربون الابعاد بما يمدون من السكك الحديدية واسلاك التلغراف والتليفون ويوسعون دائرة الاكتساب بانشاء الشركات المالية التي هي أس جميع أنواع التقدم من زراعة وصناعة وتجارة وينشرون المعارف الصحيحة التي لا توجد الا في لغاتهم فلا يمضي على الامة أربعون سنة حتى تنشأ خلقاً جديداً

فقال السائل وقد اضطربت نفسه وانفعلت روحه وتبيغ دمه حتى كان يتفصد من وجهه

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفا كا

لقد أخطأ ظنك يا أخي واستحوذ عليك شيطان الوهم ولقد نثرت الملح على جرحي بجوابك هذا اما علمت ان ساسة تلك الامم الذين أشرت الى تسليم كليات الامور اليهم قد تربوا في بلادهم على حب أوطانهم ووقف حياتهم على نفع أمتهم وقد تطبعوا على ذلك عملاً فصار ملكة راسخة في نفوسهم تصدر عنها جميع حركاتهم وسكناتهم من غير روية ولا تكلف . وان جميع ما يبرز من أعمالهم مفيداً للامة التي يتولون اصلاحها في الظاهر لا بد ان يكون في باطنه منفعة لامتهم فان المنفعة هي القطب الذي تدور عليه رحى أعمالهم فلا ينشرون من المعارف في البلاد الا ما يشرب القلوب حبهم واعتقاد عظمتهم ويفسد على الاهلين لغتهم وعوائدهم وتقاليدهم التي كانوا بها أمة ممتازة عن غيرها مستقلة في وجودها

ولا يوسعون دائرة الكسب الا للعارفين باساليبه من أبناء طينتهم فتسهيل طرق الثروة حسية ومعنوية وتعميم الامن والضرب على أيدي المتسلطين كل ذلك وسيلة لتمكنهم في الارض وسد اثباج الثروة عن أبناء الوطن وتحويل تلك الاثباج والمجاري الى الآخرين

نعم ان الوطنيين يتمتعون منها بقليل من الراحة التي تزيد في كسلهم وتقاعدهم حتى يؤول الامر الى امتلاك الاغيار لاراضيهم الواسعة ويتخذونهم اجراء ومزارعين فيعلمون كيف دس لهم السم في الدسم حين لا ينفعهم العلم . سألت عما ينهض بالامم فاجبتني بما يقذفها في تيهور العدم ويهبط

بها الى أسفل سافلين

ثم تصدى للجواب رجل ثالث فقال ان الجرائد الحرة هي التي تنبه أفكار الامة وتنير عقولها بنشر المعارف وترشدها الى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وتدلها على أساليب المدنية وتزعجها الى العمل بهاتارة بالترغيب والتنشيط وطوراً بالترهيب والتحذير من عواقب التفريط وتحرك من نفوسها كوامن الغيرة التي تدعو الى المنافسة والمباراة الى غير ذلك من الفوائد التي لاتعزب عن علمكم

فقال السائل ان الجرائد وان كان لها الشأن العظيم عند الامم المدنة والاثر المشهود في سير مدنيتهم التي تعتبر الجرائد كالحداة له الا انها ليست هي الموجدة لتلك المدنية . فاذا لم يوجد في الامة سير الى المدنية الفاضلة فلماذا يكون الحداء . نعم ينبغي أن تنشأ عندنا جرائد لاجل الحث على الاجتماع وتعيين الغاية التي ينبغي أن تقصد والوجهة التي يجب ان تولى ثم الحث على السير الى تلك الغاية في الطرق الطبيعية التي سنها الله تعالى لها وهدانا الى سلوكها ثم الحداء الذي يسهل على السائرين احتمال المتاعب وقطع المسافة مع النشاط والارتياح

ولا أقول ان الجرائد هي المصلحة لحال الامة بل هي مساعدة على الاصلاح اذا صدقت وأخلصت وأفضل عملها ايصال أفكار الطبقة العاقلة من الامة الى سائر الطبقات تحت مبدإ واحد شريف فانما المدار على الوحدة كما أشرنا أولاً

ثم التفت الى القوم فقال هل بقي عندكم شيء من الاجوبة فاجابوا بلسان واحد لا وانا نطلب الجواب من حضرة السائل الحكيم

فقال ان الجواب الصحيح الذي قلت انه وسيلة لسعادة الامة تجمع كل الوسائل وسبب يرجع اليه جميع الاسباب هو « تعميم التربية والتعليم» وهذا اللفظ تلوكه الالسنة كثيراً الا ان معناه لم يعط حقه من التبصر والتأمل . فان كنتم في ريب مما قلت فانني مستعد لاقناعكم . وان أذعنتم ولم توجهوا كل قواكم العقلية والمالية للحصول على هذه الرغيبة فانتم العاملون على ضياع أوطانكم وخائنون أمتكم وملتكم

مجمل الاحوال السياسيه

المعنا في العدد الماضي الى أمهات السياسية الحاضرة وتكلمنا على بعضها ووعدنا بالكلام على باقيها فيما يأتي من الاعداد وانجازاً للموعد نأتي على بيانها بالاجمال على الوجه الذي يوجب العظة والاعتبار مبتدئين بتمهيد في بيان الاستعمار الذي هو منشأ هذه الاحوال فنقول :

من طبيعة العمران البشري استيلاء القوي على الضعيف ومن هنا كان طلب الفتوح والتغلب طبيعياً في البشر . ولم يكن في العصور الاولى طريق للفتوح والتغلب الا الحرب العوان التي لم تلق الانسان أوزارها عن عاتقه في دور من الادوار وانما انطبعت الانفس عليها بالعمل المتكرر حتى كادت تكون مقصودة لذاتها أعني الفتك المجرد عن ملاحظة المنفعة التي عليها مدار جميع أعمال الانسان . وأول تغيير مهم حصل في تاريخ الحرب خفف ويلاتها وجعلها في ضمن دائرة معقولة ماجاء به الدين

الاسلامي وان لم يجر عليه المسلمون في بعض حروبهم وغزواتهم (٥)

وسنفرد للكلام على تاريخ الحروب فصلا مخصوصا ونكتفي الآن باثبات الآية القرآنية الشريفة التي تسمى (آية الجهاد) وما يتلوها من الآيات المبينة حكمة الحرب وسبب الاذن فيه وما يشترط في المحاربين اثباتاً لقولنا وهي

(أُذن للذين يقاتلون بانهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

وهذه الآيات صريحة في ان الفائدة من الحرب ينبغي أن يلاحظ منها منفعة المحاربين (بفتح الراء) بالارشاد الى ازالة المنكرات وعمل المعروف بواسطة التعليم لا بواسطة الجبر والالزام وهذا هو الذي تدعيه الامم الاوربية اليوم حيث يزعمون ان غرضهم من الفتوحات نشر المدنية وتهذيب الامم المتوحشة

واذا أنكرنا صدقهم في هذه الدعوى وجزمنا بان الغرض الصحيح تحويل مجاري الثروة من البلاد التي يفتحونها الى بلادهم وفتح أبواب الرزق لامهم فلا ننكر عليهم الاجتهاد في تخفيف مصائب الحروب والتباعد عنها ما وجدوا الى ذلك سبيلاً . والاصل الذي تعتمد عليه تلك

---

٥) راجع ص ٥٥٥ من المجلد ٥ و ٢٩٧ ن ٦ و ٧٦٨ من ٧ و ١٦٥ ن ٩

الامم في ذلك وهو أساس مدنيتهم ودعامة قوتهم الاقتصاد وتوفير الثروة ولذلك جعلوا وسيلة الفتوح الكبرى الشركات التجارية التي تستولي على الافكار والعقول بواسطة التربية والتعليم ونشر لغات أممهم وآدابها وغيروا اسم الفتوح والتغلب فسموه استعماراً واكتفوا بالقبض على زمام السلطة بالفعل وابقوا للامراء الشرقيين ألقابهم الضخمة يتمتعون بها ففي الهند نحو من تسعين ملكا ما بين نواب (الامير المسلم) وراجا (الامير الوثني) وليس لهم من الامر شيء الا ماينفذون به ارادة الحكمدار الانكليزي ويأتمرون بأوامره (الا قليلا منهم)

وتبارت تلك الامم في الاستعمار وانحدرت على الشرق انحدار الغيث المدرار حتى لم يبق صقع من أصقاعه ولا قطر من أقطاره الا وتدفق عليه هذا السيل المنهمر فمنها ماأدركته بوادره ولا ندري ماذا تكون أواخره وبالجملة لم تبق مدينة ولا قرية الا وأصابها شيء من رشاشه فان لم يصبها وابل فطل

هذا هو الاستعمار الذي هو منشأ جميع المشاكل السياسية الحاضرة ومثار الخلاف بين الامم ومولد الفتن بين الدول وقد ذكرنا لك بعض هذه المشاكل واليك بيان بعض آخر

(الهند)

مستعمرة عظيمة شرع الانكليز في تأسيسها عند ماأحسوا بخيال الحرية يطوف في أذهان الاميركيين الذين استعمروهم من قبل وعلموا ان التربية الصحيحة وتعلم الفنون العقلية والعملية لا بد أن ينفخ فيهم روح الثورة فيهبون الى طلب الحرية والاستقلال

ولقد صدق الظن ووقع ما كانوا يحذرون واستغنوا بممالك الهند الفسيحة عن ولايات أميركا التي اتحدت على محاربتهم فتسنى لها الظفر عليهم واستقلت فسميت (الولايات) . وهم يحذرون اليوم من الهنود ما لاقوه من الاميركيين من قبل وان كانت وسائل التربية عند هؤلاء ضعيفة والعلوم لم تنتشر الى الدرجة التي ينشأ عنها مثل تلك الاعمال التي صدرت من الاميركيين لكن الامة الانكليزية الحكيمة تبني حياطها على أسس الاحتياط ولذلك عملت على انشاء مستعمرة عظيمة في أفريقية تستغني بها عن الهند اذا أتيح لها التفصي من عقلها والتملص من سلطتها بواسطة انتشار التعليم أو بمساعدة دولة روسيا الطامعة فيها ومع هذا لم تأل جهداً في سبيل المحافظة عليها فقد جعلت لها السلطة على ترعة السويس التي هي طريق الهند بحراً واكتفت بالسد المنيع الذي بينها وبين روسيا من جهة الشمال وهو الامة الافغانية التي لا تجهل روسيا قوتها ومنعتها وحفظت بريطانيا العظمى لهذه الامارة الصغرى حقوق الجوار وساعدتها على تقوية بلادها بالمال والرجال وعقدت معها المحالفة كما هو الشأن بين الاكفاء والامثال

ثم لما شرعت بدبيب الروس نحو تلك الحدود حاولت امتلاك المضايق وشعاب الجبال والاستيلاء على جميع المراكز الحربية وساعد الامة على ذلك قبض حزب المحافظين على زمام الحكومة ومن سياسة هؤلاء توسيع دائرة السلطة في كل آن خلافاً لحزب الاحرار . وفي العام الماضي تحرشت العساكر الهندية الانكليزية بالقبائل المستقلة في الحدود الهندية الافغانية

اثناء إدخالها تحت الحماية البريطانية فنفرت تلك القبائل خفافاً وثقالاً ودافعوا عن استقلالهم واستنفروا من في جوارهم من القبائل واستفحل أمر الفتنة وكانت الحرب سجالاً بل دارت الدائرة في الاكثر على الانكليز . فجهزوا جيشاً عرمرماً يربي على السبعين الفا فجاء الشتاء ولم يقووا معه على اطفاء نار الثورة فارجأوا الحرب الى فصل الربيع . ونادى اللورد سالسبري رئيس الوزارة بعدم الحاجة الى توسيع نطاق الملك وقالت التيمس بعد بحث طويل في حرب الحدود ان انكلترا لا تعوزها الاراضي الآن فيجب ان تغض الطرف عن المضايق التي تسمى لامتلاكها الا مضيق خيبر . ثم قالت بعد : ان قبائل الافريدس أولو قوة وأولو بأس شديد وعندهم الامانة فاذا وكل اليهم حراسة ذلك المضيق قاموا به احسن قيام .

ولا يخفى ان هذه القبائل اشد الثائرين شكيمة فقول التيمس ينبئ عن تعسر اخضاع العصاة أو تعذره . وقد أعلن قائد الجيش الهندي اخيراً انه مستعد لاخضاعهم بالقوة اذا لم يستسلموا بأنفسهم ويتوقع اعادة الكرة قريباً والله أعلم بمصير الامور

وقد منيت الهند في العام الماضي بالطاعون وعاودها في هذه السنة ففتك فيها فتكاً ذريعاً . وهو الآن آخذ بالتناقص لذهاب البرد . وقد اتخذت الحكومة وسائل صحية مخالفة لعادات أهل البلاد وتقاليدهم فثار بعضهم على الحكومة واعتصب عمال المرافئ كلهم في الاحتجاج عليها فراجعت الحكومة نفسها واباحت أموراً كانت حظرتها كما ترى في الاخبار التلغرافيه (*)

(*) لم ننشر الاخبار التلغرافية في هذه الطبعة لعدم الحاجة اليها

كوبا

أما جزيرة كوبا فهي اكبر جزائر الانتيل وسكانها زهاء مليون ونصف وعاصمتها هافانا . وهي من مستعمرات الاسبان وقد ثار سكان الجزيرة على الاسبان يطلبون الحرية فارسلت اسبانيا الجنرال ويلر لاخضاعهم بعد اخضاعه جزائر فيلبين في بحر الصين التي انتقضت عليها أيضاً . فسلك الجنرال ويلر مع الكوبيين مسلك القسوة والشدة فازدادت نار الثورة احتداماً . فانتدبت اسبانيا المرشال بلانكو مكان الجنرال ويلر فعامل الكوبيين أحسن معاملة واضعاً السيف في موضع السيف والرفق في موضع الرفق . وقد اجاب طلب الكوبيين فانالهم برضى الحكومة الاسبانية حكومة مستقلة تتولى ادارة الجزيرة ففرح الكوبيون وظن الناس ان الثورة قد خمدت نارها غير ان هذا الاستقلال الاداري لم يرق للجنة الثورة التي في نيويورك فان غرض هذه اللجنة انالة كوبا تمام الاستقلال ويزعم البعض ان للولايات المتحدة يداً في تحريك تلك اللجنة حملا لها على رفض ماعرضته اسبانيا عليهم من الاستقلال الاداري طمعاً في تمام الاستقلال .

وزعمهم هذا مبني على رغبة أميركا في تحرير كل المستعمرات الاوروبية في الاقطار الاميركية عملاً بقانون مونرو . والمقصود من قانون مونرو قسمة الكرة الارضية الى قسمين عظيمين . قسم تسوسه الممالك الاوربية فلا تمد اليه أميركا يداً وقسم تسوسه الولايات المتحدة فلا تمد له أوربا يداً . وبمقتضى هذا القانون يجب أن تتخلى الدول الاوربية للولايات المتحدة عن جميع مستعمراتها في الاقطار الاميركية .

فاضرمت اللجنة المذكورة نار الثورة ثانية فساد المرج في عاصمة الجزيرة فانفذت أميركا الى مياه تلك العاصمة الدارعة (ماين) وهي أضخم دوارعها فساء ذلك الحكومة الاسبانية حيث حسبته عدوانا أو تشديداً لعزم الثائرين فاخبرتها حكومة الولايات ان القصد من ارسال الدراعة ماين الى هفانا حماية رعية الولايات المتحدة وتودد للامة الاسبانية . فاجابتها اسبانيا وانا أيضاً سأنفذ احدى دوارعي الى مياه نيويورك توددا للامة الاميركية

ثم اخلد الثائرون الى الاستكانة فهدأت الخواطر وشهدت الصحف الاوروبية ان الدولة الاسبانية قد صنعت كلما يمكنها صنعه ومنحت الثائرين مع انتصارها عليهم فوق ما كانوا يطلبون . غير انه لم يطل وقت السكينة حتى نشرت لجنة الثورة في نيويورك كتاباً خصوصياً كتبه سفير اسبانيا في واشنطون وسرقه أحد الكوبيين وقد جاء في الكتاب ما خلاصته : ان رئيس الولايات المتحدة يعد في السياسة من الطبقة السفلى وهمته في استرضاء رعاع الاميركان . فاكبرت الولايات المتحدة هذا الكتاب وطلبت عزل السفير الا ان السفير كان قد قدم استعفاءه عند ما علم بنشر الكتاب .

ولم تكد تسكن الخواطر اثر هذا الحادث حتى تلاه حادث اقام الامة الاميركية واقعدها وهو انفجار الدارعة ماين انفجاراً ذهب بها في لحظة الى قعر البحر فقتل من بحارتها زهاء المائتين ولم يسلم منهم غير القليل .

وحسب الاميركان ان الانفجار كان مسبباً عن نسف خارجي أقدم عليه الاسبان تشفياً وانتقاماً فقامت الجرائد تثير خواطر الامة وثارت الامة تطلب الحرب فأنفذت الحكومة الاميركية الى موضع الانفجار

لجنة لتحقيق تلك الحادثة المحزنة • فوصلت اللجنة الى موضع الحادثة وشرعت في التحقيق وهي تكتم ماتحققه كل الكتمان الى أن تقدم باكتشافاتها تقريراً مفصلاً

على ان الدولة الاميركية تجدّ في الاستعداد للحرب فاضطرت اسبانيا الى مجاراتها في ذلك الاستعداد • وقد قررت الحكومة الاميركية خمسين ألف ألف دولار للدفاع وابتاعت طرادين وحصنت القلاع والحصون التي على الشطوط وحشرت عليها نحو مائة ألف من الجنود • وقد نقل البرق في هذا الاسبوع ان اسبانيا أبلغت أميركا ان الحرب لمثل تلك الاسباب جناية على الانسانية •

وقد أرسلت اسبانيا من قبلها لجنة لتحقيق حادثة الدراعة ماين فقررت اللجنة الاسبانية المذكورة ان الانفجار كان من من الداخل لامن الخارج وستتمسك اسبانيا بذلك على مارونه الوسائل البرقية • على ان جميع العالم المتمدن في انتظار تقرير اللجنة الاميركية • فان جاء فيه ان الدراعة ماين نسفت من الخارج بخيانة شبت نار الحرب بين الامتين وان جاء فيه ان الانفجار كان عرضاً بقيت كاس السلم صافية والله أعلم

اليهود في فرنسا وفي مصر

قبل ان لبس بونابرت تاج الامبراطورية كانت حجته القوية لدى الشعب الفرنساوي دفاعه عن الحرية العمومية وخدمة المبادي الجمهورية • غير انه بعد ارتقائه العرش الامبراطوري لم يأل جهداً في محو تلك الحرية

ودوس تلك المبادي الدستورية ٠

وهــذا شأن الانسان في كل آن يطلب الحرية مرؤوساً ويكرهها رئيساً ،يستنجد العدالة مظلوماً وينبذها ظالماً ،الامن وفقه الله وقليل ماهم

لقد شاعت أنباء المشاكل السياسية الداخلية التي قامت في فرنسا إثرمسألة دريفوس وقضية زولا وماقاساه اليهود فيهامن الاهانة والاضطهاد وسوء المعاملة ٠ ولايحسب القراء ان هذا الاضطهاد قد نشأ عن تعصب ديني في الامة الفرنسوية وكيف وهي أقرب الى وهن العقيدة منها الى التعصب الذي مثاره الغلوّ في الدين . اما مصدرهذا الاضطهاد فالتعصب الجنسي والحسد الذميم أثارهما في صدور الامة فئة من أرباب الجرائد المعادين لليهود الطامعين بما في أيديهم من خزائن الاموال

على ان تلك الحوادث القبيحة لوجرى مثلها بين الشرقيين لطبق السماء صراخ تلك الجرائد وسلقت الشرقيين وآدابهم بالسنة حداد وأقلام أنفذ من السهام. بل لوكانت تلك الجرائد في بلاد تكون فيها ضعيفة الجانب ضعف اليهود في فرنسا لكانت أسرع الناس طلباً للحرية المطلقة والعدالة العامة للبشر على اختلاف أجناسهم ٠ وهذا معنى قولنا يستنجد الانسان بالعدالة مظلوماً وينبذها ظالمــاً ٠

ومن الغريب انداء الجرائد الافرنسية قدسرى الى بعض الجرائد المصرية ٠ فقامت تصلي اليهود ناراً حامية وتأخذ عليهم في مهارتهم في الكسب وتفننهم في أساليب الربح ٠ امانحن فرأينا ان الحرية العمومية ليست مختصة بفريق دون فريق ٠ فان التمدن الصحيح والعدالة الحقيقية يفرضان المساواة المطلقة بين جميع بني الانسان في المنافع العمومية ٠ والعمل

والكسب بالطرق الشرعية فضيلة من الفضائل الاجتماعية . وللانسان أن يعمل ويربح بالطرق المشروعة ما استطاع الى ذلك سبيلا ومن يعترضه في ذلك فقد اعترض مبدإ الحرية العمومية .

ولذلك لا ترى عاقلا من عقلاء الامة الافرنسية راضياً عما نال اليهود في فرنسا من الاضطهاد قديماً وحديثاً . وقد سمى ذلك بعض كبار فلاسفتهم مرضاً من الامراض العارضة وأمل ذهابه بتقدم المدنية والآداب العمومية

فالمأمول أن لا يدخل الكتاب في هيئتنا الشرقية عاملا جديداً للنزاع والنزاع والشقاق فحسبنا ما لدينا من تلك العوامل القبيحة . وإنا الآن أحوج الى عوامل الاتفاق منا الى عوامل الشقاق .

وعسى أن يستفيد اخواننا الشرقيون لاسيما المسلمون منهم بما نقص عليهم من أحوال الامم (وما يتذكر إلا من ينيب) .

اه ما اخترناه من العدد الثاني



التربية والتعليم

ذكرنا في العدد السابق من جريدتنا مقالة مضمونها ان من ينظر في تاريخ الامم ويكتنه شؤنها يتجلى له ان القوة والمنعة والغنى وبسطة الملك وسائر موارد السعادة مناطها تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي ينبغي . وهذا الامر وان كان بديهياً عند العارفين بالتاريخ لان الوجود الانساني كله شاهد به ودليل عليه فالسواد الاعظم من أمتنا غافل عنه لا يرجع اليه طرفاً ولا يصيخ له سمعاً والمتنبهون افراد قلائل يرددون الصيحات والنبآت ولا ملبي ولا مجيب « كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الاّ دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون »

وان تعجب فعجب قول من سمع الصيحة منهم ان هذا لا ينفع ولا يفيد . ويحتجون بحجج داحضة ذكرنا في المحاورة السابقة منها حجة الجبر وسلب الاختيار وأتينا على تزييفها بما يقطع ألسنة المثرثرين بها بقدر ما يحتمله المقام وبقي لهم حجج أخرى واهية تنبيء عن قلة الاختبار . وانا قبل بسط الكلام على التربية والتعليم نورد ما يثرثر به الكثير من الناس في الاحتجاج على عدم الفائدة منهما ونبين فساده ليكون ذلك أدعى الى تأمله والنظر اليه بعين الاعتبار . ومن الغريب ان ما ادعيناه في المقالة السابقة من ان سعادة الامة في التربية والتعليم مبني على المشاهدة والاختبار التام وكذلك شبه هؤلاء على عدم فائدتها تستند على اختبار ومشاهدة لكن ناقصين غير تامين واني مورده عليك فاستمع لما يتلى

*) نشرت في فاتحة العدد ٣ الذي صدر في ٧ ذي القعدة سنة ١٣١٥ — ١ مارث سنة ١٨٩٨

احتجاجهم على عدم فائدة التعليم في إصلاح الامة

قالوا انا رأينا كثيراً ممن درج في حجر المكاتب ثم عرج منها الى حجرات المدارس العالية فتلقى العلوم والفنون وظهرت عليه امارات النجابة حتى صار قبلة آمال الوطن ومنتهى رجاء أهله ثم لما ألقيت اليه مقاليد الامر فيه كان كلاً على كاهله وقذى في عينه بل كان جائحة متلفة لثماره وصاعقة منقضة على دياره لا يسعى الا لمنفعة شخصه وتنمية ماله وان تلفت في سبيله مصالح العالمين

ومنهم من كان عوناً للاجنبي وعتاداً على امتلاك بلاده يمهد له الصعاب ويزيل من امامه العواثير والعقاب ، ويسهل احتمال سلطته على النفوس بل منهم من باع للاجنبي بلاده بثمن بخس (وكل ثمن تباع به الاوطان فهو بخس) أو وعد بانه ينيط به بعض الوظائف أو يكون مقرباً من جنابه الرفيع . فما أغنت التربية عن امثال هؤلاء وماذا افادهم التعليم؟ اما والله لو لم يتعلموا لما تسنى لهم اقتراف هذه المنكرات ولما فطنوا لاساليبها واهتدوا الى طرقها ولكانت مضراتهم محصورة في دائرة ضيقة مخصوصة بنفر قليل

هذا بالنسبة للذين تعلموا العلوم السياسية والحقوقية واما الذين تعلموا العلوم الشرعية الاسلامية فانا نرى الكثير منهم ايضاً قد اتخذها فخاً لصيد الدنيا . يحتال ويعلم الناس الحيل لهضم حقوق الله وحقوق العباد وإذا تبوأ منصباً (كقضاء أو افتاء) أو صار محامياً لا يأتلي ان يجعل الحق باطلا والباطل حقاً ليشتري به ثمناً قليلا فويل لهم مما كسبت أيديهم ويا ليتهم لم يكونوا من المتعلمين

والجواب عن هذا واضح وهو ان هؤلاء وإن تلقنوا بعض الفنون الا انهم لم يتربوا تربية صحيحة يغارون بها على دينهم ووطنهم والعلم من حيث انه ادراك لصور المعلومات لا يقتضي العمل ولئن اقتضى العمل فهو لا يستلزم ان يكون في وجوه الخير والمنفعة لبلاد العامل الا اذا تربى على ذلك . ثم ما يدريك ان المعلمين لهؤلاء الخائنين والمربين لهم في المدارس كانوا من الاجانب أو ممن اصطنعهم الاجانب فصبغوهم بصبغتهم، وجذبوا اعنة قلوبهم فقادوها الى محبتهم، وعلموهم كيف يعملون لمنفعتهم، أو غرسوا في نفوسهم اعتقاد عظمتهم وقدرتهم ،وانه لا يتعاصى عليهم أمر، ولا يعز عليهم مطلب، فذللوهم بذلك واستعملوهم كما تستعمل السوائم من الانعام، أو اقنعوهم بان السعادة لا تنال الا بايديهم، وان الاصلاح لا يأتي الا على أيديهم ، وان قطراً لم يحتلوه محروم من المدنية ورفاهة العيش لا ترى فيه القصور المشيدة، والسرر المنضدة، والطرق الفسيحة ولا تنشأ فيه الحانات والمواخير (أي مواضع الريبة وليس هذا من التهكم فان السكر والفحش من لوازم التمدن الحديث) الى غير ذلك من المحسنات فعملوا ما عملوا بناء على هذا الاقتناع فهم مجتهدون بأنهم ينفعون أمتهم من حيث ينتفعون بانفسهم وفي كل صورة من هذه الصور ترى ان التربية والتعليم افادا المعلم والمربي فاجتنى بهما ثمرات المنافع من خصمه ومناصبه ، فكيف يكون أثرهما من مجانسه ومناسبه؟ لعمرك انه لعظيم

احتجاجهم على عدم الفائدة من التربية

قالوا نرى كثيراً من الولدان يهمل أمر تربيتهم الوالدون فلا ينهرونهم ولا يضربونهم ومع ذلك ترى عندهم الدعة ولين الجانب والامانة والصدق

والوفاء والامانة الى غير ذلك من محاسن الاخلاق والاعمال . وبعكس ذلك نري بعض الناس يعامله والده بالشدة والغلظة ولا يضحك في وجهه ولا ينبسط له واذا عمل عملاً قبيحاً صب عليه سوط عذاب أو كما يقول بعض العامة في بلاد الشام (اسب العصا بجلدو) ومع ذلك تراه كذوباً مرائياً شرساً احمقاً خائناً ماكراً فاحشاً متفحشاً سباباً لعاناً وبالجملة منغمساً في الرذائل ملطخاً بحمأة القاذورات مسترسلاً في الفجور ولولا الاعتناء بتربيته لما بلغ هذا المدى ولا انتهى في الفساد الى هذه الغاية

والنتيجة من هذه المشاهدات ان الاخلاق مواهب وحظوظ وليست بالتربية . وان التربية ربما عادت على صاحبها بالخذلان وكانت كالدواء لم يصادف محله فاودى بمتناوله واورده مورد الهلكة

فموسى الذي رباه فرعون مرسل	وموسى الذي رباه جبريل كافر

والجواب عن هذا في غاية الظهور واليك البيان . ان معاملة الوليد باللين والرفق وأخذه بالرأفة والحلم وعدم اهانته بالسب والشتم كل ذلك من أفضل اساليب التربية وانجعها وانجحها اذا لم ينته الى حد الاهمال وإرسال الحبل على الغارب، وان الشدة والقسوة والاهانة بنبز الالقاب وضروب الايلام مفسدة للاخلاق ومدعاة للشرور والفجور وان امهات الرذائل كالكذب والخيانة والمكر والاحتيال والمداهنة لاتتولد الا من الظلم والضغط على الحرية الشخصية كما سنوضحه فيما بعد

فهذه الحجة دليل على نفع التربية وفائدتها لا على ضررها . على ان زمام التربية ليس بأيدي الوالدين والمعلمين دائماً بل ربما كان بأيدي الخلطاء والمعاشرين أكثر مما هو بأيديهم . وهناك أمر آخر حقيق بالاعتبار

وهو ناموس الوراثة وكل ذلك سنفصله تفصيلا .

وأما قولهم : فموسى الذي رباه فرعون الخ البيت المار فهو من حجج الشعراء التي لا يتبعهم عليها الا كل غوي مبين . ويعنون بموسى الذي رباه جبريل السامري الذي اتخذ العجل لبني اسرائيل ودعواهم تربية جبريل له باطلة وافيكة انتحلها هذا الشاعر الغوي الذي جعلوه قدوة لهم ولعمري ان فيها غميزة بمقام روح القدس وأمين الوحي عليه السلام . والحق ان جبريل انما ربى موسى الرسول لأنه هو الروح الذي يؤيد الله تعالى به الرسل والانبياء لا الغواة الاشقياء (نعوذ بالله من غلبة الجهل)

وياليت شعري هل يقولون بأن تربية فرعون لموسى كان لها دخل في ارتقائه الى مقام الرسالة؟ لا وانما يحتجون بذلك على عدم وجود فائدة للتربية بالكلية وجهل هؤلاء الحمق ان الذين اجتنوا فوائد التربية من أهل أوربا وثبتت لديهم بالاختبار والمشاهدة اللذين هما أقوى الادلة والبراهين قد جعل بعض ملاحدتهم كلام هذا الشاعر شبهة على الطعن بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام وزعموا ان نشوءه في بيت الملك وتربيته في حضن السياسة والشريعة المصرية قد نبها فكرته للقيام بتلك الدعوة التي حرر بها أمته وان ماجاء به من الشريعة مقتبس من شريعة المصريين مع تنقيح وتحوير يناسب حال شعب اسرائيل (نعوذ بالله من هذا الضلال البعيد) وليس المقام مقام رد شبه الملاحدة ولكن لابد من كلمة تحول دون تمكن الشبهة من فكر الجاهل وهي اذا جاز ان يأخذ موسى (عليه السلام) شريعته من شريعة المصريين فهل يجوز ان يكون ماجاء به من المعجزات التي ادهشتهم وابطلت السحر الذي كانوا يخدعون به الناس مأخوذاً من

المصريين؟ كلا بل سول لهم الكفر ما يأفكون

ثم ان التربية والتعليم متلازمان بمعنى ان الثاني لازم للاول لا يتم الا به بل هو جزء منه لان التربية على ثلاثة ضروب تربية الجسم وتربية النفس وتربية العقل وهذا الاخير هو عين التعليم ثم كل منها يحتاج للعلم والتعليم لكننا نفرد للتعليم مقالات مخصوصة نبين فيها وظائف المعلم والمتعلم وكيفية التعليم ويدخل في هذا البحث في المصنفات وأساليبها ونبدأ بالكلام على القسم المهم من التربية وهو تربية النفس المعبر عنه بتهذيب الاخلاق وموعدنا الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى

التمدن

« لبعض فضلاء المصريين *) »

ماوصلت اليه أمة الا وحط عن كاهلها جميع الاتعاب والبلايا . والاضطهادات والرزايا . ولا رقي اليه شعب الا وامن غائلة الاعنات والاعتساف . وتحصنت اعماله من جائحة السلب والاعتداء . فصاحبه هو الساكن في منازل الرغد والهناء . واللابس حلة الاسعاد . نقول ولا مغالاة في الحق انه الضامن لتوطيد أركان العمران . والكفيل بتشييد دعائم الاجتماع . كيف لا وهو الحقيقة الجامعة لكل فرد من أفراد الكمالات من غير فرق بين ان يكون أدبيا او ماديا حسيا أو معنويا فالتفنن في الصنائع فصل من فصوله . والتسابق في ميادين العلوم باب من أبوابه . والتجافي عن مواضع النقيصة جزء من أجزائه . والتجمل بالاخلاق الفاضلة نبذ من جواهره . فاذا لا بدع اذا قلنا ان صاحبه هو السعيد والواطيء

*) هذا في الاصل وهي من مقالات الاستاذ الامام في الوقائع المصرية

بنطه غرف النعيم • جد في طلبه من ادرك نتيجته من الامم فجنى ثمره اليانع تراه يتقلب على بساط العز ويتدرج في معارج الاجلال والجمال عمرت دياره بعد ان كانت قاعاً صفصفاً بالابنية العالية وتزينت بالاسواق الفسيحة والصنائع المديدة وصارت محط رحال السياسة ومطمح انظار النبلاء • ضاق بسيطها عن القيام بنفقاته الواسعة فطار على جناح العلم يستطلع بقاعاً خربتها الجهالة وثلمتها يد البغي ليكون فيها هو الوارث بعد بنيها يستخرج منها الكنوز بحكمته . ويفجر منها الينابيع بقدرته. ليجني وأهلها الغارسون ويقضي وهم المطيعون • تسمع أهل تلك الديار صدى صوته في العشي والابكار، والغدو والآصال، ولكن يغالطون الحس ويكابرون بانكار البداهة ويسلون أنفسهم بان هذا الاجنبي لا سطوة له ولا حكم وانما هو غريب دعته الحاجة للتجول في البلاد لطلب الرزق ثم تحدثهم خواطرهم بانا ارفع شأناً من اولئك الغرباء واسبق منهم يداً في المدنية ولئن تأخرنا عنهم حيناً من الزمن لكنا لحقنا بهم في انتظام الهيئة وحسن السلوك وهذه قصورنا المشيدة وثيابنا الملونة وقدودنا المجملة واطعمتنا المتنوعة تشهد باننا قوم غمسنا في الترف وحظينا بالثروة ونهجنا الصراط المستقيم •

يحسبون تلك الاوهام حقائق تجعلهم من ذوي النعمة واليسار والعزة والكمال اعتماداً على كونها سنة الامم المثرية والشعوب المتنورة • وأيم الله انها بالنسبة لاولئك البسطاء لداعية الفقر المدقع ومجلبة الشر وان هذه الصور الظاهرية التي يظنونها تمدناً كسحابة حشيت بالصواعق يتوهم الغافل من بريقها ولمعانها انها تأتي بوابل ينعش البقل ويحيي الموات ولكن اذا حل الاجل امطرت مايذهب بالحياة ويبدد الاجسام . ذلك لان الامم

المتمدنة وان انفقت الاموال الكثيرة في تشييد القصور وتزيين الملابس وتحسين الاثاث الى غير ذلك من المصارف فانما يكون على نسبة مخصوصة من ايراداتهم الحائزين لها بالكد والتعب في ابراز المصنوعات الجميلة والمخترعات الجمة التي تكسب صاحبها في قليل من الزمن ثروة واسعة وقدراً رفيعاً . ولا يجيزون الانفاق من رأس المال الا اذا مست ضرورة لا محيص عنها ومع ذلك فنفقاتهم هذه لا تتجاوز حد اللزوم ولا تخرج عن دائرة احتياجاتهم فكلها مؤسسة على قاعدة جلب المصلحة ورفع الحاجة تدخل منزل الرجل منهم ترى غرفه ومخادعه مشغولات بامتعته وبضائعه ونقوده وليس فيه قدر شبر مهمل لغير حاجة حتى حديقته ولا يشتري ثوباً له أو لزوجته وأولاده الا بقدر العوز وحلي آل بيته ثلاثة أرباعه من النحاس مهما كثرت ثروته وليس في اصطبله سوى عربة أو حمار للركوب لا يجمع بينهما الا نادراً وفرشه وغطاه لا يخرج عن نوعي القطن والصوف كثيابه أما أهل تلك الديار الذين يزعمون انهم قوم متمدنون (وهم في ذلك مخطئون) فقد ركبوا الشطط وحملوا أنفسهم ما لا يطيقون من النفقات الباهظة يصرف الواحد منهم آلافاً من النقود في سبيل تعمير أرض فسيحة وربما كفاه ما لا يبلغ العشر من مساحتها ويفرشها من أعلى أنواع الفرش ويزينها بابهج اصناف الزينة فتبقى غرف المنزل بلا ساكن يعلو التراب على ما فيها من الاثاث والفرش المغشاة بالفضة والذهب حتى يبيدها وربما لا يستعملها مرة في العام . يتختم في اصبعه بما تجاوز قيمته عقد الالوف من الفرنكات ولدى زوجته من الالماس والجواهر ما يكفي ربحه لنفقات بيته أو يزيد لو استعمل ثمنه في شيء يتجر به (اذا كان ممن يفقهون) الى

غير ذلك من المصارف التي يضيق بنا المقام عن تفصيلها وما حمله عليها سوى الطيش والانهماك في الشهوات والسفه المفرط الذي يلغ مرتبة الجنون . فان رجعنا الى سيرهم في طرق جاب المنافع وتخفيف اتعاب المعيشة وتحسين وسائل الاكتساب رأيناهم واقفين على نقطة واحدة من آلاف من السنين . فايراداتهم الآن واقفة عند الحد الذي كانت عليه قبل ان كانوا يسكنون المنازل المصنوعة من اللبن الاخضر المفروشة بقصب (الحلفاء) المعرشة بقضبان شجر (الجميز) وجذوع النخل مكتفين من الثياب بما يستر البشرة ومن الطعام بما يذهب النهمة . فمزروعاتهم الآن هي على ما كانت عليه في تلك الايام لم تتغير شكلاً ولم تتبدل اصنافها نعم قد زادت حاصلاتها نظراً للتسهيلات التي اجريت في طرق الري « هذا في بلاد الكاتب » ولكن هذا النمو لا يعادل في الحقيقة الضعف الذي يلم بتجارة ابناء البلاد فقد كان يوجد قبل ورود الغريب اليهم في القرية الصغيرة اشخاص عديدون يتجرون في جميع اصناف المزروعات وغيرها من الاقمشة والمأكولات يربحون من ذلك مالاً عظيماً . أما بعد ذلك فلا ترى بنيهم الا يتضورون جوعاً ويئنون تحت احمال المشقات لبوار التجارة وكسادها واختصاصها بيد النزيل . ويتبع ذلك سقوط صنعة النجارة والحدادة والحياكة وغيرها من اصناف الحرف اللاتي نسختها محدثات الامم المتمدنين . وربما ينتهي بهم الامر لو استمروا على الجهالة والسفه الى خلو أيديهم من الزراعة أيضاً لوجود من يحسنها سواهم . ولا عجب بعد هذا اذا رأينا هؤلاء السفهاء واقعين في وهدة الفاقة والاضمحلال يئنون تحت اثقال الديون التي تستغرق جميع ما في حوزتهم من الاملاك وهذا يجعلهم حقراء اذلاء في قبضة الدائن

الذي يكونون رهنوه املاكهم يتصرف فيهم بما يريد فيلاقون منه شمماً لا تقدر على تحمله النفوس ولا تستطيبه الطباع وربما كان الدائن من سفلة قومه والمدين من اعيان بلاده ولا تغني عنه يومئذ قصوره العالية ولا ثيابه المزركشة ولا اثاثاته الخزية والحريرية وهذا فضلاً عما يعتريه من البلبال وكثرة الوساوس والافكار يبيت ليله يتقلب على الفراش ولا تقلبه على جمر الغضا يقدر محصولات زراعته قبل بذرها وينسبها لمقدار المطلوب في ابان الحصاد فاذا وجدها على قدره حصل له نوع من الاطمئنان ذاهلاً عما عساه يحدث من الغرق أو الشرق أو الاندية المتساقطة من الجو حتى اذا حل الاجل ولم يجد لديه ما يفي بالمطلوب لاصابة الزرع باحد الاسباب التي ذكرناها ضرب كفاً على كف واسود وجهه وساءت حالته وتسول الناس ليكفلوه عند عميله (دائنه) اذا لم يف ما عنده بالرهن فلا يجد محيباً ولا نصيراً . لعمر الحق ان المفترش للعصا المتوسد لحجر الصخر المستكن في منازل الحيوانات المتكفف في معيشته خير من هؤلاء الناس الذين لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال (ومما يسوءنا ان نراهم اكثر من الكثير في بلادنا) أهذا ما حسبوه تمدناً وزعموه نعيماً مقيماً . كلا بل هو الشقاء الابدي الجالب للفقر المدقع والعذاب الاليم .

هذه مشاربهم في أحوالهم المعاشية تحزن المحب وتفرح قلب العدو ولعلمنا بأن تلك الحالة لا يرضاها الشرع ولا القانون جئنا بهذه النصيحة آملين ان تنفع الذكرى فينتهج هؤلاء صراطاً مستقيماً وما ذلك على الله بعزيز .

اصطلاحات كتاب العصر

« التعصب »

مادة عصب تدل في أصل اللغة على اللي والشد يقال عصب الشيء اذا لواه وشده وعصب الشجرة ضم ما تفرق من أغصانها وهو مأخوذ من الشد بالعصابة فمعنى عصب وتعصب في الحقيقة شد العصابة ومنه العصبة لقوم الرجل وقرابته وكأن جمع عاصب (اسم فاعل) ككملة جمع كامل والعصبية نسبة للعصبة والتعصب ميل افراد العصبة بعضهم الى بعض وتشددهم في المدافعة عمن يتصل بهم بجامعة العصبية التي كان مناطها عند العرب القرابة والعشيرة

ولم يكن يطلق اسم التعصب على التشدد في الدين والغلو فيه بل كانت العرب تسمي هذا تحمساً وكتاب هذا العصر اشتهر بينهم اطلاق اسم التعصب على الافراط في التشدد في الدين الى درجة يؤذي بها المتعصب مخالفه فيه واجدر بهم ان يسموه تحمساً لولا ان الناقلين له عن لغات الافرنج الى العربية لم يتنبهوا للفظ التحمس . ويطلقون التعصب أيضاً على الميل للجنس والافراط في الحماية له والمحافظة على شرفه واتساع سلطانه وان غمط حقوق سائر الاجناس وهضم جانبهم ويخصون هذا الضرب من التعصب بالمدح والاطراء والاول بالمعرة والمعاب ولا يخفى ان الاوربيين سرى بينهم رأي نابليون في ان مناط الجنسية هو اللغة فكانت هذه الاصطلاحات وبالاً علينا نحن العثمانيين فاذا كانت سعادة الامة في وحدتها والوحدة لا بد لها من جامعة تلتف عليها عناصرها وترتبط بها اهاليها ولوازمها

فما هي الجامعة العامة والرابطة القوية لهذه الامة المختلفة في الاديان واللغات والجواب ان سعادتنا تتوقف على رفض مذهب الاوربيين في الجنسية واتفاقنا على ان يكون مناط جنسيتنا هو العثمانية ولا أظن أحداً من المناصر المستظلة بظل الدولة العلية العثمانية يرفض هذا ويرتضي اصطلاح أوربا في الجنسية وانما لبيان هذه المهمات ننشيء مقالة في التعصب والجامعة العثمانية في عدد تال (ان شاء الله)

الطبيب الدجال

« كلنا في الهوى سوا »

لدينا قصة نقصها على اخواننا الذين يستوقفهم عند أرصفة الازبكية اجتماع بعض الجهلاء على أحد الدجالين أو العرافين فيقفون ساخرين منهم مستهزئين بالامم الشرقية كلها حاسبين انها على شاكلة أولئك الجهلاء

ذلك ان رجلاً دجالاً سيق الى المحاكمة في احدى عواصم أوروبا لاقدامه على التطبيب بلا رخصة من الحكومة . ولما وقف امام المحكمة سأله القاضي بصرامة ما حملك أيها الرجل على مخالفة القانون أما علمت ان العقاب مفروض على كل طبيب لا يكون في يده شهادة قانونية

فلم يحر الدجال جواباً ولكنه مد يده الى جيبه وأخرج منها ورقة كبيرة ثم قال

اليك شهادتي القانونية أيها القاضي فانني ممن اتموا دروسهم الطبية

في كلية باريس وقد نلت منها لقب دكتور في الطب كما ترى في هذه الشهادة .
ولما ان انهيت دروسي خيل لي اني بلغت أوج السعادة . فاستأجرت منزلا
ونقشت على نحاسة وضعتها على بابه هاته الكلمة « دكتور في الطب » ثم
لبثت انتظر وفود الناس علي للمعالجة فمرت الاسابيع والشهور ولم يأتني
أحد مستشفياً . فصرت الى الفقر المدقع وعلمت ان تمسكي بتلك الشهادة
لا يغني عني فتيلا . فألقيت بها الى جانب وكسرت الامارة النحاسية وتحولت
الى منزل صغير وتظاهرت بمظهر الاطباء الدجاجلة فتقاطر علي الناس
للاستشفاء من كل الجهات ووفد علي ذوو العلل فعالجتهم وربحت أموالا
عظيمة . وما زلت على ذلك حتى ألقى الشرطي القبض علي ظناً منه انني
من الدجالين . وقد علمتم ان الذي ألجأني الى اخفاء شهادتي ولقبي رغبتي
في اكتساب ثقة الشعب فاطلب الآن الى المحكمة ان تحكم ببراءتي .

فادهش السامعين هذا الحديث وبرأت المحكمة الرجل بالحال .

قالت الجريدة التي نقلنا عنها هذه القصة . ان هذه الحادثة عار على
العلم وعلى الشعب . قلنا عار على العلم لانه قد عجز الى الآن عن تنوير اذهان
العامة واكتساب ثقتهم . وعار على الشعب لانها تدل على جهله وايثاره
أوهام الدجاجلة على الحقائق العلمية الثابتة . والا فما معنى اعراض الشعب
عن ذلك الرجل دكتوراً واقبالهم عليه دجالا . هذا ولا يبعد ان يفقد
الرجل ثقة الشعب فيه حين يظهر لهم انه من الاطباء القانونيين واذا وقع
ذلك كان منتهى الجهل والغباوة

ونتيجة ما تقدم انه لا يصح اطلاق القول في ذم شعب أو مدحه
استناداً على اختبار بعض افراده ، وان لنا ان نعير الغربيين بأولئك الاغمار

الذين لا يثقون الا بالدجاجلة اذا عيرنا بالاغمار الذين يجتمعون في ازقة الازبكية لضرب الرمل واستنطاق الحصى فلا يسخرن أحد من بسطائنا وجهلائنا فان لهم في الامم الاوربية اقتالا وامثالا من البسطاء « وكلنا في الهوى سوا »

اهـ مااخترناه من الجزء الثالث

تبصرة وذكرى لقوم يعقلون

﴿ في بيان ان سعادة الامة في التهذيب ﴾

تلك آيات من الحكمة ، تتلى على مجتمع هذه الامة ، تنبه فكر الناسي ، وتبعث همة الآسي ، وشذرات من معدن العلم السماوي ، تهدى الى معمل الفكر الانساني ، ليصوغ منها عقوداً ، ويضرب منها نقوداً ، تحلى بها اجياد العقائل العواطل ، وتعامل بها أكف المثري والعائل . لعلهم يفلحون ،

اذا تأملت في تاريخ هذا الانسان رأيت ابناءه قد وقع منهم الاختلاف في كل شيء « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » اختلفوا في العقائد والمذاهب ، والعادات والمشارب ، وجرى هذا الخلاف منهم في مدركات الحس ، كما سرى في مدارك العقل ، ألا ترى ان بعضهم لا يستطيب أكل اللحوم ذوقاً ، كما ان بعضهم يستقبحها عقلاً ، اما سمعت ان منهم من انكر مظاهر الوجود وحقائق الاشياء زعماً انها خيالات وأوهام تتراءى للحواس ولا تحقق لها في نفسها . ومن رام حصر مواد الاختلاف والافتراق

بين الامم والشعوب . وبين الآحاد والاشخاص فقد رام عبثاً وحاول شططاً وفيما أشرنا اليه من النموذج بلاغ لقوم يفقهون

ان اصالة الخلاف والمنابذة وتمكنهما من نفوس افراد هذا النوع قد جعلته من الخواص اللازمة أو الفصول المقوّمة لذاته والمقسمة لجنسه بحيث يصح ان يعرف الانسان بأنه (حيوان مخالف) أفلا يجدر بنا ان نعجب بعدهذا اذارأيناجميع الناس أو أمة منهم قد اتفقوا على شيء وأجمعوا على شأن ؟ ألا يجب علينا ان نغتنم ذلك الشيء فنتخذه ذريعة لجمع كلمتهم واتفاق وجهتهم الذي لا قوام لحياتهم على الوجه الذي ينبغي الا به؟ بلى ولكن انى لنا الظفر بهذه الرغبة المفقودة ، والاهتداء لهاته الضالة المنشودة ، وكيف لنا ان نطمع بما يكاد يخرج به الانسان عن كونه الخاص به فلا يكون انساناً ؟. ولعل قائلا يقول انا لا نرتاب في ان الاختلاف المطلق لا ينفك عن البشر لكن ذلك لا ينافي الاتفاق على بعض الشؤون فهل تعلم لنا شيئاً لا تخالف فيه ولا تنازع وهو مما يقصد بالعمل ويتوصل اليه بالسعي لنجعله معقداً للارتباط اذا أخذنا في الدعوة الى الاجماع على أصول العلم الصحيح ؟ والجواب نعم ان هؤلاء الناس مهما تباينوا في الوسائل واختلفوا في المقاصد فهم متفقون على شيء واحد يصح ان يكون علة غائية لكل حركة وسكون يصدران منهم الا وهو التخلص من البؤس والشقاء والظفر بهناء العيش ونعمة البال عاجلاً أو آجلاً وان شئت قلت هو دفع المؤلم واجتلاب اللائم إما لنفس العامل فقط وإما له ولمن يشاركه في المنزل أو الوطنية أو الجنسية . وما نشاهده من سعي الكثير منهم الى ما يسلمهم للهلكة ويجافي بهم عن مضاجع

الراحة والهناء فانما هو لاخطاء النهج وضلال الطريق القصد

يظهر هذا في سيرة المحكوم والحاكم، والجاهل والعالم، والتاجر والصانع، والحارس والزارع، والمنفق والمسك، والحليم والسفيه، والشجاع والجبان، والعفيف والشره، كل يسعى لما يرى ان فيه راحته ونعيمه . لكن ربما خفي على البعض في نحو الجاني والمنتحر ويظن ان الجاني على غيره بما يعود على ذاته بالضرر أو التلف والمتعمد ازهاق روحه بيده لا يقصدان بعملهما ما ذكر والحق ان عملهما هذا ليس الا تخلصاً من بلاء؟ أو توصلاً الى نعماء؟ بحسب ماوصل اليه الاجتهاد . فالانسان حريص كل الحرص على تحصيل العيشة الراضية والحياة الطيبة وكل سعي افراده انما هو في هذه السبيل . وكما يطرد هذا في سعي طالبي الحياة الدنيا يطرد أيضاً في سعي مريدي الآخرة فالصائم والقائم، والزاهد والعابد، انما يقصدون السعادة الابدية (٦٩ : ٢١ في عيشة راضية ٢٢ : ٢٣ في جنة عالية . قطوفها دانية ٩ : ٧٢ ورضوان من الله أكبر)

فقد تبين ان الناس متفقون مبدأ وغاية (في الجملة) وانما وقع الاختلاف بينهم في الافكار والاعمال (غالباً) من الخطأ في تصور الغاية بتصور ماليس بسعادة سعادة الذي يتبعه الخطأ في اختيار المبدأ الذي يستند اليه العمل — كأن يتصور ان سعادته في تحصيل الثروة باية وسيلة ومن أي طريق ويختار المبدأ لاكتساب المال السرقة وأمثالها . وقد يكون تصور الغاية صحيحاً ويقع الخطأ في اختيار المبدأ فيختل العمل المترتب عليه — كأن يتصور ان السعادة في كسب المال من الطرق الشريفة في الوجوه المشروعة ويرى ان المبدأ لذلك صناعة الكيمياء (الكاذبة) بتحويل المعادن الى ذهب —

كما يجوز ان يعرقل العمل مع صحة المبدأ والغاية لعدم السلوك اليه من طريقه والمدخول عليه من بابه — كأن يختار التجارة مبدأ للكسب ويتهجم على العمل بغير علم باساليبها ولا اختبار أو لعدم توفر دواعي النجاح من الخارج أي من الامور التي لا تنالها يد الكاسب — كأن يختار التجارة أو الزراعة ويأتي بجميع اسبابها مستوفياً شروطها فتنزل بالزرع جائحة أو تذهب بالتجارة الانواء ويحطم السفين اعتلاج الامواج —

فعلينا ان نبحث في الطريق الموصل الى صحة الغاية ومبادئها وانتظام أمر العمل بحيث ينطبق على المبدأ ويؤدي الى الغاية من غير خطأ ولا ضلال، وبالنتيجة في انتظام أمر المعاش والمعاد بما تصل اليه يد الامكان ويدخل في اختيار الانسان . وهو اشرف الابحاث وأفضلها لا ينطق لسان ولا يجري يراع بأفضل من الكلام فيه . ولا غرو فان البحث فيما يوصل الانسان الى الراحة والهناء في الدنيا والمثوبة الحسنة في العقبى لهو أجل ما يتحدث فيه المتحدثون، ويتنافس فيه المتنافسون، فألق اليه السمع وأنت شهيد

أنت تعلم ان قوام الدنيا والدين بالعمل . والعمل لا يكون الا عن علم فالاحرى ان نقول بالعلم والعمل «وكلكم حارث ـ كاسب وعامل ـ وكلكم همّام» يهم بالامر فيعمله — لكن الهم مختلف والكسب مختلف « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ثم كل من القسمين طبقات فمنهم السائد والمسود والقوي والضعيف والغني والفقير الى غير ذلك من الطبقات المتقابلة .

ولا سبيل الى المساواة بين الناس بجعلهم في رتبة واحدة كما ينزع اليه بعض الملاحدة في هذا العصر لان مبدع العالم تعالى فضل بعضهم على بعض في الرزق وغيره كما اقتضته حكمته في طبيعة الكون وجرت به

سنته « ولن تجد لسنة الله تبديلا » وانما السبيل الذي نقصده والطريق الذي توخينا البحث عنه هو الذي اذا سلكه العالم الانساني على اختلاف الطبقات وتنوع المراتب فاز بالعيشة الراضية والحياة الطيبة ألا وهو تهذيب الاخلاق وكماله لا يكون الا بالاستناد الى الدين المبين

التهذيب روح للوجود الطبيعي والمدني والسياسي تنال به هذه الوجودات سعادة الحياة وحياة السعادة شهد بذلك التاريخ الصحيح وصدقه النقل السليم . لا راحة لفرد من الاشخاص في نفسه الا بتهذيب اخلاقه في نفسه ولا في منزله الا بتهذيب أهل المنزل وعلى هذا النحو أهل المدينة والمملكة العظيمة . فكما ان التهذيب الشخصي هو مدار انتظام معيشة الشخص الواحد كذلك التهذيب العمومي هو مدار انتظام معيشة الامة كلها اذ ليس المهذب الا من يقوم بحقوق نفسه وحقوق غيره على صراط العدل المستقيم

واذا كان انتظام أمر الحياة معلولا لتهذيب الاخلاق فبالضرورة يكون وجوده بوجود علته وعدمه لعدمها اذ لا معنى لكونه معلولا الا هذا . ومن هنا نفهم السر في اختلال معيشة الافراد وانتظامها . وانفصام عرى الاتحاد بين الجماعات والتئامها . وصعود بعض الامم أعلى درج الارتقاء وهبوط بعضها الى أسفل درك الانحطاط . ووقوف البعض بين بين . تتنازعه عوامل العلتين . حتى يأتي أمر الله . واعتبر ذلك في سير الانسان من يوم علم تاريخه الى الآن . تلفه صحيحا مطردا

ربما خفي على البعض الارتباط بين الاخلاق والاعمال فلم يسلم بان

حسنها لحسنها وقبح القبيح مع تسليمه بأن سعادة الدارين انما هي بالاعمال وهذا الخفاء لا يكون الا عن الجهل بمعنى لفظ الاخلاق وما هو المراد منه فاذا فهم ما هو المعنى منه انجلى له ذلك الارتباط كالشمس ليس دونها سحاب

الاخلاق جمع خلق (بالضم) وهو صفة النفس كما ان الخلق (بالفتح) صفة الجسد وقد عرفه علماء التهذيب بأنه هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة الى روية ولا تفكر . وبيان ذلك ان مما يناجي الانسان به وجدانه ويوحي اليه احساسه انه لا يصدر عنه عمل اختياري فعلا كان أو تركا الا عن داعية من النفس وان جميع جوارحه مسخرة لخدمة سلطان الروح وان ارادة هذا السلطان التي لا ترد مهما جاءت بالجزم انما ينفذها الى الجوارح بريد الفكر والخيال . واذا دقق النظر رأى ان جميع ارادات السلطنة الروحية تصدر عن داعيتين الاولى انفعال وتأثر ـ كالجوع يدعو الى الاكل ـ ومحلها الطبع والثانية ادراك وتصور ـ كتصور خطر المرض يدعو الى تناول الدواء ـ ومستندها العقل وهاتان الداعيتان آلتان لتحريك الاعضاء للعمل والآلة لا تتحرك بنفسها واليد المحركة لهاتين الآلتين خلق حسن أو خلق سيء اذ لا تخلو الداعية للعمل من مصاحبة أحد أمرين اما الجور بتفريط أو افراط كالاكل زيادة عن الشبع شرها وجشعا أو ترك الشبع وما يناسب المزاج من الطعام حرصاً وبخلا وكالامتناع عن شرب الدواء عند الاحتياج استبشاعاً لطعمه أو تناوله مع الاستغناء عنه وسوسة ووهما . وإما العدل بإمضاء ما فيه المصلحة مع التجافي عن طرفي الافراط والتفريط . والجور والعدل جنسان لانواع الاخلاق الفاضلة والذميمة فاذا أصيب ملك الروح برزيئة

الجور فامر بما لا ينبغي ونهى عما ينبغي ورعية الجوارح لا مندوحة لها عن طاعته لا تلبث مملكة البدن ان يسرع اليها الفساد ويحل بها الدمار. وهذا واضح في مملكة البدن كما هو واضح في المملكة الظاهرية بل هو في مملكة البدن أشد وضوحاً وظهوراً. واما اذا تحلى بفضيلة العدل فيستقيم ولا ريب نظام المملكة وتبلغ من الانتظام غاية الكمال

من فهم ما قلناه من ان جميع الاعمال انما تصدر بارادة الروح عن داعيتين وان الروح في ذلك لاتخلو عن العدل أو الجور وعلم مع ذلك ان العدل هو غاية تهذيب الاخلاق بل هو المحور الذي تدور عليه سيارات الفضائل وان الجور ضده فهم وجه الارتباط بين الاخلاق والاعمال وأذعن لتفاوتها بحسبها ضعة وخسة ورفعة وشمماً واذا لاحظ بعد هذا ما قلناه أولا من ان الحصول على رغائب الدنيا والآخرة موقوف على العمل لا على الاماني والتشهي انكشف له مقدار تأثير الاخلاق في المجتمع الانساني صلاحاً وفساداً

كيف لا يكون الخلق المهذب أفضل الفضائل وغاية الكمال وهو ثمرة الاديان السماوية والشرائع الالهية بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وقد علمت انه ثمرة العقل السليم أيضاً. ثم أكثر آيات القرآن الكريم جاءت في الحث على مكارم الاخلاق (كالعدل والقسط في الامور كلها والبر والاحسان لجميع الناس والصبر والحلم والحياء والرفق والرحمة والوفاء والصدق والتواضع والعفو والامانة وأمثالها) وينهى ويحذر من سفسافها (كالجور والجزع والغلظة والبخل والجبن والكبر والرياء والكذب والنفاق والخيانة والوقاحة والسفه

واشباهها) وفي حكاية أحوال المهذبين مع الثناء عليهم للاقتداء بهم وحكاية أحوال فاسدي الاخلاق في معرض الذم والتقريع للاعتبار والتنفير كما في قصص الانبياء عليهم السلام مع أممهم . وحسبك مع هذا قول عائشة (رضي الله تعالى عنها) في قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلقه القرآن . وقد ورد في ذلك من الاحاديث النبوية مالا يكاد يحصى فدونك حاصل بعضها . وهو ان أفضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقاً . وان الخلق الحسن خير مامنح الله تعالى به العبد . وان أحب الناس الى النبي وأقربهم منه مجلساً احاسنهم اخلاقاً . وان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة (انظروا وتاملوا) وانه يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد . وان العبد ينال بحسن خلقه الدرجات العلى مع ضعفه في العبادة . وان سوء الخلق يقذفه في أسفل درك جهنم . وانه يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وان الله تعالى قوى الايمان بحسن الخلق وقوى الكفر بسوء الخلق . وابلغ من ذلك ماروي ان سائلا جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بين يديه وسأله ماهو الدين فقال حسن الخلق ثم جاءه عن يمينه ثم عن شماله ثم من وراء ظهره وسأله هذا السؤال واجابه بهذا الجواب ويقرب منه ماروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق

فاذا تبين ان خلق الانسان هو دعامة سعادته وعماد هناء وعليه مدار صلاح أموره الدينية والدنيوية وفساده ، فيجب على كل فرد من افراد الامة ان يوجه قواه العقليه والمالية للحصول على هذه المنقبة الكبرى ، والسعادة العظمى ، وعلى العلماء ان ينبهوا الاغنياء ويعقدوا معهم الجمعيات

للقيام بهذا العمل الجليل ولا عذر في التهاون والونى تلقاء هذا المقصد الشريف الا لمن تخبطه شيطان الجهل فأمسى لايميز الكمال من النقص، ولا يزيل بين السعادة والشقاء . وكفاه عذره ذنباً . وأما من كان صحيح الفكر وتلا أو تلي عليه ما ذكرناه ثم لم يعره اذناً صاغية، ولا نفساً واعية، رغبة في جمع الحطام ، والتلذذ بالشراب والطعام ، واشتغالا بمفاخرة الاقران، وقهر الاخصام ، فلتهنأ له الحياة الحيوانية « في ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب » . والسلام على الانسانية وذويها، والفضيلة ومحبيها في كل زمان ومكان

سؤال وجواب

كتب الينا غير واحد يسألنا عما جاء في مقالة (القول الفصل) المدرجة في العدد الثاني من جريدتنا من تخطئة الذين يستعينون بالاموات من العلماء والصلحاء على قضاء المصالح واجتناء المنافع وقولنا في هذا البحث « ويستنهضون هممهم بالصياح والصراخ وتقديم هدايا الفواتح » هل يتضمن هذا القول انكار كرامات الاولياء أو يلحق بهم شيئاً من الغضاضة وهل فيه انكار لقراءة الفاتحة أو غيرها من القرآن للاموات

والجواب

معاذ الله ان نرمي بكلامنا الى غمط حقوق أولياء الله تعالى أو ننكر ما أكرمهم الله تعالى به من فضله . وليس كلامنا ذلك في هذا الموضوع وانما هو بحث في الاسباب التي بها اناط الله تعالى أمور الكون ولا شك ان الاستعانة بالاموات على قضاء الحوائج ليس من الاسباب التي

سنها الله تعالى لذلك ولم يقل أحـد من أئمة الدين ولا من العقلاء بسببيته اما نبذ العقل له فظاهر واما رفض الشرع له فيدل عليه الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وأكتفي الآن من الكتاب العزيز بقوله تعالى « وإياك نستعين » فهو نص صريح في انه لايستعان الا بالله تعالى، ومن السنة بخبر « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله» وأما سيرة السلف الصالح فلم ينقل عن الصحابة والتابعين انهم كانوا يأتون قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقبلون عتبة الحجرة ويقولون يارسول الله اهلك فلانا عدوي وانتقم من فلان ظالمي واهلك الدود من زرعي واشف داء قريبي وقرّب وصال حبيبي كما نراه ونسمعه من جهة العوام عند قبر السيد البدوي وقبر الامام الحسين (رضي الله تعالى عنهما) بل ان المطالب التي تصدر من هؤلاء تجاوز هذا الحد فانهم يطلبون من الاولياء المستحيلات العقلية والمنكرات الشرعية التي لا يجوز ان تطلب من الله تعالى . وقد أدى بهم الاهمال وعدم اشتداد العلماء بالانكار الى مروق بعضهم من الدين كما يمرق السهم من الرمية . وكل ذلك معلوم عند السائلين . واما قولنا « ويستنهضون هممهم الخ » فهو تمثيل لحالتهم التي يحاكون بها معاملتهم للحكام الظالمة بتقديم الهدايا والرشى امام اغراضهم وقد فاتنا ان نقول ويرشونهم بالشموع والدراهم ونحوها . وأما مسألة قراءة الفاتحة ونحوها للاموات فليست مما نحن فيه وخلاف العلماء في انتفاع الاموات بالقراءة مشهور وأكثرهم يقول بعدمه لقوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » وبعضهم يقول باثباته لادلة قامت لهم ولا مجال هنا للجولان في هذه المسألة . ثم لاشك ان الاولياء والصلحاء لا يرضون بهذه المنكرات

التي يأتيها المعتقدون بهم من غير علم ولا بصيرة سواء كانوا احياء أو أمواتاً ومن انتصر للشريعة فعرف المعروف وانكر المنكر فهو المحبوب المرضي عندهم وسكوت الكثير من المتسمين بسمة العلم والصلاح عن الانكار لزعمهم انه ادب مع الاولياء لا ينهض حجة على ان المنكر صار معروفاً فان إمامنا السنة والقرآن ، لا صاحب الاردان الواسعة والطيلسان ، وان لنا لعودة الى هذه المباحث نفصل فيها ما أجملناه ، ونسهب بما أوجزناه، ولعل الموعد يكون قريباً

اه ما اخترناه من العدد الرابع

الموالد أو المعارض (*)

(بمصر كثير من المضحكا ت ولكنه ضحك كالبكا)

نم انها أمورٌ تضحك منها السفهاء ، وتبكي من عواقبها الالباء ، أمور ينظرها الضاحك كما ينظر الصور والتماثيل ، ويبصرها الباكي كما يبصر الصواعق والبراكين ، أمور تقام لها المعارض في كل صقع ، وتحشر اليها الخلائق من كل فج ، فيحضرها العالم والجاهل، والامير والصعلوك ، والغني والفقير ، والناسك والفاتك ، والواهب والسالب، وان شئت قلت يحضرها جميع الاصناف من جميع الطبقات ، وتعرض منهم وفيهم وعليهم المضحكات المبكيات ، معارض تقفل لاجلها بعض مدارس العلم. وتعطل لبعضها مجالس الحكم ،وتبطل الزراعة ويكون حيث تقام أعظم المساجد

(*) نشرت في فاتحة العدد الخامس الذي صدر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٥ — ٣٠ مارث سنة ١٨٩٩

التي يأتيها المعتقدون بهم من غير علم ولا بصيرة سواء كانوا احياء أو أمواتا ومن انتصر للشريعة فعرف المعروف وانكر المنكر فهو المحبوب المرضي عندهم وسكوت الكثير من المتسمين بسمة العلم والصلاح عن الانكار لزعمهم انه ادب مع الاولياء لا ينهض حجة على ان المنكر صار معروفاً فان إمامنا السنة والقرآن ، لا صاحب الاردان الواسعة والطيلسان ، وان لنا لعودة الى هذه المباحث نفصل فيها ما أجملناه ونسهب بما أوجزناه ولعل الموعد يكون قريباً

اه ما اخترناه من العدد الرابع

الموالد أو المعارض (*)

(بمصر كثير من المضحكا　　ت ولكنه ضحك كالبكا)

نعم انها أمورٌ تضحك منها السفهاء ، وتبكي من عواقبها الالباء ، أمور ينظرها الضاحك كما ينظر الصور والتماثيل ، ويبصرها الباكي كما يبصر الصواعق والبراكين ، أمور تقام لها المعارض في كل صقع ، وتحشر اليها الخلائق من كل فج ، فيحضرها العالم والجاهل ، والامير والصعلوك ، والغني والفقير ، والناسك والفاتك ، والواهب والسالب ، وان شئت قلت يحضرها جميع الاصناف من جميع الطبقات ، وتعرض منهم وفيهم وعليهم المضحكات المبكيات ، معارض تقفل لاجلها بعض مدارس العلم . وتعطل لبعضها مجالس الحكم ، وتبطل الزراعة ويكون حيث تقام أعظم المساجد

(*) نشرت في فاتحة العدد الخامس الذي صدر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٥ — ٣٠ مارث سنة ١٨٩٩

سوقاً ومرقصاً (بالو) وملعباً وملهى وقهوة وفندقاً (لوكانده) ومستشفى (اسبتالية لكنها روحية) وصيدلية (اجزاخانة) وماخوراً (موضع الريبة) كل ذلك في وقت واحد — معارض قد اشتبهت على العامة حقيقتها فلا يعلمون هل هي دينية أو دنيوية نافعة أو ضارة

لاشك ان كل مصري يعرف من هذه الاوصاف ما هو المعرض الذي يقام في بلاده وان كان يسميه مولداً لا معرضاً

وأما من لم يكن مصرياً ولا شاهد هذه المعارض في ديار مصر فان العجب يأخذ منه مأخذه عند مايقرأ فاتحة هذه المقالة وربما خيل له انها كلام شعري أو ضرب من الالغاز لانه يرى الاوصاف لاتنطبق على ما سمع أو رأى من المعارض في البلاد المتمدنة التي يسمع أن مصر ضربت معها في كل سهم وأخذت من أنواع تمدنها أوفر نصيب

لاتغتر أيها السامع عن تمدن مصر وتقدمها بما ينقله اليك أهل السذاجة أو تموه به عليك الجرائد فليس في مصر من التمدن والتقدم الا بعض قصور وحوانيت كلها أوجلها للاجانب وبعض طرق فسيحة لم تنشأ الا لجولان مركباتهم وتركاض خيولهم ودراجاتهم وذلك في العاصمة وبعض البلاد الكبيرة (البنادر) فقط . وتوجد أيضاً الطرق الحديدية واسلاك التلغراف والتليفون الا انها ليست من صنع أبناء البلاد وانما هي من صنع الاجانب الذين يجتنون معظم ثمراتها وهي التي ملكتهم زمام التجارة والمراباة في القطر فاستنزفوا ثروة أهله وامتصوا دماءهم ثم تخطوا ذلك الى امتلاك رقبة أراضيهم الواسعة واتخذوهم فيها أجراء ومزارعين .

لو ان أحداً طار في منطاد (بالون) ونزل في الازبكية وطاف فيها

يقرب منها لقال ان هذه المدينة هي أخت باريس أو بنتها واذا سار الى القرافة ورأى القصور المشيدة على القبور يذهب به الوهم الى ان مصر قد عادت لها مدنيتها القديمة وعما قليل يبني أمراؤها اهراماً كاهرام الجيزة ويتخذونها قبوراً لهم ولكنه اذا جال في انحاء القطر وارجائه ورأى بيوت السواد الاعظم من الشعب تحاكي زرائب الغنم ومعاطن الابل في سائر البلاد التي تفتخر بمصر ويفتخر عليها بعض أهل مصر (كسوريا ولبنان) بل هي اقل واحقر واذا خالط مع ذلك هؤلاء المساكين ورأى سوء حالة معيشتهم في مأكلهم وملبسهم حكم حكماً جازماً (وربما لم يكن بعيداً من الصواب) بأن الشعب المصري هو انكد الشعوب عيشاً وأشدهم بؤساً وأكثرهم غباوة وجهلاً . فقد عمل بعض عقلاء المصريين حساباً للفلاح المصري فوجده ينفق في مدار سنته كلها على أكله ولبوسه سبعين قرشاً أميرياً .

ولا نحكم على القطر بمثل هذا العاقل وهذا العالم وذلك المثري فانما كلامنا في الشعب لا في الافراد وسننشيء مقالة مخصوصة في (تمدن مصر) في عدد آخر ونكتفي الآن ببيان مجمل عن المجتمعات الكبيرة التي تقام في مصر ويسمونها (الموالد) فان مجتمعات كل أمة هي مثال تمدنها وآدابها وعلمها وعملها واني اذكر ذلك بعبارة انتقادية لعله يبعث على تلافي الخلل ومداواة العلل وابدأ بالكلام عنها من الجهة الدينية فأقول

الموالد

ان مصر تلقب بام العجائب وما أجدرها بهذا اللقب واحقها بهذا

الاسم وما أكثر وجوه التفسير والتأويل فيه . وأعجب أولاد هذه الام شكلاً، واغربهم وصفاً وفصلاً، هو ما يسمونه (الموالد) اسم يرمي الى مسمى لم يلاحظ في الاصل مدلوله اليوم ولم يعرف واضعه الى أي حد ينتهي

ويظن اللغوي لاول وهلة ان اطلاق المولد على هذا الاجتماع الخاص المعروف ليس له مجاز الى اللغة ولا يمس حقيقتها . لكنه لا يلبث ريثما يرجع الطرف الى المجتمع في مسجد السيد البدوي (رضي الله تعالى عنه) في مثل الاسبوع الثالث الا وينجلي له وجه التسمية وجيه . ذلك انه يرى المجتمع تتولد فيه البدع والمنكرات والسفه والجهالة وكل فعل مذموم مشؤم

تدخل المسجد فترى سواداً عظيما وتسمع جلبة وضوضاء . ترى أناساً قد وضعوا في اعناقهم السلاسل والاغلال ، بعضهم عار وبعضهم يلبس الاخلاق والاسمال، وقد تجسدت عليهم الادران والاقذار، ولبدوا شعورهم المضفورة حتى لا ينفذها الماء ، والحشرات ترتع في اجسادهم تطوف في اطواء مرقعاتهم واهداب قبعاتهم،

وقد قاموا الى ما يسمونه الذكر « كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » ، وما كان ذكرهم الا همهمة ودمدمة ، وحمحمة وجمجمة ، تشوبها صيحات ونبآت ، وتخالطها شهقات وزفرات ، ويتلوها مكاء (صفير) وتصدية (تصفيق) ويتخللها أوامر ونواه ودعاو طويلة عريضة وتهذار وهذيان (كلام لا يعقل ولا يفهم كالذى يصدر من المريض) ويعقبها نوبات صرع واغماء ، يشترك في ذلك كله النساء والرجال ،

والشيوخ والاطفال ، هذا هو حزب « الاولياء » الذاكرين وثم أحزاب أخر فرقوا دينهم وكانوا شيعاً . فمنهم المتصدرون للرقى والتمائم وشفاء الامراض والادواء ومنهم العرافون المتصدون لبيان ماغاب علمه عن الناس من مصالحهم الدنيوية المبشرون البائسين بزوال بؤسهم والانتصار على أعدائهم وسائر أرباب الحاجات بقضاء حوائجهم اذا هم رضخوا لهم بشيء من الفلوس . ولهم أعمال دون ذلك هم لها عاملون : ثم ارجع الطرف الى مقصورة السيد قدس الله تعالى سره عن الرضى بهذه البدع والمنكرات فانك ترى أن قبره كعبة ثانية تطوف بها الناس كما تطوف بالكعبة ويزيدون على ذلك الدعاء وطلب الحوائج من السيد نفسه معتقدين انه هو الذي يفعل ذلك بنفسه لما تلقوه من القصص والحكايات في ذلك التي منها أن رجلاً أضل جاموسة له أوسرقت منه فجاء الى قبر السيد وطلبها منه فلم يجئه بها فأغلظ عليه في القول وأهانه بالكلام وهدده بانتقام الحكومة منه فلم يلبث بعد ذلك الا قليلا حتى رأى القبر يضطرب وسمع خوار الجاموسة من تحت الستار الذي على القبر ثم خرجت الجاموسة من القبر وتمثلت بين يديه فأخذها من المسجد وانصرف . فمثل هذه الاساطير التي ترويها الآباء للابناء ويقرهم عليها شيوخ العلم والارشاد هي التي قادتهم بسلاسل التقليد الى الاعتقاد بأن السيد يفعل مايشاء ويحكم مايريد وتفضيله على الانبياء بل نقل عن اثنين من الجهلة كانا يتساءلان عن المفاضلة بين السيد والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أحدهما للآخر (اسكت ياواد دا السيد أفضل من ربنا) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه الحكايات سارت بها الركبان وعرفها

أهل الشرق والغرب . كل هذا والعلماء ساكتون حذرا من الوقوع في انكار الكرامات أو الاعتراض على الاولياء الذي يخشى معه أن يتصرفوا بهم ويوقعوهم في الرجز الاليم .

ثم ان للوليات من هؤلاء اعمالا غير التي أشرنا اليها ذلك انهن يفضن الخيرات والبركات على الناس بواسطة المصافحة والتقبيل والعناق ، ويقذعن عند ذلك بالفاظ من الفحش لا يليق أن تحكى فضلا عن ان تسطر في الاوراق .

رأى كاتب هذه الكلمات بعينه ولية منهن صبيحة الوجه وفي معصميها أسورة وفي أصابعها خواتيم وفي عنقها عقود وقد جمع رأسها الى رأسي رجلين والتفت الايدي على الاعناق فكان عناقاً مثلثاً . . . ورأى منهن فتاة مدت يدها لمصافحته فاعرض عنها فوثبت عليه كالثعبان وقبلته في وجهه قبلات متتابعة . وفعلت ذلك مع غيره أيضاً . كل هذا يجرى في بيت الله على مرأى من العلماء ومسمع وهم له مقرون وبه راضون يحذرون أن يغضب عليهم السيد اذا غضبوا لله وانتصروا لدينه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

ان سكوت العلماء بل مشايعتهم لعاملي هذه الاعمال بترك دروس العلم وتخلية المسجد لهم وغشيانهم مجالسهم من غير نهي ولا انكار وتهنئتهم بهذا الموسم الشريف والدعاء لهم بالحياة لمثله أعواماً وأحوالا ـ كل ذلك وأمثاله أوقع في أذهان العامة ان هذه الاعمال من مهمات الدين التي تضاعف بها الحسنات وتمحى معها السيئات فلقد أنكرت بعض المحرمات التي رأيتها على عصابة ممن في المسجد فاجابني بعضهم قائلا « أبو فراج

ساحتو واسعة» فسألته الافصاح عن هذه العبارة وبيان معناهافقال «يعني ما عاهشي هم العلماء قالوا ان لمس المره في أيام المولد ماينتقضشي الوضوء» ولعمري انه جدير بان يقول هذا فان لديه كل حجة لو عرضها على منبر جامع السيد امام الآلاف المحشورة فيه من شيوخ العلم والطريق وغيرهم لظلت أعناقهم لها خاضعين. ولم ينبس أحد ببنت شفة في تكذيب روايتها أو بيان انها لا تفيد المطلوب على تقدير ثبوتها وما هي الا حكاية من الحكايات التي تروي عن كرامات السيد وتؤخذ مسلمة سواء كان راويها عدلا أم فاسقاً عاقلا أم مجنونا. وهذه من المزايا التي يميز الجماهير بها مايؤثر عن الاولياء من العجائب والخوارق على مايؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الحكم والاحكام . وتلك الحكايات كثيرة وكلها ترجع الى شيء واحد وهو ان من يعترض على منكر يحصل في مولد السيد فلا بد أن ينكب بنكبة أو يصاب بمصيبة وقد غلا بعضهم غلوًّا كبيراً حيث زعم ان في ذلك خطراً على العقيدة وان المعترض لا يكاد يموت على الايمان وجهل القائلون بهذا والمصدقون به ان هذا الخطر من الاعتراض لا يحيق الا بهم لانهم هم الذين نقصوا السيد حيث جعلوه زعيم الفاسقين وقواد الفاجرين ورئيس العاملين على هدم الدين. (نعوذ بالله من هذا الجهل الفاضح) أما والله لقد طاشت سهامهم، وامتلخت احلامهم (انتزعت عقولهم) وضل رشادهم، وعظم فسادهم، فاذا حدثتهم بما ينابذ الشرع والعقل قبلوه، واذا جئتهم بما يؤيدهما رفضوه ولم يتقبلوه

واهون ما يحكون عمن اعترض على ما يحصل في مسجد السيد أيام مولده ثم رجع الى الاقرار وانضوى الى أهل الرضى والتسليم ان رجلاً من المغرب جاء لزيارة السيد في أيام المولد فشاهد من

المنكرات ما ضاق له صدره وعظم عليه أمره فترك الزيارة وخرج مغاضباً ومنكراً ولاية السيد إذ لم يتصرف بهؤلاء العصاة الذين ينتهكون حرمة حماه، ويأتون المحرمات في مشهده ومغناه، فلما انتهى الى البحر بات بغلته في الماء فثار ذلك (أي خرج أثره) رجل خرج من الماء وقال للمغربي يا رجل قد نجست الماء فاجابه وهل ينجس البحر فقال له وهل السيد الابحر فكيف يكدره أو ينجسه ما رأيت؟ فرجع المغربي يحدث بما رأى وقد أيقن ان الذي خرج من الماء وكلمه بهذا القول المراد هو السيد البدوي بعينه

وانا أروي لهم رواية صحيحة المتن والسند، فهل يقبلها منهم أحد، ام يرفضونها لانها أليق بمحاسن الدين، وفيها تعظيم صحيح للاولياء والصالحين، وهي: كان بعض طلبة العلم العقلاء يحضر العلم في الجامع الاحمدي في طنطا من نحو ٣٠ سنة ولما كانت أيام المولد أراد ان يصلي مع بعض أشياخه في جامع السيد فقام الشيخ وتوضأ من ميضأة الجامع وهي متغيرة اللون والطعم والريح من النجاسة فأبى ان يأتم به تلميذه وكان جاء المسجد متوضئاً بل صرح له بالانكار وبأن صلاته مع النجاسة والوضوء بالماء النجس غير جائزة فائتم الشيخ به ولما فرغا من الصلاة قال له الشيخ لا بد ان تصاب بنكبة لاعتراضك وانا لولا ان نفسي تعاف الشرب من ماء مجاري كنف جامع السيد لشربت منها فقال له التلميذ اذا كان السيد ولياً لله بل اذا كان مسلما حقيقياً (وهو كذلك) فانه يغار على الدين ويكون ما قلته انا هو المرضي عنده واذا كان غير ذلك فلا أبالي برضاه وسخطه وهذا اذا فرضنا انه رقيب ومهيمن على الاعمال يرضى لحسنها ويسخط لقبيحها واني اخاف

عليك أيها الاستاذ ان تصاب ببلاء لاستهانتك براعاة الشريعة واقدامك على مخالفتها وأقول هذا مع الاسف لاحتياج مثلي الى ارشاد مثلك: وتفارقا وفي اليوم التالي حاول التلميذ العاقل الاجتماع بشيخه حيث كان يلقاه من المسجد فلم يجده وبعد السؤال علم انه مريض في احدى الخيام فذهب لعيادته فألفاه مثقلاً بالدثر الثليظة وهو يرتعد من الحمى مع لفح الهجير واتقاد السعير حيث كان ذلك في المولد الكبير (في اغسطس) واخبره انه منذ فارقه بعد الصلاة جاء ذلك المكان فعاجلته الحمى فيه فقال له التلميذ وها انا ذا صحيح معافى فمن الذي عوقب على الاعتراض والانكار؟ ثم نقله من خيمته واعتنى بخدمته

فيا معاشر الناس ان كنتم تعتقدون ان الامراض والمصائب تأتي من ارتكاب الخطايا واقتراف المعاصي فالمعاصي والخطايا هي ما ترونه وتأتونه في مسجد السيد وان كنتم تعتقدون ان الله تعالى يعاقبكم في الدنيا والآخرة على انكار المنكر والامر بالمعروف والعمل به اذا حصل ذلك في جوار السيد فقد نبذتم دين الله تعالى وراء ظهوركم كما انكم تنكبتم طريق العقل وأساطيركم التي تسمونها كرامات وتعدونها من الآيات البينات أيضاً ليس فيها على ما تدعون برهان مبين ، ولا تقوى على سلطان العقل والدين المبين ، لا سيما وهي معارضة بحكايات اصح منها رواية وأقوى دراية عن الذين انكروا هذه المنكرات وأثموا فاعلي هذه السيئات ولم يصابوا على ما عملوا بسوء ولا صب عليهم العذاب ومنهم من كشف عنه السوء واكتنفته النعمة بل منهم من ابتلي إثر التهاون بحقوق الشريعة الشريفة وترك الانكار على من اخل بها بالمرض كما سمعت في الحكاية الواقعة التي قصصناها آنفاً فاعتبروا يا أولي الابصار .

المنار في بلاد الشام

جاءنا في رسالة خصوصية من طرابلس ان صاحب العطوفة والي ولاية بيروت الجليلة اصدر أمراً الى متصرفية طرابلس بوجوب جمع العدد الثاني من جريدتنا « المنار » واعدامه فوقع عندنا الريب في شأن هذا الخبر فان المنار قد عاهد الله تعالى على خدمة الدولة والملة بالصدق والامانة في ظل أمير المؤمنين السلطان الاعظم أيده الله تعالى وخطته علمية تهذيبية من أفضل أعمالها تأليف القلوب وجمع كلمة العناصر المؤلف منها جسم الامة العثمانية تحت لواء جلالة السلطان الاعظم وقد حمد مبدأه هذا جميع العقلاء والفضلاء ومحبو خير الدولة العليه . وليس في العدد الثاني منه سوى مقالة تهذيبية خلاصتها ان سعادة الامة لا تكون الا في تعميم التربية والتعليم بواسطة الشركات المالية الوطنية التي تنشيء المكاتب والمدارس وتمهد بها للعقلاء والفضلاء . وهذا لا يمكن ان يشك فيه أحد فان اعداء الدولة العلية الذين يطعنون بجهل شعوبها وهمجيتهم يلقون تبعة ذلك على مولانا السلطان الاعظم مع انه باذل قصارى همته الشريفة وموجه قواه المقدسة الى ترقية معارفها فكم انشأ من المكاتب والمدارس على نفقة الجيب الهمايوني الخاص(*) لكن يستحيل ان تكفي خزينة أيّ ملك أمة

(*) هذا ما كنا نعتقد اذ كنا قريبي العهد بتلك البلاد التي لا يقرأ فيها أحد في الجرائد ولا يسمع من الناس عن السلطان غير هذا .

عظيمة كالأمة العثمانية وعليه فلا بدّ لاغنياء الامة من التأسي بعليكم والاقتداء بامامهم . هذا ما قاله المنار واثبت أيضاً ان تقدم الامة وسعادتها لا يأتي من مداخلة الاجانب واستلامهم زمام الاحكام ولا من حرية الجرائد وكل هذا مما يكثر الثرثرة به اعداء الدولة . والمنار قد ردّ عليهم بخدم الدولة ونصح للامة . وفيه أيضاً مقالة تبين ان الاستعمار الذي يدعي الاوربيون خدمة الانسانية به لا توجد حقيقته الا في الديانة الاسلامية التي بينت في آية الجهاد ان الحكمة في الاذن للمسلمين بالقتال هو (١) اضطهاد المشركين لهم واخراجهم من ديارهم (مكة) بغير حق الا انهم يعبدون الله تعالى دون الاصنام و (٢) كون المدافعة تحفظ الاديان السماوية وتمنع من هدم البيع (معابد النصارى) والصلوات (معابد اليهود) والمساجد (معابد المسلمين) و (٣) قيام المسلمين اذا مكنوا في الارض باقام الصلاة وايتاء الزكاة وتعليم الناس عمل المعروف وترك المنكر . وليس في ذلك العدد وراء ما ذكرنا الا اخبار مجملة عن الهند وكوبا واليهود في فرنسا والسودان وبعض اخبار تلغرافية نشرتها جرائد الاستانة العلية وجرائد سورية فضلاً عن جرائد مصر التي لم تمنع من بلاد الدولة العلية . فليس بعد هذا الا احتمال ان يكون الامر صادراً بجمع جريدة غير جريدة المنار وذكر اسم المنار غلطاً أو ان بعض السعاة الحالين اراد ان يبيض وجهه بسواد الكذب فكتب للحكومة السنية ان في العدد الثاني من المنار ما لا ينبغي نشره وهو في هذا اما متوقع جائزة على عمل ضار في صورة نافع واما عدوّ للدولة والامة يريد ان يعرقل عمل

من يخدمها بصدق ومشرب صحيح يرجى نفعه وكان بعض العقلاء في بلاد الشام فطن الى ان مثل هذا العمل الشريف لا بد ان يعرض له عثرات وتقام في طريقه عقبات فقد جاءنا في البريد الاخير كتاب من بعض فضلاء الامراء في تلك البلاد يقول فيه ما نصه بالحرف

«اطلعت على العدد الاول والثاني من جريدتكم الغراء فوجدتها وايم الله من أحسن الجرائد لهجة وانبلها مقصداً، واسماها غاية، وأصدقها حديثاً، وأفصحها لساناً، وأكثرها بياناً، وظهر لي ان وراءها رأياً صائباً، وفكراً ثاقباً، وعلما واسعاً، وحكمة بالغة، ونظراً دقيقا، وقد راق في عيني افصاحها عن مواضع الداء ومواطن الخلل بما ليس معه زيادة لمستزيد، أو انتقاد لمنتقد أو استفهام لمستفيد، مما جعلنا نوطد الآمال على انتفاع الامة بها انتفاعاً عظيما، واهتدائها بهديها نهجاً قويما وصراطاً مستقيما، سائلين المولى لكم التوفيق والثبات في هذا الطريق وان يقيها شر الحاسد وكيد المفسدين الذين يرمونها بالترهات ويقيمون في سبيلها العقبات» اه

وعندنا من قبيل هذه الشهادة في المنار شهادات كثيرة، فاذا كانت الخطة التي ذكرناها وذكرنا نموذج شهادة العقلاء والفضلاء لها خطة ضرر وعداء فما هي الخطة النافعة التي يجب انتهاجها في خدمة الدولة والامة ؟ ليفدنا بها الطاعنون، ونحن لهم شاكرون، والا فليمعنوا في التبصر والانتقاد قبل رفعه الى أولياء الامور لئلا يقعوا في ايذاء الابرياء والاساءة الى المحسنين. ونحن نقول لا بأس بالمراقبة على الجرائد التي تشوش الافكار وتنشر ما لا يليق بحالة الامة نشره لكن نرجو من أولياء الامور ان ينيطوا بهذا الامر جماعة من أهل الفضل والصدق والاستقامة ليعطوا كل شيء حقه وبالله التوفيق

المشرقين

« الادنى والاقصى »

ان زل بالجمل متسم فهوى الى الارض صار نهوضه متعسراً لضعف قوائمه . وقد ينكسر له في سقوطه عضو فلا يبقى لدائه دواء الا غير سكين الجزار .

وهذا الذي جرى للصين من حين ان زلت بها قدمها في حربها مع اليابان . وقد سقطت قبلها روسيا تحت ضربات نابوليون وفرنسا تحت سيوف الالمان الا انهما نهضتا نهوض الجياد من عثراتها لما في جسم الامتين من الحياة الادبية أما الصين فهيهات ان يتسنى لها النهوض لخلوها من تلك الحياة

ماعمرت الصين هذا العمر الطويل الا بانغلاق أبوابها دون أوروبا واجتنابها مخالطة الاوروبيين حتى قد كان في شرائعها ان الصيني الذي يخرج منها لا يعود اليها على ان هذا الانغلاق الذي كان سبب حياتها فيما مضى يكاد يكون سبب موتها في هذا الزمان فان السبب الكافي في هجوم أوروبا عليها هو فتحها للتجارة والصناعة الاوربية . فلو ان الصين افتتحت من تلقاء نفسها واقتبست فضائل التمدن الحديث نابذة رذائله وسارت سيرة الدول المتمدنة في طريق العمران لكفت نفسها شر الوقوع في أيدي الامم الاوروبية ولكانت بما فيها من مئات الملايين من السكان مرهوبة الجانب عزيزة المكان .

ويجدر بسائر الامم الشرقية ان ترى العبرة في غيرها فتعتبر . فان الغرب زاحف بقوة وشدة على الشرق فان لم يجاره الشرق ويقابله بعزم وطيد وبأس شديد صار لقمة في فيه وباتت خيراته مطعماً لبنيه .

وأول أمة شرقية ادركت هذه الحكمة الدولة العلية والامة اليابانية ٠ أما اليابان فقد بان لها خطر الوقوع في يد الغرب تهافتت على اقتباس تمدنه لمدافعته بسلاحه فامضى عليها زهاء ٥٠ أو ٦٠ عاماً حتى اقتعدت في المجد مقعداً قصياً واصابت وساداً مثنياً ٠ واصبحت وهي لا تخشى للغربيين بأساً ولا ترهب لهم بطشاً

وأما الدولة العلية أيدها الله فقد أخذت نحو هذا النحو واندفعت الى اقتباس فضائل التمدن العصري رغبة في الوصول الى وسائل القوة والسعادة ٠ فانشأت دور الفنون والعلوم والمكاتب في كل جهات المملكة والمستشفيات وملاجئ العجزة وانصرفت الى الاهتمام بالزراعة والصناعة ولا تزال تسعى في تلك الحلبة سعياً حميداً

وقد تجرأ بعض الكتاب على تشبيه الشرق الاقصى بالشرق الادنى وهو تشبيه يدفعه عقلاء الغربيين أنفسهم ووجه الشبه عندهم ان في الشرقين خللا واحداً والدول راغبات في التهامهما رغبة واحدة ٠

نقول أما رغبة الدول فما لا يجب البحث فيها وهن قد يرغبن في تناول النجم اذا استطعن اليه سبيلا وأما الوجه الثاني فمما يقتضي دقة النظر وامعان الفكر

الصين أمة قديمة مغلقة لا يعلم عنها ما هو كاف للحكم عليها فقد يكون في باطن تلك الولايات الشاسعة المغلقة قوة وبأس وحياة وقد يكون فيها عفن وظلمة وانحطاط شنيع غير انه قياساً على بلدانها المفتوحة لا نظن بلدانها المغلقة أصلح حالا وأنعم بالا وبياناً لحال البلدان المفتوحة حسبنا ان نقول ان المانيا احتلت كياوتشو بلا حرب ولا نزاع ولما نزلت الجنود الالمانية الى المدينة أخلتها الجنود الصينية على الفور خارجة منها بخوف

وهلم خروج الغنم من صيرها فأين هؤلاء من أبطال ملونا ودوموكو . أين تلك الشعوب الجاهلة البليدة من هذه الامم المتمدنة الصاعدة في مراقي التمدن في الشرق الادنى تحت اكناف الدولة العثمانية. زر بيروت وأزمير والاستانة الا ترى نفسك في بلاد متمدنة. ان أمم الشرق الادنى خارجة من ظلمة الماضي خروج الزهور من اكامها وما يشبهها بالشرق الاقصى الا كل من يريد ان يتمحل عذراً لاطماعه فيها

والخلاصة ان الشرق الاقصى لا يشبه الشرق الادنى كما ذهب اليه بعض كتاب الغرب ونقله عنهم بعض كتابنا . ونحسب اهانة للامة التركية والمصرية والسورية والعربية تشبيههن بالامة الصينية . وكفى فارقاً بين الادنى والاقصى كون الاول مستيقظاً عاملا على اقتباس التمدن الحديث مجاراة لمقتضيات العصر وعنده من القوة مايقاوم به اخصامه والثانى نائماً ببلادة وكسل فوق فوهة الهاوية (ف)

منكرات الموالد (*)

ألمنا في العدد الماضي من جريدتنا الى كثير من البدع والمنكرات التي تحصل في المسجد الاحمدي في طنطا في ابان الموسم الذي يسمونه مولد السيد اتينا عليها في عرض القول واطواء الكلام وانا نعد منها الآن ما يعن لنا نشره سرداً مع اجمال من الشرح ثم نبحث في ازالته فنقول

(*) نشرت في فاتحة العدد السادس الذي صدر في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣١٥ — ٩ ابريل سنة ١٨٩٩

(الاول) من تلك المنكرات ابطال قراءة العلم وافادة المتعلمين بتخلية المسجد لتلك الجميات التي شرحنا بعض حالتها بحيث يصح ان يقال لهم علي ذلك باختيارهم « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » (٢) ترك صلاة الجماعة الراتبة التي يحضرها أهلها المواظبون عليها في ذلك المسجد ، ثم ان تلك الجميات يتخللها بعض صلوات تقام بين عزف العازفين وصراخ الصارخين ومدافعة المارين الى غير ذلك مما يخرجها عن صورتها الشرعية الكاملة (٣) التشويش على المصلين بدق الطبول والدفوف والنفخ بالشبابات والمزامير وصراخ المستصرخين بالسيد (قدس سره العزيز) وصياح المنادين له وجلبة الذاكرين وضوضاء الوفود والجموع الذين يموج بعضهم في بعض ومرور الجم الغفير بين يدي المصلي حتى لا يدري ماذا يعمل (٤) الصلاة الى قبر السيد (رضي الله تعالى عنه) الذي يلجىء اليه الازدحام مع الجهل ثم ان هذه البدعة السيئة لا تختص بأيام الموالد ولكنها تزيد فيها وازالتها من أهم مهمات الدين فقد فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو يحذر منها ويبين ان الله تعالى لعن الذين اتخذوا قبور انبيائهم مساجد من الامم السالفة كما ثبت في الاحاديث الصحيحة (٥) الطواف بقبر السيد (رحمه الله تعالى) كما يطاف بالكعبة سواء بسواء ، وتمثيل هيئة أي عبادة مشروعة منهي عنه كما هو معروف في الفقه والزيارة لا تتوقف على هذا الطواف (٦) تقبيل اعتاب المقصورة التي فيها قبر السيد (سقى الله لحده) ولمس تفصه والتمسح به وتقبيله « وكل ذلك بدع منكرة انما يفعلها الجهال » كما قال السبكي وغيره من الاعلام (٧) طلب الحوائج والمصالح من السيد (تغمده الله تعالى برحمته) ينادونه بصريح القول ياسيد اشف مريضي

يا أبا فراج فرج كربتي ياشيخ العرب تصرف بعدوي : الى غيرذلك من المهيات التي تعرض للناس ومنها ما لا ينبغي ذكره ومن عجيب أمر هؤلاء الجهلاء انهم يستنهضون همة السيد ويتقربون اليه لقضاء مصالحهم بالدوام فقد وضع بجانب القبر صندوق كبير مخروق سطحه خرقاً مستطيلاً بحيث يلقى منه كل نوع من النقود المتداولة، وبنذور أخرى تحار العقول في فهمها وفي سفاهة من ينذرها ويتقرب بها • منها ان المرأة تنذر ان تلبس لبوس الرجال وتركب فرساً وتطوف بالاسواق والشوارع الغاصة بالناس في يوم المولد وكذلك يفعلن • ترى كثيرات متسرولات بالسراويل الرسمي (البنطلون) ومرتديات بالكساء المعروف (بالبالكو) ومتلفعات فوق (الطربوش) بمنديل من النوع الذي يسمى (الشال) وراكبات على الخيول بين الجموع والوفود ومنهن من تنذر الوقوف مع الذاكرين في الحلقات وغير ذلك مما يستحيي من ذكره • ومن سفهاء المعتقدين من يتغوث ويستنصر بالسيد مدلاً عليه بالفاظ البذاء والهجر والتهديد والوعيد لاسيما اذا طلب منه حاجته بلطف ورفق ولم تقض عن قريب • ولا سبيل الى حصر وسائلهم الجهلية ومقاصدهم الجاهلية كما لا سبيل الى تعميم الحكم على نذورهم المالية بالفساد • لعدم امكان استقراء جميع الافراد • ولكن كلامنا في المنكرات الظاهرة للعيان • التي لا ينكرها ولا العميان • (٨) تقذير المسجد وتنجيسه لاسيما من الاطفال الصغار الذين يكون المسجد ملعبهم ومبيتهم وقد نص بعض الفقهاء على ان تنجيس المسجد ردة ومروق من الدين ولعله محمول على ما اذا قصد به الاهانة ومهما كان من أمر الحكم بالكفر والمروق • فلا خلاف في العصيان والفسوق يشترك فيه

أولياء الولدان وأولياء الشيطان الذين يغشون مجالسهم في العشي والابكار ، ويستبدلون الاقرار بالانكار (٩) تمكين الاحداث والمتوهين من تبوء المسجد والتمكن منه وقد جاء في الحديث الصحيح « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم (١٠) اختلاط النساء بالرجال في كل نوع من أنواع الاجتماع حتى في النوم ومايسمونه الذكر . تبصر النساء في الليل مضطجعات على جنوبهن ومستلقيات على ظهورهن يتخللهن كثير من الرجال (اللهم انهن مستترات) وتتخطاهن جموع الوفود الذين يردون المسجد ذهاباً واياباً . وتراهن في الذكر قائمات قاعدات . وان شئت قلت متثنيات أو راقصات . ومنهن من يأخذها اضطراب وارتجاف وانتفاض وقشعريره كما يحدث للمحموم والمصروع . ورأيت (شيخة) منهن تضطرب جميع اعضائها وتتخبط تخبط من أخذته نوبة عصبية وقد امسك بها ثلاث كيلا تقع على الارض واحدق بها الناس والممسكات بها مزدهيات معجبات ، قريرات العين باقبال الناس على هذه الاسرار والكرامات ، وربما كانت المرأة مصابة بالهستيريا وجاءتها النوبة في المسجد وربما كان كل ذلك تعملا وتصنعاً . (وأما كرامة الله لاوليائه فهي أجل من هذا الهزء والجنون الذي لاينخدع به الا الجاهلون) (١١) العزف والتطريب في الذكر بضرب الدفوف والطبول والنفخ في الشبابات والمزامير وقرع الصنوج وغيرها الى مايلتحق بذلك من الاغاني الغرامية (١٢) إحياء ما أماته دين الاسلام من المكاء والتصدية الذي كان في عهد الجاهلية قال تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تراهم يصفقون في الذكر وينفخون ويصفرون (١٣) المراقة

والتكهن (الاخبار عن شؤن الانسان الخفية الماضية والمستقبلة) يتصدى لذلك افراد من الشيوخ والشيخات فيلقون بكلامهم الفتن بين الناس والعداوة والبغضاء بين الاقارب والاصدقاء لما يأتون به من العبارات المجملة والكلمات المبهمة التي تذهب النفس بتأويلها كل مذهب ويسهل على معتقدها حملها على شؤونه وأحواله في كل زمان ومكان . ذلك انهم يقولون للمستنبئ ان لك عدوا من أهلك طويل القامة ، وفي بدنه علامة ، يهيء لك المهالك ، ويوعر امامك المسالك * ان الذي سرق متاعك رجل أسمر اللون ، واسع العينين ، نحيل القوام ، قليل الكلام * سوف تقبل عليك السعادة ويصدها عنك جماعة يظهرون ودك ، ولا يحفظون عهدك ، تصدقهم وهم كاذبون ، وتأمنهم وهم خائنون . وأمثال هذه الجمل التي تثير رواكد الاوهام وتبعث على سوء الظن بالابرياء وتوقظ هين الفتنة بين الاهلين والجيران وتمثل الاصدقاء الابرار بصور الاعداء الاشرار ، ولا تسل عن عاقبة الجاهلين

(١٤) الدجل والتمويه بادعاء الولاية الذي قال فيه بعض العارفين انه يورث سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ويتبع هذا المنكر منكرات منها

(١٥) التعويذ والتنجيس (تعليق خرق أو عظام نجسة للوقاية من الجن) يخدع الناس هؤلاء المعوذون المنجسون بمائمهم وتعاويذهم تناجيس يوهمونهم انها تجعل العاقر ولوداً والعقيم منتجاً ، وتقي من الجن والشياطين وتحفظ من كيد العادين والظالمين ، وتمنع الحرث والنسل من الجوائح السماوية والهوام الارضية . وتجذب قلب المشوق الى العاشق ، وتنفر به عن صحبة العذول الحاذق ، وتشفي من الامراض المزمنة والادواء المستحكمة الخ الخ

ومنها (١٦) تشويه الخلقة ولباس الشهرة وقد ألممنا بشرحه في مقالة العدد السابق ومنها (١٧) أكل أموال الناس بالباطل فانهم انما يأكلون بدينهم وقد فصل الامام الغزالي القول في حظر هذا الامر أحسن تفصيل

(١٨) تسمن الرجال. وفنوك النساء (أي مجونهما) وما هو الا مداعبة وملاعبة. وهجر وبذاء يتحاماه المتدين ويأباه كل مهذب وقد أشرنا الى شيء من ذلك في العدد السابق (١٩) البيع في المسجد: يباع فيه الاكل والملبوس من نسيج واكسية والكتب والسبح والامشاط والاعطار وأنواع من الادوية وغير ذلك. ويرون ان ما يشترى من المسجد له فضيلة وبركة. وبعض العلماء لا يحرم البيع في المسجد اذا وقع عرضاً ونادراً ولم يشغل المصلين ولم يضيق المسجد ولم يكن فيه امتهان له بجعله كالحانوت. وأظن انه لا يبيحه أحد بالصورة التي تحصل الآن في الجامع الاحمدي

(٢٠) الانفاق من مال الوقف على اضاءة المسجد الليل كله لاجل هذه الاعمال المزوج حلالها بحرامها والغالب قبحها على حسنها. وربما كانت هذه النفقات من النذور أو بعضها من الوقف وبعضها من النذر. ومهما كانت هذه الاعمال محظورة وواجبة المنع فالوقف والنذر عليها غير صحيحين

هذا ما تذكرناه الآن مما علق بذهننا من منكرات الموالد وهو أشدها نكرا ومن هذه المنكرات ما يحصل في غير أيام الموالد لكنه يزيد فيها. ونحن انما ننكر الافعال المخالفة لهدي الدين لا الموالد نفسها لان المولد عبارة عن اجتماع الناس من ارجاء القطر واتحاده في بقعة واحدة لاعمال مخصوصة. والاجتماع له فوائد مادية وأدبية لا تنكر بل ليست المدنية الا الاجتماع للتعارف والتآلف والتعاون على الاعمال النافعة للامة. وبحثنا في المنكرات بمناسبة

الموالد انما هو الكثرتها فيها . ونمسك الآن عن الخوض في فوائد هذه المجتمعات التجارية والادبية حتى نقف عليها بالاختبار في المولد الكبير ان امهلنا الزمان ونطلب الآن من علماء الشريعة وانصار الدين ان يوجهوا انظارهم الشريفة لابطال هذه البدع والمنكرات وينتصروا للدين الذي ائتمنوا عليه فانهم هم المسؤلون عن ذلك عند الله تعالى ولا يغني عنهم التأفف في بيوتهم والحوقلة والاسترجاع في زواياخلواتهم والتبرؤ من الحول والقوة اذا طلب منهم السعي والعمل فان لهم بالله قوة على تلافي ذلك كله فقد أعطاهم سلطة روحية على شعب عظيم هو أشد الشعوب خضوعاً وانقياداً الى رؤسائه وبذلك كان أعظم الشعوب قابلية للتربية والتهذيب

ان سكوت العلماء في مصر على هذه الطامات الكبر مع بروزها بالصبغة الدينية لمما يوقع في الدهشة والعجب . يقررون في دروسهم انه يكره المواظبة على بعض السنن والمستحبات لئلا تتوهم العامة انها واجبة (ولو اعتقدوها واجبة مازادتهم الا ايماناً) ولا يبالون باعتقاد العامة ان تلك البدع والمنكرات من الدين مع ان في استحلال بعضها ردة ومروقاً منه . اذا هان على بعض المتسمين بسمة العلماء الذين لم يرسخ علم الدين في قلوبهم ولم يملك القرآن أعنة نفوسهم أن يتهاونوا في شؤون هذه المنكرات بحيث يغشى مجالسها ويغني المقترفين لها (وهم الذين نددنا بهم في المقالة السابقة) فلا نرتاب في ان الراسخين في العلم يتململون من اجتراح الامة لهذه السيئآت كما يتململ السليم ويودون أن تقلع عنها . لكنهم يظنون ان هذه العادات رسخت بكرور السنين فلا ينجع في الآتين بها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه . وهذا هو السبب في سكوتهم وسكونهم لا الرضى

والتسليم أو الخوف من تصرف السيد (قدس الله روحه) فيهم اذا انتصروا للدين وتواصوا بالحق وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . بخلاف الذين يشاركون العامة في أوهامها ويشايعونها على أفعالها وهم الذين أطلقنا القول في المدد الماضي بالانتقاد عليهم

والذي نستلفت[1] اليه انظار هذا الفريق من العلماء الذين وصفهم الله تعالى بخشيته أن يسلكوا في ابطال هذه البدع والمنكرات طريقين اثنين أحدهما قريب والآخر بعيد ولابد منهما كليهما . فاما الطريق القريب فهو أن تؤلف لجنة برئاسة الاستاذ الاكبر مفتي الاسلام وشيخ الجامع الازهر ويدعى اليها الاستاذ الكبير شيخ الجامع الاحمدي وتقر على مايظهر لها بعد المذاكرة انه أقرب الوسائل لمنع كل مايخالف الشرع ويخل بالآداب الاسلامية في المسجد الاحمدي ولو أدى ذلك الى اقفاله في أيام المولد الا في وقت الصلاة مع مراعاة الحكم الشرعي في ذلك وعندنا ان انجح الذرائع لابطال ما ذكر ان ينشر قبل المولد بايام (اعلان) في الجرائد يصرح فيه بمنع الناس من كل ما اعتادوا فعله في المسجد الا الصلاة وان شيخ الجامع يقيم على أبوابه خفراء يمنعون النساء والاطفال والباعة والمشعوذين وأصحاب المعارف من الدخول اليه ومن كل عمل غير مشروع فيه . يفصلون ذلك في الاعلان بحيث يفي بالغرض ثم ينفذون ذلك فعلاً في أيام المولد . ولاشك ان شيخ الجامع اذا طلب من الحكومة نفراً من الاعوان والشرط لاجل هذا العمل الشريف فان الحكومة تجيب طلبه لا سيما اذا كان يطلب عن قرار لجنة العلماء أو كان الطلب من اللجنة

(١) لم تسمع هذه الصيغة وورد لفته عن رأيه (كضرب) صرفه

نفسها . وأما طلب ابطال الموالد بالكلية فربما لا تجيب الحكومة طلب الشيخ أو العلماء فيه لانه ليس من الامور الدينية المنوطة بهم بخلاف ما يحصل في المسجد

وأما الطريق البعيد فهو طريق الوعظ والتعليم وهو الاصلاح الحقيقي الذي يجب الاجتهاد به من كل من له غيرة على الامة والدين وهذا الطريق يتشعب منه ثلاثة شعاب وهي (١) الخطابة (٢) تدريس علم الاخلاق والآداب الدينية الصحيحة (٣) التصوف أو الارشاد المنوط بأهل الطريق . وكل شعب من هذه الشعاب ركن عظيم لسعادة الامة في الدين والدنيا . وقد اهمل الاعتناء بها في كل البلاد الاسلامية فآل الامر بالمسلمين الى ما نرى . وسنتكلم عليها في العدد الآتي كلاماً موجزاً يتعلق بحالة الموالد . وندع الخوض فيها من سائر الوجوه للفرص المناسبة وبالله التوفيق

صدمة جديدة على العربية

١

كان من مقتضى ناموس الارتقاء ان تبلغ اللغة العربية الشأو الاعلى من التقدم بعد ظهور الاسلام لكن هذه اللغة لم تخط مع تقدم الاسلام الا بعض خطوات، حتى اعتورتها العثرات، وانتابتها الصدمات، ولولا ان الله تعالى قيض لها قوماً من الاخيار تداركوا الخرق قبل اتساعه لمحيت رسومها، وطمست حدودها، ولم يبق منها الا ما بقي من بعض لغات الامم البائدة كالكلدانيين والاشوريين ولكن علماء المسلمين مع عنايتهم الكبرى في علوم اللغة واشتغالهم بها عن علوم كثيرة كانوا في حاجة الى التوسع

فيها لم يتنبهوا في اكثر عصورهم للطريقة المثلى في التعليم التي تحفظ ملكتها في الالسنة وتجري في ميدانها فرسان الاقلام فخرجوا بالعلوم العربية عن الغرض منها وسلكوا في قواعدها ومسائلها مسلك العلوم النظرية من التعليل والتدقيق حتى صار تحصيل ملكة هذه العلوم غير تحصيل ملكة اللغة في القول والكتابة ثم اعتاصت الكتب المؤلفة فيها على الافهام لدقتها التي اشرنا اليها وللايجاز المخل في متونها والخلط في شروحها وحواشيها بين الفنون وكثرة الآراء التي ليست من الفن في شيء . فآل الامر الى قلة الطالبين لها ثم الى قلة من يحصل ملكة الفن من هؤلاء الطالبين بل صار قصارى ما يصل اليه الطالب ان يحصل ملكة الفهم في كتبها وعند ذلك يسمونه عالماً أو علامة في العربية (صاحب كرّاس) واذا اتفق لاحد تحصيل ملكة الفن فان ذلك لا يفيده في تقويم لسانه بالكلام العربي الفصيح ولا يقتدر معه على الكتابة العربية البليغة لان ملكة هذه الفنون لا بد في الحصول عليها من سلوك طريق آخر كما ألمعنا . ولقد تنبه جماعة من عقلاء هذا العصر وفضلائه الى احياء اللغة التي بئس الجماهير من احيائها وذلك باصلاح كتب الفنون وطريقة التعليم (اللتين صارتا عقبة في طريق العربية) وبالتنبيه على الطريقة التي تطبع ملكة اللغة في النفوس بحيث تقتدر على الاتيان بالكلام العربي الصحيح من غير روية ولا تكلف . لكن الدهماء من ابناء أهل هذا اللسان لم يلتفتوا الى هذا الاصلاح بل منهم من يستنكره ذهاباً مع العادة أو ترفعاً واستنكافاً من الاستفادة . والساعون في اماتة هذه اللغة الشريفة مجدون في سيرهم ، ثابتون في جهادهم ، يقيمون العقبات ، ويوالون الصدمات ، والصدمة الجديدة التي أشرنا اليها

في عنوان هذه المقالة هي احياء اللغة العامية المصرية بجعلها لغة كتابة ، لكن أندري بماذا تكتب ؟ تكتب بحروف إفرنجية اخترعت لها والهمة مبذولة في نشر ذلك وتعليمه للمصريين .

لهفي على اللغة العربية المقدسة . ألم يكفها تحقيراً وامتهاناً ان المصريين ينشؤن الجرائد باللغة العامية ؟ كان في الامل ان كثرة الجرائد باللغة الصحيحة تكون من أنجح وسائل احيائها فقامت جريدة « الحمارة » « واللجام » « والغزالة » « والشيطان » تعارض الاسلام والمقتطف والهلال والمؤيد والاهرام والمنار بل سقطت مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة باللجام (واخجلتاه) ألم يكفها هذا حتى قام جماعة يسعون لتعميم تعليم اللغة العامية بحروف أفرنجية يقربون بها المصريين الى تناول لغاتهم من حيث يبتعدون عن لغة علومهم ودينهم التي فيها عزهم وشرفهم

ومما يضحك الثكلى ويبكي المستيأس الذي جاءته البشرى قول صاحب الكراسة في بيان فوائد هذه الحروف « والذين يرتأون استعمال هذه الحروف الجديدة لكتابة اللغة المصرية العامة التي يتكلمها سكان مصر على اختلاف طبقاتهم يحسبون ان نتيجة ذلك ستكون خيراً عظيما على القطر المصري » وقوله بمد بيانها « ونتيجة ذلك كله جعل الامة المصرية أمة متعلمة عزيزة الجانب متحدة الكلمة » فليت شعري ماهي العلوم والآداب المودعة في هذه اللغة العامية التي ينتج حفظها في الكتابة الافرنجية هذه العزة والمنعة ويمنحها هذا الاتحاد في الكلمة ومع من يكون هذا الاتحاد هل هو مع سائر اخوان المصريين في اللغة من الحجازيين والسوريين والمغاربة والعراقيين أم مع غيرهم ؟؟؟ ...

من أعطى هذه الخلابة بعض حقها من النظر تجلى له ان أهل هذا الاختلاب يعتقدون فينا الجنون والاختبال وانافقدنا الادراك والشعور بوجوه المنافع والمضار فلا نفرق بين الخير والشر ولا نميز بين الاصلاح والافساد . فان الفوائل التي ابرزها صاحب الكراسة في صورة الفوائد لايمكن ان ينخدع بهاعاقل مهما كانت مموهة الظاهر . وهي أربع أشير اليها هنا اجمالاً ثم أفصل الكلام في المناقشة عليها تفصيلاً في العدد التالي ان شاء الله تعالى . وهي (١) تسهيل التجارة (٢) تعميم التعليم (٣) حفظ اللغة العربية (العامية) ولم يخجل مؤلف الكراسة عند ذكر هذه الفائدة من بيان ان اللغة العربية الصحيحة آخذة في الاضمحلال بتعلم اللغة الانكليزية واللغة الفرنساوية وانه ينبغي الاعتياض عنها بلغة العامة . (٤) قلة نفقات الطبع وتوحيد اللسان بين الوطنيين والاجانب وان ذلك مما يقوي الوطنية (انتهت الفوائد)

وأنت ترى انه ألحق بالفائدة الرابعة فائدة أخرى أهم منها ولعله انما عدها فائدة واحدة وجعل توحيد اللسان وقوة الوطنية تابعاً لقلة نفقات الطبع مع عدم المناسبة بينهما — لشدة ظهور الخلابة والخديعة في دعواه قوة الوطنية بتوحيد اللسان العامي بين الاوربي والمصري . وأي شيء يكون أوضح من بطلان دعوى من يدعي ان الشمس مظلمة ، والطاعون الجارف نعمة ، والعسل قوي المرارة ، والحنظل شديد الحلاوة

وهبني قلت هذا الصبح ليل ... أيعمى العالمون عن الضياء

واذا صح هذا التعليل فاننا نشكر لحضرة المخترع اعتقاده انه ربما يوجد عند البعض منا قليل من الفهم والتمييز يفطن به لخلابة هذه فاوردها في عرض القول وأخريات الكلام

خبر واعتبار

جاء في باب المسائل من مجلة المقتطف المفيدة (جزء ٤ مجلد ٢٢) الصادرة في غرة ابريل الجاري سؤال وجواب فيما تحدثت به جرائد العالمين من اجلاء اليهود عن الممالك التي تضطهدهم ومهاجرتهم الى فلسطين فرأينا ان نبين ذلك للقراء ونذيله بما يعن لنا بشأنه من التنبيهات الموجبة لليقظة والاعتبار وها هو بحروفه :

(س) فرنكفورت على نهر الماين : ا • س جودا • لابد من انكم سمعتم عن الحركة التي حدثت فجأة منذ ستة أشهر بين اليهود في بلاد النمسا والمانيا وانكلترا وأميركا وهي المعروفة باسم الصهيونية • ويظهر من الجرائد الاوروبية ان غاية الصهيونيين انشاء مساكن في فلسطين لليهود المضطهدين في روسيا وبلغاريا ورومانيا وبلاد الفرس والمغرب وذلك باذن الدولة العلية وكفالة الدول الاوربية وتحت حمايتهن • ومرادهم تعمير اراضي فلسطين بالفلاحة والصناعة فيعيشون آمنين في ظل الحضرة الشاهانية ويقل عدد الفقراء في أوربا وتتسع اسباب التجارة بين الشرق والغرب . وقد اسهبت الجرائد الشهيرة كالتيمس والدايلي كرونكل والديلي تلغراف واشهر جرائد النمسا في استحسان هذا الرأي وقالت انه قريب المنال لان الدولة العثمانية ترغب في عمار بلادها والدول الاوربية لا تمنع فقراء اليهود من ترك بلادهن والانتقال الى البلدان الشرقية لكي ينشروا فيها المعارف ويوسعوا التجارة والصناعة لاسيما وان اليهود قد اشتهروا بولائهم للدول

التي تحميهم وتحسن اليهم فتجد الدولة العثمانية منهم كل ولاء وامانة . وأريد ان أعلم من المقتطف هل اعتنت الجرائد العربية في مصر وسورية بهذا الامر وما رأيكم في امكان اجرائه

(ج) لا يظهر لنا مما نطالعه من الجرائد العربية انها اعتنت بهذا الامر اعتناء خاصاً وانما ذكره بعضها مع سائر الاخبار التي يذكرها . واليهود الذين أتوا فلسطين حتى الآن أهل صناعة وتجارة كما تقولون وقد افلحوا فيها وقبضوا على أكثر فروع التجارة والبيع والشراء واذا زاد عددهم قبضوا على كل موارد التجارة واساليب الصناعة أما الفلاحة فلا نظن انهم يكفون عليها لانهم ليسوا أهل فلاحة في بلاد من البلدان التي هم منتشرون فيها . وقد صار كل شيء ممكنا لاهل المال فلا يستحيل عليهم أمر اذا بادروه وعقدوا النية عليه فاذا اتفق اغنياء اليهود في أوربا على ابتياع الجانب الاكبر من أراضي فلسطين ونقل اخوانهم الفقراء اليها لم يتعذر عليهم ذلك ولم يتعذر على هؤلاء الفقراء ان يعيشوا في فلسطين بالراحة والرخاء لان الارض وسيعة وخيراتها كثيرة وكانت تمون اضعاف اضعاف سكانها الحاليين ولكن بين مايمكن الانسان وما يقدم عليه بوناً شاسعاً فان الناس اذا عملوا اعمالهم عن اختيار لا عن اضطرار جروا في الطرق التي يلاقون فيها اقل المقاومات واغنياء اليهود لا يرون أنفسهم مضطرين الى نقل اخوتهم الى فلسطين ولا هذا النقل من الهنات الهينات ثم انه تقوم بينهم احياناً أناس محسنون أهل غيرة وحمية كالبارون هرش فينفقون النفقات الطائلة على نقل جماهير كبيرة من اخوانهم الى بلاد يبتاعونها لهم ويسكنونهم فيها ولكن ذلك نادر ونقل اليهود الى فلسطين وابتياع الارض

من الحكومة ومن اضطهادها اصعب من نقلهم الى الارجنتين ولذلك نستبعد نجاح الصهيونيين ونحسب ان السعي لدى حكومات روسيا ورومانيا والبلغار في اصلاح شأن اليهود فيها أقرب منالاً لاسيما وان طلب كفالة الدول الاوربية وحمايتهن لليهود الذين يراد نقلهم الى فلسطين عقبة كبيرة في سبيل هذا الغرض لان الدولة العثمانية لاترضى به اهـ بحروفه

(المنار) قد أوردنا هذه المسألة لعدة فوائد (١) ان المضطهدين في جميع ممالك الارض يرغبون الجلاء الى بلاد الدولة العلية ليكونوا في مأمن من الظلم والاضطهاد في ظل الحضرة السلطانية الظليل . وما ذلك الا لاعتقادهم انه ليس في بلاد الدولة من الغلو في التعصب وايذاء المخالف ما في سائر الممالك التي يرغبون الجلاء عنها كروسيا وبلغاريا والتي لا يودون الجلاء اليها كبقية ممالك أوربا ولا التفات لقول القائل تحت حماية أوربا لاننا نرى جميع اليهود في بلاد الدولة العلية سواء لا يرون فيها ثورة ولا شغباً ، ولا يعدمون حرفة ولا كسباً ، ودانية عليهم ظلالها ، ومساوية بينهم احكامها ، نعم ان المرجح لاختيار اليهود فلسطين كونها بلاداً مقدسة وموضع آمال منتظرة . ولكن الامن والراحة شرط للاختيار (٢) توجيه الانظار وتحويل الافكار الى ما فيها من مطارحات الجرائد ومداولات الساسة في أوربا بشأن تعمير فقراء اليهود لبلاد فلسطين وبث المعارف وتوسيع التجارة والصناعة في ربوعها لعل أهل بلادنا تجيش في نفوسهم مراجل الغيرة فتندفع الى طلب ماتتوقف عليه سعادة اوطانهم من علم وعمل ولا شك انهم لا يعدمون عند الطلب رشاداً (٣) ايقاظ قوم قد رزئوا بالخمول وكاد يصيبهم الذهول واستلفاتهم الى الروابط المحكمة بين اليهود مع تفرقهم

في الممالك وتشتتهم في الاقطار وكيف يمدون سواعدهم لمساعدة اخوانهم ومعاضدة قومهم من وراء البحار وشعوف الجبال . ولم يصدهم تنائي الديار، عن المواصلة في الافكار، والتعاون بالدرهم والدينار، الذي يحقق به كل أمل، ويناط به كل عمل ..

فيا أيها القانعون بالخمول أقنعوا رؤسكم (ارفعوها) وحدقوا أبصاركم وانظروا ماذا تفعل الشعوب والامم . اصيخوا لما تتحدث به العوالم عنكم . أترضون ان يسجل في جرائد جميع الدول ان فقراء اضعف الشعوب الذين تافظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة باساليب العمران وطرقه بحيث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها اجراء واغنيائها فقراء .... تفكروا في هذه المسألة واجعلوها موضوع محاورتكم لتتبينوا هل هي حقة أم باطلة صادقة أم كاذبة ثم اذا تبين لكم انكم مقصرون في حقوق أوطانكم وخدمة أمتكم وملتكم فانظروا وتأملوا وتفكروا وتذاكروا وتحاوروا وتناظروا في مثل هذا الامر فهو اخلق بالنظر من اختلاق المعايب، وانتحال المثالب، والصاقها بالبرآء، وأحرى بالمحاورة من التذوقح والتجني على اخوانكم فان في الخير شغلاً عن الشر، وفي الجد مندوحة عن الباطل، «وما يتذكر الا من ينيب»

(رئيس الولايات المتحدة والحرب)

يتشوف العالم الآن للوقوف على ماعساه يحدث بين الولايات المتحدة واسبانيا . والانظار كلها شاخصة الى مستر ما كنلي رئيس جمهورية الولايات المتحدة وكتاب السياسة يقولون ان الحرب والسلم بين يديه

وربما يخطر في بال القارىء ان حكومة تلك البلاد جمهورية والحكم في البلاد الجمهورية للأمة والرئيس ليس الا منفذاً لما يقرره نواب الامة وشيوخها ونحن ننقل من القانون الاميركي مايتعلق بسلطة الرئيس ليعلم القراء ان مايقوله الكتاب هو عين الصواب فنقول ان شرائع جمهورية الولايات المتحدة تختلف عن شريعة الجمهورية الفرنساوية وغيرها اختلافاً كثيراً. ذلك ان السلطة في تلك الولايات موزعة على اصحابها توزيعاً لا يدع للبعض حق المداخلة في شؤون البعض الآخر . وغني عن البيان ان السلطات في هيئة كل حكومة ثلاث تشريعية وتنفيذية وقضائية فكل واحدة من هذه السلطات منفصلة في أميركا عن الاخريين انفصالاً تاماً ولا يد لها البتة في غير شؤونها الذاتية . فرجال السلطة التشريعية يضعون القوانين ورجال السلطة التنفيذية ينفذونها ورجال القضاء يراقبون سير السلطتين. فلا يجوز مثلاً للوزراء المداخلة بالشؤون التشريعية كتقديم مشروع قانون الى مجلسي الامة أو البحث في أمر من أمورهما بل ليس لهم دخول ذينك المجلسين البتة . وكذلك لا يجوز لرئيس الجمهورية ان يعرض مشروع قانون على المجالس أو المداخلة بشؤونها التشريعية فانه مع الوزراء أصحاب السلطة التنفيذية ولا يد لهم في الامور التشريعية.

وقد يظن البعض بناء على ماتقدم ان رئيس الجمهورية آلة بيد المجالس النيابية والحقيقة ان له من السلطة القانونية ماليس لكثير غيره من رؤساء الحكومات الجمهورية .

فهو اذا اراد وضع قانون لم يقدم به مشروعاً الى المجالس من عند نفسه بل يوعز الى أحد انصاره السياسيين من أعضاء مجلس الامة أو

السنات فيقترح هذا العضو على المجلس الاقتراح المطلوب فيضعه المجلس موضع البحث والمناقشة وبذلك يتم ما أراده الرئيس .

فهو اذاً قادر على اقتراح وضع القوانين ان لم يكن مباشرة فضمناً وهذا ماجرى أمس في مشروع الشرعة ملايين جنيه التي قررتها المجالس للدفاع عن الوطن فان الرئيس أوعز الى صديقه النائب مستر كنون ان يقترح ذلك على المجلس فتم ذلك على ماقلته الينا الرسائل البرقية .

أما وقد علمنا الآن ان الرئيس حيلة في وضع النظامات التي يرى لزومها بقي لنا ان نعلم مقدار ماللرئيس من السلطة وما يكون من أمره عند خروج أحد المجلسين عن سواء السبيل بتقريره ما لا ينطبق على المصلحة العامة وسياسة الرئيس .

نقول ان للرئيس والحالة هذه سلطة الاعتراض على المجلس فيما قرره وارجاع قراره اليه ليعيد النظر فيه مشفوعاً برسالة منه يظهر فيه وجه الخطأ ورأيه في الوجهة التي يجب على المجلس قصدها مراعاة للحق أو المصالح العام . وعلى الرئيس حينئذ ان يطبع صورة ذلك القرار والرسالة التي بعث بها الى المجلس وينشرها في البلاد لتطلع الامة عليها وتبدي رأيها فيها . وعند بحث المجلس في هذا القرار المردود لا يكون تقرير رفضه أو قبوله الا باكثرية ثلثي الاعضاء وبعد قراءته ثلاث مرات في المجلس . فان بقي المجلس مصراً على قراره كان للرئيس ارسال ذلك القرار للمجلس الثاني بالصورة الاولى بعد نشره ونشر آرائه فيه لتقف الامة عليها وتكون الحكم فيها . وغني عن البيان ان المجلسين لا يستطيعان في هذه الحال ان يحكما حكماً لا يرضاه الرأي العام لان الشعب لهما بالمرصاد وهو الحكم

الاعلى في تلك البلاد المتمدنة

ومن المعلوم ان اشهار الحرب مختص بالمجلسين لا برئيس الجمهورية، غير ان للرئيس حق الاقتراح ضمنا وحق الاعتراض مباشرة كما ذكرنا، فان أراد المجلسان اعلان الحرب الآن كان له ان يقترح على انصاره الاعضاء ان يقاوموا مريدي الحرب أشد مقاومة . فان غلبوا على رأيهم وتقرر اشهار الحرب كان للرئيس ان يرد ذلك القرار للمجلسين ليعيدا فيه النظر ويقرروه بأكثرية ثلثي الاعضاء لا بأكثرية قليلة بعد ان ينشر سلامة آرائه في المسألة . ولا يعدم حينئذ من عقلاء الامة الاميركية من يرون رأيه الصحيح في ايثار السلم على الحرب والتمدن على البربرة فيتكاتفون على الوقوف في وجه من يريدون اضرام نار الحرب للتشفي والانتقام أو للربح من وراء المضاربة والالتزام

فيما مر بك تفسير لما رواه روتر من عزم اسبانيا على استرجاع سفيرها من الولايات المتحدة حين تصديق الرئيس مكنلي على قرار مجلس الامة . ذلك انها ترى في تصديق الرئيس اعلانا للحرب وقطعاً للامل في السلم أما قرار المجلس فلا تعبأ به اذا للرئيس مكنلي ان يرده بالصورة الآتية

اذا صدق من قال بأن السلم والحرب بين يدي مستر مكنلي رئيس الجمهورية فحبذا لو يحقق آمال محبي السلام في تغليب الحلم والعقل على الطيش والجهل وحب الانتقام «ف»



كيف السبيل (*

قلنا ان الطريقة المثلى لابطال منكرات الموالد (وغيرها) انما هي طريقة الوعظ والتعليم وقلنا ان ذلك على ثلاثة ضروب ، الخطابة ، وقراءة علم الاخلاق والآداب ، وسلوك طريق التربية عملاً وتحققاً وهو المعبر عنه بالتصوف ، ولا شك ان هذه الثلاثة لو أعطيت حقها من العناية لنهضت الأمة نهضة الاسود فاستردت مفقوداً ، وحفظت موجوداً ، وبعثها الله مقاماً محموداً ، هذه الثلاثة هي الاركان التي قام عليها بناء الاسلام وحفظ مجده بمراعاتها الى أجل مسمى وما انثلمت هذه الاركان في مكان الا انثلم شرف الاسلام وما تقوض صرح عزه في قطر الا بعد ان تقوضت هذه الاركان الثلاثة يشهد بهذا تاريخ هذه الامة لمن نظره بعين التأمل والاعتبار . ولا نطلق للقلم العنان للجري في هذا المضمار كما يشاء فقد وعدنا ان نخص القول فيما يتعلق بمنكرات الموالد ووفاء بالوعد نقول .

« الركن الاول الخطابة »

يمكن للجنة العلماء التي تجتمع للمذاكرة في ابطال المنكرات ان تكلف أحد اعضائها الفصحاء بانشاء خطب تزجر عن هذه المنكرات زجراً مفصلا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وتبين للناس حقيقة التوحيد وان الاولياء أحياء وأمواتاً « لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً » بل توضح لهم ان القرآن صرح بان النبي

*) نشرت في فاتحة العدد السابع الذي صدر في ٥ ذي الحجة سنة ١٣١٥ هـ ٢٦ ابريل سنة ١٨٩٨ م

(بله الولي) بشر مثلنا وانما يتميز على سائر الناس بما منحه الله به من الوحي الذي يعمل به على الوجه الاكمل ويعلمه الناس وانه ليس عليه الا البلاغ والتعليم فلا يقدر على هداية أحد من نفسه « ليس عليك هداهم » «انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » واذا كانت الهداية التي جاء لاجلها لا يقدر على ايصالها للناس وانما عليه بيان طريقها فقط فهو لا يقدر على ايصال المنافع الدنيوية اليهم بالطريق الاولى « أنتم اعلم بامور دنياكم » الا ما يكون مما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض وتنبه على ان المعجزات والكرامات ليست من الاسباب التي تناط بها مصالح المعاش وتبنى عليها الاعمال الكونية بل هي من الامور النادرة التي لا يبنى عليها حكم وليست مما يحصل بقدرة من تصدر على يديه وارادته كالافعال الاختيارية التي يتمكن من فعلها متى شاء بل لا يجريها الله تعالى على أيدي اصفيائه الا لحكمة بالغة كاقامة الحجة على صدق الانبياء في دعواهم النبوة . وتشرح لهم ان الله تعالى تفضل على عباده فجعل لكل شيء يحتاجه الانسان في حياته أسباباً تؤدي اليه وهدى الناس الى اتباع هذه الاسباب فجعل لهم السمع والابصار والافئدة لعلهم يشكرونه باستعمالها فيما خلقت له على الوجه الذي تجتنب فيه المضار وتجتلب المنافع واذا هم شكروه باستعمالها زادهم نعما بهدايتهم الى ما لم يكونوا يعلمونه من أسباب السعادة بما علموه وعملوا به منها « من علم بما عمل ورثه الله علم مالم يعلم» واذا هم كفروا النعمة باهمال أسباب السعادة التي أنعم عليهم بها تكاسلاً أو اعتماداً على الخوارق وابطال سنة الله تعالى في الكون فان الله يعذبهم بالحرمان من السعادة كما هو

منصوص في الكتاب السماوي ومشاهد في كتاب الكون الانساني « واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » وكفى بكتاب الله تعالى حجة وبمشاهدة سنته في خلقه عبرة « ولكن أكثر الناس لا يعقلون »

بمثل هذه المواضيع تنشأ الخطب ويوحى الى الخطباء ان يخطبوا بها لا بمدح الايام والشهور وذكر المواسم التي يعرفها الجمهور بل والناس أجمعون . فاذا أنشأت اللجنة خطباً منبهة على الحق منذرة بخطر الانحراف عنه في الدنيا وفي الآخرة وعهدت بها الى خطباء القطر في جميع البلاد فلاشك ان الخطباء تلبي طلبها وتمتثل أمرها ويكون لذلك أثر ظاهر « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

ثم ان الخطابة لاتنحصر بمنابر المساجد فينبغي للعلماء الاتقياء الذين يغشون مجامع الناس في الموالد ان يخطبوا فيهم في كل مجتمع ويحذروهم من اجتراح السيئات واقتراف المنكرات ويبينوا لهم منازل اليوم بعبارة واضحة يسهل عليهم فهمها واذا كانت عامية أو قريبة منها يكون حسناً . أما وسر الحق لو انتهج أهل العلم هذا المنهج مع العامة لما رأوا منهم الا اقبالاً وقبولاً فانهم قوم لا يتمارون بالنذر ولا يستنكفون عن الخضوع للحق لاسيما اذا جاء بعنوان الدين على لسان العلماء والصالحين . ان الذي يستمسك بالباطل اذا توهمه دينا كيف يكون حاله اذا سطع نور الحق في قلبه بالارشاد والتعليم الصحيح لاجرم ان استمساكه به يكون عظيما . انظر تاريخ الشعب المصري وتأمل حالته اليوم . تراه في جميع اطواره وأدواره خاضعاً لرؤسائه لا يفتات عليهم ولا يستبد دونهم بشيء . فجميع

ما طرأ على هذا الشعب وجميع ماهو فيه الآن انما منشؤه ومصدره الرؤساء سواء كان ذلك في الامور الدينية أو الشؤون الدنيوية . وربما اضر هذا الخلق (الخضوع والانقياد) بالمتخلقين به في بعض الاطوار . لكنه يكون في طور الاصلاح والارشاد أكثر للخير اسراعا وأشد في مضاره اجحافاً وايضاعاً .

دخل كاتب هذه الكلمات احدى الخيام في المولد فرأى شيخاً من البهاليل المعتقدين وقد التفت عليه النساء واحدق بهن الرجال والبعيد من هؤلاء وهؤلاء يجتهد في ان تصل اطراف بنانه اليه فتلمسه وعند ذلك يرى نفسه سعيداً وقد شبرق القوم من التجاذب ثيابه ، يرجون بركة ذلك وثوابه، فسألت من في حاشية المجتمع عن الشيخ فقيل لي هو الشيخ عبد الغني أبو العيط وهو من الاولياء الذين يفيضون البركات ، ويكشفون الكربات ، فانشأت أبين لهم معنى الولي وانه انما يمتاز عن الدهماء بالعلم والعرفان، وتقوى الله تعالى في السر والاعلان، الخ . ثم بينت لهم غلوّهم في الاولياء وغرورهم وانخداعهم بالدجالين ، أمزج الكلام في ذلك بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية ، ومنثورات مما يؤثر عن الصالحين، فاقبل القوم علي بعد انكار قليل وتركوا الولي والنساء ثم اجلسوني وأحاطوا بي وطفقوا يسألون واجيب . وألقيت عليهم في خلال ذلك ما يجب اعتقاده في الله تعالى واطلت بعض الاطالة في بيان الوحدانية ثم افهمتهم معنى سلوك الطريق وان جماهير المنتسبين للصوفية اليوم منحرفون عما كان عليه اسلافهم من الحق والاعتصام بالكتاب والسنة وأدخلوا في الطريق بدعاً وعادات لم يكن يعرفها الاولون . فسلموا بجميع ماقلته لهم تسليما ورغبوا الي ان أسلكهم الطريق على وفق الكتاب والسنة ، كما حكيت لهم عن سلف

الامة فاعتذرت لهم وفارقتهم وهم آسفون وما كادوا يسمحون لي بمغادرتهم حتى أظلنا الليل وشيعوني باحتفال حافل، وتقبيل أنامل،

هؤلاء هم المصريون ان شئت قل في سوادهم الاعظم انه من شر الشعوب حالة في الدنيا والدين وان شئت قلت انه خير الشعوب وأفضلها لان خير مايمتاز به الانسان هو قوة قابليته للتربية والتعليم . وللشعب المصري من ذلك السهم الاوفر والقدح المعلى وانما قصر بهم الاساتذة والمعلمون

فياهداة الامة ويا ورّاث الرسل ادركوا هذا الشعب بالارشاد والتعليم الصحيح الذي يهديهم الى مصالحهم الدينية والدنيوية . ادركوا قومكم من قبل ان يخرج أمرهم من أيديكم فان اراء وتعاليم أخرى تدب الى نفوسهم من حيث لايشعرون . ان الخرافات التي يتراءى للبعض انها تعطيهم قوة وصلابة في الدين ، حيث قد أخذت بعنوان الدين ، هي التي يخشى ان تكون العاملة على هدم الدين وتلاشيه اذا تنبهوا لفسادها وحالة العصر تقضي ان سيتنبهون

ان الحق لا يأتي من طريق الباطل وان الهدى لايحتاج في حفظه الى الضلال . فادركوا الامة قبل ان تفقدوها فانتم عنها مسؤلون « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

« الركن الثاني قراءة علم الاخلاق والآداب الدينية »

هذا العلم هو الذي يعرف الانسان حقيقة الدين ومنه تستمد الخطابة والوعظ . فان من درس هذا العلم ومارس أحكامه وتوسع فيها يعطيه

ذلك قوة على الوعظ والارشاد واذا حاول الوعظ وزاوله وثابر عليه حيناً من الدهر انطبعت في نفسه ملكة صحيحة وصار خطيباً حقيقياً (في هذا الموضوع) فنرجو من سادتنا علماء الازهر الشريف ان يعطوا هذا الفن حقه من الاعتناء ليخرج الطلاب من هذا الجامع متفقهين في الدين عارفين بحقيقته عاملين على احيائه في بلادهم وأوطانهم « ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »

الا إن قراءة أحياء العلوم خير من قراءة الكتب التي تميتها كحاشية الصبان ونحوها من الكتب المملوءة بالآراء التي هي امشاج واخلاط من فنون شتى بل ليست بشيء من الفنون . وان البحث عما يطبع ملكات الفضائل في النفس ، أفضل من التفرقة بين اسم الجنس وعلم الجنس ، وان معرفة أمراض الروح وعللها وكيفية معالجتها والادوية التي تعيد اليها صحتها هي أحرى بالعناية واجدر بالتوسع والتطويل من التوسع في معرفة علل الكلام، والتطويل بالقيل والقال، لاسيا على الوجه المعروف الذي يفسد الاذهان، ولا يقوّم اللسان ، بل ان إشغال الوقت في عرفان طريق التخلية عن الحسد والعجب والكبر والترفع عن الكذب والخيانة والوقاحة وسائر الرذائل التي تفسد أعمال الانسان، وتهبط بذويها الى أسفل دركات الذل والهوان، هو أولى من اشغاله السنين الطوال بمعرفة دقائق أحكام المدبّر والمكاتب وأمهات الاولاد، ونوادر الفروع في الجنايات، والحدود والعقوبات وما أشبهها من المسائل الفقهية التي أهملها أهلها فصارت آثاراً تاريخية . فما بالك بالابحاث العقيمة لذاتها التي يهبها الانسان عمره النفيس جزافاً بلا عوض كالبحث في الماهيات هل هي مجعولة أو غير مجعولة . وعن الجعل

البسيط والمركب ، والهيولى والصورة ، والوجود هل عين الموجود أو غيره ، والجزء الذي لا يتجزأ ، وعن مناكحة الجن وصحة الاقتداء بهم ونجاستهم اذا تشكلوا بصورة حيوان نجس أم لا وعن الحيوان المتولد بين نوعين مختلفين وغير ذلك المستنبطات التي وصلوا بها الى حد فرض المستحيلات العقلية والعادية (كما صرح بعضهم) والتي بها عاب الامام حجة الاسلام فقهاء عصره ، وبين انهم اهملوا الفقه في الدين (التهذيب) واشتغلوا عنه باستنباط مسائل تفني الاعمار ولا يحتاج الى شيء منها . لا اطيل في القول فان كل من لاحظ ان العلم انما يراد للعمل وان العمل ينتج السعادة يعلم علم اليقين ان علم تهذيب الاخلاق هو أحق بالعناية من سائر العلوم وأولى بالتقديم على ماسوى العقائد بل قال بعض الائمة (وأظنه امام الحرمين) ان الاخذ بتهذيب الاخلاق علما وعملا هو أول ما ينبغي ان تتحلى به نفس الانسان وقد بينا في العدد الرابع انه سعادة الدنيا والآخرة في التهذيب وأيدنا ذلك بالآيات العقلية والنقلية وقد صرح الفقهاء بان هذا العلم من الفروض العينية التي يجب على كل مكلف من ذكر وأنثى معرفتها فكيف لا يكون أحرى بالعناية من فنون اللغة ومعاملات الفقه الواجبة على سبيل الكفاية

لم يغفل عن هذا مجلس ادارة الازهر فقد حتم (أيده الله تعالى) في قانون التدريس اقراء هذا الفن الجليل ومن الأسف ان نرى الجماهير غير ملتفتة اليه وعسى ان يروا في الامتحان ما يحملهم عليه ، ولنمسك عنان القلم فقد جمح بنا حتى خرجنا عن الشرط الملتزم

« الركن الثالث التصوف – أو سلوك الطريق »

ليس من غرضنا الآن البحث في اشتقاق لفظ التصوف أو بيان تاريخه ولا شرح حدوده ورسومه وانما نقول ان التصوف في الاسلام هو عبارة عن التخلق بالاخلاق الفاضلة وما تستتبعه من اعمال البر والتقوى وذلك هو الاسلام الحقيقي الذي كان عليه سلف الامة الصالح ولما حدثت الفتن في المسلمين وطفق الناس ينحرفون عن الدين تميز المتمسكون بما كان عليه السلف الصالح باخلاق واعمال صاروا بها فرقة مستقلة ثم مازجت كتبهم تعاليم غريبة وحدثت لهم اصطلاحات خاصة حتى عدهم بعض مؤرخي الافرنج فرقة من الفرق التي انفرقت من الاسلام ثم طرأت عليهم احوال، وصدمتهم من المخالفين اهوال، فرقت شملهم ونثرت عقد انتظامهم حتى صار الصوفي كالعنقاء ان كان موجوداً فتحت حجاب الخفاء «فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات» وجعلوا طريق القوم شارات واشارات . وهم الذين يعرفهم القارئ بانهم مصدر تلك المنكرات . ومهد هاتيك الموبقات (الا من حفظه الله تعالى) والذي ينفسح لنا مجال القول فيه الآن مما يتعلق باصلاحهم . هو استلفات انظار شيخ الشيوخ صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكري الى منع الجهلة والدجالين من التصدي لاسلاك الطريق واناطة ذلك برجال من أهل العلم والتقوى يعرفون كيف يستأصلون البدع ويزيلون المنكرات ولقد ذاكرنا سماحته في هذا الموضوع فأفادنا ان ذلك من مطامح رغبته ومرامي همته وعسى ان يكون العمل قريباً

صدمة جديدة على اللغة العربية

٢

المعنا في العدد السالف من جريدتنا الى ان الساعين في محو اللغة العربية الصحيحة من الوجود قد استنبطوا لهذه الغاية حروفاً لاحياء اللغة المصرية العامية — حروفاً افرنجية تقرب من يتعلمها من اللغات الافرنجية وتقصيه عن لغة كتابه ودينه واسلافه الذين يفتخر بهم ويباهي بعلومهم وآدابهم وتقطع النسبة بينه وبين مشاركيه في الدين واللغة من أهل البلاد الحجازية المقدسة وسائر البلاد العربية التي تكتنف البلاد المصرية وترجو ان يلمع نور احياء العربية من ربوع مصر واكنافها فيستضيء به كل من ينطق بالضاد

جاء في أول الكراسة التي ألفت في بيان فوائد هذا الاختراع ان الذي « استنبط هذه الحروف (ولهلم سبتا) بك أمين الكتبخانة الخديوية اللغوي الالماني المحقق الذي توفي سنة ١٨٨٣ وهو في الثلاثين من عمره . وقد استمد لذلك بدرس حروف الهجاء وأساليبها في كل لغات الارض ولا سيما تغييرات حروف الهجاء اللاتينية المستعملة الآن في أوربا وأمريكا »

وجاء فيها أيضاً مانصه « وألف سبتا بك كتاباً المانياً في صرف هذه اللغة العربية المصرية ونحوها وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي وضع للغة من اللغات العربية العامة . وجمع كتاباً أيضاً في الامثال العامة وقصصاً في اللغة العربية المصرية وترجمها الى اللغة الفرنسوية . وكان عارفاً تمام المعرفة باللغة المستعملة في كل القطر المصري ومحباً للمصريين وغيوراً على مصلحتهم ومهتماً بخيرهم ونجاحهم » اه

أما هذه المحبة والنيرة فان آثارها تشبه آثار العداوة والبغضاء . متى وجد غربي يسعى في خير الشرق للشرق ؟ اما انه لم يوجد الا أناس تظاهروا بأعمال مفيدة لاهل الشرق فساعدهم عليها أهل الشرق لكنهم لم ينالوا منها الا الحرمان واجتنى ثمارها دونهم العاملون (تأمل ترعة السويس وغيرها) انهم ليختلبون عقولنا بالقول المموه الظاهر الذي يخدع به المعتقدون عظمتهم والمشاهدون صدقهم في بلادهم وابني أوطانهم ولكن أصحاب البصائر يعرفونهم في لحن القول ويتنسمون اغراضهم من مطاوي الكلام بل يتهمونهم في كل مايدّعون وان لم يظهر فيه وجه للخديعة عملاً بالقاعدة العامة التي عرفوها بالاختبار وهي أن الغربي لا يعمل عملاً الا لمنفعة وطنه وأمته . على أن بعض دعاويهم الكاذبة لاصلاح الشرقيين هي من الظهور بحيث يراها العميان ولا تخفى على الصبيان (نعم انها تخفى على الخشب المسندة) كالمسألة التي نحن فيها الآن . اما حجج صاحب الكراسة الاربع فهي داحضة عند من يبصر ويسمع وانا نشرح ذلك بالتفصيل الذي يسمح به المقام على ماوعدنا في العدد السالف فنقول :

قال مبين فوائد الاختراع ومؤلف الكراسة (ولا ندري من هو ولا سبب اخفاء اسمه ولعله للاخلاص في هذه الخدمة) « ان نتيجة ذلك ستكون خيراً على القطر المصري . أولاً ان استعمال هذه الحروف يفيد تجارياً لانه اذا قدر التجار الاجانب والعملاء الذين يرسلونهم الى القطر المصري أن يتعلموا اللسان المستعمل هنا بحروف سهلة التعلم فكثيرون منهم يتعلمون هذا اللسان فيصير التاجر المصري قادراً على المعاملة معهم بلسانه من غير

أن يتعلم اللغة الانكليزية او اللغة الفرنسوية فتسهل المعاملة التجارية والاجتماعية على كل طبقات الناس »

(المنار) ان سهولة المعاملة التجارية على الاوربيين وتعميمها في القطر هي نكبة شديدة على المصريين بل جائحة تلف عليهم ثمار اعمالهم بل تنزع منهم جميع ما بأيديهم من مال وعقار وتجعلهم اجراء للسادات الذين يمتلكون بلادهم بما لهم من المهارة في الكسب والحذق في استعمار الارض . ثم يعم بلادهم الفجور والخمور التي تسلبهم ماينقده لهم السادة المالكون من الاجور على اعمالهم اليومية وتكون فائدتهم انهم خرجوا من كل شيء وفقدوا كل شيء وانقطع أملهم من كل شيء الا الحركة الدائمة في خدمة سادتهم العظام كسائر الدواب والانعام . والسعادة لن يفوز بدوام خدمتهم فانهم اذا تمكنوا في الارض يستغنون بالآلات الصناعية عن العمال والصناع الا قليلا منهم ويضطر أهل البلاد الاصليون الى المهاجرة والجلاء الا من يلتصق بهم ويتجنس بجنسيتهم لغة ودينا * لا مبالغة في القول فهذه طبيعة الوجود الانساني تنطق بكل لسان بأن العالم يستخدم الجاهل والقوي يستولي على الضعيف ما وجد الاول للوصول الى الآخر سبيلا ، وليس بعد المشاهدة معاندة ، ومع العيان لا يحتاج الى برهان .

قال مختلق الفوائد : « (ثانيا) ان لاستعمال هذه الحروف فائدة كبيرة في التعليم فان عامة المصريين مثل عامة الشعوب الأخرى لا يمكن تعليمهم مالم يتعلموا في المدارس اللغة التي يتكلمونها ويتعلموها بواسطة حروف هجائية بسيطة سهلة المأخذ » الخ

(المنار) ان الغرض من تعليم وتعلم القراءة والكتابة هو

نشر العلوم والفنون فأي علم وضعت فيه المصنفات وأي فن دونت فيه الدواوين باللغة العامية المصرية فيسهل تناوله من كتب، على من قرء وكتب، ؟ يوجد في اللغة العربية الصحيحة الوف والوف الوف من كتب العلوم والفنون في اللغة وآدابها وفي الدين من عقائد واخلاق وشريعة وفي جميع الفنون القديمة والحديثة، فهل يكون صعود المصريين في مراقي التعليم الى قنة السعادة العليا بترك هذا كله وتعلم اللغة العرفية في المدارس بحروف افرنجية ؟ أظن أن الكتابة بالحروف الافرنجية تكون عزاء لهم عما فقدوا، وعزاً وشرفا فيما وجدوا، لانها افرنجية . !!

لعل الساعي بنشر هذا الاختراع يقول في تمويهه وخلابته : ان المصريين اذا اقبلوا على تعلم هذا الخط وعم ارجاء القطر يتعلم الاجانب لغتهم واذا تعاموها ومازجوا أهلها كمال الممازجة يحملهم حب الانسانية على تأليف كتب بها في جميع الفنون فيصبح القوم في جنة من المعارف عالية، قطوفها منهم دانية، : ويسهل علينا أن نقول في جوابه (اولا) ان هؤلاء الاجانب لايحبون منفعة أحد من العالمين الا ابناء جنسهم . ومن يوجد منهم محباً للانسانية لاتتناول محبته أهل الشرق لانه يعتقد خروجهم من نوع الانسان (ثانياً) اذا سلمنا انهم محبون لكل انسان، ومخلصون بنشر المعارف في كل مكان، فلا نسلم انهم يقتدرون على ابراز علومهم في قوالب هذه اللغة السخيفة، والباسها هذه الخلقان الضيقة، كيف وهم يزعمون أن اللغة العربية (سيدة اللغات) لاتفي ببيان مخترعاتهم، وقاموسها المحيط لا يحيط ببعض مكتشفاتهم، وانها هي التي قصرت ببنيها عن التوسع في العلوم والفنون العصرية، كذب الخالبون ان اللغة العربية

ماقصرت ولكن قصرت الهمم ، وان الامم لاترتقي بلغاتها ولكن اللغات ترتقي بالامم،والوجود أعدل شاهد،لا ينكره الامكابر او معاند ، (ثالثا) اذا فرضنا انهم يقدرون على جعل هذه اللغة الفقيرة لغة علوم وفنون وانهم بعد أن يتعلمها الشعب المصري بحروفهم يتعلمونها ويؤلفون فيها الكتب المطلوبة ـ فهل يكون هذا اسراعاً في ارتقاء المصريين ، مع أن الشروع به لايمكن الا بعدعشرات من السنين ،؟ كلا ان قوله ان المصريين لايمكن تعليمهم مالم يتعلموا في المدارس لغتهم التي يتكلمون بها بحروف سهلة كهذه الحروف قول جاء على خلاف الحقيقة ، والصواب انهم اذا اقتصروا على تعلم لغتهم هذه يحرمون من كل علم سواء كان تعلمها بحروف افرنجية ام بحروف سماوية ، واذا تعلموها مع غيرها من اللغات التي يمكن تحصيل العلم بها كلغة اجدادهم،اولغات الطامعين فيهم،فانها تكون عائقاً لهم عن التعلم والتحصيل لانها تزاحم العلوم النافعة وتأخذ زمناً من وقتها فاذا قيل انه لا يمكن تعلمها هي (اللغة العامية) الا بمثل هذه الحروف السهلة قلنا ان نهيق (الحمارة) وصلصلة (اللجام) ونزيب (الغزالة) وبغومها «صوتها» يكذب هذا القول فان لم يقتنع قائله سلطت عليه (الشيطان) (*) فهو أولى باقناعه من الحيوان . ثم يعسر تعلم العامية بالحروف العربية اذا كان مشروطاً معه عدم تعلم شيء من العربية (كما هو المقصود) ولكن هذا ضرر على المصريين لانفع لهم فليكن متعذراً لامتعسراً .

قال مبتدع الفوائد :

---

*) الحمارة واللجام والغزالة والشيطان : اسماء جرائد كانت تصدر باللغة العامية وقد فسرناها في هامش هذه الطبقة لأن أكثرها نسي

«(ثالثاً) ان استعمال هذه الحروف يحفظ اللغة العربية (أي العامية) فان كل تلميذ في المدارس العليا يتعلم الآن الانكليزية او الفرنسوية ولا تمضي مدة طويلة حتى يشيع تعليم اللغات الاجنبية في المدارس الابتدائية أيضاً في المدن والارياف فيضطر اغلب السكان الى تعلم لسان أجنبي فكم تبقى اللغة العربية بعد ذلك سواء كانت معربة او غير معربة؟. كم بقي الى الآن من اللغة القبطية وقد كانت اللغة العامة في هذا القطر؟ وكم تبقى عربية أهل الجزائر حيث صارت المدارس فرنسوية؟ فالطريق الوحيد لحفظ اللغة العربية مما حل باللغة القبطية هو حفظ اللسان الحي من الضياع باستعمال حروف هجائية يكتب بها»

(المنار) ان هذه النصيحة «لو كتبت — كما قال الف ليلة وليلة — بالابر على آماق البصر، لكانت عبرة لمن اعتبر» اذا كان أدهى الناس وأشدهم حذقا في الخلابة والخديعة هو الذي يستطيع أن يبرز المضرة في صورة المنفعة، ويقيم من الخزي والشقاء مثالا للفوز والسعادة، فلا جرم ان من ينخدع له يكون أحمق الناس وأرسخهم قدماً في البلادة والهمجية. لقد وضع صاحب هذه الكراسة أصلا صحيحاً وبنى عليه حكماً باطلا. الاصل الصحيح هو أن اللغة العربية معرضة للتلاشي والامحاء من القطر المصري الذي يتبعه سائر الاقطار لان من سنة الله تعالى في الكون ان الضعيف يقلد القوي والمغلوب يحتذي مثال المتغلب عليه في سائر شؤونه وبذلك انتشرت اللغة العربية في بلاد الروم والفرس والبربر وانتشرت اللغة الانكليزية في اميركا واستراليا...

كانت هذه السنة جارية مع عدم مجاراة المتغلبين لها ومساعدتها بقهر

المغلوبين واجبارهم على تقليدهم وانتحال عوائدهم ودينهم ولغتهم او بأخذهم بالتربية والتعليم اللذان يفيدان مالا يفيد الالزام والاكراه كما تعلم من تاريخ دولتي الاسلام العظيمتين العربية والتركية . فكيف يكون سيرها اذا ساعدها المتغلب عن عقل وحكمة فسهل امامها الطرق ومهد لها العقبات ؟ ان المعارضة كما تكون في القواعد الفكرية والشرعية تكون ايضاً في السنن والنواميس الطبيعية ويمكن للانسان في هذه أن يقوي المرجوح ويضعف الراجح بما يهديه اليه العلم فيختلف الترجيح .

كانت اللغة العربية سائرة على سنن الطبيعة مع فتوحات الاسلام فعارضها ما اوقف سيرها في بلاد الفرس وغيرها ثم ارجعها القهقرى ولو كان لها انصار عارفون بعلم طبيعة الكون لامكنهم ازالة تلك العوارض وجعلها لغة جميع من أظله لواء الاسلام. ان الامم الغربية هي التي افادها العلم الطبيعي ماتقدر به على محو كل لغة تبوأت أرض اهلها اذا لم يعارضها أهل تلك اللغة بما يدفع تيارها عن علم وبصيرة . وما يقال في اللغة يأتي في الدين وفي سائر الشؤون . هذا هو الاصل الصحيح الذي جاء به صاحب الكراسة واشار الى اثباته بشهادة التاريخ وقد زدناه بياناً وايضاحاً .

واما الفرع الباطل الذي بناه على هذا الاصل فهو انه يجب معارضة الناموس الطبيعي الذي ذكره بنبذ اللغة العربية ظهريا وتعلم العامية (التي سماها عربية) بحروف افرنجية أيها الاحمق بل العاقل المستحق لجميع المصريين اذا كانت لغة العلم والدين لاتقوى على صد هذا التيار المنحدر ولا يمكنها البقاء معه (كما زعمت) فأنى يمكن بقاء هذا الهذر والخطل والكلام المسلط (الذي لانظام له) ألا انك تعلم ان ما قلت انه يحفظ العربية هو اجهاز سريع عليها

ولكنك غوي مبين . لا ريب اننا في أشد الحاجة الى تغيير طريقة التعليم التي عليها أهل الازهر وسائر المدارس العربية والى اعصار فيه نار تحرق الكتب المملوءة بالآراء والخلافات والشكوك والظنون والخرص والتخمين والايجاز المخل والتطويل الممل ... والا فلا يمكن ان نخطو خطوة ، أو ننهض من كبوة ، والبحث في هذا من أهم ما انشيء له المنار ولكل قدر أجل ، ولكل وقت عمل »

قال منتحل الفوائد : « (رابعاً) ان هذه الحروف تقل بها نفقات الطبع فيسهل تأليف كتب جديدة متقنة للتعليم ويزول بها خليط الالسن المستعمل الآن في القطر المصري لانها تسهل على الاجانب تعلم لسان السكان فيصيرون يستعملونه في مخاطبة الاهالي بدل لغاتهم المختلفة ويسهل بها استعمال آلة الخط »

(المنار) أما قلة نفقات الطبع فلا شك فيها بل ان الطبع ينعدم بالكلية إلا من الاجانب لان هذه اللغة لا يمكن ان تكون لغة علم ولا هي لغة دين فلا حاجة لكتب تطبع فيها الا ما يتعلم به الخط المخترع ويكفي له الكراسة التي ألفها وأمثالها من الرسائل الصغيرة التي يمكن طبعها في المطابع الافرنجية (وهي كثيرة في مصر) وتنطمس رسوم المطابع العربية بتعميم هذا التعليم ويستغنى عما طبع وعما كتب بالحروف القديمة واللغة البائدة ويكون ذلك من الاقتصاد وتقليل النفقات التي تستفيدها البلاد المصرية !!! (نعوذ بالله من الوقاحة ومن غمط الحق واحتقار الناس) أما قوله « ويزول بها خليط الالسن الخ » فهو مما لا ريب فيه أيضاً ومما يحسن التنبيه عليه ان اللغة العامية التي لاجلها استنبط هذا الخط المخترع (كما زعم) هي مما يزول قبل اللغة العربية الصحيحة لان هـذه تتوكأ على الدين فلا تمحق بالكلية حتى لا يبقى له بقية (والعياذ بالله تعالى) كما هو شأن اللغة اللاتينية

في البلاد الاوربية، يزول هذا الخليط كما قال ولا يبقى الا لغة أو ثنتان من اللغات الاجنبية وهذه هي العلة الثانية للاختراع والاهتمام في نشره وقوله « وتقوى الرابطة الوطنية بين كل طوائف السكان » يصدق بالوطنية الاجنبية الطارئة فانها هي التي تبقى ويزول كل ما عداها فمن أمكنه ان يلتصق بها كان من أهلها وينقرض باقي الامة كما انقرضت هنود أميركا وبهذا الشرح تفهم النتيجة التي استنتجها حق الفهم كما يفهمها هو لا كما يريد ان يفهمها المصريون وهي قوله « ونتيجة ذلك جعل الامة المصرية أمة متعلمة عزيزة الجانب متحدة الكلمة » ولا يكون ذلك الا بقطع كل علاقة ورابطة بينها وبين ما يتصل بها من الاقطار وتعميم لغة أجنبية فيها ليتمكن أهلها في الارض ويكونوا هم الوارثين، عند ذلك تكون الامة التي تتبوأ مصر عزيزة الجانب كما هي عزيزة الجانب في سائر الاقطار والامصار !!!

اذا ألقي ما شرحناه على المتحذلقين من المصريين ينغضون رءوسهم ويحدجون بأبصارهم ويقولون « ا كبار وتهويل، وصياح وعويل، وما هو الا كلام بكلام » أما العقلاء فيعلمون انه كلام حق وان الافرنج اذا قالوا فعلوا، واذا عملوا أدركوا، وانهم مادخلوا قرية، ولا خالطوا أمة، الا أفسدوا كيانها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون

ان نفوس سكان الولايات المتحدة نيف وسبعون مليوناً وليس فيهم هندي من السكان الاصليين ، لا أبعد عليك في المثال هذه بلادك التي تسكنها أيها الغافل انظر فيها ان كان لك بصر، واعقل ان كان لك لُب، ثم ارجع الي باللوم والتفنيد، أو بالشكر والتحبيذ، (*)

(*) انني لم اقرأ هذه المقالة بعد كتابتها الا عند اعادة طبعها الآن أي بعد

(رواية اليتيم)

ان قراءة القصص المعروفة (بالروايات) من أنجح الذرائع في نشر الافكار الصحيحة بين جميع طبقات القراء ومن أكبر وسائل التهذيب . ولها الشأن العظيم في البلاد المتمدنة . وقد انتشرت الروايات بيننا باللغة العربية ما بين منشأة ومعربة لكن أكثرها غرامي يشرح أحوال العشاق ويبين طرقهم ومذاهبهم بحيث لا يكاد يلتفت القارىء لما عساه يوجد في الرواية من الفوائد التي وراء ذلك لاسيما اذا كان في سن الصبا ولسنا الآن بصدد شرح فوائد الروايات وبيان مساويها ونسبة ماعندنا منها لما في البلاد المتمدنة فنؤجل ذلك لفرصة أخرى ونكتفي الآن بأن نقول ان أفضل موضوع تؤلف فيه الروايات هو ماينبه الشبان عموماً وتلامذة المدارس بوجه خاص على حب بلادهم وأوطانهم وجعل غرضهم من حياتهم خدمة ملتهم وأمتهم على الوجه الذي تقتضيه حالة العصر ويبين لهم ان ذلك لا يتم الا بالتمسك بالاعمال والفضائل التي يوجبها الدين ومعرفة الفنون التي عليها مدار المدنية الصحيحة . وقد أهدانا الشاب المهذب أحمد حافظ أفندي عوض الدمنهوري رواية من تأليفه سماها رواية اليتيم . او . ترجمة حياة شاب مصري . تدخل في هذا الموضوع الشريف الذي ذكرناه .

عشر سنين تقريبا ويظهر أني كتبتها في حال انفعال شديد وأنا أرى الآن أن الكلام في الأمور بيين شديد وفيه مبالغة وأعترف بأن بهم كثيرين يحبون الخير لذاته وأن منهم من يحب الشرقيين ويود الخير لهم

ويظهر من كلامه انها قصة واقعية لا مخترعة . ولا بعد في ذلك فقد تصفحناها فلم نر فيها ما يستبعد وقوعه الا ما كان من حال عشق الفتى (المترجم) لبنت جاره وصديق والده . فانه ذكر انهما كانا يجتمعان في حديقة الدار منفردين يتناشيان الغرام ويعرف باجتماعهما والدا الفتاة ويرضيان به بل كان الفتى يجلس مع الفتاة ووالديها على المائدة مع انه يصف أهل بيته وبيت الفتاة بالاعتصام بالدين والتمسك بالعوائد الاسلامية . وأستبعد ان يكون التهاون في الحجاب سرى في هذه الطبقة (التي وصفها في الرواية) من المصريين الى ذلك الحد . الا أن يقال ان هذه الواقعة نادرة . وان ارخاء العنان للفتيان من والديهما كان سببه ثقتهما بحسن تربيتهما فقد نشآ من سن الطفولية معاً كاخوين . ويغتفر في الدوام مالا يغتفر في الابتداء .

ومما تفضل به هذه الرواية كثيراً من الروايات المتداولة ان مايذكره فيها من الغرام لايخرج عن حدود الأدب والعفاف والنزاهة والشهامة . وأكثر وقائع الرواية حوادث محزنة وفجائع مشجية ينفطر لها القلب الرقيق وتنهمل من تصورها العبرات ومن أحسن ماجاء فيها من التنبيهات المفيدة قوله في وصف حالة ابناء المدارس الخارجية (الذين يقيمون خارج المدرسة) مانصه « وجدنا أغلبهم ان لم نقل جميعهم فاسدي الاخلاق وذلك من عدم اشتغالهم بالدروس بل بأشياء أخرى وخصوصاً الذين يأتون من البلاد (خارج القاهرة) فانهم لعدم وجود من يقوم بأمرهم لايهنأ لهم عيش من جهة المطعم والملبس وربما يسكنون في بيوت مضرة بالصحة وربما لايذهبون الى الحمامات الا كل شهر أو شهرين أو ثلاثة ثم لعدم وجود من يراعي سيرهم تراهم يسيرون حسب أهوائهم والشباب مطية الجهل يقوده

المرء الى كل منكر وفاسد هذا فضلا عن أن التعليم في المدارس اعدم مزجه باصول الدين الذي هو اس الفضائل يجعل الشبان لا يعبأون بالآداب ويرتكبون المحرمات ولعمري إن مصر في احتياج الى شبان يعرفون واجب بلادهم وأنفسهم واخوانهم ليكونوا مجموعاً يدعى بالامة المصرية وهذا لا يكون الا اذا مزج التعليم بالآداب والفضائل»

وقوله في الشبان الذي يرجى بتعلمهم رفعة الوطن واعلاء مناره (وذلك من جملة وصية ونصيحة) « ولا شك أنك اطلعت على كثير من تواريخ الامم التي ارتفع شأنها بعد انحطاطها ورأيت أن الشبان هم الذين أقاموا عمادها وانتشلوها من وهدة الدمار والانحطاط . فاعلم ياولدي أن مصر في احتياج الى أفراد يسعون لصالحها كما يسعون لصالح أنفسهم متحدين مرتبطين بالجامعة الوطنية لا فرق بين المسلم والمسيحي والاسرائيلي ولا يعرف ذلك الا المتعلمون مالهم وما عليهم وأنتم ذخيرة هذا الزمن وكأني بمصر وهي تنتظركم انتظار المريض للطبيب لتقوم بكم ما اعوج من أمورها فكونوا معها لا عليها » .

وقوله في وصية أخرى « ان تقدم بلادكم مرتبط بكم وأنتم زهرة مصر فانشروا رائحتها الذكية يشمها القاصي والداني ولا تتكاسلوا أو تتهاونوا في أمرها استخفافاً بانفسكم أو استصغاراً لقدركم . ولا أخالكم الا تعرفون عن شبان أوربا ما أعرفه وزيادة وليكن في علمكم ان تأخر بلادكم تسئلون عنه كما يسئل أكبر الكبراء وأثرى الاغنياء وأفقر الفقراء والقوي والضعيف فكونوا في أمتكم بمثابة الخطباء المذكرين بمجد أجدادهم حاثين على اتباع الفضائل ونفي الرذائل وبذلك تقوى عصبيتكم وتجدون من أهل بلادكم

من ينشطكم على أعمالكم فانتم أحوج الى التعاون والتضافر منه الى الشقاق والتنافر ولا تفرقوا فتذهب ريحكم وذكم تاريخ الاندلس وكيف تفرقوا شذر مذر كأن القوم ما كانوا حين انقسموا طوائف طوائف ودبت فيهم روح حب الرئاسة وتركوا الدين وراء ظهورهم ففتك بهم الغير بما تنشق له المرائر وتتفتت الاكبدة — وانظروا الى كتب الفرنساويين الابتدائية كيف أنهم يكتبون أول جملة فيها « الالزاس واللورين أخذتهما المانيا . يجب على كل فرنساوي أن يردها الى بلاده » ومثل ذلك من العبارات الوطنية ليغرسوا في قلوب الناشئين حب بلادهم والسعي وراء الحصول على ما أخذ من حقوقهم . وانظروا الى الامم التي نجحت في رفع شأنها ولا تستبعدوا الطريق فمن جد وجد ومن لج ولج ومن سار على الدوب وصل »

وقوله في الانتقاد على تلامذة المدارس وبيان مغامزهم « لا يعرفون للمنتديات العلمية فائدة ولا يقبلون على الجمعيات الادبية ولا يعرفون الا اليسير عن جغرافية بلادهم حتى يضعها الغريب امام أعينهم وهذا ما يجعلني أعتقد أن السفر الى الخارج بالنسبة للشبان المصريين لا يفيد الامة فالاولى أنهم يتجولون في بلادهم لا لكي ينظروا الاثارات فقط بل لكي يعرفوا القرى وعوائد الفلاح المصري في الوجهين القبلي والبحري ليكونوا على بصيرة من أحوال أمتهم ودرجتها في الهيئة الاجتماعية والعالم المتمدن ليضعوا أمام أعينهم رفع شأنها بالطرق المفيد لها وأنا أؤكد لك أن بعض الشبان الذين حازوا الشهادات العالية في المدارس لا يعرفون كيف يزرع القمح ولا القطن بل لا يعرفون محصولات بلادهم ونحو ذلك مع انك لو سألته عن محصولات مملكة أجنبية لذكرها لك وعدد لك شهرة كل مدينة

وتعداد أهلها واذا رأى فلاحا مصريا هزأ به وظنه بهيما مع أن ذلك الفلاح العاري الصدر والرجلين هو عماد البلاد ومنه تكون معظم الامة المصرية حتى أن بعض هؤلاء الشبان يظن أن الامة المصرية هي الفئة التي تجلس على القهاوي تدخن النرجيله وتلعب النردو الشطرنج والورق وتقرأ الجرائد وتتكلم في السياسية لكن مع ذلك فانا أبشر حضرتكم أن الوقت آخذ في التحول وأن بعض الشبان عرفوا واجب بلادهم وتولد عندهم حب العمل والنشاط اقتداء باميرهم والناس على دين ملوكهم » اه

فنحث الكتبة على انشاء الروايات في هذا الموضوع المفيد وعسى أن يواصل مؤلفها الأديب الجري في هذا المضمار مع مراعاة حسن السبك وسلامة العبارة مع سلاستها التي هي فيها فاجدر المعنى الصحيح، بالاسلوب الفصيح، ونرجو أن يقبل القراء على روايته فينشطونه على متابعة العمل، فبالعمل يحقق كل أمل، اه من العدد السابع

الأدب الصحيح (*)

رغب الينا غير واحد ان نكتب في جريدتنا بعض نبذ في الادبيات يعنون بذلك ماعليه الجماهير من ان الادب هو عبارة عن الشعر والامثال والنوادر والافاكية والا فان معظم مانشرناه في الجريدة هو من المباحث التي تنظر الى تهذيب النفوس وتحليتها بالفضائل، بعد تطهيرها من ادران الرذائل، وليس الادب الصحيح الا هذا فقد قال العلماء ان الادب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه . ولا ريب ان اية رذيلة من الرذائل تشين

(*) فاتحة العدد الثامن الذي صدر في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣١٥

وتعداد أهلها واذا رأى فلاحا مصريا هزأ به وظنه بهيما مع أن ذلك الفلاح العاري الصدر والرجلين هو عماد البلاد ومنه تتكون معظم الامة المصرية حتى أن بعض هؤلاء الشبان يظن أن الامة المصرية هي الفئة التي تجلس على القهاوي تدخن النرجيله وتلعب النرد والشطرنج والورق وتقرأ الجرائد وتتكلم في السياسية لكن مع ذلك فانا أبشر حضرتكم أن الوقت آخذ في التحول وأن بعض الشبان عرفوا واجب بلادهم وتولد عندهم حب العمل والنشاط اقتداء باميرهم والناس على دين ملوكهم » اه

فنحث الكتبة على انشاء الروايات في هذا الموضوع المفيد وعسى أن يواصل مؤلفها الأديب الجري في هذا المضمار مع مراعاة حسن السبك وسلامة العبارة مع سلاستها التي هي فيها فاجدر المعنى الصحيح ، بالاسلوب الفصيح ، ونرجو أن يقبل القراء على روايته فينشطونه على متابعة العمل ، فبالعمل يحقق كل أمل ، اه من العدد السابع

الأدب الصحيح (*)

رغب اليناغير واحد ان نكتب في جريدتنا بعض نبذ في الادبيات يعنون بذلك ماعليه الجماهير من ان الادب هو عبارة عن الشعر والامثال والنوادر والافاكية والا فان معظم مانشرناه في الجريدة هو من المباحث التي تنظر الى تهذيب النفوس وتحليتها بالفضائل ، بعد تطهيرها من ادران الرذائل ، وليس الادب الصحيح الا هذا فقد قال العلماء ان الادب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه ، ولا ريب ان اية رذيلة من الرذائل تشين

(*) فاتحة العدد الثامن الذي صدر في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣١٥

الانسان اذا تلبس بها واقترف ماتدعو اليه من الافعال المنكرة . فان قيل ان القوم يريدون بالادب أدب اللسان وهذا التعريف انما هو لأدب النفس : أقل ان أدب النفس لايكون كاملا الا بادب اللسان فالاول يستلزم في كماله الثاني وكان كلا القسمين متحققاً في فضلاء سلف الامة من أهل الصدر الاول

ولما وضعت العلوم والفنون باتساع عمران الامة وانفرد بكل نوع منها طائفة من الناس اختص الباحثون بادب النفس علماً وتخلقاً باسم الصوفية وسمي علمهم التصوف . وخص الباحثون بادب اللسان باسم الادباء وسمي مجموع فنونهم أو ثمرتها بعلم الادب على اطلاقه ولقد كان لكل من الفريقين حظ من أدب الفريق الآخر . لكن الادبين كليهما معاً لم يكملا الا لأفراد منهما . وانا نقتدي بالقوم في التسمية ونبحث في الادب بحثاً نبين به العلاقة بين أدب اللسان وأدب النفس والجنان لان سعادة الامة لاتتم الا بهما كليهما فنقول

كان الادب عند اسلافنا عبارة عما يحترز به عن الخطأ في كلام العرب قولاً وكتابة وأصوله عندهم اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والعروض والقوافي وقرض الشعر والانشاء والمحاضرات والتاريخ وربما أطلقوا الادب على ثمرة هذه الفنون وهي الاجادة في المنظوم والمنثور في كل موضوع ولا بد في هذا من وقوف الاديب على كل فن من الفنون المتداولة في عصره . ومن ثم قال الفيلسوف العربي ابن خلدون عند الكلام على علم الادب في مقدمته « هذا العلم لا موضوع له وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور

على أساليب العرب ومناحيهم » الى ان قال « ثم انهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف: يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها » اه

وأمس الاصطلاحات العلمية بالادب اصطلاحات علم الاخلاق بل هو الجدير باسم علم الادب دون غيره لان أدب اللسان ثمرة من ثمرات أدب النفس وقد لاحظ أدباء العرب هذا في أيام نهضتهم العلمية لذلك ترى كتبهم الادبية ملأى بالكلام على الاخلاق والسجايا واعمال ذويها من حيث هي ممدوحة أو مذمومة (وان كانوا أفردوا للاخلاق مصنفات يبحثون بها عنها من حيث هي قوى نفسية تنشأ عنها الاعمال البدنية وهو المسمى بالفلسفة الادبية أو العملية أو علم تهذيب الاخلاق) • فمن لا يقدر على الكلام الفصيح في التنفير عن الرذائل والترغيب في الفضائل وفي سائر المواضيع المتعلقة بمنافع الامم ومصالحها قولا وكتابة لا يكون أديباً

ويستمد علم الادب اليوم من ينابيع لم تكن مفجرة في أرض أسلافنا من قبل ويحتاج في تحقيق نتيجته التي علمت الى فنون كثيرة لم تكن في العصور الاولى أوكانت لكن على غير هذه الحالة التي هي عليها اليوم كالتاريخ الذي كان مجموع قصص وأساطير لا تكاد تفيد غير التسلية والتفكه وهو اليوم علم من أفيد العلوم التي عليها مدار العمران

ذكر بعض المؤلفين في الادب ان الكاتب والشاعر يحتاجان في كمال صناعتهما (الادب) الى معرفة كل ما في العصر من الفنون والصنائع في الجملة ليقتدروا على مخاطبة كل صنف من الناس بما يناسب ذوقه ويتصرفوا في كل موضوع بما هو أمس بحالة أهله . ثم هذه سنة الذين خلوا من قبل، كانوا لا ينحون لقب الاديب الا لمثل ابن العميد والصاحب ابن عباد وأبي اسحق الصابي وبديع الزمان والحريري . فمن ذا الذي يستحق هذا اللقب اليوم ؟ لا جرم ان من يأخذ هذا اللقب بحق لا بد ان يكون أعلم من هؤلاء وأكتب ، وأشعر وأخطب ، لان هذا العصر قد زخرت بحار فنونه ، وكثر التشعب في افانينه ، ومع هذا فانك ترى الدهماء لا يتحاشون اطلاق لقب الاديب على كل من يلفق كلمات موزونة ، أو يأتي بسجعات ولو كانت ملحونة ، بل ابتذل هذا اللقب الشريف حتى صار يلفظ به الى من لا لقب له من القاب الحكومة ، التي تشير الى رتب الشرف المعلومة ، وليس مستلا من سلالة الامراء ، أو من الصنف الذي يدعي ذووه بالعلماء ، وقد سجل هذا مع امثاله من «التشريفات» الكاذبة في جرائد التملق والنفاق، وصحف المين والاختلاق ، حتى صار محب الصدق في حيره، ان أرضى نفسه اسخط غيره، وحتى صار يمقت هذا اللقب ، من لديه رس (طرف اوذرو) من علم الادب ، واجدر به ان يتقذره وهو مبذول للعامة ، والجرائد تحلي من لا أدب عنده بلقب عالم أو علامة ، مما لم يكن يطلق الا على الراسخين في المعقول والمنقول كالشيرازي والتفتازاني واضرابهم . هذه حال أمتنا اليوم تركوا صدق اسلافهم للاوربيين واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو

مغير ومن صدقهم النصح حملوا كلامه على الاهانة ونبذوه ظهريا . وقد يستفيد الفطنة المتنصح »

يحسب قوم ان إعطاء الالقاب الشريفة لغير أهلها ليس الا من جزئيات الكذب التي لا ينجم عنها ضرر، ولا يتأثرها خطر، وغفلوا عن كون منح ألقاب الفضل والكمال لغير مستحقيها كمنح رتب الشرف والوسامات لغير الجدير بها ، وان كلا الامرين من أرزاء الامم التي تودي بحياتها الادبية والسياسية وتقذفها في مهاوي الجهل والضعف .

وليس هذا من موضوع كلامنا الآن فلنغض عنه الطرف ولنرسل اشعة نظره الى رياض الآداب لعله يجتني شيئاً من ارطابها وثمارها اليانعة وازاهيرها البهيجة العطرة يهديها لقوم كان لهم من الآداب النفسية واللسانية جنتان، فيهما من كل فاكهة زوجان ، فطوحت بهم الطوائح، واجتاحت ثمارهم الجوائح، وصوحت رياضهم البوارح، وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط واثل وشيء من سدر قليل . يهديها لهم لعلها تبعث هممهم الى احياء الموات ، واسترجاع ما فات ، واحتذاء مثال الامم القوية ، التي جعلت آدابها معارج لمنافعها الصورية والمعنوية ، فيعود للعربية بهاؤها، وللامة مجدها وسناؤها، في ظل مليكنا الاعظم، ونصير المعارف الاعصم، أيده الله تعالى، وزاده عظمة وجلالا .

لعمرك قد طفت المعاهد كلها ، واستسقيت وابلها وطلها ، فلم أر كلاما في الادب حكيما ، قد انتهج صاحبه صراطا مستقيما ، ونبه الناس على الطريقة المثلى ، وأرشدهم الى المرتبة الفضلى ، الا ما جاء في « العروة

الوثقي » التي لا انفصام اتمالمها تحت عنوان «نصيحة في الادب» منسوبة لحضرة الفاضل مولوي عبد الغفور شهباز بمدينة كلكاتا ، وانا نوردها بنصها وهي:

«ليس الادب كما يظن بعض الناس مجموع قصص تتلى للفكاهة أو أساطير تنقل في المسامرات أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية من التورية والجناسات ونحوها من فنون البديع أو منشآت ورسائل تتضمن اطراء في المدح أو مغالاة في القدح فان جميع هذا بمجرده لا يتصل بمعنى من معاني الادب . وانما الادب في كل أمة هو الفن الذي يقصد به تهذيب عاداتها وتلطيف احساسها وتنبيهها الى خيرها لتجتليه،والى ما يخشى من الشر فتجتنبه،فالادباء في الحقيقة هم ساسة اخلاق الامم بل هم أجنحتها تطير بهم الى ذروة فلاحها فانهم بما يعلمون من طرق التفهيم يمكنهم ان يقربوا الى العقول ما يبعد عن ادراكها ويسهلوا على الاذهان ما يعسر عليها النظر فيه ويعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة فيأخذون على الظالم ظلمه ويعظونه بسوء عواقب الظلم وينكرون على الفاجر فجوره ويحذرونه مغبة الفجور حتى يردوا كلا عن غيه بما يروضون من طبعه بدون ان يقولوا له انك ظالم أو فاجر.واذا رأوا في أمتهم عوائد يأباها سليم الذوق أو وجدوا منها اخلاقا واعمالا لا تنطبق على شريعة الفضل وقوانين الشرع عمدوا الى تغيير العوائد وتطهير الاعراق وأخذوا في ذلك سبلا متنوعة في انشا آتهم تارة بالقصص والحكايات التي تمثل شناعة الرذيلة وبهاء الفضيلة وما آل اليه أمر

المتدنسين بالاولى وما ارتقى اليه حال المتحلين بالثانية . وتارة بقريض الشعر يخيلون فيه ما يحرك الهمم ويبعث الافكار وينبه خواطر الكمال واحساسات الشرف الصحيح لا بما يوقظ الشهوة ويقوي الغرور ويخرج الانفس عن اطوارها . والاخذ به من وجهه والدخول اليه من بابه هو الذي صعدت به الهند الاولى الى أوج المجد وبلغ به العرب أقصى غايات الرفعة وهو الذي وصل بالامم الاوربية الى ما وصلوا اليه مما لا يخفى على ذي بصيرة . وانا لنأسف على ما نراه من ادباء المسلمين وشعرائهم فانهم يقصرون منشآتهم واشعارهم على ما يكوّن عد الصفات اما مذمومة أو محمودة ونسبتها الى شخص يريدون مدحه او ذمه ويحصرون رواياتهم في حكايات مضحكة وقصص هزلية وبعض تواريخ ماضية بدون ان يلاحظوا تأثير ما يكتبون وما ينقلون في افكار الامة واطوارها ورجاؤنا فيهم ان يسلكوا مسالك ادباء الامم المتقدمة أو المعاصرة لهم حتى يكون للامة الاسلامية نصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة بيانهم وطلاقة ألسنتهم وان يأخذوا في منشآتهم واشعارهم طريقاً ينهضون فيه الهمم الخوامد، ويحركون القلوب الجوامد، ويحيون مكارم الشيم، ويوردون الامة موارد سابقيها من الامم، وانا نرى بداية هذا المنهج الحميد في بلادنا ونسأل الله حسن ختامه» اه

ونحن ايضاً نقول ان بعض أهل بلادنا قد انتهج هذا المنهج كما أومأنا الى ذلك عند تشبيه حالتنا الادبية الحاضرة بجنتين ذواتي أكل خمط (مر) واثل وشيء من سدر قليل فقد عنينا بالسدر القليل الذي هو من الثمار الطيبة بعض الافاضل من ذوي الادب الصحيح . وثمرات ادواحهم ظاهرة في جنات الجرائد والمصنفات الحديثة النافعة ومنها يعلم ان الترقي

في المنثور أكثر منه في المنظوم ويدخل في المنظوم فن الاغاني وهو من مهذبات الامم ولم يترق في بلادنا بل هو في حالة ضارة غير نافعة لانه مقصور على العشق والغرام. وسنتكلم على الشعر والشعراء في العدد الآتي ان شاء الله تعالى وندع الكلام على الاغاني لفرصة أخرى والله الموفق

سعي مشكور

تألفت لجنة للسعي في جمع اعانة لجرحى الجيش المصري وعائلات قتلاه وقد بعث الينا كاتب سر اللجنة الفاضل برقيم يذكر فيه تأليف اللجنة مصحوباً بمنشور الدعوة الى هذا العمل المبرور فنشرناها بحروفهما وهما

حضرة الفاضل المحترم صاحب جريدة المنار

في يوم الثلاثاء ٢٦ ابريل سنة ١٨٩٨ اجتمع بمنزل صاحب السعادة احمد سيوفي باشا بالعباسية حضرات امين فكري باشا ناظر الدائرة السنية ومحمد ماهر باشا محافظ مصر والاستاذ الشيخ محمد عبده القاضي بمحكمة الاستئناف ويوسف سليمان بك رئيس نيابة مصر والشيخ عبد الرحيم الدمرداش وسيدي الحاج محمد الحلو وكيل دولة المغرب الاقصى واحمد بك ارناود وعبد الرحيم بك حجازي من أعيان العاصمة والخواجه شمعون اريبب واحمد فتحي زغلول بك رئيس محكمة مصر وشكلوا منهم لجنة للقيام بفتح اكتتاب عام لمساعدة جرحى الجيش وعائلات قتلاه وايتامهم في الوقائع الاخيرة تحت رعاية الجناب العالي الخديوي وانتخبوا حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده رئيساً وسعادة احمد سيوفي باشا اميناً

الصندوق وحضرة احمد فتحي زغلول بك كاتب سر اللجنة وقرروا ارسال منشور لاهل الخير واولي البر والاحسان

وفي يوم الخميس تشرف وفد من اللجنة بمقابلة سمو الامير المعظم وعرضوا ما قرروه علي مسامعه الشريفة فلقوا من جنابه العالي كل رعاية وتلطف فكان أول المكتتبين وجرى على ذلك ايضاً صاحب المطوفة مصطفى فهمي باشا رئيس مجلس النظار وحضرات النظار واجتمعت اللجنة بعد ذلك بمنزل سعادة امين الصندوق بالعوريه وبعد تحرير المنشور والاقرار عليه كلف كاتب السر بارساله الى الجرائد

فقياماً بما تقرر ابعث لحضرتكم بصورة المنشور رجاء نشره في جريدتكم لتعميم العلم به واقبلوا مزيد تحيتي

كاتب سر اللجنة

احمد فتحي زغلول

٧ مايو سنة ١٨٩٨

١٦ الحجه سنة ١٣١٥

«المنشور»

قد عرف الكافة ما جاء به الجند المصري الذى سيق على البلاد السودانية مما يخلد له ولبلده المجد والفخار ولم يخف على أحد ما أصاب تلك الجنود في الايام الاخيرة من قتل بعض ضباطهم وافراد عساكرهم وجرح عدد كثير منهم وان كان ما أصابهم قليلا في جانب الظفر الذي نالوه بمعونة الله وثباتهم وشجاعتهم

ومن المعلوم ان من قتل منهم ترك ايتاما واهلا فيهم الضعفاء وذوو البأساء ومن جرح قد يعجز عن الكسب لو شفي ويحتاج الى ما يقيم اوده ولو الى أجل ومكان هؤلاء الشجعان من أهالي البلاد هو مكان الاخ

الكريم من أخيه او العضو الشريف من البدن السليم ولا يسمح أخ ذو مروءة ان يدع أخاه في مثل هذا المصاب يذهب فريسة الحاجة . والبدن السليم لا بد ان يألم لما يصيب اعضاءه ولهذا كان لانباء ذلك المصاب هزة في قلوب الكثير من أهل الاحساس الطاهر في جميع الطبقات وافاض كثير من الجرائد في استنهاض الهمم لمساعدة أولئك الرجال أو اهليهم وكان لكل واحد من سكان القطر المصري ان يبتدي بدعوة باقيهم الى هذا العمل الجيد والبادىء في الخير الداعي اليه هو في الحقيقة خادم لمن يستنهضه فانه انما يفتح سبيلا لظهور كرم السجية وسطوع ضوء الحمية وقد قام بعض الاعيان من أهل العاصمة بتأليف لجنة للسعي في جمع إعانة لمساعدة أولئك الجرحى واهالي القتلى وعرضوا ما أرادوا الشروع فيه على الجناب الخديوي الفخيم ليكون العمل تحت رعايته فتفضل جنابه السامي بقبول ذلك على جاري سنته الشريفة في تعضيد الاعمال الخيرية فاجتمعوا في يوم الثلاثاء ٥ الحجة سنة ١٣١٥ الموافق ٢٦ ابريل سنة ١٨٩٨ بمنزل صاحب السعادة احمد سيوفي باشا وانتخبوا الداعي رئيسا وسعادة احمد سيوفي باشا امين صندوق للاعانة وحضرة احمد فتحي زغلول بك كاتب سر اللجنة ثم عرض الامر على الجناب السامي فسر به وكان أول من شرف العمل بالاكتتاب وتفضل به وكذلك اكتتب صاحب العطوفة رئيس مجلس النظار وبقية حضرات النظار ثم أخذت اللجنة تتابع أعمالها في دعوة أهل الخير للاشتراك في مساعدة اخوانهم

وحيث ان تكم من أهل الفضل وذوي الهمة والمروءة رأيت ان أبعث اليكم بهذا رجاء ان يرى لهمتكم الاثر الجليل في هذا العمل الجميل ، مع العلم بان من يتفضل بدفع شيء من المعونة لاخوانه المصابين

فانما يفعل ذلك لمحض الشفقة والمرحمة وصدوراً عن الهمة والمروءة ومن المعلوم أنه لا ينقص مال من صدقة ولن تخذل أمة كان التعاون من سجاياها فارجو ان تساعدوا بما استطعتم وان تقبلوا المساعدة ممن يليكم ويقرب منكم وما يجتمع لديكم تتفضلون بارساله الى سعادة امين الصندوق احمدسيوفي باشا بمصر ويرسل تكم الايصال حسب العادة والله لا يضيع أجر المحسنين

رئيس اللجنة

محمد عبده

(اه من العدد الثامن)

ما أكثر القول وما اقل العمل (*

لحضرة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده الشهير

من اخس الاوصاف وادناها ان يقول الانسان مالا يفعل وان يدل غيره على ماضل هو عنه وان يعيب على الناس مالا يعيبه هو على نفسه وذلك ان من كانت هذه صفته فهو جاهل من وجه ومعترف بنقصه من وجه آخر وخبيث القصد دنئ الهمة من الوجه الثالث. أما جهله فلانه اذا ادعى بما ليس فيه من علم أو فضل مع كون الناس لا يرون أثراً ظاهرا لعلمه أو فضله بمعنى انه لم يؤلف تأليفا نفيسا مثلا ينتفع به عموم الناس ويعترف بنفاسة مافيه العقلاء والمتبصرون من اي أمة،ولم يكشف حقيقة ولم يحل مشكلة واذا اعتقد ان سامعيه يصدقونه فيما يدعيه فقد جهل ان النفوس مجبولة على تطبيق المسموعات على المشاهدات وانهم

*) هي المقالة الافتتاحية للعدد التاسع.وهي من مقالات الوقائع

الامر فان لم تجدها مطابقة رمت بها في وجه قائلها فتنقلب دعواه مقتاً عليه ويسقط من قلوب الناس اجمعين اذ لم يروا له أثرا يفيدهم سوى ان يخبر عن نفسه باوصاف لاحقيقة لها . وكذلك اذا ارشد الى غاية هو متوجه صوب ضدها ويظن ان الناس يسترشدون بارشاده فهو لامحالة مطابق الغفلة مركب الجهل اذ لا يعلم أن الافعال تؤثر في النفوس اضعاف ماتؤثر الاقوال فان القول عند النفس يحتمل التصديق والتكذيب فتتردد في مفهومه فلا يقودها الى العمل الا بعد تكرار وتذكار اما الفعل فهو امر مشهود ينطبع في النفس اشد انطباع فتندفع اليه خصوصا ان كانت فيه لذة معجلة . وان عاب على غيره وصفا هو موجود فيه فقد جهل ان ذكره لعيب الغير ينبه الاذهان للنقص القائم بنفسه فان المتكبر مثلا اذا ذم الكبر في غيره فقد ذم نفسه من حيث هو لايشعر فهو جاهل بنفسه وبما يعود عليها وهو ظاهر

واما اعترافه بنقصه وعجزه فلانه لم يصدر منه ذلك (اي الدعوى بما ليس فيه وترغيب الناس فيما لا يرغبه لنفسه او فيما ليس بمتصف به بل هو منحرف عنه وذكره لمثالب الغير وهي فيه) إلا لاجل ان يبين للسامعين كماله وفضله ويظهر لهم وصولهم لما يهديهم اليه وخلوه من النقص الذي يلوم عليه الغير حتى يعظموه ويقوموا له بقضاء بعض حاجاته حيث علم ان الكمال الذي يدعيه هو مناط التعظيم وجلب المنافع وكانه بذلك ينادي على نفسه بانه لم يبلغ من ذلك شيئاً لانه لو بلغ الكمال الذي يدعيه لكانت نتائج ذلك الكمال ناطقة برفعة قدره شاهدة بعلو مقامه سواء ادعى ذلك عن نفسه اولم يدع وسواء نقص غيره او كمل ولم يكن هنالك

داع لمدحه نفسه او ذمه لغيره بل تكون آثار فضله فاعلة في النفوس جاذبة لها اليه بذاتها فمن تكلف الاطراء على نفسه بوصف من الاوصاف الفاضلة اورام اظهار كماله بالحط من قدر غيره فذاك معترف بانه خال من الفضيلة حيث لم تشهد له الحقيقة فاضطر الى النداء بالكذب ليقنع السامعين بانه كذلك

واما خبث مقصده ودناءة همته فلأن من هذه صفته لا يريد ان يكون ذا فضيلة قط ولا يبتغي الوصول الى كماله ولكنه يطلب عيشاً حيثما اتفق فاذا جلس الى بعض البسطاء او غيرهم طلب التلبيس على عقولهم ليقرر في نفوسهم انه متصف بالصفة التي يذكرها عن نفسه او يرشد اليها او انه خال من العيب الذي يسب به غيره ليوقروه فيكتسب منهم مساعدة على بعض اغراضه الخسيسة او يستفيد منهم حطاما يسد به بابا من ابواب نهمته وشرهه فهو في ذلك بمنزلة المشعبذين او المختلسين او السارقين ونحو ذلك من كل ذي حياة خسيسة لجلب الاموال ولا يختلف عن هؤلاء الا بالاسم فقط حيث يقال انه غش الناس بحكاية الكذب وهو المسمى في عرفنا (بالفشر ويقال لصاحبه فشار)

فالقول الذي لا يعضده الفعل يحسب من اردأ الاوصاف واقبحها لانه يشعر بوجود اوصاف تشهد البداهة بقبحها ومن الاسف ان هذا الوصف يوجد في كثير من اهالي بلادنا بل في الغالب منهم بل لا يوجد القائل الفاعل الا قليلا جداً (واننا نخجل من تسجيل مثل ذلك في

الجرائد ولكن اي فائدة في اخفاء عيب فينا عرفه الغير منا فحق علينا ان نذكر به لعله تنفع الذكرى)

انا ان طرقنا المجالس الخصوصية في بواطن البيوت والاندية العمومية في الاماكن العامة لا نعدم قائلا عن نفسه انه قرأ من العلوم معقولها ومنقولها وطالع الكتب العالية ووقف على المباحث الجليلة وكشف بواطن الدقائق الخفية واستطلع الاسرار وكان مع ذلك مشهورا في زمن الاشتغال بالفطنة والذكاء وتوقد الفكرة وقوة الحافظة ونحو ذلك. وآخر يقول انه بلغ من الاقتدار على الاقناع في الجدل والافحام عند المخاصمة وتفهيم الطالب عند الاستفادة حداً لا يصل العالمون الى غباره وان له من طرق الاقناع والافهام مالا يتيسر لغيره معرفتها وانه يحيي بكلامه الاذهان الميتة ويحشر اليها صور المعلومات ويودع فيها اسرار الكائنات ولو سألت كل واحد من الذين يظن فيهم وصف العلم والتعليم لرأيته يحدث عن ذاته بكل الذي قلناه ويقول لو كان الناس يسلكون هذا المسلك الذي اسلكه لانتشر العلم وعمت المعرفة

لكننا اذا رجعنا الى الواقع ونفس الامر رأينا أن التآليف والتصانيف مفقودة وان وجد منها شيء كان ناقصا اما من جهة المعنى واما من جهة اللفظ بحيث لا تدل عبارته على ماقصد منه فيكون كعدمه والطالبون للعلوم على اختلافهم قاصرون عن ادراك ما اضاعوا اعمارهم فيه ودليلنا على ذلك احتياجهم دائما الى غيرهم وعدم قدرتهم على الاستقلال بعمل يعملونه في نفس العلم او الصناعة التي تعلموها فتارة يحتاجون الى الاجانب واخرى الى بعض الوطنيين (وربما نبين هذه الجملة في وقت آخر)

ومن الناس من اذا ذاكرته في المنافع العامة والمصالح الكلية اخذ يشرح غوامضها ويبين الواجب فيها والطرق الموصله الى جلب النافع ورفع الضار والوسائل المؤدية الى تقويم حال الامم وارتفاع شأنها من رفع منار العدالة وبث روح العلم وتقرير المساواة وما شا كل ذلك ثم اذا فوض اليه امر من تلك المصالح رأيته ابعد الناس عن الخير وأقربهم الى الشر واستنكف من المساواة واستهجن معنى العدالة وان كان يبري من نفسه بلفظها وسار مع اغراضه وشهواته وجعلها قانونا يتبع ويعد كل ذلك حقا وهو في درجة وعظه الاولى لم يخجل ولا يتلعثم له لسان في النصح ودعوى معرفة الحق ولو ان احدا عارضه بحق في أي جزئية عقب ترغيبه في قبول النصح والمساواة لرأيته يتذمر ويتضجر ويود ان يفتك بمن يناقضه في بعض آرائه ويهدي اليه نصحا في بعض اعماله

ومنهم من يقول ان كل مصيبة ألمت بالنوع الانساني لم يكن منشؤها الا التباغض والتحاسد وتفرق الكلمة والميل الى المنافع الشخصية وعدم الاكتراث بمنافع العامة ؛ ونحو ذلك من الاقوال الصحيحة المسلمة ولو أنك لاقيت كل يوم الف شخص لرأيته يقر بذلك ويعترف به مدعياً أنه يميل كل الميل الى الاتحاد والائتلاف وانما تأتي النفرة من غيره ثم لو أتى اليه مطالب بحق في وقت المذاكرة لرأيته يعد هذه المطالبة امراً كبيراً وان كانت بغاية من اللطف والانسانية والتوى من الغيظ التواء الثعبان . ولو دعي الى اغاثة ملهوف أو ازالة مكروه عن بعض أخوانه أو الداخلين تحت أسرته رأيته يتملل ويعتذر أو يتمنع ويستكبر ويقول «ليس هذا من خصاصي» ولو طلب الى تأسيس أمر خيري يفيد الزراعة أو الصناعة او

يساعد على التربية الحقة وجدته يستصغر ذلك ويسفه آراء طالبيه ويقول: ماذا يعود على شخصي من ذلك ومالي وللعامة دعهم في شأنهم يرزقهم الله من غيري: كأن جنابه يظن ان المحبة والاجتماع والالفة التي يدعيها ويميل اليها يجب ان تكون له من الغير لا في مقابلة منفعة ولا جزاء لدفع مضرة بل لا بد ان ينفعه الناس وهو لا ينفعهم!! وما أجهل امثال هؤلاء السفهاء واضل رأيهم (ومن العجب أنهم كثير جداً)

ومنهم من يرشد الى العدل ويدعو الى الانصاف ولكن اذا عرض له حق في طريق منفعة خاصة له داس الحق برجله طلبا للوصول الى غايته وكأنه يعد ذلك من قبيل الانصاف الذي يدعيه او اضرب عن النصح والرشاد الى وقت آخر

ومنهم ينتقد على الظلمة ومرتكبي الجرائم وفاسدي الادارة وسيئي التدبير ثم تراهم واقعين فيما ينتقدونه على الغير كأن محل الانتقاد ان يكون الفعل صادراً عن سواهم أما اذا كان صادراً عنهم فقد اكتسب الحسن من ذواتهم المقدسة

فأمثال هؤلاء الذين ذكرتهم لا يعرفون في العالم قبيحا ولا حسناً ولا صحيحاً ولا فاسداً وانما هي ألفاظ وزنوها نطقاً ولا يفهمونها حق الفهم وألفوا استعمالها في مواقع مخصوصة فهم يستعملونها كما سمعوها بدون ان يعلموا لها حقيقة ووجودهم في الهيئة الاجتماعية شؤم عليها وهم في رتبة الحيوانية الاولى لا يعترفون بالحقائق الثابتة بل لا يرون حسنا الا ما يصل الى احساساتهم الظاهرة من اللذائذ الوقتية فاذا مضى وقتها ذهلت افهامهم عنها ولا ينتبهون لحسنها الا اذا وردت عليهم مرة أخرى وهكذا

ولا يرون قبيحا الا ما يصل الى ادراكاتهم من المؤلمات الوقتية كذلك فاذا زال ألمها غفلوا عنها كأنها لم تمسهم فان رأوها لا حقة بغيرهم لم يعدوها مؤلمة ولم ينظروا اليها نظر الآسف المستنكر فيختلف عندهم حسن الشيء وقبحه بالاضافة الى انفسهم تارة والى غيرهم تارة أخرى وليس عندهم صورة ثابتة لماهية الحسن وماهية القبيح ولا حقيقة النافع او حقيقة الضار وانما هي اهواؤهم يعبرون عنها بالالفاظ المطنطنة كالمصلحة العامة والمنفعة العمومية والحقوق الوطنية وما شاكل ذلك من المحفوظات الخالية عن المعاني يلوكونها بألسنتهم ومع ذلك فهم لا يسلمون من شر ما يقولون فجهلهم لا محالة يعود عليهم بعاقبة بئست العاقبة

ولكننا لا نحب ذلك ونود ان يكون الفعل أكثر من القول وان يكون كل شخص من ابناء بلادنا صغيراً كان أو كبيراً مجدا في نيل الفضيلة الثابتة التي يلهج بتحسينها واجراء مقتضاها حتى تكون بذاتها شاهداً عدلا على أهلية صاحبها لما يقول وتنتشر الاعمال الصالحة المنطبقة على الشرائع الحقة فتسير المصالح على صراط مستقيم وينال كل شخص حظه الحقيقي من ثمرات اعماله الآتية على وجه منتظم فيعود النفع على العامة والخاصة أما الفخفخة وكثرة اللغو فانها من شدة العجز لا تعيد ولا تبدي والله الموفق

الشعر والشعراء

الشعر ضرب من ضروب الكلام يمتاز عن سائره بأوزان واساليب مخصوصة وتصرف في التخيل بحيث يؤثر في نفس المنشد والسامع فيحرك انفعال للنفس ويؤثر في عاطفتها ۰ ويوجد في جميع اللغات وعند كل الامم هو معيار افكارها وقسطاس مداركها

يتوهم قوم ان اشتراط التأثير في النفوس غير صحيح بالنسبة للشعر العربي وانما هو للشعر اليوناني الذي يذكر في المنطق ومن وقف على سيرة شعراء العرب ولاحظ اغراضهم ومقاصدهم تجلى له انها دائرة بين ترغيب وترهيب واستباحة واستعطاف وتشويق وتنفير واثارة شجون وتسهيل حزون وما أشبه هاتا. يشهد لهذا قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه «الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ ويطفأ به النائرة ويبلغ له القوم في ناديهم» نعم إن هذا لا يطابق ما عليه المتطفلون على موائد هذه الصناعة في هذه الايام وقبلها باحوال واعوام الذين

يجهلون الصواب منه ولا يد　　رون للجهل أنهم يجهلونا

ولا يوجد عند هؤلاء من الشعر الا صورته وتمثاله ۰ فان كانت صورة الانسان تسمى انساناً فاجدر بكلامهم الذي ليس فيه غير الوزن ان يسمى شعراً ۰ ويؤذن بما ذهبنا اليه قول ابن رشيق الذي وفّى هذه هذه الصناعة الشعرية حقها من البيان في كتابه « العمدة » كما يعلم من مقدمة ابن خلدون حيث قال من قصيدة

انما الشعر ما تناسب في النظ　　م وان كان الصفات فنونا

فأتي بعضه يشا كل بعضاً واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اتاك منه على ما تتمني لو لم يكن ان يكونا
فتناهي من البيان الى ان كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الالفاظ منه وجوه والمعاني ركبن فيها عيونا

الى ان قال بعد ما ذكر المدح ثم الهجاء

فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفينا
واذا ما بكيت فيه على الغا دين يوماً للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذلت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتباً جئت بالوعد وعيداً وبالصعوبة لينا
فتركت الذي عتبت عليه حذراً آمنا عزيزا مهينا

وذكر بعضهم مذاهب الشعر في قصيدة قال فيها

واذا بكيت به الديار واهلها اجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا اردت كناية عن ريبة باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه بثبوته وظنونه بيقينه

وانت ترى ان هؤلاء صرحوا بان التأثير في النفوس من مقاصد هذه الصناعة ولك ان تجعل ذلك شرط كمال ، وترمي من أخل به بالنقص والاختزال .

الشعر ديوان العرب ، وينبوع الادب ، وقد ورد فيه من الحديث الشريف « ان من الشعر لحكما » قيل ان سبب الحديث ان احد جرحى الصحابة تعسر عليهم امساك دمه حتى جاء حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه فاشار بالكافور وانه يمسك الدم ان يسيل فكان كما قال فسأله النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم من اين أخذه فقال من قول امرىء القيس :

فكرت ليلة هجرها في وصلها فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفقت أمسح مقلتيّ بخدها اذ عادة الكافور امساك الدم

فقاله . ولا يصد عن قبول هذا ان اطلاق الحكمة على الطب عرف حادث فقد كان يراد من الحكمة العلم النافع والطب منه بلا خلاف .

كان الشعر عند العرب يتناول جميع معارفهم وحكمهم واخبارهم في حروبهم ومعايشهم وسائر شؤنهم ولولا الشعر لما تسنى لعلماء الملة ضبط العربية كما ضبطوها لان المحفوظ من المنثور قليل لايفي بالغرض

ان الصنائع القولية والعلمية تنمو بنمو الامم وترتقي بارتقائها . والشعر صناعة من الصناعات اللفظية لكنها لم ترق مع رقيّ العرب في مدنيتهم التى افادها لهم الاسلام الاقليلا حتى هبطت من أوج عزها وكادت تندرس رسومها وتمحى اطلالها بالكلية . صدمها بعد صدمة اللغة المعروفة صدمة أخرى خاصة بها أوقفتها في موقف ضيق حرج وهو وصف الاناسي أحياء (بالمدح والهجاء) واموانا (بالرثاء) الى ما يلتحق بذلك من الغزل والنسيب الذي يستهلون به قصائد المديح . وبيان ذلك أن اللسان لما ملكت عليه أمره العجمة الطارئة (وهي الصدمة الاولى) ووضعت الفنون لضبط العربية صار تحصيل ملكة الشعر عسيرا والعسير لا تتوجه النفس لطلبه الا بباعث قوي وتصور فائدة توازي العناء في تحصيله ولم يكن يتوقع منتحل الشعر فائدة في غير ما ذكرنا من أنواعه لما كان الملوك والامراء من المستعربين والعجم يسنون من الجائزة على المدح دون سائر ضروب الشعر التي كان يجاز عليها في أيام دولة بني أميه

وصدر دولة بني العباس حبا بالشعر نفسه واحياء لسنة العرب الذين هم من صميمهم بل كانوا يجيزون النقله والحفاظ حرصا على تعرف أخبار العرب وآثارها واحياء لغتها. صار الغرض من الشعر الكدية والاستجداء (الشحاذة) وكثر فيه الكذب (في المدح) والبذاء (في الذم) فانف منه أهل الهمم وترفع عنه أرباب المراتب فهبط بمنتحليه في مهواة عميقة مظلمة ضيقة .

سنذكر في العدد القابل ما ينبغي أن يكون عليه الشعر والمقابلة بين قديمه وحديثه

اكتشاف

جاءتنا رسالة من صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندي رحيم الطرابلسي سماها « اكتشاف مسألة جديدة من الجغرافيا الرياضية أي علم هيئة الارض » يدعى فيها « انه لابد وان يوجد على وجه الكرة الارضية نقطة معينة يكون اليوم في الاماكن التي في جهتها الغربية غير اليوم في الاماكن التي في جهتها الشرقية في أكثر الدورة اليومية بل يكون ذلك في المكانين الملاصقين لها من جهتيها دائماً تقريباً وكلما بعدت الامكنة التي في جهتين من تلك النقطة عن بعضها قل مقدار ما بينها من الاختلاف : فلو كان في المكان الملاصق لتلك النقطة من جهة الغرب زوال يوم الاثنين يكون في المكان الملاصق لها من جهة الشرق مضى

لحظة لطيفة من زوال يوم الاحد وفي المكان الذي يبعد عنها درجة نحو الشرق مضى أربع دقائق من زوال يوم الاحد وفيما يبعد (١٥°) نحو الشرق مضى ساعة من زوال يوم الاحد وهكذا وحينما يكون في المكان الذي يبعد عن تلك النقطة (١٥°) نحو الغرب زوال يوم الاثنين يكون في المكان الملاصق لتلك النقطة من جهة الشرق مضى ساعة واحدة من زوال يوم الاحد وفيما يبعد عنها (١٥°) نحو الشرق مضى ساعتان من زوال يوم الاحد وهكذا »

ثم بين علة وقوع هذا الاختلاف على وجه الارض والناحية المرجح وجود ذلك الاختلاف فيها وأقام على دعواه أدلة أوضحها باشكال هندسية في غاية الضبط والاتقان . ومعلوم أن الذين طوفوا الارض بالسياحة كانوا عند ما يرجعون الى المكان الذي ابتدأوا منه سيرهم يظهر لهم اختلاف يوم عن حسابهم الذي جروا عليه بالاستصحاب من أول سياحتهم . وقد يتوهم من لم يقرأ الرسالة بامعان ان هذا عين مايدعيه مؤلفها المكتشف وليس كذلك بل هو يدعي ان الاختلاف واقع فعلاً بين موقعين من الارض معينين بذاتهما وان كانا غير معروفين له جزماً وان سكان هذين الموقعين (ان كان فيهما سكان) حاصل عندهما الاختلاف المذكور باعتبار البعد الذي حرره .

وقد طلب في مقدمة رسالته وخاتمتها من علماء الهيئة المحدثين اما بيان محل الاختلاف الذي يدعيه ان كان مصيباً أو الرد عليه ان كان مخطئا وقد اطلع عليها الدكتور روبرت وست استاذ مرصد المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت وهو الذي انتهت اليه رئاسة هذا الفن في بلاد سوريا فكتب لمؤلفها

كتابا يقول فيه بعد رسوم المخاطبة «اطلعت وفقاًلاشارتكم على رسالتكم الموسومة باكتشاف مسألة جديدة من الجغرافيا الرياضية أي علم هيئة الارض فلم أجد غب ترجمتها لي مايعترض به عليها فان مبدأها الاساسي وما ذكرتموه من وجود الاختلاف على سطح الارض صحيح لا يشك فيه وفقاًللمعروف المقرر من الحقائق الفلكية وكذلك الاشكال التوضيحية التي أثبتموها فانها في غاية الضبط وفقاً لما أردتم ايضاحه ... » اه

وليس هذا كل ما يريده المصنف بل هو يريد تعيين محل الاختلاف . وحيث كان لهذا التعيين فوائد كثيرة من أهمها اتفاق سكان الارض كلهم على تعيين نقطة واحدة مبدأ للطول ومبدأ لنصف النهار نستلفت انظار علماء هذا الفن المدققين للوقوف على تلك الرسالة واعطاءها حقها من النظر واجابة طلب مصنفها الفاضل: اما التعيين والبيان، واما التخطئة بالبرهان، والرسالة تطلب من ادارة جريدة المنار في مصر القاهرة ومن حضرة مؤلفها في طرابلس الشام

الحرب

لاتغادر الجرائد اليومية من أخبار الحرب مترددماً بل تكاد الرسائل البرقية أن تحيط بجزئيات أخبارها وكلياتها والجرائد انما تضم لها الشروح وتضيف اليها الابحاث بحسب مشاربها وأهوائها التي تساعدها عليها أهواء شركتي روتر وهافاس اذ الاولى تتحزب للولايات المتحدة والثانية لاسبانيا كما يظهر من استقراء رسائلهما في غير جريدتنا لاننا لانكاد نذكر ماهو

موضوع خلاف من تلك الرسائل . وانما ننظر الآن في هذه الحرب من جميع وجوهها ونلمّ بشيء من أخبارها فنقول

الحرب والتمدن

تلهج الامم المتمدنة بلفظ السلام عالمها وجاهلها وحاكمها ومحكومها ويخدعون أنفسهم أو سواهم من الناس بان الحرب قد وضعت من بينهم أوزارها ، وغلب أولياء العقل والفلسفة أولياءها وأنصارها ، حتى بلغت منهم هذه الخلابة ان قالوا ان جميع الاستعدادات الحربية برية وبحرية انما هي لاجل منع الحرب من العالم ثم ترقوا في مدارج الاختلاب (الخلابة والاختلاب الخديعة بالقول) فقالوا ان الحرب نفسها لاجل السلام . قال ذلك الرئيس السياسي لاعظم أمة متمدنة بعيدة عن الطمع بالنسبة لغيرها وهي الامة الاميركية ورئيس آخر من رؤساء الدين فيها ؟ يفتحرون الكلام (أي يأتون به من عند أنفسهم ولا يطاوعهم عليه أحد) وينفذونه بالقوة لا بالالزام .

اذا أمكن النزاع بالاستدلال على كذبهم في دعواهم حب السلم والسعي اليها بوقوع الحرب فعلا فهل يمكن النزاع في الاستدلال على ذلك بحالة مجموع أممهم في جميع طبقاتها ؟ ألم تر ان الجنس اللطيف قد ألف اسرابا من الغادات الحسان عرضن أنفسهن للانتظام في سلك الجنود ، كما ينتظم اللؤلؤ والمرجان في العقود ، وستسمع ما نهض له النساء في أسبانيا .

أما علمت ان المدارس الجامعة كمدرسة هرفرد ومدرسة يال (في أميركا) وغيرهما قد ترك التلامذة فيها دروس العلم للخوض في معامع الحرب . وان بعض تلك المدارس أقر مديروها على ان كل تلميذ من

الصف الاخير ينتظم في سلك الجيش البري أو البحري يعامل معاملة من أتم مدة المدرسة ويأخذ الشهادة واماسائر التلامذة فيمتحنون امتحاناً خصوصياً بعد العود من الحرب للمدرسة ، وان كثيرا من شعراء الولايات المتحدة وكتابها قد تطوعوا للخدمة العسكرية ليشاهدوا بأعينهم آيات الخراب والدمار، وآثار الفتك والانتقام، ثم ينظموها في عقود القصائد والقصص لتكون مفخرا لهم اذا انتصروا، ومهيجاً لأمتهم على أخذ الثار اذا هم انكسروا ؛ ولقد كان من شأن طلاب العلم الاسبانيين مثل ما كان من اخصامهم الاميركانيين فقد جاء في اخبار رومية ان تلامذة الاسبان الذين يتعلمون فيها اجتمعوا واجمعوا على ترك المدارس والذهاب لاسبانيا للانخراط في العسكرية . ألم تقرأ بان التطوع للحرب عم جميع الطبقات حتى ان الاسرائيليين والسوريين قد تطوع جماعة منهم في الولايات المتحدة . وجاء في بعض الانباء ان المتطوعين في الولايات بلغوا ٧٠٠ ألف رجل ومنهم كثير من النزلاء لاسيما الانكليز ؟ ألم يأتك نبأ الاطباء الذين عرضوا أنفسهم لخدمة الجيش الاميركي وهم ١٢٠٠ طبيب

الحرب والدين

اهدى امبراطور ألمانيا وساماً للفيلسوف سبنسر الشهير فأبى قبوله قائلا اني أنا مقاوم للحرب وقائل بوجوب ابطالها فقبولي الوسام من رئيس حربي من أعظم قواد الحرب دليل على رضاي منه

فليت شعري هل الديانة النصرانية ديانة سلم أم ديانة حرب ؟ يقول الآخذون بها انها ديانة سلم لكن هؤلاء المحاربين وأمثالهم مخالفون لهديها . فاذا سامحنا لهم قولهم تصديقاً لقول القس لوازون الخطيب الشهير

« ان ظل الديانة قد تقلص من اوربا » — واميركا مثلها — أو ذهاباً مع القول العام « ان السياسة لا دين لها » فهل يسوغ لنا ان نقول ان ذلك الظل قد تقلص حتى عن قلانس القسوس وقباب الكنائس والهياكل الدينية أو ان تلك الهياكل مدارس سياسية ورجالها خطباء الحروب، ومسعرو الكروب ؟ وكيفما كان الحال فليس في كلامنا ايماء للاعتراض على الديانة النصرانية سواء كانت حربية ام سلمية . وانما هو مسوق لبيان ان جميع الطبقات في الامم الافرنجية تؤيد الحروب وان المحاربين لا يرون أنهم منحرفون بخوض معامع الحرب عن دينهم بل يرون انهم يسعون في سبيل الله ويبتغون مرضاته . ذلك أنهم يواصلون البيع والكنائس ويقيمون فيها الصلوات، ويكررون الدعوات ، بان يهبهم الله النصر على الأعداء ويعقدون التحالف في الهياكل العظمى على الاستبسال والاستماتة

واكثر المظاهرات الدينية في هاته الحرب يقع من اسبانيا ومن اخبارها ان الاميرال فيلاميل قائد اسطول الحراقات (التوربيد) زارهو وبحارته هيكل العذراء وخطب فيهم خطبة حماسية . ثم استحلفهم على الاستبسال فركعوا أمام المذبح واقسموا اغلظ الايمان أنهم لا يعودون الا ظافرين .

ومنها ان نساء الاشراف انشأن جمعيات دينية برئاسة رؤساء الدين لاقامة الصلاة ليلاً ونهاراً والدعاء الى الله بنصر اسبانيا ، ومنها ان اسقف مدريد اصدر منشوراً عن الحرب أمر الكهنة ان يتلوه في جميع الكنائس التابعة لابرشيته . وهو يلقي التبعة فيه على الولايات المتحدة

ولا تحسبن الاميركانيين لم يصبغوا حربهم هذه بصبغة الدين وانهم لم يقيموا لها الصلوات ويرفعوا للاستنصار اكف الدعوات ، فمن أخبارهم أنه لما اجتمع

مجلس الامة لسماع رسالة الرئيس عن الحرب قام أحد القسيسين وصلى صلاة حارة طلب فيها من الله ان يشدد قوى الولايات المتحدة وقال « لتحل نعمتك على الآباء والامهات الذين طلب منهم ان يقدموا ابناءهم للحرب وليكن عزاءهم ان ضحاياهم انما هي لخدمة الانسانية والتمدن، أرشد الرئيس ومشيريه بحكمتك ليعززوا قواتنا في البر والبحر حتى تنتهي الحرب سريعاً بخدمة العدل والحرية والسلام الدائم » (تأمل)

ولما ان جاءت بشرى انتصار الاسطول الاميركاني في منيلا اجتمع مجلس الشيوخ وجيء بالقسيس فوقف وصلى صلاة الشكر وهي «نشكرك على الاخبار الحسنة التي وافتنا من البحر وعلى النصر الذي اوليتنا وكللت به هام ضباطنا في اسطولنا الاسيوي ونحمدك لانك اوقفتنا موقف فخر لم يسبق له مثيل وهو موقف أمة تحارب لا طمعاً بأرض ولا مال ولا بقوة ولا انتقام بل دفاعاً عن المساكين المحتاجين المظلومين» ولا يجهل جناب القس ان أمته حضت نار الفتنة في كوبا وحضت الثوار على مواصلة القتال، ومنتهم بالمساعدة على الاستقلال، ولولا ابتغاء الفتنة لدفعت بالتي هي أحسن ولما عمدت الى شفاء الداء بما هو أدوأ

ولو ان حضرات القسوس يرون الحرب مأثما لتأثموا من مشاقنة أهلها والافتخار والتبجح بتمكنهم من ازهاق الارواح وتقويض معالم العمران والدعاء لهم بالحصول على هذه المقاصد ولكان شأنهم في ذلك شأن الفيلسوف سبنسر الذي لم يقبل الوسام الذي أهدي له على خدمته للعلم والفلسفة لانه من رجل حربي، فالاصل أن تكون الاعمال الاختيارية منبعثة عن التأثرات والاعتقادات القلبية والخلاصة ان الحرب ليست لاجل الدين لكنها مؤثرة حتى على رجال الدين (*)

(*) لم يرد : أثر عليه : فياعلم وقدسرى الي هذا الاستعمال من الجرائد المصرية

الحرب والدول

أجمعت جرائد الممالك على الطعن في سياسة الولايات المتحدة واظهار الاستياء منها ماعدا جرائد انكلترا وقد أظهر الكثير من الدول ضلعاً مع اسبانيا وان كن اعتزلن رسمياً وقد طلب كثير من فرنسا وغيرها التطوع في الجيش الاسباني فحال دون ذلك ان القانون لا يجيزه وقد بذل الامبراطور فرنسو يوسف خمسمائة ألف فرنك في الاعانة التي تجمع لتقوية الاسطول الاسباني وبلغ مجموع الاكتتاب في سفارة اسبانيا في باريس أربعمائة ألف فرنك كما جاء في بريد أوربا الماضي

وروي ان البورتغال أرسلت في ٢٣ ابريل الماضي ٩٠٠ صندوق من الميرة والذخيرة من لسبون عاصمتها الى الاسطول الاسباني الذي كان في سنت فنسنت (قريباً منها) وان الهياج في المكسيك شديد والاهالي يطلبون من الحكومة الاتحاد مع اسبانيا والانتصار لها فعلاء وألفوا لجنة برئاسة بعض الوزراء فجمعت ١٢ مليون فرنك . ويقال ان اللجنة التي تنقل المال لاسبانيا مأمورة بعقد المحالفة (مع ان المكسيك أعلنت العزلة رسمياً) وان الولايات المتحدة عززت حاميتها على حدود المكسيك .

وروت الطان ان الجمهوريات الصغيرة في أميركا الجنوبية يميلون لمساعدة اسبانيا وان كانوا لا يودون بقاء سلطتها على كوبا، ذلك انهم يرون ان الولايات المتحدة تريد الاستيلاء على كوبا لانها مفتاح خليج المكسيك والبوغاز الذي سيصل بين المحيطين (الاتلانتيكي والباسفيكي) وذلك مقدمة لاستيلائها على أميركا الجنوبية كلها .

وقد أظهر الفرنسويون غيرة على اسبانيا أكثر ممن عداهم حتى صرح

بعضهم بأن فرنسا لو لم تكن جمهورية لساعدت اسبانيا فعلا . وذكرت جرائد أوربا أن حكومة الولايات المتحدة اعترضت على الامبراطور فرنسو يوسف وعلى البورتغال في مساعدة اسبانيا .

اما الدولة الانكليزية التي تعلم كيف تستفيد من كل حادث عظيم فقد أظهرت الميل التام للولايات المتحدة فتوهم بعض الناس أن ذلك للموافقة في المذهب وزعم قوم ان العلة فيه اتحاد اللغة والحنين الى الاصل . والمحنكون في السياسة يعرفون ان المنفعة هي الاصل الذي تبنى عليه جميع أعمال هذه الدولة لكنهم اختلفوا في هذه المنفعة فذهب البعض الى انها تطمع في أخذ جزيرة فيلبين من أميركا لان استيلاءها عليها مرجح ويظهر من سياق الحوادث الاخيرة ان الغرض من هذا الولاء والتقرب هو المحالفة بين الدولتين فان حوادث الشرق الاقصى الاخيرة انكشفت لانكلترا عن الحاجة لمحالفة دولة قوية فقد اشتدت المناظرة لها من الدول الكبرى المتحالفة حتى تعذر مقاواتهن ومقاومتهن مع الوحدة . ومن الانباء الواردة في ذلك أن مكاتب التيمس اجتمع بالرئيس مكنلي وتكلما في حياد الدول ووداد انكلترا ثم في امكان التحالف بينهما فقال الرئيس ذلك أمر طبيعي ولكن الساعة لم تأت للاقرار على شيء نهائي بهذا الشأن (راجع الرسائل البرقية).

الحرب والمتحاربون

تشترك الامتان المتحاربتان بالتهيج واظهار الحمية الوطنية أو الجاهلية وان الاسبانيين أرسخ عرقا في ذلك من الاميركانيين وأكثر صخبا وشغبا

بل اربى غلواؤهم في الطيش على ما كان من حمق اليونان حتى حاولوا الفتك بسفير الولايات المتحدة عندما بلغ مدينة فلادولين مسافراً من مدريد. ولما صدتهم الشرطة (البوليس) عن الدمور (الدخول بغير اذن) في مركبة القطار الحديدي طفقوا يقذفونها بالاحجار حتى كسروا زجاج النوافذ فأصابت شظية منه مكاتب جريدة باريسية. ولا تسل عما يأتونه في مدريد ليلا ونهاراً.

بلغ عدد الشاغبين في احدى الليالي ٦٠٠٠ آلاف طافوا معاهد العاصمة وألموا بالسفارة الفرنسوية وبدار الوزير سفستا وأحرقوا هناك الراية الاميركية بصراخ وهتاف ثم ساروا الى المراسح وخطبوا الخطب الحماسية. ويمتاز الاميركيون بأن الثوار في كوبا وفيلبين لهم ضلع معهم فهم عون لهم على اسبانيا كما هو شأن ثوار كريد مع اليونان، وان داخليتهم في مأمن من الفتن والشغب على الحكومة والقحط والاسبانيون بخلاف ذلك. قال الوزير سفستا في خطبته «يسوءني ان الاسبانيين ليسوا متحدين كلهم في الاحوال الحاضرة» وقال ناظر داخلية اسبانيا «أعلنت الحكام العرفية في مدريد لان البعض حاولوا اتخاذ مصائب البلاد وسيلة لاثارة الاحزاب السياسية» ولم يقفوا لجهلهم عند حد لوم الحكومة على تقصيرها في الاستعداد للحرب بل يتحدثون بقلبها واستبدال الجمهورية بها. واندلعت نيران الشغب الى سائر البلاد الاسبانية فقد اعتصب العمال في مرسيا وساعدهم الغوغاء فقطعوا اسلاك التلغراف واضرموا النار في المحاكم فاحرقت الدفاتر والاوراق واطلقوا سراح المسجونين وقطعوا السكة الحديدية ونهبوا محلا فيه ديناميت وفرقوا ما فيه على انفسهم. وزد على ذلك ان أميركا تنفق من خزائنها وأسبانيا تجمع الاعانة من بلادها وبلاد أوربا

احصاء الحجاج سنة ١٣١٥ (*)

بلغ عدد الحجاج الذين مروا من قنال السويس جائين من طريق بر سعيد أو الاسكندرية ٨٣٥٢ عثمانياً و ١١١٣ ايرانياً والذين جاؤا عن طريق البصرة الى السويس ومروا من القنال ١٩٠ والذين لم يمروا منه ١٥٣ وبلغ عدد الحجاج من بوسنه وهرسك ٨٦ ومن مغاربة الجزائر ٢٧ (وذلك لان فرنسا أحصرت مسلمي بلادها منذ خمس سنوات) ومن مغاربة الدولة العلية ١٤١ وبلغ عدد الروسيين الذين جاؤا عن طريق الاسكندرية ٢٠٩ وبلغ عدد المصريين ٤٥٤١ سافر زيادة عن ثلثيهم في وابورات الشركة المخصوصة العثمانية والباقي في وابورات البوسطة الخديوية والوابورات النمساوية . وزد على ذلك ٢٤٠ حاجاً من المغاربة والدكارنة والسودان سافروا في وابورات الشركة العثمانية مجاناً لانهم فقراء . ذكر المؤيد هذا الاحصاء بزيادة تفصيل وقال انه أضبط احصاء حصل للحجاج .

بلغ عدد الحجاج الذين غادروا منى بعد التضحية مئتي ألف نفس «السلام»

منار عجيب

قد أقام الاميركيون منارا عجيب التركيب لمراقبة حركات الأعداء بحرا في مكان يقال له ساندي هوك يصير الليل نهاراً ويقصد بهذا المنار مشاهدة حركات الاعداء الحربية فيما لو تسنى لها تعطيل كل أو بعض نساف الاستحكامات ففي ظروف كهذه يعرض سفن الاعداء ومراكبهم لنار

(*) من أخبار العدد الثامن بغير عنوان

مدفعية حامية السواحل التي بسببها يجبرون على التقهقر والخيبة . واخترعوا
أن يعطوا اشارة بالمشاعيل من حصن لآخر (ماهو معروف عند العرب
بنار الاسد أونار الحرب) . ولم يقصد بالمنار أولاً مراقبة حركات الاعداء
بل استعمل لنقل الرسائل بالاشارة لابلاغ المرصد الفلكي النيويوركي
من ذروة صرح في ساندي هوك وقد تمكن بعضهم من قراءة كتاب
على مسافة ثمانية أميال منه وقوة نور المنار هي عبارة عن ١٩٤٠٠٠٠٠٠
شمعة وبواسطة الكهربائية يمكن اخراج نور يغني عن مئتي مليون شمعة

فسر رجال الحرب من هذا الاختراع الذي هو من أكبر الوسائط
في مراقبة حركات الاعداء ليلا . فسبحان من علم الانسان بالقلم مالم يعلم
(كوكب أميركا)

أنيس التلميذ — جريدة اسبوعية علمية فكاهية أدبية لمديرها ومحررها
حضرة الكاتب موسى أفندي بنروبي انتهجت أسهل منهج في الافادة
وهو ايراد المسائل العلمية في ضمن القصص الواقعية . وهذه الطريقة
أول من اختطها فقهاء الاسلام في الصدر الاول حيث كانوا يوردون
الاحكام في ضمن الواقعات . فنحث التلامذة ومحبي الفنون على الاقبال
عليها وعسى أن تتوجه عناية حضرة محررها لتصحيح عبارتها اتماماً للفائدة

تطوع خمسون رجلا من السوريين في جيش الولايات المتحدة

(اه من العدد التاسع الذي صدر في ٢٦ ذي الحجة ١٣٥١)

الاعتبار بما هو جار

الحرب والتهذيب

يقولون ان القوة بالرجال والرجال بالمال فأية دولة كثر مالها مكن لها في الارض وأمكنها ان تنال منها ما تشاء مالم تعارضها دولة أخرى تساويها أو تربي عليها في كثرة المال الذي هو مناط جميع الاعمال. ويقولون ان المال لا ينمو الا في بلاد أظلها العدل فحجب عنها هجير الجور الذي يحرق المال ويجتاح ثمار المكاسب، ويغني بالشرور والمصائب، وهؤلاء اذا رأوا في بلاد فقرا امدقعا، أو ضعفا مطمعا، نحوا على حكامها باللوم والتعنيف، والعذل والتأنيب، بل ربما لجأوا للشتم والسباب، وسعوا بالهدم والانقلاب،

ذلك شأن الامة الاسبانية اليوم يسعى بعض الاحزاب فيها الى ثل عرش الملك واستبدال الجمهورية بالملكية والذي نراه نحن كما يراه أكثر العقلاء هو ان لوم الحكومات وعذلها لا يكاد يفيد شيئا وان العدل في الحاكم والثروة في الامة وجميع أسباب القوة من حسية ومعنوية ترجع الى التربية والتهذيب وانتشار العلوم والفنون في جميع طبقات الامة وبين جميع أفرادها من ذكرانها واناثها . واعتبر ذلك في حال الامتين المتحاربتين لهذه الايام يظهر لك جليا واضحا.

قد سمعت صدى الاحزاب السياسية في أسبانيا وكيف اتخذوا مصائب البلاد ذريعة الى قلب هيئة الحكومة . وعندك نبأ من الثورات الداخلية التي أدت الى اعلان الاحكام العرفية في تلك البلاد . اما أهل الولايات المتحدة فقد كانت الحرب وسيلة الى جمع كلمتهم، واتفاق وجهتهم،

فصافح شرقيهم غربيهم ، وصافي شماليهم جنوبيهم ، بعد حقد وعداء ومناهضة ومناصبة . استلت الحرب سخائمهم ونزعت ما في صدورهم من غل وجعلتهم إخوانا متقابلين كأنهم في جنات النعيم

علمت من قبل ان نساء الاشراف في أسبانيا انشأن جميات دينية، لاجل استمداد القوى الروحية، والاستنصار بالاسباب الغيبية، اما الاميركيات فقد اتفق بعض جمعياتهن على عدم ابتياع شيء من بضائع الامة الفرنسوية لانها أظهرت الميل عن الولايات المتحدة الى أسبانيا . فقل لي بعيشك كيف تكون تربية أمثال هؤلاء النساء لابنائهن وباية درجة يكون حبهم لوطنهم؟ بل كيف تكون حالة ابناء أولئك اللواتي رغبن الانتظام في سلك الجيش من حب الفنون العسكرية والاستماتة في المدافعة عن الوطن العزيز ؟. لا جرم ان شأن أبنائهن يكون كشأن أزواجهن الذين يبذلون النفس والنفيس في المدافعة عن بلادهم بل يكون أعلى وارقى لان الترقي سنة من سنن الله في خلقه سار فيها أولئك القوم فنهضوا وارتقوا وصاروا هم الاعلون وتنكبها الذين أرشدهم اليها الكتاب السماوي بل عموا عنها فانكروها وزعموا ان الانسان دائما في تدل وهبوط وان كل يوم شر مما بعده فهبط بهم اعتقادهم هذا حتى صاروا يعدون الفنون الحربية والاعمال العسكرية من المصائب، وبذل المال للمدافعة عن الوطن من المغارم ،

تبصر حال النساء في هذا القطر وكثير من الاقطار عند ماتؤخذ أبناؤهن للخدمة العسكرية! يعقدن المآتم ويأخذن المآلي (جمع مئلاة وهو منديل النائحة) ويواصلن النواح ويرددن النشيج كما يفعلن لو اخترمته المنية من غير فرق . فاذا كان الفرق بين الاميركيات والاسبانيات عظيما فان الفرق

بين هؤلاء وبين المصريات والسوريات أعظم . ثم ان نساء سوريا اليوم آنس بالعسكرية منهن منذ بضع عشرة سنة وان نساء مصر أشد منهن في ذلك ابتآسا وأبعد استئناسا

لاحظ ناظر بحرية أسبانيا (السنيور موري) ان العمل على قلب هيئة الحكومة لا يزيد الامر الا فساداً وان الفائدة منحصرة في التهذيب ولقد احتج بهذا على الحزب الجمهوري المتطرف عند ما فوق على الحكومة سهام الملام فكان سهم حجته أفلج . واني مورد قوله الذي صفقت له الاحزاب، وهتفت له جموع النواب، وهو «اذا كنتم لا تصلحون الرجال ولا تحسنون التهذيب الاجتماعي والسياسي فماذا يفيد تغير الحكومات فان ثورة أخرى وعاملا آخر من عوامل الضعف كافيان لاضمحلال جسم أمتنا الضعيف وسقوط جدارها المتداعي ولا حاجة للحكومة في زمن الحرب الا الى أمر واحد وهو ارشاد مجلس حكومتها الى طرق السداد، والا فلا نفع منه للبلاد»

صدق الوزير ولقد رمى عن قوس الحكمة فأصاب كبد الحقيقة ولو ان كل النواب ورؤساء الاحزاب مثله لما حدثت تلك المشاغب السياسية التي جاءت فوق الحرب والقحط ضغثا على ابالة .

التطوع والتبرع في الحرب

ان تطوع الانسان بنفسه وتبرعه بماله في سبيل الامة والوطن هما أفضل الفضائل عند الامم الغربية المتمدنة ولذلك ترى التطوع والتبرع في الولايات المتحدة وأسبانيا يزدادان يوما فيوما على نسبة المدنية في

الامتين . يستوي في ذلك النساء والرجال والاغنياء والفقراء استواءهما في الوطنية . ومن اخبار الاميركيين في التطوع ان المتطوعين مائة ألف أو يزيدون وسيتولى قيادتهم ثلاثة من أمراء العسكرية منهم المستر تيودور روز فلت معاون ناظر البحرية سابقاً أو نائب ناظر الحربية (خلاف)

وروي أن هذا لما تطوع جعل قائد ألاي من الفرسان ولما علم بتطوعه أصحابه والعارفون به نفر كثير منهم للتطوع خفافاً وثقالا ومنهم كثير من الشرطة (البوليس) الذين كان رئيساً عليهم وكثير من رعاة البقر في الولايات الغربية التي كان فيها وقد صار الكل تحت لوائه سواء لا فرق بين الامراء، ورعاء البقر والشاء، (هكذا تكون الوطنية وهكذا يكون التهذيب)

ذكرنا في العدد الماضي ان كثيرا من أبناء المدارس الكلية في أميركا قد تطوعوا وقد جاء في بعض الجرائد ان أولاد الاغنياء من أولئك التلامذة المنغمسين في الترف والتنعم يأتون في البوارج المهن المهينة والاعمال المتعبة كحمل الفحم على كواهلهم وايقاد النار وتمهيد آلات البوارج التي تطوعوا فيها (فليعتبر أغنياء بلادنا الذين يتفادون من الخدمة العسكرية بالاحتيال وان لم تفدهم الحيل الكاذبة فبالمال) ومن أخبارهم في التبرع ان المستر استور تبرع بتجهيز فرقة (اورطة) من المدفعية بعشرة آلاف جنيه وبنقل الجنود وميرتهم وذخائرهم على سككه الحديدية وانه عرض يخته على نظارة البحرية وبالختام تبرع بنفسه وبذلها للجهاد في سبيل الوطن.

وقد تبرعت الفتاة العذراء هيلانة بنت غولد المثري بمائة ألف ريال وروي ان الحكومة لم تقبل ذلك منها فجهزت به فرقة من الفرسان لتنضم الى

الثائرين في كوبا . هذا بعض من حال تلك البلاد وحال حكومتها في الثروة ولذلك يقول العارفون بالسياسة ان التقاء الاسطولين (الاميركي والاسبانيي) المنتظر لا يكون خاتمة الحرب الا اذا كانت الغلبة فيه للاميركيين لان هؤلاء اذا غلبوا فان لديهم من المال ما يقتدرون به على استئناف القتال فاذا فرغت خزائن الحكومة فان خزائن الامة لا تفرغ وقد جاء في بعض الجرائد الاميركية ان اعضاء ادارة الرسومات تداولوا في تخصيص ستمائة مليون ريال للحرب فأين الاسبانيون من هذه المبالغ . ان وطنية هؤلاء لا تنكر ، ولكنهم مقلون في الاكثر ، ولذلك لم يرو عنهم من التبرع ما يستحق الذكر الا ما كان من الاسبانيين الذين في جمهورية الارجنتين بأميركا الجنوبية فقد نقل انهم أرسلوا للحكومة مليوني فرنك مليونا في أول الحرب ومليونا في أثنائها .

فعسى أن يتنبه الشرقيون مما يساق اليهم من أخبار الامم الى الفضائل الحقيقية ويميزوا بين الاسراف والتبذير وبين الكرم والسخاء فقد تلاشى الكرم الشرقي من بلاد الشرق أو كاد . وليس من الكرم ما يأتيه محبو المحمدة الباطلة والمجد الكاذب من انفاق الالوف من الدراهم والدنانير في عرس ونحوه بل ذلك من السفه الذي يتبرأ من صاحبه الدين والفضيلة ويمقته العقلاء والفضلاء وانما يظهر الكرم في مثل اعانة التأسيسات العسكرية واعانة جرحى حرب السودان التي تجمع في هذه الاوقات وفي نحو ذلك من الوجوه التي تعود بالخير على الوطن وأهله كانشاء المكاتب والمدارس . ومن الاسف أن نرى أغنياء بلادنا لا يلتفتون الى الاعمال التي تفيد البلاد الا قليلا منهم وفي قليل من الاعمال بل

يكاون ذلك كله الحكومة ثم ينسبونها للتقصير وهم يعلمون أن جميع وارداتها لا تكاد تفي بحاجة الامة من ذلك . فكم أنفق مولانا السلطان الاعظم أيده الله تعالى من جيبه الخاص على المعارف فوق ماتنفقه الحكومة وكم للحكومة الخديوية من العناية في ذلك لا سيما في عصر العباس حفظه الله تعالى . ولكن لا يقوم بحاجة البلاد الا أغنياء البلاد فنسأل الله أن يوفقهم لعقد الجميات المالية ، لمثل هذه الاعمال الخيرية ، ان ربي سميع مجيب

الشعر والشعراء

وعدنا في العدد السابق أن نبين في هذا العدد ما ينبغي أن يكون عليه الشعر والمقابلة بين قديمه وحديثه وانجازاً للموعد نذكر المادة التي تبنى منها بيوت الشعر بوجه عام ثم نقابل بين بناء المتقدمين والمتأخرين بالنسبة للشعر العربي فنقول

(مادة الشعر وبناؤه)

قلنا ان الشعر ضرب من ضروب الكلام ووظيفة الكلام تمثيل المعلومات بصورة محسوسة اما بحاسة السمع اذا كان الممثل لها اللسان واما بحاسة البصر اذا كان المصور لها القلم (فان المكتوب يسمى كلاماً) وانما يكون المرء شاعراً اذا كان يجول بكلامه المنظوم في جميع المعلومات التي تأتي من الحس الظاهر من مسموع ومرئي ومشموم ومذوق وملموس أو من الحس الباطن وهي الوجدانيات كالشعور باللذة والالم مهما كان مثارها أو من العقل كالمسائل التي ينتزعها الفكر من المعلومات الحسية

ويبني عليها أحكاماً لاتبنى على مقدماتها . نعم ان من المعلومات مالا يتعلق به غرض الشعر كاصطلاحات الفنون الوضعية المحضة التي لا تشرح شيئاً من الحقائق الكونية ، ولاتحكي عن العوارض الطبيعية ، كمصطلحات النحو والبيان وسائر فنون اللغة وان كان المتأخرون من الشعراء المستعربين حاولوا بعضاً من ذلك وأودعوه أشعارهم وهو مايسمونه بالتوجيه . وأمس المعلومات بالشعر وأعلقها به بدأ قوى النفس وأخلاقها وملكاتها وعواطفها وانفعالاتها من الحب والشوق والكراهة والبغض والسرور والحزن والخوف والجبن والشجاعة والعفة والحياء والخجل والحلم والوقاحة والجهل الى غير ذلك ثم نواميس طبيعة العوالم الاخرى (أي غير الانسان) علوية سفلية

اما المادة اللفظية فهي العلم بحقيقة اللغة ومجازها وكنايتها وتصريحها والوقوف على مناهج التركيب والتأليف ، وطرق الترتيب والترصيف ، ومناحي الانتقال ، مع التناسق في الاقوال ، . من كمل له كل هذا وكان ذا قريحة صحيحة وسابقة قوية ملك زمام الشعر (كما ملك زمام النثر أيضاً) وسلست له صعابه وانقادت له جوامحه وتمكن من الجري في كل مجال ، والانطلاق في فج ، وكلما ارتاض بالسير قويت شرة جياده ، ولم تخرج عن مراده ، حتى يشرف على غايات هذه الصناعة

علم مما قررنا أن الشعر في مادته اللفظية والمعنوية يتبع العلم فمن كانت مادته في العلوم وفي اللغة اغزر ، كانت قدرته على التصرف في ضروب الشعر أكبر ، اما الوزن فهو مما اهتدت اليه الامم بالفطرة وتنوع بالترقي كما هو الشأن في غيره ويوجد منه عند أمة مالا يوجد عند أخرى وربما اتفقت أمتان أو أكثر في بعض الاوزان . ونحن نرى في أشعار عامة

المستعربين أوزاناً لا تدخل في أوزان العرب المعروفة . ومن أراد الشعر العربي فلا بد له من معرفة أوزانه وأحسن طابع يرسم في نفسه تلك الاوزان كثرة قراءة الشعر المنظوم في اسلاكها وقد وضع لها أدباء الامة فناً مخصوصاً (هو العروض والقوافي) والنظر فيه مزيد كمال في ذلك

ماشرحناه في مادة الشعر وبنائه يكفي في بيان ماينبغي أن يكون عليه الشعر اذا لوحظ معه ماوصفناه به من قبل وقد آن لنا أن نقابل بين قديمه وحديثه بالنسبة الى الشعر العربي فنقول

طبقات الشعراء أربع جاهليون وهم الذين لم يدركوا الاسلام كامرىء القيس وعنترة وطرفة ومخضرمون وهم الذين أدركوا الاسلام وأسلموا كحسان وكعب ولبيد (رضي الله تعالى عنهم) ومولدون وهم الذين تولدوا من العرب في الاسلام ونشأوا بينهم كعمر بن أبي ربيعة وذي الرمة وجرير ومحدثون وهم الذين نشأوا بعد فساد اللغة فتعلموها من الفنون المدونة في الكتب والدفاتر كالبحتري والمتنبي والشريف الرضي ومهيار وهلم جرا الى هذا العصر .

اما النظر في أساليب هذه الطبقات ودرجاتها في البلاغة فقد كان الاوائل من الاسلاميين أطول في ذلك باعا وأرسخ قدماً وقد كان في القرون المتوسطة من ناهز المتقدمين لكنهم افراد قلائل ، يعدون على الانامل ، وفي المتأخرين المجيد بالنسبة لاهل عصره ولم يدرك أحد منهم للسالفين شأواً ، أو يشق لهم غباراً . واما النظر في تصرف الطبقات في المعاني والجولان في ميادين المعلومات فقد كان الجاهليون ينظمون جميع مايعلمون من أحوال الخليقة . يتناولون باشعارهم السماء وكواكبها والجو وأرواحه

والارض وما عليها من معدن ونبات وحيوان . والانسان وسائر شؤونه الحيوية والاجتماعية ويضربون في فجاج التصورات ويطيرون في جو الخيالات فلا يغادرون مدركا من المدركات حقيقياً كان أو وهمياً الا نظموا دره في اسلاكهم، ووضعوا حجره ومدره في بناء أبياتهم، وانا موردون ههنا مثالين من أشعارهم أحدهما في حال من الاحوال الاجتماعية، وثانيهما في وصف مجلى من المجالي الطبيعية،

المثال الاول

كان لقيط بن يعمر الايادي كاتباً في ديوان كسرى فعزم كسرى يوما على غزو اياد فلما رآه لقيط مجمعاً على غزو قومه كتب اليهم قصيدة ينذرهم فيها بطشته، ويرشدهم السبيل القصد في مدافعته، ولقد وقعت القصيدة في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا ايادا (الذي غزا ايادا من الاكاسرة هو سابور ذو الاكتاف وكل من ملك الفرس كان يلقب بكسرى كما هو مشهور) ومما جاء في تلك القصيدة قوله بعد أبيات

بل أيها الراكب المزجي مطيته ... الى الجزيرة مرتادا ومنتجعا
أبلغ ايادا وخلل في سراتهم [١] ... اني أرى الرأي ان لم أعص قد نصعا
يالهف نفسي ان كانت أموركم ... شتى واحكم أمر الناس فاجتمعا
اني أراكم وارضا تعجبون بها ... مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا [٢]
ألا تخافون قوماً لا أبا لكم ... امسوا اليكم كامثال الدبى سرعا [٣]

(١) خلل خصص وسراتهم سادتهم (٢) الوعث ارض رطبة مسترخية تغوص فيها الاقدام والطبع النهر ومن معانيه الدنس والصدأ (٣) الدبى الجراد قبل أن يطير والنمل

ابناء قوم تأووكم على حنق [١] لا يشعرون اضر الله أم نفعا

احرار فارس ابناء الملوك لهم من الجموع جموع تزدهي القلعا [٢]

فهم سراع اليكم بين ملتقط شوكا وآخر يجني الصاب والسلما [٣]

لو ان جمعهم راموا بهدته شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا [٤]

في كل يوم يسنون الحراب لكم لا يهجعون اذا ما غافل هجعا

ثم وصف من يقظة العدو وانهم لا يشغلهم عن الاستعداد للحرب مايشغل قومه من الحرث واستدرار اللقاح والانهماك في موارد العيش وقال

وتلبسون ثياب الامن ضاحية لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا

وقد أظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم تغشاكم قطعا

مالي أراكم نياماً في بلهنية [٥] وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

فاشفوا غليلي برأي منكم حصد [٦] يصبح فؤادي له ريان قد نقعا

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا اذا يقال له افرج غمة كنعا [٧]

ثم أوصاهم بالاستعداد للحرب في أنفسهم وفي سلاحهم وجيادهم وحذرهم من الاشتغال عن ذلك بتثمير مال يؤول للعدو اذا تغلب عليهم ثم قال

ياقوم ان لكم من ارث أولكم مجداً قد اشفقت أن يفنى وينقطعا

---

(١) أوى المكان وتأوّاه نزله بنفسه نهارا أو ليلا أو سكنه ومال اليه

(٢) تزدهي تستفز وتستخف والقلع كتف الراعي والقدم كالماق وجمع قلعة للحصن فوق الجبل (ولعله المراد) (٣) الصاب والسلع شجران مران كنى بهما عن أسباب الحتوف كالسلاح (٤) الشماريخ والشناخيب رؤس الجبال وثهلان جبل م (٥) البهنية العيش رخاؤه وسعته (٦) حصد (ككتف) محكم الفتل شبهه بالحبل القوي (٧) كنع اليه خضع وعن الامر هرب وجبن وا كتنع الليل حضر ودنا والقوم اجتمعوا

ماذا يرد عليكم عز أولكم　　ان ضاع آخره أوذل واتضعا
ياقوم لاتأمنوا ان كنتم غيرا　　على نسائكم كسرى وما جمعا
ياقوم بيضتكم لاتفجعن بها　　اني أخاف عليها الازلم الجذعا[1]
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم[2]　　فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا
قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم　　ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا

ثم وصف قائد الحرب وما يعتبر فيه من الصفات فقال

وقلدوا أمركم لله دركم　　رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترفاً ان رخاء العيش ساعده　　ولا اذا عض مكروه به خشعا
لايطعم النوم الا ريث يبعثه[3]　　هم يكاد سناه يقصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أموركم　　يروم منها الى الاعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره　　يكون متبعاً طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته[4]　　مستحكم الرأي لاقحما ولا ضرعا
وليس يشغله مال يثمره　　عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

ثم ختم شعره بقوله

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل　　فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا
هذا كتابي اليكم والنذير لكم　　لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

---

(١) الازلم الجذع الدهر الشديد الكثير البلايا ومعناه الحدث الذي لا يهرم واصل الازلم من الابل والشاء المقطوع طرف الاذن يفعلون ذلك بكرام المال والجذع من الابل ما استكمل خمسا ومن الشاء ما تمت له سنة (٢) يجتث يقتلع (٣) الريث الابطاء ومقدار المهلة من الزمن (٤) يقال استمرت مريرته ومريره عليه أي استحكم عليه وقويت شكيمته والمريرة طاقة الحبل الشديد الفتل والشزر الفتل عن اليسار. والقحم الهرم والضرع الرجل الضعيف

المثال الثاني

قال عبيد بن الابرص يصف عارضا فيه برق وينتهي بمطر

يامن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كبياض الصبح لمّاح
دان مسف فويق الارض هيدبه[١] يكاد يدفعه من قام بالراح
فمن بنجوته كمن بمحفله والمستكن كمن يمشي بقرواح[٢]
كأن ريقه لما علا شطبا[٣] اقراب[٤] ابلق ينفي الخيل رمّاح
فالتجّ أعلاه ثم ارتج أسفله[٥] وضاق ذرعا بحمل الماء منصاح[٦]
كأنما بين أعلاه وأسفله ريط[٧] منشرة أوضوء مصباح
كأن فيه عشاراً جلة شرفا[٨] شعثا لهاميم قد همت بارشاح

(١) مسف شديد الدنو من الارض وهيدبه ما تدلى منه (٢) النجوة ما ارتفع من الارض والمحفل مجتمع الماء ومجتمع القوم والمراد الاول . والقرواح الارض المخصصة للزرع والغرس يقول إنه عام يستوي فيه المقيم في كنه ومن برز الى الارض المستوية التي لا كنّ فيها ومن في النجوة والمحفل (٣) ريق الشيء أوله وافضله وعلا زاد وارتفع وشطب مأخوذ من شطب السيف وهي خطوط وطرائق تلمع في متنه من شدة صفاء فرنده (٤) الاقراب جمع قرب وهو الخاصرة أو من الشاكلة الى مراق البطن . والابلق ما فيه سواد و بياض والمحجل الى الفخذين . و ينفي الخيل يطردها ورماح رفاس . شبه هيئة العارض الاسود يلمع منه البرق متتابعا باقراب الفرس الاسود يتحرك بجانبها قوائمه البيض بالتتابع لكثرة الرفس (٥) التج صوّت ويروى فثج أي سال . وارتج اضطرب (٦) منصاح منشق بالماء او بالبرق (٧) جمع ريطة وهي الملاءة تكون قطعة واحدة من النسيج (٨) العشار اسم للنوق ينتج بعضها وينتظر نتاج البعض الآخر ولما مضي حملها عشرة اشهر . والجلة والشرف النوق المسنة واللهاميم جمع لهموم وهي الغزيرة اللبن والارشاح الرشح وارشحت الناقة اشتد فصيلها وقوي على المشي معها

بُحًّا حناجرها هُدْلا مشافرها   تسيم أولادها في قرقر ضاح [1]

هبت جنوب باولاه ومال به   أعجاز مزن يسح الماء دلاح [2]

فاصبح الروض والقيعان ممرعة   من بين مرتفق فيه ومنطاح [3]

سيأتي الكلام على بقية الطبقات

تونس

اطلعنا في جريدة الحاضرة الغراء على الخطاب الذي القاه الوزير المقيم العام (الفرنسوي) لاعضاء الجمعية الشوروية الفرنسوية في مأدبة أدبها لهم في « دار السفارة » وقد وصفته الحاضرة بانه موضح للمحجة التي سلكتها ادارة الحماية في ذلك القطر ويصح ان يكون ميزاناً لها في الظروف الحالية. فرأينا ان نثبت في جريدتنا عيونه ليقف عليها من لم يعرف سير الفرنسويين في ذلك القطر فنقول

بدأ جناب الوزير كلامه بعبارات الابتهاج بخصب القطر التونسي في هذا العام إثر جدب سابق ثم قال « وقد لحق العطب بالتجارة لمضاضة

---

(١) الهدل المسترخية وتسيم ترعى والقرقر الارض المطمئنة اللينة والضاحي البارز والعرب تشبه السحب بالنوق قال ابن دريد في المقصورة

لم تر كالمزن سواما بهلا   تحسبها مرعية وهي سدى

(٢) صفة المزن والدلاح الكثير الماء ومثله الدلوح والدلح المشي بتثاقل والسحاب المتلىء بالماء يتخزل في سيره تخزلا أي يسير بطيئاً (٣) المرتفق فيه الغموض ليرتفق به وارتفق الاناء امتلأ والمنطاح السائل لم يكن له ما يمسكه

مغرسها وقلة الرميات (كذا) ولذلك يتأكد علينا ان نعلق الامل على تنقيح قانون ١٨٩٠ الكمركي لاحداث صناعات وجلب الاموال وتحرير مصالحنا التجارية من قيود المعامل العمومية (الاجنبيه) التي نستمد منها المصنوعات . ولقد قاومتم بشهامة تيار الرياح المضادة واقمتم برهانا جديداً على حياة الامة الفرنسوية بالايالة التونسية »

ثم ذكر من مودته لهم وان على فرنسا ان تفتخر بهم وبين العلة بقوله «ذلك انكم جبلتم على سداد الافكار ولم تنقادوا لتلك الاميال الناشئة عن عدم التبصر التي تحير وجه قطرنا بدون ان تبلغ طبقاته العميقة (ماهي تلك الاميال والطبقات العميقة ياترى) ولقد لازمتم الرزانة اثناء انبثاق البغضاء بين الاجناس وهو أثر من آثار السلف السابق والقرون الخالية دفعته ريح عاصفة من اصقاع فرنسا والجزائر (تأمل) ولما ظهرت باقسام الحاضرة التونسية الاهلية شائبة الاضطراب أمكن بتمام سداد آرائكم اخماد تلك الشرارة في يومين ولولا ذلك بان تفتخم في رمادها التسعرت نيرانها (وهل ذلك من شأن أمثالهم ؟ نعم اذا اقتضه السياسة) فاشكركم على موازرتكم للحكومة واعانتكم لها على ابلاغها مقصودها

« ومن علامات السعادة في هذا القطر خلوه من المحترفين بالسياسة وهم أناس انحصرت اسباب تعيشهم في السياسة وان شئت قلت في الصخب والجلبة والنفير (كذا) والعبارات الخالية من المعاني والرشوة في الانتخاب فالناس كلهم في هذه الديار منكبون على الشغل فاعضاء الجمعية الشوروية مثلا كل منهم له حرفة وصناعة وكل منهم يتكلم بخصوص مصالح مهمة اتقن معرفتها ودرس اسرارها (هكذا فليكن) وهو مايستحيل تصوره في جهة اخرى نفق فيها سوق السياسة »

ثم فضل الخطيب الفرنسويين في ايالة تونس على أمثالهم في نفس فرنسا ودفع ما يرمون به من قلة السعي والحزم بانهم أسسوا مدنية حادثة بجميع فروعها في اقطار مهملة ومن قلة الشركات بان الشركات ملأت الطبقات ثم ذكر ان القطر التونسي قامت فيه الادارة باعمال جسيمة بقليل من من الموظفين الفرنسويين وبان الحكومة والنزلاء على وفاق اذا تنازعا فبمجرد الفراغ من المناقشة يتصافح المتنافسون . يرد بذلك على من يقول ان الفرنسوي ميال للوظائف لاجل الراحة وان عادة الفرنسويين مناصبة الحاكم للمحكوم . ثم قال

« واحثكم في ختم هذه البدع الجليلة (كذا) على نبذ التحزب الفاشل (لعله يريد الموقع في الفشل) بمعنى ترك التعصب الأعمى على بقية الاجناس والملل المتمدنة (تأمل) فان طلبتم منا الثبات والحزم فاطلبوا منا أيضاً الانصاف مع أبناء البلاد ولا تصموا عن فرط تسرع كدرا لا يدوم الا كما يدوم السحاب (هكذا) فلا تستنتجوا من سرقة اعرابي بقرة مؤامرة عموم المسلمين (انظر الى هذا الافراط في الحذر) ولئن لحقكم الاذى من جهل بعض المسلمين أكثر من مكرهم فلا تلومونا على السعي في تنوير عقولهم بأنوار المعارف ولكن لا تسألونا الصرامة والحدة أكثر مما أنتم عليه معهم . — ولقد أصبحتم قائمين في هذه الديار بمهمة حفت بالمشاكل ولكنها كللت بالمفاخر وأسست على دعامة التمدن حساً ومعنى تلقاء التربة والنوع البشري بخلاف المعمر في أقطار أميركا واستراليا فان همته انما صرفت للارض خاصة لا لتثقيف العقول وتهذيب النفوس وحضارة أمة شريفة النسب جليلة المدنية وتغذية نفوسها بلبان الحضارة الفرنسوية حتى

يكون افرادها من أعوانكم طبعا (لينظر الجهلاء المنكرون فوائد التربية والتعليم وان عليهما مدار العمران) فكل عمل من أعمال يدنا وتساهلنا يكون موضوع تأويل وشروح لا تحصى فهو بمنزلة حبة تسفيها الرياح وربما أنبتت سنابل في شاسع الاقطار كاقطار بحر السودان وبحيرة شاد وفي كل مكان خفق فيه العلم الفرنسوي ازاء العلم الاسلامي المهلل (كذا في الاصل ومعناه المتقوس أي المنحني ولعل مراده المهلهل أي الرقيق !!) فتلك مأمورية جديرة بفرنسا الكريمة البارة التي هي أقل أمم أوربا أثرة بالمصلحة وأحسنهن خبرة بكشف غوامض أسرار تلك الاقاليم المجهولة وأكثرهن تحقيقا للعلوم وأعلاهن كلمة وأوفرهن رغبة !!

«أيها السادة طوبى لمن جبل على الخير، وأشفق على الغير، وتوجع حنانا لمن لحقه الضير، وتنازل تواضعا لسماع نداء الفقير، وتلقى شكاية الجاهل الحقير، وويل لمن غرته علياؤه، وعجبه وخيلاؤه، ففي التواضع قوة عظمى تمتد بها الكلمة ويعلو بها الشأن وربما عاد ذلك بأحسن الثار في مستقبل الاجيال فانه وان حالت ظروف تاريخية لاتخفى دون مساعينا في الاستعمار المبني على حب الأثرة والانانية وهو الاستعمار الذي قوامه القوة المادية فلا غرو ان كان تقدمنا في افريقيا وآسيا ناتجا عن خصال يشاركنا فيها محالفونا الروس وهي حسن المعاشرة وكرم الاخلاق اه (انظر الى غرضه من نصائحه وحثه على التساهل والتواضع ترى انه حسن الذكر المساعد على امتداد السلطة في شعوب داخل افريقية المسلمين) .

ثم ذكرت جريدة الحاضرة الغراء ان أعضاء الجمعية أدبوا مأدبة فاخرة للوزير عمدة الجمهورية وعند ادارة كؤوس المدام بعد تناول الطعام أتى كاتب سر

اللجنة خطابا اثنى فيه على جناب الوزير بأعماله المفيدة للنزلاء لاسيما «حل مسألة الكمارك المهمة الدالة على تأييد مبدأ الحماية» و «بعنايته بترقي شبان التونسيين في مدارج المعارف بما تقتضيه ضرورياتهم» فأجابه الوزير عن ذلك بخطاب قال فيه

«ولقد سررت جداً اذ رأيت كاتب سر الجمعية أبدى ملحوظات فائقة في شأن تهذيب الاهالي وتثقيف عقولهم بالمعارف فان تلك الملحوظات موافقة كمال الموافقة لمقاصد الحكومة ولرغبة جميع أهل الصلاح من المسلمين فانهم على رأينا في عدم استحسان ترشيح من لم تستكمل معارفهم فيشردون وهم أناس نبذوا عوائدهم وعقائدهم فأصبحوا من سقط متاع الاوروباويين . وجمهور القوم متمسكون بدينهم ولهم الحق أن يتمسكوا به ونحن على رأي أكثرهم معرفة واستنارة في ان هذا الدين لم ينه عن تحصيل المعارف الثابتة وعلوم التحقيق . اما صرف وجهة المسلمين في التهذيب للصنائع النافعة فيمكن أن يقال انه من شواغل مدير العلوم والمعارف . اما الاوامر الصادرة في معاوضات وا كرية الاوقاف فهي حديثة عهد بالصدور ولا يمكن الحكم عليها الآن بل لابد من كرّ الزمان للتأنس بالعمل بهذه الطريقة الجديدة على اننا نتلقى باهتمام كل تحسين وتنقيح جزئي يرد لنا في هذا الخصوص بشرط أن لا يمس ذلك بجوهر هذه المصلحة الدينية» اهـ ما أردنا نشره محافظين فيه على الاصل في الاكثر كما رأيت

كتاب الاسلام (*

(للكونت هنري دي كاستري)

يعلم من له وقوف على التاريخ الحديث ان الحروب الصليبية هي مبدأ جميع المشاكل بين المسلمين وبين اوروبا بل بين هذه وبين جميع الشرق ولقد كان مبدأ تلك الحروب تحمس وغلو في الدين وتعصب من اوروبا على الاسلام وما كانت لتهب تلك الامم كلها وتندفع على الممالك الاسلامية وتعمل على ابادة الاسلام وهي تعتقد انه دين قيم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحفظ العهد والذمة ويقيم القسط في بلاد كان له السلطان عليها اذ لا يجوز اتفاق امم كثيرة على حب الشر وكراهة الخير والرغبة في محوه واصطلامه وان جاز ان يجنح الى ذلك افراد او جماعات من الناس نشأوا على الشرور وتربوا على الفساد او اعمتهم الحظوظ وشهوات النفوس من حب الرياسة وغيره وانما طوح بامم اوروبا الى ذلك ان قوماً من ارباب الاهواء مثلوا لهم الديانة الاسلامية بتمثال مشوه اجتمعت فيه المعايب والرذائل المتفرقة في العالم كله وزايلته جميع المحامد والفضائل والمحاسن الى ما لا محل لشرحه هنا.

تفجر طوفان تلك الفتن فجرف ما جرف وفاضت بحار الانتقام فغشي الناس من اليم ما غشيهم واعقب ذلك الجزر الى اجل مسمى ثم فاض ثانية تلك البحار باسم جديد وتلون بالوان المدنية الحديثة المدهشة ببهاء منظرها وغرابة مخبرها . مدنية روحها الثروة وجسدها الثروة ترب طلاب الكسب فيها

---

*) فاتحة العدد الحادي عشر الذي صدر في ١١ المحرم سنة ١٣١٦

الابعاد وخالطوا جميع الامم حتى كادت الارض تكون مدينة واحدة ·
بهذا امكن لاهل اوربا الوقوف على حالة المسلمين في سيرتهم الدينية ولكن
بعدما « دب اليهم داء الامم السابقين » و « اتبعوا سنن من قبلهم شبراً بشبر
وذراعاً بذراع » فكان لمن رآهم بعين السخط دليل من انفسهم على ما
رماهم به الطاعنون حتى بما يسمونه عبادة القديسين كما هو منصوص في
كتبهم، ومسموع من كلمهم، ومنهم من نظر بعين الانصاف فرأى من اعمالهم
حسناً وقبيحاً وتبين له ان قومه مفرطون في ذمهم للاسلام وغالون في
تحزبهم وغمطهم للمسلمين

ومن هؤلاء من ذهب به حب اكتشاف الحقيقة الى النظر في
القرآن وغيره من كتب الدين حتى ادى به البحث الى الاعجاب به ثم
اعتناقه او الثناء عليه

ومن المثنين على الاسلام في مصنفاتهم (الكونت هنري دي كاستري)
كتب كتابا سماه (الاسلام، خواطر وسوانح) بحث فيه عن صدق سيدنا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في نبوته ففند مزاعم قومه فيه لا سيما اصحاب
« اغاني الاشارات » التي كانت السبب في الحروب الصليبية وتكلم على
الاسلام في زمن الفتح ومابعده وعلى القضاء والقدر وغير ذلك من المسائل
التي يطعن بها اهل اوروبا على الاسلام، وتكثر المباحث بها في هذه الايام،
لا سيما من المستشرقين في اوربا · ويستشهد في كلامه بالقرآن العزيز ويحتج
بآياته · كل هذا وعلماء المسلمين لا يدرون في الغالب ماذا يقال في دينهم مدحاً
ولا ذماً بل تركوا الامر لاهل اوربا يفتاتون عليهم بما يشاؤن وكيف يدرون
وهم لا يعرفون لغات القوم ويذمون في الاكثر من يتعلمها ويختبر حالة اهلها

وينظر في كتبهم وربما طعنوا في دينه من جراء ذلك حتى كادت الطبقة العارفة بلغات أوربا والناظرة في فنونها تكون منفصلة عن الطبقة المشتغلة بعلوم الدين انفصالا تاما، ولا مجال هنا لبيان الضرر في ذلك على الامة الاسلامية وانما اقول انه يوجد في علماء الدين من يعلم وجه حاجتنا الى علوم اوربا حق العلم ويوجد في العارفين بعض لغات الاوربيين والناظرين في فنونهم من يحب خدمة الملة والدين بعلمه ومن هـذا الفريق العالم القانوني الفاضل عزتلو احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية فانه يختلس الفرص من اشغاله القضائية الكثيرة لترجمة الكتب النافعة ولقـد ترجم غير كتاب ولا يزال يدأب في هذه الخدمة . وآخر كتاب نقله للعربية وطبعـه كتاب الاسلام للكونت دي كاستري المشار اليه آنفاً .

احب القاضي الفاضل أن يعرف قومه ماذا يقال عنهم رجاء ان تنهض هممهم للمدافعة عن انفسهم بالاستدلال واصلاح الحال فاننا اذا اقنعنا اوربا بان ديننا دين علم وتهذيب (وهو الواقع) يوشك ان يتغير فيها الرأي العام فينا ولنا في ذلك من المنافع العلمية والسياسية مالا يجهل . وقداحببت ان أتحف قراء المنار بمقدمة حضرة المترجم لما فيها من الفائدة والتنبيه لما ينبغي ان تتوجه اليه افكار المسلمين لا سيما العلماء منهم فاننا نحن المسلمين نعتقد ان القرآن هو اول كتاب سماويّ الف بين الدين والعقل، وجمع بين مصالح الدنيا والآخرة بالعدل، وان نبينا عليه الصلاة والسلام انما بعث ليتمم مكارم الاخلاق، ويضع حدود الفضائل والآداب، واوربا ترمينا بنقيض ذلك كله ونحن نكاد نصدقها باعمالنا وأحوالنا حيث نعرض عن الفنون العصرية، ولا نكذبها بأقوالنا حتى قام منها من يدافع عنا، فكان أولى بنا مثله

ولو كنا نحن المناضلين عن أنفسنا لكانت الفائدة أتم ، والمنفعة أعم ، فعسى ان يلتفت الى هذا الامر الجليل أهل الرشاده كيلا نكون مع مناظرينا كالنعامة مع الصيّاد

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد فاني عثرت على كتاب فرنساوي الفه حضرة الكونت هنري دي كستري في الدين الاسلامي سنة ١٨٩٦ ميلادية ولما فرغت من قراءته وجدتني منساقا الى ترجمته فلم يدركني ملل ولا نصب حتى أتيت على آخر الكتاب وعدت فراجعت الترجمة فاذا هي تكاد ان تكون حرفاً بحرف ثم توجهت الفكرة الى طبع هذه الترجمة ونشرها على الناطقين بالعربية فاعترضني بعض الاصدقاء بعد ان أريته شذرات من الترجمة وكان من رأيه عدم النشر بالطبع واحتج بان الكتاب وان كان غاية في التدقيق قاصداً نهاية التحقيق غير انه اضطر الى ذكر ما كان يعتقده او يتوهمه مسيحو العصر الخالية في الدين الاسلامي من الشناعات والسباب وذكر مثل هذه الاشياء وان كان على سبيل الرد عليه ربما اشمأزت له النفوس ووقع من المطلعين عليه موقع الاعتراض وعدم القبول فهو لا يروق من هذه الجهة جماعة المسلمين واني لم يكن ليخطر ببالي مثل هذا الخاطر ولم يدر في خلدي ان يعترض واحد على ذكر هذه

الاشياء في الكتاب وهي لم تذكر من المؤلف وهو مسيحي على انها حقائق بل اوردها على انها اوهام علقت باذهان المسيحيين من تلك الاعصر وترتب عليها ارتسام المسلمين في مخيلاتهم بالصور الشنعاء واراد المؤلف محو هاته الصور من مخيلات الاجيال الحاضرة فبرهن واقنع واستدل بالحجة القاطعة على ان تلك موهومات لا نصيب لها من الحقيقة وذكر اسباب ايجادها في النفوس ورغب الى قومه ان يستبدلوا تلك الصور المشوهة بصورة الاسلام الحقيقي وما يدعو اليه من خير واصلاح فلذلك لم اعول على رأي ذلك الصديق في التأخر عن الطبع الا انه اوجب عندي استشارة غيري وغيره فرأيت امام الصديق المعارض اصدقاء موافقين وغيرهم مستحسنين وغيرهم آمرين وبالطبع غلب رأي الاكثرين رأي الواحد خصوصاً وانه لم يستند الا على شيء قال ربما يحصل ونحن نقول ربما لا يحصل وان حصل فهو من عدد قليل وانه لو لم يذكر المؤلف ما ذكره من تلك الموهومات ونبه على فساده وبرهن على خلافه لبقي مركوزاً في اذهان قومه وبقينا ونبينا عندهم على ما توهمه السابقون منهم اما وقد فعل فلا شبهة في انه خدم ما استطاع ووجب علينا شكره ما استطعنا ومن تمام شكره اعلام قومنا بكتابه ولكنا لم نرد ان نأخذه بدون اذنه واستمنحناه الاذن فيه فتفضل بالاجابة وكان له بذلك الشكر والامتنان

على ان امكان اشمئزاز البعض مما جاء في هذا الكتاب من الاقوال التي ردها المؤلف ودل على خطائها بالبرهان لا يقابل الفائدة التي نراها من نشره والذي يقصد الفائدة ويتحرى مآخذها لا ينبغي له ان يلتفت الى ما عساه يكون من تقزز بعض القراء فانهم لو انصفوا لما نفروا

هذا وان قوي لدي علم تام من ان مقصد مثلي حسن وغرضي انما هو التنبيه على انه قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد الوقائع التاريخية الصادقة فسفه رأي قومه فينا وابان لهم وجهي الخطأ والصواب ومن الواجب علينا ان نعرف ماقيل عنا ، وما دفع به الدافعون وليتهم كانوا منا، وان نتعرف صاحبي الرأيين فنعرف المخطئ ، ولا ندع له باباً آخر للطعن علينا ونعرف لذي الصنيعة صنعه الجميل فنزيده اعتقاداً باستحقاقنا لما صنع . وفينا كتاب الله اعظم مرشد لهذا السبيل فقد حكى بعض المذاهب بنصها وفصها ورد عليها بغاية الايضاح والتبيين وعندنا كتب سادتنا الاولين في علوم الاصول والكلام وكلها تحكي المذاهب الباطلة مفصلة وترد عليها ومن علمائنا السابقين من يوجب حكاية المذهب الفاسد ليتمكن المطلع من الرد عليه بالدليل فاذا كان هذا هو الحال في المذاهب التي قرّرها اصحابها ويخشى حقيقة من انتشارها لانها مبرهنة بنوع من البرهان وان كان فاسد المقدمات فما الظن بما حكاه الغير عنا على وجهه اما غلطاً أو قصداً لغرض مخصوص . اظن انه لايختلف اثنان في انه من ألزم الواجبات حكاية ماحكوه واشهار ماقالوه واذا كان الغرض في القسم الاول هو الرد عليه فليكن الغرض من هذا القسم معرفة مارمينا به وهذا بلا ريب ينتج الرسوخ في العقيدة عندنا وينتج ايضا اقتناع الواهمين بضد ماتوهموه وهذه النتيجة تقصد لكبار العقلاء ويحبها أفاضل العلماء .

وفوق هذا فانا بذكرنا ماقالوه قدحاً علينا أو طعناً في ديننا أو صاحبه عليه الصلاة والسلام نرجع الى انفسنا ونبحث عما اذا كان لاقوالهم من اعمالنا منتزع أم لا فان كان لهم منها منتزع علمنا كما هو الصواب انه ليس

من أصل الدين فلا نلبث ان تتباعد عنه ونرجع لاصل الدين القويم ولا نحيد عن العمل به في أي حال من الاحوال وان لم يكن لهم من اعمالنا متنزع ادركنا ان لهم غرضاً مخصوصاً وعملنا على مايزيل هذا الوهم من انفسهم أو يدفع بهم الى تغيير غرضهم فيناوهم لاشك مجتنبوه اذا رأوانا ذلك المنهج المعتدل والسير على الصراط المستقيم فان مقاومة الوهم بمثله لا تفيد

ثم انه لا ينكر ان في همتنا قصوراً عن البحث فيما يعتقده الناس فينا فاذا قيض الله لنا من بحث بدلنا ورد الشبه عنا فما أجدرنا بقبول عمله واظهار الرضا به وما اولانا بنشر تحقيقاته بيننا حتى تتم فائدتها جميعنا وربما جرّنا هذا الى الاشتغال بانفسنا فانه ماحك جسمك مثل ظفرك ولا احسن من ان يتولى الانسان مصالحه بيده مع حفظه حق مرشديه وعدم انكار صنيعهم الجميل

ولقد رأيت المؤلف من التثبت في العقل والاعتدال في الحكم واستعمال الذوق في الرد واعمال العقل في النقد وطريقه والاستشهاد بالوقائع التاريخية مافاق به سواه من مؤلفي زمانه فبان لي انه غرضه الحقيقة ايا كانت ولا اولخته في بعض مواضع كتابه مما لم يطابق نقله الاحكام الشرعية اذ ربما اعتمد فيه على قول بعض النقلة وربما كان نقله صحيحا على بعض المذاهب التي لم أقف أنا عليها ولذا لم ألاحظ عليه في الهامش ملاحظات مستقلة وفضلا عن هذا فاني رأيت ان تكون الترجمة نقلا للاصل برمته ليعلم ماذا قصد وماذا كتب ويكفينا منه انه طالب للحق وان جاء في بعض آرائه ماعساه يحمل على الغلط مثل الذي له في التأويل والحكاية عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم واعماله واعتقاداته . على انه لا يفوت قراء الترجمة

ان الكتاب كتب لينشر بين قوم المؤلف وكان لا بد له من ملاحظة افكار المكتوب اليهم واحوالهم وربما اضطر في ذلك الى ابراز بعض الحقائق الثابتة عنده في صورة الاحتمال والامكان كما يشير اليه كتابه اليّ ايذانا بنشر ترجمته كذلك لم اشأ ان اكون معه من المجادلين لئلا تضيع الحقيقة او ينجر الامر الى الانكار على صاحب مقصد حميد

هذا واني تارك هنا ما نحن عليه من وقوف حركة النظر ومن تعطيل قوة البحث في العلوم ومن ترك ما دعينا للعمل به من قواعد الدين ومن الابتداع فيه وعدم العمل بزواجره واجتناب نواهيه ومن اغفال ما حثنا عليه من العلوم النافعة والتربية الناجحة فان ذلك وان كان له مساس بما نحن بصدده الا انه يقتضي الشرح الطويل مما لا يحتمله هذا المقام لكننا نقول قولة مجملة بأن الاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرضى منا بالغفلة عن المنافع والمصالح ويطالبنا بدفع المفسدة ويحثنا على مكارم الاخلاق ويبين لنا ان كل بدعة ضلالة وان كل ضلالة في النار وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وان العلم يطلب ولو في الصين وان لا شيء من العلم بضار ولا شيء من الجهل بمفيد وان من احدث في الدين ما ليس منه فهو رد عليه . هذه هي تعاليم الاسلام الا ان الاعصر الحاضرة قد خرجت بالدين الى ما ليس منه فعطلت شعائره الحقيقية ودخلت فيه البدع وتغلبت المعتقدات الفاسدة على القواعد الصحيحة وتمسك الناس بالبدع وتركوا الفروض والواجبات وكاد القرآن يتلى مع الآلات المطربة والصلاة تؤدى في الحانات واندثر العلم واهملت العزائم وقعدنا عن تحصيل القليل من ضرورياتنا وتأخرت التربية ففسدت الاخلاق وتناكرت

النفوس فاختلفت المساعي وتماكست المقاصد فتفرقت المنافع وانحل عقد نظام المسلمين فاصبحوا اشتاتاً يمقتهم الناس ويرمونهم بالانحطاط ويعيرونهم بما تنزه عنه شرعهم ولكنهم القوه وبالغوا في التمسك به حتى تبدلت الاحوال وصار كما قال صاحب المنار « الجبر توحيداً وانكار الاسباب ايماناً وترك الاعمال المفيدة توكلاً ومعرفة الحقائق كفراً والحاداً وايذاء المخالف في المذهب ديناً والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً والذلة والمهانة تواضعاً والخضوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليماً والتقليد الاعمى لكل متقدم علماً وايقاناً » ثم كان هذا كله واكثر منه مما نمسك عنه واغلسقنا ما ذكرنا معذرة لمن يفهم من الاجانب ان سوء حالنا آت من جهة ديننا وان رضوخنا للجهالة احدى دعائمه كما يتبين من عرض افكارهم في هذا الكتاب والدين براء منه . وكيف نطلب منهم حسن الاعتقاد في الاسلام وهم يرون المسلمين يأتون من الاعمال مالا ينطبق على عقل ولم يقل به شرع الهم الا اذا كان كما فهموه منا . انهم في الحقيقة معذورون اذا نسبوا اعمالنا هذه الى الدين فانهم لا يفرقون بين ما هو منه وما هو بعيد عنه وليس لهم الا أن يعتقدوا بان عملنا مأمور به لا منهي عنه

الى هنا نمسك القلم ونترك القول للمؤلف سائلين أن يستصحب القارىء معه في قراءة هذه الترجمة ما قدمناه من الملاحظات وبالله الاستعانة وعليه الاتكال في صلاح الاعمال اهـ

الشعر والشعراء

التراكيب اللفظية كالاجساد والمعاني ارواحها وكأيّن من ذي جسد مليح لاتشويه في جثمانه لكن صفاته الروحية مشوهة فهو لذلك يمقت من كل ذي طبع سليم وفطرة صحيحة

والشكل والخفة في الارواح　　املح مايعشق في الملاح

كذلك الكلام منظوما ومنثورا لاتكمل محاسنه الا بحسن معانيه، ومتانة مبانيه ، ولقد جئنا بمجمل من البيان عن حالة الشعر من حيث مبانيه ومعانيه في العدد التاسع والعاشر من جريدتنا وابنّا ان شعراء الجاهلية كانوا يتصرفون باشعارهم في جميع معلوماتهم وارجأنا الكلام على بقية طبقات الشعراء الى هذا العدد . والآن نقول ان المخضرمين لا فصل (فرق) بينهم وبين الجاهليين الا بما كانوا به اغزر علماً،وافلج سهماً،لما اعطاهم القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين تقاصرت عنهما من اؤلئك اعناق العتاق السبق، وَوَنت دونهما خُطا الجياد القرّح،لكنهم مع قدرتهم السامية،ومعارفهم العالية ، كانوا اقل نظماً من الجاهليين كان لهم شاغل من عبادة الله تعالى ونصرة دينه عن الشعر وكان اكثر شعرهم في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وفي الذب عنه وعن الاسلام واشعار حسان في ذلك مشهورة ولغيره من اكابر الصحابة اشعار تدخل في الطبقة العالية لكنها لم تشتهر واليك هذه الابيات الابيّات من قصيدة سيدنا الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه نسبها له سليله سيدي مصطفى

البكري صاحب ورد السحر ونسبه له غيرها خلافاً لمن قال من المؤرخين انه لم يقل الشعر قط على انه مروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أما الابيات فهي

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث (١) ... أرقت وأمر في العشيرة حادث

ترى في لؤي فرقة لا يردها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فكذبوا ... عليه وقالوا لست فينا بماكث

اذا ما دعوناهم الى الحق ادبروا ... وهرّوا هرير المحجرات اللواهث (٢)

فكم قد متتنا فيهم بقرابة ... وترك التقى شيء لهم غير كارث (٣)

فان يرجعوا عن كفرهم لعقولهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث

وان يركبوا طغيانهم وضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث (٤)

ونحن اناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها في الفروع الاثائث (٥)

يميناً برب الراقصات عشية ... حراجيج تخدي في السريح الرثائث (٦)

---

(١) الدمث السهل اللين واصله للمكان ويقال خلق دمث جمعه دماث (٢) الهرير مادون النباح من صوت الكلب واللواهث جمع لاهثة واللهث معروف عند العامة ويقولون لهث بالمثلثة واظن ان المحجرات اناث الخيل ويحتمل ان يراد بها الكلاب وليس لدي نص في هذا وذاك والسياق لا يأبى شيئاً منهما والاقرب الاول لان من مادته الحجر وهي انثى الخيل (٣) الكارث من كرثه الغم اذا اشتد عليه (٤) اللابث المقيم اي ان العذاب لا يظل مقيما دونهم بل لابد ان يحل بهم (٥) الذؤابة الناصية وغالب جد من اجداد النبي (صلعم) والفروع الاثائث هي الشعور العظيمة الملتفة كنى بها عن الشرف والرفعة (٦) الراقصات هي النوق والحراجيج جمع حرجوج وهي الناقة الطويلة على وجه الارض او الشديدة او الضامرة الوقادة القلب وتخدي تسرع (ثلاثي) واخدى مشى قليلا قليلا « والسريح كامير الخرق والجلود البالية تشد على اخفاف النياق اذا دميت » والرثائث البالية والرثيث كالرث الخلق المبتذل

كأدم ظباء حول مكة عكف ... يردن حياض البئر ذات النبائث[1]

لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم ... ولست اذا آليت قولاً بحانث[2]

لَتَبْتَدِرَنهم غارة ذات مصدق[3] ... تحرم اطهار النساء الطوامث

يغادرن قتلى تعصب الطير حولهم ... ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث

فابلغ بني سهم لديك رسالة ... وكل كفور يبتغي الحرب باحث

فان تشعثوا عرضي على سوء رأيكم ... فاني عن اعراضكم غير شاعث[4]

واما المولدون فقد اكثروا من النسيب والمديح والهجاء واقلوا من غيرها مع قبضهم على جميع ازمة القول ومعرفتهم بطرقه واساليبه واتساع معارفهم العلمية والادبية والمادية والمدنية ثم جرى المحدثون على آثارهم وساروا منحرفين عن محجة العربية الفصحى حتى بعدوا بها عن معاهدها وملكت العجمة عليهم ألسنتهم حتى صار امرهم الى ماعلمت . اعرضوا عن النظر في كلام الاقدمين ، وقصروا هممهم على محاكاة المعاصرين ، ولم يبق لديهم من النسيب والغزل الا تشبيه سواد عقائص الشعر باساود الحيات ، والعيون السود ببيض المرهفات ، والقدود بسمر الرماح ، والرضاب بالضرب والراح ، والثنايا بالدرر والاقاح ، والجبين بالهلال والصباح ، والخدود بالورود وشقائق النعمان ، والثدي بحقاق العاج والرمان ، الى مايلتحق بهاتا من ذكر الهجر والوصال ، والتيه والدلال ، وغير ذلك مما هو مشهور عنهم من الكلام في

(١) النبائث الاتربة التي تخرج من البئر والنهر او التي حولها «٢» آليت حلفت «٣» المصدق الصدق يقال للرجل الشجاع والفرس الجواد انه لذو مصدق اي صادق الحملة وصادق الجري «٤» شعث عرضه ومن عرضه اي اتاشه و نال منه

الغراميات وربما قرنوا ذلك بذكر الوقوف على الديار واستنطاق الرسوم والآثار

واما المديح فما بقي منه الا ألفاظ يفيضونها من مكارمهم على كل ممدوح كالمجد والسعد، والسخاء والرفد، والفضل والكمال، والرفعة والجلال ، والشرف والعلاء ، والسناء والبهاء ، والمعارف والعوارف ، والفضائل والفواضل ، والسماحة والرجاحة، والبلاغة والفصاحة، يجعلون الممدوح اسخى من حاتم، وان كان ابخل من مادر ، ويقولون انه افصح من سحبان وائل، وان كان اعيا من باقل، ويزعمون انه اصدق من القطا وهو اكذب من مسيلمة، وانه احلم من احنف واذكى من إياس ، وهو احمق من هبنقة وابلد من الذباب، واذا اخذوا في الرثاء يقدمون على ذكر هذه الاوصاف تهويلاتهم المشهورة كقولهم ان الشمس كسفت، والنجوم انكدرت، والجبال تصدعت، وعيون الدموع تفجرت ، وألسنة العوالم استرجعت ، وقلوب الخلائق تفطرت، وابواب الجنان فتحت، والحور في القصور تزينت ، ونحو هذا مما ملته الاسماع ، وسئمته الطباع، ويكاد يحيط به كل انسان

وحاصل القول في الشعر والشعراء ان العرب كانوا مندفعين الى الشعر من طبيعتهم فكانوا يتناولون بشعرهم كل ما في الطبيعة وما ينتزعه الذهن منها كالخيالات والاوهام . وان الجاهليين بلغوا به قبيل عصر النبوة الشأو البعيد والغاية التي لا وراءها بالنسبة لمعارفهم وان الاسلاميين ارتقت في اول الاسلام ملكاتهم في البلاغة على ملكات الجاهليين فكان كلامهم في المنظوم والمنثور احسن ديباجة وارصف مبنى واعلى معنى لكن لم يلبث الشعراء ان حصروا كلامهم في مواضيع قليلة (كما علمت ولما علمت) برز

فيها افراد من كل عصر وما كانوا يخرجون عنها الا احيانا ، وانه جاء في القرون المتوسطة لاسيما الثالث والرابع والخامس من سام السابقين، وخاطر المقرمين ، وناهيك بابن دريد المتوفي في أوائل القرن الرابع فلقد ضربت مقصورته بكل سهم، وطرقت كل باب، ولا تنس حكم ابي تمام وابي الطيب وفلسفة ابي العلاء. لكن طرق هؤلاء كانت عقيمة ومذاهبهم دارسة لاسيما مذهب ابي العلاء في فلسفة الافكار فانه كان فيه نسيج وحده لم يحذ فيه مثال احد ولم يتل تلوه فيه احد . وان المتأخرين هبطوا بالشعر الى اسفل الدركات وان كلامهم في الاكثر خطل (فاسد فاضطرب) وعسلطة (لا انظام له) وانه لا يكاد يوجد المجيد ولو في موضوع واحد الا نادراً . كان في القرن الماضي (الثالث عشر) عبد الباقي العمري له شعر رصين متين في مدح البيت عليهم السلام والرضوان

هذا ما نبه افكار الفضلاء واهل الغيرة على الآداب العربية وحدا بهممهم الى حل الشعر العربي من عُقُله واطلاقه من قيوده فارشدوا الناس الى التصرف في المعاني الجديدة والنظم في المواضيع الشريفة على ما تقتضيه حالة هذا العصر

طرق هذا التنبيه مسامع منشيء هذه الجريدة في أوائل طلبه للعلم من استاذنا العلامة الشهير الشيخ حسين افندي الجسر فجنحت النفس للعمل وكان اول نظم نظمته في ذلك قصيدة اشرت فيها الى مذاهب المتأخرين في الشعر بصيغة الانكار وشببت ذلك بالمعاني الجديدة التي تعطيها الفنون والصناعات العصرية . القصيدة في تهنئة صاحب السعادة محمد باشا نجل الامير عبد القادر الجزائري الشهير يوم صار ياورحرب لمولانا السلطان

الاعظم ايده الله تعالى وهي نحو من مئة وعشرين بيتاً نأتي على بعضها هنا على سبيل النموذج فنقول

﴿ مطلع القصيدة ﴾

نصرت دولة المهى التركيه   بلحاظ قامت بها العصبية

ثم ذكرت من حروب دولة الحسان المشبهات بالمهى ان لديها عوالي القدود السمهرية وحراب السواعد وخناجر الحواجب وزدت على هذا تشبيه غدائر الشعر الملتوية اطرافها بالبنادق ثم قلت

أي حسن نرى بهذي الغواني   كل عضو كآلة حربيه
مالنا نحسب الحسان ظباء   ولها فتكة بنا قسوريه
ونسمي خدر الفتاة كناسا   ونرى الغاب يدعي الاولويه
ونذوق الغرام عذبا وان كا   ن عذابا لدى النفوس الابيه
يارقيقا لذات خصر رقيق   برئت منك ذمة الحريه
قد أذلتك نسوة يتبرج   ن دلالاً تبرج الجاهليه
تلك سلوى ان التخيل يدعو   رقة العقل رقة طبعيه

﴿ ومنها ﴾

كم تناجي الدجى وما انت ممن   يفتري عن ضلوعه المفريّة
وتبيح الرياح كل غدوّ   ورواح شؤونك السريه
وتصيخ الاذان تسترق السمـ   ـع جوابا يأتي من العامريه
قد أقامت لك الاماني سلكا   لاداء الرسائل البرقيه
ولكم انت في عتاب وشكوى   لحبيب دياره مقصيه
ان نأى يدنه الخيال من التمـ   ـثيل في آلة له رصديه

وعلام الوقوف حول رسوم دارسات ما ثم منها بقيه
قطر السحب من عيونك ماثا ر بخاروا عن نارك القلبيه
بحر دمع وفلك جسمك فيه سيرته أنفاسك الصدريه

﴿ ومنها ﴾

خل عنك التمويه بالغيد واسلم انما الحب لذة وهميه
قد أقامت على الحقائق سترا فاستترت نجومها الدريه
حجبت عنك شمسها بسحاب ظله قام صورة شمسيه

ومنها في اثبات ان الحب اختياري في مبدأه

انت اشعلت نار قلبك بالتحـ ديق نحو الحدائق الحسنيه
صاد رسم الحبيب طرفك منها بانعكاس الاشعة النوريه
فسرى من زجاجة العين للقلـ ب شعاع كجذوة ناريه

ومنها في مدح مولانا السلطان المعظم

جر ذيلا عن المجرة اذجا وز هام الجوزاء بالفوقيه
ما علاه نبتون والعقل كم كذ ذب حكم المشاعر الحسيه
نافذ الرأي مستقب كل ناء من عويص المشاكل الفكريه
يومض الذهن من تلاق لايجا بية الحكم فيه والسلبيه
فكأن السداد والحزم فيه برلمان اقيم او جمعيه
حرر الملك بعد رق فقرت فيه عين الاسلام والحريه
ايد الملة الحنيفية السمـ حة فيه والشرعة الحنفيه
فهو والملك اذ تولى عليه فتوالت نعمى وولت رزيه
شبح صافحته أم الهيم فسرت فيه قوة روحيه

فاباح العمران سر الترقي لنفوس الجمعية البشريه
فأفاضت ماء الزراعة عين ايقظتها الصنائع العمليه
وأقامت لها التجارة سوقا احرزت في مجالها السبقيه
وبغيث العلوم اينع روض صوحته البوارح الدهريه
فيه شمناشمس الهدى وشممنا منه عرف المعارف الحكميه
ووجدنا جسم الوجود صحيحا بارتقاء الصناعة الطبيه
ورياضيّ فكره ظل يبدي من زوايا الفنون كل خبيه
وتدلت زهر النجوم الينا بل عرجنا للقبة الفلكيه
هل كعبد الحميد يلفى مليك اوتولى من عهد آل أميه
عمريٌّ عدالة علوي سطوة والسمات عثمانيه
سار في نهج ملكه وكلاه مثلوا نور عدله للرعيه
يا لشمس نظامها فيه دارت واستنارت سيارة بشريه

ومنها بعد ذكر وفود اصناف الناس على المابين حتى الملوك وكان ذلك عقب زيارة امبراطور المانيا الاستانه

فكأنّ المابين والناس مابيـ ـن مجدٌ سميا وذي بطشيه
كعبة والحجيج من كل فج يقتحيها او مركز الجاذبيه

ومنها في مدح الامير وهو ختامها

لم أقل انني خصيص علاه فهي دعوى بمدحتي ضنيه
وكفاني قرب القرابة أنا بوأتنا البنوّة النبويه
وبكلي له تسلسل ود دار فيه كالدورة الدمويه
ياعريقا بالمكرمات فليست هبة تستردّ او عاريه

هاك بكراً جاءت بمبتكرات — من مجاني جنانها معنويه
أشربت رقة الحضارة لكن — رويت بالجزاله البدويه
اعجبت بالمديح فيك فقامت — تهادى كأنها حوريه
رامت الحلي في الثناء فلبّ — ـها عقود الكواكب الدريه
ولكم قد تقلدت بوسام — من مزايا الامامة القدسيه
فبدت تنتحي علاك وناهيـ — ـك بباد اوفى على المدنيه
تستميح الرضى لكي تقتدي را — ضية عند ربها مرضيه

بهتان عظيم (*

رمى بعض السفهاء سهماً فأصاب أمته وملته فحملنا ذلك على كتابة التذكرة ورأينا ان نفتتحها بنبذة بليغة جاءت في العروة الوثقى الشهيرة في اخطارها حتى كأنها وضعت لها فنقول:

«أسف يصهر الجسم، ويذيب الفؤاد، وحسرة تقلذ الاكباد، على قبيل من أمة، أو شخص منها ذي همة، يستعين الله في عمل ينقذ أمته من ضعة، أو يرجع اليها بمنفعة، ثم يوجد له في وجهة عمله من تلك الامة من يخجم كقرن المعز يفقأ عين الماشي الفاضل فيقطع عليه اسباب العمل ويعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطلة أو منفعة عاجلة وانما مثل من يكون على هذه الصفة في الامة كمرض السكتة في البدن او الصرع في الرأس أو الخبل في العقل او الشجي في الحلق أو القذى في العين . هؤلاء هم الذين

---

*) فاتحة العدد الثاني عشر الذي صدر في ١٨ المحرم سنة ١٣١٦

يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله والحق ويبغونها عوجا

«لوكان لهؤلاء المضال الطباع (الاعصل المعوج في صلابة) بقية من الانسانية او اثر من العقل يدركون به ماينشأ من أعمالهم الجزئية من المضار الكلية ويشعرون بهذا الجرم العظيم الذي يدك الرواسي ويهد الشامخات لذابوا خجلا واستتروا عن الناس بحجاب العدم وتمنوا لو محيت أسماؤهم من لوح الوجود . ولكن يظهر من جرأتهم على خطيئتهم انهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعلمون ماذا يعملون . هذا العمل الصغير الذي يجلب على الامة شراً كبيراً ويحرمها من خير عام ليس في وسع حكيم من البشر ان يحدد درجته من الخسة والسفالة ولا في طوعه ان يحيط بكنه الفساد الذي ضرب في طبع شخص يقدم على مثله ولا توجد كلمة ولا جملة ولا كتاب يفي ببيان حاله سوى ان يقال خائن ملته ووطنه . أولئك اشخاص كثيراً ما يوجدون في الامم المعتلة يشبه ان يكون منهم » اصحاب النهج الاعوج[1] والسبيل الملتوي الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فيتذقحون ويتجرمون على البرآء (تذقح له وتجرم عليه أي تجني وادعى عليه الجرم باطلاً) يقولون كذباً ويخلقون افكاً ويحرفون الكلم عن مواضعه يطفئون بذلك نار الحسد أو يشترون به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

ان للتجرم والتجني ضروبا كثيرة واشدها ضرراً على الامم ما كان من ذلك على علماء الامة وعقلائها الذين يسعون في اعلاء شأنها ورفع منارها ويرشدونها الى جواد المجد ويعرجون بها في معارج الشرف والكمال

(١) اشارة الى جريدة كان اسمها « النهج القويم » وهذا ابتداء كلام المنار

وقد مضت سنة الاولين في هؤلاء الاخيار بان التجني عليهم كان اكثره والبهتان في حقهم كان أعظم، بل سكت السواد الاعظم من أهل القرون الخالية عن الطعن بدين الذين ملؤا كتب الدين والعلم بالكذب على الله ورسوله ومزجوها بالخرفات والاساطير وطعنوا بالائمة الاربعة المجتهدين ووضعوا في ذلك الاحايث وكفروا ناصر السنة الامام أبا الحسن الاشعري وطلبوا جثته عند موته ليحرقوها فمنعتهم الحكومة وأخفت قبره لذلك وكفروا الامام حجة الاسلام الغزالي وذموا كتابه احياء علوم الدين الذي لم يؤلف مثله في الاسلام بأنه مزج فيه الفلسفة بالدين واحرقوه في العراق ومصر والاندلس وحكموا على الامام السبكي مراراً بالكفر .

هـذا بعض ما كان من شأنهم مع أئمة الشرع وانصار السنة واما الحكماء وعلماء المعقول فلم يبقوا على أحد منهم حتى جعلوا الدين عدوّ العقل قال ابن الوردي المؤرخ في ترجمة العلامة كمال الدين ابن معية الذي فضله أثير الدين الابهري على الغزالي مانصه « ولغلبة العلوم العقلية على كمال الدين اتهم في دينه وهذه هي العادة » فتأمل قول المؤرخ « وهذه هي العادة» تعلم ما كان من عداوة الدهماء من الامة للعقل. ومن عجيب ما يروى عنهم في ذلك ما نقله ابن الوردي في ترجمة ابن معية هذا قال ان ابن الصلاح الفقيه الشافعي سأل كمال الدين ان يقرأ له المنطق سراً فقرأه عليه مدة ولم يفهمه فقال : يافقيه المصلحة عندي ان تترك الاشتغال بهذا الفن لان الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهـذا الفن الى فساد الاعتقاد فكانك تفسد عقائدهم ولا يصح لك من هذا الفن شيء اهـ

هذا ما كان من شأن الجماهير أيام كانت سوق العلم رائجة وتجارته رابحة فكيف يكون شأنهم في هذا العصر الذي كسد فيه ما كان رائجا وخسر ما كان رابحا وفسدت التعاليم وانحرف الكثيرون عن الصراط المستقيم

انتدب بعض من آتاهم الله نصيباً من الحكمة وحظاً من فصل الخطاب وحبس نفسه على انارة العقول بالعلوم العالية وتنبيه الافكار الى طرق التعليم المفيدة [1] فعقد مجلساً في الجامع الازهر لقراءة علم الكلام الاعلى فازدحم عليه لشهرته الالوف وضاق الرواق العباسي حيث يقرأ بالطالبين وتوقع اعداء العقل في الاستاذ تأييد مذاهب الفلاسفة وترجيحها على مذهب المتكلمين لانه فيلسوف واذكوا عليه العيون والجواسيس ووقفوا لكلامه بالمرصاد فبدا لهم منه مالم يكونوا يحتسبون وألفوا ان مذهبه في العقائد مذهب السلف الصالح وانه يرى مزج كتب الكلام باقوال الفلاسفة مضراً في التعليم كما يضر مزج اي فن من الفنون بآخر. ولما لم يجدوا مجالاً للطعن، ولا مساغاً للقدح، لجأوا الى الانتحال والاختلاق، وصمموا على الافك والبهتان، وألقوا في مسامع العامة ان فلانا انكر وجود الله تعالى او وحدانيته ونفثوا في روع الذين يدعون بالخاصة ان الشيخ قال إنه يستغنى بلفظ «الرحمن» عن لفظ «الرحيم» وان ذلك كان في الجامع الازهر على رءوس الاشهاد !!

ما اسرع سريان الباطل، في الشعب الجاهل، لم يمض بعض ايام حتى انتشرت الكلمة الخبيثة (انكار الوجود او الوحدانية) في مصر، وكادت تعم سائر انحاء القطر، فرددها اصحاب المحفل والنادي، وتحدث بها الملاح

«١» هو الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

والحادي، حتى ان من يتلقفها من افواه الناس يتوهم انها منقولة بالتواتر وانما مرجعها افك أثيم ألقاها لبعض الـ... من اصحاب الوغم واللغم (الاخبار بالشيء عن غير يقين) فاذاعوها وساعد على انتشارها شهرة من نسبت له مع غرابة الخبر في نفسه وفي مكانه . ورب قائل هل من شبهة في كلام الاستاذ كانت متكأ لمن اذاع ذلك عنه ام اختلقوا عليه افكاً ؟؟

والجواب عن هذا يعلم مما اقصه في المسألة وهو اصدق القصص فيها لاني كنت حاضراً مجلسه الذي يحضره مع الطلاب كثير من المدرسين .

كان المتجرم عليه يشرح لحاضري مجلسه ... يقتهم التي هم عليها في تحصيل العلم عقيمة، وان دعواهم انها تشحذ الاذهان وترهف حد الفكر فيقوى على الفهم غير مسلمة بالنسبة لمسائل العلم . وأن قوة الذهن في ايراد الاحتمالات والمحاورة في أساليب الكتب غير مفيدة بل هي مضيعة للعلم نفسه ولذلك لا نكاد نرى محصلاً لثمرة الفنون العربية وهي فهم الكلام العربي الفصيح والاتيان بمثله ولا لثمرة العلوم العقلية وهي الاقتدار على الاستدلال الصحيح وانما قصارى ما عند القوم حكاية ألفاظ الكتب التي بين أيديهم . قال واني أعطي مائة جنيه لمن يفسر لي منكم (يعني طلاب العلم) آية من القرآن الكريم او يقرر لي مبحثا من مباحث المنطق على فهم تام او يقيم لي برهانا عقليا على وحدانية الله تعالى يثبت مقدماته ويدفع عنها الشبه التي ترد عليها قبل ان يسمع ذلك مني . وكان كل حاضر في ذلك المجلس يعلم ان غرض الاستاذ أن يقرر لطلاب العلم تقصيرهم يستنهض بذلك هممهم ويثير حميتهم لتكميل أنفسهم بسلوك الطريقة المثلى لتحصيل العلم . فحرف المتذقح الكلم عن مواضعه واشاع قطع الله لسانه ان الاستاذ ينكر الوحدانية حيث ينكر

امكان اقامة الدليل عليها واشتبه على قوم الوحدانية بالوجود فوقع الخلاف في الاشاعة فقال جماعة انه أنكر الوحدانية وآخرون انه أنكر الوجود .

ولو كان لهؤلاء الغوغاء عقل يرجعون اليه او علم بالدين يحكمونه في القول لعلموا انه لا يمكن لعاقل أن يصرح بعقيدته الفاسدة على ملأ من الناس في أشهر المساجد ومدارس العلم الديني وانه لو فرض انه قال لا يمكن اقامة برهان عقلي على وحدانية الله تعالى فلا يقتضي ذلك انكاره الوحدانية لجواز اكتفائه بالدليل الشرعي ولانه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول . على ان الاستاذ المتجرَّم عليه قد أقام على الوحدانية أقوى البراهين العقلية في رسالته التي يقرأها في الازهر وهي بين الايدي ونسخها تعد بالالوف وقد قرر في الدرس ذلك البرهان وأوضحه باجلى بيان .

ويل الافاك الاثيم أراد أن يطعن بمحسوده فطعن بدينه فقد وصلت أفيكته الى القسوس الدعاة الى النصرانية فطفقوا يحتجون على عوام المسلمين بأن أحد أكابر علمائكم قد قال في أشهر جوامعكم ومدارسكم على ملأ من شيوخكم ورؤساء دينكم لا يمكن اقامة دليل على وحدانية الله تعالى ومن أقام على ذلك حجة قيمة فانا أعطيه مائة جنيه . وقد عجزوا عن إجابته أجمعون . كبرت كلمة هو قائلها فقد جاءت كلمته مصداقا للحديث الشريف « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا » .

وأما الكلمة الاخرى فقد كانت اختلاقا بحتا ، وبهتانا محضا ، فان الاستاذ بين وجه اثبات الرحيم مع الرحمن بما هو أقوى من المشهور في الكتب المتداول بين أهل العلم فقال ما مثاله : ان صيغة فعلان تدل في

اللغة على الصفات العارضة كعطشان وغرثان وغضبان وصيغة فعيل تدل على الصفات الثابتة الراسخة كعليم وحكيم ورحيم . وكلام القرآن جاء بالاسلوب العربي حتى في الحكاية عن صفات الله تعالى التي تتنزه عن مشابهة صفات المخلوقين من العروض والزوال ومن مقتضى الاسلوب العربي عدم الاستغناء في مقام المدح بالصيغة التي تدل على الوصف العارض ، عن الصيغة التي تنبيء عن النعت الثابت، وان كان في الاولى زيادة في المبنى ، تدل على زيادة في معنى الصفة . ولا يخفى على بصير ان هذا أوجه من قول الجمهور ان الرحمن هو المنعم بجلائل النعم والرحيم هو المنعم بدقائقها اذ يمكن ان يقال فيه ان المنعم بالجلائل يكون منعماً بالدقائق بالاولى وان ردوه بما لا مقنع فيه . على ان بعض العلماء قال ان الرحيم تأكيد للرحمن . ولكن المتقدم يجب التأويل له وان صادم الحقائق ، والمتأخر يجب الطعن فيه وان أظهر الدقائق ، وباب الاحتمال يسع جميع الغابرين ، ولا يجوز أن يلجه واحد من المعاصرين ، بل يتجنى على المعاصر وان لم يجن ، ويتجرم عليه اذا لم يجرم ، هذا هو مذهب علماء السوء في كل عصر ، وهذه شنشنتهم في كل قرية ومصر ، وبمثل هذا القيل والقال يفسدون اعتقاد العامة ويرفعون من نفوسهم الثقة بالعلماء . ولعمر الحق اننا قد شاهدنا عند هذا الاستاذ (المتقوّل عليه ما مر) من الادب مع القرآن ، مالم نر مثله في هذا الزمان ، حتى انه لينهر طلاب العلم كل يوم عن اساءة الادب في الاسئلة عن كلام الله تعالى وصفاته . ولقد أنب من قال له يستغنى بوصف الصراط بالمستقيم عن قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم ووبخه أشد التوبيخ على سوء أدبه وان كان غرضه الاستفهام لا الجزم . يعرف هذا كل [illegible] من يحضر درسه ويسمع بالتكلم .

فالله الله في العلم والدين واعلموا أن مضرة الفتن في هذا العصر تربي وتزيد على مثلها في العصور السالفة وعداوة العقل والعقلاء، والطعن بالفلاسفة والحكماء، تتعدى غميزته للدين، لاسيما اذا كان بعنوان الدين . ونحن نفتخر بديننا انه أرشد الناس الى استعمال العقل وحث على النظر والاستدلال وجمع بين مصالح الدنيا والآخرة وتمم مكارم الاخلاق فما لنا نتذقح ونتجنى على علمائنا وعقلائنا ونغش أنفسنا بأننا ننصر بذلك ديننا ونرضي ربنا . (سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم)

الوفيه وما فيه

مراتب الرذائل والشرور خمس (الاولى) ان يقترف الجاهل ماتدعوه اليه صفاته الرذيلة من الفواحش والمنكرات وراء الستر وحيث لا ترمقه عيون الناس (الثانية) ان يأتيها حيث تمن له سراً أو جهراً فلايبالي اطار اللوم ام وقع (الثالثة) ان يدعو اليها ويرغب فيها واهل هذه المرتبة هم الذين اطلق عليهم القرآن العزيز لقب الشياطين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً (الرابعة) ان يفتخر ويتبجح باجتراح السيئات وارتكاب المنكرات ويباهي بها الاقران وينافس فيها الأقتال واهل هذه المرتبة هم شر الاشرار على الاطلاق كما ذهب الى ذلك بعض العلماء (الخامسة) ان يعتقد ان ماهو فيه فضيلة وكمال بحيث يود البقاء وينتقص من يخالفه فيه. واصحاب هذه المرتبة هم الاخسرون اعمالاً والارذلون اخلاقاً هم أصحاب الدرك الاسفل من الجهالة وسفاهة العقل وافن الرأي. وليس كل مجاهر بالقبيح اوداع

اليه يعتقد حسنه ونفعه ويحتقر المحسنين الاخيار بل لا يصدر هذا الا من المسخاء الذين انسلخوا من الانسانية وهبطت بهم تربيتهم الدوءى الى مرتبة جمعوا فيها بين شهوة البهائم وخبث الشياطين ولا يمكن للقلم ان يصف شناعة هذه المرتبة ويحيط بنقائص ذويها وانما يمكن ان يحكم حكما جازما بأن يشتق لهم صيغة (أفعل) من كل نقيصة ورذيلة ويعجبني في هذا الموضوع قول الفيلسوف احمد بن مسكويه الرازي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الاخلاق حيث قال

« ثم ارجع الى القهقري الى النظر في الرتبة الناقصة التي هي ادون مراتب الانسان فانك تجد القوم الذين تضعف فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين ذكرنا انهم في أفق البهائم تقوى فيهم النقائص البهيمية حتى يرتكبوها ولا يرتدعوا عنها وبقدر ما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستترون منها بالبيوت ويتواروا بالظلمات اذا هموا بلذة تخصهم وهذا الحياء منهم هو الدليل على قبحها فان الجميل بالاطلاق هو الذي يُتظاهر به ويستحب اخراجه واذاعته وهذا القبح ليس بشيء اكثر من النقصانات اللازمة للبشر وهي التي يشتاقون الى ازالتها واخشها هو انقصها وانقصها أحوجها الى الستر والدفن ولو سألت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تكتمون الوصول الى أعظم الخيرات عندكم؟ وما بالكم تعدون موافقتها خيراً ثم تسترونها؟ أترون سترها وكتمانها فضيلة ومروءة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين أهل الفضل وفي مجامع الناس خساسة وقحة لظهر من انقطاعهم وتبلدهم في الجواب ما تعلم به سوء مذهبهم وخبث سيرتهم وأقلهم حظا من الانسانية اذا رأى انسانا

فاضلاً احتشمه ووقره واجب ان يكون مثله الا الشاذ منهم الذي يبلغ من خساسة الطبع ونزارة الانسانية ووقاحة الوجه الى ان يقيم على نصرة ماهو عليه من غير محبة لرتبة من هو افضل منه اه

ومن الاسف العظيم ان ماعده هذا الحكيم شاذا من شواذ الاشرار الذين هم في المرتبة السفلى من مراتب الانسانية بل في أفق البهيمية قد أصبح في زماننا هذا كثيراً جداً ومعظم ذويه من الطبقة العالية (بحسب العرف العام) في هذه البلاد . أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

تنظر احدهم فتراه مرآة لرذائل الغرب ، وتصغي لكلامه فتسمع (فونغراف) هجر الشرق، أضاع فضائل أسلافه الاولين ،ولم يحفظ شيئا من فضائل أئمته الآخرين، ان لهذا لهو البلاء المبين ،

كثرت شكوى فضلاء البلاد من هؤلاء المتفرنجين لعلمهم ان سيرهم هذا هو الذي يؤدي الى خراب البلاد ويودي بحياتها الصورية والمعنوية ولما رأوا « المنار » قائما على سواء الصراط (بعون الله تعالى وتوفيقه) يدعو الناس الى السير في الجادة ، وينهاهم ان يتبعوا الى السبل المتفرقة وان يسلكوا الشعاب المضلة، طفقوا يقترحون علينا ان نندد بضار التفرنج ، وننتقد عادات مدعي التمدن، لا سيما الدعوات والمآدب التي يقيمونها على الطراز الافرنكي وقد استمهلناهم في العدد التاسع ريثما نختبر ذلك فلم يمهلوا وجاءنا عن جماعة منهم افصاح عن الدعوة الى مايسمى (بوفيه) وما فيها من المجاهرة بالمنكر والمنافسة في الرذيلة ،وانا نذكر الان ملخص رقيمين وردا الينا من ذلك

(الرقيم الاول)

حضرة الاستاذ الفاضل منشيء جريدة المنار الغراء حفظه الله تعالى

بعد تقديم واجبات الاحترام ، نرجو التكلم في موضوع التقاليد القبيحة التي صارت عند المسلمين في مصر المحروسة عادة يأتيها معظم أهل الطبقة العليا لاسيما التظاهر بالمحرمات في الولائم والدعوات

تنقسم الدعوة الى قسمين سواء كان سببها زواجا أو ختانا أو نذرا . القسم الاول أطعمة اعتيادية والقسم الثاني ويقال له (ذواتي) يعد له أحسن محل في المنزل يسمى عندهم (بوفيه) يحتوي على أصناف من المسكرات والفواكه وما يلزم شرب الخمر حسب العادات الافرنجية يتباهون باتقانها ويحسبونها عادة مباحة ويسمونها تمدنا جديداً

والمصيبة (الكبرى) في الليالي التي يتلى فيها القرآن الشريف يجعلون التلاوة في محل الخدم وأما المحلات المفتخرة فيضعون فيها (البوفيه) ويفتح بابه الساعة ٩ مساء (افرنكي) بمعرفة أعز الاحبة باحتفال كبير بطلونات وعمائم . ومنهم المكلفون بتهذيب الاخلاق وتربية الاطفال في المدارس وغيرها ولا تجد مستمعا للقرآن الشريف الا الخدم وقليل من الاصاغر الطاعنين في السن أما سادتنا المتمدنون (على زعمهم) فانك تجدهم منكبين على معاقرة الراح ومنادمة الصباح

اذا تأخر أحد الموجودين عن الدخول في قاعة (البوفيه) يقولون انه « عديم الذوق » وقد فسدت أخلاق الذرية من مشاهدة هذه الاعمال اهـ

(الرقيم الثاني)

« وهو من جماعة »

حضرة السيد الفاضل منشيء المنار الاغر

. . . كنا نظن ان بدعة التفرنج محصورة في مصر ونخشى من انتشارها في جميع القطر في بضع سنين وانه اذا تكلمت الجرائد المعدة لخدمة الامة والدين مثل المنار في الانكار على ذويها ربما تلاشى أو تقف محصورة في قليل من الناس ويعلم الاجانب ان هذه البدعة منايرة للدين وانه ينهى عنها وان كانت صادرة من وجهاء وأفاضل متنورين ويا ليتها كانت من مجاذيب مولد السيد رضى الله تعالى عنه لانها حينئذ لا تتعداهم (حيث لا يقتدى بهم) ونحسب من ضمن أمورهم المخالفة للشريعة الغراء ولكن هذه المفسدة انما تصدر من حضرات المعوّل عليهم في الهيئة الاجتماعية

وبينما نحن وكثير من الناس منتظرون همة أمثال حضرتكم واذ قد ظهر ان المصيبة عمت أغلب جهات القطر ومن الاطلاع على تذكرة الدعوة باسكندرية والتلغراف الخصوصي المرسل من الزقازيق الى المؤيد (الواصلين لنا) نعلم حضرتكم ان هذه البدعة صارت عادة ويفتخر بفعلها في الجرائد وتعلم أيضا سرعة سيرها في أقرب وقت ولا يخفى ما ينتج عنها في المستقبل. فهل بعد هذه مصيبة يلتفت اليها انتصاراً للدين القويم اه

أما التلغراف المرسل ضمن الرقيم فخلاصته ان وجهاء مركز مينا القمح احتفلوا بمأدبة فاخرة على النمط الافرنكي الذي تقدم شرحه في الرقيم الاول فويل لأولئك الوجهاء مما كسبت أيديهم ويا خسارتهم في دينهم ووطنهم

وياضيعة فخرهم بالفسق الذي أذاعوه بلسان البرق . وأما رقعة الدعوة فهي مشتملة على هذه الابيات مطبوعة

سنة المادي تنادي　　آل ودي بالحضور
عنـدنا القرآن يتلى　　فهو نور فوق نور
شـرفونا يا أحبـه　　للتهـاني والسرور

وظاهر الابيات ان الدعوة الى شيء من الفضائل الدينية التي تسن اجابتها شرعا وان تلاوة القرآن تضاف اليها فتكون نوراً على نور ولا يختلج في الذهن ان ذلك الداعي الاثيم انما يدعو الناس لمعاقرة الراح ومنادمة الصباح ويستهزء بالدين القيم الذي يتبرأ منه بافترائه على الله وجرأته على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمه ان سنته تدعو لحضور مجالس الشراب، واحتساء الكؤس والاكواب، وقرنه بين نور القرآن، وظلمة الدنان، مشايعة لشاعر الفجور، في تسميتها بالنور.

كُتب على ظهر الرقعة التي أرسلها أصحاب الرقيم «ان المدعو بها توجه ليلاً الى دار الداعي فرآه غاصا باولياء الشيطان، من الاحباب والخلان، وا ... واب الخمر تدار على الجميع جهاراً، لا يخشون عاراً ولا يتوقعون انكاراً، فسأل عن المشايخ فقيل له انه استعارلهم قاعة في دار جاره فوافاهم هناك وهم عشرة من المتبرين والمستمعون للقرآن الشريف ثلاثة ليس غير. ولدى الاستفهام من الداعي عن علة هذا الخلط المنكر أظهر تأسفه وألقى ذلك على عاتق أكثر اخوانه الذين وضعوا هذا الترتيب الافرنكي محاكاة لليالي المتمدنين في مصر» .

ويظهر من هذه الكتابة ان هذا الداعي لم تتمكن منه البدعة تمام

التمكن وانه انما أجاب طالب قرناء السوء ووافق رغبتهم حياء منهم (تأمل كيف انقلب الامر وانعكس حتى صار يستحي من ترك القبيح) فعسى أن يكون من الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب وان لا يتمادى مع هؤلاء الاشرار الذين يتلفون عليه دينه وماله ويوهمونه انه يكون بذلك متمدناً فوالله ان أمثال هؤلاء هم الذين يهدمون بنيان المدنية ويقوضون صروحها حيث يفيضون ثروة البلاد على الاجانب يستبدلون بها ألقاباً لا تصدق عليهم وأسماء لا مسميات كلقب التمدن والمتمدن

ليس التمدن تقليد الاوروبي فيما انتحاه من العادات والزيّ
ولا التقدم في رفع القصور ولا نقش الجدار ومبثوث الزرابي
ان القناء لا ينفك معتنقاً للضعف يخبط في ليل دجوجي
بل التمدن ملزوم التقدم صد عاة الرفاهة منفاة الالاقي (١)
روح شريف به تحيا الشعوب بما يبث فيها من العلم الحقيقي
حتى ترى كثرة الافراد راجعة لوحدة والفرادى كالاثابي (٢)
والاختلاف بآراء الرجال لاجـ ل الاتفاق على نيل الاماني
روح يفاض بأرض الكاملين على جسم الوجود من الجود الالهي
قوم قد انفردوا من بين أمتهم لخدمة الكل في الشأن العمومي

هذا هو التمدن لا تقليد مترفي الافرنج في تشييد القصور ومعاقرة الخمور والمجاهرة بالفجور تحت اسم الحرية والتمدن

ان هذه الخبائث وان كانت موجودة عند القوم الا انها ليست ممدوحة عند فضلائهم وعقلائهم ويعتبرونها من آفات مدنيتهم لا من

(١) الالاقي هي الدواهي (٢) الاثابي الجماعات مفرده أثبية

مقوماتها وهي آخذة بالنقصان لا سيما السكر فقد أثبت المقتطف الاغر في
بيان تاريخ المسكرات ان السكر قل في أوربا بالنسبة لما كان منذ ستين عاماً
مع ان أوربا تستحل الخمر وشدة البرد فيها يدعو الى السكر وقد ألفوا
جمعيات للسعي في ابطاله ولم نسمع انهم بلغوا من التفنن بالفسق والاستهانة
بالدين انهم يشوبون مجالس الشراب بقراءة الكتاب أو يدعون الى معاقرة
الراح باسم الانجيل . أهذا هو الدين الذي فقدته أوربا وحرص عليه
الشرق ؟ أهذا هو الاعتناء بشأن القرآن الذي تفتخر به مصر على جميع
البلدان؟ فاتقوا الله أيها الوجهاء في دينكم فلا تنتهكوه ، وفي وطنكم فلا
تضيعوه، فقد حكم غير واحد من عقلاء أوربا بأن انقراض الامم المتوحشة
سيكون على يد الاشربة الروحية ولا يعنون بالامم المتوحشة الا أمثالكم
أمثالكم من الذين فرطوا في حقوق أوطانهم فغلبهم عليها أهل الجد
والتشمير ولا يخرجنكم من الهمجية سرركم المرفوعة ، واكوابكم الموضوعة
بل ذلك مما يسجل عليكم الجهل والغباوة فانكم تبيعون الدنيا والدين بهذا
العرض الحقير ، اتقوا الله في أبنائكم وبناتكم وتبصروا في تأثير اجتماعاتكم
في نفوسهم ترون ان الصبوح والغبوق ، يطبع عليها بطابع الفسوق ، من
ابتلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر من أهله وعياله ثم من
سائر الناس والتمسوا الشرف من وجوهه الصحيحة التي تغنم لها أبناء
الاوربيين وبرابطهم كما يعترف بها العالم بأسره وما هي الا الشركات المالية
لانشاء المكاتب والمدارس لتعليم أبنائكم وبناتكم لقد مزق انذار الوقائع
غشاء آذانكم ، وكادت تفقأ عبر الحوادث عيونكم ، فمتى تسمعون ، وانى
تبصرون ، انا لله وانا اليه راجعون

دار السعادة

ورد الينا من بعض أفاضل الكتاب في الباب العالي كتاب بليغ يقرظ به (المنار) فعهدنا الى بعض العارفين باللغة التركية من كتاب العربية البلغاء بترجمته فترجمه ببعض تصرف لتناسب الترجمة الاصل في بلاغته وانا ننشرهما بنصهما لما فيهما من التنبيه

(الاصل)

فضيلتپناه أفندم

منار واصل يد افتخار أولدي ؛ محاكه انتقاد ايله أوقودم . أو قدر بكندم كه ملكمزده هنوز مثلي نشر أولنمديغنه حكم ايتدم . بلاغتي حكمتله مزج ايدوب بر سحرحلال ابداع ايتمشسكز كه ذوق آشنايان ومعنى شناسانى مفتون ومسحور ايتمامك قابل دكلدر . ملتك احوالنه نظر حكمتله باقوب مصاب أولديغمز وهن وانحطاط علت مهلكه سنك سببني علاجني كشف ايتديكز تربيه وتعلم كافل سعادتمز در ديديكز بو حكمكز بك مصيبدر . اخلاقمز جداً فاسد در ، تربيه يه محتاجز حقيقة جاهلز ، تعلمه مفتقرز . سزك كبي أولي الابصار بز بيچاره لري نوم أصحاب الكهفى كچن موتى آكديران شوكرا نخواب غفلتدن ايقاظ ايتمليدرلر . سائقه عماي نادانى ايله صاپديغمز شوكريوهٔ ضلالتدن دوشـديكمز شوكرداب مذلتدن قورتاروب شهراه هدايته منهاج عزته ارشاد ايلمليدرلر . اخلاقمز اوقدر فاسـد دركه ، وطن . حب وطن . حميت تعاون ، ميـل معالى نه در بيلميورز . أو قـدر جاهلز كه معارف ؛ زراعت ، تجارت ، صنعت ، اقتصاد ، ترقى ، عمران نه ديمكدر فهم ايتميورز ، بويله شيلر له اشتغال ايدنلري استحقار ايدرز . بز كيمز نه ايدك شمدى نه يز صكره نه أوله جغز بيخبرز . بهايم كبي سوق طبيعتله حركت ايديورز :

الناس في غفلة عما يراد بهم كأنهم غنم في دار جزار

منار ايچون اختيار بيورديغكز منهج قويم بك مستقيمدر ، بونده ثبات ايديكز

كه جريدهٔ فريده كز زمانمزده كي غزته لره بكزه مسون . فساديت وسوءمقصد له نشر اولنوب خيانت وخباثتي رداءت ودنائتي مرام ايدينان غزته لردن قطع نظر ظاهراً سلامت افكار اوزرينه مؤسس أولديغي ظن ايديلن غزته لر بيله اغراض ايله اوغراشوب و بعضاً اعراضه قدر تجاوز ايدوب مشاتمه دن جكنميورلر . شوني ده عاجزانه عرض ايده يم : مباحثاتده قانون مناظره دن زنهار آيرلمايكز اعلاي مدعايه دكل اظهار حقه جالشما ليسكز كه خدمتكز مبرور سعيكز مشكور خطيئتكز مغفور أولسون سزك كبي دهاة وهداته لايق أولان بودر . باقي عرض احترام ومخابره ده تمنئ دوام أفندم

التعريب

سيدي الفاضل

تناولت ناركم الأغر وقرأته معملاً الفكر في تنقده فذهب بي الاعجاب الى انه خير ما نشر في بلادنا من الصحف الى الآن ولقد مزجتم فيه البلاغة بالحكمة مزجاً يصف السحر ويختلب الفكر . (١) صرفتم البصر تلقاء شؤون الأمة وأحوالها وذهبتم الى ان ما رهقها من الوهن ورزئت به من التقهقر ليس له علة سوى الجهل وفساد الاخلاق وان العلاج الناجع انما هو تعميم التربية والتعليم الصحيح فهما الكفيلان بإسعاد الأمة ولعمر الحق انكم لم تعدوا الحقيقة في هذا الحكم .

لا يعترض الشك في فشو الجهل بين افراد الامة وغلبة سوء الاخلاق على طباعها فالامة اذن في امس الحاجة واشد الافتقار للتربية والتعليم .

لا يسئل احد عن اهماله مثلما يسئل ذوو البصائر عن تقاعدهم في سبيل تنبيهنا وايقاظنا من سبات الغفلة التي تحكي نوم اهل الكهف بل تكاد تكون موتاً .

---

(١) والترجمة الحرفية لهذه العبارة هكذا : فبلغ من اعجابي به أنْ حكمت بأنه لما ينشر الى الآن مثله في بلادنا و بلغ من مزجكم البلاغة فيه بالحكمة انكم أبدعتم فيه ابداعا يستحيل ان يكون أرباب الذوق وفقهاء المعاني غيرمسحورين به

عليهم ان يرشدونا الى جوادّ العزة ولاحب المجد ويوضحوا لنا سبيل الهداية وينتاشونا من هوة المذلة التي سقطنا فيها وشعاب الضلالة التي ساقنا اليها الجهل وسفاله الاخلاق. كيف لا نكون في الدرك الاسفل من فساد الاخلاق ونحن لا نعلم ماهو الوطن ماهي الحمية ماهي الفتوة ماهو التعاون وما هو الميل الى المعالي . ام كيف لا نكون في اشنع الجهل ونحن لا نفقه المعارف والزراعة والتجارة والصناعة والاقتصاد والترقي والعمران معنى بل بلغ بنا السفه الى ان ننتقص من يهتم بالسعي الى هذه الامور المقدسة أعندنا علم بحقيقة أمرنا ؟ أليس من العجب ان لا نتبصر فيما كنا عليه وما نحن عليه والى ما نحن صائرون ؟ وما أرانا الا كالبهائم المرسلة تتقلب فى تكاليف الحياة بسائق الفطرة وحادي الطبيعة

والناس في غفلة عما يراد بهم كأنهم غنم في دار جزار

ان النهج الذي آثرتموه في انشاء المنار لمن أمثل الطرق وأقصدها . الزموا هذا النهج وثابروا على هذه الخطة فتصبح صحيفتكم فريدة فى بابها منقطعة القرين بين نظرائها غض الطرف عن الاوراق التي نشرها مرضى القلوب ملوثين باسم الخيانة والشرارة مسترسلين في الافساد والدعارة وألق أشعة بصرك نحو الصحف التي يزعم ذووها أنهم انما انشأوها خالصة للوطن عاملة على نشاله متفانية فى خدمته لاجرم انك تجدها تذهب مع الاغراض وتصغي لوسوسة الاهواء ولا ناهية لها عن البذاء والسباب بل تتعدى تارة الى نبش الاسرار ونهش الاعراض . ومما يجدر بكم المشي عليه في صحيفتكم هذه أن لا تتنكبوا فى مباحثاتكم عن اصول المناظرة واحرصوا كل الحرص على ان يكون غرضكم اظهار الحقيقة والاخذ بيد الحكمة لا اثبات مدعاكم وتأييد رأيكم كيف ما كان . هذا هو الاحجى بمن كان مثلكم من هداة الشعوب وقادة أفكار الامم وبذلك تكون خدمتكم لوطنكم مبرورة ومساعيكم لدي اهله مشكورة وهفواتكم عند الله مغفورة . وفي الختام اقدم الاحترام واتمنى مراسلتكم على الدوام . مولاي

صيحة حق (*)

ايها الشرقي كيف يطيب لك النوم على غوارب هذه الامواج المضطربة، وفي مهابّ هذه العواصف العاتية، اما ازعجك هذا الموج المتلاطم، وارهبك هذا اللجّ المغتلم، اما اقلقك هزيز [1] هذه الرياح المتناوحة، وهزّت جسدك زعازعها المتراوحة، ام صخّت آذانك، [2] وخدّرت جثمانك، فتعذّر إسماعك وتحسيسك [3] و... يأس من ايقاظك وتنبيهك، ؟ لو انك يقظان لكنت اجدر بالاطيط [4] من الغطيط [5] وأخلق بالزفير والشهيق، من المكاء والتصفيق، ويحك هل انت فاقد الرشد لصغر سنك، واختبال عقلك، ام انت زمِن عاجز؟ اذا كنت صحيح العقل والجسم فكيف رضيت ان تقيم الاجنبي وصياً وقيماً عليك بحيث اذا لم يقدم لك مادة طعامك ولبوسك وكنك وادوات الوصول اليها تموت من الجوع والعري وهو لا يسمح لك بهذا اللّماج [6] الذي تأكله، والسّمول [7] الذي تلبسه، الا ليستخدمك ويستملك كما يستعمل الآلات الميكانيكية. لا يخدعنك ما ترى في بلادك من مظاهر الثروة على بعض افراد التجار فلو اقفلت في وجوههم مصارف (بنوك) أوربا وغلت ايدي

---

*) فاتحة العدد الثالث عشر الذي صدر في ٢٥ المحرم سنة ١٣١٦!

(١) صوت الريح «٢» أي ضربتها فأصمتها «٣» جملك تحس «٤» صوت من اثقله حمله «٥» صوت النائم «٦» ادنى ما يؤكل «٧» ثوب خلق

تجارها عن امدادهم لحاصوا حيصة الحُمُر، واضطربوا اضطراب الارشية[1] في الطوي[2] البعيدة القعر، لا ... ...نك ارض بلادك (اطيانك) الواسعة فقد نقصها الغربيون من اطرافها، بل كادوا يحيطون بأ كنافها، وقبضوا على موارد الثروة فيها، حتى انهم ليبيعونك ماءها الذي تحتسيه، ويتقاضونك أجرة طريقك الذي تجول فيه، لا تزدهينك عظمة حكامك فقد أمسوا مغلوبين على أمرهم، ومنفذين لارادة غيرهم، الا قليلا ممن انجاه الله تعالى منهم، ولست أخص بهذا ما يفتات به رجال الانكليز على الحكومة المصرية من نحو بيع سفنها وصفاصفها[3] مثلا بل أعم به كل قانون جادت به الحكومات الشرقية (لاسيما الاسلامية) على أهل أوربا بجارت بذلك وعدلت عن طريق الفضيلة الدينية كإباحة السكر والبغاء والكشف الطبي على البغايا الذي تقشعر لتصوره جلود الذين آمنوا وينفعل لتذكره روح كل معتقد بدين سماوي . قلنا انهم مغلوبون على أمرهم لكن هذا الغلب لم يجبروا عليه بكرى[4] المدافع ورصاص البنادق وانما كان لضعف في الدين ووهن في العزيمة وجهل بعاقبة الامور . ادهشتهم عظمة أوربا واستهوتهم زخارف مدنيتها فطفقوا يتقربون اليها، ويقلدونها بأقبح ما لديها، عن غير روية ولا بصيرة « الا ساء ما كانوا يعملون »

دع عنك التفكر بسيئات الحكومات واصرف بصرك الى وطنك وماذا يجب له عليك . حدق النظر واستطلع الخفايا واستجل الدقائق يتجل لك انك دعامة وجوده، وروح حياته، بك يعيش ويحيا، وبك يموت ويفنى،

« ١ » جمع رشاء وهو حبل الدلو « ٢ » البئر « ٣ » أراضيها المستوية « ٤ » جمع كرة

بك يعز ويغنى ، وبك يذل ويشقى ، واذا تجلى لك هذا تشعر بأن لك شأناً عظيماً في الوجود وتحس بقواك المقدسة التي أودعها مدبر الكون في جرثومتك الانسانية ، فتندفع الى طلب الفضيلة الحقيقية ، والكمال الصحيح الذي انت له اهل ، ولا ترضى ان تكون نقاعا [١] انفجانيا [٢] أو إمَّعاً [٣] اوغطاريا [٤] وانرضي بذلك الجماهير الذين فقدوا هذا الشعور والاحساس الشريف ٠ كل من يرى نفسه في قصور عن اسعاد وطنه واعلاء منار امته فهو كافر بنعمة العقل محروم من الكمالات الانسانية التي ارتفع بها البشر ، عن مرتبة الحمر والبقر ٠

من احط شأنا ممن يرى ان السعادة الانسانية ، في التمتع بالشهوات الحيوانية ، ويقنع بأن يفوقه الثور في اكله ، والعصفور في سفاده ، والطاووس في لبوسه ، والفرس في خيلائه ، والثعلب في حيله ، ويطيب له العيش وهذه العجماوات افضل منه واكمل فيما حسبه فضيلة وكمالا ٠ ايه ، ان من الحشرات ما يعمل ويسعى لجنسه ووطنه كالنحل والنمل ، افترضى ايها الشرقي ان تكون اخس من الحشرات وانقص من الهوام ؟ ٠ الى متى هذا التفرق والتبدد ، والتوحيد والتفرد ، مدّ يدك لمواطنك ومشاركك في موادّ حياتك وتعاهدوا وتعاونوا جميعا على ما فيه منفعة الجميع ، اخلط مالك بماله ، تختلط نفسك بنفسه ، واعملوا مجتمعين فقد كفا كم ما جناه عليكم التفرق والانفراد . بادروا الزمان ، قبل فوات الامكان ، فيوشك أن لا يدع الدخيل لكم باباً

«١» المتكبر بما ليس عنده «٢» بمعنى الاول والمفرط فيما يقول «٣» هو الرجل الذي لا رأي له ولا عزم فيتابع كل أحد على ما يريد «٤» هو الرجل الذي لا خير عنده ولا شر

من أبواب الثروة الا أقفله، ولا سبباً من أسباب النجاح الا قطعه ،فماذا ينفعكم التنبه إذا أغلقت دونكم الابواب، وتقطعت بكم الاسباب،ألفوا الشركات المالية ، وشيدوا المدارس الوطنية، وربوا أبنائكم وبناتكم على ما تقتضيه مصالحكم الوطنية، وآدابكم الدينية، فلا نجاة ولا نجاح لكم الا بهذا. وأمَّا التشدق بالقيل والقال، والجلاء والاحتلال، وقطع الزمان بالاماني والتشهي ، وتأسف العجائز والزمنى،فهو مما يضيع الفرص ولا يغني عنكم شيئاً والماضي عنوان الآتي

معاشر العثمانيين ، وأنتم أول من أعني بالشرقيين ، ليذكر عالمكم جاهلكم ، ولينذر متنبهكم غافلكم . ألفوا الشركات ، وعلموا البنين والبنات ، « ولا يجرمنَّكم [1] شنآن [2] قوم على أن لا تعدلوا » ولا يصدنكم اختلاف المذاهب، عن الاتفاق على المكاسب،فقد رأيتم العبر في البلاد التي أصاخت لوساوس الاعداء ، وعملت بدسائس الدخلاء،وكيف خربت ديارهم ، واجتثت أشجارهم ، وسفكت دماؤهم ، ويتمت أبناؤهم ، وما كان من قلب اوضاع ، واستباحة ابضاع ، والدين من وراء ذلك ، ينهى عن انتهاج هذه المسالك

تفكروا في معنى الامة والوطنية واقدروا حق الشعب قدره ، يتضح لكم ان الامة تتكون بالاجتماع، على الانتفاع ، وبالاتحاد، على نيل المراد، وبتربية الحاكمين الذين يقيمون النظام ، ويحفظون الامن العام، يسهل على الشعب أن يربي أفرادا وأمماً، ويعسر على الآحاد أن تربي شعبا كبيراًوأمة عظيمة، لا سيما مع قلة المال ، وسوء الحال ، فختام التعلق بأذيال الحكومة ،

(١) يحملنكم (٢) بغض

والتشبث بأهداب الآمال الموهومة ، والانحاء على الدولة بالتقصير ، والانخداع بالغش والتغرير ،

تنبه جماعة من اخواننا الاتراك الى أن الامة في حاجة الى اصلاح ولكنهم جهلوا طريقه أو تجاهلوه فلجأ بعضهم الى أوربا وبعضهم الى مصر وانشأوا جرائد للتنديد بسياسة المابين الهمايوني ونالوا من مقام الحضرة السلطانية مانالوا، وطعنوا في رجال الدولة العلية وسوءأوا أعمالهم وأحكامهم ، والتف عليهم قوم آخرون، ولايخفى على الناس مايسرون جميعهم ومايعلنون، ولو صرفوا أقلامهم الى التعليم ، لهدوا الى صراط مستقيم

أو لم يكفهم ان سلطانهم وامامهم هومقاوم بسياسته وحكمته لاوربا كلها، وانه قد أوقف بقواه العقلية الباهرة من تيارات الحوادث،وسكن من عواصف الكوارث، ماتعجز عنه الجماعات بل الامم، حتى قال فيه رئيس ساسة الانكليز الذين يفوقون ساسة كل الامم وهو المستر غلادستون الشهير « ان السياسة الحميدية تغلبت على السياسة البريطانية وقهرتها في المسألة الارمنية » والفضل ما شهدت به الاعداء، واعترف به الخصماء ، فاذا تفرغ من هذا شأنه لاعارة الاعمال الداخلية نظراً ألا يعد ذلك من خوارق العادة في القوى البشرية؟بلى وان مولانا السلطان الاعظم قد بذل من العناية في داخلية ممالكه مالو ساعده عليه أهلها ولم تعق سيره فتن السياسة لنهض بها نهضة عظيمة كما يشير الى ذلك قول « الاستاذ اللغوي فيبري الرحالة المجري » من بضع سنين في ترجمة مولانا السلطان أيده الله تعالى وهو (١)

(١) ان هذا الاستاذ قال هذا القول في أوائل عهد [illegible]

« أقول عن ثقة وروية انه اذا استمر الاتراك سائرين في المنهج الذي نهجه لهم سلطانهم واذا لم تعرقلهم مشاكل السياسة ومخاطرها بلغوا مبلغا يذكر فيشكر بعد زمان وجيز وتوطد أساس ارتقائهم العقلي والاقتصادي ووجودهم السياسي في مستقبل الايام. ولقد قال لي جلالة السلطان يوماً « قد جعلت السلم غرضي أسعى اليه جهدي اذ السلم هو الدواء الذي يشفي ما أصابنا في الماضي من قروح التقصير وادواء الاهمال وسوء التدبير » وذكر انه سمع من جلالته أيضا ما ترجمته « ان أوربا قد هزقت أرضها ومهدت تربتها أعواما وعصوراً حتى جاءت بما نراه فيها من مصادر الحرية والمنشآت الحربية والآن يطلبون اليّ أن أقتلع فسيلة من منابت الحرية فيها وأغرسها في أراضي آسيا الوعرة البائرة القاحلة . دعوني أتمهد هذه الاراضي قبلاً بما يحسنها فاقتلع أشواكها وأرفع أحجارها وأفلح تربتها وأخد الاخاديد واحتفر الاقنية لارواثها لان أمطار آسيا قليلة نادرة ثم أنقل تلك الفسيلة اليها وأكون أول من يطيب نفسا ويقر عينا بنمائها ونضارتها وغضاضتها »[1]

ثم ان اطلاق الحرية للشعب الجاهل يزج به في الفواحش ويفضي به الى الهرج والفوضى فلا بد من السعي في تعميم التربية والتعليم مع نوع من الحجر والتقييد واطلاق الحرية لاصحاب الافكار والاقلام رويداً

= له فيه رأي آخر كما وقع لنا فقد علم وعلمنا ان السلطان كان هو العائق للعثمانيين عن الترقي وقد انكشف لنا الحق بعد الاستقرار في بلاد الحرية « مصر » بنحو سنة « راجع مقدمة هذه الطبعة » « • » انه لبث في الملك نحو ثلث قرن ولم يفعل شيئا مما قال بل كان يطارد العاملين ويقتلهم

رويداً في ضمن دائرة الشرع خلافاً للمفتونين من حزب تركيا الفتاة الذين يسيرون في طرق مجهولة ، ويرمون لاغراض غير معقولة ، ولقد صدق مولانا أيده الله تعالى فيما أشار اليه من كون أراضي نفوسنا فاحلة من المعارف وفيها أشواك وتضاريس ينبغي ازالتها قبل إلقاء بذور الحرية فيها ، ولقد صدقنا وعده بالاجتهاد في ازالة الموانع ، وادالة المنافع ، ولكننا لم نساعده على تحقيق أمانيه الشريفة بل منا من تعدى الحدود وما وفى بالعهود[1]

أين الشركات التي عقدناها ، والمدارس الوطنية التي شيدناها ، امامنحنا امتيازات لانشاء سكك حديدية فحملت الجهالة من نعدهم من أمثلنا وأنفسنا ، على ايثار الاجانب على أنفسنا ، وبيع الامتيازات بأبخس ثمن ، مع ان بيعها بمعنى بيع الوطن ، أنشأ الامير العاقل سعادتلو محمد باشا المحمد مدرسة في عكار فحباه برتبة عالية « ميرميران » ووسامات زاهية ، وانعم على المدرسة بكتب قيمة ، ونسبها الى ذاته المعظمة ، « الحميدية » فهل وراء هذا ترغيب وتنشيط ، وهل ينبغي ان يكون معه تقاعد وتفريط ، ولولا اشتغال مولانا أيده الله تعالى بحل المشكلات ، ومعالجة المعضلات ، لانال الملك بحزمه وهمته آماله ، ولبلغنا من الارتقاء فوق ماقدر بذلك الرحاله ،

وخلاصة القول ان مولانا السلطان الاعظم سدده الله تعالى جار على قاعدة تقديم درء المفاسد على جلب المصالح ، وما يعلم انه الاهم على المهم ، ومع ذلك لا يأتلي أن يكافيء من أصلح خللاً ، وأحسن عملاً ، وانه يتعين على علماء الامة وأغنيائها ان يوافوا رغبته في اصلاح داخلية البلاد والعمل على

« ١ » اما والله اني كنت معتقداً لهذا القول يوم كتبته وانما كان اعتقادي فيه باطلا وغرورا من سنيه الشبهة الآتية

ترقيتها لاسيما تعميم التربية الحقة والتعلم الصحيح فهما الكافلان باستئصال الامراء الخونة، والحكام الظلمة، والعاملان على اصطلام [1] الغي والفساد، والبغي والإداد [2] هما المطهران للنفوس من أدران الرذائل، والمسبغان على الارواح حلل الفضائل، بل هما الروح الذي تحيا به الشعوب والامم، والنور الذي تستضيء به في دياجير الظلم، ولا يمكن الحصول على الغرض منهما الا بارشاد العلماء، وإرفاد الاغنياء، فمن قصّر في وظيفته منهما فهو خائن لامته ودولته، عدوّ لوطنه وملته، فالجهل خير من علم لا ينفع، والاملاق (الفقر) أفضل من ثراء (غنى) لا يرفع، ومن يرغب عن الحكمة الى اللهو، ولا يعرض عن مجالس اللغو، فهو جهول وان وسموا بالعلم تدجيله، وصاحب فضول وان سموه صاحب الفضيله، ومن يحرز المال في صناديق الحديد، ويمسكه عن كل مشروع مفيد، وهو يرى بلاده تباع للدخلاء، وأزمة ثروتها تتنازعها الغرباء، وابناءها منغمسين في الترف، وبناءها على شفا جرف، فهو الخاسر المغبون، والخائن الملعون، والاخرق المجنون، انفاقه سفه وتبذير، وامساكه شح وتقتير، بل خراب وتدمير، وان رفعت قصوره وسراتبه، ونصبت موائده ومآدبه، وجرّت مركباته (عرباته) وجرَت مراكبه، (ذهبياته)

فالوطنَ الوطنَ أيها المصريون، الوطن الوطن أيها العثمانيون، جانبوا البطالة والكسل، وأجيبوا داعي العلم والعمل، احفظوا جامعتكم العثمانية، واخلصوا للدولة العلية، تعاونوا على البر والتقوى، وتمسكوا من الحزم بالسبب الاقوى، وابتدروا المنهج القويم، ولا تكونوا كدابغة

«١» استئصال «٢» جمع إد هو المنكر والعجب والامر الفظيع والداهية

وقد حلم الاديم ،[1] والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

القوة في المال

رسالة حكيمة وردت الينا من أحد كتاب دمشق الشام الافاضل فأثبتناها لما فيها من التنبيه والفائدة شاكرين فضل مرسله وغيرته وهي

نعم المعين على المروءة للفتى　　مال يصون عن التبذل نفسه

لا شيء أنفع للفتى من ماله　　يقضي حوائجه ويجلب أنسه

واذا رمته يد الزمان بسهمه　　غدت الدراهم دون ذلك ترسه

المال ولا أزيد القراء به علماً من أعظم أسباب السعادة والرفاه ، وبواعث السؤدد والمنفعة والجاه ، بل هو المحور الذي تدور عليه الاعمال، وتناط به الآمال ، وتحط عنده الرحال ، وتوجه اليه همم الرجال ، فلا يستغنى عنه في حال من الاحوال

لابد للمرء من مال يعيش به　　وداخل القبر محتاج الى الكفن

بالمال تقضى الحاجات ، وتنال الرغبات ، وترد اللهفات ، وتضاعف الحسنات ، وتستجلب الدعوات ، وتعمل الخيرات ، وترفع الدرجات ، فهو زينة الحياة وغاية الغايات ،

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما　　المال تصلح منه الحال والولد

زين الحياة هما لو كان غيرهما　　كان الكتاب به من ربنا يرد

(١) حلم الاديم وقع فيه الحلم (دود) فافسده والكلام يضرب مثلا لمن يحاول اصلاح أمر بعد فساده واليأس منه

والفقر أعاذنا الله واياكم منه هو البلاء الاكبر، والموت الاحمر،

اذا قل مال المرء قل حياؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وان كان حازما أقدامه خير له أم وراؤه

كم صير العزيز ذليلاً، والشريف وضيعاً، وقد ورد فيه «كاد الفقر أن يكون كفراً» وما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر

غالبت كل شديدة فغلبتها والفقر غالبني فاصبح غالبي
ان أبده أفضح وان لم أبده أقتل فقبح وجهه من صاحب
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وفي الحديث الشريف «لا خير في من لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه» ومن كلام الامام الثوري: المال في هذا الزمان عز المؤمن. ومن كلامه أيضا المال سلاح المؤمن في هذا الزمان

هذا قليل من كثير مما قيل في فضل المال وفوائده ومنافعه بالنظر للافراد، وأما بالنظر للامة ففوائده أعظم وأجل، وفقده أدهى وأمر، قال حكيم: لا دولة الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالعمارة. فالمال هو ميزان قوة الامة وداعية مجدها واستقلالها خصوصاً في هذا الزمان الذي أضحى مدار الاعمال فيه على المال اذ بالمال تسد الثغور، وتشاد القلاع والحصون، بالمال تجمع الجموع، وتحشد الجيوش، بالمال تصان الحدود من هجمات الاعداء، وتسير الاساطيل في عرض البحار، بالمال تبتاع العدد من أسلحة ومدافع وذخائر، فالقوة كل القوة في المال، كما ان كل الصيد في جوف الفرا، ولا حياة للامة بلا مال، ولا وجود ولا استقلال، ومعلوم ان ثروة كل دولة من ثروة أمتها وثروة الامة من ثروة الافراد فاذا كان الافراد أغنياء كانت الامة

غنية واذا كانت الامة غنية كانت الدولة قادرة على حفظ دمارها وحماية بيضتها وصد هجمات الاعداء عنها، ومنع مطامع الطامعين فيها، إذ لا يخفى ان الجسم المادي كبيراً كان أو صغيراً — من الكرة التي يلعب بها الاولاد الصغار الى أكبر الثوابت — هو مؤلف من جواهر فردة وقوته عبارة عن مجموع قوة هذه الجواهر فكذلك الدول العظيمة مؤلفة من مجموع افراد تبعتها وقوتها عبارة عن قوة تلك الافراد فاذا أعنت صانعاً على احياء صناعته أو تاجراً على توسيع تجارته أو زارعاً على اتقان زراعته فقد أحسنت الى ذلك التاجر والصانع والزارع «أولا» وزدت في ثروة بلادك «ثانياً» وفي أمتك ودولتك «ثالثاً» والعكس بالعكس. فالصانع والتاجر والزراع يجب ان يكون لهم المقام الاول في الهيئة الاجتماعية لأن عليهم مدار الثروة والقوة

فاذا علمت هذا ظهر لك خطأ بعض الجهلاء المتسمين بسمة العلماء الذين يزهدون الناس في الاشغال والاعمال ويثبطونهم عن العمل بحجة أنهم يزهدونهم في الدنيا الفانية، ويقربونهم من الآخرة الباقية، وان الساعة على وشك القيام، فلا حاجة الى هذا الاهتمام . يحسبون بذلك أنهم يحسنون صنعاً ألا ساء ما يعملون. يتقاضون بهذا عن تنشيطهم الناس بصفة انهم قادة العقول، الى النهوض من سنة الخمول، الى الكد والجد ومناظرة غيرهم في جهاد الاعمال والاشغال، فان الدنيا مزرعة الاخرة والشرع الاسلامي لم يحظر على أحد الكسب والارتزاق بالوجوه المشروعة وقد جاء في الحديث « اعمل لدنياك كانك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كانك تموت غداً » وما ورد من التزهيد في الدنيا يراد به الزهد بما في أيدي الناس

وأما احتجاجهم على وشك قيام الساعة فالساعة علمها عند الله سبحانه

وتعالى كما جاء في الكتاب وما يعنينا ان كانت قريبة أم بعيدة فعلينا ان نعمل بتلك القاعدة الذهبية التي وضعها احد الفضلاء ونربي أولادنا عليها وهي « اذا أخبرنا ملك من السماء باننا سنموت غداً فيجب ان نتم واجباتنا اليوم ونموت غداً » ومعلوم ان موارد الكسب ثلاثة الزراعة والتجارة والصناعة « سنفرد لكل واحدة منها مقالة في المستقبل » وقوامها كلها بالتوفير والاقتصاد وليس المراد بالتوفير الشح والبخل المذمومين شرعاً وعقلاً بل اتقان أساليب الكسب والارتزاق وتوفير الثروة العمومية واصلاح التجارة والزراعة والصناعة على الطرق التي يجري عليها الغربيون ورائد ذلك كله العلم الصحيح كما سنبينه في فرصة أخرى

والقصد من هذا التمهيد كله ذكر بعض ما شاهدته في الديار المصرية مما يذهب بثروة أهلها وملاشاتهم ، ان ظلوا على سباتهم وغفلتهم ، وذلك اني زرت الديار المصرية منذ عشرين سنة وزرتها في العام الماضي فوجدت فرقاً كبيراً في الزيارتين : وجدت في الزيارة الاولى مصر للمصريين وفي الثانية مصر للدخلاء والغرباء ، وجدتهم قابضين على الوظائف المهمة ، والاشغال العظيمة ، وجدت المالية بيدهم وكذا التجارة ، والبنوكة ، والاشغال العمومية ، وجدت الوطنيين آلة صماء بايديهم ، وجدت أكثر أبناء الاعيان الذين هم رجال المستقبل منغمسين في المنكرات ، عاكفين على اللذات ، ينفقون المال جذافاً في سبيل البذخ والشهوات ، وكثيرين منهم باعوا ما تركه لهم أسلافهم من الاطيان والعقار وأضاعوه في القاهرة واخواتها من الفواحش ، وجدت الوطنيين مثقلين بالديون الأجانب ، وجدت أكثر سراتهم ووجهائهم عاكفين على اللهو والبطالة وأحوالهم في تأخر وتقهقر

والاجنبي يبتز أموالهم ويتملك أطيانهم، واذا سافر أحدهم الى البلاد الاوربية كما هي عادة بعضهم في زمن الصيف وابّان القيظ فلا يعود منها بتجارة أو صناعة تعود عليه وعلى بلاده بالنفع والفائدة بل بأحمال من الازياء والعادات الافرنجية التي تذهب بجانب كبير من ثروته اذا لم تذهب بمجموعها . وقد شاهدت واحداً منهم فتح مخزناً كبيراً لتجارة واسعة قرب الازبكية فتنزل الخديوي أيده الله يوم فتح المخزن لتشريف مخزنه بذاته الكريمة وهنأه بذلك تنشيطاً لغيره باحتذاء مثاله .

ثم جلت في الارياف حتى انتهيت الى الحدود فرأيت مثل ما رأيت في البنادر الكبيرة وزيادة: رأيت الدخلاء قد نصبوا فيها للفلاحين المساكين فخاخ المسكر والميسر والفواحش والربا الفاحش يوقعونهم فيها ويستولون على أطيانهم. رأيت في الاقصر داراً كبيرة حمراء على هيئة البرابي المصرية القديمة لرجل أجنبي قدم البلاد منذ بضع سنين فسمع ان الفلاحين يستدينون الجنيه الواحد بخمسة غروش في الشهر فاستوطن ذلك المحل وأخذ يقرض الفلاحين الدنانير بذلك الربا الفاحش فأثرى اثراء مفرطاً وبنى تلك الدار على الهيئة التي ذكرناها وقلما مررت بكفر الا ورأيت فيه المواخير والحانات ومحلات المقامرة والفحش والعمد والفلاحين عاكفين عليها أي انعكاف وكنت اذا مررت بعزبة عامرة وفيها الآلات المتقنة لري الارض أسأل عنها فيقال لي انها لفلان الاجنبي ابتاعها حديثا من فلان الوطني واذا مررت بعزبة عامرة تسقى بالشادوف أو الساقية أسأل عنها فيقال لي انها لفلان الوطني وهو على وشك أن يبيعها لانه مثقل بالديون للبنك أو لفلان الاجنبي . وفي الجملة اني رأيت تنازع البقاء في هذا القطر بالغا أشده بين الوطنيين والدخلاء

ولا بد ان يؤدي الى نتيجته المعلومة « بقاء الانسب » أي ملاشاة الوطنيين « لا سمح الله» اذا ظلوا على حالتهم الحاضرة وقيام الدخلاء مقامهم فيصبحون لديهم أجراء يستخدمونهم كما يستخدمون البهائم. فبمثل هذا يجب الوعظ والانذار، ولمثل هذا يجب توجه الافكار وتنبه الهمم، ولما كانت جريدتكم من الغيرة والحمية بالمكان الذي نعلمه ويعلمه الجميع كتبت اليها بهذه العجالة مع علمي اني بذلك كمهدي السمك الى البحر، والتمر الى هجر، وبالله التوفيق

بيع الحكومة المصرية لسفنها واطيانها وسككها [1]

باعت الحكومة المصرية لاجل حملة السودان البواخر الخديوية لشركة انكليزية وكانت قررت بيع تفتيش الوادي لكن لم يبرم الامر فيه لانه وقف وقررت اخيراً بيع الدائرة السنية لشركة انكليزية فرنسوية مصرية لكن الشركة تطلب تحويرا في شروط البيع فلم يحصل القبول الآن وعزمت على بيع سكك حديد السودان فارسل الباب العالي رسالة برقية الجناب الخديوي في ذلك وهذا ملخصها على ما جاء في جريدة الاهرام الغراء

« ان انكلترا باحتلالها مصر قد اعلنت مرارا احترام حقوق السلطنة العثمانية على وادي النيل مما نشكرها عليه ولما كانت سكك حديد السودان طريقاً حربية فانه يستحيل بيعها الى شركة ولا سيما اذا كانت اجنبية ونحن نعلم احتياج مصر الى المال للقيام بنفقة الحملة السودانية . ولكن الاموال متوفرة في صندوق الدين فيمكنها ان تتناول منه ما تحتاج اليه ومع ذلك فان الباب العالي يسمح لمصر بعقد سلفة لنفقات السودان وهو مستعد لاصدار فرمان شاهاني بذلك » اهـ

---

(١) وردت هذه النبذة في العدد الثاني عشر

﴿ بيع سكك الحديد السودانية ﴾

أهم ما يشغل الافكار وتلهج به الالسنة في هـذه الديار مسألة بيع سكك حديد السودان لشركة انكليزية كثرت في المسألة الاشاعات وانشأت الجرائد اليومية فيها المقالات الضافية وقد ذكرنا في العدد الماضي ما نقل من اعتراض الباب العالي على الحكومة المصرية وابطال احتجاجها باحتياجها المال للنفقة على حملة السودان ويروى عن السبب في ذلك ان اللورد كرومر طلب من سمو الخديوي المعظم المصادقة على البيع واطلعه على رسالة برقية جاءته من اللورد سالسبري يأمره فيها بالزام الحكومة الخديوية بتنفيذ هذا البيع فأبى سموه الرضى والقبول ورفع الشكوى من هذا التشدد الى مقام المتبوع الاعظم فترتب عليه الاعتراض . و يشيعون هنا ان الجناب العالي الخديوي سيشتري تلك السكك بماله الخاص اذا رأى انه لا مندوحة عن بيعها وان الشركة الانكليزية لا تبت البيع الا بعد الاستيلاء على الخرطوم هذا ملخص الاخبار في ذلك وماوراءه فتأسف عجائز، وتفجع ثواكل، ورثاء وعزاء، ونشيج و بكاء. هذه عاقبة الشعوب الجاهلة بحقوقها وواجباتها المسرفة في امرها . التي يظن كل فرد من افرادها انه كون برأسه يرمى ترك التعاون والاجتماع الى ايدي الذئاب والسباع « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك وانت لا تدري فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية

رسالة التوحيد

قد نجز طبع « رسالة التوحيد » تأليف الاستاذ الفاضل والعلامة الكامل الشيخ محمد عبده العضو العامل في ادارة الازهر الشريف ومستشار محكمة الاستئناف في مصر . اما الاستاذ فهو من آيات الحكمة البينات فلا يزيده التعريف بيانا . واما الرسالة فهي في فن الكلام غاية الغايات « لا تطاولها على اختصارها المطولات ، تحقيق بديع ، في اسلوب رفيع ، وحكمة بالغة ، في عبارات سابغة » يعرف قدرها من نظر في كتب المتقدمين والمتأخرين في هذا العلم . اثبت مؤلفها « شكر الله سعيه » في

مقدمتها نبذة في تاريخ هذا العلم ثم بين حقيقة الدين المطلق وافاض في شرح ماامتاز به الدين الاسلامي على غيره من الاديان السماوية الحقة و كشف الحجاب عن السر في كونه آخر الاديان ومن جاء به خاتم النبيين وحرر فيها مسائل الخلاف الذي رمت اهل الاجتماع والتوحيد، بسهام التفريق ,التعديد، فذهبت بهم في دينهم مذاهب مختلفة ولبستهم شيعا واذاقت بعضهم بأس بعض غفلة عما جاء به القرآن من الامر باقامة الدين وعدم التفرق فيه . بين ان ذلك الخلاف مما لا يصح ان يكون مفرقا لو نصف احد الفريقين وطلب الحقيقة من غير عناد ولجاج، ومراء في الاحتجاج، استدل بالعقل في موضعه، و بالنقل في موضعه، «وسلك في العقائد مسلك السلف . ولم يعب في سيره آراء الخلف . و بعد عن الخلاف بين المذاهب ، بعده عن اعاصير المشاغب» فلا قيل ولا قال، ولا مراء ولا جدال، ولا تمويه ولا تغرير، ولا تفسيق ولا تكفير، وقد راعى فيها حالة العصر فاغمض عن شبه المتقدمين ووساوسهم في الدين واسهب في الكلام على الرسالة العامة و بيان حاجة البشر اليها وعلى امكان الوحي ووقوعه وكونه كما لا لنظام الاجتماع وطريقاً لسعادة البشر . ودفع ما يورده فلاسفة أوربا من الاستدلال بسوء حالة أهل الاديان عموماً والمسلمين خصوصاً على نقيض ما ذكر من مزية الدين المطلق ومن كون الاسلام هو الدين الذي خاطب الله به البشر عند بلوغ النوع الانساني رشده ودخوله في طور العقل وانه يمكن ان يكون عليه الناس كلهم من مدنيتهم الحاضرة وما بعدها الى يوم الدين

و بالجملة ان هذه الرسالة هي التي يصح تبليغ الدعوة بها في هذا العصر على الشرط المعروف « وهو ان يكون على وجه يستلفت النظر » وانها هي الدليل على ترقي العلم عند المسلمين فقد مرّت علينا قرون ونحن نسمي النقل من الكتب تأليفاً وان كان نسخاً يشبه المسخ ظهر فيه للعيان ان كل عصر دون ما قبله حتى كدنا نجزم ان سنة الله تعالى في الخلق ان يكونوا دائماً في تدلّ وهبوط، والحق ان سنة الله تعالى في خلقه ان يكونوا دائماً في ترق وصعود ، وان تدلينا وانحطاطنا كان لعلل طارئة، وامراض عارضة، والامراض في الأمم كالأمراض في الافراد . و يسرنا ان الله تعالى أنعم علينا في هذا العصر باطباء عارفين يشرحون لنا عللنا و يصفون

علاجها وقد تقه منا اقوام وابلّ آخرون ولا نزال ان شاء الله تعالى في تقدم ونمو، ورفعة ورقي ، و بالله التوفيق.

قرظ الرسالة بقصيدة غراء حضرة الشاعر الازهري الأديب الشيخ حسين محمد الجمل ابتدأها بمدح فضيلة الأستاذ المؤلف وانتقل الى ذكر الرسالة وقدرغب الينا ان ننشر القصيدة ولكن ضيق المقام يحول دون نشرها بتمامها فاقتطفنا منها ما يلي ترغيباً في العلم وحثاً على اجتناء فوائد الرسالة . قال بعد أبيات

يميناً بما أولاك ما أنت أهله ... لقد غبطت نعماءك العجم والعرب
وما غبطوا نعماك الاّ لانهم ... رأوا لك فضلاً كل ثانية يربو
بك الشرق قدأضحى عزيزاوطالما استطال عليه واستهان به الغرب
ولما أراد الله اسعاد ازهر الـ ... علوم وقد كانت معارفه تخبو
أتاحك مرعيا فشيدت صرحها ... وقوّمت منها هيكلاً كاد ينكب
ورصعت في التوحيد اسمى رسالة ... وضعت بها مالم تحم حوله الكتب
فراحت بها تزهو عقود عقائد ... حكاها على لألائه اللؤلؤ الرطب
فداؤك نفسي اذ جلست مبيناً ... مسائلها لله فانجلت الحجب
ولم نر في الطلاب الا مدرساً ... وآخر منه في العلوم له قرب
وصمت بها آذان قوم نأت بهم ... سخاف طباع عن نداها فما لبوا
وليس لهم فكر سوى ان عندهم ... سفاهة احلام يضيع بها الطب

اهم اخبار العدد ١٣

البنك الاهلي

اتفق بعض متمولي أوربا على انشاء مصرف (بنك) في مصر يسمونه (البنك الأهلي) يقنع من الفلاحين بربا قليل بالنسبة لغيره مع ضمان الحكومة للمقترضين. ويقال ان نصف رأس مال هذا المصرف من متمولي الانكليز فعسى ان يتنبه المصريون للشركات المالية من هذه الحوادث المتوالية قبل ان تفوتهم منفعة التنبه

حقد الافرنج

ذكرت جرائد أميركا ان الحكومة الاميركية قد طبعت على كل رغيف من الخبز الذي تقدمه لعساكرها « اذكروا الدارعة ماين » وهي التي نسفت في مياه هفانا تقصد بذلك تهييج الجند على الانتقام · وذلك نحو مما تربي عليه فرنسا ابناءها من التذكير بمسألة الالزاس واللورين واحفاظ قلوبهم على ألمانيا · فليعتبر الذين لا يبالون بأمر بلادهم وأوطانهم ان كانوا يعقلون ·

جريدة الاصمعي

جاءتنا الاعداد الثلاثة الأوائل من جريدة عربية يومية سياسية انشئت في سانباولو من البرازيل سميت « الأصمعي » لصاحبيها الكاتبين البارعين خليل افندي ملوك وشكري افندي الخوري وقد سرنا ما ذكر في العدد الثالث من اقبال النزلاء السوريين على الجريدة حتى انه لم يرد الجريدة منهم إلا نحو عشرين رجلاً وكانوا يقدرون ان يرد لهم ربع ما وزعوا على الاقل لانهم أكثروا من العدد الاول جداً · فهكذا يكون حب المعارف وتعضيد أهلها · لعمري ان السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً يجدر بهم الافتخار على كل ابناء العرب في ذلك · ونحن نرجو لرصيفتنا الجديدة زيادة الإقبال والرواج ما دام لذلك في بلادهم مجال

تدبير المنزل

اهدانا حضرة الفاضل فرنسيس افندي ميخائيل مدير مطبعة التوفيق كتاب « تدبير المنزل » من تأليفه ضمنه ما تمس اليه الحاجة من هذا الفن وعباراته في غاية السهولة لا تسمو على افهام البنات المبتدئات فنحثهن على الاقبال عليه إذ لا يجدن في بابه مثله في العربية

شكر وثناء

نسدي خالص الشكر والثناء الى الجرائد الهندية الغراء التي قرظت بلغاتها جريدتنا المنار واثنت على خطتها ومشربها ورغبت اهل العلم في الاقبال عليها ونخص

بالثناء التي تقلت وتنقل عنها ماتختاره وتنتقيه من المواضيع التهذيبية فالتعاون مفتاح السعادة « كان الله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه »

وبهذه المناسبة نثني على أنصار المعارف من افاضل تلك البلاد الذين يطلبون الاشتراك ويقدمون ثمن الجريدة سلفا · كثر الله من امثالهم في الامم الشرقية

نقترح على الشعراء تشطير الابيات الآتية ونظم معناها بابيات اخرى

يقولون ما نار بقلبك اوقدت ... ومن اين تأتي النار ادركك السلب
فقلت لهم بلورة العين قابلت ... اشعة شمس الحب فاحترق القلب

***

قال لي من احب من اين نار ... هي في القلب منك قلت اعتذارا
ان عيني بلورة قذفت في ... وسط قلبي من نور وجهك نارا

﴿ عبادة الغربان ﴾

استهل ابو العلاء المعري احدى مراثيه بقوله

نبي من الغربان ليس على شرع ... يخبرنا ان الشعوب الى الصدع

ولو علم ان في الناس من يعبد الغربان لاودع ذلك في شعره الذي كان يجري فيه مع الخواطر · وهل يعبد الغربان احد في العالم ؟ نعم

قرأنا في مجلة انيس التلميذ الغراء ان اليابانيين على تمدنهم واتساع دائرة العلوم والفنون العصرية عندهم لم يزالوا يعبدون الغربان ويعتقدون ان الغراب هو الطير الذي قلع عين الشيطان بمنقاره ومنعه بذلك من ان يطفئ نور الشمس المشرقة ولهذا يقدسونه كثيرا ويتحملون أذاه

ساءنا ماتجرأ به بعض الرعاع في الاستانة على رصيفنا الفاضل عزتلو طاهر بك افندي صاحب جريدة معلومات الغراء وما علمنا الحامل لاولئك السفهاء على التعدي على مثل هذا الفاضل حتى ضربوه فأدموه · ولقد تناقلت هذا الخبر جرائد الاقطار مقرونا بالتأسف والاستياء ولقد علمنا ان لاخطر من ذلك على حياته فنهنئه بالسلامة ونرجو له البرء العاجل

النميمة والسعاية (*

قلنا في مقالة سابقة « ان التهذيب روح للوجود الطبيعي والمدني والسياسي تنال به هذه الوجودات سعادة الحياة وحياة السعادة» وقد يخفى على كثير من القراء وجه الارتباط بين التهذيب وبين حياة هذه الوجودات وسعادتها وان كنا أثبتناها في تلك المقالة بالبرهان . ونحن نشرح لهم الآن حال خلة واحدة من الخلال المذمومة وتأثيرها في افساد المجتمع الانساني وصدها عن المدنية الصحيحة التي هي سعادة الامم وهي النميمة والسعاية فنقول

النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول له أو غيرهما واذا كان الكشف الى من يخشى جانبه سمي سعاية

اتفقت التعاليم الدينية والعقول البشرية على ان هذه الخلة الذميمة احدى الكُبَر لا تذر شملاً الا فرقته، ولا جمعاً الا شتته، وأنها مولدة الفتن، ومقطعة الروابط الاجتماعية، تدع الانسان يفر من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وتقلب الحقائق فتجعل المحسن مسيئاً ، والصديق عدواً ، وتسم الامين بسمة الخائن، وتبرز النافع في صورة الضار، وتلبس الاصلاح ثوب الافساد، وتقيم من الفضائل تمثالا للرذائل ، فهي من أدواء الامراض الروحية التي تعرض في الامم فتفسد نظامها، وتمزق نسيج التئامها، وتقوض هيكل عمرانها

هذه الرذيلة تبنى على ثلاث رذائل من أثافي الذل « كما قال بعض الفضلاء »

«١» الكذب الذي هو شر الشرور ، ومفجر طوفان الفجور ، ورافع الثقة

(*) فاتحة العدد الرابع عشر الذي صدر في ٢ صفر سنة ١٣٠٠

من بين الجمهور، ومقرب البعيد، ومبعد القريب، وطامس أعلام العلم، ودارس منار الحق، ومقرر أصول الجهالة، آفة التجارة والكسب وسائر المعاملات، محلل العقود، وناكث العهود، فلا يتم له نظام، ولا يتأتى معه التئام

«٢» الحسد الذي يقطع صلات الارحام، ويزعزع أركان النظام، ويعشي عين البصر والبصيرة، فتبصر الحق باطلاً، وتشاهد الحالي عاطلاً، يحول دون التعاون والتناصر، والتكاتف والتعاضد، ويبعث على التخاذل والتدابر، ويحمل ذويه على ان يبخسوا الناس أشياءهم، ويعثوا في الارض مفسدين، فهو عدو المدنية الالد، وخصمها الالد

(٣) النفاق الذي يفسد الطباع، ويغير الاوضاع، ويذهب ببهاء المحمدة الحقة من الوجود، بما يمنح من الالقاب الملبلبة، والنعوت الجميلة، لاصحاب مظاهر الفخفخة الكاذبة، والنفخة الباطلة، يختلس أجور العاملين فيهبها للكسالى من أهل البطالة، وينهب ثمرات زراع المنافع فيغذي بها العائثين من ذوي المطامع، فهو بما يحبط من العمل، مدعاة للبطالة والكسل، ومفسد لنظام الانسان، ومقوض لدعائم العمران

رذيلة واحدة من هذه الرذائل الثلاث كافية لاشقاء أمة تلبس بها أفرادها فكيف بها اذا اجتمعت ؟ وانما تجتمع مع السعاية والنميمة حمانا الله تعالى منها

ان أقبح الوشاية أثراً، وأشدها ضرراً، هو ما يسمونه بالمحل والسعاية وهو ما يقته المذاعون[1] وينثونه للامراء والسلاطين، عن أحوال العمال ونحوهم من خدمة الدولة والامة

(١) القت النميمة والمذاع الكذاب ومن لا وفاء له ولا يحفظ أحدا بالغيب ومن لا يكتم السر والذي يدور ولا يثبت

هذا النوع من الوشاية لا يتجرأ عليه الا الخائنون لسلطانهم ، العاملون على خراب أوطانهم .

مثلُ السعاة والمحالين في الامة مثل الدود الخبيث الذي يدب في الزرع فيهلك الحرث ويحول بين العاملين وبين ثمرات أعمالهم بل يحرم الامة كلها من الانتفاع بابنائها العاملين . وان شئت قلت مثلهم كمثل ميكروبات الاوبئة والادواء تفسد نظام البنية الانسانية الشريفة من حيث لا يرى دبيبها ، وتفتك بالاجسام ، ولا تنال منها عوامل الانتقام « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بكل شيء محيطا »

رُب صاحب عزيمة ، وطريقة قويمة ، ينهض لخدمة دولته ، ويسعى في منفعة أمته ، يتجشم المصاعب ، ويتحمل المتاعب ، لكنه لا يكاد يخطو الا بعض خطوات ، حتى يتصدى له السعاة المحالون فيقيمون في بعض طريقه العقاب والتضاريس ، ويلقون فيه الشوك والحسك ، ويخدّون في بعضه الاخاديد ، ويحفرون المواثير ، فإما ان تصد السالك عن المضي في سبيله العقاب التي تساوره ، والصعاب التي تداهمه ، فتنحل عزيمته ، وتنفصم عرى اقدامه ، فينكص على عقبيه ، ويرتد الى ورائه ، فيسرح في مسارح الكسالى ، ويرتع في مراتع محي الراحة والخمول ، حيث مرعى النفاق خصب مريع ، ومورد اللهو عذب نمير . واما ان يتردى في إحدى المواثير ويتدهور في بعض الهُوى والاخاديد ، فيندق عنقه ، وتفيض روحه ، ويلتحق بشهداء الحق الذين قضوا نحبهم تصبراً ، وما قضوا من نجاح أوطانهم وطرا ، وذهبوا بما كانت تنتظر أممهم من قواهم الفائقة ، وعزائمهم الصادقة

يا سبحان الله! ماذا يسهل على نفوس بعض البشر حمل هاتيك الاوزار، ويدفع بها الى الاستهانة بتلك الاخطار؟ يفتك قاطع الطريق برجل ليبتز ماله ويتعدى اللصوص على بيوت الناس ليسرقوا متاعهم فيتبلغوا به في معيشتهم، أو يعدوا به اديم ثروتهم، فضرر ات هؤلاء محصورة، ومثاراتها معقولة، وهي لا تمس المصالح العامة التي هي مناط سعادة الامم وبها قوام مدنيتهم. لكن الوشاة والسعاة ينسفون منافع امهم من حيث لا يعود نفع على نفوسهم الخبيثة الا ما يشفون به غيظهم، ويبتردون من أوار حسدهم. فتبا لمن يبيع أمته وملته بهذا الثمن الخسيس

ربما يتوقع بعض هؤلاء الاشرار جائزة على سعايته فيلتحق بصنف اللصوص وقطاع الطرق لا كله أموال الناس بالباطل ويمتاز عنهم في الشر بتلك الصفة الشيطانية وهي تقطيع الروابط العامة والصد عن سبيل الحق، أكرر القول بأن الناهبين والسارقين تختص جنايتهم بالافراد، والسعاة تتعلق مضرتهم بالامم والشعوب، فويل لكل هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم،

ربما تنفش الماحل نفسه الخبيثة بانه ناصح لسلطانه خادم لوطنه لانه يرى بعقلته العشواء ان عمل العامل الذي دبت عليه عقارب سعايته مضر في الامة فهو يسعى في ازالة الضرر، وفرق عظيم ما بين النصيحة، والمحل والنميمة، والحلال بين والحرام بين، لو كان صادقا في زعمه لألقى بنصيحته أولا للعامل وبين له مضرة عمله، وانذره مغبته اذا هو لم يقلع عنه، فان وضح الامر، وأصر الآخر على باطله من غير عذر، يرفع أمره للحاكم علنا ويحكم فيه الشريعة على رءوس الاشهاد

هذه حجة ناهضة تجلى نصوعها على كماله بالنسبة للناهضين بالاعمال المفيدة لامهم على مرأى من الناس ومسمع وعلى أكمله بالاضافة للذين يرفعون منار الحق بنشر المعارف النافعة فى الكتب أو الجرائد لاسيما اذا صرح أربابها كما صرحنا في فاتحة جريدتنا هذه بقولنا « وتقبل الانتقاد الادبي من كل أحد وتقابل عليه بالثناء والشكر، وتذعن للحق كيفما طلع بدره، ومن أين انبلج فجره، وتلتقف الحكمة من حيث أتت، وتأخذها أينما وجدت » أمثال هؤلاء لا يمكن أن يكابر نفسه من يمحل بهم الى الحكام بأنه ناصح بمحاولته ابطال باطلهم (على زعمه) لان الباطل لا يمحوه الا احقاق الحق وأما الضغط فانه يوجب الانفجار، والمقاومة يترتب عليها الاشتهار،

الانسان عرضة للخطأ والخطل، ولا يكاد يخلو عمل من خلل، تشهد بذلك كتب المؤلفين، وأعمال المتقدمين والمتأخرين « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » يخطىء قوم فيصلح خطأهم آخرون وبذلك تجلي الحقائق وتمحص العلوم حتى تبلغ كمالها ، ولا يزال الحق والباطل في مجادلة ومجالدة حتى يغلب أحدهما الآخر، لكن الحق يعلو وان عمي عنه الاسفلون، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

نعم يوجد في بعض الامم والدول جمعيات سرية تسعى في الاخلال بالنظام، وتهدد الامن العام، كالفوضويين في أوروبا والعدميين (النهليست) في خصوص روسيا وبعض الارمن في بلاد الدولة العلية، فمن يكايد أمثال هؤلاء ويمحل بهم الى الحاكمين فهو ناصح للدولة والامة مع مراعاة الصدق والوقوف عند حدود العدالة . وهناك أمور أخرى تشتبه على

بعض الناس فيها النصيحة بالنميمة والسعاية ومن صدق في طلب الحق لا يزج نفسه في أمر خطير من غير بينة فيه « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » — الى آخر الحديث الشريف

هذا بعض من كل في بيان مخازي النميمة (السعاية) ومفاسدها ولو استقصينا ما ورد في ذلك من الآيات والاخبار، وشرحنا مايحتف به من الآثام والاوزار، لأدى بنا ذلك الى التطويل، ولعل ماذكرناه كاف في التنفير والترهيب، وما يتذكر الا من ينيب

آثار في السعاية

جاء رجل الى علي كرم الله تعالى وجهه يسعى اليه برجل آخر فقال له الامام «ياهذا ان كنت صادقاً مقتناك، وان كنت كاذباً عاقبناك، وان شئت ان نقيلك أقلناك» قال أقلني ياأمير المؤمنين

ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال « ماظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم »

قال مصعب بن الزبير : نحن نرى قبول السعاية شراً من السعاية، لان السعاية دلالة، والقبول اجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله واجازه ، فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقاً ، كان في صدقه لئيماً ، حيث لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذن في الكلام وقال اني مكلمك ياأمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب: فقال «قل» فقال: ياأمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه، فانهم لن يألوا في الامة خسفاً، والامانة تضييعا، والاعراض قطعا وانتهاكا، أعلى قربهم البغي والنميمة، وأجلّ وسائلهم الغيبة والوقيعة، وأنت مسؤل عما اجترحوا وليسوا بمسؤلين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فان أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره »

رفع بعض السعاة رقعة الى الصاحب ابن عباد نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه فكتب على ظهرها «السعاية قبيحة، وان كانت صحيحة، الميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمّره الله، والساعي لعنه الله »

الدين والمدنية

في الشرق

نحن الشرقيين في أشد الحاجة الى سلوك سبل المدنية القويمة مع المحافظة على الدين فالشرق هو مهبط الوحي ومشرق شموس الاديان وهو الجدير بالمحافظة على الدين، وان استهان به سائر العالمين، الدين وضع الهي حق يأمر بتزكية النفس وتطهيرها، ويحث على الحب والائتلاف، وينهى عن العداء والاختلاف، فهو باعث الاجتماع على التعاون، وداعي الرشاد الى الاتفاق والاتحاد، يجمع المتفرق، ويوحد المتعدد، وذلك مبدأ المدنية أو هو هي،

يذهب قوم الى أن البشر قد يستغنون عن الدين في انتظام شملهم، وقوام مدنيتهم، وان الانسان يمكن ان يصل بعقله الى كل ما فيه سعادته من غير وحي الهي، ولا ارشاد سماوي، اكتفاء بالعقل والمشاعر والوجدان والالهام، التي وهبها مدبر الكون لكل انسان، وأعظم شبهة عند هؤلاء على انكار الوحي زعمهم انه لا حاجة اليه فاذا قام البرهان ونهضت الحجة على حاجة البشر الى الوحي وانه كمال لا يتم نظام العالم الانساني بدونه، يذعنون الى أن صانع الكون الحكيم لا يبخل عليهم في ايتائهم ما هو مكمل لوجودهم النوعي ومتمم لسعادتهم الانسانية

ولما كان المنار يدعو الى المدنية مع التمسك بالدين أحببنا ان نتحف قراءه من مسلمين ونصارى ويهود بما جاء في «رسالة التوحيد» من بيان الحاجة الى الوحي ووقوعه فهو البيان الكامل، والتحقيق الذي لم تأت بمثله الاوائل، وناهيك بحكمة مؤلف تلك الرسالة ورسوخه في العلوم الدينية، مع وقوفه التام على حقيقة المدنية، قال حفظه الله تعالى

حاجة البشر إلى الرسالة

سبق لك في الفصل السابق ما يهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده في الرسل، والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله الى بيان الحاجة اليهم، وهو معترك الافهام، ومزلة الاقدام، ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام، ولسنا بصدد الاتيان بما قال الاولون، ولا عرض ما ذهب اليه الآخرون، ولكنا نلزم ما التزمناه في هذه الوريقات من بيان المعتقد، والذهاب اليه من أقرب الطرق، من غير نظر الى ما قال

اليه المخالف، أو استقام عليه الموافق، اللهم الا إشارة من طرف خفي ، أو إلماعا لا يستغني عنه القول الجلي

وللكلام في بيان الحاجة الى الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا، تتمتع فيها بنعيم، أو تشقى فيها بعذاب أليم، وان السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية، معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات، أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين وفلاسفة الا قليلاً لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء، وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء، وان اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء، وفيما تكون عليه النفس فيه، وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه، فمن قائل بالتناسخ في اجساد البشر أو الحيوان على الدوام، ومن ذاهب الى التناسخ ينتهي عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال، ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة ما فيه لذتها أو ما به شقوتها، ومنهم من رأى أنها تتعلق باجسام أثيرية ألطف من هذه الاجسام المرئية، وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التي تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم، وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما لا تكاد تحصى وجوهه

هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها

وجاهلها، وحشيها ومستأنسها ، باديها وحاضرها، قديمها وحديثها، لا يمكن ان يمد ضلالة عقلية، أو نزغة وهمية، وانما هو من الإلهامات التي أختص بها هذا النوع فكما ألهم الانسان أن عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا — وان شذ افراد منه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد في عمل ما أو الى انه لا يمكن للعقل ان يوقن باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول بل قالوا ان لا وجود للعالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتى في انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء في صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة وأس البقاء الى الاجل المحدود — كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وان لم يدرك كنهه. ذلك إلهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة، شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية ، مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات، معرضة لآلام من الشهوات ونزعات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات ، وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد، ولا تنتهي عند حد، إلهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى ان واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف، فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات، وآلام ولذائذ وكمالات، لا يصح ان يكون بقاؤه قاصراً على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الابدي وما عسى أن تكون عليه، متى وصبت اليه، وكيف الاهتداء وأين السبيل، وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامد لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار، في تقويم الانظار وتعديل الافكار، واصلاح الوجدان، وتثقيف الاذهان، ولا نزال الى الآن من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب لا ندري متى نخلص منه، وفي شوق الى طمأنينة لا نعلم متى ننتهي اليها

هذا شأننا في فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب، هل فيما بين أيدينا من الشاهد، معالم نهتدي بها الى الغائب ؟ وهل في طرق الفكر مايوصل كل أحد الى معرفة ماقدر له في حياة يشعر بها، وبأن لا مندوحة عن القدوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ماينفذ الى تفصيل ما أعد له فيها، والشؤون التي لابد أن يكون عليها بعد مفارقة ماهو فيه، أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون ؟ هل في أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك، وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي المشاعر ولا اشتراك بينهما الا فيما انت فالنظر في المعلومات الحاضرة، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة

أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الانسان على قاعدة الإرشاد والتعليم، الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، علمه

الكلام للتفاهم ، والكتاب للتراسل ، أن يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطر السليمة ، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنور علمه، والامانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ماسيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين ، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم من الدنيا كانهم ليسوا من أهلها ، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها، ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفي على العقول من شؤن حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية ، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة مالا بد لهم من علمه ، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن متناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الاعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم، في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله ، ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ، ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة، ويتم الاقناع بصدق الرسالة ،فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين

لاريب ان الذي أحسن كل شيء خلقه، وأبدع في كل كائن صنعه، وجاد على كل حي بما اليه حاجته ،ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلاً من

خلقه ، يكون من رأفته بالنوع الذي أجاده ، وأقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ، أن ينقذه من حيرته ، ويخلصه من التخبط في أهم حياتيه ، والضلال في أفضل حاليه ،

يقول قائل ولم لم يودع في الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ؟ ولم يضع فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى السعادة في الحياة الآخرة ؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم ؟ وهو سؤال يصدر عن شطط العقل ، والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني . ذلك النوع على ما به وما دخل في تقويم جوهره من الروح المفكر ، وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف أفراده ، وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه ، وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال ، فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثاني) في بيان الحاجة الى الرسالة يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه ، أرتنا الايام غابرها وحاضرها ان من الناس من يعتزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الى بعض الغابات أو الى رءوس الجبال ، ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان ، يتغذى بالاعشاب وجذور النبات ، ويأوي الى الكهوف والمغاور ، ويتقي بعض العوادي عليه بالصخور والاشجار ، ويكتفي من الثياب بما خصف من ورق الشجر أو جلود الهالك من حيوان البر ، ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ، ولكن مثل هذا مثل النحلة تنفرد عن الدبر وتعيش عيشة لا تتفق مع ما قدر لنوعها . وانما الانسان نوع من

تلك الانواع التي غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات على ان يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه، وللمجموع من العمل مالا غنى للواحد عنه في نمائه وبقائه ،وأودع في كل شخص من أشخاصها شعور ما بحاجته الى سائر أفراد الجماعة التي يشتملها اسم واحد، وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في بيانه وكفاك من الدليل على ان الانسان لا يعيش الا في جملة ماوهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعداً لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم ،وليس الاضطرار الى التفاهم بين اثنين أو اكثر الا الشهادة بأن لاغنى لاحدهم عن الآخر

حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الاهل والعشيرة ثم الى الامة والى النوع بأسره وأيامنا هذه شاهدة على ان الصلة التابعة للحاجة قد تم النوع كما لا يخفى، هذه الحاجة خصوصاً في الامة التي حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عن سواها حاجة في البقاء، حاجة في التمتع بمزايا الحياة، حاجة في جلب الرغائب ورفع المكاره من كل نوع

لو جرى أمر الانسان على أساليب الخلقة في غيرها لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده ، عامل يشعر كل نفس أن بقاءها مرتبط ببقاء الكل فالكل منها بمنزلة بعض قواها المسخرة لمنافعها ودرء مضارها،والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب ، هي الدافع

لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر ، الناهض بكل منهما المدافعة عنه في حالة الخطر ، فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظاً لنظام الامم وروحاً لبقائها وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الى من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولعاً وعشقاً

لكن كان من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذا كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ماهو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها في الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً في روح المحبوب وشمائله التي لا تفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول في نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعارض ولوحظ في العلاقة بينهما تحولت المحبة الى رغبة في الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة إما سلطان القوة أو ذلة المخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين (ستأتي البقية)

اخبار الاستانة

(جلاء جنود الدولة عن تساليا)

كان جلاء الجنود السلطانية المظفرة عن تساليا غاية الادب والانتظام الذي لم يشهد له نظير من أعظم جنود الامم المتمدنة وقد جرت مبادلة الوداع بين القائد العظيم صاحب الدولة أدهم باشا وأركان حربه وبين قناصل الدول ووجهاء الاهالي وقد أعجب الاهالي بحسن معاملة الجيش الفاتح الظافر وودعوا الضباط بكل احترام وقدموا لهم الهدايا شكراً على

بجاملتهم ، وقد سافر دولة أدهم باشا ومن معه على اليخت السلطاني (طليعت) وجاء سلانيك وهناك صدرت له الارادة السنية بالقدوم الى الاستانة العلية

أدهم باشا بالاستانة

صبح الاستانة والناس لم يهبوا من رقادهم ومع ذلك وجد الناس قد غصت بهم المحطة والطرقات من شدة الازدحام ، ولما نزل من مركبته ترامى عليه الناس للسلام حتى كادوا يكونون عليه لبدا ، وطفقوا يقبلونه بشوق واحترام وسار مع أكابر القواد وأركان الحرب الذين معه تحدق بهم الالوف، وتحوّم عليهم القلوب ، حتى بلغوا قصر يلدز الاعلى

تشرف كل من القائد الباسل صاحب الدولة أدهم باشا وصاحب السعادة سيف الله باشا بالمثول بين يدي الحضرة السلطانية المعظمة وتناولا الطعام على مائدته الكريمة . وقد أنعم على أدهم باشا بوسام الافتخار المرصع وعلى أصحاب السعادة سيف الله باشا وابراهيم باشا ورضا باشا(الذي ترقى عن رتبته) بالوسام العثماني الاول . وعلى كل من أصحاب السعادة خيري باشا وحمدي باشا وحيدر باشا وحقي باشا وحلمي باشا وحليم باشا وثابت باشا بالوسام المجيدي الاول وعلى كل من ممدوح باشا وعمر رشدي باشا بوسام اللياقة الذهبي . أنعم عليهم بذلك مكافأة لهم على ما أبدوه من المهارة والبسالة في الحرب اليونانيـة التي نالت فيها الدولة العليـة بحكمة هؤلاء القواد الصادقين من المنافع المعنوية ما هو أفضل من مملكة اليونان الحقيرة برمتها . وقد بلغهم مولانا أيده الله تعالى أنه لا ينسى خدمتهم لسدته العلية وسلطنته السنية

هذا جزاء الصادقين في الدنيا «وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا»
فتعس الخائنون ولا انتعشوا «ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا»

ماذكرناه عن استقبال دولة أدهم باشا هو زبدة مانشرته جرائد الاستانة وذلك يكذب ماقالته جريدة التان من أنه لم يستقبل دولته سوى عشرين ضابطاً وصاحب الدار أدرى بما فيه

(التخوم بين الدولة واليونان)

حددت التخوم بين الدولة العلية واليونان وأخذت الدولة العلية المواقع الحربية الحصينة التي تحول دون تعدي اليونان مها غرهم بقومهم الغرور . وقد أخذت الدولة العلية قطعة من الاراضي اليونانية في جهة دمكو لتقيم فيها بناء على نفقة مولانا السلطان الاعظم يكون تذكاراً لشهداء الحرب وسيحاط البناء بقفص من الحديد ويتولى حراسته رجلان من طرف الحكومة اليونانية وينقدان أجرتهما من الجيب السلطاني الخاص أدام الله المكارم السلطانية مصدراً للاعمال الشريفة المرضية

(نصيحة للمنار من عظيم بالاستانة)

ورد لنا رقيم كريم من جانب أحد العظماء المقربين لدى الحضرة السلطانية يحثنا فيه على الثبات في الخطة التي جرينا عليها في المنار من عدم التملق والنفاق ومن النزاهة عن السب والثلب، ويأمرنا فيه بالمواظبة على خدمة الدولة العلية ومقام الخلافة الاسلامية وسائر الامة مع الصدق والاخلاص فان ذلك مفتاح النجاح والفلاح ، وقد تلقينا الامر بالامتثال ونسأل الله التوفيق في كل حال ،

اهم الاخبار المحلية

﴿ بيع الدائرة السنية ﴾

جتمع مجلس النظار يوم السبت الماضي تحت رئاسة الجناب العالي وكان المنتظر ان تحصل المذاكرة في بيع سكة حديد السودان فلم تحصل لكن المجلس أقر على بيع الدائرة السنية التي هي أهم من سكة الحديد من الوجه المالي والاداري وان كانت هذه تفوق من الوجه السياسي كل الاعمال المالية التي حصلت في مصر في عهد الاحتلال. كان أشيع أولاً إقرار الحكومة المصرية على بيع الدائرة السنية بمبلغ ستة ملايين وأربعمائة ألف جنيه « وهو مقدار الدين الذي على الدائرة السنية» بشروط مخصوصة بينها و بين الشروط التي أقر عليها الآن فرق كبير ومحصل ماتم عليه الاتفاق الآن ان الشركة—التي نصف رأس مالها من الانكليز (الخواجات كسل وشركاؤهم أصحاب رأس مال الخزان العمومي) ونحو ربعه من المصريين والباقي من جماعة من الفرنسويين والالمانيين — تصدر سهاماً بقيمة ٦٠٠ ألف جنيه تعطي ٥٠٠ ألف جنيه منها للحكومة وتبقي مائة ألف جنيه لادارة الاعمال والحكومة تعطيها ٣١ في المائة ربا على الخمسمائة ألف جنيه ويقتسمان الأرباح مناصفة بعد طرح ٥ في المائة أولاً لأصحاب السهام فائدة مالهم ومنها ٣١ في المائة المذكورة آنفاً وبعد طرح النفقات كما هو ظاهر

وستدفع الشركة الخمسمائة الف جنيه للحكومه في شهر اغسطس (آب) المقبل ولا يحسب هذا المبلغ من اصل الثمن . وتدفع في شهر يوليو (تموز) من سنة ١٨٩٩ القادمة ٢١٥٠٠٩٠ جنيه تأخذ بنسبتها من الثمن اراضي واملاك تعرضها للبيع قطعاً قطعاً ثم بعد ذلك تدفع في كل سنة ثلاثمائة الف جنيه وتأخذ بنسبتها املاكاً واراضي الى سنة ١٩٠٥ تدفع باقي الثمن الذي ذكرنا مقداره . وكيفية البيع تحصل بتعيين الحكومة اثمان الاراضي والتفاتيش وعرضها على الشركة فان لم تقبل بها تعرضها

الحكومة للبيع الثاني وما يزيد عن الثمن الذي عينته يكون ربحا لها . و بعد تمام المدة الباقية للدائرة السنية يتعين على الشركة ان تشتري كل اطيانها والا عاد للحكومة

وستكون ادارة الشركة في لندرة ولها شعبة في مصر تتولى ادارة الاعمال . ورؤساء القسم الوطني من الشركة الخواجات سوارس وقطاوي وشركاؤها واصحاب السعادة سيوفي باشاوشواربي باشا وحسن بك عبد الرزاق وعلى بك شعراوي وقد تكاثر طلاب الاشتراك من المصريين في السهام التي تصدرها الشركة بقيمة ٦٠٠ جنيه كما ذكرنا وحيث لم يخصص للمصريين الا نحو ربعها اسقط الخواجه سوارس طلب الاكثرين

﴿ الاستعداد لفتح السودان ﴾

ذكرت احدى الجرائد اليومية انه وصل من انكلترا الى جيش الاحتلال مقادير عظيمة من الديناميت وكثير من المهمات والذخائر فارسلت تباعا الى السودان لاستعمالها في فتح الخرطوم ودك اسوارها ومعاقلها

* * *

تسير الجنود المصرية والانكليزية من القاهرة تباعاً الى السودان لاجل الاستعداد للزحف على الخرطوم وامدرمان ويسافر مساء اليوم سعادة السر دار الى الحدود . ويسافر في اطواء الاسبوع الى بربر اللورد دادوارد سسل نجل اللورد سالسبوري الذي كان ملحقا باركان حرب السرادار في حملة السودان الاخيرة وهو الآن في القاهرة

* * *

كنا ذكرنا ان فرنسا سيرت حملة الى السودان عن طريق النيل الأعلى (حملة مرشان) وما زالت أخبار تلك الحملة تطفو وترسب ولا يعلم عنها شيء يقيني وكان أشيع من مدة انها وصلت الى فشوده ويؤخذ من بعض الجرائد الأوربية الآن ما ترجح انها وصلت لنفس الخرطوم وفي اثرها مدد معلوم والمستقبل يظهر كل مكتوم

﴿ ثورة اليمن ﴾

من أخبار بريد أوربا ان الفريق حقي باشا عين مشيراً للفيلق الهمايوني الخامس في دمشق الشام خلفا لعبد الله باشا الذي تقرر إرساله إلى اليمن لاخماد

المنورة فيها وقد زعمت بعض الجرائد الأوربية ان عبد الله باشا أبي الذهاب الى اليمن لكن برپدسوري الأخير أفاد ان دولته كان على اهبة السفر ولعله قد سافر الآن

﴿ تلغراف الحجاز ﴾

جاء في جريدة ثمرات الفنون الغراء نقلا عن جرائد الاستانة انه قد تقرر تشييد مخافر بين المدينة المنورة وبين دمشق الشام المحافظة على الخط البرقي المنوي مده بينهما وتعيين خفراء له من مشايخ العربان ومن الجند . وبعد ذلك يمد الخط الى اليمن والمذاكرات جارية بتخصيص المبلغ اللازم لذلك

﴿ والد وولده ﴾

كان السنيور (فنسنت هواريا مارتينس) يقطن عدد ٢٢٨ في الشارع الحادي والعشرين غربا بمدينة نيويورك وهو اسباني المولد كان منذ عهد غير بعيد يتجر بالخمر الاسباني ولكنه بعد ذلك استخدم في احدى شركات ضمانة الحياة واشتهر بالصدق والامانة وكانت قرينته قد اصيبت بمرض عضال فسافرت الى بلادها وهناك توفيت مؤخراً فحزن الرجل حزناً عظيماً واستدعى نجله المدعو (ريشار) وابنته الوحيدة واخبرهما انه يرغب العودة الى الوطن للانتظام في سلك الجندية الاسبانية وطلب منهما ان يذهبا معه فينتظم ولده ايضا في سلك الجندية وابنته تدخل في صف الممرضات في خدمة الجيش فتطير الولدان عند سماعهما هذا الخبر واوضحا لوالدهما انهما لا يرغبان بالعود الى الوطن وقال اني اميركي ومن الشهامة ان ادافع عن وطني وقالت الابنة وانا كذلك فمن اكبر واجباتي ان اقصد الجيش الاميركي لتمريض جنوده وهكذا عظم الخلاف بين الوالد وولديه وكاد الامر يفضي بينهم الى الضرب لولا مداخلة الجيران

واما الوالد فسافر الى وطنه واراد ان يودع ابنه الذي لم يودعه ولكنه خاطبه قائلا اذا لم تقصد كوبا فانت جبان وهناك سألتقي بك واذيقنك من ضربات حسامي الموت الاحمر فاستعد ايها الاسباني لمقابلتي وكن على حذر وبعد سفر الوالد ذهب فانخرط في العسكرية الاميركية وكذلك الابنة (السي) تطوعت مع الممرضات وربما يجدان والدهما هناك (كوكب اميركا)

المدارس الوطنية (*)

في الديار المصرية

سعادة الامم بأعمالها، وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها، فكل أمة ترغب عن العلم فمآلها الى الشقاء شقاء الاستعباد وفقد الاستقلال، لا يعصمها منه اتساع مساحة بلادها، ولا كثرة أفرادها، ولا عظمة حكامها، ولا صحة دينها، ولا شرف أسلافها، ولا شيء مما يتعلل به المسترسلون مع الاوهام المتقادون بأزمة الغرور، وكل أمة نشطت لاقتباس العلوم والاستضاءة بنور الاعمال النافعة، فأقامت أساس مدنيتها على هدى، فبشرها بالسعادة سعادة المدنية الفاضلة، والحرية الشاملة، والسيادة الكاملة، لا يمنعها من هاتا قلة أفرادها، ولا احتلال الاجانب لبلادها، ولا استبسال حكامها، ولا اختلال نظامها، ولا فساد عقائدها، ولا قبح عوائدها، اذ العلم يصلح كل خلل، ويشفي من جميع العلل، يشهد بجميع ماقلته العيان، وينطق بصحته البرهان،

سل التاريخ عن أحوال الامم والشعوب التي سقطت في مهاوي العدم وماذا كان من السبب في سقوطها، وعن الامم الواقفة على شفا الخطر وماعلة يأسها وقنوطها، سله عن الدول التي طاولت السماء في رفعتها، وفاخرت الجبال في قوتها ومنعتها، وهزأت بعقاب الجو في عزتها وعصمتها، أصرح لك في القول: سله ما الذي أحل بالممالك التيمورية (الهندية) الدمار، وأوقف دولة الصين

*) فاتحة العدد الخامس عشر الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦:

العظيمة على شفا جرف هار ، تنقص من أطرافها ، وتتناوش من جميع أكنافها ، ما الذي انتاش الولايات المتحدة الاميركية ، وانقذها من مخالب السلطة الانكليزية ، ما الذي نهض بالامة اليابانية ، حتى طارت مع الامم الاوربية في كل جو ، وسبحت معها في كل بحر ، وضربت من الفنون بكل سهم ؟؟ اصخ بسمعك للتاريخ واستمع لما يتلوه عليك تجد ان جوابه عن هذا كله محصور في كلمتين وهما «علم وعمل ، وجهل وكسل ، » فبالعلم والعمل يقترن كل تقدم ورقي ، وعن الجهل والكسل ينشأ كل تأخر وهوي ، فالكل غاية مبدأ ، ولكل رغيبة طريق يوصل اليها ، وكل من سار على الدرب وصل « وان تجد لسنة الله تبديلاً »

كل هذا من البديهيات الثابتة بالمشاهدة والاختبار فلا ينازع فيها الا الصم البكم العمي الذين لا يعقلون ، فانصرف النظر عنه الى تعميم التعليم المفيد والتربية على العمل النافع ، ولنجعل موضوع كلامنا في ذلك البلاد المصرية وليس تخصيص القول بهذه البلاد مخرجاً له عن خدمة عامة الشرقيين فان أحوال الامم والشعوب يشبه بعضها بعضاً في الامور الكلية وتشابه البلاد الشرقية في اكثر شؤونها الجزئية لا سيما في موقفها الحرج امام أوربا فليعتبر بما نذكره في شأن مصر كل شرقي عاقل

تذاكر المصري من أي طبقة في سعادة بلاده فيجيبك ان ذلك لا يكون الا بجلاء الانكليز عنها . ثم ان منهم من يقول ان الاحتلال أذهب سابق الاختلال فكان شفاء وشقاء في وقت واحد لكنهم مع ذلك يعقلون حكمة شاعرهم القائل

اذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلّك ماشفا كا

والصواب ان السعادة أمر وجودي لا يحصل بمجرد الجلاء الذي هو أمر بمعنى العدمي لكنه شرط لكمالها ، مثل الاحتلال الاجنبي في الامم كمثل جراثيم الامراض الوافدة، وميكروبات الادواء العارضة ، لا يفتك كل منهما الا بالضعيف المختل نظام المعيشة وعلاجهما يشبه بعضه بعضا ، تعالج الامم الادواء الحسية الوافدة بعلاجين كل منهما مفيد في نفسه ويحصل الكمال باجتماعهما كليهما . أحد العلاجين خارجي تكله الامة الى حاكمها كالمحاجر الصحية وثانيهما داخلي يتيسر على الاهلين القيام به بدون مساعدة الحكام، ويتعذر على الحاكمين القيام به على كماله بدون مساهمة المحكومين، وهو نظام أمر المعيشة بالنظافة العامة المصلحة لفساد الهواء والغذاء اللطيف والماء النقي المصفى المقوي ذلك كله لمزاج البدن بحيث يقدر على مدافعة كل عارض ومقاواة كل طاريء ، كذلك ينبغي أن تعالج الاحتلال الاجنبي، الذي هو مرض معنوي ، الحكومة تصده عن الايغال في شؤون الامة والولوغ في احشائها، والامة تجتهد في تقوية بنيتها بتعميم التعليم الصحيح والتربية الوطنية الحقة، حتى يحررها العلم والتهذيب فلا تفتك فيها ميكروبات الاستعباد، ولا تتأصل فيها جراثيم الاستبداد، وأعني بالحرية أن لا تخضع ارادة الامة الا لشريعة بلادها التي تنفذها فيها حكامها لا السفه والفجور الذي هو في مصر أكثر من الكثير

فعلى المصريين ان يكلوا مصادمة هجمات الاحتلال على مصالحهم ومنافعهم لسلطانهم الاعظم وأميرهم الافخم فهما (أيدهما الله تعالى) يذودان عنهم ما أمكن الذود كما وقع قريباً في مسألة بيع طرق حديد السودان

ويعملوا هم على اصلاح الخلل الداخلي بتأليف الشركات المالية وعقد الجمعيات الوطنية اللذان لا أمة ولا وطن بدونهما ، اللذان يمكن بهما مداواة ما نقلت الى البلاد من جراثيم مرض الاحتلال (كييم الدائرة السنية) بحيث لا ينهك جسم الامة فيتعذر علاجها ، وتقوية مزاجها ، اللذان يتسنى بهما نفخ روح القوة والعزة في الامة بتعميم التربية والتعليم ، الذي يحض عليه الناصح ، ولا يعارض فيه الطامع ، ويثني عليه لسان الحال ، ولا يثني عنه عمل الحال ، (اسم من الحلول بمعنى الاحتلال) بهذا تتكون سعادة الامة واذا حلت السعادة زال كل شقاء ، وتقشع سحاب كل بلاء ، لكن المصريين قد تركهم الاحتلال في أمر مريج فبعضهم يقول ان السعادة تحصل بمجرد الجلاء ، وبعضهم مرتكس بين أمواج الحيرة ، وبعضهم في يأس وقنوط من استقلال بلاده ونجاحها ، وبعضهم هداه النظر في أحوال العالم الانساني الى ان تعميم التربية والتعليم هما مناط السعادة ، لكن أكثرهم غافل عن قوة الامة والشعب على مثل هذا العمل العظيم ومعتقد انه لا يمكن ان يأتي الا من جانب الحكومة وهو يرى ان تعليم الحكومة ناقص كماً وكيفاً فلا ترجى به الحياة الوطنية. أما نقصه كما فمعناه ان مدارس الحكومة قليلة لا تفي بحاجة البلاد ولا يرجى ان تفي بها مع السير المللي الذي يلجئها الى بيع املاكها شيئاً فشيئاً . وأما نقصه كيفاً فهو انه ليس مبنياً على المحافظة على الدين وآدابه ولا مصطبغاً بالصبغة الجنسية والوطنية . وبغير ذلك لا يمكن ان تنهض البلاد وتحيا الامم والشعوب . ألم تر ان الامم الاوربية تعهد بالمدارس الى القسوس ورجال الدين غالباً في داخلية البلاد وأما في المستعمرات ونحوها من البلاد الخارجية التي ينشرون فيها مدنيتهم فانهم يتخذون الدين فيها عاملاً من

عوامل السياسة ولذلك ينيطون التعليم فيها بالجمعيات الدينية دون سواها .
ومدارس الحكومة المصرية لا أثر فيها للصبغة الدينية، بل قيل ان الوليد
يدخلها بدين ويخرج منها مارقا والعياذ بالله تعالى، الا اذا كان له أهل وعشيرة
اتقياء بصراء يتعاهدون سيره ويحكمون ربط عقيدته ، ولا أثر فيها للصبغة
الوطنية ولا الجنسية أيضا فقد استبدلت اللغة الاجنبية باللغة العربية في
التعليم ، وأقيم التاريخ الانكليزي مقام التاريخ العثماني والمصري، واستغني عن
الآداب العربية بالآداب الافرنجية، ويعتاض عن المعلمين الوطنين بالاجانب
شيئا فشيئا . وكل ذلك مما يغرس في قلوب المتعلمين عظمة الامم التي يتعلمون
تاريخها وآدابها واحتقار أمتهم وجنسهم ودولتهم ماضيها وحاضرها . فأي
خير يرجى من تعلمهم بهذه الصفة ، واصطباغهم بهاته الصبغة؟ اما إنه ليتوقع
شرها ولا يرجى خيرها . وكيف ترجى الحياة الوطنية من العامل على اماتتها
ويؤمل ثبوت الجنسية الاصلية من الساعي بازالتها ؟ ان هذا الاغرور

فياموقدا نارا لغيرك ضوءها ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

وخلاصة القول ان التعليم النافع للوطن والبلاد هو ما تحيا به الشمائل
الدينية بتهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال ، وتقوى به الرابطة الجنسية
والوطنية باحياء اللغة العربية ونقل جميع الفنون اليها بالتدريج ، وجعل التعليم
بها دون سواها، وبتمكين رابطة الامة المصرية بالجامعة العثمانية، وما دام
زمام التعليم بأيدي الاجانب يجذبونه كيف أرادوا فلا يمكن أن نحصل
الا على خلاف هذه الرغائب وهو استبدال حرية الفساد والفحش بآداب
الدين ، واللغة الانكليزية أو الفرنسوية باللغة العربية ، وتمزيق الوطنية
والجنسية شذر مذر ، وبعد ذلك اما أن يتجنس المتعلمون بجنسية معلميهم

ومربيهم، واما أن يكونوا عونا لهم على مصالحهم، وفي كل ذلك اماتة للجنس وتضييع للوطن الذي يراد احياؤه واعزازه بالتربية والتعليم

المصريون صنفان مسلمون وأقباط وقد نهض الاقباط من سنين فألفوا الجمعيات، وعقدوا الشركات، فأنشأوا المدارس الكثيرة لتعليم الابناء والبنات متبعين في ذلك سنن الامم المتمدنة، محافظين على شعائرهم الدينية وحقوق جنسهم ووطنهم، مما يحمدهم عليه التاريخ ويحفظ لهم فيه مجداً مخلداً، أوشك أن يعم التعليم أفراد هذا الصنف النشيط فقد قدر بعض البصراء انه لا تمضي خمس عشرة سنة وفيهم ذكر أو أنثى يجهل القراءة والكتابة، كل هذا ولم يكن للمسلمين غير جمعية خيرية واحدة لم تقدر على انشاء أكثر من أربع مدارس حتى الآن

فما الذي منع المسلمين عن مجاراة جيرانهم ومواطنيهم مع امتزاجهم معهم امتزاج الماء بالراح ؟ هل صدف بهم عن ذلك دينهم القائم على قاعدة حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ؟ ما أجهل صاحب هذا الوهم بدين الاسلام وما أبعده عنه، هل صدهم عن ذلك قلة الطول، (الغني والعطاء) وفقد القوة والحول ؟ كيف وهم اكثر عدداً، واوفر مدداً وابسط يداً، ولو بذلوا معشار ماينفقون في احتفالات الافراح والاحزان وضروب الترف والرفه على المعارف لكان كافياً في تعميمها، هل حجبهم عن ذلك الجهل بما ينجم عنه من الفوائد ومايترتب على فقده من الغوائل ؟ أنى وفيهم من العقلاء المنبهين، والفضلاء المرغبين، عدد ليس بقليل ولا يحتاج فيما نحن فيه الى ان تكون الامة كلها عالمة لانه خلاف

المفروض. اذاً ماهو السبب الصحيح والعلة الحقيقية لهذا الامر العظيم ، والخطب الجسيم ؟؟

يظهر لنا ان ذلك ناشيء عن علل كثيرة لا محل لشرحها وكلها ترجع الى انقطاع الروابط والصلات التي ترتبط بها الجامعة العامة وتبرّؤ الامة من حولها وقوتها في جميع شؤونها ومصالحها الكلية الى حول الهيئة الحاكمة وقوتها ، ألم يأن لسحب الاوهام المتكاثفة ان تقشع ، ولشمس الحقيقة المحتجبة ان تبرز وتسطع ، اما حان للنفوس أن ترجع الى رشادها وللهمم المعقولة ان تحل من وثاقها ؟؟ بلى ان لدينا مايبشرنا بان المصريين قد أحسوا بالقوة الالهية المودعة في مجموع الشعب والامة وانها أعلى من كل القوى والقدر الكونية . وطفقوا يستعملونها كما استعملها غيرهم . نبهتهم وخزات الحوادث الكونية فتنبهوا ، وأزعجتهم الاخطار المحدقة بهم الى العمل فعملوا .

قرأنا في المؤيد الاغر الصادر في غرة صفر الخير رسالة من مكاتبه في أسيوط فحواها ان سعادة الفاضل أحمد بك فائق مدير جرجا قد أهاب بنفوس أهل مديريته فهبت سراعاً ، واستنفرها فنفرت خفافاً وثقالاً ، بين لهم فوائد التعليم ومزاياه ودعاهم الى تأليف جمعية لهذا العمل الشريف فلبوا طائعين . قال المكاتب «وبدأ أعيان بندر جرجا في أول هذا العام بافتتاح مدرسة في بندرهم ثم تلاهم أعيان طهطا الذين شرعوا منذ ، الجاري في بناء محل لسكنى المدرسة (التي فتحت في أول مايو) وفي الاسبوع الماضي دعا حضرة الوجيه عبد الحميد أفندي عبد الرحمن رئيس الجمعية التي تأسست في طما عدداً عظيماً من فضلاء ووجوه البلاد الى حضور الاحتفال

بافتتاح مدرسة النجاح بطما التي تأسست بعناية سعادة مدير جرجا ومساعدة حضرة الفاضل يوسف أفندي شوقي مأمور المركز فأجاب الجميع الدعوة » ثم ذكر في أمر الاحتفال ماذكر . ونحن نرفع في «المنار» رايات الثناء لسعادة هذا المدير الكامل ، ومن ساعده على عمله من الافاضل ، هؤلاء هم الوطنيون المخلص ، هؤلاء هم المجددون لمجد أمتهم وملتهم ، هؤلاء أفضل العاملين ، وأنفع من الغزاة والمحاربين ، لاجرم ان العلم أفضل من الحروب والجهاد ، فافتتاح المدارس أفضل من افتتاح البلاد ، فنرجو ان يسري هذا الروح الشريف في سائر البلاد المصريه ، بل وفي جميع البلاد الشرقية ، وبالختام نرجو من سمو العزيز مولانا عباس باشا حلمي ان يكافئ سعادة مدير جرجا وحضرة مأمور طما ومن سعى سعيهما أحسن المكافأة إ . ء للعلم الذي هو أجل رغائب سموه في اسعاد بلاده وتنشيطاً لسائر رعيته على مثل هذا العمل وجرياً على سنة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين السلطان الاعظم الذي يقتفي سموه أثره أدام الله سلطاننا وعزيزنا ملجأ للمعارف ومصدراً للعوارف بمنه وكرمه اللهم آمين .

حاجة البشر الى الرسالة

(تابع ماقبله)

يحب الكاب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه

حرصه على حياته ولو أنه انتقل من حوزته الى حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضا لخطر ما عادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضاً واندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

ذلك لان الإلهام الذي يهدي بشعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجدانه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب فحاجته في سد عوزه هي حاجته الى القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يخشى منها شوب التعاوض في الخدمة

أما الانسان وما أدراك ما هو فليس أمره على ذلك، ليس ممن يلهم ولا يتعلم، ولا ممن يشعر ولا يتفكر، بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات، وتسليمه على صغره، الى العالم الاكبر على جلالته وعظمه، يصارعه بعوامله وهي غير محدودة، وايداعه من قوى الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة، ويمكنه من المطالبة، بسعيه ورأيه، ويتبع ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة، وبجوار كل لذة ألم ومخافة، فلا تنتهي رغائبه الى غاية، ولا تقف مخاوفه عند نهاية «ان الانسان خلق هلوعاً، اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا» تفاوتت أفراده في مواهب الفهم، وفي قوى العمل، وفي الهمة والعزم، فمنهم المقصر ضعفا أو كسلا، المتطاول في الرغبة شهوة وطمعاً، يرى في أخيه أنه العون له على ما يريد من شؤون وجوده، لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستئثار بجميع ما في يده، ولا يقنع بمعارضة في ثمرة من ثمار عمله، وقد يجد اللذة في أن يتمتع ولا يعمل، ويرى الخير في أن يقيم مقام العمل، إعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل، ليتمتع. وان لم ينتفع، ويغلب عليه ذلك حتى يخيل له

أن لا ضير عليه لو انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته، ولا يبالي بارساله الى عالم العدم بعد سلبه، فكلما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الى لذيذ فتح له الفكر باباً من الحيلة، أو هيأ له وسيلة لاستعمال القوة، فقام التناهب مقام التواهب، وحل الشقاق محل الوفاق، وصار الضابط لسيرة الانسان إما الحيلة وإما القهر

هل وقف الهوى بالانسان عند التنافس في اللذائذ الجسدانية وتجالد افراده طمعاً في وصول كل الى مايظنه غاية مطلبه وان لم تكن له غاية؟ كلا ولكن قدر الله له أن تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه أن يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما حسبما يتناوله نظره، وقد بلغت هذه الشهوات حداً من الانفس كادت تغلب على جميع الشهوات، وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكاناً لا تصعد اليه سائر اللذات، وهي من أفضل العوامل في إحراز الفضائل، وتمكين الصلات بين الافراد والامم، لو صرفت فيما سيقت لاجله. ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها للاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتى خيل للكثير من العقلاء أن يسعى الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الآمن، وازعاج الساكن، واشعار القلوب رهبة المخافة، لا تهيب الحرمة

هل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة بني نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضا في الاعمال؟ أو لا تكون هذه الافاعيل السابق ذكرها سبباً في تفانيهم؟ لاريب ان البقاء على تلك الاحوال،

من ضروب المحال، فلا بد للنوع في حفظ بقائه من المحبة أو ماينوب منابها

لجأ بعض أهل البصيرة في أزمنة مختلفة الى العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به في كلة جليلة ان العدل نائب المحبة، نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذي يضع قواعد العدل ويحمل الكافة على رعايتها؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة، وفيها مستقر السكينة، وقد رأينا ان اعتدال الفكر وسعة العلم، وقوة العقل وأصالة الحكم، تذهب بكثير من الناس الى ماوراء حجب الشهوات، وتعلو بهم فوق ماتخيله المخاوف، فيعرفون لكل حق حرمته، ويميزون بين لذة مايفنى ومنفعة مايبقى، وقد جاء منهم افراد في كل أمة وضعوا أصول الفضيلة، وكشفوا وجوه الرذيلة، وقسموا أعمال الانسان الى ماتحضر لذته وتسوء عاقبته، وهو مايجب اجتنابه، والى ماقد يشق احتماله ولكن تسر مغباته، وهو مايجب الاخذ به، ومنهم من أنفق في الدعوة الى رأيه نفسه وماله وقضى شهيداً في دعوة قومه الى مايحفظ نظامهم. فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلى أهل السلطان ان يحملوا الكافة على رعايتها وبذلك يستقيم أمر الناس

هذا قول لايجافي الحق ظاهره ولكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق على سنته ان يخضع كافة افراده أو الغالب منهم لرأي العاقل لمجرد انه الصواب؟ وهل كفى في اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عاقلهم انهم مخطئون وان الصواب فيما يدعوهم اليه، وان أقام على ذلك من الادلة ماهو أوضح من الضياء، وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء؟ كلا [illegible] ذلك في تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق على سنته فقد تقدم لنا ان مهب

الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة في العقول، والتقارب في الاصول، ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل، الا كما يعرف من أمر الجاهل، ومن لم يكن في مرتبتك من العقل لم يذق مذاقك من الفضل، فمجرد البيان العقلي لا يدفع نزاعا ولا يرد طماعية، وقد يكون القائم على ماوضع من شريعة العقل ممن يزعم انه أرفع من واضعها يذهب بالناس مذهب شهواته فتذهب حرمتها ويتهدم بناؤها وينقد ماقصد بوضعها

اضف الى ما سبق من لوازم نزعات الفكر ونزغات الاهواء شعوراً هو ألصق بالغريزة البشرية واشد لزوما لها، كل انسان مهما علا فكره، وقوي عقله، او ضعفت فطنته، وانحطت فطرته، يجد من نفسه انه مغلوب لقوة ارفع من قوته وقوة ما آنس منه الغلبة عليه مما حوله، وانه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه قد لا تعرفها معرفة العارفين، ولا تتطرف اليها ارادة المختارين، تشعر كل نفس انها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى، فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها اخرى، ولا سبيل لها الا الطرق التي حددت انوعها، وهي طريق النظر فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر — فمنهم من تألهها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها او شدة ضررها، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور أثرها، ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة في انواع متفرقة تماثل في افراد كل نوع وتخالف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع الها، ولكن كلما رق الوجدان، ولطفت الاذهان، ونفذت البصائر، ارتقى الفكر وجلت النتائج، فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك الى معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى الى

انها قدرة واجب الوجود. غير ان من اسرار الجبروت ما غمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه، ثم لم يكن له . المزية الفائقة في قومه ما يحملهم على الاهتداء بهديه فبقي الخلاف دائما، والرشد ضائعا، اتفق الناس في الاذعان لما فاق قُدَرَهم، وعلا متناول استطاعتهم، لكنهم اختلفوا في فهم ما تلجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافاً كان اشد اثراً في التقاطع بينهم، واثارة اعاصير الشقاق فيهم، من اختلافهم في فهم النافع والضار لغلبة الشهوات عليهم

ان كان الانسان قد فطر على ان يعيش في جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة ما منحه النحل وبعض افراد النمل مثلاً من الالهام الهادي الى ما يلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به على نحو ما سبق كما فطر على الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما القي به في مطارح النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الى حيث يدري ولا يدري وفي كل ذلك الويل على جامعته والخطر على وجوده. افول مُني هذا النوع بالنقص ورزىء بالقصور عن مثل ما بلغه اضعف الحيوانات واحطها في منازل الوجود ؟ نعم هو كذلك لو لا ما أتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

الانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى اعلى مراتب الملكوت، ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت، ويسامي بقوته ما يعظم عن ان يسامى من قوى الكون الاعظم، ثم يصغر ويتضاءل وينحط الى ادنى درك من الاستكانة والخضوع متى عرض له امر ما لم يعرف سببه، ولم يدرك منشأه، ذلك اسرٌ عرفه المستبصرون، واستشعرته نفوس الناس اجمعين

من ذلك الضعف قيد الى هداه، ومن تلك الضمة أخذ بيده الى شرف

سعادته ، أكمل الواهب الجواد لجملته ما اقتضت حكمته في تخصيص نوعه بما يميزه عن غيره ان ينقص من افراده، وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرّف للحواس لينظر في طلب اللقمة وستر العورة والتوقي من الحرّ والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجة في البقاء، وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء، واحفظ لنظام الاجتماع، الذي هو عماد كونه بالاجماع، من عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التي اقترفت منها . لم يخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير انه أتاه مع ذلك من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فاقام له من بين افراده مرشدين هادين وميزهم من بينها بخصائص في انفسهم لا يشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس، تأخذ الطريق على سوابق العقول، فيستخذي الطامح، ويذل الجامح، ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده، وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه، يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون المدارك بيواهر من آياته فيحيطون العقول بما لا مندوحة عن الاذعان له، ويستوي في الركون لما يجيئون به المالك والمملوك ، والسلطان والصعلوك، والعاقل والجاهل ، والمفضول والفاضل ، فيكون الاذعان لهم أشبه بالاضطراري منه بالاختياري النظري ، يعلمونهم ماشاء الله ان يصلح به معاشهم ومعادهم، وما أراد ان يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته، وأولئك هم الانبياء والمرسلون — فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقائه ومنزلتها من النوع، منزلة العقل من الشخص، نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعداه

الحرب

« بين امريكا واسبانيا »

لقد طال على الحرب امد المطاولة وكاد يقع اليأس من المناجزة والملاحمة الا ما كان ويكون من المناوشات الصغرى التي تقع بين شراذم الاميريكيين الذين نزلوا الى سنتياغو وبين الاسبانيين والحرب بينهما سجال ولقد كان الفلج اخيراً للجنود الاسبانية كما ترى في الانباء البرقيـة . اما حركات الاساطيل فقد علمت ان براعة الاميرال سرفيرا الاسباني في قطع عرض القاموس العظيم (الاتلانتيك) تحت حجاب الخفاء قـد انتهت بحصر اسطوله في ميناء سنتياغو واما اسطول الاميرال كمارا الاسباني فقد وصل الى بور سعيد قاصداً جزائر فيلبين من طريق السويس الامين . وقد ورد على جريدة المقطم رسالة برقية من بور سعيد بانه صدر الامر الى ولاة الامور فيها باتخاذ التدابير اللازمة لمنع الاسطول من شحن الفحم منها حتى تأتيهم أوامر أخرى بذلك. وقد ذكرت جريدة السلام « ان من شروط ترعة السويس ان لا يصح لدوارع احدى الدول المحاربة ان تأخذ فحماً من بور سعيد الا مقدار ما يكفيها للوصول الى نقطة الحرب أي أنه لا يصح لها ان تأخذ فحما وتحارب به بعد وصولها ولذلك فان اسطول اسبانيا اذا مر بترعة السويس فلا يأخذ منها الا كفاية وصوله فقط ثم تنقطع بعد ذلك الموانئ التي تعطيه الفحم لان انكلترا والدولة العلية وسواهما معتزلة الحرب فلا تمده بشيء والمرجح ان هذا الاسطول

سيتضايق جداً الا اذا صحب معه سفناً خاصة مشحونة بالفحم» وعلى هذا وربما كانت عاقبة هذا الاسطول شراً من عاقبة ذلك والله اعلم بمصير الامور

***

اخبار بريد اوربا عن الحرب متعارضة : نفي واثبات ونقض وابرام والمتفق عليه ان جزائر فليبين التي يقصد اسطول كامارا اغاثتها قد تفاقمت خطوبها وعظمت كروبها واضرّ بها الاحصار الثائرين وقد اضوى الاسبانيين الجوع فخارت قواهم وخانتهم عزائمهم وقد طلب الاميرال ديوي الاميركي من حكومته نجدة فسيرتها اليه ولا بدّ ان تصل قبل وصول اسطول كامارا حتى اذا كان لديه من الفحم ما يبلغه موضع قصده لا يرجى ان يستفيد من سعيه وكده وربما وجد الاسطول ديوي له بالمرصاد فكان كما قيل

مثل الغريق تجاوز في ساحلاً   فاذا الاسود ربض بجواره

اما اخبار كوبا فقد نقل أن الاسبان في رضى عنها وان الاميركان اجّلوا الهجوم العام عليها الى الخريف القادم حيث يقل فتك الحمّى وانهم يكتفون الآن بالاستيلاء على سنتياغو واسر اسطول سرفيرا ولذلك ارسل الاسبانيون اليها جيشاً من هفانا بقيادة الجنرال باندو للدفاع عنها كما ان الاميركيين ارسلوا نحو عشرة آلاف رجل امداداً للجنرال شفتر الذي انزل جنوده اليها والثائرون يعدون هذا ويصدون ذاك

ان الاسبانيين برهنوا على بسالتهم وثباتهم في جميع مواقف الحرب ولكن خصمهم اكثر منهم عدداً وعُدداً واهالي البلاد في مواقع الحرب يناوئونهم ويمالؤن خصمهم وهذه عواقب الجهل بحالة العصر وكون النجاح فيه منوطاً بالعلم والثروة اكثر مما هو منوط بالبأس والشدة

مراكش

جاء في جريدة السلام الغراء ما نصه

تفيد الاخبار الواردة من مراكش ان حالها في اضطراب شديد وهي تتأخر كل يوم تأخراً سريعاً سيفضي الى اضمحلالها وذلك لشدة تداخل الاجانب فيها وضعف كبرائهم حتى أصبح ذلك همها الوحيد ولم يعد لها صناعة سوى دفع ديات القتلى ومفاوضة الحكومات الاجنبية في شأنهم ذلك عدا ما ينتابها من الثورات الداخلية التي لا تكاد تنقضي بالرغم عن صرامة الحكومة وتعليقها رؤوس القتلى على أسوار المدن أو حملها على الرماح وعرضها على الناس في الشوارع ويظهر ان نصيب هذه المملكة التعيسة سيكون كنصيب الجزائر وتونس ومصر فيكون هذا الخط الجنوبي الطويل الممتد من بورسعيد الى طنجه مصاباً بعلة واحدة وهي الاحتلال الاجنبي . ولا يبعد من بعد نهاية هذه الحرب الاميركية ان تنفرغ الاذهان الى شأن مراكش لمجاورتها لاسبانيا فيقضي عليها القضاء الاوربي كجاراتها ولكننا نظن ان امتلاك مراكش كلها صعب جداً الا بدهر طويل لان أكثر أهلها محاربون ذوو بأس شديد وانفة عربية ولهم من صعوبة السير في بلادهم ومنعة معاقلهم الطبيعية ما يرد عنهم كل يد ولكن اذا كان لا بد من التداخل فيها فلا يكون الا بامتلاك شواطئها وثغورها ولعل هذا هو المهم عند أوربا . أما هذه القسمة فالارجح انها تكون لفرنسا لانها

من شفاعة الجوار فضلاً عما يقال من انها تسعف اسبانيا الآن لتتنازل لها عما يخصها من شفاعة الجوار وسيكشف لنا المستقبل ذلك بعد قريب اه

(المنار) أما نحن فنقول ان الاوربيين لا تقف امامهم المصاعب والامم الهمجية لا تقدر على مناوأة الامم المتمدنة واذا دام أهل مراكش على جهلهم بالفنون العصرية التى عليها مدار العمران اليوم تقليداً لآبائهم وابقاء لما كان على ما كان فلا بد ان يغمرهم طوفان أوربا كما غمر جيرانهم واذا وفق الله مولاي عبد العزيز وفتحت عين بصيرته فرأى ان الاتباع للاولين لانه أولون مذموم غير محمود سواء في ذلك نظر الشرع والعقل وانما هدانا الشرع ودلنا العقل على ان نعتبر بأحوال الامم في صعودها وهبوطها وان نستمع القول فنتبع أحسنه لا ان نقول «إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون» اذا تبصر بهذا واعتبر عما بين يديه وما خلفه وانعظ عما عن يمينه وشماله فلا شك انه يندفع بهمته كلها الى التربية والتعليم اللذين تقتضيهما حالة العصر ولا يتم له هذا الا بالاستعانة بسيدنا ومولانا أمير المؤمنين والسلطان الاكبر لجميع المسلمين اذ لا يجد معلمين للفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية من أهل الاسلام الا عند الدولة العلية وحالة بلاده لا تقبل غير المسلمين الذين لم يصطبغوا بالصبغة الاجنبية واذا اندفع بهمته الى ماذكرناه وأمده مولانا السلطان الاعظم بالمعلمين البارعين وهم كثيرون لاسيما في الاستانة العلية يرجى ان يندفع ذلك الطوفان الذي يهدد بلاده وما هو الا النفوذ الاجنبي الذي غمر جيرانه والله الموفق وبه المستعان

مشاكل الدول

(فرنسا) في شغل شاغل من تأليف وزارتها فلقد طال الامد على انحلالها ولم يتيسر لاحد ممن عهد اليهم رئيس الجمهورية بتأليفها أن يؤلفها وفي ذلك غض من مقام هذه الامة ودليل على ان الشأو البعيد الذي بلغته من التمدن لم يقو على الخلاف والشقاق المتأصل فيها كما ان فيه مدحة لها بانتظام شؤونها الادارية بحيث تستغني عن الحكومة بتهذيبها زمنا مديدا

(ايطاليا) لم تزل في قلاقل ومشاكل في داخليتها ولم تنجح في تأليف وزارة تحفظ النظام وتعيد الالتئام ولعمري ان التلميذ المصري لم يبعد عن الصواب في الحكم عليها بالسقوط من عداد الدول العظام منذ محاربتها الحبشة . سئل ذلك التلميذ عند امتحانه في فن تقويم البلدان (الجغرافيا) في احدى المدارس الاميرية عن عدد الدول العظام ومن هن فقال هن روسيا والدولة العلية وانكلترا وفرنسا والمانيا وأوستريا فقيل له لم ذكرت الدولة العليـة وأسقطت ايطاليا فقال ماعمناه ان ايطاليا أسقطتها محاربة الحبشة حيث تغلبت عليها دولة عجمية والدولة العلية أظهرت عظمتها الحرب اليونانية حيث بهرت بقوتها وانتظامها جميع الدول والامم

(روسيا) حملت قساوة الاحكام الروسـية بعض مسلمي فرغانة على التألب على الحكومـة ومصادمة رجالها فطير مكاتب روتر الاخبار في البرق بان ذلك ناشيء عن تعصب المسلمين دفعهم اليه نشأة السرور بانتصار الدولة العليـة على اليونان . ثم بينت الجرائد الاوربية ان الحركة كانت

بدسيسة جماعة من رجال الانكليز جاؤا من الهند وغروا بعض المسلمين بلها موهميهم ان ذلك يخفف عنهم وطأة الاحكام الروسية الثقيلة. ولعمري انه لا يعقل ان شرذمة من المسلمين تحاول الانتقام من الروس الجبارين لمخالفتهم لهم في الدين

(الصين) قد فتحت هذه الدولة الشرقية بابا جديداً لامتلاك الغربيين بلاد الشرق تحت أسماء لاتدل على الامتلاك وهو باب الاجازة فقد آجرت ثغورها الالمانيا وروسيا وانكلترا فامتلكوها باسم الاجارة وعظم نفوذهم وكثر تداخلهم فيما لم يستأجروه من تلك البلاد . أراد الانكليز أن ينظموا الماشؤون عساكرها البرية والبحرية بضباط منهم يستلمون زمامها وكان نقل ان الصين ترفض هذه المنحة فجاء بريد أوروبا يحمل الينا تكذيب اللورد سالسبوري لما نقل من قبل ويثبت انها لم ترفض الطلب وانما تأبى اطلاق التصرف لضباط الانكليز وتجعل سلطتهم محدودة

وقد أنبأنا البرق أخيراً باحتجاج وكيل روسيا في الصين على القرض الذي عقدته حكومتها مع مصرف (بنك) هونغ كنغ لمد سكة الحديد من بكين الى كين وان نظارة الخارجية الصينية أجابت روسيا بأنها تنازلت باستئجارها بور آرثر عن التعرض لشؤون الصين الداخلية وجهلت هذه الدولة الخرقاء ان وعود السياسة لا وفاء لها وان ايجارها سيكون سبب بوارها

(الدولة واليمن) هولت بعض الجرائد في حادثة اليمن حتى زعمت ان الثوار حاصرت صنعاء وان زعيم العصاة قام يطالب بالخلافة وان الانكليز عدوهم وقد بينت جرائد الاستانة العلية من قبل ان الاضطراب في اليمن نشأ عن القحط وامتد بعض الامتداد فبادر لعلاجه مولانا السلطان الاعظم أيده

الله تعالى بارسال القوت لاشباع الجائع والعساكر لتأديب الشاغب وقد جاء في أخبار الاستانة ان الدولة العلية قررت ارسال ١٦ الف عسكري لليمن لاعادة الامن ، ومن يستغرب حصول الشغب في اليمن من جراء القحط وقد حصل في ايطاليا أضعاف أضعافه على انه ورد في أنباء اليمن الرسمية ان زعيم الفتنة المسمى ناصر العمر قد خضع واستسلم للحكومة وقد أرسل مع ابنه حمود وعشرة من مشايخ القبائل الى صنعاء ، وهذا يعد من يمن طالع مولانا أمير المؤمنين وتوفيقاته الالهية

(اليونان) لم تطأ اقدام اليونانيين أرض غولوس بعد جلاء الجنود المظفرة عنها حتى طفقوا يعيثون في الارض فساداً من هدم المساجد وقتل المسلمين وحرق جثث البعض منهم ونحن نستلفت الانظار الى التفرقة بين عساكرنا المهذبة وما كان من أدبها مع انتصارها وبين هؤلاء السفهاء وماذا يفعلون مع خذلانهم وانكسارهم ولاءملاء الدنيا صراخا وعويلا بالتنديد بالقوم ورميهم بالتعصب الذي ترمينا به جرائدهم اذا قلنا بالإدنا أو .. وانما نسأل كل عاقل عن رأيه في بغي هؤلاء لو انتصروا هل يصل خياله الى تصوره وتحديده؟ وقد استاء الباب العالي لذلك جدا وأرسل مذكرة شديدة اللهجة الى حكومة اليونان وأخبر سفراء الدول بالامر رسميا

خلاصة البهجة

« مؤلف في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية مختصر من كتاب يحيي بن أبي بكر العامري التهامي المسمى ببهجة المرام

في سيرة سيد الانام » اختصره الشاب الناشيء في العلم والعبادة صديقنا الشيخ مصطفى وهيب افندي البارودي الطرابلسي وقد ذكر مؤلفه انه التزم فيه صحيح الاخبار وحذف منه ماهو بالفقه والتاريخ أشبه، والكتاب سهل العبارة قريب المتناول أجدر به ان يقرأ في المكاتب الاسلامية الابتدائية فان معرفة السيرة النبوية من مهمات الدين وربما لا يوجد مؤلف مختصر أليق بالغرض المذكور من هذا الكتاب وقد طبع في المطبعة الاميرية على نفقة صاحب الدولة مختار باشا الغازي باشارة الاستاذ المتقد صاحب الفضيلة الشيخ علي أفندي العمري الشهير جزى الله تعالى الجميع خيراً بمنه وكرمه

﴿ اختيار الوزراء ﴾

جاء في كتاب الاحكام السلطانية مانصه

«حكي ان المأمون رضي الله عنه قال في اختيار وزير اني التمست لاموري رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وحكمته التجارب ان اؤتمن على الاسرار قام بها، وان قلد مهمات الامور نهض فيها ، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الامراء، واناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، ان أحسن اليه شكر، وان ابتلي بالاساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه، وحسن بيانه،» وقد جمع بعض الشعراء هذه الاوصاف ووصف بعض وزراء الدولة العباسية بها فقال (الوافر)

بديهته وفكرته سواء   اذا اشتبهت على الناس الامور
وأحزم مايكون الدهر يوماً   اذا أعيا المشاور والمشير

وصدر فيه للهم اتساع اذا ضاقت من الهم الصدور

فهذه الاوصاف اذا كملت في الزعيم المدبر وقل ما تكمل فالاصلاح بنظره عام، وما يناط برأيه وتدبيره تام، واذا اختلت فالصلاح بحسبها يختل، والتدبير على قدرها يعتل، ولئن لم يكن هذا من الشروط الدينية المحضة فهو من شروط السياسة الممازجة لشروط الدين لما يتعلق بها من مصالح الامة واستقامة الملة . اه

الى اي تعليم وتربية نحن أحوج (*)

اذا نظرنا الى مابين أيدينا من لوازم حياتنا ضرورية وحاجية وكمالية ألفينا اننا عالة على أوربا في كل شيء منها إما بالذات وهو الاكثر، وإما بالواسطة وهو الاقل، فمن يخيط منا ثوبه انما يخيطه بالآلات والادوات والخيوط الاوربية ونسيج الثوب من أوربا في الغالب وما عساه يوجد من اداة وآلة للقطع أو الحرث والمدق من صنع أهل البلاد فحديدها مجتلب من أوربا اذ لا يوجد في بلادنا من يستخرج الحديد من معادنه ويهيئه لعمل الآلات منه بلهَ (اي اترك وهي بمعنى فضلا عن كذا) البواخر البحرية بانواعها والمركبات البرية واصنافها وسائر المعامل والمصانع وما فيها من الآلات البخارية والكهربائية

السواد الاعظم منا ينظرون الى هذه الاعمال والمصنوعات فيقولون ان الافرنج عقولهم في عيونهم وايديهم ونحن عقولنا في رؤسنا وقلوبنا ، يعنون ان عقولنا لا يمكن ان تنشأ عنها اعمال عظيمة لانها لم تكن في اعضاء

(*) فاتحة العدد السادس عشر الذي صدر في ١٦ صفر سنة ١٣١٦

عاملة . تالله بهذا القول عامتنا ولو ان لهم عقولا لعلموا مواضعها ووظائفها واستنزلوها من رءوسهم الى اعينهم وايديهم وأرجلهم وجعلوها المحرك لكل اعضائهم وجوارحهم ، والمدبر لجميع منافعهم ومصالحهم ، استغفر الله ان وجود الشيء لا يقتضي العلم به ولو وجه ما فكيف يقتضي كمال العلم والحكمة بالوصول من كل شيء لثمرته ، والاشراف من كل مبدإ على غايته ، وهذا لا يهتدى اليه الا بكمال التعليم والتربية على العمل ولكن اكثر الناس لا يعلمون . وأما خاصتنا ونبهاؤنا فانهم ينظرون من تلك الاعمال العظيمة الى مناشئها ومباديها فيرون انها ثمرة علوم وفنون كثيرة رياضية وطبيعية واقتصادية الخ يتأملون فيرون ان عمل الابرة يحتاج فيه الى كثير من هذه العلوم والفنون فضلاً عن الجواري المنشآت في البر والبحر ونحوها من المصنوعات العظيمة التي قامت بها المدنية الحاضرة وكل أمة تنكبها فهي معرضة للزوال

ربما طاف في نفوس هؤلاء طائف الغيرة على بلادهم وقومهم وفكروا في مجاراتهم للامم القوية وكيف تكون هذه المجاراة وماذا تكون؟ لكن التفكير من غير تشمير، ينتهي في الغالب الى سوء المصير، انتهى بالاكثرين الى اليأس والقنوط الذي هو أدوأ الامراض النفسية وأقتلها . رأوا اننا نحتاج في هذه المجاراة الى المال الكثير لانشاء مدارس الفنون والصنائع والى كثير من المعلمين الناصحين لاجل تعميم ذلك في البلاد ولا مال عندنا يفي بالغرض وان وجد المال عند قوم منا فهم لا يبذلون للمدارس لجهلهم بفائدة العلوم والفنون ولا للصنائع لعدم ثقتهم بنجاح العمل ثم برواج المصنوع الوطني اذا نجح مع معارضة مصنوعات أوربا له وهي

أجود صنعاً وأرخص ثمناً لقلة النفقات ووفرة الآلات وكثرة المهرة من العمال ولان ذويها أقدر على نشرها في المالك الدانية والقاصية بالتجارة وأرضى باليسير من الربح لكثرة المال والثقة بالمآل . ولا يوجد عندنا من المعلمين الوطنيين معشار مانحتاج اليه لتعميم التعليم اللازم ولا ثقة لنا بالاجانب لانهم لطمعهم في بلادنا وللعداوة السياسية التي بيننا وبينهم لا يمكن ان ينصحونا ويعلمونا ما نستقل به عنهم ونقطع طرق المطامع عليهم بل تنازعهم أسباب الحياة والبقاء ونضارعهم في التقدم والارتقاء . وما يؤمنهم اذا ساهمناهم في صناعتهم وساميناهم في معارفهم اننا نسومهم ونبذهم (نعلوهم ونغلبهم) وقد كنا نحن السابقين في ميادين المدنية الى كل اكتشاف في العلم واختراع في الصناعة وقد أخذوا عنا فأربوا علينا وآثارنا عندهم تدل علينا . هذا مايحملهم على استبدال الغش بالنصيحة وسلوك سبل الإفساد عوضا عن انتهاج طريق الاصلاح ولقد انخدع بهم بعض أسلافنا من قبل فألقوا اليهم من أزمة التعليم ومهدوا لصناعتهم وتجارتهم الطرق فكانوا وبالا على كل بلاد تبوءوها ، استأثروا بجميع منافعها وعمدوا الى ما فيها من لغة وجنسية وأدب ودين ونفوذ حكومة وصناعة وتجارة فأماتوا بعض ذلك وأضعفوا البعض الآخر فمنها ما فقد استقلاله بالكلية ومنها ما ينتظر ذلك وكانت تلك عاقبة المغرورين

هذا ما أوقع اكثر المتفكرين في هاوية اليأس وقطع بهم أسباب الرجاء . نظروا الى أوربا في نهايتها والى أهل بلادهم في بدايتهم (على انهم لم يبدأوا بعمل وهذه البداية مفروضة) فقالوا لا يبلغ الظالع شأو الضليع ولا يمكن أن يسابق الفسكل (الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل)

المجلي (اول خيل الحلبة فى السباق) ثم نكصوا على أعقابهم بل نكسوا على رءوسهم مسجلين على أمتهم [illegible] ط وعدم الرجاء بالنهوض الى أبد الابيد، اما المتفكرون الاقلون عدداً، والاكثرون هدى ورشداً، الذين لم يسمح لهم يقينهم باليأس من روح الله والقنوط من رحمته فقد ردوا على اولئك قائلين

من طلب الغاية في المبدأ لا يؤب الا بالقنوط والشقا

ومن يسر سيراً طبيعيا لها يبلغ بالتوفيق منها المنتهى

فيجب ان نطلب الامر في ابانه ونأخذه بربه (أوله) ولا نحتاج في هذا ان نساهم الاوربي في اكتشافه واختراعه من أول الامر بل نحن أحوج الى مساهمته في ماهو أفيد من هذا وأسهل من ضروب التربية والتعليم وهو التعليم الذي لا يتوقف على الآلات والادوات ولا يحتاج فيه الى الاساتذة والمعلمين من المكتشفين والمخترعين، والتربية التي نستغني فيها عن الاظآر والمربيات الاوربيات. نحن أحوج الى التربية والتعليم اللذين يشعران قلوبنا معنى الامة والوطن والجنس اذ لسنا الان الا افراداً متبددين متفرقين متنافرين متخاذلين متدابرين متنازعين متباغضين لا جامعة تجمعنا، ولا رابطة تضمنا وتربطنا، لا يحن قريب لقريب، ولا يرعى حبيب ود حبيب، ولا يرقب أحد فى آخر الاولا ذمة، وانتهى بنا الامر الى ان وضع لنا بعض المحققين في علم الاجتماعي البشري هذه القاعدة وهي ان المداوة والبغضاء فينا مرتبة على نسبة القرب فهي على أشدها الاقرب فالقريب فالبعيد فالابعد، لاجرم ان هذا يكاد يكون خروجاً عن البشرية وهبوطاً الى أخس أنواع

الحيوان الاعجم كالسمك الذي يأكل بعضه بعضاً فهل نحن مع هذه الحالة أمة ولا يكون مجموع الافراد أمة الا اذا كان كل فرد منهم يشعر في نفسه بان منزلته من سائر الافراد منزلة يده أو عينه مثلاً من سائر بدنه ولسنا كذلك كما نعلم ويعلم الناس أجمعون . هل لنا وطن نعمل لترقيته واعلاء شأنه ونحتاج للفنون والصنائع لكي نستعين بها على ذلك؟ أنى والعمل للوطن من خواص الامم المجتمعة لا الاحاد المتفرقة ؟ هل لنا لغة نحافظ عليها فنجتهد في نقل العلوم اليها ؟ كيف والمتفرغون للغتنا الشريفة يستغرقون العمر في البحث عن عوارض الالفاظ التي وضعها النحاة والصرفيون فيتعلمون اللغو لا اللغة ومن يقضي بضع عشرة سنة ليعلم ان «زوايا» ماصارت زوايا الا بعد خمسة أعمال هل يتفرغ لمعرفة زوايا الاعمال الحقيقية وهي ثلاث لا خمس؟ وهل ترك لغتنا وتعلم الفنون باللغات الاجنبية فيه حياة لنا وسعادة لامتنا اذا أردنا ان نكون أمة كسائر الامم المتمدنة ؟ هل لنا جنسية نسبية او لغوية تقرّب البعيد وتجمع الشتيت ؟ كيف ونحن امشاج واخلاط من اجناس وشعوب شتى ؟ هل لنا دين نأتمر بأوامره وننتهي عن مناهيه ونتأدب بادابه التي تؤلف بين القلوب مهما كانت فاسدة كما ألفت بين قلوب الهمج من جاهلية العرب فجعلتهم اخواناً على سرر متقابلين يفتخر التاريخ بفضائلهم ومناقبهم وبعد ما كانوا عارا على النوع الانساني كادوا يرتقون عنه الى مصاف العالين من ملائكة رب العالمين؟ كيف ونحن في الدرك الاسفل من فساد الاخلاق كما اومأنا الى ذلك آنفا وذكرنا قاعدة عالم الاخلاق والاجتماع فينا . واما اعمالنا فهي على نسبة اخلاقنا طبعاً فشا فينا السكر والبغاء والميسر (القمار) والظلم والتعدي والبغي الخ الخ الخ

وحيث قد تبين اننا فاقدون لكل الجوامع التي تتكون بها الامم وتقوم بها الممالك والدول فنحن احوج الآن الى التربية والتعليم اللذين يوجدان لنا هذه الجوامع المفقودة حتى اذا ماعاذت لنا نمدها ونقويها بالفنون الرياضية والطبيعية التى فيها عظمتها وكمالها والافان تعلم تلك الفنون بصبغة غريبة ولغة غريبة تكون عونًا للغرباء من أهل تلك اللغة أو الصبغة على تمكنهم من البلاد والقبض على أزمة منافعها بل وعلى امتلاكها بالمرة. هؤلاء الحكام الشرقيون الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق فيمهدون بذلك السبيل لتداخل الغربيين في بلادهم باسم الاصلاح أليسوا من المتعلمين تلك الفنون والراطنين بتلك اللغات ؟ أليس منهم الخائنون لسلطانهم البائعون لاوطانهم بثمن بخس دراهم معدودات وكانوا فيها من الزاهدين كل هذا مشاهد معروف حتى عند العامة فلا حاجة للتطويل فيه والاستشهاد عليه

فيجب على العلماء والكتاب الشرقيين أن يوجهوا عنايتهم الكبرى الى هذا الامر « تكوين الامن » ويجتهدوا فيه قولاً وعملا ويجب على مؤسسي المكاتب والمدارس الوطنية ومعلميها وأساتذتها أن يجعلوه نصب أعينهم واهم ما تدور عليه تعاليمهم بحيث يغرسون فى قلب كل تلميذ ان حياته كلها لامته وبلاده وان علمه وعمله لاشرف له فيها الا اذا صرفهما لمنفعة الامة والبلاد ويجب على جميع العقلاء من الشرقيين ان يساعدوا هؤلاء الذين يجاهدون في سبيل الامة والوطن ومن تقاعد عن موازرتهم ومعاضدتهم فهو خائن لامته ودولته وعامل على خراب وطنه فما بالك بمن يحاكيهم ويشاكسهم ويقاومهم ويصادمهم

كل خائن ملعون يلعنه الله والملائكة والناس اجمعون فنسأل الله تعالى ان يقي اهل بلادنا من هذه اللعنات وان يوفقهم للعمل بما فيه خيرهم ولاخير فيه لغيرهم [1] وان لنا لعودة الى هذا الموضوع ان شاء الله تعالى وهو الموفق

محاورة

في دعوى ضرر الدين والجامعة الاسلامية

ضمنا مجلس مع مكاتبي اشهر الجرائد في الديار المصرية فذكر بعضهم «المنار» واثنوا عليه بما فضلوه به على جميع الجرائد العربية فقال احدهم اني ما رأيت المنار الا قليلاً ولقد تراءي لي منه انه يدعو الى الجامعة الاسلامية كما هو لسان علماء الاسلام الذين يتكلمون في السياسة ولا ريب في ان هذا الرأي خطأ لانه يدعو الى التفرقة بين المسلم والقبطي في مصر مثلاً ومصلحتهما واحدة والاتفاق بين المصري والهندي المسلمين ومصلحة بلادهما مختلفة ومآل ذلك الى خراب البلادين وما اضرّ بالشرق واوقع به الدمار الا الدين فينبغي للجرائد الشرقية الحرة التي تريد ان تخدم الشرق خدمة نافعة أن تبين للنشء الجديد فيه انه لا يمكن النجاح والترقي الا بنبذ الدين ظهرياً فقلت له انا لا انكر ان اختلاف الدين اضر بالشرق ضرراً بيناً ولكن هذا الضرر لم يأت من طبيعة الدين وانما جاء من عدم فهم حقيقته ومن عوارض اخرى كجهالة الرؤساء ودسائس الطامعين الذين جعلوا الدين عاملا من عوامل السياسة واني اعتقد ان لا شيء ... بين

(١) هذه هفوة كهفوة ذلك الاعرابي الذي أسلم وقال امام النبي (ص) اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال له (ص) «ضيقت واسعا يا أخا العرب»

القلوب كالدين اذا اخذت تعاليمه وآدابه على طهارتها كما جاءت في الكتب السماوية ومن مقاصد « المنار » بيان ذلك والحث عليه ولذلك قلت في مقدمة العدد الاول منه التي بينت فيها مشرب الجريدة ما نصه «وتحاول اقناع ارباب النحل المتباينة والمذاهب المختلفة ان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتوادّ والبر والاحسان وان المعارضة والمناهضة والمناصبة والمواثبة تفضي الى خراب الاوطان وتقضي على هدى الاديان » ومن المقاصد ايضاً بيان ان السعادة الدنيوية تتوقف بعد التهذيب على اعمال تبنى على علوم وفنون لا بد منها ولا غناء عنها واعطيته العدد الخامس عشر الذي ذكر فيه ان صحة العقائد لا تكفي لهذه السعادة اذا تنكبت الاعمال النافعة والفنون التي عددها وترقيها.ولقد افصح لي هذا الكاتب عن رغبته في انشاء مقالة يبين فيها رأيه في الدين والعمران بالحرية التامة ويبعث بها الي اذا كنت انشرها له في المنار فقلت له ان الاستدلال بسوء حالة اهل الاديان على مضرة الدين قد رده الاستاذ صاحب « رسالة التوحيد » التي طبعت حديثاً وقد وعدته ان انشر ذلك في المنار وها انا ذا انشر ما جاء في تلك الرسالة من بيان « وظيفة الرسل عليهم السلام »وهي حقيقة الدين وبيان اعتراض الكاتب وردّه • وقد تقدم لنا نشر بيان « حاجة البشر الى الرسالة » واغضينا عن نشر امكان الوحي وبيان وقوعه لما فيه من الغموض بالنسبة لاكثر قراء الجريدة . وارغب الى حضرة الكاتب ان يمعن النظر فيما انقله ويكتب اليّ مفصحا عن رأيه فيه فان كان تسليما فبها ونعمت والا فبمراجعة القول ومرادة الكلام تتضح الخفايا وتتجلى الحقائق والله الموفق

وظيفة الرسل عليهم السلام

(من رسالة التوحيد)

« تبين مما تقدم في حاجة العالم الانساني الى الرسل انهم من الامم بمنزلة العقول من الاشخاص وان بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل مالامس الحس منها فالقصد منه الى الروح وتطهيرها من دنس الاهواء الضالة او تقويم ملكاتها او إيداعها ما فيه سعادتها في الحياتين . اما تفصيل طرق المعيشة والحذق في وجوه الكسب وتطاول شهوات العقل الى درك ما اعدّ للوصول اليه من أسرار العلم فذلك مما لادخل للرسالات فيه الاّ من وجه العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه وتقرير ان شرط ذلك كله ان لا يحدث ريباً في الاعتقاد بان للكون الهاً واحداً قادراً عالماً حكيماً متصفاً بما أوجب الدليل ان يتصف به وباستواء نسبة الكائنات اليه في انها مخلوقة له وصنع قدرته وانما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال . وشرطه ان لا ينال شيء من تلك الاعمال السابقة أحداً من الناس بشرٍّ في نفسه أو عرضه او ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ما حدّد في شريعتها

يرشدون العقل الى معرفة الله وما يجب ان يعرف من صفاته ويبينون الحد الذي يجب ان يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة ، يجمعون كلمة

الخلق على اله واحد لا فرقة معه ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده وينهضون نفوسهم الى التعلق به في جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرةً لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى تقوي ماضعف منهم وتزيد المستيقن يقينا

«يبينون للناس مااختلفت فيه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات بامر الله الصادع ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ولا تفوت به المنافع الخاصة ، يعودون بالناس الى الالفة ، ويكشفون لهم سر المحبة، ويستلفتونهم الى ان فيها انتظام شمل الجماعة، ويفرضون عليهم مجاهدة انفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشعروها افئدتهم . يعلمونهم لذلك ان يرعى كل حق الآخر وان كان لا يغفل حقه وان لا يتجاوز في الطلب حده وان يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم

يضعون لهم بأمر الله حدودا عامة يسهل عليهم ان يردوا اليها اعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذي تهدر له، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذي يبيح تناوله ، واحترام الاعراض مع بيان مايباح وما يحرم من الابضاع .ويشرعون لهم مع ذلك ان يقوموا انفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود ، والرحمة بالضعفاء، والاقدام على نصيحة الاقوياء ، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء، يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية ، الى طلب الرغائب السامية، آخذين في ذلك

كله بطرف من الترغيب والترهيب والانذار والتبشير حسبما امرهم الله جل شأنه

يفصلون في جميع ذلك للناس مايؤهلهم لرضاء الله عنهم ومايعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعدّ الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع في محاظيره ، يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

بهذا تطمئن النفوس، وتثلج الصدور، ويعتصم المرزوء بالصبر، انتظاراً لجزيل الاجر، وارضاء لمن بيده الامر، وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الانساني لايزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله الى اليوم

ليس من وظائف الرسل ماهو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ولا تفصيل مايحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما استكن من طبقات الارض، ولا مقادير الطول فيها والعرض، ولا ماتحتاج اليه النباتات في نموها، ولا ما تفتقر اليه الحيوانات في بقاء أشخاصها وأنواعها، وغير ذلك مما وضعت له العلوم، وتسابقت في الوصول الى دقائقه الفهوم، فان ذلك كله من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة ، هدى الله اليه البشر بما أودع فيهم من الادراك يزيد في سعادة المحصلين، ويقضي فيه بالنكد على المقصرين، ولكن كانت سنة الله في ذلك ان يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت شرائع الانبياء بما يحمل على الاجمال بالسعي فيه ومايكفل التزامه بالوصول الى ما أعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء

«أما ما ورد في كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا في احوال الافلاك او هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى ما فيه من حكمة مبدعة او توجيه الفكر الى الغوص لادراك اسراره وبدائعه . وحالهم عليهم الصلاة والسلام في مخاطبة اممهم لا يجوز ان تكون فوق ما يفهمون والإضاعت الحكمة في ارسالهم ولهذا قد يأتي التعبير الذي سيق الى العامة بما يحتاج الى التأويل والتفسير عند الخاصة، وكذلك ما وجه الى الخاصة يحتاج الى الزمان الطويل حتى يفهمه العامة، وهذا القسم اقل ما ورد في كلامهم

«على كل حال لا يجوز ان يقام الدين حاجزاً بين الارواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان . بل يجب ان يكون الدين باعثاً لها على طلب العرفان ، مطالباً لها باحترام البرهان ، فارضا عليها ان تبذل ما تستطيع من الجهد في معرفة ما بين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد ، والوقوف في سلامة الاعتقاد عند الحد ، ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين ، وجنى عليه جناية لا يغفرها له رب الدين

اعتراض مشهور

«قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكمالا لنظام اجتماعهم وطريقا لسعادتهم الدنيوية والاخروية فما بالهم لم يزالوا اشقياء، عن السعادة بعداء، يتخالفون ولا يتفقون، يتقاتلون ولا يتناصرون، يتناهبون ولا يتناصفون ، كل يستعد للوثبة، ولا ينتظر الا مجيء النوبة، حشو جلودهم

الظلم، وملء قلوبهم الطمع، عد كل ذوي دين دينهم حجة لمقارعة من خالفهم فيه، واتخذوا منه سبباً جديداً للعداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع، بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصاهم وتختلف مذاهبهم في فهمه وتتفارق عقولهم في عقائدهم ويثور بينهم غبار الشر، وتتشبث أهواؤهم بالفتن، فيسفكون دماءهم، ويخربون ديارهم، الى ان يغلب قويهم ضعيفهم فيستقر الامر للقوة لا للحق والدين . فها هو الدين الذي تقول انه جامع الكلمة ورسول المحبة ، كان سبباً في الشقاق ومضرما للضغينة، فما هذه الدعوى وما هذا الاثر ؟؟

« نقول في جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في ايدي من لا يفهمه او يفهمه ويغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه أو امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعة عقولهم عن تصريفه تصريف الانبياء انفسهم او الخيرة من تبعتهم ، والا فقل لنا أي نبي لم يأت امته بالخير الجم ، والفيض الاعم، ولم يكن دينه وافيا بجميع ما تمس اليه حاجتها، في افرادها وجملتها

«أظن انك لا تخالفنا في ان الجمهور الاعظم من الناس (بل الكل الا قليلاً) لا يفهمون فلسفة أفلاطون ولا يقيسون أفكارهم وآراءهم بمنطق أرسطو، بل لو عرض أقرب المعقولات الى العقول عليهم بأوضح عبارة يمكن ان يأتي بها معبر لما أدركوا منها الا خيالاً لا أثر له في تقويم النفس ولا في اصلاح العمل، فاعتبر هذه الطبقات في حالها التي لا تفارقها من تلاعب الشهوات بها، ثم انصب نفسك واعظاً بينها في تخفيف بلاء سائقه النزاع اليها فأي الطرق أقرب اليك في مهاجمة شهواتهم وردها الى الاعتدال في رغائبها؟؟

«من البديهي انك لا تجد الطريق الاقرب في بيان مضار الاسراف في الرغب وفوائد القصد في الطلب وما يجري نحو ذلك مما لا يصل اليه أرباب العقول السامية الا بطاويل النظر وانما تجد أقصد الطرق وأقومها أن تأتي اليه من نافذة الوجدان المطلة على سر القدير المحيط به من كل جانب فتذكره بقدرة الله الذي وهبه ما وهب، الغالب عليه في أدنى شؤونه المحيط بما في نفسه، الآخذ بازمة همه، وتسوق اليه من الامثال في ذلك ما يقرب الى فهمه . ثم تروى له ما جاء في الدين المعتقد به من مواعظ وعبر، ومن سير السلف في ذلك الدين ما فيه أسوة حسنة، وتعش روحه بذكر رضا الله عنه اذا استقام وسخطه عليه اذا تقحم، عند ذلك يخشع منه القلب، وتدمع العين، ويستخذي الغضب، وتخمد الشهوة، والسامع لم يفهم من ذلك كله الا انه يرضي الله وأولياءه اذا أطاع ويسخطهم اذا عصى ، ذلك هو المشهور من حال البشر غابرهم وحاضرهم، ومنكره يسم نفسه انه ليس منهم ، كم سمعنا ان عيوناً بكت، وزفرات صعدت ، وقلوباً خشعت، لواعظ الدين ، لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدي نصاح الادب وزعماء السياسة ، متى سمعنا ان طبقة من طبقات الناس يغلب الخير على أعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم أو خاصتهم ويتقي الشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك؟ هذا أمر لم يعهد في سير البشر ولا ينطبق على فطرهم وانما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للامرين الا بالدين فعامل الدين هو أقوى العوامل في أخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه على نفوسهم أعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم

«قلنا ان منزلة النبوات من الاجتماع هي منزلة العقل من الشخص

أو منزلة العلم المنصوب على الطريق المسلوك بل نصعد به الى مافوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر ، أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر ، وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ، ومع ذلك فقد يسيء البصير استعمال بصره فيتردى في هاوية يهلك فيها وعيناه سليمتان تلمعان في وجهه ، يقع ذلك لطيش أو اهمال أو غفلة أو لجاج أو عناد ، وقد يقوم من العقل والحس الف دليل على مضرة شيء ويعلم ذلك الباغي في رأيه من اهل الشر ثم يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لارضاء شهوة اللجاج او نحوها ولكن وقوع هذه الامثال لا ينقص من قدر الحس او العقل فيما خلق لاجله ، كذلك الرسل عليهم السلام اعلام هداية نصبها الله على طريق النجاة فمن الناس من اهتدى بها فانتهى الى غايات السعادة ، ومنهم من غلط في فهمها وانحرف عن هديها فانكب في مهاوي الشقاء ، فالدين هاد والنقص يعرض لمن دُعوا الى الاهتداء به ، ولا يطعن نقصهم في كماله واشتداد حاجتهم اليه « يضل به كثيرا ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين » ألا ان الدين مستقر السكينة ، ولجأ الطمأنينة ، به يرضى كل بما قسم له ، وبه يدأب عامل حتى يبلغ الغاية من عمله ، وبه تخضع النفوس الى احكام السنن العامة في الكون ، وبه ينظر الانسان الى من فوقه في العلم والفضيلة ، والى من دونه في المال والجاه ، اتباعاً لما وردت به الاوامر الالهية ، الدين أشبه شيء بالبواعث الفطرية الالهامية منه بالدواعي الاختيارية ، الدين قوة من أعظم قوى البشر وانما يعرض عليها من العلل ما يعرض لغيرها من القوى وكل ما وجه الى الدين من مثل الاعتراض الذي نحن بصدده فتبعته في اعناق القائمين عليه الناصبين

أنفسهم منصب الدعوة اليه، أو المعروفين بأنهم من حفظته ورعاة احكامه، وما عليهم في ابلاغ القلوب بغيتها منه الا أن يهتدوا به، ويرجعوا به الى أصوله الطاهرة الاولى، ويضعوا عنه أوزار البدع، فترجع اليه قوته، وتظهر للاعمى حكمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الى رأي القائلين باهمال العقل بالمرة في قضايا الدين وبأن أساسه هو التسليم المحض وقطع الطريق على أشعة البصيرة ان تنفذ الى فهم ما أودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الامر كما عساه ان يقال لما كان الدين علماً يهتدى به وانما الذي سبق تقريره هو ان العقل وحده لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهي كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا . كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لاجله والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود أعمال . كيف ينكر على العقل حقه في ذلك وهو الذي ينظر في أدلتها ليصل منها الى معرفتها وانها آتية من قبل الله؟ وانما على العقل بعد التصديق برسالة نبي ان يصدق بجميع ماجاء به وان لم يستطع الوصول الى كنه بعضه والنفوذ الى حقيقته، ولا يقضي عليه ذلك بقبول ما هو من باب المحال المؤدي الى مثل الجمع بين النقيضين أو بين الضدين في موضوع واحد في آن واحد فان ذلك مما تتنزه النبوات عن ان تأتي به فان جاء ما يوهم ظاهره ذلك في شيء من الوارد فيها وجب على العقل ان يعتقد ان الظاهر غير مراد وله الخيار

بعد ذلك في التأويل مسترشداً ببقية ماجاء على لسان من ورد المتشابه في كلامه، وفي التفويض الى الله في علمه، وفي سلفنا من الناجين من أخذ بالاول ومنهم من أخذ بالثاني » اه

ايران

كتبنا في العدد السالف نبذة وجيزة في مشاكل الدول ومنها مسألة الوزارة في فرنسا وايطاليا وسكتنا عن وزارة ايران التي أخبرنا البرق من مدة باستقالة رئيسها « الصدر الاعظم » ولما يرد نبأ آخر بتعيين غيره وقد انتهت المشكلة في فرنسا وايطاليا وتشكلت الوزارة كما ترى في الاخبار البرقية ، وقد علمنا من الانباء الخصوصية ان الازمة في بلاد ايران على أشدها فان شركة أجنبية «انكليزية» تطلب من الحكومة الايرانية امتيازاً بحصر التنباك وقد أحدث هذا الطلب هزة في البلاد الايرانية أوجس منها المرشحون للصدارة العظمى خيفة من قبولها وتحمل تبعة التصديق على الامتياز المطلوب امام الامة التي أشعرها جميعها بعظيم ضرره ما كان من أمره في أواخر عهد الشاه ناصر الدين السابق (رح)

طلب هذا الامتياز يومئذ وأقرت عليه الحكومة الايرانية لما كان من عوج وزيرها الاول وضلعه مع انكلترا فنبه بعض العقلاء الناصحين رئيس العلماء الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي (رح) الملقب بحجة الاسلام لضرار هذا الامتياز وانه نافذة للتداخل الاجنبي الذي يذهب باستقلال البلاد وطلب الناصح من الحجة ان يفتي بتحريم التدخين المستلزم ترك زراعة التنباك فافتى وكان ذانفوذ روحي عظيم فاضطربت لفتواه بلاد العجم كلها

وامتنعوا عن التدخين حتى ان الشاه نفسه طلب يوما نارجيلة (شيشة) فلم توجد في قصره وشغب الناس على الشاه وحاولوا قتله أو يبطل المقاولة التي عقدها مع الاجانب لحصر التنباك (الرزي) فاضطر الشاه الى الانصياع وأبطل المقاولة ودفع للشركة خمسمائة ألف جنيه افرنكي ارضاء لها . نعم ربما لا يوجد اليوم في تلك البلاد امام ذو نفوذ يستنفرها لمقاومة الحكومة لكن الاحساس والشعور الاول لم يزل من النفوس اذ العهد به قريب فعسى أن يأخذ جناب الشاه المعظم بالحزم ويرفض طلب كل شركة أجنبية ويجتهد بتأسيس الشركات الوطنية فاذا قوي نفوذ الاجانب في بلاده يحولون بينه وبين كل اصلاح وعمل يعود على بلاده بالنفع والترقي ويجعلونه آلة لتنفيذ رغائبهم ورعاية مصالحهم بحجة المحافظة على أموال رعيتهم أصحاب الشركات ومن رأى العبرة في غيره فليعتبر

(تعصب اليونان واعتداؤهم على المسلمين)

ألممنا في العدد الماضي الى ما كان من عبث اليونانيين في تساليا وبغيهم على المسلمين فيها بعد جلاء الجنود المنصورة وقد جاءت جرائد الاستانة العلية بعد ذلك بزيادة تفصيل منه انهم نهبوا جميع ما في جوامع (يني شهر) وحطموا بعض المنابر وهجموا على دور المسلمين وبيوتهم ومخازنهم وحوانيتهم فكسروا اغلاق الابواب وانهبوا جميع ما لديهم من المال والعروض والماشية وعمدوا الى حقول الذين هاجروا مع الجيش العثماني وجنائنهم فاحرقوها والى مساكنهم فدمروها تدميراً وأحرقوا اثنين من المسلمين في (ترحاله) بالنار وهم أحياء وأماتوا آخرين بضروب من التعذيب ومثلوا بكثير

ممن قتلوا تمثيلاً، ولقد حبسوا قوماً وصادروا قوما ليستكملوا صنوف الانتقام وفر اكثر مسلمي تلك البلاد بأهليهم الى موقع (الاصونيا) مغادرين أموالهم ومتاعهم للغادرين الباغين، هذا بعض ماجرى في البلاد الكبيرة والشهيرة كترحالة ، وبني شهر ، وحاجي الياس، وصار قولي، فكيف يكون حال القرى والمزارع الصغيرة النائية ؛ أومأنا في العدد السالف الى أن الباب العالي احتج على اليونان وانبأ بذلك الدول العظام لكن لا يبعد أن يكون لهذا النبأ العظيم عندهن أحسن موقع ويطربن له ولا يضطربن لان تأديب العصاة والاخذ على أيدي البغاة وحب الانسانية والسعي في الاصلاح كل ذلك له مواضع عند تلك الدول نعرفه نحن ويعرفه الناس اجمعون

قضية البرنس احمد سيف الدين بك

أحصت الجرائد اليومية جزئيات هذه الحادثة من يوم وقعت الى يوم حكم فيها حتى جاءت بالذرة واذن الجرة ولا يصدف هذا بجريدة اسبوعية كالمنار ان تطرف قراءها خصوصا الذين لا يطلعون على الجرائد اليومية بمجمل من خبر المحاكمة مع الملاحظة عليها بعد ما أخبرناهم بمجمل الواقعة من قبل وانا موردون في ذلك سبع جمل

(١) انَّ هذه أول دعوى وقعت في القطر سيق فيها احد عائلة الامارة بل أسرة الملك الى المحكمة وأوقف فيها في موقف المجرمين وحكم عليه بالعقوبة وكان من شهودها الوزراء كعباني باشا ناظر الحربية ومظلوم باشا ناظر المالية ويعقوب أرتين باشا وكيل نظارة المعارف

عبدالحميد الاول وفي عهده عمهم الدين ونزعوا عن التقليدات والشوائب التي كانت تشوب عقيدة المسلم منهم . أين هذا مما جاء في الرواية من كونهم عربا مسلمين وليسوا من أهل تلك البلاد الاصليين واذا التفتنا الى التاريخ الطبيعي نراه أيضا يفند القول بكونهم من عرب الحجاز كما هو ظاهر للعيان ولا لوم على المؤلف فى ذكره فانه ناقل لكن كان عليه أن يشير الى ضعفه على الاقل ولقد أطلنا في ذكر عقيدتهم لاقل مناسبة لما فيه من الغرابة والفائدة . أما المنتقدات اللفظية في الرواية فهي كثيرة اللحن والغلط فعسى ان يعتني حضرة المؤلف بضبطها وتصحيحها في طبعة ثانية. وفى الختام نحث الادباء على مطالعة الرواية ونرجو لها الرواج

مقتطفات من الجرائد

(هبات علمية)

لا نظن أن قارئا يقرأ عنوان هذه النبذة الا ويعلم اننا سنذكر فيها بعض الهبات الاميركية ولو كان أهالي أميركا مشغولين بالحرب المستعرة نارها بينهم وبين الاسبانيين ثم ان الهبات الاميركية فقد جاء في جريدة صيئس (العلم) ان الدكتورة اليصابات بانسن تركت لمدرسة مشيغان الجامعة ١٢٥ ألف ريال لينفق ريعها في تعلم أمراض النساء والاطفال وان زوجة مستر باتون في نيويورك تركت مئة ألف ريال لمدرسة برنستن الجامعة وان زوجه المستر هارست ستبني بناء في مدرسة كليفورنيا الجامعة لاجل تعليم الهندسة المدنية تنفق عليه ٥٠٠ الف ريال وان المستر بونت ترك لمدرسة

(٦) ان هذه الحادثة قد كشفت الستار عن كثير من الشؤون الداخلية لهذه العائلة العظيمة القدر تمس مقام غير أمير وأميرة منها وترميهم بالطمع الشائن مع واسع ثروتهم وماسبب ذلك الاالتربية الافرنجية الخاسرة. دع ذكر المبالغ العظيمة التي طلبتها دولة (البرنسس) نازلي هانم من المتهم لانقاذه وذكر المعاملة القاسية التي كان يعامل بها دولة فؤاد باشا قرينته الاميرة شويكار هانم لاجل توكيله على أمور مالية حتى كان من تبرمها وشكواها لاخيها سيف الدين بك ماحركه على الانتقام منه كما شكت لعمها صاحب الدولة أحمد كمال باشا ولغيره

(٧) كان من شؤم هذه الحادثة ان طلق البرنس فؤاد باشا قرينته المشار اليها فاسقط في يدها وأرسلت له الكتب تستعطفه وتعتذر له . وقد احتج في المحاكمة بكتبها له كما احتج بكتبها لدولة عمها وعمتها وأخويها وغيرهم حيث كانت تشكو منه وانا نكتفي من كتبها بنشر هذا الرقيم الاعتذاري تفكهة للقراء وهو »

عزيزي فؤاد

أكتب لك هذا وأنا باكية وقلبي ألف قطعة بل وأنا في حالة الجنون ولا أصدق أن فؤادي لا يريدني لاني عالمة انك تحبني شديد الحب . ثم أنا أعترف بأني غلطة فيما كنت أقول من الاقوال الفارغة ولكن أنت تعلم اني عصبية. فانا أقبل قدميك واستحلفك بأمك وبقبر والدك كي تسامحني. فان لم يكن صفحك نظراً لخاطري فنظراً لخاطر بنتنا (وكيجه) والجنين الذي سيولد بعد سبعة أشهر . اني سأعتبر نفسي جارية لك كانك اشتريتني بالمال من عند الياسرجي وأكون مطيعة لاوامرك ولا أحسب نفسي

مطلقاً انني من قائلة (أحمد) المتهم — وهل تظن أيها العزيز اني قادرة على تحريض أحمد — هذا الاهبل — ان يعمل أمراً شنيعاً كالذي فعل ، هل أحرضه على ان يقتل زوجي والد ولدي ؟ انني أقسم لك بان مثل هذا الامر ماخطر بفكري قط ، ارحمني يافؤادي اشفق علي وسامح جاريتك اذ لا يمكنني ان أعيش دونك . ان غاية ما كنت أتمناه لك من صميم فؤادي الصحة ولله الحمد قد رجعت لحبيبي فؤاد . والآن اقبل قدميك وابقى في فلك واسمح لي فقط باللقاء ولو مرة واحدة وأموت بعدها (شويكار)

الجيوش الغربية المعنوية (*)

« في الفتوحات الشرقية »

الغرض من الفتوح والاستعمار تكثير المال وتنمية الثروة ، والثروة أو المال مبدأ الاعمال المدنية وغايتها ، وبه تتألف مقدمات العمران وتحصل نتيجتها ، ولما علم الغربيون ان الحروب تتلف الثروة وقد يستوي في خسائرها الغالب والمغلوب عمدوا الى الفتوح من طريق الكسب والتغلب على الامم بالقبض على أزمة معايشها ، وامتلاك نواصي مكاسبها ، ثم بتقطيع روابطها وابطال الجوامع التي تضمها وتجمعها ، الى أن يقضي التفرق على الامة بقضائه الذي رددناه مراراً وبمثل هذا التفرق يتسنى للعدد القليل الاستيلاء على شعب كبير وأمة عظيمة ، يصرف الرجل الواحد من الغالبين الالاف والجموع ويسوقهم حيث شاء كما يسوق الراعي الابل والشاء ، وقد يتراءى

(*) فاتحة العدد السابع عشر الذي صدر في ٢٣ صفر سنة ١٣١٦

مطلقاً انني من قائلة (أحمد) المتهم – وهل تظن أيها العزيز اني قادرة على تحريض أحمد – هذا الاهبل – ان يعمل أمراً شنيعاً كالذي فعل ، هل أحرضه على ان يقتل زوجي والد ولدي ؛ انني أقسم لك بان مثل هذا الامر ماخطر بفكري قط ، ارحمني يافؤادي اشفق علي وسامح جاريتك اذ لا يمكنني ان أعيش دونك . ان غاية ما كنت أعناه لك من صميم فؤادي الصحة ولله الحمد قد رجعت لحبيبي فؤاد . والآن اقبل قدميك وابقى في ذلك واسمح لي فقط باللقاء ولو مرة واحدة وأموت بعدها (شويكار)

الجيوش الغربية المعنوية (*)

« في الفتوحات الشرقية »

الغرض من الفتوح والاستعمار تكثير المال وتنمية الثروة ، والثروة أو المال مبدأ الاعمال المدنية وغايتها ، وبه تتألف مقدمات العمران وتحصل نتيجتها ، ولما علم الغربيون ان الحروب تتلف الثروة وقد يستوي في خسائرها الغالب والمغلوب عمدوا الى الفتوح من طريق الكسب والتغلب على الامم بالقبض على أزمة معايشها ، وامتلاك نواصي مكاسبها ، ثم بتقطيع روابطها وابطال الجوامع التي تضمها وتجمعها ، الى أن يقضي التفرق على الامة بقضائه الذي رددناه مراراً ويمثل هذا التفرق يتسنى للعدد القليل الاستيلاء على شعب كبير وأمة عظيمة ، يصرّف الرجل الواحد من الغالبين الالاف والجموع ويسوقهم حيث شاء كما يسوق الراعي الابل والشاء ، وقد يتراءى

(*) فاتحة العدد السابع عشر الذي صدر في ٢٣ صفر سنة ١٣١٦

للغافل، ويُخيل للغر الجاهل، ان حقيقة هذا الامر كما يعطيه ظاهره : تصريف واحد لثُبات ، وسوق فرد لجماعات ، وذلك غير صحيح بل هو مخالف لطبيعة الوجود . ومن نفذت أشعة بصره من ظواهر الاشياء لبواطنها رأى ان ذلك الفرد في الحقيقة جم والواحد في نفس الامر أمة وان تلك الاثابي والجموع أفراد لا رابطة تربطهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى. ذلك بانهم قوم لا يفقهون معنى القومية والامية فاجتماعهم وتفرقهم سواء ، أما كون هذه الجموع ليست أمة فهو مما لاخفاء فيه كما ترى ، اذا أهين أحدهم بل اذا سحقت عظامه بايدي الغرباء يقولون هذا بعض ما يستحق من الجزاء ، وأما كون تلك الآحاد التي يدير كل واحد منها شؤون جماعة أمماً فمعناه ان أحدهم يدير الجماعة باسم أمته وبقوتها وان أمته كلها معضدة له في عمله وممدة له بقوتها ونفوذها بحيث تعز لعزته وتذل لذلته فلو هضم جانبه او غمط حقه تشعر الامة كلها بنفس الالم الذي شعر به وتهب كلها لازالته كما هو شأن الامم الغربية في هذه الايام : يهان أوربي في أقصى المعمور فتسمع الصياح والصراخ يدوي له فضاء أوربا والجرائد تنشيء الفصول الطوال تقول قد أهينت الدولة والامة فاجمعوا كيدكم وألزموا الدولة التي أهانه أهلها بالترضية إمَّا منًّا بولاية من تلك البلاد وأما فداء بمبلغ عظيم من المال

بقي علينا البحث في هذا الفتوح المعنوي وبيان القوى التي تسلطها الامم العاملة على الجاهلة فتقطع روابطها والجيوش التي تحشرها وتسوقها لهدم جوامعها مع سلامة أفرادها وبقاء آحادها وكيف تفتقر الامم وتدمر الممالك بهذه الجيوش المعنوية التي يقودها جماعة من أهل الوداعة والسكينة

ومجيء الامن والسلام وهو بحث طويل الذيل نأتي منه على اجمال ينبيء عن تفصيل فنقول

علم الاوربيون بما أفادهم البحث في طبائع الامم ان الترف مدعاة الدمار والفناء الاجتماعي اذا لم يقرن بتربية صحيحة تقي من أدوائه ، وتعصم من بلائه ، وعلموا بالاختبار ان الشرق فقدت منه التربية وانفصمت عرى الوحدة التي كانت لاممه ودوله ، ولم يبق لهم من روابط الاجتماع الا بقايا موروثة لا متعهد لها ولا حافظ فيكفي لتقطيعها جذبة لطيفة من جذبات الترف، فكرّوا على الشرق بجنود منه لا قبل لاهله بها وحملوه أوزاراً أثقل من الجبال فحملها وكان الشرق ظلوماً جهولاً

ساقوا عليه خمسة فيالق وهي الخمر والميسر والربا والبغاء والتجارة فنسفوا بذلك ثروته، وقتلوا غيرته ، واضعفوا همته ، وأفسدوا ما كان من بقايا أدب ودين ، فتكت هذه الفيالق بالجحافل في الامم الشرقية فتكا ذريعاً وبلغت نكايتها ومضرتها في هذه البلاد مالم تبلغه في غيرها ولو شئنا الشرح والتفصيل عن كل فياق من تلك الفيالق وما كان عنه من السلب والنهب والخراب والتدمير لاحتجنا الى تصنيف الاسفار والدواوين ولكننا نجمل في القول على ماشرطنا

(الخمر) أم الخبائث وداعية الفجور وموقظة الفتن وآفة الثروة ومولدة الامراض ومقصرة الآجال فمضرتها في الجسم والعقل وافسادها للدنيا والدين مما لايجهله أحد وانما يدمنها الفساق تغليبا للذة على المصلحة، وترجيحا للشهوة على المنفعة . ان مضرات السكر في هذا العصر تربي على مضرته في العصور السالفة التي لعن الانبياء فيها السكارى وسجلوا

عليهم الحرمان من ملكوت السماء، فان الاشربة الروحية التي اخترعها الافرنج في هذا العصر هي أشد اتلافا للجسم والعقل والمال

اجتمعت في أواخر سنة ١٢٩٠ بالدكتور فانديك الشهير في بيروت وتذاكرنا في تقدم سوريا وبيروت وتأخرها لاسيما من جهة الادب والتهذيب فقال أنا أعرف بيروت من نحو ثلاثين سنة وليس فيها الا بعض حانات قليلة (نسيت العدد الذي عينه ولا أراه يبلغ عدد الانامل) يباع فيها خمر البلاد وأما الآن فيوجد في بيروت عشرات من الحانات وليتها تبيع من خمر البلاد القليل ضرره المحدود خطره، وانما هي ملأى بهذه السموم الافرنجية التي يسمونها الاشربة الروحية، ... وقد اتفقنا في المذاكرة على ان هذه السموم مميتة للآداب والفضائل، وموت الآداب والفضائل، موت للشعوب والقبائل،

ان مصر تفوق بيروت في هذه الرذيلة بل تفوق جميع البلاد تجول في شوارع القاهرة وأسواقها فلا يغيب عن نظرك مرأى الحانات دقيقة واحدة حتى يخيل للعاقل ان هذه الحانات تزيد على حاجة السكان ولو كانوا كلهم من السكارى وانما تمثل لعيني ناظرها كأنها ثكنات عساكرها القوارير المصفوفة المرتبة ترتيب الجنود المنظمة وقوادها العبيد والنادلات من اليونان والتليان وسائر أصناف الافرنج. كلا ان القوارير أكثر للارواح انتهابا، وللاموال استلابا، فربما ينفق المصريون في يوم واحد على الخمور أكثر مما انفقته الحكومة في حرب السودان من بدايتها الى الآن فقد بلغنا ان من أمرائهم ومثريهم من ينفق في الليلة الواحدة العشرات والمئات من الجنيهات على معاقرة الراح ، ومنادمة الصباح ، ويوشك أن

يمتص من الزجاجة مصة ثم يلقيها جانبا ويطلب أخرى ، يرى القدم (البليد الاحمق) ان الشرف في معالجة المقدمات (الدنان والاباريق) ومجالسة الجالسات (الجالسة المرأة التي تتبرج وتترك الحياء والمجالسة المطاوبة بالفحش اوالتنازع في شراب أو قمار) لبئس ما سولت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم فانفقوا أموالهم على تخريب بيوتهم واتلاف أمتهم وتسليم بلادهم للاجانب ، لا اعني انهم سلموهم أزمة سياستها بل أريد رقبتها وجلتها

(الميسر) فشا القمار في البلاد الشرقية فشواً خرب دوراً وقوض صرحا وقصوراً ، وامسى اكثر مزاوليه قوما بوراً . ولقد كان لاهل هذه الديار منه اوفر السهام واقتلها . سرت عدواه من الرجال الى النساء كما سرت عدوى سائر الموبقات لاسيما في الامراء واهل الطبقات الدنيوية العالية ذلك ان الرجال يجاهرون فيما يجترحونه من السيئات وهم قدوة النساء وأسوتهم فيقلدنهم بجميع ما يفعلون فكيف حال الابناء والبنات الذين يتولدون من هذه الاصول الخبيثة ويتربون في احضانهم النجسة . الا ان حالة البلاد مظلمة ومستقبلها احلك ظلاماً واعظم خطراً ان لم تدارك بتربية دينية شريفة .

كان من شأن النساء ان تحفظ المال وتدبر شؤون العائلة على محور الاقتصاد وتدع الاعمال العامة مالية وغير مالية للرجال لكن نساء كبرائنا شببن عن الطوق وتشبثن باذيال من التمدن الاوربي مسحوبة على ارض قذرة تجر من تعلق بها عليها حتى يكون عبرة للناظرين ان في المدنية الاوربية من المحاسن والفضائل ماهو اجدر باقتباس سيدات بلادنا له لا سيما ماهو أليق بهن وامس بوظيفتهن كتربية الاولاد وتدبير

المنزل والاقتصاد فيما بالهن فضلن الخمر والميسر واخترن ما يشق على ما يسعد واستبدلن الذي هو ادنى بالذي هو خير؟أما كفاهن ما يقترفه رجالهن الاشرار، ويجترحه اولادهن الاغرار، من الاسراف والتبذير، الذي ينتهي بالعائلات بل وبالبلاد الى شر مصير

(البغاء) ومالدوالشاهر !! ارتيادالفاحشةالكبرى وتطلب النقيصة السوءى من جماعة من النساء يستعددن لذلك ويتجاهرن به . الزنا مولد الادواء المشوهة القاتلة ومقلل النسل ومضيع الانساب ومتلف الاموال ومفسد نظام العائلات وان المجاهرة به مدعاة لتعميمه وتعميمه فتنة في الارض وفساد كبير وبلاء على الامم وبيل . فشا في الامة الفرنسوية وهي مفيضة العلم على اوربا وقدوتها في التربية العملية التي بها قوام المدنية فصدمها صدمة وقفت بنموها وقللت رجالها فقد كان متوسط المواليد فيها اوائل هذا القرن ٣٢ في الالف فهبط في بعض بلادهم الى ١٤ وفي بعضها الى ٢٢ في الالف ولقد كان سكان اوربا يومئذ نحو مائة مليون ربعهم من الفرنسويين فزادت روسيا في مدة القرن خمسة اضعاف وبريطانيا اربعة اضعاف وروسيا ثلاثة اضعاف وفرنسا ضعفا واحداً واصبح اهل فرنسا عشر اهل اوربا . وسبب ذلك الاكبر فشو الزنا فيهم وساستهم الآن في حيرة من تلافيه

هذا وان لهذه المصيبة من الضرر المالي في مثل هذه البلاد مالا نظير له في فرنسا وذلك لان معظم المال الذي ينفق على الفحش هنا انما ينقصه الاجانب من ثروة البلاد لان معظم المسافحات وذوات الاخدان فيها من الافرنج لا سيما صواحب الامراء والوجهاء اللواتي يفاض عليهن المال

جزافا بلا عد ولا كيل وبهذا المعنى نعد البغايا والمومسات من الجند الفاتح للبلاد فانهن مازلن في عراص قوام الامة مهدن لابناء جنسهن فيها المقام وأورثنهم أرضهم وديارهم وأموالهم وشاهد ذلك بين يدينا وتحت مواقع أبصارنا، فعلى من ابتلي بذلك ان يقلع حفظا لدينه ودنياه وان كان استحوذ عليه الشيطان وملك عليه أمره فليستتر لا سيما عن أهله وبنيه لئلا يجني عليهم فيفسدهم كما فسد هو ويضيع الامل من مستقبل البلاد بهم وليحجبهم ويمنعهم من قرناء السوء أمثاله ولا يأمن عليهم الخدم فانهم في الغالب على دينه ومشربه الخبيث ولقد بلغنا ان هؤلاء الخدم يغشون مواخير المومسات ومعهم الاولاد الصغار الذين عهد اليهم بخدمتهم فيتربون على مشاهدة الفاحشة وبئست التربية « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا »

(الربا) هو الآفة المجتاحة للثمار المخربة للديار التي جعلت الاغنياء فقراء والاعزاء اذلاء، هو الذي مكن للاوربيين في أرض مصر (كغيرها من ممالك الشرق) فاستولى دائنوهم على صفاصفها (أرضها السهلة المستوية) واثباجها (ترعها) وساستهم على أتاوتها وخراجها ثم على سائر دواوين الادارات حتى أوشكت تكون بلادا أوربية حاكما ومحكوما. ضغط الربا على جثمان هذه البلاد رويدا رويدا حتى اشتبكت الاضلاع بالاضلاع واختلط اللحم بالعظم وما شعرت حكومتها بضغط ولا أحست أفرادها بألم حتى سحق الضغط كلا من الحاكم والمحكوم، ما أكل الربا اضعافا مضاعفة في بلاد كهذه البلاد وما أضر بقوم كما أضر بأهلها، ظلم حكامها رعيتهم فالجأوهم الى الاستدانة بالربا الفاحش ومن ظلم رعيته كان لنفسه أظلم « فأخذهم الله بذنوبهم وما

كان لهم من الله من واق « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد»

(التجارة) لقد علم الاوربيون ان حرب الدراهم والدنانير أنجح من حرب المدافع والبواريد، وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية أكثر بلاد الشرق فالانكليز ما استولوا على ممالك الهند بتكتيب الكتائب، وسوق الاساطيل بالفيالق والجحافل، وانما هي جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل أظلها السلطة ويؤيدها النفوذ اللذان يتبعان حيث تقيم ، وكذلك كان شأن شركة النيجر في احشاء افريقية . واليوم يمن الانكليز على الحكومة المصرية بثلاثمائة الف جنيه ونيف لافتتاح السودان، وتصرح وزارتهم بأن الانصاف يقضي عليهم بمساعدة مصر بالاتفاق على فتح السودان لانها شريكتها بفوائده التجارية ومعناه لان تستأثر بالتجارة وتختص دون اوربا بهذا الفتوح المعنوي الذي يتبعه التملك اسما ومعنى كما هو المعهود في الهند والنيجر وغيرهما ، ومعلوم ان الحكومة المصرية لاتجارة لها وبهذا يحتج عليها المحتلون في اجبارها على بيع سكك حديد السودان بعد الفتح . يقولون ان فائدتها العسكرية تنتهي بالفتح والحكومة المصرية لا تجارة لها ولا يليق بها التجارة فمن المصلحة أن تباع هذه السكك لشركة تجارية فترجح الانكليز على سائر الاجانب بما أنفقوا من أموالهم وما أرهقوا من رجالهم والحمد لله لا شركات وطنية لنا فنقول انها ترجح وتقدم حتى على الانكليز

ابتاع اخوان من الفلاحين عدة من الدجاج «الفراخ» لاجل تربيتها والانتفاع ببيضها وكان احدهما ذكيا والآخر بليدا مغفلاً فقال الذكي

للبليد تمال نقتسم واتفقا في القسمة على أن تكون الدجاجات للبليد وبيوضها لاخيه فكان هو يتعاهدها بالاكل والشرب والمبيت وينفق عليها ويخلي بين أخيه وبين بيوضها يبيعها ويأكل منها ماشاء وصار الاخوان مثلاً في بلدهما في تلك القسمة الضيزى. كذلك شأن الانكليز مع الحكومة المصرية في السودان وشأن سائر الاوربيين في فتوحاتهم المعنوية يتمتعون بامتلاك المنافع وثمرات البلاد ويدعون الاسم لاهلها ولكن الى أجل مسمى حتى اذا ماجاء الاجل يصرحون بالامتلاك الاسمي ايضاً. كل هذا والشرقيون وادعون ساكنون واذا تحركوا فانما تكون حركتهم ميلا مع ريح الاجانب انخداعا لها او رهبة منها لاندهاشهم بعظمتها التي ماجاءتها الا من الشركات المالية وهي أيسر شيء عليهم لاسيما قبل تمكن الاجانب من بلادهم. لو أن للشرقيين عقولا ذكية وتربية وطنية لما رضوا أن تكون بلادهم بينهم وبين الاجانب كالدجاجات بين ذينك الاخوين «فكيف والامر أعظم من ذلك» ولقاوموا جنود التجارة الفاتحة أشد المقاومة.

اندفع الغرب على الشرق بخميس من الازياء وكتائب من الحلي وجحافل من الماعون النفيس وفيالق من اللذائذ فلم تجد هذه الجنود المجندة من الشرق أقل مقاومة ولا أدنى مدافعة فطفقت تفتك في النفوس بعوامل الترف وفي الاموال بعوامل السرف وما زال القوم يعدون هذه العوامل من علائم الشرف حتى وقفت بهم على شفا جرف وأكبتهم على مناخرهم في مهاوي التلف

لا ننكر ان من هذه الجنود مالاقبل لنا بدفعه الآن كالضروري من الادوات والماعون والنسيج وكلامنا انما هو في الزخارف الكمالية

كالحلي وما عون الزينة ومادة الترف من الاشربة وغيرها فهذه هي التي تنسف ثروة البلاد وترميها بالفقر والعجز . فرب ملك أو أمير (برنس) ينفق على الترف والبذخ ما يكفي لانشاء مدارس أو معامل يحيي بها صقع من الاصقاع أو أقليم من الاقاليم (كمديرية أو متصرفية). يتنافس الأمراء وسائر أهل الثراء بتقليد الافرنج في كل طراز وانما يتنافسون في خراب بلادهم فان تطرز الافرنج وتورثهم وتماديهم في الترف كل ذلك يزيد في احياء صناعتهم ونموها وكمالها ولا تحول به امواج ثروتهم ومجاريها الى غير بلادهم بل تبقى دائرة فيها ومع ذلك يتحامون الاسراف في الترف ويسيرون فيه على أصول التدبير والاقتصاد فلا ينغمسون فيه كأمرائنا انغماساً ينتهي بالغرق ويتلافون مضراته الروحية والجسدية من ضعف الابدان وقصور الهمم عن الاعمال العظيمة بالتربية الصحيحة التي رأينا من آثارها ان ابناء الملوك والوزراء يزاولون الاعمال العسكرية والمدنية بأيديهم سواء كان ذلك في البر أو البحر بل رأينا ان الجنس اللطيف آب (تهيأ) لمساهمة الجنس النشيط في الاعمال الشاقة حتى طلب بعضهن الانتظام في سلك الجندية والقيام بالاعمال الحربية وهذا هو معنى قولنا في أوائل هذه المقالة ان الترف مدعاة الدمار والفناء الاجتماعي اذا لم يقرن بتربية صحيحة تقي من أدوائه وتعصم من بلائه . فعسى ان يتنبه الشرقيون لما ذكرنا فيحترزون من مضار الترف وتقليد الافرنج بما يعود عليهم وعلى بلادهم بالدمار ويجتهدون بتربية أولادهم تربية دينية وطنية لعلهم يستردون ما فقدوا ويسترجعون ما سلبوا وما ذلك على الله بعزيز

الشعر العصري

بينا في مقالاتنا السابقة في « الشعر والشعراء » ان الشعر ينبغي ان يكون في كل عصر مناسباً لحالته وانه ينبغي للمشتغلين بهذه الصناعة ان ينظموا في المواضيع الشريفة ويصوغوا المعاني الجديدة التي تعطيها الاختراعات الصناعية والاكتشافات العلمية . وذكرنا ان أول من نبهنا على فك الشعر من وثاقه فضيلة استاذنا العلامة الشيخ حسين أفندي الجسر صاحب الرسالة الحميدية ولقد كان تنبيه هذا الاستاذ لهذا الامر بالقول والفعل ومما نظمه من الشعر الذي نسميه بالعصري قصيدة يحث فيها على اعانة العساكر السلطانية اقتداء بمن انتدبوا لذلك من ولاية سلانيك سنة ١٣٠٤ ويمتدح بها الحضرة السلطانية أيدها الله تعالى وقد نشرت وقتئذ في جريدة الاعتدال التي كانت تصدر في الاستانة العلية وقد أحببنا ان نزين جريدتنا بها لما فيها من التنبيه ومدح مولانا أمير المؤمنين وهي

أحبتنا الترك الاكارم والعربا	أنادي الموافي الشرق منكم أو الغربا
أصيخوا لقولي ياصباحا فانني	أنا المنذر العريان ينذركم خطبا
بذلت لكم نصحي واني وحقكم	محب وأولى بالقبول امرؤ حبا
أهيم بسعدى والاماني سعودكم	أماني من سعدى أذوق بها العذبا
واذكر نجداً والفؤاد بذكره	لنجدتكم يطوي مدى عمره وثبا
وياطالما أسهرت جفني في الدجى	أراقب في أعلى مفارقه الشهبا
ومابي وجد غير اني مفكر	بكل الذي عن نهجكم يطرد الصعبا

اذا نظرت عيناي مجداً لغيركم تفيضان دماً يخجل الدم والسحبا
أئن وأبدي من زفيري لواعجاً أشيب بها لما أرى غيركم شبا
اذا شمت برقا في سماء سعادة أقول عساه عنكم يخرق الحجبا
ولي مقلة بصارة انما يدي بها قصر عما شغلت به القلبا
فجدوا لإدراك المعالي فانها لغاية آباء لكم مجدهم أربى
بعلم وجود شامخ وبسالة وملك عزيز باذخ حير اللبا
اما منكم تلك البحار التي غدت معارفها ما بيننا اللؤلؤ الرطبا
أناروا بانوار العوارف والهدى مناهج حق واستحثوا بها الركبا
فاوفوا على بحبوحة الدين تزدهي بشمس يقين نورها مزق السحبا
وأوموا الى الدنيا فذلت وأصبحت الى ربهم أفلاذ غبرائها تجبى
اما منكم تلك الاسود التي سعت الى الموت لا تولية ظهرا ولا جنبا
يعدون لقيا الحرب أوفر حظهم كأن لها ودهم يصحب القربى
وحازوا فخاراً دونه هامة السهى وملكاً عزيزاً شامخاً باذخاً رحبا
وابقوا لنا هذا التراث فهل نري من الحزم أن نلقيه بين الورى نهبا
خليق بترب خالطته دماؤهم دعانا له مسك التراثب لا تربا
اما منكم تلك الكرام الاولى رموا باموالهم عن مجد أوطانهم ذبا
سخوا بكنوز للمعالي عن الحمى وهم كنزوا في بذلها الشرف الصلبا
فقوم رأوا بذل النفوس سعادة فطاب لديهم شرب كأس الردى عبا
وقوم رأوا بذل العقائل منه عليهم ففاض الجود من راحهم سكبا
وكل شرى من ربه جنة الرضى وقد ربحت تلك التجارة في العقبى
اما منكم تلك الملوك التي غدت سياستها الملك تستغرق الكتبا

قد استخدموا للعلم كل يراعة … وسلوا لحفظ الملة الصارم العضبا

وساقوا لارغام العدا كل فيلق … يهدّ الرواسي الشامخات اذا دبا

وكم قلبوا من دولة مشمخرّة … وكم دوخوا في كل ناحية شعبا

وكم فتحوا من بلدة ذات منعة … صياصيها دكت بوطأتهم رعبا

وكم عمروا بالعدل داراً وصيروا … قفار البراري يزدهي وعرها خصبا

لنا اليوم منهم في الاخير شاهد … أطاع له المولى الاعاجم والعربا

خليفتنا (عبد الحميد) الذي له … سوابق خير لا نطيق لها حسبا

رأى ان هذا العلم نور وانه … لكل نجاح في الملا اصبح القطبا

فسهل في ادراكه كل منهج … واركبنا عند السرى نحوه نجبا

أتى الملك والاخطار محدقة به … فأنهض في اعبائه كاهلا صلبا

وافرج عنه كل غماء عندها … يطيل غراب البين في دارنا النعبا

وقام بأمر الدين يحمي ذماره … ويولي صدوع الملك من رأيه رأبا

وسار على متن العزيمة يقتفي … لتشييد سلطان له المنهج الرحبا

فباشر وصل المدن في دار ملكه … بطرق حديد تجمع الشرق والغربا

مناهج قد أصبحن أسّ تجارة … كما قد غدت في حرب اعدائنا قطبا

اذا ماخلت منهن مملكة غدت … تخاف الاعادي وهي لا تأمن الجدبا

اذا ما بساط الريح راقك ذكره … فهذا بساط النار تقضي به الاربا

وقد شاد في غمر البحار شواخا … تمر مرور السحب في سيرها خبا

دوارع قامت للخطوب روادعا … روائع أعداء متى سحبت سحبا

اذا انشق صدر البحر منها تشققت … قلوب العدا من هول منظرها رعبا

اذا قذفت نيرانها خلت أنها … براكين هاجت واللهيب بها شبا

وجهز للفرض الذي عز ديننا به كل جيش يعشق الطعن والضربا

ترى في ثنيات الثغور عساكرا تضيء ثغورا كلما تشهد الحربا

اسود شرى قد اشبلت فهي في الوغى تجيد بأرواح المدا السلب والنهبا

مخالبها تلك الحراب وزأرها صراخ واريد تصب البلاصبا

وتقذف اذ يحمى الوطيس على المدا صواعق كروب بها تفرج الكربا

أقامهم سلطاننا عز نصره لحفظ حمى الاوطان سربا يلي سربا

وهم بذلوا الارواح صونا لدارنا أليس علينا أن نهيم بهم حبا

ونبذل في راحاتهم كل ممكن لدينامن الاسعاف كي تأمن العتبا

أيجمل فينا المكث ما بين أهلنا نلذ بمأكول ونستعذب الشربا

وتلك الاسود الحاميات ديارنا نآة عن الاهلين قد فارقوا الصحبا

ونحن بأكنان على الفرش رقد وهم تخذوا بين الثلوج لهم سربا

وناهيك برد الروم لا در دره اذا اشتد يوما فتت الحجر الصلبا

ألا فاقتدوا ياقومنا بأكارم سعوا بالهدايا نحوهم تملأ الرحبا

فنالوا ثواب الله جل جلاله وشكر مليك لم يزل سيله سكبا

فما ضاع عند الله مثقال ذرة وللمرء عرف كم يضوع بنا حقبا

ادام آله العرش سلطاننا لنا غياثا ونصر الله دام له حزبا

المنار في سوريا

يشكو قراء المنار في الديار السورية من حجب الكثير من اعداده عنهم وعدم وصولها اليهم واخبرنا الوكلاء ان المشتركين توقفوا عن دفع بدلات الاشتراك بل وقفت الرغبة بالناس عن الاشتراك يتوهمون عند

احتجاب كل عدد ان المنار منع من دخول بلادهم بأمر من الدولة العلية.
وكيف يمنع من دخول بلادالدولة وهو الصادق في الخدمة لامير المؤمنين
ودولته والمخلص في نصيحة العثمانيين جميعا والساعي في تأليف القلوب
وجمع الكلمة والحاث على التعاون على الاعمال المفيدة لنجاح الاوطان
ولقد كان نمي الينا ان منع تلك الاعداد كان بأمر من جانب صاحب
العطوفة ملجأ ولاية بيروت المعظم فسألنا من بعض ثقات بيروت الوجهاء
عن حقيقة ذلك وسببه لنجتنبه اذا كان معقولا فكتب لنا ذلك الثقة ان
حضرة الوالي يقول ان مراقبة الجرائد مكلف بها غيره فالمنع انما يأتي من
قبل المراقب لا من قبل عطوفة الوالي وكتب لنا الثقة ان المراقب له
اعوان ويؤكد ان منع الجريدة انما يكون من قبل احد اولئك الاعوان ٠
بقي لنا لمحة نظر الى العلة الباعثة لاولئك الاعوان على منع مامنعوه والمرجح
الذي رجحوه به. امتازت جريدتنا على الجرائد العربية بدوام الحث على
التربية والتعليم والنهي عن المنكرات والترغيب في الفضائل فلا يكاد يخلو
عدد من اعدادها عن ذكر هذه الاشياء كلها او بعضها لان الجريدة
منشأة لهذا واما الشؤون السياسية فانما نلم بها في بعض الاحايين إلماما واكثر
ما نورده من ذلك نمزجه بمزيج الادب ونفرغه في اكواب التهذيب

كنا نظن ان سبب عدم وصول بعض أعداد الجريدة الى أصحابها
اهمال البوسطة العثمانية في بيروت ونعجب كيف ان جريدتنا تصل الى
كثير من بلاد الهند بل وجزيرة سومطرا في أقصى المعمور ولا تصل الى
مشتركي بيروت المجاورة لمصر حتى تبين لنا ان لاتبعه عليها في ذلك لكننا

نرجو من مدير عموم البوسطة ان يرد لنا الاعداد التي منعت وتمنع لانها ملكنا ولا يجوز اغتصابها منا وأخذها بغير حق ونحن ننتفع بها هنا ببيعها فاذا علم ان هـذه أعداد منعت في بيروت وأرجعت الى ادارة الجريدة تتوجه رغبات المصريين الاطلاع عليها ويتهافتون على ابتياعها بزيادة عن ثمن المثل وتلك عادتهم . ردوها علينا ليزداد المصريون علما بقيمة العلم والنصيحة في بيروت ويسبروا غور صدق الموظفين وأمانتهم ... وليقارنوا بين هذه المعاملة المبنية على ان الجريدة مضرة وبين قول شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية « ياليت كل الجرائد كالمنار » ووافقه على ذلك قولا كل من كان لديه من أكابر علماء الازهر في مجلس ادارته « حيث قال الكلمة » وقول العلامة الاستاذ الشيخ حسن الطويل أحد أكابر علماء الازهر « ان ما يكتب في المنار هو خير ما يكتب في الجرائد » وامثال ذلك مما يلهج به فضلاء المصريين وعقلاؤهم

وانا نختم هـذه الكلمات بقولنا الذي نعلنه على رؤس الاشهاد أننا نخدم بهـذه الجريدة أمتنا وسلطاننا بقدر فهمنا واجتهادنا فمن كان يزعم من مراقب أو حاكم أوغيرهما ان في الجريدة مايضر بمصالح الامـة أو الامام فلينبهنا عليه ونحن ننشره له في الجريدة ان شاء ونعمل بموجبه ان ظهر لنا انه الصواب وإلا فاننا نراجعه القول حتى تتضح الحقيقة فنتبعها ان شاء الله تعالى والله على مانقول وكيـل ، ومن منع الجريدة أو سعى بمنعها من غير تنبيهنا على مايراه مضراً فيها لنجتنبه فهو مستبد خائن لامته وسلطانه وعليه اثمه « ان الله لا يهدي كيد الخائنين »

الحرب

أثبتنا في النبذ التي كتبناها عن الحرب في العدد ١٢ و ١٥ ان أسطول الاميرال سرفيرا الاسباني قد حصر في ميناء سنتياغو فاذا حاول الخروج أسره اسطول الاميرال سمبسون الاميركاني او دمره تدميراً ، وان الاسبانيين قد أضر بهم السغب واللغوب (الجوع والتعب) بحيث لا يستطيعون التمادي في المطاولة ولا بد أن يلجأوا قريباً الاستسلام أو الاستبسال والاستماتة وان حالة جزائر فيلبين في خطر مبين وان اسطول الاميرال كارا الذي جاء بور سعيد قاصداً اغاثة تلك الجزائر لا يرجى أن يستفيد من سعيه وكده وانه اذا كان لديه من الفحم ما يبلغه مقصده يخشى عليه من فتك الاسطول الاميركاني به . قلنا هذا ورأينا جريدة التيمس وافقتنا على ما قلنا كما وافقنا بعض كتبة الجرائد في الولايات المتحدة ثم جاءت الحوادث مؤيدة له فلقد حاول الاسطول الاسباني الفرار فهاجمه الاسطول الاميركاني ودمره تدميراً وأسر الاميرال سرفيرا مع بعض جنوده وهلك الباقون غرقاً وحرقاً والاخبار مفصلة في الاخبار البرقية اما اسطول كارا فقد ألجأته الحكومة المصرية الى مبارحة بور سعيد من غير ان يحمل منها فحماً لان الدولة العلية صاحبة البلاد قد أعلنت الحياد في هذه الحرب واقامته في ثغورها أو أخذه الفحم منها يعد مساعدة منها لاسبانيا على الولايات المتحدة

ولقد بلغ من تشديد الحكومة المصرية على الاسطول ان النار

شبت في مستودع الفحم في احدى البوارج وهي في السويس فطلبت الاعانة على اخمادها فلم تصادف معيناً لكنها سمحت لبارجة الاميرال التى تعطل بعض آلاتها البخارية في القنال ان تمكث ريثما يصلح الخلل فيها

مر الاسطول في القنال وهو مؤلف من ١٢ سفينه وقد دفع عنه رسم المرور لشركة القنال في باريس ٣٤٤١٠٦ فرنكات وجاوز السويس ماعدا بارجة الاميرال فانها بقيت في ميناء البلد بحجة اصلاح الخلل الذي أصابها وقد ظن بعض الناس ان دعوى الخلل حيلة للمكث حتى تردعليها الاوامر من اسبانيا وربما كان صاحب هذا الظن غيداراً (الغيدار الذي يظن سوءا فيصيب) ولم يكد يبعد الاسطول مسافة عشرة أميال في البحر الاحمر حتى تأثره الاميرال كامارابارجته المتخلفة وأمره بأن يرجع أدراجه (أي من حيث أتى) فمر في القنال راجعاً الى بور سعيد وقد سافر بعضه الى قرطاجنة وسيتبعه الباقي والسبب في ذلك الخوف عليه من الاميركان ان يدمروه كما دمروا أخويه من قبل في منلا وسنتياغو وقيل ان هنالك سبباً آخر وهو ان حكومة الولايات المتحدة سيرت اسطولاً الى نفس اسبانيا فارجاع الاسطول انما هو لاجل حماية جزائر كناري (الجزائر الخالدات) وسواحل البلاد من اسطول الاعداء المنتظر ويوشك أن يكون السبب ارادة الصلح وتوقعه

لقد كان لتدمير أسطول سرفيرا أسوأ وقع في اسبانيا وجلت لنبأه القلوب وذرفت العيون ورثى من في قلبه أثر للرأفة والرحمة لملك هذه البلاد الصغير ورق لوصيته ووالدته الاسيفة وكتمت الحكومة الامر عن أهل البلاد فرقاً من حدوث اضطراب وهياج من مفاجأة الخبر ومن

العجيب انها كتمته حتى عن أسطول كمارا فلقد انكر هذا الاميرال الخبر عندما أعلم به في السويس

كل هذا الخذلان والخسران لم يخمد حمية الاسبانيين ومازال فيهم من يقول باستمرار الحرب مادام في كوبا عسكري واحد منهم . وجاء في أخبار بريد أوربا ان أسقف سيغوفيا أصدر منشوراً حض فيه على الحرب المقدسة . لكن البلاد لم تعدم العادثين المتبصرين الذين يودون الصلح ويشعرون بخطر الاستمرار على الحرب سواء كانت مقدسة أو منجسة ، وقد أصدرت جمعية الحزب الاشتراكي منشوراً قالت فيه ان الاستمرار على الحرب بعد ان فقدت اسبانيا عدد الدفاع ضرب من الجنون وان جميع العمال يطلبون الصلح • بل أحس ماعدا الحرب العسكري بما أحس به الحزب الاشتراكي والعمال وأمسوا يودون الصلح ويتوقعونه وان أظهر ناظر الحربية وناظر البحرية الاصرار على الاستمرار لان المستبسل لا ينظر الى ماوراءه . يصر هذان الناظران الاعميان على مايضر بدولتهما ضررا يكاد يكون موتاً أما كفاهما تحطيم الاسطولين وفناء العسكرين (البري والبحري) فقد ورد في رسالة برقية من سنتياغو لمدريد انه لم يبق من الاسبانيين سوى ألفي مقاتل . فكيف يلقون نيفاً وعشرين ألفاً من الاميركيين والكوبيين كاملي العدد ! ويزعم السنيور سغستا وزير اسبانيا الاول أن في جزيرة كوبا الآن نحو مائة ألف جندي خلا المتطوعين وتعجز الولايات المتحدة عن الظفر بهم اذا غادرت سنتياغو وأوغلت في الجزيرة بعد ظفرها بأسطول سرفيرا . ولقد قال الوزير هذا القول قبل تدمير الاسطول ولعل فكره قد تغير بسبب الانكسار وجنح للسلم ؟ وان كان فيها ترك كوبا بالكلية

واعطاء الامتيازات للفيليين فان ماتد أجهز الاميركيون على اسبانيا وقضوا عليها قضاء لاتنجو منه الا أبد الآبدين

مشروع سكة حديد (*)

(بين بور سعيد والبصرة)

اقترح هذا المشروع محرر جريدة وكيل الهندية الغراء في جريدته وكتب الى جريدة المؤيد المصرية الغراء يدعوها الى الحث عليه فلبت دعوته وكان ذلك اثناء صدور جريدتنا فأكبرنا شأن المشروع ونقلناه في العدد الاول عن جريدة المؤيد ملخصاً مع ان النقل في العدد الاوّل من جريدة عن غيرها يرمق بنظر الانتقاد ، اعترفنا بعظيم فائدة المشروع لذاته ولانه من الاعمال التي لاتقوم الا بالشركات المالية وقلنا عند ذلك ان الحث على الشركات المالية لاي عمل هو من أفضل المقاصد التي انشئت جريدتنا لاجلها ، طلب مقترح المشروع ان تكون اللجنة التي تؤلف لفتح الاكتتاب لهذا العمل تحت رئاسة مولانا السلطان الاعظم ففوضنا النظر في المشروع لحكمة مولانا ورجاله الصادقين الذين من شأنهم اظهار فوائد هذه الاعمال ومنافعها قبل تصديق الحضرة السلطانية عليها ، وحيث كانت لهجة جريدة وكيل وجريدة المؤيد الغراوين تصرح بان هذا المشروع أعظم مشروع ينعش الحياة ويجدّد السعادة للامة والملة ، بينا رأينا في سعادة الامة فقلنا «ورأينا ان سبب التقدم الذي يجمع كل الاسباب وترجع اليه جميع الوسائل هو تعميم

(*) فاتحة العدد الثامن عشر الذي صدر في ٣٠ صفر سنة ١٣١٦

التربية والتعليم » وبينا في ذلك العدد وفي سائر الاعدادان مرادنا بالتربية والتعليم مايشمل التنبيه على الاعمال النافعة والحث عليها مثل هذا المشروع العظيم

وقد أعاد الفاضل المندي الكرة على المشروع فكتب فيه رسالة مطولة لحضرة الاستاذ الفاضل صاحب جريدة المؤيد أشرنا اليها في العدد الماضي ووعدنا بنشر ملخصها والكلام على انتقاده علينا وعلى المشروع نفسه ووفاء بذلك نقول .

بدأ الفاضل رسالته بالشكر والثناء على صاحب المؤيد لاعتنائه بهذا المشروع واظهار التأسف لان الرأي العام الاسلامي لم تدب فيه روح النشاط لانجاز مثل هذا العمل ثم قال

وغير خاف على من لهم دراية بمثل هذه الاعمال ان مشروع الحديد بين بور سعيد والبصرة يحتاج الى نحو من ثلاثين مليوناً من ... فاذا كان العالم الاسلامي باجمعه لا يقدر على الحصول على مثل هذا المقدار أولا يثق بنفسه في جمعه فعلى العالم وعلى الدنيا السلام

واني لاشكر ايضاً رصفائي الذين ساعدوني بافكارهم الصائبة في هذا المشروع الجليل ولكن لاأوافق حضرتي الفاضلين صاحبي جريدتي المنار ومعلومات فيما كتبا لان الاول بعد ان استحسن المشروع وعدد منافعه أبدى ملاحظتين ، الاولى ان مولانا الخليفة الاعظم ورجاله هم أدرى بمنافع بلادهم من غيرهم وهذه حقيقة لامراء فيها . ذكرها الشاعر المشهور حافظ الشيرازي من سنين مضت

في بيت شعر له (وقد ذكره بنصه فأغفلناه)

وليس هذا المشروع من المسائل السياسية بل هو مشروع تجارة ليستفيد منه المسلمون في جميع الاقطار فضلاً عن انه لايليق بنا أن نقعد كسالى وننتظر عمل كل صالح لنا من رجل واحد أو من فئة مخصوصة لان هذا فوق طاقة البشر ومن الواجب على كل وطني غيور مخلص الولاء لامته وبلاده ان يعرض مالديه من المشروعات على الجمهور وخصوصا ذوي السطوة والنفوذ مؤملا منهم تحقيقها

والملاحظة الثانية التي أبداها صاحب جريدة المنار الغراء هي ان أول مايجب علينا القيام به تربية الشعب وبعد التربية يكون انجاز مثل هذه المشروعات الجسمية . ولهذا يرى ان من الواجب على ذوي اليسار أن يتعاونوا على فتح المدارس أولاً ثم يتعاونون بعد ذلك على المشروعات الكبرى

وحقا لقد صدق الاستاذ في أن التربية أساس نجاح الشعوب غير ان هذا لايصح ان يكون عقبة في طريق كل عمل يرى فيه النفع العام خصوصا وان الثروة المحلية من أقوى عوامل التربية كما ان التربية من أقوى عوامل تنميتها

على انه اذا كان الناس يتقاعدون عن المشروعات التجارية التي تعود عليهم بالفوائد المادية الجلي فكيف يجودون بالمال في سبيل التعليم الذي هو من المشروعات الخيرية وفوائده أدبية الى زمن مديد

وزيادة على ذلك فان اهمال مشروع جليل كهذا الى أن تتربى الامة التربية التي يريدها حضرته قد يضيع عليها فوائد جلى ربما تعذر عليها بعد ذلك ادراكها بل ربما تكون الامم الاجنبية قد أسقطتنا بسبب فقرنا في مهواة الدمار وأمكنها بذلك أن تطردنا من بيوتنا

والتاريخ أعظم شاهد ونواميس الطبيعة دالة على ان العمل أعظم تأثيراً في حياة الشعوب من نظريات التعليم البطيء فضلا عن انه لدينا الآن في كل شعب اسلامي طبقة عالية متعلمة كافية لان تجري أعمالنا على قواعد علمية راسخة ويمكنهم أن يكونوا قادة الهمم وأئمة الافكار فليس من عار علينا ان ندعوهم في مقدمة من ندعوهم

واذا كان الواجب على الحكومات ان تقوم بكل المشروعات الكبيرة كما تقوم بتربية الشعوب فما بالنا نحمل واجب الحكومات على كواهلنا . ثم ان كثيراً من الحكومات لا يقوم بواجباته تمام القيام . أفلا يجب على الامة في مثل هذا ان تعمل ما أهملت عمله الحكومة وخصوصا في مشروع كهذا هو في اعتقاد ذوي النظر السديد أنفع من بضعة مدارس علمية يتخرج منها من لا يعرف في الغالب سوى الكتب والنظريات

ان هذا المشروع مدرسة عملية في حد ذاته وهو يجب لنامئين والوفا من الشبان في الهندسة العملية ، والاشغال التجارية ، والمالية ، والصناعية ، وتكون هذه المدرسة التجارية الجديدة أساسا لثروتنا ومهداً لمستقبل اتحادنا وسعادتنا

ولست اراني بعد هذا في حاجة للرد على جريدة المنار الغراء فيما تقدم وفي ذكاء حضرات القراء كفاية لاستنتاج الحقائق من هذه العبارة القليلة

اما ما جاء في جريدة (معلومات) فانه ادهشني للغاية اذ كيف يخط قلم حضرة صاحب هذه الجريدة السيد محمد بك طاهر ما جاء فيها من الملاحظات حيث كتب في جريدته ان الدول الاجنبية ربما عارضت

الباب العالي في قيامه بهذا المشروع .وان جلالة مولانا السلطان الاعظم ربما ابى ان يقبل مثل هذا المشروع تحت حمايته فان كان الامر كذلك فانا لله وانا اليه راجعون

ولكن كيف يتاح لي او لغيري ان يصدق هذا الكلام وهو لو قيل من سلطان غير مولانا السلطان الحالي لاضطررنا لتصديقه اذا صدر عن مثل محرر جريدة معلومات الغراء • وانما يستحيل علينا ان نصدق مثل هذا القول عن سلطاننا الحالي الذي اشتهر بحب جمع كلمة المسلمين وتوثيق عرى الروابط بين شعوب العالم الاسلامي وبديهي ان هذا المشروع التجاري من اجل وسائل تحقيق آماله فيما يريده • ومولانا السلطان الحالي الذي هو واسطة عقد الاسلام وروح حياة جامعته قد ملأ النفوس املاً في المستقبل • فانا لا اصدق ما قالته عنه جريدة معلومات ابداً ابداً

ونحن من الجهة الاخرى نرى الملوك فضلاً عن قبولهم المشروعات العظيمة تحت رعايتهم يشتركون قلباً وقالباً في اقل المشروعات التي تنجم عنها فائدة ما لبلادهم

اذن فكيف نصدق بان جلالة مولانا السلطان عبد الحميد الذي يصرف جميع اوقاته ويشتغل بكل قواه في صالح رعيته يتأخر عن قبول مشروع جسيم كثير الفوائد لبلاده ورعيته مثل هذا المشروع الذي نحن بصدده

وبصفته امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين يرى جلالته ان من اوجب الواجبات عليه العمل فيما ينفع رعيته وليس من نافع اجل واعظم من هذا المشروع الجليل وهو المشروع الوحيد الذي يساعده

على مبدئه الحميدي من جمع كلمة المسلمين ولم شتات ثروتهم

ومن المحقق ان جلالته لو اهتم بهذا المشروع كان نجاحه مكفولا بل لو اخذه جلالته تحت حمايته لاستطعنا جمع اضعاف اضعاف نفقته . ثم ان الكثيرين منا اصبحوا فقراء ولكنا والحمد لله لا تزال فينا بقية تؤهلنا لجمع ثلاثين او اربعين مليونا

ثم ان اغنياءنا قسمان اما غني مبذر يصرف امواله في الامور التافهة . واما بخيل يخاف على دراهمه من هبوب النسيم فيدفنها في اعماق الارض الى اجل غير مسمى وفي كلتا الحالتين وبال علينا ولكن ثقة العالم الاسلامي في جلالة مولانا امير المؤمنين تدعو الفريقين الى تلبيته فيما يريد وبمثل ذلك نتمكن من حفظ مال المبذر والانتفاع بمال البخيل فيما يعود عليهما وعلى الامة بالخير الجزيل

وكتب لي صديق من الاستانة يقول ان المسلمين ليسوا باغنياء كثيراً ليقدموا على هذا المشروع ويؤكد لي اني اذا وعدته باشتراك الهنود بالمال الكثير فانه مستعد لعرض الامر على جلالة الخليفة الاعظم فجاوبته كما ذكرت آنفا بقولي انه اذا سمحت مكارم مولانا بأخذ هذا المشروع تحت رعايته فليكن آمنا مطمئنا باشتراك كثير من اغنيائنا بالاموال الطائلة

أما خوف جريدة معلومات من تداخل الدول الاجنبية فذلك مالا أفهم له معنى وكيف يمنعنا أي انسان على سطح الارض من العمل لمستقبل بلادنا ونجاحنا فيه . ومع اني من رعايا الحكومة الانكليزية والعلائق بين الدولتين كما لا يخفى ليست بذلك فلست بخائف أبداً بل أنا على وثوق

تام من اشتراك ومساعدة جميع الرؤساء المسلمين لنا ولجميع المشروعات التي تعود بفائدة على العالم الاسلامي

حقاً اني أعتقد ان زمناً مملوءاً بالمعارضات والمشاكل والقلاقل والاضطرابات يجعل الانسان هيابا للامور ويولد الاهمال والفتور في النفوس وما يقال في جانب الافراد يقال في جانب الامم والدول ولكن ألم يحن ياترى الوقت لنفض غبار هذا الخوف والفتور عن كواهلنا

لاشك ان الدولة العلية كانت عرضة لعدة مشاكل داخلية وخارجية ولكن ذلك أمر لاتكاد تخلو منه حكومة فلننظر الى ما يعملون ، انما وقوفنا في موقف المدافع طول هذا الزمن هو الذي سبب لنا فتور الهمم وضعف العزائم وساعد أعداءنا على مما كستنا

واني لاستغرب صدور هذا المقال من رجل اشتهر بحب الخليفة وخدمة الاسلام من المبدأ الى الختام ، واذا كنا أصبحنا بهذه الدرجة من الخوف من جيراننا حتى ضاقت الدنيا في وجوهنا فاذا أقدمنا على عمل تجاري كهذا يعد لنا العمل جريمة لاتغتفر تتخذها الدول حجة للتداخل في جميع شؤوننا ليقضوا على حياتنا فلنودع هذا العالم « بامتعتنا ورحالنا » متمثلين بقول ألد اعداء الاسلام الذي قضى (يشير الى خطبة ألقاها المستر غلادستون في مجلس الشيوخ أيام الحوادث الارمينية قال فيها « من الواجب علينا أن نطرد الاتراك من أوروبا بامتعتهم ورحالهم ») ولنغرق نفوسنا في البحار أولى لنا من البقاء واحتمال هذا العار وكيف تسنى لصديقي ورصيفي الفاضل أن يقول ما قال وهو تحت أشعة شمس

الاسلام الساطعة وفي مركز دائرة المجد والرفعة ؟ ألم يقدر صديقي مولانا السلطان حق قدره

وكيف يصدق انسان ان الرجل الذي يقاوم دول أوروبا جماعة حينما كان أعداؤه كلما تخيلوا قرب سقوط عرش آل عثمان يكادون يطيرون طربا وسرورا وبينما كانت سحائب الاكدار منتشرة في جو الاقطار الاسلامية ثم يخرج بعد ذلك جلالته ظافرا منصورا من هذه المعمعة ولا يقبل هذا المشروع تحت رعايته خوفا من اعتراض الدول الاجنبية ليس الا

ومع ان بيني وبين جلالته أقطارًا شاسعة ، وبحارًا واسعة ، قد عرفت مقدار درجته وسمو مقامه وقدره في عالم السياسية فكتبت رسالة في أيام تلك الشدائد باللغة الانكليزية والهندية قلت فيها ان مولانا السلطان سوف يخرج من هذه المشاكل بعون الله وقوته متوّجاً بتيجان المنتصر الظافر على أعدائه ولله الحمد قد صدقت فراستي وجاءت الامور كما كانت آمالي بل آمال العالم الاسلامي بأجمعه ولكن قبل الختام ابشرك أيها السيد ان رجلاً سورياً أرسل الي خطاباً يقول فيه انه تألفت جمعية من الاعيان هناك لتساعد على ابراز هذا المشروع غير اني لا أعرف ان كان هذا الرجل يود الاستعانة بمال أجنبي أم لا ولا أخالك الا تعرف شيئا عن طلب عاصم بك الذي عرض على الحكومة ان تصرّح له بمد سكة حديدية بين سمسون والبصرة بفروع أخرى اما مرسل هذا الجواب فلا أعرفه شخصياً فان كان يود جعل الشركة أوربية فالله يحفظنا منها فقد كفانا تداخلا في بلادنا وما الغرض من هذا المشروع الا مساعدة الشرقيين وجمع شتات العالم الاسلامي فضلا عن الفوائد المالية واصلاح البلاد حيث

لو تم هذا المشروع لاصبحت ربوع عراق العرب وعمان جنة الدنيا زيادة عن تسهيل طرق الحج والمواصلات الاسلامية وهذا مما يساعد على حث المسلمين للاشتراك في هذا المشروع

وفي الختام آمل من صميم فؤادي إنك تهتم بهذا الموضوع كما اهتممت به اوّلاً وأنبه فكرك الى الخطأ المطبعي الذي جاء في جوابي الاول وهو انه بدلا عن ١٢٠٠٠٠٠ جنيه كتب ١٢٠٠٠٠ فقط ونقلته جميع الجرائد الأخرى لان معدل ربح المائة الآن هو اربعة فيكون ربح ٣٢٠ مليونا مبلغ مليون ومائتي الف لا مائة وعشرون الفاً واهديك وافر التحيات الخ الخ .... اه

وقد نشر المؤيد مقالة في العدد الصادر يوم الثلاثاء الماضي بين فيها فوائد المشروع وحث عليه اجابة لدعوة المقترح وشايعه في الانتقاد علينا وعلى جريدة معلومات بل اربى عليه

(المنار) ان انتقاد « وكيل » و« المؤيد » الغراوين على المنار منشؤه الغفلة عن كلامنا في موضوع المشروع نفسه وفي سائر المواضيع التهذيبية التنشيطية . تخيلتا من المنار خصيما مخالفا وانشأتا تردّان عليه ولا خصم ولا مخالفة . قالتا ان المنار لاحظ ملاحظتين الاولى ان الأولى لنا أن ننفض يدنا من العمل ونترك امثال هذه المشروعات لمولانا السلطان ولرجال الحكومة . والثانية أن نقدم التربية والتعليم النظري على كل عمل سواهما حتى اذا تربينا وتعلمنا نحاول مباشرة الاعمال النافعة . ولو صح اننا قلنا هذا القول لحق لكل فرد من العقلاء أن يرد علينا ويرمينا بالافن وضعف الرأي لكننا قد قلنا خلاف هذا وخطأنا من يذهب اليه غير مرة

عجيب من مثل صاحبي تينك الجريدتين الفاضلين كيف ذهلا عن كلامنا واثبتا لنا ضده أو نقضيه ثم طفقا يرد ان على ما أثبتاه لناوهو منتف عناه المنار أول جريدة شرقية أو عربية انشئت لاجل الحث على الشركات المالية للقيام بالاعمال النافعة واقناع الشرقيين بان سعادة الامم وقوتها باعمال افرادها وهمم آحادها لا سيما اذا عملوا مجتمعين وتعاونوا على البر والتقوى وان وظيفة الحكام انما هي حفظ النظام العام بين الامة لا اغناء الامة واسعادها نعم أن التربية والتعليم بالمعنى الذي نريدهما ركنا السعادة ودعامتا وجودها وبقائها ولذلك نكثر من اللهج بهما مالا نكثر من الكلام على سائر المقاصد التي انشئت الجريدة لها وهي مبينة في فاتحتها . ولا نعني بالتعليم درس اللغة وبعض الفنون النظرية التي يتدارسها المسلمون فقط ولا بالتربية تربية الاطفال بالتنبيه على الحسن لتجتلبه وعلى القبيح لتجتنبه (كما توهم في المسألتين) بل الامر أعم من ذلك وانا نورد الآن بعض جمل من مقالاتنا السابقة يظهر بها ان انتقاد ذينك الفاضلين علينا ناشيء عن الذهول عن كلامنا ويفهم منها ان مرادنا من العلم والتعليم مايشمل الفنون العملية والاقتصادية :

قلنا في فاتحة العدد الاول بعد ذكر ان العلوم الطبيعية كانت في العصور السابقة آراء وانظارا محضة « واما في هذا العصر فليس العلم الا ما اثبته العمل او بني عليه عمل ، فما لم يحتف به العمل من قطريه ، لا يعوّل عليه ، فعليك بالعلم والعمل رُضْ بهما نفسك وربّ عليها ولدك » ثم قلنا في بيان منهاج الجريدة ومقاصدها « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين — والتنشيط على مجاراة الامم المتمدنة في طروق ابواب الكسب والاقتصاد — وتنبيه العثمانيين على ان الشركات المالية هي مصدر العمران ،

وينبوع العرفان، وان عليها مدار تقدم اوربا في الفنون والصنائع لا على الملوك والامراء فهي التي تنشىء المكاتب والمدارس، وتشيد المعامل والمصانع، وتسير المراكب والبواخر (يشمل البرية والبحرية) ونموذج ذلك بين ايديهم، وتحت مواقع ابصارهم »

وقلنا في العدد الثاني « اني رأيت أكثر الامم الشرقية لا يرون لانفسهم وجوداً الا بالحكام ويرون ان صلاح الامة وفسادها وغيها ورشادها وصحتها ومرضها وغناها وفقرها كل ذلك بيد الحاكم حتى كأن الحاكم بيده ملكوت كل شي وهو يجير ولا يجار عليه وكأن هذا الوهم متسلسل فيهم بالارث من عهد من قال « أنا احيي وأميت » وعهد من قال « أنا ربكم الاعلى » وفي ذلك العدد أيضاً « أما والله لو أن أجسادنا هذه تدبرها أرواح كارواح آبائنا الاولين لكنا نحن السابقين الى كل ما يسمو ا كتشافاً واختراعاً وعملاً نافعا » وفيه أيضا بعد لوم اغنيائنا على تقليد الافرنج في الترف وانه مضر « وان التقليد النافع انما يكون في خدمة المعارف والسير في طرقها وفي الاعمال النافعة التي هم لها عاملون » وقلنا في العدد ١٣ « كل من يرى نفسه في قصور عن اسعاد وطنه واعلاء منار أمته فهو كافر بنعمة العقل محروم من الكمالات الانسانية التي ارتفع بها البشر عن مرتبة الحمر والبقر، تفكروا في معني الامة والوطنية واقدروا الشعب حق قدره يتضح لكم ان الامة تتكون بالاجتماع على الانتفاع وبالاتحاد على نيل المراد ــ ختام التعلق باذيال الحكومة، والتشبث باهداب الآمال الموهومة، والانحاء على الدولة بالتقصير ــ الى متى هذا التفرق والتبدد، والتوحد والتفرد، مد يدك لمواطنك (خطاب للشرقي) ومشاركك في مواد حياتك وتعاهدوا وتعاقدوا جميعا على

مافيه منفعة الجميع . اخلط مالك بماله تخلط نفسك بنفسه واعملوا مجتمعين فقد كفاكم ماجناه عليكم التفرق والانفراد. بادروا الزمان قبل فوات الامكان فيوشك ان لا يدع لكم الدخيل بابا من أبواب الثروة الا أقفله، ولا سببا من أسباب النجاح الا قطعه، فماذا ينفعكم التنبه اذا أغلقت دونكم الابواب ، وتقطعت بكم الاسباب، — أين الشركات التي عقدناها، والمدارس الوطنية التي شيدناها، أما منحنا (مولانا السلطان) امتيازات لانشاء سكك حديدية فحملت الجهالة من نعدهم من أمثلنا وأنفسنا، على ايثار الاجانب على انفسنا، وبيع الامتيازات للاجنبي بابخس ثمن، مع ان بيعها بمعنى بيع الوطن، فالوطن الوطن أيها المصريون، الوطن الوطن أيها العثمانيون، جانبوا البطالة والكسل، وأجيبوا داعي العلم والعمل، ولا تكونوا كدابغة وقد حلم الاديم» وقلنا في العدد (١٥) «سعادة الامم باعمالها وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها فعلى المصريين ان يعملوا على اصلاح الخلل بتأليف الشركات المالية وعقد الجمعيات الوطنية، اللذان لا أمة ولا وطن بدونهما»

وذكرنا في العدد (١٦) ان الاعمال التي نجحت بها أوربا وبلغت هذا السؤدد والقوة «لا يهتدي اليها الا بكمال التعليم والتربية على العمل» . ولا أراني بعد هذه النصوص في حاجة الى الرد على حضرة الكاتبين الفاضلين ولا اخالهما ينازعان بعد في ان القول بان التربية والتعليم وسيلة للسعادة ترجع اليها جميع الوسائل وسبب يجمع كل الاسباب لا يقتضي القول بترك الاعمال المادية والمكاسب بل يقتضي الاخذ بها ولا في ان تفويض الامر في المشروع المبحوث عنه الى مولانا السلطان الاعظم ورجاله الصادقين

يستلزم ترك الامة للاعمال التجارية ونحوها وتكليف الحكومة بها لان هذا المشروع لايمكن الا بعد صدور الارادة السلطانية به وقبول مولانا أيده الله تعالى رئاسة اللجنة العاملة ، هذا وجه التسليم والتفويض . وقولنا وقتئذ «فان لهم من المعرفة بمنافع الامة ووسائل تقدمها ماليس لنا» وان كان صحيحا فهو لايراد به اننا نجهل فائدة المشروع أونرتاب فيها كيف وقد عنينا بنقله وعرضه على انظارهم وصرّحنا بان فائدته عظيمة

وانني ألتمس عذراً لحضرة الكاتبين الفاضلين اما محرر وكيل فلانه ربما لم يكن عارفاً بالعربية ولم يكن المترجم بارعاً فتوهم من كلامنا مالا يرمي اليه. وأما الاستاذ صاحب المؤيد فقد تابع صاحب وكيل على ماكتب ذهولا عما قرأه في المنار مما يخالفه وقد قلت ان لهما الحق في الانتقاد على تقدير صحة ماقالاه ونحن على وفاق في ان التربية والتعليم مناط السعادة وانه لابد من الاعمال المادية مع محاولة التربية والتعليم بل على ان التعليم الذي نريده لايتم الا بالاعمال وان الاعمال (كما قلنا في فاتحة المنار) تنمي العلوم والعلوم تمدّ الاعمال. لكن صاحب المؤيد الاغر اغرق (بالغ) في تعظيم شأن الكسب المادي حيث قال « وصاحب جريدة المنار الغراء ككل انسان عاقل يربي فضائله بالعمل ولكنه لو خلا له يوم من كسب مادي لخمدت جذوة عقله وسقطت جثمانيته في مهواة الضعف والكسل وتعطلت فضائله » فهذا الاستدراك غير مسلم والمبالغة فيه ترتقي الى درجة الغلوّ لاسيما بالنسبة للفضائل ولا حاجة لتقوية المنع بسند يؤيده فالامر جلي بين والمشاهدة تؤيده في كل زمان ومكان

(تنبيه) لا يهمن واهم ان نهينا عن الاعتماد على الحكومة في ترقي الامة فيه غمص لحقوقها أو انه مبني على عدم استعدادها أو انتفاء عدالتها كلا بل ان القول بحصر وسائل الترقي ومقاصده بالحكام هو الذي يرجع عليهم بالتنقيص لاقتضائه اضافة كل خلل وجهل وفقر اليهم ولا ينكر عاقل ان قوام الامم والدول بقيام كل من الحاكم والمحكوم بما عليه من الواجبات وأداء ما عليه من الحقوق فالشركات المالية التي نحث عليها دائما لاحياء المعارف والتجارة والصناعة هي مما تطالب به الامة وما على الحكومة الا مساعدتها وتعضيدها وهذا عين ما نبديه ونعيده ولا نخال عاقلا ينكره

(رسالة لصاحب الاكتشاف في الهيئة الارضية)

تزييف ماذكر في بعض كتب الهيئة واشتهر عند الكثير من ذويها من صحة كون اليوم الواحد جمعة عند شخص وخميسا عند آخر وسبتا عند ثالث ثم ارجاع ماذكر دليلا على ما ادعيناه في رسالتنا الاكتشافية الذي نشرتموه في العدد التاسع من جريدتكم الحكيمة تحت عنوان اكتشاف

سمعت ان بعض رجال هذا الفن يزعم صحة المسألة المذكورة وانها عين ما ادعيت به رسالتي ثم بعد ان نشرتم مانشرتم من تلك الرسالة على وجه لا يبقى معه لأحد عذر في السكوت تبين لي ان من يزعم ذلك من اولئك كثيرون حيث لم يحرر أحد عما نشرتموه شيئا لا بيانا ولا رداً وليس لذلك من سبب في الغالب سوى ماذكرنا (مع ان بين هذه المسألة وبين ما ادعيه فروقا كبيرة نذكرها في آخر المقالة) لكن ذلك انما يصلح سببا في حق المتوسطين بهذا الفن اما المبرزون فيه فلا لبداهة بطلان هذه

المسألة عندهم. واما امساكهم عن الكلام فلا اقدر على تعيين سببه وعسى أن يتكلموا في هذه الكرّة . لذلك أحببت ان أزف لاسماع قراء (منار) الهداية الكلام على بطلان تلك المسألة وبيان منشأ الخطاء فيها . وكلامي على ذلك وان كان مقصوداً به تنبيه امثاله من الضعفاء بهذا الفن وبمقدار ما تناله أيدي أفكارهم لكنه مع ذلك يهم رؤساء هذا الفن الاطلاع عليه حيث انتزعت من ذلك دليلا على دعواي التي سبق نشرها والتي هي من الاهمية بمكان لانها ستكون الدليل والمرشد الوحيد على تلك النقطة التي يجب ان يتفق العموم على اعتبارها مبدأ الطول لذلك أرجو من أساتذة هذا الفن ان ينظروا كلامي الآتي بعين الناقد البصير لاحتمال ان اكون مخطئا او واهما ثم يذكروا ملاحظاتهم عليه من تصويب أو تخطئة فانه أحسن ما أهدانيه المرء خطئي وعيوبي

وقبل الشروع في الكلام على ماذكرنا نذكر الاصل الذي تفرعت عليه تلك المسألة افادة لمن لا يعلم ذلك وتوصلا لبيان منشأ الخطأ فيها وهو : لو تفرق شخصان من موضع معين بقصد الدوران حول الارض فسار أحدهما نحو الشرق والآخر نحو الغرب وأقام آخر ثالث حتى عاد اليه المغرب (السائر نحو الغرب) من الشرق والمشرق (السائر نحو الشرق) من الغرب وفرض عودهما اليه في وقت واحد كما كان تفرقهما عنه كذلك لكانت الايام التي عدها المغرب في مدة الدورة انقص من أيام المقيم بواحد وأيام المشرق أزيد بواحد فلو كانت مدة الدورة عند المقيم (٨٠) يوما لكانت في حساب المغرب (٧٩) وفي حساب المشرق (٨١) وهذه المسألة صحيحة وهي من لوازم كروية الارض لان من

يسير نحو الغرب يصير يومه اكثر من ٢٤ ساعة بقدر مايقطع في يومه ذلك من درجات الطول (فتنقص أيام دورته واحداً عن المقيم حيث يصير معيار يومه أكبر ومن يسير نحو الشرق يصير يومه أقل من ٢٤ بقدر مايطع فيه من الطول ايضا فتزيد أيامه واحداً عن المقيم حيث مقياس يومه أصغر (اما لو نظرنا لمقدار تلك الدورة من الساعات فنجدها متساوية في نظر الثلاثة حيث تكون (١٩٢٠) ساعة في حسابهم جميعا)

ثم فرعوا على ما ذكر صحة كون اليوم الواحد جمعة عند شخص (هو المقيم) وخميساً عند اخر (هو المغرب) وسبتا عند ثالث (هو المشرق) وحقاً ان هذا الاختلاف يكون على ماذكروا من الصحة لولا ان هنالك مسألة أخرى من مقتضيات كروية الارض يعارض مالها من الاثر السائرين في حسابهما بحيث لو لم يراعياها لظهر خلل في حسابهما · وقد فات من فرع هذه المسألة على السابقة ان يراعي في تفريعه تلك المسألة ايضا فلذلك ترى عند تطبيق هذه المسألة خللا في حساب السائرين من وجوه وها نحن نطبقها على محل معين لينجلي لك ماقلنا فنقول : خرج زيد وبكر من دار السعادة حرسها الله تعالى في وقت واحد بقصد الدوران حول الارض فسار زيد نحو الشرق (لجهة الاناضول) وسار بكر نحو الغرب (لجهة الروم ايلي) وصار يحسب كل منهما الايام في جميع سيره على ترتيبها المعروف غير مراع لتلك المسألة التي يجب على السائر مراعاتها حتى رجعا لدار السعادة في وقت واحد (فكان رجوع زيد من جهة الروم ايلي وبكر من جهة الاناضول) وعلى هذا فغير خاف انه لو كان اليوم عند أهالي الاستانة الجمعة لكان في حساب زيد السبت . لكن نرى في حساب

هذين حينئذ خللا مريجوه (أولا) انه لم تقع تلك المخالفة بينهما وبين أهالي دار السعادة فقط بل وقع مثل ذلك بينهما وبين البلاد التي مرا عليها في آخر دورتهما ولولا ذلك لم يقع بينهما وبين أهالي دار السعادة اختلاف كما هو ظاهر فكان بين زيد وبين أهالي الروم ايلي بل وجميع بلاد اوربا اثناء مروره عليهم في آخر دورته من الاختلاف شبه ماوقع بينه وبين أهالي دار السعادة حين وصوله اليها كذلك كان بين بكر وبين أهالي الاناطول بل وعموم سكان آسيا اوان مروره عليهم في آخر دورته من الاختلاف شبيه ماوقع بينه وبين أهالي الاستانة ولا يمكننا القول بوجود خطأ في حساب أولئك السكان لما يأتي (ثانيا) ان كلا منهما يرى صحة حساب من خالفهم الآخر فزيد يرى صحة حساب أهالي آسيا الذين خالفهم بكر وبكر يرى صحة حساب أهالي أوربا الذين خالفهم زيد (ثالثا) انهما لو أرادا ان ينشئا دورة ثانية قبل تصحيح حسابهما ونحا كل منهما الوجهة التي نحاها أولا فعند رجوعهما للاستانة اذا كان اليوم عند قاطنيها الجمعة يكون في حساب بكر الاربعاء وفي حساب زيد الاحد وفي ثالث دورة كذلك لو كان في دار السعادة الجمعة لكان في حساب بكر الثلاثاء وفي حساب زيد الاثنين وهلم جرا . بل عمل كل منهما بعد اتمام الدورة يدل على وجود خلل في حسابه السابق حيث يكون مجبوراً في نفسه على تصحيح حسابه ليطابق حساب المقيمين

فان قيل نسلم ان الاختلاف المذكور بين السائرين والمقيم ينتج ماذكرت من الخلل لكن هل من طريقة لو درج عليها السائران لسلما من مخالفة المقيم عند ايابهما اليه بعد تسليم ماذكرت سابقاً من ان أيام المشرق

تزيد عن أيام المقيم واحداً وأيام المغرب تنقص عنه واحداً؟ قلت نعم وذلك بتبديل التاريخ اثناء السير بمعنى انه بينما يكون اليوم في حساب السائر الاربعاء مثلا وإذ به بعد لحظات عند وصوله لنقطة معينة يقول صار اليوم في حسابي الآن الخميس وليس ذلك لكونه انقضى اليوم الاول بل ربما لم يمض منه سوى ساعة أو أقل (انما ذلك لمراعاة تلك المسألة التي تقدم انه يجب على السائر مراعاتها وسيأتي بيانها) وهذا اذا كان السائر مغرباً في سيره . أما اذا كان مشرقا فيلزمه ان يبدل التاريخ باسم اليوم الذي مضى في حسابه أي بينما يكون اليوم في حساب الاربعاء وإذ به عند وصوله لنقطة معينة يقول صار الآن في حسابي الثلاثاء فيبدل المغرب اسم يومه ذلك وتاريخه من الشهر باسم وتاريخ اليوم الآتي والمشرق باسم وتاريخ اليوم الماضي . وبهذا يزول جميع أنواع الخلل التي تقدم ذكرها ولا يبقى بين السائر وبين أحد اختلاف أصلاً مع ما في ذلك من بقاء زيادة أيام المشرق عن المقيم في العدد ونقصان أيام المغرب عنه (وتبديل التاريخ هذا أمر مشهور عند علماء هذا الفن معمول به عند السواح في هذه الاعصار) ، ولو تأملت في حالة السائر لوجدته منساقاً لتبديل التاريخ على جميع الحالات لانه اذا لم يبدل التاريخ اثناء السير كما قلنا فهو مجبور لذلك بعد اتمام الدورة وهو المعبر عنه سابقا بتصحيح الحساب فهلا كان ذلك منه اثناء السير في محله المناسب ،

فان قيل نعم لو جرى السائر على ما ذكرت لسلم مما لحقه في الحساب السابق من الخلل لكني أرى ذلك أعرق بالفساد من تلك المسألة التي حاولت تزييفها . وذلك ان السائر كان لاشك موافقا في حساب الايام للسكان الذين مر عليهم قبل تبديله التاريخ لكن لما وصل للنقطة التي بدل

عندها سواء كان في محل معمور أو بعيدا عن العمران فلا يخلو حاله بعد ذلك من أحد أمرين (١) اما انه يكون مخالفا في الحساب لمن سيمر عليهم بعد ذلك (٢) او يكون موافقا فان كان الاول تكون هذه أعلق بالبطلان كما هو ظاهر وان كان الثاني فيلزمك على ذلك القول بوقوع اختلاف في حساب الايام بين أمتين متجاورتين بأن يكون اليوم الواحد في حساب أحداها خميسا وفي حساب الاخرى الاربعاء مثلا وبعبارة أخرى يلزمك القول بوجود نقطة على وجه الارض يختلف في جهتيها حساب الايام فيكون اليوم الواحد عند الاقوام الذين في الجهة الغربية من تلك النقطة الخميس مثلاً وهو عند الذين في الشرقية منها الاربعاء . وهذه المسألة لم يروها لنا أحد بل تحكم بداهة العقل ببطلانها .

أقول اني قائل بالحالة الثانية (وهو ان السائر يكون موافقاً لمن سيمر عليهم بعد تبديل التاريخ كما كان موافقا لمن مر عليهم قبل ذلك) واجزم بتحقق لازم هذه الحالة من وجود نقطة على وجه الارض يختلف في جهتيها اليوم على ما ذكرت . وان طالبتني بالدليل على ذلك فأقول هو ما يجري عليه السواح في هذه الاعصار من تبديل التاريخ اثناء سيرهم وهو أمر مشهور عند رؤساء هذا الفن فعليك السؤال منهم وما ذكرته في الاستدلال على بطلانه لا يصنع شيئا كما لا يخفى . على انا نرخي معك العنان ان كنت في ريب مما ذكرنا ونقول . ان السائر اذا لم يبدل التاريخ اثناء سيره لاشك انه يصبح في آخر دورته مخالفاً في حساب الايام للثالث المقيم بل وللجميع من مر عليهم في آخر دورته كما تقدم وما لذلك من سبب سوى ما ذكرنا من الاختلاف الذي كان يقضي عليه بتبديل التاريخ عند

انتقاله من احدى جهتي نقطة الاختلاف للجهة الاخرى لكن لما لم يراع ذلك حين انتقاله للجهة الثانية من نقطة الاختلاف ظهر بينه وبين من فيها من السكان اختلاف في حساب الايام ثم بقي هذا الاختلاف ممتداً بينه وبين كل من مرّ عليهم من السكان بعد ذلك حتى وصل للمحل الذي ابتدأ السير منه وهناك ظهر بينه وبين المقيم الاختلاف المتقدم ومن يدع ان سبب الاختلاف بين المقيم والسائر الذي لم يبدل التاريخ غير ماذكرنا فعليه البيان

فاذاً مسألة السائر كيفما مشيّها تكون دليلا قطعيا على ماذكرنا من وجود نقطة يختلف في جهتيها حساب الايام وهذه هي المسألة التي قلنا فيها تقدم انه يجب على السائر مراعاتها واذا لم يراعها يختل حسابه ومراعاتها انما تكون بتبديل التاريخ الذي تقدم شرحه

فان قيل انما يتم استدلالك بذلك على ماذكرت اذا كانت جميع السواح متفقين على تبديل التاريخ في نقطة واحدة أما اذا كانوا يبدلون في نقطة مختلفة فلا اذ ربما يدل ذلك على ان هذا التبديل أمر اعتباري لا أثر له فهل عندك علم من هذا ؟ أقول ان السواح غير متفقين على التبديل عند نقطة واحدة لكنهم متفقون على ايقاعه في الاقيانوس الباسفيكي لان منهم من يصنع ذلك عند منتهى الطول على اصلاح قومه ومعلوم ان منتهى الطول في جميع اصطلاحات أوربا واقع في ذاك الاقيانوس ومنهم من يلتزم ذلك عند بلد معين فقد وقفت على ان بعض رباني (قبطاني) السفن يلتزم ذلك عند بلوغه مدينة (مانيلا) من جزائر فيلبين فاتفاقهم على ايقاع التبديل في

الاقيانوس الباسفيكي يدل على ان سكان غربي أميركا يخالفون شرقي آسيا في حساب الايام على ماتقدم ذكره واختلافهم في النقطة التي يحصل عندها التبديل من ذلك الاقيانوس لا يدل على ان ذلك أمر اعتباري لا أثر له لان الاقيانوس غير معمور بالسكان فيمكن تبديل التاريخ في أي نقطة منه وان كان يجب ان يكون ذلك في نقطة واحدة منه عند الجميع (وسيكون ذلك).

فعرفت مما تقدم انه ليس مرادنا بتزييف تلك المسألة نفي وقوع اختلاف مابين المقيم والسائرين اللذين لم يبدلا التاريخ اثناء السير كما هو المفروض في تلك المسألة بل نفي وصف الصحة عن ذلك الاختلاف وان بين الاختلاف الذي ذكرناه في مسألتنا وبين الاختلاف الذي ذكروه في تلك المسألة فروقاً كبيرة ولا بأس بذكرها وان تكن تفهم مما تقدم زيادة في الاستبصار وهي: (١) ان ماذكروه من الاختلاف انما يكون بين السائر حول الارض وبين المقيم وماذكرته أنا واقع بين أقوام مقيمين متجاورين. (٢) ماذكروه من الاختلاف متردد بين ثلاثة أيام وماذكرته انما يكون بين يومين ويستحيل ان يكون بين ثلاثة (٣) ماذكروه ينتج خللا من وجوه كما عرفت وماذكرته صحيح بتوفيقه تعالى لا يترتب عليه أدنى خلل.

ولنكتف في البيان عن الاختلاف الذي ذكرته بهذا المقدار وان كان ذلك لا يفيد تصوره عند من لم يكن له به علم من قبل الا بوجه الاجمال لاني لو بسطت الكلام وفصلته عن ذلك جهد المستطيع لا يمكن فهمه تماما لمن لم يكن سبق له به علم (كما بلوت ذلك) الا بشيئين احدهما ان يكون للقارىء اطلاع على فن الهيئة او شيء من الجغرافيا الرياضية اذا كان حسن

التصور . ثانيهما تطبيق ماذكرته من الاختلاف على اشكال هندسية .
وحيث ان الاختلاف الذي ذكرته هو مسألة جليلة يترتب عليها فوائد مهمة منها ما سبق انها ستكون المرشد الوحيد الى تلك النقطة التي يجب أن تتخذ مبدأ للطول عند العموم دعاني ذلك لوضع رسالة خصوصية في هذه المسألة بسطت فيها الكلام بسطا لا أظن وراءه غاية الا اذا كان من شرح عليها او حاشية ، صورت ذلك الاختلاف فيها باشكال لاأخال بعدها بيانا اذا كرا في تلك الرسالة بعض ابحاث كالتتمة لبيان هذه المسألة مثل علة وجود هذا الاختلاف والناحية المرجح وجود ذلك الاختلاف فيها مع تطبيق كيفية وقوع الاختلاف بها ولم كان ذلك بها ولم يكن بغيرها وغير ذلك .

محمد رحيم

(المنار) تطلب الرسالة المؤلفة في هذه المسألة من ادارة جريدة المنار وترسل لمن يطلبها من علماء الفن مجانا

حال الجرائد المصرية والغميزة بالشيخ محمد عبده

في مصر والاسكندرية جرائد كثيرة لانعرف عددها منها بضع جرائد معتبرة تجري لمستقر لها معقول ، وتستقي كل واحدة منها من مشرب مورود أو معلول ، والبواقي يمشين بما يأكلن من العوارض فان لم يتح لهن منها شيء وهن مما لا ينال العبيط أنشأن ينهشن الاعراض الطيبة ، ويملأن مواضغهن بلحوم الميتة ، الا ان يفتدي صاحب العرض عرضه بشيء من المال يعرضن أولا ببعض الوجهاء فان جاء التعريض بالغرض فذلك والا صرحن بالقول وان كان قذعا وهجرا . من هذا النوع جريدة في

القاهرة تسمى النهج القويم عرضت بغميزة حضرة الاستاذ الكامل والعلامة الفاضل الشيخ محمد افندي عبده الشهير فلم يبل فصرحت بغميزة في مقالة نشرتها عن حال الازهر الشريف قلبت فيها الحقيقة ماشاءت. فاقامت النيابة العمومية الدعوى على صاحب الجريدة الشيخ محمد الشربتلي ولدى الاستنطاق زعم ان الاستاذ الشيخ سليمان العبد أحد شيوخ الازهر المشهورين هو الذي جاءه بالخبر الذي نشره عن الازهر وأغراه بنشره ووعده بترويج الجريدة بازاء ذلك فاستحضر الاستاذ الشيخ سليمان العبد للمحكمة وسئل من قبل النيابة عن علاقته بالاستاذ الشيخ محمد عبده وعن صحة مايدعيه صاحب جريدة النهج فاجاب بعد اليمين بان علاقته بالاستاذ علاقة صداقة ووداد وصفاء ووفاء وان صاحب النهج كاذب في دعواه وأيدت قوله شهادة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله وآخرين ضد شهادة صهر صاحب تلك الجريدة وعمال مطبعتها وبعد هذا طفق محرر النهج يستعطف الاستاذ الشيخ محمد عبده ويطعن بالاستاذ الشيخ سليمان العبد زعما انه أغراه ثم فنده وأنكر مدعاه . بسبب هذا كثر الارجاف بان الصداقة بين الشيخين منفصمة العرى فلاحظ هذا الشيخ سليمان فكتب رقيما الى أشهر الجرائد المصرية يقول فيه

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيد رسله سيدنا محمد . اني أعلن في جريدتكم الغراء فوق ما قلته امام النيابة العمومية كذب من ادعى انني حرضت على تنقيص أخي وصديقي الاستاذ الشيخ محمد عبده واني أعتقد فيه حسن الخلال وصفات الكمال وليس بيني وبينه الا كمال الصفاء

والوفاق أدامهما الله بين رجال العلم وأمناء الامة في ظل تعطفات مولانا الخديو المعظم وتحت عناية مولانا صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر امين

كتبه بقلمه

سليمان العبد بالازهر

ويقال انه كان بين الشيخين بعض فتور وانهما قد تصالحا على يد فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع وستبرئ النيابة الاستاذ الشيخ سليمان وتقيم الدعوى على صاحب النهج وعسى أن يتربى في هذه الكرة ويتيب

العلم والحرب (*)

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى   ولكنها الاهواء عمت فأعمت

يلهج الناس في الشرق بأن العلم قد ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، وان الجهل قد عمّ بلاؤه، وحلكت ظلماؤه، فأصبح الناس في ظلمات لا يبصرون فيها، وحيرة لا يهتدون معها، يلهجون بهذا ولا يحركون لسانا في البحث عن انارة الظلمة، وكشف الغمة، لاعتقادهم بان سنة الله تعالى فى الخلق أن يكون دائما فى تدلٍّ وهبوط وان هذا العصر هو الدور الاخير من عمر الدنيا فلا جرم ان أهله يكونون في الدرك الاسفل من الجهل والغباوة والتواكل والتقاوة (ترك المذاكرة والمدارسة) وكذلك لهجهم , اعتقادهم في الدين يعترف كافتهم بانه قد تركت أحكامه، واشتبهت أعلامه، بل تصرح خطباء المسلمين على منابر مساجدهم بانه «لم

---

*) فاتحة العدد التاسع عشر الذي صدر في ٧ ربيع سنة ١٣١٦

يبق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه» وانه « عظم البلاء واشتد على الناس الامر،وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر » وما أشبه هاتا .

ان اعتقاد الناس بأن هذا من علامات الساعة ومن خصائص آخر الزمان قد سهل على غويهم ارتكاب الفواحش واجتراح السيئات وأمسك لسان رشيدهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالعلماء (أكثرهم) يغشون مجالس الظلمة والفساق ويعظمونهم ويمدحونهم ، ويعزونهم ، ويهزؤنهم ويغرونهم ويغرونهم،واذا استفتوهم في بعض المحظورات يفتونهم، فما بالك ببقية الناس ، وسائر الاصناف والاجناس ، لكن الحالة السيئة التي انتهوا اليها من علم وعمل وعادات وتقاليد يحافظون عليها أشد المحافظة وينكرون على من أخل بها أشد الانكار ، اخترع الحذاء المعروف بالكندرة أو الجزمه فقامت قيامة العلماء على محتذيها وألفوا الرسائل في اثبات انها بدعة محرمة في الدين ولا يزال فيهم من يتأثم من احتذائها ويذم فاعله ويقدح في دينه (والذم والقدح من المحرمات اجماعا) ولو نظر هؤلاء الغلاة الى أشخاصهم لرأوها محاطة بامثال هذه البدعة من قفازهم وعماراتهم (مايلبس على الرأس) الى أحذيتهم ونعالهم ولو التفتوا الى نفوسهم وأعمالهم لرأوها منغمسة في البدع الحقيقية ، أشار بعض العلماء الواقفين على سير العلوم العارفين بفن التعليم (البدجوجيا) الى ترك قراءة الحواشي لطلبة العلم فاضطرب لهذه الاشارة كثير من علماء الازهر واستكبروا الامر واستنكروه لانه مخالف لما اعتادوه وألفوه وهم يشاهدون البدع والمنكرات الحقيقية في أفضل عباداتهم في نفس أزهرهم ولا ينبس أحد منهم ببنت شفة في الانكار

على فاعليها ، على ان الحواشي التي يتمسك بها جمهورهم الآن بحجة انها من آثار سلفهم ليست مما يعرفه سلف الامة الصالح وانما هي من بدع الخلف السيئة بدليل انحطاط العلم وضعفه بعد شيوعها كما يعرفه من له أدنى المام بالتاريخ ، أنكرنا في جريدتنا على البدع والاضاليل التي تحصل في الجامع الاحمدي أيام الاحتفال المسمى بالمولد في مصر فاهتزت لانكارنا بلاد الشام وأكبر الناسُ ذلك الانكار وما ذلك الا لأن تلك المنكرات صارت عادات راسخة. ثم ان قومنا أصبحوا ينكرون المعروف ، اذا لم يكن من المألوف، وينتصرون للمنكر، اذا اعتيد وتكرر، فكما أنكر علينا بعضهم الكلام في منكرات الموالد من قبل قام اليوم آخرون ينكرون علينا قاعدتين صحيحتين وردتا في عرض كلامنا (احداهما) ان سنة الله تعالى في الخلق ان يكونوا دائما في ترق ونمو حتى يبلغ كل كماله وان الامم التي تتدلى وتضوى فانما ذلك لمرض ألمّ بها فاضواها، وضغط أعليها فدلاها «والثانية» أن العلم والتعليم أفضل من الحرب والجهاد واننا ندع الكلام في الاولى لعدد تال ونتكلم على الثانية فنقول

مهما أطلقنا العلم في مباحث التربية والتعليم فنريد به مايهدي الناس الى سعادتهم الدنيوية والاخروية فيدخل فيه علم العقائد وتهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال والفنون الحربية والسياسية والاقتصادية وهو بهذا الطلاق لا يرتاب في تفضيله على كل شيء الاعمي القلوب كمه البصائر وكيف وان الجهاد الذي يغلطون بتفضيله على التعليم لا يمكن أن يحصل بدون التعليم بل أصل الدين والايمان علم مدون يؤخذ بالتعلم واذا كان العلم أفضل كل شيء فتعليمه افادة للافضل كما قال الامام الغزالي والاشتغال

بافادة الافضل أفضل من الاشتغال بالفاضل والمفضول فالعلم والتعليم أفضل الاعمال على الاطلاق ومرتبة العلماء العاملين تلي مرتبة النبوة كما ورد في الاخبار الكثيرة

هذا أمر مجمع عليه اجماعا مؤيدا بالكتاب والسنة والقياس والشواهد العقلية ثم وقع الخلاف في المفاضلة بين العالم والشهيد والجماهير على تفضيل الاول لعموم الادلة ولحديث « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء » وأثر ابن مسعود « والذي نفسي بيده ليودنّ رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان أحداً لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم » ومثل هذا الاثر له حكم المرفوع وأمثال هذا كثير وصرح بمضمونه جماعة من أئمة العلم كالغزالي وغيره

من نظر بعين البصيرة ، الى مقاصد الشريعة ، علم ان الدين انما ينتشر بالدعوة والتبليغ لا بالاكراه والالزام « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ورأى ان الحرب شر عظيم وان الوحي لم يأذن بالجهاد الا للضرورة جريا على قاعدة ارتكاب أخف الضررين فالفضيلة فيه عرضية ، لا ذاتية ، والضرورة بالنسبة للمدافعة عن الحق الذي يعتقد المجاهد فيه سعادته وسعادة البشر كلهم ظاهرة وأما بالنسبة للمهاجمة وابتداء القتال فالضرورة تعذر نشر الحق وتهذيب الناس بالارشاد والتعليم قولا وعملا بدونه لان ابتداء القتال مشروط بعدم قبول المخالف الدخول في الذمة المعبر عنه باعطاء الجزية التي هي شرطه فاذا قبل الدخول في الذمة يحرم قتاله لانه يطلع حينئذ على أحكام الدين وأخلاق أهله وأعمالهم وأحكامهم فان راقت له واقتنع بحقيتها اتبعها عن رضى واذعان والا كان

هو المقصر ولا تبعة علينا ببقائه على باطله وعلينا أن نعامله بالعدل ونساويه بالحقوق « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وأول مانزل في الجهاد من الآيات مصرح بوصف المجاهدين بقوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وبانه لولا اذن الله الناس بالمدافعة عن الحق لهدمت صوامع العباد وبيع النصارى وصلوات اليهود (معابدهم) ومساجد المسلمين . وقد أوردنا هذه الآيات بنصها في العدد الثاني والخامس وأشرنا لما فيها من الحكمة

لما كان المتقدمون علينا تفضيل التعليم على كل ماعداه جامدين على تقليد الاوائل أحببنا أن نذكر هنا نبذة في ذلك عن الامام الغزالي فنقول

بين هذا الامام فضيلة العلم والتعليم والتعلم بالآيات والاخبار والآثار ثم كتب فصلا بين فيه ذلك بالشواهد العقلية ابتدأه بذكر معنى الفضيلة في نفسها وقسم الشيء النفيس المرغوب فيه الى ثلاثة أقسام ما يطلب لغيره كالنقود وما يطلب لذاته كسعادة الآخرة وما يطلب لغيره ولذاته معاً كسلامة البدن ثم قال مانصه

وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به وأعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة

في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذاً أفضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته ، وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها

هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور كان تعلمه طلباً للافضل وكان تعليمه افادة للافضل .وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقراً ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال الآدميين،وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام . أحدها أصول لاقوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم،والحياكة وهي للملبس، والبناء وهو للمسكن،والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها (الثاني) ماهي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها (الثالث)ماهي متممة للاصول ومزينة لها كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الارضي مثل أجزاء الشخص بالاضافة

الى جملته فانها ثلاثة أضرب أيضا اما أصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين. وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع

والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب (الاولى) وهي العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم (الثانية) الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم (الثالثة) العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع (الرابعة) الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط . وأشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم . وانما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور — إما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع، وإما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ، وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل أحدهما

الذهب ومحل الآخر جلد الميتة . وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أجلّ خلافة الله تعالى فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فأي رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى اه

﴿ مشروع سكة حديد ﴾

« بين بور سعيد والبصرة »

كنا اقتصرنا عند الكلام على هذا المشروع لاول مرة على الاعتراف بعظيم فائدته وتفويض الامر فيه لحكمة مولانا السلطان الاعظم ووزرائه الصادقين وذلك لامرين أحدهما ماذكرناه في العدد الماضي من كون المقترح هو أن تكون لجنة العمل تحت رئاسة مولانا أيده الله تعالى لانها لا يمكن أن تنجح بدون ذلك وثانيهما ان للمشروع وجهة سياسية نبينها هنا

لا كما زعم محرر جريدة « وكيل » الغراء من انه عمل تجاري صراح لا شائبة للسياسة فيه ووافقه على ذلك المؤيد الاغر وطفقا يعذلان المنار ومعلومات على تفويض الاولى الامر للمرجع الاعلى وقول الثانية بمداخلة الاجانب أو معارضتهم واننا نذكر الآن فوائد هذا المشروع العظيم وغوائله وبماذا نتقي الغوائل وكيف ينبغي أن يكون طلبه سالكين طريق الاختصار والايجاز فنقول

{ فوائد المشروع }

(١) التمكن من انشاء نواشط (ج ناشط وهو الطريق ينشط « يخرج » من الطريق الاعظم يمنة ويسرة) ومد فروع من الطريق الاكبر الى الحجاز والشام والاناضول ثم الى اليمن وبذلك تتصل بلاد الدولة العلية بعضها ببعض وتكون جسما واحداً

(٢) اقدام المسلمين على الاعمال الكبيرة وتمرنهم عليها وهي لاشك منشأ الثروة والقوة والعزة بل الحياة القومية

(٣) كون هذا العمل ينبوع ثروة للمسلمين القائمين به لا ينقطع ولا يغيض

(٤) انتفاع الالوف الكثيرة من الصناع والعمال وتعيشهم به زمناً مديداً ولاشك ان أكثرهم يكونون من العثمانيين وسائر الشرقيين

(٥) كون هذا المشروع { كما قالوا } مدرسة عملية يخرج لنا مئين والوفا من الشبان في الهندسة العملية والاشغال الصناعية والمالية { وهذه الفائدة مغايرة للثانية بالضرورة }

(٦) عمران بلاد السلطنة الداخلية لاسيما بلاد العراق والجزيرة فاذا وطئت المسالك للمهاجرة الى تلك البلاد وسهل النقل منها واليها فلا

تسل عن مستقبلها وكيف لا وتربة دجلة والفرات تربي على إبليز النيل.
قال هيرودتس المؤرخ ان حاصلات الحبوب في تلك البلاد تزيد عن البزر مائتي ضعف الى ثلاثمائة ضعف وان ساق القمح والشعير يبلغ عرضه غالباً أربعة أصابع وأمسك عن ذكر ارتفاع نبات الدخن والسمسم قال لانه لا يكاد يصدقه السامع وقال سترابوان غلة الشعير تكون قدر البذرة ثلاثمائة مرة وقال بليني ان الغلة هناك تكون مائة وخمسين ضعفا ، وقد يتوهم السامع ان في الكلام مبالغة وقد قال شسناي لو بذلت في تلك الارض بعض عناية الاقدمين لرأينا .. غيرانها مصداقا لقول هيرودتس

(٧) توسيع دائرة التجارة شرقية وغربية فان هذه البلاد التي ينشأ فيها الخط هي معقد الارتباط والاتصال بين الخافقين «الشرق والغرب»

(٨) التعارف والتآلف واجتماع الكلمة بين العثمانيين والهنديين والايرانيين العاملين في المشروع والمشتركين فيه ويدخل في ذلك قوة نفوذ الدولة العلية المعنوي في الممالك الهندية وغيرها من البلاد الاسلامية

(٩) اتصال الشرق الادنى بالشرق الاقصى وذلك مبدأ لجمع كلمة الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً واتحادهم اذا أرادوا العمل للاجتماع والاتحاد

(١٠) صيرورة طرفي الخط وهما البصرة والعريش من أهم المراكز التجارية في العالم

(١١) تسهيل السبيل وتقريب المسافة على حجاج الشرقيين من الصين والجاوا الى سوريا وفلسطين

(١٢) إغناء البلاد الحجازية عن الحاجة الى الاجانب في القوت فان

أكثر قوت عرب الحجاز　ـز الهندي الذي يرد اليهم من موانئ البحر الاحمر الذي قبضت انكلترا على قطريه فصارت تعتقد ان حياة الحجاز أصبحت في قبضتها حكماً وانه لابد أن يأتي يوم يمكنها فيه قطع موارد الرزق عنه لاخضاعه أو اعدامه « والعياذ بالله تعالى » واذا تسنى لها الاستقلال بالسلطة على البحر الاحمر « لاقدر الله » فان ذلك لواقع ماله من دافع الا بامتداد السكك الحديدية من الحجاز الى بلاد الدولة الخصبة ولا تحسبن ان هذا القول منا ناشيء عن التخيل والتعصب مع الافكار في إساءة الظن بالانكليز بل هو من مقاصدهم الاولى في احتلال مصر كما يؤخذ من مطاوي كلامهم في خطبهم وجرائدهم ومن تتبع سير سياستهم، ولقد تمثل المقطم في أثناء الفتنة الارمنية بابيات منها

هامصر قد أودت وأودى أهلها　　الا قليلا والحجاز على شفا

(١٣) تمكن الدولة العلية في أي وقت من جمع قواها العسكرية في أي رجا من ارجاء بلادها

(١٤) الحط من شأن ترعة السويس التجاري والسياسي التي كانت مجلبة الشقاء لمصر لان هذا الطريق أقرب الطريقين الى الهند وسائر انحاء الشرق الاقصى واذا تقشع سحاب النفوذ الاجنبي عن مصر وعادت الترعه خالصة لها من دون الاجانب فانها ترضاها على انحطاط شأنها بل لا تراها منحطة اذا كان مانقص من منافعها عاد بالزيادة على السلطنة التي هي جزء منها وتقول كما يقول العوام في أمثالهم «من الكيس الى الجيب»

(١٥) نكاية الانكليز فان هذا المشروع جائحة على تجارتها وسياستها لانه أقرب الابواب الى الهند فاذا أمكن انفاذه تضطر بريطانيا العظمى

الى السعي في مرضاة الدولة العلية ومسالمتها ان لم نقل الى محالفتها ولو بتسوية المسألة المصرية والا تفعل فالهند على خطر من طروق نفوذ روسيا العسكري ونفوذ الدولة العلية الروحي والعسكري اذا هي اتفقت مع روسيا وما ذلك يومئذ ببعيد

(١٦) احتياج روسيا وفرنسا وألمانيا لمحالفتنا أو مصافاتنا ومرضاتنا لمصالحهن التجارية في الشرق ولمقاصد الاولى السياسية على الاخص فان تم لنا هذا المشروع قبل ان نحالف مع أحد فلنا الخيار في حلاف من نشاء والا فالسابقون السابقون أولئك المقربون . هذا ماعنّ لنا من فوائد هذا المشروع المالية والادبية والسياسية

« غوائل المشروع »

ليس هناك غوائل كثيرة وانما هما غائلتان (الاولى) أن ماينتظر من فوائد هذا المشروع الحسية والمعنوية للدولة العلية وللعالم الاسلامي — الذي يسيء أوربا كلها — وما ينجم عنه من المضرات التجارية لشركة ترعة السويس لا سيما انكلترا وفرنسا ولسائر شركات البواخر التجارية . وما تخشاه بريطانيا من مضرته السياسية كل ذلك يحمل هذه الدول على عرقلة المشروع ومعارضته قبل ايجاده ما استطاعت الى ذلك سبيلا ثم على اتخاذه ذريعة لتداخلهم في شؤونه اذا هو وجد بحجة حقوق رعاياهم الهنديين وغيرهم . يقول الفاضل محرر (وكيل) ان هذا عمل تجاري محض لا يقدر أحد من الدول أن يعارض فيه لانه لا دخل له في السياسة البتة . ونحن نقول أيضاً إن الدولة اذا أرادت انفاذ هذا المشروع لا تقدر الدول على معارضتها

فيه رسميا ولكنها تحدث لها فتنا ومشاكل وتهمها بانها تؤلف شركة من مسلمي الارض لاجل أحياء التعصب الديني الذي يجرمون علينا به دائما مع بعدنا عنه ويتنصلون منه مع ملابستهم له ، وامل حضرة الفاضل لم تنس اتهام الجرائد الانكليزية للدولة العلية بثورة الهند الاخيرة ومنها جرائد الاستانة العلية من دخول الهند وهذا هو الذي لاحظه السيد طاهر بك صاحب « معلومات » الغراء حيث قال « أماما أشار به الكاتب الهندي من حصول هذه الامنية على يد لجنة تؤلف تحت مراقبة الحضرة الشريفة السلطانية الشاملة النفوذ في العالم الاسلامي فمع كونه مصيبا في نفس الامر لا يخلو في الظاهر من محاذير عظيمة لا تخفى على اللبيب اذ لا فائدة لدولتنا العلية في أن تستدعي لنفسها عراقيل جديدة وصعوبات متنوعة من جاراتها الدول الاوربية اللاتي لا يغفلن عن تأويل كل أعمالها بما يوافق أوهامهن « ليته قال اهواءهن » ولا يفترن عن اتهامها بما لم يخطر لها ببال في كل أقوالها وافعالها فالاجدر بنا أن نقنع بالممكن القريب ونجتنب كل ما يؤل بالتهلكة على العالم الاسلامي والوطن العزيز العثماني فتأتي الامور من مقدماتها متنبهين الي عواقبها . وماأصوب قول رفيقتنا الجديدة « المنار » من أن صاحب البلاد أدرى بمصالحها ومنافع أهلها نصره الله تعالى ووفقه في كل الامور » اه هذا ما قالته جريدة معلومات ولهوجه ظاهر ثم انها بالغت بالتهويل لاسيما قولها « يؤل بالتهلكة الخ »

(الفائدة الثانيـة) ان سهولة المواصلات وتمهيد طرق التجارة في داخل بلاد السلطنة السنية من موجبات تداخل الافرنج في احشائها

وتسلانهم اليها من كل حدب وكيف لا يتسلون اليها مع السهولة وهم الآن
يتغلغلون فيها مع الحزونة وهؤلاء الافرنج اذا دخلوا قرية أفسدوها ، واذا
عمدوا الى ثروة قوم ابادوها ، واذا تبوأوا بلاد شرقية استأثروا بمنافعها
واستخدموا أهلها ، لان أهل الشرق كسالى متقاعدون ، وهم نشطاء مجدون ،
وأهل الشرق فقراء جهلاء ، وهم أغنياء علماء ، وهذه بلاد الشرق كلها
تشهد بصحة ما نقول لا سيما التي تمهدت سبلها وانشئت الخطوط الحديدية
فيها كالبلاد المصرية . وكفاهم جهلا وغباوة أن الدولة تمنحهم امتيازات
بأعمال عظيمة نافعة فيبيعونها للاجانب الطامعين في بلادهم كما جرى في
امتيازات الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وبين الشام ومزيريب وبين
بيروت وجبيل أوطرابلس التي باعها أكابر تجارنا للفرنساويين . فاذا كان
هذا حال أغنيائنا وكبرائنا ، فكيف لا يكون كل مشروع نافع سبباً لبلائنا
وشقائنا ، وغنيمة وسعادة لاعدائنا ، ولا يكتفي أولئك الدخلاء بالقبض
على أزمة المنافع ، والاستئثار بالثروة ، بل يخلقون الفتن ، ويستثيرون الاحن ،
واذا وقعت فتنة بشؤمهم أو مما لا تخلو عنه طبيعة الوجود يغرمون الدولة
العلية الاموال الطائلة باسم التعويض عما فات تجارهم من المكاسب ، أو أتلفوا
عند نزول المصائب ، والشاهد على هذا قريب فلا تكاد تخلو جريدة من
جرائد العالم اليوم عن ذكر مطالب الدول الاوربية من الباب العالي
التعويض عما خسره اتباعهم في أطواء فتنة الارمن الاخيرة

بقي علينا البحث في التوقي من هاتين الغائلتين وبماذا يكون . ورأينا
ان الغائلة الاولى لا يمكن تلافيها الا بمحالفة روسيا أو ألمانيا أو انكلترا
والارجح لنا ما يظهر ان سيدنا ومولانا أمير المؤمنين مرجح له وهو

خلاف المانيا أو الدول الثلاث لما نبينه في النبذة التالية . وأما الغائلة الثانية فعلاجها السعي الحثيث في تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي شرحناه في العدد السادس عشر . ولا يقال ان هذا يحتاج لزمن طويل لانا نقول ان اتمام المشروع أيضاً يحتاج لزمن طويل اذا اخذنا في غضونه بالتربية والتعليم اللذين يشعران قلوبنا معنى الامة والوطن ويزعجان نفوسنا للتمسك بهما ووقف حياتنا على خدمتهما لا يتم المشروع الا وروح الوطنية والقومية قد انتشر فينا انتشارا نرجو معه ان تكون فوائد عملنا لنا لا للاعداء تنافعلى هذا فلتحض الجرائد في كل حين ولمثله فلتتوجه همم العاملين

كيفية الطلب

ان دعوة الجرائد الى هذا العمل قبل عرضه على المرجع الاعلى ، والوقوف على موقعه من ذلك الرأي الاسمى ، دعوة تشبه البناء على غير أساس ، والاستنباط بدون مراعاة شروط القياس ، والذي نراه في هذا ان يشرح الموضوع شرحا تاما ويعرض على الحضرة السلطانية أيدها الله تعالى بواسطة أحد رجال المابين المقربين منها [١] فاذا آنس الوسيط منها ارتياحا وقبولا للمشروع يؤخذ في الدعوة اليه وتتألف اللجان للاكتتاب وتتصدى الجرائد للحث والحض والتنشيط والترغيب . والاولى أن يكون الطلب من عدة أقطار وأن يكون الوسيط مقتنعاً بفائدة المشروع راغباً فيه . هكذا ينبغي ان تؤتى البيوت من أبوابها والله الموفق وهو المستعان

---

(١) يظن قوم ان هذا التفويض الى السلطان كان من الخطاء ولكن القيام بسكة الحجاز اثبت ذلك فلولا السلطان لما نهضت همة كل المسلمين بذلك

من تحالف

تحالفت الدول الاوربية ذوات الشأن في السياسة العامة الا الدولة العلية وانكلترا . ولقد كان اختيار الحياد من مولانا السلطان الاعظم ومن ساسة بريطانيا العظمى عن حكمة ودهاء وحفظ للموازنة الاوربية وخدمة للسلام العام الا أن تحالف روسيا وفرنسا أثار في جو السياسة رياحا سوافي شاهت لها الوجوه وتزعزت لها أركان الشرق الاقصى ، عصفت فلم تقو على مجاراتها الا الريح المنبعثة من مهب بلاد الالمان جرثومة التحالف الثلاثي وملاك أمره ولقد أحست انكلترا بانها لا سبيل لها الى مقاواة هذه الرياح المتناوحة ومصادمتها منفردة بل تحتاج في مجاراة المحالفتين الى دعامة تدعمها وحليفة تشد ازرها فألانت القول للدولة العلية بعد اغلاظه وأظهرت الميل والانعطاف، بعد الغطرسة والانحراف ، أملا بالعود الى الود والولاء الذي تحفظ به منافعها في الشرق الادنى فقد شاهدت أن تجارتها فيه أمست بائرة، وسياستها بات في ربوعه خاسرة، ووجدت بالحرب الاميركية الاسبانية منفذا للدخول على الولايات المتحدة مرتدية برداء الحب والوداد، مدلة بوشيجة الرحم، مدلية باواصر القرابة، لتحمي حقيقتها، وتمنع وثيقتها في الشرق الاقصى فقد شعرت بان ظلها ثمة في تقلص ومدها في جزر أمام روسيا والمانيا وفرنسا . وأما الدولة العلية فلم تدع المسألة المصرية موضعا للصلح بينها وبين الانكليز وأصعب شيء دون المسألة المصرية سهل ، وأما الولايات المتحدة فقد آنس الانكليز منهم ميلا لحلافهم وربما تقضي الامر بعد انقضاء الحرب

كذلك شأن الدولة العليـة في الحاجة الى الانضمام والانضواء الى احدى المحالفات فان البقاء على الانفراد خطر على سياستنا بعد اجتماع الدول العظمى والتئامها، ولكن من نحالف وأوربا بأسرها عدوة لنا وانما ترغب دولها التقرب منا لنيل مآربها وتحقيق مطامعها

انكلترا تختار بقاءنا واضعافنا، وروسيا رئيسة التحالف الثنائي تود اتلافنا، والمانيا رئيسة التحالف الثلاثي تقنع منا برواج تجارتها في بلادنا فليس لها مطمع في بنية المملكة وجثمانها، ولا مستعمرات اسلامية لها تخاف من قوتنا عليها، ولم تغتصب منا بلادا فتحذر الحقد منا عند العجز، والتألب لاسترجاعها عند القدرة، ولا هي منتحلة للرياسة الدينية ومدعية حماية النصارى فنخشى من دسائسها في إلقاء الفتنة بين أبناء مملكتنا من المسيحيين والمسلمين واحداث المشاغب والهرج كما هو شأن الدول الاخرى ذوات المآرب التي رمزنا اليها اذاً ان الاجدر بنا أن نفضل محالفة الالمان ونصطفيهم على سائر الاقتال والاقران

عرف هذا وغيره مما لا تصل أفكارنا اليـه سيدنا أمير المؤمنين السلطان الاعظم عبد الحميد خان الثاني أيده الله تعالى وسدده وآنس من الامبراطور العظيم غليوم الثاني ميلا للوداد ورغبة بالاتحاد فكال له مولانا الصاع بالصاع وزاده من مكارمه كما هو شأنه في حب التفضل وشدت في زيارة الامبراطور الاولى للاستانة أو اخى التآلف وسيرتم في الزيارة الثانية سرير التحالف بل صرحت بعض الجرائد الاوربية بأن هناك وفاقا سريا وحلافا خفيا والذي لا ريب فيه ان الود محكم العرى

أظهر الامبراطور خلمه مع الدولة العلية في الحرب الاخيرة فعرف

له مولانا هذا الجميل ولما آذن مولانا بعزمه على زيارة الاستانة العلية والقدس الشريف صدرت الارادات السنية آمرة بالاستعداد للاحتفال بالزائر الكريم ولقد أكبرت جرائد أوربا أمر الاستعداد وذكره بعضها في معرض الانتقاد لاغراض في النفوس. ومما جاء في جرائد بريد أوربا ماذكرته (الديلي ميل) وملخصه ان الامبراطور لما زار الاستانة من قبل بني له جلالة السلطان قصراً في حديقة يلدز بثلاثين ألف ليرة وأمر الآن بأن يزاد في زخرفه وزينته حتى قالوا فراشاً على فرش غرفة واحدة من غرفاته باربعة آلاف ليرة فما بالك بفرشه كلها وسينفق على تزيين العاصمة سبعين الف ليره وأربعين ألف ليره على اصلاح جسر غلطه وتقدر هذه الجريدة ان نفقات الزينة مع نفقات الخمسة عشر ألف عسكري التي صدرت الارادة السنية بأن يعمل لها ملابس جديدة وتكون في فلسطين مدة زيارة الامبراطور لها لا يقل المجموع على مائتي ألف ليره هذا ماعدا الاحسانات والانعامات، التي تنالها حاشية الامبراطور من المكارم السلطانية. وقد صدرت الارادة السنية بأن تسافر فرسان الحرس الشاهاني في يلدز الى فلسطين لحراسة الامبراطور مدة اقامته هنالك

ان مظاهر الابتهاج ومعدات الحفاوة والاكرام للامبراطور العظيم هي أهم ما تشتغل به الجرائد الاوربية في هاته الأيام لاسيما الجرائد الروسية والفرنسوية والانكليزية فمن هذه الجرائد ماينصحنا بحفظ أموالنا وعدم الاسراف فيها ومنها مايحذرنا من مطامع الامبراطور في سوريا والاناضول وانه لابد أن يأخذ منا احدى الموانئ السورية بل نقل سعادة مدير جريدة الاهرام عن محدث له من الانكليز في الاستانة العلية انه

قال نقلا عن السفير هويت الانكليزي المتوفى « ليست فرنسا هي الدولة الطامعة في سوريا بل هي المانيا وحدها» وتقول الجرائد الانكليزية ان جلالة الامبراطور سيجيزنا على حفاوتنا واحتفالنا به باجازة الاحتلال الانكليزي في مصر والتصديق عليه وذلك عند ماري اصلاحاتهم وفتوحاتهم في أثناء زيارته لمصر

أما وسر الحق ان هذا النصح والانذار لم ينشأ عن الحب والود ، ولم يكن الحامل عليه الاخلاص والصدق ، وانما ساء القوم اتفاقنا واتحادنا مع هذه الدولة القوية التي يعززها دولتان أخريان علماً منهم بأن ذلك يقطع أسباب مطامعهم في بلادنا فعمدوا الى التنفير ، لكنهم أفرغوه في قالب النصيحة والتحذير ، ولكن قد تفجر من أنابيب أقلام بعضهم الحسد فرقم على صفحات جرائدهم جملا تشعر بتوقعهم ضياع مصالحهم وذهاب منافعهم من الشرق الادنى والادالة بها لالمانيا بسبب ولائها لنا واتفاقها معنا . أل الله تعالى ان يوفق سلطاننا ودولتنا لما فيه خير البلاد والرعية انه سميع مجيب

﴿ مقتبسات عن الجرائد ﴾

قررت نظارة الحربية انشاء ثلاث وخمسين قلعة على التخوم العثمانية مقاربة بعضها لبعض وأن تبذل العناية الكبرى في تحصينها تحصيناً متيناً على الطرز الجديد

وقررت أيضاً أن يكون في حدود تساليا ستة عشر تابوراً من العساكر وأربع كتائب مدفعيات جبلية والاي سواري تحت قيادة الفريق سعادة عمر نشأت باشا ويكون في جهة يانيا اثنا عشر تابوراً من

البيادة وثلاث كتائب مدفعية جبلية بقيادة خيري باشا

لما هاجر اليونان من (يني شهر) حين الحرب اليونانية أودعوا مفاتيح ديارهم عند أحد القسيسين وأمنوا جانبه في المحافظة على ما بها من الامتعة وبعد انتهاء الحرب ورجوعهم الى أوطانهم تفقدوا منازلهم فوجدوها خالية من كل متاع نفيس فسألوا القسيس عن الامر فقال لهم ان العساكر العثمانية هي التي نهبتها وسلبتها وكادوا يصدقونه لولا ان أحد العارفين بأحوال ذلك القسيس دلهم على حقيقة الحال وأعلمهم بأنه هو المختلس الناهب لامتعتهم وأرشدهم الى بئر في بيته أخفيت الامتعة فيها فتوجهوا اليها فرأوا بئراً تحفها الاشجار ولما فتحوها وجدوا جميع مانهب منهم تحت غطاء البئر وعلموا أن القسيس ردم البئر أولا باحجار ثم وضع فيها تلك الامتعة وغطاها ووضع الاشجار حولها تمويهاً على العيون ومثل هذه الوقائع مما لم يظهر أمرها تدلك على أن العساكر العثمانية بريئة من كل ما يرميها به ذوو الاغراض من وصمة السلب والنهب وان الجماعة هم الذين ينهبون أنفسهم بانفسهم واذا كان مثل القسيس يقدم على هذا الفعل فمالك بمن ليس عنده زاجر من دين ولا رادع من تحريم (مصباح الشرق)

***

قال اللورد سالسبوري اثناء الحوادث الارمنية ان المرحوم المستر غلادستون ومن على شاكلته هم المسؤلون عن كل نقطه دم تسفك لان مذابح الارمن نتائج تحريضات خطباء وكتاب الانكليز وقال هذا اللورد عقيب انكسار اليونان ان الواجب ان يرهن المائة وعشرة نواب الانكليز عند الدولة العثمانية حتى آخر درهم من الغرامة الحربية — هذا

ما قاله كبير وزراء جلالة الملكة وهو بمثابة اعتراف رسمي بان الخسائر التي أصابت رعايا الدول الاجنبية في بلاد الدولة لم تكن الا بسبب الدسائس الانكليزية ومع هذا فان حكومات أوروبا تطالب الباب العالي بالتعويضات ولو أنصفت لطالبت اللورد سالسبورى باقواله وطالبته بما أصاب رعاياها من الخسائر ولكن من أين يأتي الانصاف والخلاف بين دولة شرقية وبين بعض الدول الاجنبية   (الرائد المصرى)

منتدياتنا العمومية واحاديثها (*)

(لفضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده الشهير)

ان احاديث الامم تدور على محور أفكارها اذ اللسان هو المترجم عما يختلج بالضمير من الصور المحفوظة والمعاني المتخيلة على اختلاف أشكالها وتنوع فنونها فباختلاف صنوف البشر في المعارف والامزجة تتباين مفاوضاتها وأحاديثها وتتشعب مجادلاتها ومحاوراتها وان تواريخ الامم الغابرة وحوادث الملل الحاضرة لترشدنا الى ذلك باجلى بيان فهذه الامة العربية في صدر الاسلام وقبيله لما مال عنصرها الى التحبب في خلق الجرأة وحملتها شهامة النفس على الجولان في ميادين الغزو والفتوح قصرت أحاديث رجالها على مايتعلق بحرب ماضية ومعركة آتية تعقد مجالسها على ذكر جياد الخيل ومحاسنها شارحة معايب الاقواس وأوتارها منتقلة الى

(*) فاتحة العدد العشرين الصادر في يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الاول سنة ١٣١٦

الكلام عمن اشتهر من رجالها بالاقدام والبسالة والانتصار وقصائدهم الشعرية مشحونة باوصاف الحماسة وخطبهم النثرية موقوفة على مدح النزال والبراز وبقيت هكذا أحاديثهم الى أن ضعفت تلك الحواس واستعيض عنها بالميل الي الراحة والانغماس في النعيم فتوالد فيهم من ذلك المحبة والعشق ولهجت شعراؤهم بأوصاف الغزل بعد الحماس وبنعت الحاجبين والخصر بعد الاسهاب في وصف القوس والوتر

وهذه اليونان لما كانت ديارها مهد الحكمة ومطلع شموس العرفان دارت أحاديث قومها في المجامع على تحديد العلوم وتبيين مهايا الاجناس والفصول يطلب الواحد منهم منزل صديقه ليتحاور معه في كيفية انتاج الاقيسة المنطقية مع تغاير أشكالها فيطول بينهما الحديث وهما بين مثبت وسالب ومعترض ومجيب وهذا في حال كون المجالس الاخرى غاصة بجماهير النبلاء . فئة تغوص في البحث عن أمزجة المواد وعناصرها ، وأخرى تطلق عنان اللسان لاستكناه حركات الافلاك ومراكزها ، فاذا عقدوا عزائمهم على المزايلة والانصراف ودعتهم أوقات أحاديثهم شاكرة لهم على ما أودعوا فيها من تقرير المسائل وازالة الحجاب عن كثير من المشكلات والمعضلات واستقبلتهم الايام بوجه باش وثغر باسم فرحة بما سيكون لها في بطون التواريخ مرسوما بمداد الثناء على صفحات الاعصار والدهور لما ستبرزه فيها أفكار هؤلاء القوم الى عالم الوجود من المطالب العالية المؤيدة بالبراهين الصحيحة والحجج السديدة وهذا مع محافظتهم وقت المحاورة والجدال على رعاية الآداب وحرمة قوانين المباحثة

وهذه أمم أوربا شعبت مجالسها ،وتنوعت مواضيعها ، تحمل الينا

الجرائدمن أخبارها مالا نكاد نصدقه لولا علمنا بوفرة معلوماتهم، وكثرة مخترعاتهم ، فيوما نسمع بان ذوي الشركات التجارية اجتمعوا للمداولة فيما يلزم اتخاذه لانشاء بنك مالي يكون مركزه في احدى الممالك الاسيوية مثلا فتطول بينهم المخابرة في ذلك ويعلو صوت الخلاف بين أعضائها فنهم من يرجح انشاءه في الاملاك الفلانية من تلك القارة محتجا بان فلاحي تلك الديار يقترضون النقود بفوائد باهظة لاحتياجهم وشدة فقرهم فتكون الثمرة أجزل والربح أوفر مما لو أنشيء هذا البنك في احدى الديار الافريقية التي أصبحت لخصب تربتها ووفرة حاصلاتها وأخذ الاموال الاميرية منها بتقسيط عادل لاتحتاج الى استقراض من مالنا بل ربما اذا دامت لنا هذه الحال يتوفر لها كثير من ايراداتها التي تقتدر بها على انجاز مشروعات عمومية حتى تصير بذلك معادلة لاعظم ممالك أوربا في الثروة واليسار فيجاوبه الآخر قائلاً ان الاجدر بنا أيها الشريك أن نعدل عن انشائه في أي مركز من مراكز آسيا مطلقا الى اتخاذه بديار مصر وأما ماقيل من أن تخفيف الضرائب عنها مع حسن تربتها وكثرة ايراداتها يجعلانها غنية عن الاستقراض فذلك انما يكون لو رجع فلاحها عن سرفه وسفهه والا فما دام على هذه الحال فانه يكون أبداً مثقلا بديون تقرع أبوابنا آناء الليل وأطراف النهار ولو أثمرت أرضه ذهباً وعوفي من جميع الضرائب سرمدا فانه على مايقال رهن عند أحد البيوت (المالية) فيما ما يجاوز العشرين في المائة من أطيانها تأميناً على ما أخذ منه من النقود في مدة لاتزيد عن العام كثيراً ، فيستحسن الحضور بيانه ويختم الجلسة بالعزم على المشروع فيما قصدوا ليدركوا من الربح مثل من سلفوا

وبينهم كذلك ترى فئة أخرى تتروى في مد سكك حديدية في احدى الايالات المشرقية وانشاء أسلاك برقية فوق البحار وتحتها تسهيلا للمواصلات التجارية وإحكاماً للعلاقات الدولية وأخرى مجتمعة لتتخير من بينها نبيلا يكون رسولا من قبلها عند رجال احدى البلاد فيعقد معها شروط التزام مصالح عديدة وأراضي فسيحة ومياه عذبة ما كانت أهل أهل تلك الديار في حاجة الى التزامه . وترى على مقربة من هذه الفئات جماهير متألبة وجماعات متضافرة يحسنون صنع الخطابة ولا يجهلون تاريخ الخليقة يقلبون العالم بين أصابعهم ويقطعون وجه البسيطة في أقل من لمح البصر وهم جلوس يتحادثون يعينون أوقات الفرص الملائمة للاستيلاء على تلك الجزيرة أو هذه الامارة أو ذلك الاقليم . يستطلعون الرسائل المتوالية الورود من أبناء جلدتهم المنبثين في انحاء المعمورة لاستكشاف خبايا القبائل والشعوب التي هم بين ظهرانيهم يذللون المصاعب ويمهدون طرق الاستيلاء والفتوح ونحن عن كل ذلك غافلون نواصل الليل بالنهار في اللهو واللعب . بلغت منا الخرافات والهذيانات مبلغاً جسيما حتى استحوذت علينا فانستنا ذكر الحقائق النافعة والمصالح المهمة وصارت تلك الاخلاط الفاسدة كملكات للنفس يتعسر زوالها الا بذهاب الارواح والاشباح . تعقد عندنا المجالس ولكن على ذكر أنواع الخمور والمسكرات يطرب المجتمعون فيها بذكر أوصاف الغيد الحسان ويصرفون ثلثي الليل على قهاويهن (هكذا اصطلح والا فهي مواضع رجس ودنس) يشربون فيها من المواد الممزوجة بالعقاقير السامة قدرا لا تسوغه طباع الوحوش الضارية ،ولا الاسود الكاسرة، وفي خلال ذلك يتناقشون ويتخاصمون

حيث ان كلا منهم يفضل مألوفه من ذلك بل مألوفات أصحابه ويعدد أوصافه ، ويذكر محاسنه ، ويشرح مزاياه ، من حور عيون ، ورقة خصور وعذوبة منطق ، وما شاكل ذلك . ويحتج عليه بأن فلانا لا يبيت في ذلك المخدع ولا يطأ ذاك الموضع حتى يدفع عشرين أو ثلاثين جنيها وماشابه ذلك . والآخر يناقضه وينافسه ويروم اقناعه في مقام الجدل ولا يروق لهم الحديث الا اذا انتقلوا الى القذف في شرف من بينه وبينهم جامعة ديوانية، وعلاقة مجاورة منزلية ، أو لا هذه ولا تلك وانما هدتهم شهرة ذكره الى معرفته فيرمونه بالجبن وعدم الذوق لكونه نزيه النفس أنف من سلوكهم ويرمونه بغلظ الطبع والتقشف ويسمونه (نظا) وهم في خلال ذلك يهزأون ويسخرون ويضحكون بصوت جهوري (و بيكون وهم سامدون) يتبارون في ميادين البذاء واستحضار كل ماقبح وخبث من الالفاظ وهو المسمى عندهم (تنكيتا) فقسموا الالفاظ العرفية أبوابا وفصولا ليستعملوها في هزلياتهم السخيفة حتى كثرت الفصول وتنوعت المواضيع واذا تبارى اثنان منهم في باب منها استداما ساعة أو أكثر وهما مع الحضور في خلال ذلك يرفعون أصواتهم بالضحك المزعج فمن عجز منهما قبل صاحبه اوسعوه توبيخا وصفقوا للمنتصر اعلانا بظفره واجلسوه مكانا عاليا ويسمونه المعلم الماهر وهذه فئة غير قليلة في المدن واكثرها من أبناء الاغنياء عديمي التربية

وأما مجالس ذوي الكمالات من أهل المدن فانها ان اتفق وتجردت عن الحديث في منكر فهي لاتخلو عن حشو فانه على الاقل لابد أن يتشرف المجلس ولو زمناً قليلاً بحلول الغيبة أو النميمة المرافقتين لنا

مرافقة الشخص لظله اللهم الا اذا سمحت الصدفة وكان زمن المجلس قليلا جداً لا يسع سوى التحية دون ردها وانهم لن يسطيعوا أن يبرهنوا على خلاف ذلك فاني قائل اذا لم يجلسوا مستديمين الصمت ومنصرفين كذلك فبم ينطقون ؟ هل بعلم شرعي وقد جهلوه ، أو تجاهلوه ، أم بعلم صناعي وقد عادوه ، ام فن طبي وقد تناسوه ، أو حديث عن منفعة عمومية وقد أغفلوها ، ام استفسار عن حوادث سياسية وقد زعموا ان الاشتغال بها لا ينفع فاذاً لا سبيل الا الاشتغال بألعابهم المعتادة كالشطرنج والنرد (الطاولة) وغيرهما من اصناف الملاعب وانها دون ريب لتحملهم الى أسوأ مما فروا منه كما هو مشاهد . ثم يوجد بيننا بعض الاذكياء الذين يتحدثون عن المعارف والسياسة ولكن فضلا عن كونهم نزراً يسيراً فان أعمالهم غير منطبقة على مايقولون لكونها جملا حفظوها من غير ان يعقلوا لها معنى أو لكونها أمورا اجمالية ضيقة المجال لم يبحثوا في تفاصيلها . هذه هي المجالس المنزلية

وأما المجالس التي تعقد على قهاوي الشعراء والحشاشين المخرفين فلا نستطيع تفصيل مافيها من العجائب والاحاديث الجنونية لكثرتها وتشعب مسالكها سيما حديثهم فيما يتعلق بالجن والشياطين أو خرافات المعاتيه والمجانين كما اننا نكتفي في الكلام على منتديات الارياف لانها وان قيل فيها مايتعلق بالزراعة ومصالحها ولكن لا تخلو من كلمات تدل على تمكن الحسد والحقد في أفئدتهم وان العداوة والبغضاء راسختان في ضمائرهم بحيث يعسر زوالها وهذا مع مساواة غالبهم لاهل المدن في البغي والفجور وان بعض هذه البلاد أسوأ حالا وأقبح عملا من أهل المدن كما هو معروف

فهذه أحاديثنا في مجالسنا وتلك أقاويل غيرنا في مجامعهم سردناها لذوي النقد والبصيرة معرضين عن كثير مما نتفوّه به وقت اجتماعنا ولعلنا نذكره وقتاما اذا رأينا لهذه البزرة أوراقا يانعة وثمارا طيبة فيقوى فينا ضعيف الامل ويحيي ميت الرجاء ونشمر عن ساعد الاجتهاد ونطلق لسان العظة داعين الى طرق النجاح ٠ وانا لنخشى ان تقابل هذه الجملة بما قوبلت به اخواتها من قبل كأن يقول زيد ما كتبت هذه الجملة الا للتنديد على أقوالي ويظن مثله عمرو فيصرفونها عما وضعت لاجله من خالص النصح ومحض الارشاد من غير ان تناط بشخص مخصوص أو فئة معينة فالملحوظ فيها كسابقاتها الخلق من حيث تعلقه بالافراد أيا كانت كما هو الشأن في جميع المواعظ والنصائح العمومية لا المرء المخصوص المتصف بتلك الاخلاق حتى تكون تنديدا أو طعنا فعسى ان لا نسمع بعد بمثل تلك التصورات من أحد من الناس ويعلموا ان ما كتب وسيكتب صادر عن نفوس تسعى في تهذيب الاخلاق ما استطاعت ويسرها ان ترى أبناء الديار رافلة في حلل من الكمالات متحلية بالعزة والفخار حقق الله آمالنا وختم لنا بحسن ما آملناه

(المنار) كتب الاستاذ هذه المقالة في ١٠ ربيع الاول سنة ١٢٩٨ أي من بضع عشرة سنة وفيها من المناسبة لحال هذه الايام ما ترى ٠ أما ما ذكره عن أحاديث الاوربيين ومقاصدهم من ذلك فهو (١) انشاء شركاتهم بنكا في مصر لان أغنياء المصريين وعمدهم ماداموا لا ينفكون عن السفه والتبذير فهم واقعون في غمرات الديون، التي تجلب على بلادهم ريب المنون، وان أنبتت تربتهم الذهب الوهاج، واعفتهم الحكومة من كل أتاوة وخراج، وقد تقرر الآن انشاء البنك في مصر (٢) انشاؤها سككا حديدية في

بعض الايالات الشرقية . وقد جاء في الجرائد الاوربية ان الكونت ولد مير كاينتز ابن أخت سفير روسيا من فينا طلب من حضرة مولانا السلطان امتيازاً بانشاء سكة حديدية جديدة من ميناء طرابلس الشام الى الكويت على خليج العجم وقد انشئت شركة مختلفة لمدها وهاتان المسألتان من أهم المسائل المالية الحاضرة الآن

وقد ذكرنا في العدد ١٨ ان الباب العالي منح امتياز سكة حديد بين قونيه والبصرة للمسيو كوتار الفرنساوي (نقلنا ذلك عن الاتحاد المصري والعهدة عليه) . وبقية ما ذكره عن الاوربيين من ارسال رسل من بلاد بلادهم ليعقدوا مع رجال بلاد اخرى شروط التزام مصالح عديدة، وقيام خطبائهم لبيان كيفية استيلائهم على البلاد البعيدة، هو الآن أشد واكثر مما كان في سائر الاحايين، وناهيك بما هو جار في مملكة الصين، وأما ما ذكره من أحاديث أبناء هذه البلاد ومجالسهم، في معاقرتهم ومقامراتهم، فهو على ما كان في تلك الايام. ثم قد زاد لغطهم وثرثرتهم بالسياسة على الوجه الذي ذكره وهو كون أعمالهم، غير منطبقة على أقوالهم، . ولقد صدر المقالة بكلمات قال فيها عن أحاديث منتدياتنا « انها عقبات في طريق تقدمنا وظلمات متكاثفة في وجه انتظام هيئتنا الاجتماعية وحواجز دون الوصول الى محجة الرشاد وانتهاج خطة السداد وان خاله الكثير منا تمدنا وزعمه السواد الاعظم من شعار الادب وعلائم الذوق والترف » وانما لم نذكرها في صدر المقالة لانها جاءت في خلال الكلام عن وعد سابق في الكلام عن الموضوع كان وقع له يومئذ ولا محل له عندنا اليوم فيصدر الكلام به

﴿ نهضة مسلمي الهند ﴾

شعرت جميع الشعوب والأمم من جميع الملل والنحل في الشرق بشدة حاجتها الى التربيـة والتعليم المفيدين للقوة والعزة المنميين للثروة الموصلين للسـعادة الا ان المسلمين كانوا أبطأ شعوراً وأضعف احساساً بذلك وأجدر بهم أن يكونوا هم السابقين لجميع الشرقيين اذ الغربيون لم يهتدوا لذلك الا بما اقتبسوه من أنوارهم من قبل • ولم يكن السبب في ذلك ضعف قابلية المسلمين واستعدادهم لان الاستعداد الطبيعي لايختلف باختلاف الاعتقاد ولا تعاليمهم الدينية لانهم كانوا أشد تمسكا بالدين علماً وعملا ايام أخذوا الفنون عن مخالفيهم وجدوا في انمائها واستثمارها ولكن العلوم لما دالت الى الغرب وغمرته بخيراتها وبركاتها ثم اندفع أهله الى الشرق مكتسبين ومستعمرين كان أول من أخذ عنهم معارفهم النصارى للتناسب بينهم في الدين ومذاهبه ثم تبعهم الوثنيون في الهند وفي اليابان وعادى المسلمون علومهم لمداوتهم السياسية حتى توهم عامتهم وجهالهم ان تلك العلوم مضادة للدين نفسـه وبقي المسلمون أجيالا في الكسـل والخمول لا يرجعون الى آداب دينهم التي نهضت بهم في النشأة الاولى ولا يتمسكون بالفنون العصرية التي نهض بها غيرهم—عادوا الاولى عملا والثانية قولا وعملا وتقيدوا بسلاسل العادات المضرة والتقليدات المكسلة حتي صاروا مضغة بين الافواه ، وملاظة بين الشفاه ، تلوكهم دون الامم، وتلفظهم لفظ النواة،وحتى ساغ لمثل رزق الله حسون ان يقول

أي قطر وليس فيه يهود ونصارى وفيه بيع شراء

ولقد صدق الشاعر فان المسلمين أصبحوا أفقر الامم مع ان دينهم يأمر بالجمع بين مصالح الدنيا والاخرة، وجمهور أئمتهم يفضل الغني الشاكر، على الفقير الصابر، وكتابهم يعلمهم ان يقولوا في دعائهم « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» وقد وصف حال بعض الناس بقوله « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين»

أليس من العجيب ان يفوق أبناء هذه الملة في الكسب أهل كتاب ينص على ان الغني لا يدخل ملكوت السموات، حتى يدخل الجمل في سم الخياط، ثم يرموهم بأن دينهم هو الحجاب بينهم وبين الرقيّ في مراقي العمران، والصعود على مدارج المدنية العزيزة، كما نراه في جرائد اوربا كل يوم، وكما نسمعه من أهلها وعنهم في كل مجتمع، وقد أقررناهم على انتقاصهم لنا حيث لم نكذبهم بقول ولا عمل . نعم قد دافع عنا بعض المدافعة من ليس من أبناء ديننا كصاحب جريدة الاهرام الغراء فقد رأيت فيها غير مرة القول بأن المسلمين يساوون أو يقاربون غيرهم في الاستعداد للترقي وان دينهم لا يمنعهم اقتباس العلوم من غيرهم وانا نشكر سعادة صاحب الاهرام على مدافعته عن هؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا مع القاصرين ولولا ذلك لدافعوا عن أنفسهم بالبرهان الاقوى وهو العلم النافع والعمل الواقع، ولا سبيل الى هذا الا بالتربية الصحيحة التي أهملوا أمرها فكانوا من المهملين

هذا مجمل من خبر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها : تلدغهم عقارب الحوادث وأفاعي الكوارث من الجحر الواحد ألف مرة وهم على

ماهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» حتى اذا مابلغ السيل الزبى طفقوا يشعرون بحقيقة شؤونهم، ويبصرون ما يحدق بالوسط الذي يعيشون فيه من الاخطار اذا ظلوا على سكونهم وخمولهم، الا ان هذا الشعور والابصار لم يهديا الى الطريق القصد ويزعجا الى السير والسلوك فيه الا مسلمي الهند فقد رأينا جرائدهم تلهج دائما بالتربية والتعليم لا سيما جريدة (محمدان) التي تطبع باللغة الانكليزية في مدراس فقد اقترحت هذه على المسلمين انشاء رسائل في التربية الاسلامية وماهو وجه الصواب فيها ووعدت بجائزة نفيسة لمن يصيب الغرض وتكون رسالته أفيد للمطلوب ولا تزال الرسائل ترد عليها في ذلك واذا تسنت لنا ترجمتها فاننا ننتقدها انتقادا (البقية بعد)

مناقشة

انتقدت جريدة (الاتحاد المصري) الغراء على جريدتنا « المنار » وعلى جريدتي المؤيد ووكيل الغراوين بمواصلة الكلام على مشروع سكة الحديد بين البصرة وبور سعيد بل زعمت اننا جعلنا ابحاثنا وقفا على ترويج هذا « المشروع الاسلامي الخطير» وكررت أسفها لان ابحاثنا ذاهبة سدى واننا لم نتمكن من اتمام مانسميه «المشروع الاسلامي» وقد انحرفت زميلتنا عن الجادة في هذا الانتقاد في أربعة أمور

(١) قولها اننا جعلنا أبحاثنا وقفا على ترويج المشروع . ولا تصح هذه المبالغة فيمن ذكر شيئا مرتين او ثلاثا لاسيما اذا كان هناك اسباب عارضة دعت لاعادة القول ومساداة الكلام كمراسلة محرر وكيل الفاضل للمؤيد

الاغر وكمدافعة المنار عن نفسه حيث خطىء في بعض قوله. ولا نعني بهذا الكلام التنصل من وقف ابحاثنا على المشروع لان فيه غضاضة تقتضي ذلك، كلا ان المشروع جدير بان توقف عليه الابحاث، وتفتل له الانكاث، ولكننا توخينا بيان الحقيقة فقط

(٢) قولها اننا لم نتمكن من اتمامه. وانما نحن باحثون لا عاملون وقد وفينا البحث حقه بحسب ما عن لنا حتى نسبتنا للافراط

(٣) قولها انا سمينا المشروع «بالمشروع الاسلامي» وتسميته بالمشروع التجاري العظيم كانت أتم واوفق لاتصاله بكثير من البلدان، ومروره في وسط بلاد تدين بكثير من الاديان، ولان مشروعا عظيما كهذا لا يمكن ان يقوم به افراد معدودون ولا بد فيه من الاكتتاب وهذا لا يمكن ان يحصر في يد فئة معلومة ومن الضروري ان تساعده البانكات وهي لغير المسلمين » وهذا من عجيب القول ونرده باننا لم نسم المشروع بما قال «المشروع الاسلامي» بل سميناه جميعا مشروع سكة حديد الخ وان ارادت بالتسمية الجعل اي اننا جعلناه اسلاميا نقول ان مقترحه اشترط ان تكون الشركة المؤسسة له من المسلمين وتكلمنا عليه بناء على ما اشترط وذكرنا منافعه الاسلامية باعتبار كون اصحابه من المسلمين كالنفع العائد الى بلاد الحجاز وكزيادة نفوذ خليفة المسلمين الديني في الممالك التي تشترك في العمل به كالممالك الهندية كما هو شأن نفوذ حضرة البابا عظيم النصرانية في بلاد الدولة العلية وغيرها من الممالك التي يسكنها النصارى، وذكرنا منافعه لاهل الشرق عموما والعثمانيين خصوصا لانه يعم منهم وفي بلادهم بل ذكرنا منافعه لاهل الغرب ايضا لسبقهم في ميادين التجارة

واي مانع يمنع ان يكون للمسلمين شركة مالية خاصة وان للنصارى شركات مثلها كثيرة . ان كان هذا يعد اجحافا بحقوقهم فهم السابقون الى الاجحاف وما ذكره من الملل للعدول عن جعله اسلاميا محضا ضعيف لا يفيد المطلوب لان «مروره في وسط بلاد تدين بكثير من الاديان» لا يضر بأهل تلك الاديان ولا يمس حرمة معتقداتهم كما ان السكة الحديدية وسائر المعاملات التجارية التي للافرنج في بلادنا لا تمس حرمة ديننا ولم نعارضها بناء على ان أصحابها مخالفين لنا في الاعتقاد . على ان البلاد بالنسبة لمثل هذه الاعمال العامة لا تنسب لساكنيها وانما تنسب لحكامها وحكام البلاد التي يمر فيها المشروع مسلمون ومع هذا كله فان مشرب جريدتنا (المنار) حث العثمانيين من جميع الملل على الاشتراك في الاعمال النافعة لانه أدعى الى التآلف وأسرع في عمارة البلاد وهذا المشروع من الاعمال النافعة التي نود اشتراكهم في مثلها وما منعنا عن اقتراح اشتراكهم فيه بخصوصه «مخالفة لمحرر وكيل» الا أننا اقترحنا امتداد الخطوط الحديدية للحجاز الشريف ولا يجوز في ديننا أن يكون لغير المسلمين ملك في تلك البلاد لانها بمثابة الجوامع والمساجد «معابد دينية» وأما قولها «الاتحاد الغراء» ان مشروعا عظيما كهذا لا يمكن أن يقوم به أفراد معدودون الخ مامر فهو ناشيء عن ذهول لا يحتاج الى الرد الا فكيف يتسنى لصاحبها أن يقول إن المسلمين أفراد معدودون وان الاكتتاب لا يمكن أن يحصر بين فئة معلومة (يعني المسلمين) وقولها «من الضروري مساعدة البانكات لها وهي لغير المسلمين» في غاية الغرابة اذ كيف يتصور جناب كاتب تلك الجملة ان جمعية مؤلفة من مسلمي الارض «كما هو المفروض» تحت رئاسة

السلطان الاعظم يمنع عنها مثل البنك العثماني المال الذي قد تحتاجه منه لانها جمعية اسلامية ومال البنك لغير المسلمين. يمكننا ان نستدرك على رصيفتنا فنقول ان جمعية كهذه لو أرادت أن تبني جوامع ومساجد لم يمنع عنها أي بنك المال مادام في مأمن عليه لان البنوكة لا دين لها ولا قوانينها دينية. وان قالت ان الشركات المالية أيضا لا دين لها فلم خصصتم مشروعكم بالمسلمين قلنا لها ان ذلك لما ذكرناه آنفا من الوجهة الدينية وكما ان (جلالة السلطان الاعظم لا يفرق بين مذاهب رعيته ولا يعرف الا العثمانيين الصادقين) كما قالت فكذلك نحن تبع لسلطاننا لا نفرق بين المذاهب في الاعمال التى لا تمس الدين ولا تتعلق به وأما الامور التي لها علاقة بالدين فنتمسك فيها بديننا ولا نعارض أحدا في دينه بل نقول كما قال كتابنا العزيز (لكم دينكم ولي دين)

(٤) قولها في مباحثنا «انها ذاهبة سدى لان مشروع سكة حديدية تصل بين سواحل الاناضول والبصرة قد منح امتيازه الى كوتار الفرنساوي كما روينا ذلك مفصلا في عدد سابق ولو تنازل زملاؤنا المعتبرون الى تلاوة ما كتبناه في هذا الشأن لما تحملوا مشقة البحث والتنقيب لإثبات أمر ونفي آخر» ونحن نقول ان منا من قرأ ما كتبت في ذلك بل نقلناه في العدد ١٨ من المنار عن الاتحاد وذلك ان سلم لا يمنع من بيان فوائد مشروع عظيم عرض للبحث والمناقشة والفائدة من البحث والحث على انشاء مابقي منه والترغيب في الاشتراك بالامتيازات التى أعطيت لكوتار ولا نطون بك ما أمكن. أجل إن نيل كوتار امتياز خط من قونيه الى البصرة والامتياز الذي ناله سعادة انطون بك يوسف لطفي بخط من مصر الى الشام من طريق العريش لم يبقيا من مشروع الفاضل محرر وكيل الا النزر القليل

كما قالت الاتحاد الغراء فكيف بنا اذا ضممنا الى هذا ماجاء في الاخبار الاخيرة من طلب الكونت ولدمير كانيتز ابن أخت سفير روسيا في فينا امتيازا بانشاء سكة حديدية جديدة من ميناء طرابلس الشام الى الكويت على خليج العجم، لاجرم ان هذا اذا تم يذهب بالمشروع المبحوث عنه حتى لايبقى أثر لكن يبقى بعض التواشط والفروع التى أومأنا اليها فاذا لم نبادر اليها يغلبنا عليها الغالبون ويمتلك الاجانب اعصاب بلادنا وعروقها ويبقى بأيديهم موتها وحياتها، بل نحيا لهم ونحن الذين نموت، لكننا لا ننكر على زميلتنا الاتحاد اننا في شك مما جاءت به من خبر امتياز قونيه والبصرة وامتياز العريش والشام واننا نعتقد ان مولانا السلطان لا يجيب طلب الكونت ولدمير الاخير فأهمية المشروع الاسلامي باقية على حالها ولا نفتأ نحث عليها ولئن فات بعضها فاننا نحض على باقيها وبالله التوفيق

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

الآلة الكاتبة (تايب رايتر) ان رجلا فرنساويا اسمه فوكول استنبط آلة يكتب بها العميان قدمها لمعرض باريس سنة ١٨٥٥ فكانت قاعدة لاصطناع الآلة الكاتبة المشهورة فشاع اصطناعها واستخدامها وبرع بذلك الاميركان بنوع خاص وكثرت معاملها وتنوعاتها وذاع استعمالها حتى لم تبق مدينة في العالم المتمدن لم تستعملها وحملها السياح والرواد المستعمرون الى أواسط افريقيا وأطراف آسيا شمالا الى القطب الشمالي وجنوباً الى اليابان والصين والهند والى أوستراليا وفي الاوقيانوس المحيط وغيرها وماذلك الا لسهولة استخدامها وكثرة فوائدها . وكانت

في بادىء الرأي لاتكتب الا بالاحرف الرومانية المشهورة التي يستخدمها الفرنسلويون والانكليز والاسبان والايطالياذ في كتابة لغاتهم . ثم رأى الالمان ان تكون أوامرهم الرسمية بالحرف الوطني فاصطنعوا لهم آلة تكتب به واصطنعوا نوعا منه يكتب اللغة الروسية وآخر يكتب العبرانية وآخر لليونانية وآخر للسيامية وأخيرا اصطنعوا آلة تكتب اللغة التبليغية من اللغات الهندية وكانوا يظنون كتابة هذه اللغة بهذه الآلة أمراً مستحيلا لكثرة حروفها وتنوعها وكان الساعي في اصطناعها مبشراً انكليزيا اسمه الدكتور شامبرلين أراد أن ينشر الكتاب المقدس بين الهنود بتلك اللغة فكتب الى بعض الشركات في أميركا يصف لها الحروف التبليغية ويطلب اليها اصطناع آلة تكتب بها فقعلت وجاءت متقنة . ولما كان ملك سيام في أوربا أحب «التايب رايتر» فأوصى أن يصنع في لغة بلاده فصنعوه

فالتايب رايتر الآن بالحروف الرومية والجرمانية والروسية والسيامية والهندية وأما العربية فقد حاول بعضهم اصطناع آلة تكتب بها فلم يصادف توفيقاً نظراً لاختلاف أشكال الحروف العربية باختلاف مواقعها كما لا يخفى ولكننا علمنا أن المصور الماهر سليم افندي حداد بالقاهرة قد فاز باصطناع تايب رايتر عربي جاء في غاية الدقة والسهولة ولكنه ينشره بعد فنساه أن يوفق الى مافيه خدمة اللغة والوطن

***

(احصاء الحروب في هذا القرن) وضع ضابط مجري احصاء في الحروب وخسائرها من الرجال والاموال ونسبة ذلك بين الدول المتحاربة يؤخذ منه ان أكثر الدول حروبا في هذا القرن الدولة العثمانية فقد بلغت

مدة الحروب عندها من سنة ١٨٠٠ — ١٨٩٦ نحو ٣٧ سنة ومدة السلم ٥٩ ويليها في ذلك اسبانيا فقد حاربت ٣١ سنة وارتاحت ٦٥ ثم فرنسا ومدة الحرب عندها ٢٧ سنة والسلم ٦٩ ثم روسيا وسنو حربها ٢٤ سنة وسلمها ٧٢ وتليها ايطاليا مدة حربها ٢٣ وسلمها ٧٣ ثم انكلترا حربها ٢١ وسلمها ٧٥ ثم النمسا والمجر حربها ١٧ وسلمها ٧٩ ثم هولندا حربها ١٤ وسلمها ٨٢ ثم جرمانيا (ماخلا بروسيا) حربها ١٧ وسلمها ٨٣ ثم بروسيا حربها ١٢ وسلمها ٨٤ وأسوج حربها ١٠ وسلمها ٨٦ والدانمارك حربها ٨ وسلمها ٨٨   (الهلال)

***

طول الحيوة

زعم مافنس المؤرخ الهندي ان رجلا يقال له كونيا من اهالي بنغال طوى من الاعوام ٣٧٠ والمؤرخ المذكور يأخذ بناصره لوبز كستفدس المؤرخ الملكي البرتغالي الذي كان في ابان وفاة كونيا السنة الـ١٥٥٦ وعلى الرغم من قول المؤرخين المومإ اليهما لايخلو هذا الامر من الريب ولكن سواء كان كونيا أو ذوو قرباه أو خلطاؤه يجهلون حقيقة الحين الذي برز فيه الى حيز الوجود فذلك لاينفي ان هذا المرء قد انتهى الى حدود عمر طويل فلما صار اليها سواء وقد وصف كونيا بانه كان انساناً متحلياً بصفات بسيطة وعائشاً عيشة هادئة راضية وقسراً عن كونه أمياً كان يستطيع ان يورد بالاسهاب والتدقيق كل الحوادث الهامة التي جرت منذ قرنين ونصف في حيوته . وقيل إنه اتخذ له زوجات عديدة في أثناء عمره الطويل

الاسباب وقد تغير لون شعره مرات جمة من الاسود الى الرمادي ومن الرمادي الى الاسود وهلم جرا « يا ليت الراوي ذكر شيأ عن اسنان الفقيد رحمه الله » وان الشخص الذي يتلو كونيا في طول العمر هو أكار فرنساوي يدعى بطرس زكترن قضى نحبه اليوم الـ ٢٥ من شهر كانون الثاني السنة الـ ١٧٢٤ في السنة الـ ١٨٣ من أجله وبعد زكترن تذكر زنجية اسمها لوزا تركسوا من أهالي توكوميا في أميركا الجنوبية وكانت السنة الـ ١٧٨٠ قد وصلت الى السنة الـ ١٧٥ من سنها وهي لا تزال ذات صحة جيدة ومن الامور التي تستحق الانتباه اليها انه كان يوجد في فرنسا أسرة يطلق عليها اسم روفن نذكر عنها ثلاثة أشياء غريبة

(أولا) أن مجموع عمر الوالدين كان ٣٣٨ سنة فالاب يوحنا روفن كان عمره ١٧٤ سنة والام ساره كان عمرها ١٦٤ . (ثانياً) انهما بقيا مرتبطين بحبل الزواج ١٤٧ عاما ومن الامور الغريبة التي يندر حدوثها انهما عاشا هذا العمر الطويل في السلام والمحبة والوفاق (ثالثا) عندما تصرمت أسباب حياتهما كان لهما ثلاثة بنين لا يزالون في قيد الحيوة أصغرهما عمره ١١٦٥ حولا

وفي انكلترا يوجد ثلاثة أشخاص فاقوا سواهم في طول العمر : الاول هنري جنكنس من بوركثير عاش ١٦٩ عاما وقيل انه وقف ذات يوم امام مجلس المدلية وأدى شهادة عن حادث منذ ١٤٠ حجة قبل ذلك العهد ومات هذا الرجل السنة الـ ١٦٧٠ في أرتن. الثاني عقيلة اكتن فانها كانت عائشة عيشة بسيطة وكانت أرملة يوحنا فرنسيس ادوردا كتن وجدة لوردا كتن ولدت السنة الـ ١٧٣٦ وماتت السنة الـ ١٨٧٣ في السنة الـ ١٣٧ من عمرها . الثالث توماس بار ولكن لسوء الحظ لم نحظ بعدد السنين

التي عاشها . ولا امتراء أن أقوى العوامل وأكبر الوسائل لاولئك الذين عاشوا هذه السنين الطويلة وطووا هذه الاعوام المديدة كانت السذاجة في معيشتهم والبساطة في أخلاقهم وعاداتهم   الحويك الياس (لبنان)

***

(شؤنات اسلامية)

جاء في أحد أعداد جريدة (لاغوس ديكل ويكورد) التي تصدر باللغة الانكليزية في مدينة لاغوس من افريقيا الغربية ما نصه

الذي يظهر للعيان ان المسلمين هنا آخذون بازدياد ونمو يوما فيوما. والذي يظهر من الحالة الحاضرة ان هؤلاء المسلمين سوف يستدخلون في دائرة الاسلامية جميع من في جهاتهم من أهل الملل والنحل

والأمر الحقيقي بامعان النظر أن أهل الملل والنحل الموجودين في تلك الجهات غير المسلمين كلهم مصابون بفساد الاخلاق ميالون الي ما فيه هلاكهم وموتهم حسا ومعنى فلو دخل أصحاب هذه الملل في دائرة الاسلامية وتخلصوا من الاحوال السيئة المديدة وقميم الاخلاق الشديدة وأصبحوا كلهم مسلمين لكان موجبا ذلك لسعادة حياتهم بدون ريب ولا اشتباه

***

اعلان مخصوص

ورد من لدن ملجأ الصدارة أمر سام مآله ان بيع البنات النصيريات كالاسيرات باسم الايجار الجاري في هذه الجهات منذ عهد طويل مما ينشأ عنه أنواع عديدة من القيل والقال والشكايات بل ربما تسبب عنه مالا يوافق الطريق المستقيم وان بعض أفراد من الطائفة الهدائية يسلمون

بناتهم الى زيد وعمر ومدة طويلة في مقابلة أجرة معلومة مما ينشأ عنه مالا يرضي من الاحوال ولا تحمد عقباه من الامور ولما كانت هذه العادات القطيعة مما يجب ابطاله فقد أبرم مجلس الوكلاء المنعقد على صفة خصوصية قراره على منع هذه الاعمال التي تقع باسم الايجار منعاً محتما فلا تقع بعد الآن أصلا وأبدا .وعليه تذرعت حكومتنا بالوسائط اللازمة وأوعزت لادارة البوليس والضابطة بالتيقظ والانتباه الى معارضة هذه القضية وليكون الحال معلوما عند العموم ابتدرنا اعلانه (فرات)

***

مراقبوا الجرائد في سوريا

كتب الينا بعض المشتركين في جريدتنا من أهل دمشق الشام في ٣ ربيع الاول ما نصه

احتجب المنار عنا بضعة أسابيع ونهار أمس الخميس وزع منه العدد المؤرخ فى ٢٣ صفر وكان حقه أن يوزع يوم السبت غير أنه بقي خمسة أيام في حجرة المراقب في دمشق ليفحص فحصاً ميكروسكوبيا على طريقة باستور وكوخ فيحلل حبره وورقه وتعرف الاجزاء المركب منها والالياف المؤلف منها الورق الخ والا فما معنى حبسه خمسة أيام بلياليها ٠ نعم ان للدولة حقاً في منع الجرائد المضرة المعادية للدولة والملة من الدخول الى بلادها غير ان المراقبين في دمشق وبيروت قد أساؤا الى استعمال وظائفهم بسبب جهلهم وغرضهم اللذين لا يفرقون معهما بين الغث والسمين، والهجان والهجين، فيمنعون مثل جريدة المنار العثمانية البحتة المتفانية بحب الدولة والامة وكثيرا مامنعوا الجرائد العلمية أو قطعوا منها صحفا ممدودة مما

لا موجب لمنعه سوى جهلهم المركب وغرضهم الدنئ وأغرب من هذا اختلاسهم الكتب والجرائد التي يستحسنونها قال بعضهم وردت لي رسالة في التوحيد فضبطت في بيروت وقال غيره وردت لي جريدة تصويرية فضبطت أيضا ولا موجب لضبطها سوى طمع المراقبين فيهما للحصول عليهما مجانا وأغرب من هذا وذلك ان عدداً معلوما من جريدة معلومة يراقبه المراقب البيروتي ويأذن بتوزيعه ولما تصل الاعداد الى المراقب الدمشقي يأمر بضبطها وعدم توزيعها على المشتركين في دمشق لان رأيه في ذلك يخالف رأي البيروتي وقد تدخل الجريدة الاستانة العلية والقدس مثلا عن طريق يافا وولاية حلب عن طريق اسكندرونه ثم تمنع عن بيروت وسورية للسبب نفسه والمراقب البيروتي أشد جهلا من الدمشقي فقد بلغني انه لا يعرف من القراءة والكتابة غير النزر اليسير فيستعين بأعوانه الذين هم أشد جهلا منه وكلاهما عقبة كؤد في سبيل المعارف وضرر محض على الدولة وماليتها يفعلان ما يفعلان إما جهلا أو لغرض أو ليظهر لاولياء الامور أهمية مأموريتهم ولزومها غير عالمين بما ينجم عن ذلك من الاضرار المادية والمعنوية فقد هجر كثيرون من الناس البوستة العثمانية وصاروا يبعثون رسائلهم مع البوستات الاجنبية التي لا تصل اليها أيديهم وقد ترد صحبة هذه البوستات جرائد ومطبوعات مما هو ممنوع حقيقة فيدخل البلاد بسلام وأمان ويحجز المنار وأمثاله. تلك حقائق أكتبها اليكم لتنشروها في جريدتكم حرصا على المصلحة العامة وأظن انها لا تؤثر بهؤلاء المراقبين الذين لا يبالون بما يفعلون وما يجلبون من الضرر على البلاد والعباد فعسى أن ترفعوا الشكوى عليهم للمراكز العالية في الاستانة العلية فالحق لا يحرم

نصيرا وغاية مانرجوه استبدالهم بغيرهم واراحة الناس من شرهم وجهلهم وبالله التوفيق

(المنار) ان جريدتنا لم تمنع الا في ولايتي بيروت والشام وان الرسائل ترد الينا من نواحي السلطنة بالثناء على صدقها في خدمة الدولة العلية والسلطان الاعظم بل جاءنا من الاستانة ان من عظماء المابين من يخصها بالثناء الفائق فنستلفت أنظار صاحبي الدولة والي سوريا ووالي بيروت المعظمين ان يعهدوا بمراقبة الجرائد لبعض أهل الفضل والاستقامة الذين ينهاهم علمهم ولا تسمح لهم أمانتهم ان يؤذوا أرباب الجرائد والكتب بغير ما اكتسبوا ويحرموا الامة من كثير من المعارف ويحملوا أعداء الدولة على رميها ببغض المعارف والتضييق عليها من غير تزييل بين ماينفع ومايضر وان لم يسمع نداؤنا في هذه الكرة فاننا نرفع ظلامتنا لاعتاب سيدنا ومولانا السلطان الاعظم ونبين لجلالته انه لاذنب لنا الا الاختصاص ومولانا بالثناء والصدق في خدمة دولته العلية والنصيحة للامة مع انتمائنا للعلم وانتسابنا للعترة الطاهرة النبوية كأنه يثقل على مراقبي جرائد سوريا أن يكون مثلنا خادما لدولته وأمته راضيا مرضيا عند امامه وسلطانه (*) وعسى ان يكفينا الامر هذان الواليان الجليلان خدمة للحقيقة ونكون لهما من الشاكرين

***

﴿ كريت ﴾

استرجعت دولة ايطاليا جنودها من كريت ويقال ان جواد باشا

(*) كتبنا هذا وامثاله في السنة الاولى ونحن نظن ان ذلك التشديد والتضييق على العلم من اولئك العمال ولم نلبث ان علمنا أنه بأمر السلطان وارادته

والبيا قد استقال لافتئات اميرالية أساطيل الدول لاسيما اصرارهم أخيراً على منع انزال الجنود العثمانية في خليج السواد ولعمر الحق ان عداء الدول الاوربية وعمالها في كريت لمما يقضي بالعجب من هذا التمدن المبني على أساس البغي والعدوان . وقد جرت عادتهم في غير هذه المسألة بتمويه البغي وزخرفته لكنهم لم يبالوا فيها بتشويهه بدلا من تمويهه

أنشأ الكاتب البارع عبد الوهاب عثمان بركات التونسي صحيفة سماها « السودان المصري » وكانها صادفت رواجاً فجعلها جريدة ذات أربع صحائف وهي سياسية أخبارية تاريخية تجارية تصدر في يومي السبت والثلاثاء من كل أسبوع موقتا وثمنها ٧٠ غرشا فى السنة لاهل الديار المصرية وهي تستقصي أخبار السودان ما استطاعت فنرجو لها النجاح والفلاح

بارقة نجاح (*)

لقد مر على البلاد المصرية زمن طويل ورياح الحوادث تدك مبانيها ، وتنسف أراضيها ، وتغرق سفنها ، وتفعل فيها الافاعيل ، ولا جرم فهي الريح العقيم ، التى لا تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ، عصفت صرصرا عاتية ، فتركت القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ولم تكد تبقي لمالهم من باقية ، لكن عهدنا برياح الحوادث والكوارث انها كالرياح الطبيعية منها ما يأتي بالعذاب والخراب ، ومنها ما يجيء بالخير والبركات ، وكم من بصير موفق استفاد من البلاء ، فعاد عليه بالسعادة والنماء ، وكم من مخذول أخرق أصابته النعمة ، فاساء استعمالها فكانت عليه نقمة ، فما بالنا نختال

(*) فاتحة العدد الحادي والعشرين الذي صدر في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣١٦

من جانب الفائدة، ونشقى من حيث ترتجى لنا السعادة، وغيرنا يستفيد حتى من الغوائل، ويربح من حيث يتوقع الخسران؟؟ كيف أمست معارفنا عافية، ومدارسنا دارسة، وتعليم أولادنا أخوف ما نخافه على استقلال بلادنا ؟، كيف باتت تربية أبنائنا أشد ما نحذره على نقض بنائنا، وإعضال دائنا ؟ كيف صرنا نفرق من المعارف وهي روح حياة الانام، أن تؤل بنا الى الموت الزؤام، وكفاك بإضعاف اللغة اضعافاً ينتهي بالاعدام. أما آن لمراثر الرجاء بالحكومة أن تسحل، ولحبال الآمال بمعارفها أن تقطع، ويرجع المصريون الى رشادهم، ويعتمدوا على قوتهم الشعبية واستعدادهم؟. أما آن لهذه الرياح التي تعصف في بلادهم أن توقظ قوما نياماً، وتثير في جوهم سحاباً ركاماً، يجودهم بالغيث الذي يحيا به الارض بعد موتها، وتعشوشب الاجواز بعد اقفارها، وتزدهي بكل زوج بهيج ؟؟ بلى قد رأينا في أوائل هذا العام قزعا من سحاب الهمم في جو مديرية جرجا وقد لاحت قزعة أخرى من عهد قريب في جو الاسكندرية وان بريق الامل والرجاء يلمع في هذه وتلك يبشر بان وراءه ربيعاً، وغيثاً مريعاً، لكنه يأتي رويداً رويدا

كمهدك في صوب المهاد مرتبا رذاذا وتهتانا اذا ما تحدرا

أعني بهذا ما ذكرناه في العدد الخامس عشر من الجمعية التي تألفت في مديرية جرجا بهمة سعادة مديرها الفاضل وما كان من نجاحها في افتتاح المدارس الوطنية الاهلية وما بشرتنا به الجوائب (الاخبار الطارئة) الاخيرة من نشاط أهل الاسكندرية لمثل ذلك وتأليف جمعية للاكتتاب وجمع النقود لانشاء مدرسة للبنين والبنات وما ظهر على العمل من علائم النجاح وامارات الفلاح

طلب أهل الاسكندرية من الحكومة أن تنشيء لهم أربع مدارس من قبل نظارة المعارف فأجابت النظارة بعدم امكان اجابة سؤلهم لإعسار خزينتها الآن فأخذت الاريحية بعض سكان « باب الجديد » و« محرم بك» من ذلك الثغر وحركتهم الحمية الوطنية لجمع المال بالاكتتاب وانشاء مدرسة للبنين والبنات فلم تمض طائفة من الزمن حتى جمعوا نحو مائتي جنيه وقد عرضت اللجنة المنتدبة لذلك على جمعية العروة الوثقى أن يجعلوا لديها ما يجمعونه من المال ويعهدوا لها بفتح المدرسة فأجابت الجمعية سؤلهم وقررت فتح المدرسة وتعيين المعلمين والمعلمات لها وقد أصاب الاهالي الغرض في تفويض هذا الامر لجمعية العروة الوثقى فانها بالمكان الذي يعرفه الجميع من السداد والانتظام

تبشرنا هذه الاعمال الغرر في الجهات المختلفة من القطر بأن العناية الالهية قد أعدت النفوس لنهضة عامة وان وراء هذا الطل البكور وابلا عاما غدقا (كثيراً) وظهر خطأ من يقول ان جماهير المصريين لا يبذلون الاموال الا في سبل الشهوات واللذات والزينة الباطلة والفخفخة الكاذبة وكل ما يسمى الانفاق فيه اسرافا وتبذيراً . ان المصريين لا قيمة عندهم للمال والا لما أسرفوا فيه وبذروه ثم انهم ككل البشر لا يبذلون المال الا في اجتلاب المنافع واجتناب المضار بحسب ادراكاتهم وعاداتهم التي تربوا عليها عملا وتخلقا فان الاعمال كلها — ومنها الانفاق — تنشأ إما عن الانفعال الطبيعي وإما عن الاعتقاد الراسخ في النفس بالعمل والعادة فاختلاف العمل وفساده انما يأتي من فساد التربية الذي يري الحسن قبيحاً والضار نافعا

ألم تر الى هؤلاء الشبان المسترسلين في الفجور المستهترين في العشق الفاسد كيف يتبارون في تنازع الكؤوس والاكواب ، ويتنافسون في الاستئثار بالبغايا والقحاب ، ولولا انهم يرون ذلك فضيلة ويعتقدونه كمالا لما تفاخروا في المسابقة اليه ، وتفانوا في احراز الغاية منه ، ثم انهم لا يطلقون عليه لقب الفضيلة والكمال لان الاستعمال اللغوي والاصطلاح الشرعي لهما الغلبة في المواضعة اللسانية . وقد مضت سنة الاولين في فساد الاديان والقوانين المدنية وسائر الروابط للامم بأن الفساد يطرأ أولا على الاخلاق والآداب النفسية ، ثم على الاعمال البدنية بالتدريج وآخر ما يبقى للامة المنحطة من دينها وآدابها وقوانينها الاصطلاحات اللفظية والشارات والشعائر العامة لكنها تبقى ألفاظا لا معاني لها ، وأفعالا لا فائدة منها ، أو كما يقول الصوفية قشوراً بلا لباب وأشباحا بغير أرواح

ما ذكرنا من مناشىء الاعمال انما هو في الاعمال التي تندفع اليها النفس من ذاتها مع الارتياح اليها وترجيح فائدتها عن إذعان وطمأنينة . وان من خصائص الانسان أن يقدر على الاتيان بعمل لا يكون مندفعا اليه من طبيعته ولا ترتاح اليه نفسه وانما يتكلفه تكلفا اذا ترجح عند عقله انه يدفع عنه بلاء ، أو يعود عليه بنعماء ، فاذا كان السواد الاعظم من المصريين عادم التربية الصحيحة التى تدفع الى الاتفاق على تعميم المعارف التى فيها سعادته فهو ليس فاقداً للانسانية التي من خواصها أن يتكلف الانسان العمل النافع تكلفاً اذا اقتنع بفائدته . فاذا قام خيار المصريين وأصحاب العقل والفضيلة المنتهون غيرة على وطنهم وألفوا جمعية كبرى للاكتتاب العام وجمع المال من جميع انحاء القطر فلا شك انهم يلاقون اقبالا ، ويصادفون

نجاحا ، لان الكثير من الناس يعتقدون ان نجاح البلاد واستقلالها انما يكون بالتربية والتعليم وأن تعليم الحكومة على قصوره قد اصطبغ بالصبغة الاجنبية فصار الخوف منه على البلاد اكثر من الرجاء به واذا ظل على سيره الذي هو عليه الآن فلا يمضي زمن طويل الا ويكون ضررا بحتا وبلاء صراحا قاضيا على الاستقلال، قاطعا للامل في الاستقبال ، ومن عدا هؤلاء فانهم وان لم يكونوا مدركين هذه الحقائق وأمثالها فقد أعدهم لادراكها الشعور العام بثقل وطأة الاجنبي وضغطه على بلادهم واستئثاره بمنافعها الكلية من دونهم والجرائد الوطنية الصادقة تنبههم على ماغفلوا عنه وتعلمهم ماجهلوه من الاخطار التي تتهددهم، والارزاء التي تتوعدهم ، ـ هذا ماعنيناه بقولنا ان العناية الالهية قد أعدت النفوس لنهضة عامة

واذا تألفت الجمعية برئاسة أحد العظماء الذين تركن اليهم النفوس وتطمئن بهم القلوب كدولة الوزير الخطير رياض باشا وكانت تحت رعاية الحضرة الخديوية الفخيمة وأقيمت لها لجان فرعية في انحاء القطر على نحو ما كان من جمعية الاعانة العسكرية السلطانية وسايرتها الجرائد المحلية في جميع سبلها وشعابها بالتذكار والنداء، وتواصل الحداء، وترفع للمحسنين رايات الثناء، ـ اذا كان هذا كله فلا تسل عما تصادف الجمعية من إقبال، وماتجمع من مال،

إن بعض الناس ينفق في هذا السبيل ابتغاء مرضاة الله تعالى وبعضهم يجود عن أريحية وكرم سجية وبعضهم يبذل رغبة في اقتطاف ثمار الثناء وطمعا بتخليد اسمه في سجل الاسخياء ومنهم من يعطي محبة في تعزيز وطنه، واعلاء شأنه، ومنهم من يجود مجاراة لجيرانه، ومباراة لاقتاله وأقرانه، ومنهم من يرضخ بالقليل، خوف القال والقيل، ولا إخال أحدا

من الوجهاء والمشاهير يمسك يده عن البذل في هذا المشروع، وهو يعلم ان الممسك فيه مذموم ومذؤم، عند أهل الدين وأهل الدنياء عند المتمدنين والمتوحشين ، بل عند الله وملائكته ورسله والناس أجمعين

اذا تسنى للمصريين تأليف هذه الجمية وأسسوا ادارة معارف وطنية يسهل عليهم تحويل الاوقاف الخيرية الاهلية المخصصة لمثل هذا العمل إلى صندوق الجمية ومطالبة نظارة المعارف بما تأخذه من مال الاقاف كل سنة لتنفقه على المكاتب الاهلية (وهذا ما اقترحه المؤيد الاغر) وتحول الجمية تلك المكاتب الى ادارتها وتنفق عليها مراعيـة لشروط الواقفين أو تبقى تابعة لادارة نظارة المعارف فيجري عليها نظام النظارة كغيرها بأن تكون عامة لجميع المصريين مسلمين وغيرهم – وينفق عليها من صندوق المعارف الذي هو من مال جميع المصريين

فيا أيها المصريون اعتبروا بحال اخوانكم الهنديين الذين فرطوا وقصروا فاعتورتهم المصائب، وانتابتهم النوائب، حتى علاهم الوثنيون، ووطأهم الاوربيون، فندموا على تضييع الفرص وهبوا لاغتنامها بعد نوم طويل وخمول مستغرق، اعتبروا بمن هو أقرب : لينظر المسلمون منكم الى الاقباط يروا أن لجميات الاقباط وهي عديدة ومتشعبة في جميـع القطر نحو أربعين مدرسة سوى المدرسة الكلية للبطريقخانة وليس للمسلمين الا جمية خيرية واحدة وكل مالها من المدارس أربع فقط ونسبة الذين يتعلمون في أوربا من الاقباط سواء كان على نفقاتهم الخصوصية أو نفقـة السكة الحديدية أو المعارف الى أمثالهم من المسلمين كنسبة الجميات الخيرية والمدارس الاهلية الى كل فريق مع ان الاقباط لا يبلغون في الحقيقة عشر المسلمين

عددا والمسلمون أوفر منهم ثراء وأكثر سخاء (كما قلنا من قبل) وأوقافهم الخيرية أوسع من أوقافهم . أيها المصريون قد سنحت لكم الفرصة فلا تضيعوها ، وفتحت لكم أبواب العناية وماعليكم الا أن تلجوها ، ان الزمان لكم بالمرصاد فيوشك أن يعارضكم غداً بما يعرض عنه اليوم ، وان يمنعكم بعد حين ما يمنحكم الآن ، فبادروا الزمان ، قبل فوات الامكان ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

نهضة مسلمي الهند

(تابع ما قبله)

أول من نهض لنشر التعليم وتعميم التربية في مسلمي الهند هو الرجل العظيم (السيد أحمد خان) مؤسس مدرسة « دار العلوم الشرقية الكبرى »

نظر هذا الرجل المجدد في شؤون بلاده فرأى أن الوثنيين قد سبقوا المسلمين في العلوم والمعارف والعمل والكسب وفي نتائجها من الثروة الواسعة ، والعزة الرافعة ، وسائر ما أسأره (أبقاه) الانكليز لاهل تلك البلاد من سلطة ومنفعة ، رأى هذا كما يراه كثيرون من أهل البصيرة ولكن أشعة بصره تخطت المعلولات الى العلل ، وانتقلت من العلل الى كشف علاج الامراض التي منت أفكار المسلمين بالسكون ، وألسنتهم بالسكوت ، وأيديهم بالشلل ، وأرجلهم بالقزل ، حتى باتوا بلا علم ولا عمل — نظر نظرة حكيم ، فاهتدى الى الصراط المستقيم ، وماهو الا تعميم التربية والتعليم ، كم من عالم لا يعمل بعلمه ، وكأين من طبيب لا ينفع مريضاً

بطبه ، ولكن السيد أحمد خان علم فعمل وطب لمن حب فنفع وأفاد ، وهدى الى سبيل الرشاد ،

كان زيت هذا الرجل في مشكاة نفسه الزكية صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما زار انكلترا ورأى ما فيها من الجد والكد، مسته نار الغيرة فاشتعل نورا على نور، واعتزم من ذلك الحين على انشاء مدرسة جامعة في وطنه تشابه احدى المدرستين الكبيرتين في انكلترا «كلية كامبردج» أو «كلية اكسفورد» فرجع الى وطنه بلسان خاطب، وسعي دائب، يذكر ويحذر، وينذر ويبشر، فقابله قومه بالسخرية والاستخفاف، وكثر في شأنه اللغط والارجاف، سنة الله في المصلحين مع المفسدين، وفي المحقين بين الواهمين، وفي العالمين لدى الجاهلين، وفي الانبياء والمرسلين، مع الامم الكافرين ، ولكن الرجل لم يثن عزيمته عن الايضاح والايجاف، ما قوبل به من الاستخفاف، ولم يبال بعدم المساعدة والموازرة، فبدأ بالعمل على نفقة نفسه فحمل ذلك بعض عشيرته الاقربين، وأصحابه الصادقين، على ان يساعدوه ويعضدوه، فانتشر رأيه رويدا رويدا كما هو الشأن في كل مشروع مفيد وكان هو المبدأ لهذه النهضة الحاضرة في الهند والمفيض لروح التربية والتعليم على جثمان مسلمي تلك الممالك

أسس مدرسته الشهيرة « دار العلوم الشرقية الكبرى » في مدينة (عليكره) من انحاء الهند الشمالية الغربية في سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م وفي سنيها الاولى لم يردها الا قليل من الطلبة ولم يكن فيها الا بعض الاساتذة الوطنيين ولم يأت عليها بضع سنين حتى تحولت الى مدرسة كلية جامعة وتلامذتها اليوم يكادون يبلغون بضع مئين وأحضر لها بعض الاساتذة

والمعلمين من الاوربيين وقد تخرج منها شبان بارعون في جميع الفنون وهم موضوع فخر البلاد الهندية وموضع أملها ورجائها في تعميم التربية الفاضلة والتعليم الصحيح مع الاستغناء عن الاجانب

مات السيد احمد خان من نحو ثلاثة أشهر فكان لمصابه رنة أسف في تلك الديار، وطير البرق نعيه الى سائر الاقطار، ولقد أبنه بعض الفضلاء عند جدثه فقال كلمة جليلة نقلتها الجرائد وحفظها التاريخ، كلمة كانت أبلغ نعت للفقيد وأحسن تعريف له وهي قوله مشيرا الى القبر « هذا قبر أمتنا » ولعمري ان ذلك المفرد العلم هو الذي يصح ان يقال فيه « يا مفردا هو في أثوابه امم » لان من أوجد الامة وأحياها كان هو اياها . عظم قدر الرجل في نفوس قومه بعد فقده ولا يزال يعظم وينمو بنمو تعاليمه وانتشارها ولا يعرف اقدار الرجال العظام في حياتهم الا الامم العالمة الراقية أعلى مراقي التمدن كذا أفادنا التاريخ القديم والحديث . اتفق مسلمو الهند العارفون بقدر الرجل والذين قدروا الروح الذي أفاضه على الامة بخطبه وسعيه حق قدره على انشاء مدرسة جامعة مشابهة لمدرسته تسمى باسمه وتكون تذكارا لحياته الطيبة واعترافا بفضله وتألفت جمعية لتنفيذ المشروع سميت « جمعية احياء المرحوم السيد أحمد خان » وقد بعث كاتب سر الجمعية (السكرتير) رقيما الى جميع أعيان المسلمين وفضلائهم الذين يعرفون فضل الفقيد يدعوهم فيه الى مساعدة المساعدة للجمعية افتتحه بالثناء الاوفى على فقيد الملة والوطن مصرحا فيه بمعنى قول الشاعر

هيهات أن يأتي الزمان بمثله   ان الزمان بمثله لبخيل

ثم قال « ولكننا لا نرتاب في أن الحركة الفكرية ، والنهضة العلمية ،

اللتين أوجدهما المرحوم السيد احمد خان لا يعتريهما سكون ولا سقوط مالم يفاجئنا الدهر بحادث غير منتظر ومن أعظم واجباتنا وأقدسها أن نعمل بكل مافي امكاننا لاتمام مشروعاته الجليلة والسير على منهاجه في أعماله » ثم ذكر ان أول من اقترح هذا العمل المفيد هو السيد قطب احمد خان وان مليون روبية (مائة الف جنيه؟) تكفي لانجازه واستنهض همم الشبان الاذكياء لتأليف اللجان في جميع المدائن والقرى للحض على الاكتتاب وخصص بالذكر الشبان الذين تخرجوا من مدرسة «عليكره» وحتم على جميع الجرائد الاسلامية موالاة الكتابة في الموضوع والتحضيض على الاكتتاب وأوجب على رئيس الجمعية وكبار أعضائها المؤسسين التجوال في البلاد ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وصرح بأن على الجمعية أن تقبل قليل التبرع وكثيره مع الشكر والامتنان ليتمكن مجموع الامة من الاشتراك في هذا المشروع الشريف . ولقد لبي الهنديون النداء بكل رغبة وحمية فانبرت جرائدهم للكتابة وفصحاؤهم للخطابة وعامتهم وخاصتهم للاجابة انتهازاً للفرصة واغتناماً للنهزة فعسى أن يقتدي بهم المصريون وسائر العثمانيين فيلتفتوا الى هذا الامر الذى هو كل أمر وهو (التربية والتعليم) والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(تأثير الاعتقاد في العمل)

يحكى ان رجلين اصطحبا في بعض الاسفار أحدهما مجوسي من أهل كرمان والآخر يهودي من أهل أصفهان وكان المجوسي راكباً على بغلة له وعليها كل ما يحتاج المسافر اليه في سفره من الزاد والنفقة فبينما هما يتحدثان

اذ قال المجوسي لليهودي ما مذهبك وما اعتقادك ياهذا ؟ قال اليهودي أعتقد ان في هذه السماء إلهاً أعبده بنو اسرائيل ، وأنا أعبده وأسأله واطلب اليه ومنه سعة الرزق، وطول العمر، وصحة البدن والسلامة من الآفات، والنصر على الاعداء ، أريد منه الخير لنفسي، ولمن يوافقني في ديني ومذهبي، ولا أفكر فيمن يخالفني في ديني ومذهبي ، بل أعتقد ان من يخالفني في ديني ومذهبي فحلال لي ماله ودمه وحرام علي نصيحته ونصرته ومعاونته والرحمة له والشفقة عليه ، ثم قال للمجوسي قد أخبرتك عن مذهبي واعتقادي لما سألتني ،فاخبرني أنت أيضاً عن مذهبك واعتقادك ،قال المجوسي: أما اعتقادي ورأيي فهو اني أريد الخير لنفسي ولابناء جنسي كلهم، ولا أريد لاحد من الخلق سوءا ، لا لمن كان على ديني ووافقني، ولا لمن يخالفني ويضادني في مذهبي، فقال اليهودي وان ظلمك وتعدى عليك؟ قال نعم قال لاني أعلم أن في هذه السماء الهاً خيراً فاضلا عادلا حكيما عالما لايخفى عليه خافية من أمر خلقه، وهو يجازي المحسنين باحسانهم، ويكافيء المسيئين باساءتهم، فقال اليهودي له فلست أراك تنصر مذهبك، وتحقق اعتقادك، فقال المجوسي كيف ذاك ؟ قال اليهودي لاني من أبناء جنسك ، وأنت تراني أمشي متعبا جائعا وأنت راكب شبعان مرفه ، قال صدقت فما تريد ؟ قال اليهودي اطعمني شيئا واسقني واحملني ساعة فقد بليت لاستريح ساعة فنزل المجوسي عن بغلته وفتح سفرته واطعمه وسقاه حتى أشبعه وأرواه ثم أركبه ومشي معه ساعة يتحدثان فلما تمكن اليهودي من الركوب وعلم ان المجوسي قد عيي حرك البغلة وسبقه وجعل المجوسي يعدو ويمشي ولا يلحقه فناداه (ياموشا)

قف لي فقد عييت واحملني معك ولا تتركني في هـذه البرية فتأ كلني السباع أو أموت جوعا وعطشا وارحمني كما رحمتك وجعل اليهودي لا يفكر في ندائه ولا يلوي عليه حتى مضى وغاب عن بصره فلما يئس منه المجوسي وأشرف على الهلاك تذكر تمام اعتقاده وما وصفه له بأن في هذه السماء آلها خيراً فاضلا عالما عادلا لا يخفى عليه من أمر خلقه خافية فرفع رأسه الى السماء فقال يا آلهي قد علمت اني أعتقد مذهبا ونصرته وحققته ووصفتك بما سمعته وعلمته فحقق عند (موشا) ما وصفتك به ليعلم حقيقة ما قلت فما مشى المجوسي الا قليلا حتى رأى اليهودي وقد رمت به البغلة فاندقت عنقه وهي واقفة بالبعد منه تنتظر صاحبها فلما لحق المجوسي بغلته وركبها ومضي لسبيله وترك اليهودي يقاسي الجهد ويعالج كرب الموت ناداه (يامضا) ارحمني واحملني ولا تتركني في هذه البرية فيأكلني السباع أو أموت جوعا وعطشا وحقق مذهبك وانصر اعتقادك فقال المجوسي قد فعلت مرتين ولكن بعد لم تفهم ما قلت لك ولم تعقل ما وصفت لك فقال اليهودي فكيف ذاك قال لاني وصفت لك مذهبي ولم تصدقني بقولي حتى حققته بفعلي وأنت بعد لم تعقل ما قلت لك ذلك اني قلت ان في هذه السماء الها خيرا فاضلا عالما عادلا لا يخفى عليه خافية وهو يجازي المحسنين باحسانهم ويكافيء المسيئين باساءتهم قال اليهودي قد فهمت ما قلت وعلمت ما وصفت (يامضا) قال المجوسي فما الذي منعك ان تتعظ بما قلته لك (ياموشا) قال اليهودي اعتقاد قد نشأت عليه ومـذهب قد اعتقدته وألفته وصار عادة وجبلة بطول الدؤوب فيـه وكثرة الاستعمال له اقتـداء بالآباء والامهات والاستاذين والمعلمين من أهل ديني ومذهبي وقد صار جبلة وطبيعة ثابتة

يصعب على تركها والاقلاع عنها فرحمه المجوسي وحمله معه حتى جاء به الى المدينة فسلمه الى أهلها مكسورا وحدث الناس بحديثه وقصته معه فجعل الناس يتعجبون من أمرهما فقال بعض الناس للمجوسي كيف رحمته بعد شدة جفائه بك وقبيح مكافأته احسانك اليه ؟ فقال المجوسي اعتذر الي وقال مذهبي كيت وكيت وقد صار جبلة وطبيعة ثابتة لطول الدؤوب فيه وجريان العادة به يصعب الاقتلاع عنها والترك لها وأنا أيضا قد اعتقدت مذهبا قد صار عادة وجبلة وطبيعة أخرى يصعب علي تركها والاقتلاع عنها

(رواية الفتاة الشركسية)

أهدانا جناب الشاب النبيه المهذب زكريا نامق افندي نسخة من « رواية الفتاة الشركسية » التى ألفها وطبعها حديثا وهي قصة وقعت في غضون المحاربة الاخيرة بين الدولة العلية واليونان قصها عليه من وقف عليها فأدخلها هو في سمط التأليف وزينها بالصور لتكون حوادثها أكثر وقعا في النفوس. موضوع الرواية أدبي وطني غرامي وهي من النزاهة بالمكان المحمود وقد تصفحناها فلم نر فيها منتقدا معنويا إلا ماذكره في فاتحتها من أن أصل الشراكسة من عرب قريش وان « السبب في مبارحتهم بلاد العرب هو ان كبيرهم كساء بن عمرو بن عبدود العامري آذى أحد الانصار في مدة خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي أراد أن يقتص منه طبقا للشرع فلم يقبل كساء وسرى هو وقومه فقالت العرب سرى كساء أو جرى كساء ومن هذا جاء اسم الشراكسة أو الجراكسة ولما سكنوا شمال جبال القوقاز حفظوا دينهم وعوائدهم وفقدوا لغتهم العربية » . نقل المؤلف

أصل هذه الدعوى « كون الجركس من العرب » عن محدثه بخبر الرواية وتفصيلها عن التاريخ والذي يعرفه التاريخ الصحيح ان الشراكس من سكان بلاد القافقاس أو القوقاس الاصليين، وكانوا متوحشين، لا يدينون بدين، الا انهم اتخذوا لهم شجرة يسمونها « قودوش » وصاروا يعبدونها هم وقبائل الاباز المجاورون لهم ومظهر الالوهية في تلك الشجرة عندهم انها مكونة من وشائج أشجار مختلفة وشجت واشتبكت فكانت دوحة واحدة وانه يأتيها في كل سنة طائر عظيم يسمى « بوغه » فيهوي اليها ويجثم بجانبها يبتغي أن يكون قربانا لاجلها ولذلك لا ينفر من مريد اصطياده عندها وقد جرت عادتهم أن يأخذوه ويذبحوه ويصبوا على رأسه وعينيه خمرا ثم يرفعون عماراتهم (جمع عمارة بالفتح وهي كل ما يلبس على الرأس) عن رؤوسهم ويجأرون بالدعاء قائلين الهنا ان عنايتك بعبيدك ليس لها كم ولا كيف فلا تحصر ولا تحدد ثم يسجدون للشجرة مخبتين متضرعين وبعد ذلك يقسمون لحم البوغه وجلده بينهم، وينصرفون شاكرين معبودهم، ويتخذون لالهم « قودوش » نوابا من الشجر في الارجاء المختلفة يجعلون للشجرة التي تعجبهم حظيرة تحجب عن العيون ساقها وأطرافها ويلفون على أعلاها أكداسا من الحشيش يربطونها بالحبال ويكورونها كالعمامة ويسمون هذا النائب الالهي « طفالك » ويسجدون له ويطلبون منه سائر المصالح والحوائج ولهم في ذلك خرافات غريبة ولقد أسلم كثير من قبائلهم على ايدي العرب عند ما بلغوا بلادهم وسرى اليهم الاسلام أيضا من ممازجتهم التتار واختلاطهم بهم في بلاد القرم وما زال اسلامهم ممزوجا بالباطل والخرافات حتى جاءهم فرح علي باشا واليا من قبل المرحوم السلطان

عبد الحميد الاول وفي عهده عمهم الذين نزعوا عن التقليدات والشوائب التي كانت تشوب عقيدة المسلم منهم . أين هذا مما جاء في الرواية من كونهم عربا مسلمين وليسوا من أهل تلك البلاد الاصليين واذا التفتنا الى التاريخ الطبيعي نراه أيضا يفند القول بكونهم من عرب الحجاز كما هو ظاهر للعيان ولا لوم على المؤلف في ذكره فانه ناقل لكن كان عليه أن يشير الى ضعفه على الاقل ولقد أطلنا في ذكر عقيدتهم لاقل مناسبة لما فيه من الغرابة والفائدة . أما المنتقدات اللفظية في الرواية فهي كثيرة اللحن والغلط فعسى ان يعتني حضرة المؤلف بضبطها وتصحيحها في طبعة ثانية . وفي الختام نحث الادباء على مطالعة الرواية ونرجو لها الرواج

مقتطفات من الجرائد

(هبات علمية)

لا نظن أن قارئا يقرأ عنوان هذه النبذة الا ويعلم اننا سنذكر فيها بعض الهبات الاميركية ولو كان أهالي أميركا مشغولين بالحرب المستعرة نارها بينهم وبين الاسبانيين نعم ان الهبات الاميركية فقد جاء في جريدة سيئس (العلم) ان الدكتورة اليصابات باتسن تركت لمدرسة مشيغان الجامعة ١٢٥ ألف ريال لينفق ريعها في تعلم أمراض النساء والاطفال وان زوجة مستر باتون في نيويورك تركت مئة ألف ريال لمدرسة برنستن الجامعة وان زوجة المستر هارست ستبني بناء في مدرسة كليفورنيا الجامعة لاجل تعليم الهندسة المعدنية تنفق عليه ٥٠٠ الف ريال وان المستر بونت ترك لمدرسة

بنسلفانيا الغربية ٣٠٠ ألف ريال تستولي عليها بعد وفاة زوجته والمستر فيليب ارموروهب مدرسة الصناعة في شيكاغو خمس مئة ألف ريال وقد وهبها قبلا مليونا وخمس مئة ألف ريال فصارت هباته لها مليوني ريال أي أربع مئة ألف جنيه وان المستر وشنطون ديوك وهب مدرسة الثالوث في درم مئة ألف ريال فصارت هباته لها ٤٢٥ ألف ريال ووهب الدكتور بيرسفس مدرسة بحيرة الملح الكلية خمسين ألف ريال مشترطا أن يجمع أصحابها مئة ألف ريال أخرى في مدة سنة

هؤلاء أناس يعلمون ان عظمتهم وعظمة بلادهم تقومان بالاتفاق على العلم لا على المآدب والولائم. وهم وأمثالهم سيملكون الارض ويصير المتباهون بالباطل عبيداً لهم

***

﴿ رواتب الملوك ﴾

جاء في مجلة كاسل ان راتب قيصر الروس السنوي ١٨٠٠٠٠٠ جنيه وراتب أمبراطور المانيا ٧٠٠٠٠٠ وراتب امبراطور النمسا ٩٠٠٠٠٠ وراتب ملك ايطاليا ٥٨٠٠٠٠ جنيه وراتب شاه العجم ٤٨٠٠٠٠ جنيه وراتب ملكة الانكليز ٣٨٥٠٠٠ جنيه أما رؤساء الجمهوريات فأولهم رئيس جمهورية فرنسا وراتبه السنوي ٤٩٠٠٠ جنيه وراتب رئيس جمهورية الولايات المتحدة ١٠٠٠٠ جنيه فقط وهو أعظم الجمهوريات وأغنى البلدان ، وأقل الرؤساء راتباً رئيس جمهورية سويسرا وراتبه السنوي ٦٠٠ جنيه أي أقل من راتب أصغر مدير في القطر المصري وسكان سويسرا نحو ثلاثة ملايين نفس المقتطف

يبلغ عدد الجرائد في القطر المصري على اختلاف أنواعها ٨٧ جريدة ما عدا الجرائد الرسمية منها ٦٠ جريدة تطبع في مصر و٢٢ في الاسكندرية و٥ في بورت سعيد والجرائد العربية ٣٠ جريدة سياسية و٤ هزلية و٩ مجلات علمية أدبية صناعية و٣ زراعية و٣ قضائية و٣ طبية و٣ دينية و٢ نسائية و١ مدرسية ومن الافرنجية ٢١ سياسية و١ هزلية و٣ مجلات علمية أدبية صناعية و١ تجارية و١ قضائية و١ مدرسية و١ خاصة بطوابع البوسطة فمجموع الجرائد الافرنجية ٢٩ جريدة (المقطم)

تقريظ المنار

لم يكد ينتشر العدد الاول والثاني من المنار حتى طفق الادباء يقرظونه وقد اعتذرنا في العدد الثالث عن نشر ما يرد الينا من التقاريظ « اذ من المنتقد عندنا أن ينشر الانسان مدح نفسه لاسيما اذا كانت الاماديح تخيلات شعرية والقابا ونعوتا كما عليه أكثر المقرظين » فقل ورودها لكن لم يكاتبنا أحد من الفضلاء في قطر من الاقطار الا ويثني على المنار أطيب الثناء كما نسمع الثناء شفاها من الفضلاء وغيرهم وقد اضطرنا الضغط من مراقبي بيروت الى الالماع بذلك غير مرة لاجل الاحتجاج عليهم وانما ننشر الآن رقيما ورد علينا من فضيلة الاستاذ الشيخ علي افندي رشيد الميقاتي من أشهر علماء طرابلس الشام المعروفين بمحبة الحضرة السلطانية المعظمة والمواظبين على الدعاء لها بالنصر والتأييد قال فيه بعد رسوم المخاطبة ما نصه :

اذ يكن قد مضى الوقت العرفي لتقديم التبريك لحضرتكم والثناء على المنار الذي ضربت أشعة نوره في سائر الاقطار فان أداء الدعوات

مطلوب في جميع الاوقات وعلى الخصوص صار امامي مجال واسع وميدان فسيح لمدح المنار وترتيل آيات الثناء عليه فقد مضى زمن تحققت فيه غايته النبيلة ومقاصده الشريفة الجليلة وتجلت آيات فضله البينات وتوالت محكمات حكمه التي هي غاية الغايات في ارشاد الخلق الى طريق الكمالات فالآن ياسامي الكعب على الاقران الذي ان شاء الله ستفخر به الاوطان أقدم لك التبريك بما وفقت اليه من السير على النهج القويم واثني على المنار المنير وأعيذه من شر كل حاسد وكيد كل شيطان رجيم

أيها الرشيد

دم على ما أنت عليه من الميل القويم والاخلاص الصادق لدولتنا العلية دولة الاسلام أيدها الله ولمليكها مولانا وسيدنا السلطان الاعظم نصره الله وانشر مآثره الغراء وأياديه البيضاء وأبذل الجهد بان لايخلو المنار دائما مما فيه مسرة قلوب المسلمين عموما والعثمانيين خصوصا وادفع بالتي هي أحسن مايصلكم من عوامل الاساءة كما تدفع بعدم المبالاة عوامل الاعتراضات فالاساءة لكل مشروع والاعتراض عليه قبل سبر غوره وظهور خيره أو شره هو سنة فينا ولن تجد لها تبديلا عنا الا بعد تعميم التعليم والتربية (كما أفاد المنار) هذا واني أرفع أكف الضراعة لحضرة الحق المتعال متوسلا بروحانية حضرة صاحب الشفاعة والكمال صلى الله عليه وسلم ان يديم عرش الخلافة العظمى وسرير السلطنه العثمانية الاسمى وينصر حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين السلطان الاعظم الغازي عبد الحميد خان وان يوفق رجاله لما فيه خير الملة والدولة والوطن وان يأخذ بيدكم في مهامكم وينيلكم رغائبكم ويمدكم بالتوفيق فهو نعم الرفيق ويقطع

بسيف قلمكم الباتر رقاب جيوش الاباطيل ويكثر رجال الحق من امثالكم كما يكثر بين الصحف العربية الاسلامية العثمانية من أمثال المنار آمين

(مشائخ الطرق)

انا نرى بعض المتصدرين للارشاد عن غير أهلية ولا استمداد قد جعلوا الطريق زعامة سياسية وأنشأوا لهم جرائد يبثون أفكارهم المضرة فيها ولقد تسلق بعضهم الى الكلام في مقام الخلافة والارجاف بأن بعض العظماء يسعى لها سعيا يوهمون الناس ان الخلافة على طرف الثمام وانها يمكن أن تنال بالسعي والاقدام وهم مع ذلك يعلمون ان هذا المرمى بعيد المنال ، لا تتطاول اليه أعناق الرجال ، ويعتقدون كما يعتقد العقلاء أجمعون ، انهم يتذقحون ويتجرمون ، ويقولون الكذب وهم يعلمون ، ولكن ارجافهم لايخلو من تغرير لعقول العامة وخداع للبسطاء كما انه جراءة على مقام الخلافة الرفيع ولو صدقوا في قولهم انهم يخدمون الخليفة اسكتوا عن اذاعة هذا الدث والرجم من القول حتى لو فرض انه واقع لئلا يوهموا الناس امكانه وهو ليس بالممكن ويسؤنا ان نرى أرباب المظاهر فينا يتصدى أحدهم للامر الذي لا يحسنه ويعمل بغيره مما لا يحسنه فيضل عن رشاده ولا يكون ظافراً بمراده

يوشك أن يكون بعض هؤلاء المرجفين مندفعاً الى عمله السيء بدسيسة أجنبية فقد استخدمت فرنسا أرباب الطريقة التيجانية لنفوذها في الجزائر وتونس واستخدمت انكلترا أرباب الطريقة الميرغنية لنفوذها

في شرقي افريقيا وسنكتب في هذا الموضوع رسالة مسهبة في العدد التالي ان شاء الله تعالى

هكذا فليكن

يحضر في هذا اليوم من أوروبا رجل العلم والفضل ومثال الهمة والاقدام صاحب العزة سعد بك زغلول المستشار في محكمة الاستئناف الاهلية . لماذا رحل الى أوروبا وبماذا رجع ؟؟ هل كانت رحلته لاجل أن يستنشق هواء غير هواء بلاده ويحتسي ماء غير ماء النيل مبالغة في الترف والرفاهة ام ذهب ليستحم في المياه المعدنية خدمة لجسده؟ ام ظعن لمعاقرة الخمور ، ومعانقة الحور ،والتمتع بالشهوات،والانغماس في اللذات ؟ أم سافر للتشرف بتلك البلاد والتفاخر بمخالطة أهلها وتقليدهم واحتذاء مثالهم في حركاتهم وسكناتهم وسائر عادهم (جمع عادة) . وهل رجع يحمل أثقالا من الازياء والحلي والماعون النفيس كما يفعل المتطرزون (المتأنقون في الملبس) من المصريين الذين يتبجحون في المسابقة الى احتذاء الافرنج في آخر طراز « مودة » يبتدعونه . أم عاج باوزار من الخمور والاشربة الخبيثة وأنواع من الاعطار النفيسة كما هو شأن المتنوقين والمترنين (المبالغين في التنعم والتطيب) من هذه البلاد . أم جاء يملأ ماغضيه فخرا بما نال من الشرف الرفيع بمثافنة المسيو فلان ومخاصرة المدام فلانة وبما رأى فى الاوبرا والبالاو والاوتيل ؟؟ كل ذلك لم يكن وما كان لهذا الفاضل ان يقضي ايام اجازته كما يقضيها السفهاء من الناس وانما سافر ليؤدي الامتحان النهائي لنوال شهادة الحقوق (لسانسيه)

فأداه أحسن اداء ورجع نائلا الشهادة على اكمل وجه . رب ناظر فيما كتبنا يعجب ان مستشارا في محكمة الاستئناف يذهب الى اوروبا لاداء الامتحان واخذ الشهادة في علم الحقوق ويجب ان يقف على شيء من سيرة الرجل العلمية وانا نشير الى مجمل منها بوجيز القول لتكون اسوة للمجدين وحجة على المقصرين فنقول

جاور سعد بك في الازهر وأخذ من علومه جملة صالحة ونهض به من خمول الازهريين انه صادف أستاذاً حكيما نفث في روعه روح الاقدام والهمة وحبب اليه أن يكون عضوا عاملا في الامة ألا وهو العلامة الشيخ محمد عبده الشهير فجد الرجل واجتهد وارتقى من حرفة المحاماة الى مرتبة القضاء في الاستئناف ولم يكن هذا كله بالذي يقنعه أو يقف بهمته عن تحصيل المعارف ، تعلم اللغة الفرنساوية باتقان ودرس فيها علم الحقوق - وما أدراك ما علم الحقوق - حتى نال الشهادة التي علمت كل هذا ومدرسته بيته ولقد بلغ من اجتهاده انه يدرس في اليوم والليلة ست عشرة ساعة الى ثماني عشرة ساعة رغما عن كثرة عمله القضائي وغيره ولقد اعتراه من كثرة الدرس أرق شديد بقي له ليالي لا يطعم النوم فكان يقضي الليل كله بالمطالعة ، لعمر الحق لو انجبت الملايين العشرة من المصريين ألف رجل مثل هذا الرجل لنهضوا بعصر نهضة الابطال وأنالوها سعادة الاستقلال داحضين بأعمالهم حجج الاحتلال فنرحب بالقادم ونهنئه ببلوغ الآمال منشدين قول الشاعر

هكذا هكذا والا فلالا		ليس كل الرجال تدعى رجالا

سلطة مشيخة الطريق الروحية(*)

لقد أتى على الانسان في طور اجتماعه أدوار، ومرت عليه اجيال واعصار، وهو مغلول الارادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين للقائمين عليهما النفوذ التام في افراده، والتصرف المطلق في آحاده، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة، أو كما يقول أهل العصر السلطة الروحية والسلطة الزمنية. سلطتان لا يتم نظام الاجتماع بدونهما، ولا تحصل السعادة الا بهما، بل لا تتكون الامم والشعوب الا باحداهما او كلتيهما الان معنى الشعب المجتمع أو الامة المتمدنة أفراد من صنف واحد وأصناف متعددة تجمعها وتضمها رابطة توحد المتعدد بوحدة الاعتقاد والعمل أو وحدة الحكم والنظام ولا معنى للسلطتين المتحدث عنهما الا ما به قوام هاتين الوحدتين من القوانين الاعتقادية، والادبية والشرائع العملية والقضائية، ولما كانت سعادة الامم بالوحدة القائمة بالسلطة كان شقاؤها بانفصام عرى الوحدة الناشيء عن نقص القوانين والشرائع عن حاجة الامة وعن نكوب القائمين بتعليمها وتنفيذها عن جادة الحق فيها وهكذا ينزل البلاء من جهة النماء، ويأتى الضعف من جانب القوة، لان النسبة بين السعادة والشقاء ونحوهما كالنسبة بين البصر والعمى فاذا تصور العمى فانما يتصور حيث يكون البصر لانه فقده وعدمه وكذلك يقال في سائر ما يسمون المقابلة فيه مقابلة العدم

(*) فاتحة العدد الثاني والعشرين الصادر في ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣١٦

والملكة أو النقيضين وما بمعناهما كالسعادة والشقاء والقوة والضعف والغنى والفقر والعزة والذلة وما أشبههما

اذا فوض أمر السلطة الزمنية أو الروحية في الامة لرجل واحد طاعته واجبة ومشيئته نافذة لا راد لامره ولا معقب لحكمه فسعادة تلك الامه وشقاؤها وعلمها وجهلها وغناها وفقرها انما يكون ذلك كله وأمثاله تابعا لحال ذي السلطة فاذا كان خيرا فاضلا حكيما خبيرا أحوذيا (هو المشمر للامور القاهر لها الذي لا يشذ عليه شيء) شمريا (بتثليث المعجمة وتشديد الميم المجرب الماضي في الامور) نهض بالامة ورقاها في معارج الفلاح وصعد بها الى قنة السعادة، واذا كان شريرا جاهلا أخرقا أو إمعاء (بكسر الهمزة وتشديد الميم الذي لا رأي له ولا عزم يتابع كل أحد على رأيه في الدين وغيره) أو غملاجا (بكسر المعجمة وهو الذي لا يثبت على حالة يكون تارة حسن الخلق وتارة سيئه فرة ظالما ومرة عادلا وآنا محسنا وآخر مسيئا) ط بالامة الى درك الشقاء ويضرب عليها الذلة والمسكنة وينتهي بها ى شر مصير

وبالجملة ان أمة هذا شأنها تكون دائما متقلقة كقدح الراكب، لا تثبت على حال، ولا تستقر على شأن، وجميع ما ينتاب الامم من رفعة وضعة وعلم وجهل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه لتصرف الامراء والحاكمين، والرؤساء الروحيين، ولقد كان الشر أغلب على الامم من الخير والضلال أكثر استحواذا عليها من الهدى والشقاء أشمل لها من السعادة لان الرئيس الفاضل الحكيم لا يأمن من العثار واذا عثر عثرت معه الامة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهل الغوي في مدة قليلة ما بنته الحكماء في الاجيال

الطويلة . لهذا كانت سعادة البشر موقوفة في نوالها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية وجعل الناس فيها شرعا (بالتحريك أي سواء) لا مزية لرئيس على مرؤس الا بما يمتاز به المرؤسون بعضهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لاحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الديانة الاسلامية فحددت الشريعتين (الزمنية والروحية) معا وجعلت الناس فيهما سواء لا فضل لاحد على أحد الا بالعلم والعمل واقتلعت جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي قائلين هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله أو نزل به وحي ؟ قال : فان هو من عندي جاؤا بما عندهم من الرأي بما رجع النبي الى رأيهم كما جرى في بعض الغزوات وأوقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الامام عليا مع رجل من آحاد يهود للمحاكمة وعاتبه علي بعد المحاكمة بأنه لم يساو بينه وبين خصمه لانه كناه وسمى خصمه وفي التكنية تعظيم وتعظيم أحد الخصمين ولو بمثل هذا مناف للعدالة والمساواة وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآتيتم أحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيأ » فقال أصابت امرأة واخطأ عمر وابلغ من هذا كله أن النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد ابن غزية بقدح « سهم لا

نصل له ولا ريش » في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال قد أوجعتني فأقدني فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطفق يتمسح به وكان ذلك منه توسلا للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وآذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وأذن لرجل أن يضربه حين ادعي أنه ضربه يوما فقال الرجل انني كنت عاري الكتف أو الظهر فألق له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزية . والنتيجة أن الاسلام قرر العبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات واطلاق الارادة والفكر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله، حراً كاملاً بالنسبة لما سواه

لقد ولينا وجهنا في هذه المقالة شطر السلطة الروحية وأما الشطر الآخر فالتاريخ يشرح ما كان من شأن حكام المسلمين وأمرائهم بازاء تحديد الشريعة وتقييد السلطة الذي جاءت به الديانة الاسلامية وكتب الفقه تشرح حقوق ووظائف الامام الاعظم والقضاة والحكام فليرجع اليهما . ونعني بالسلطة الروحية سلطة العلماء والوعاظ والمتصدين للارشاد وتهذيب الاخلاق وتقويم الملكات، مضى الصدر الاول من سلف الامة والمسلمون كما قال الله تعالى اخوة وعلوم الدين مبذولة لهم على السواء يتناول كل أحد من الكتاب والسنة ماوصل اليه فهمه فان عرضت واقعة لاحد ولم يهتد للحكم فيها راجع غيره من اخوانه فان وجد عند من راجعه نصا أخذ به والا رجع الى اجتهاده ان كان من أهل الاجتهاد أو قلد من تثق به نفسه ممن يعتقد بهم العلم على تفصيل في ذلك ليس هذا محله وما كان عالم يترفع

على جاهل ولا مرشد يترأس على مسترشد ولم يدع فرد من الافراد أو صنف من الاصناف الامتياز في الدين لذاته أو الوساطة بين الله وبين سائر الناس في عرض أعمالهم عليه والتوسل اليه في قبولها أو ايصال الخير منه سبحانه اليهم ولم يكن هنالك الا العلم والتعليم من غير حجر ولا استئثار بل كان أعلم الناس بدين الله وأشدهم تمسكا به أبعدهم عن دعوى الامتياز وأكثرهم خوفا من ربه ان يأخذه بذنبه وعمله السيء ولا يقبل منه عمله الصالح لاتهام نفسه بالرياء وعدم الاخلاص فضلا عن دعوى الوساطة بين العباد وربهم .

كان الامر على ذلك حتى ظهرت في الامة فرقة الصوفية العظيمة وتصدى شيوخها للارشاد والتربية العملية ونعما هي . ساروا في هذه التربية على منهاج الكتاب والسنة وأظهروا مافيهما من دقائق الآداب والتهذيب علما وعملا وتخلقا وتحققا فصلحت بذلك سرائر ، واستضاءت بصائر ، وظهر لمن يعرف التاريخ الفرق بين التهذيب العقلي المحض ، كتهذيب فلاسفة اليونان المشوب بالرذائل الملطخ بحمأة المقاذر ، وبين التهذيب الديني العقلي الصافي من الاكدار ، الراقي بذويه الى مصاف الملائكة الاخيار ، (سننشيء مقالات في تراجم الفريقين للمقابلة بينهما ان شاء الله تعالى) لكن لما كانت التربية العملية تدور على قطب التأسي والاقتداء ولا تسكن النفس المميزة للاقتداء الا بمن تعتقد به الكمال بالغ القوم في التسليم لشيوخهم والادب معهم والاعتقاد بكمالهم الى درجة ألزموا فيها المريد بالطاعة العمياء لاستاذه واعتقاد ان جميع ما يصدر عنه من قول وعمل هو فضيلة وكمال ، وأوجبوا عليه أن يؤول له ما يتراءى انه ذنب أو نقيصة وغالوا في ذلك

حتى قال بعضهم اذا رأى المريد شيخه يشرب خمرا فينبغي أن يعتقد ان الخمر استحالت ماء أو عسلا قبل ان [illegible] ل إلى فمه المبارك كرامة له وحتموا عليه ان يعتقد بأنه لا يصل الى مقـام المعرفة بالله تعالى ولا ينال الزلفى والرضوان من لدنه الا بهذا الاعتقاد والطاعة من غير انكار في الظاهر ولا في الباطن وان خالف في ذلك أو ترك الشيخ لغيره أو مطلقا فهو على خطر حتى على أصل إيمانه ودينه

قلنا أن السلطة المطلقة والطاعة العمياء تكون فيها سعادة المرؤس منوطة بحال الرئيس وكذلك كان الشأن في طريـ[illegible] الصوفية فلقد قام فيهم أئمة عارفون يهدون بالحق وبه يعدلون سلكوا سبيل السلف الصالح في التواضع والتبرؤ من دعوى الامتياز والترفع على الناس والتنصل من الشطحات والطامات التي لا يشهد لها الشرع وحصروا الارشاد بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، والتخلق بالاخلاق الفاضلة ، واهتدى بهم خلائق لا تحصى ، وكيف لا يهتدي من يقتدي بالعالم العامل ويطيع الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر

نعم قد اهتـدى بالسلطة الروحية المطلقة والطاعة العمياء لشيوخ الطريق أقوام ولكن الذين ضلوا أكثر من الذين اهتدوا وفاقا لما قررنا آنفا فقد قام بعد أولئك الشيوخ العارفين شيوخ جهال ألقوا بذور الضلال في نفوس أتباعهم فنبتت وأثمرت ثمراً خبيثاً تجني الامة منه حنظلا وتطعم زقوما . لقنوا الناس الجبر بعنوان التوحيد واسم القضاء والقدر وعلقوا نفوسهم بالشيوخ أحياء وأمواتا وعلموهم الاستعانة بهم في مصالحهم

بحجة انهم أصحاب كرامات وشفعاء عند الله يتوسطون بينه وبين عباده في حاجهم وان كانوا رمما في قبورهم حتى قال بعضهم لا فرق في طلبنا الحاجة من الحي وطلبنا اياها من الميت لان كلا منهما لا فعل له ولا تأثير في الايجاد وكلا منهما قد يكون واسطة — الحي واسطة جسدية والميت واسطة روحية — وكسلوهم عن الاعمال النافعة والمصالح العمومية باسم الزهد والتسليم للقدر وغير ذلك مما لا سعة في هذه المقالة لشرحه . ولم تقف مضرات جهلهم عند هذه الوساوس الدينية بل استعملوا نفوذهم لخدمة سياسة الاجانب وتمكينها من الاستيلاء على أمتهم وانا نروي لك بعض شأنهم في ذلك فاعتبر بما يروى البقية للآتي

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ألممنا في المقالة السابقة ببعض تعاليم الجهلاء من شيوخ الطريق وذكرنا ان منها تعليق النفوس واناطة الآمال بالشيوخ أحياء وأمواتاً ، وتعليم الناس الاستعانة بهم على قضاء الحاج ، بحجة انهم أصحاب كرامات وشفعاء يتوسطون بين الله تعالى وبين عباده في درء المفاسد والمضار ، وجلب المنافع والمصالح ، ولما كان هذا من الاعتقادات المضرة التي هدمها الاسلام كما ألممنا في المقالة المتقدمة ، وكان ما كتبناه سابقاً في منكرات الموالد لم يكف لاقناع جميع الآخذين به لايجازه واجماله أحببنا أن نزيده ايضاحا ليتميز الحق من الباطل فنقول :

الذاهبون الى أن من الدين الاستغاثة بمن يعتقد فيهم الولاية أحياء وأمواتاً والوقوف على الاجداث والقبور لطلب المصالح التي عز طلابها ، والحاج

التي جهلت أسبابها ، وأغلقت أبوابها، ينقسمون الى قسمين عامة وخاصة أما العامة فمنهم من يعتقد ان صاحب القبر حي في قبره يخرج لقضاء الحاج فيقضيها بنفسه مهما كانت ولا يفتكر في تدقيق الاشاعرة في الفرق بين الجبر والكسب وخلق الفعل وحجة هؤلاء على اعتقادهم الحكايات التي يتناقلونها عن كرامات صاحب القبر وان هي الا أكاذيب اخترعتها الخيالات والاوهام فاذا سئل هؤلاء عن التأثير وعدمه تحير أكثرهم واذا لقنوا أية عقيدة في ذلك ممن يظنون به خيراً أخذوها بالقبول وهؤلاء هم الاكثرون فيما يظهر للمختبر ومنهم من له بعض المام بما يقول الخاصة وأما الخاصة فيحتجون بالشبهتين اللتين أشرنا اليهما وهما الكرامات والشفاعة وانا نستعين بالله تعالى وحده في بيان فساد الاحتجاج بهما على وجه مختصر مفيد فنقول

أما جواز وقوع الكرامة فلا يقتضي ان من قواعد الاسلام وأحكامه ان يستعين الناس على حوائجهم بمن يجوز أن تصدر منه وذلك لوجوه (١) ان الله تعالى أقام هذا الكون على سنن حكيمة، ونواميس ثابتة، وأمر الناس بالعمل بحسب القوى التي منحهم اياها، كما يعرفون ذلك بالوجدان مراعين سنن الله تعالى ونواميس خليقته ، وأن يعتقدوا أن لا متصرف في الوجود سواه ولا قدرة غيبية الا له وأمرهم أن يخصوه بالاستعانة على مالا يبلغه كسبهم كما يخصونه بالعبادة حيث قال في السبع المثاني التي يثنونها في صلاتهم كل يوم «اياك نعبد واياك نستعين» نعم أمر الناس بالتعاون في الامور الكسبية بقوله « وتعاونوا على البر والتقوى » . والناس في ذلك سواء وفي الحديث الصحيح (اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) والكتاب والسنة طافحان بأمثال هذه النصوص

(٢) ان ذلك لم يعهد في الصدر الاول من سلف الامة الذين يقتدى بهم فلم ينقل ان الصحابة كانوا يأتون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبون منه رد ضوالهم وشفاء مرضاهم ودفع الجوائح عن زرعهم ونحو ذلك مما يطلبه العوام من الاولياء عند قبورهم في هذه العصور المظلمة وقد جاء في حديث الموطأ وغيره « لا تتخذوا قبري وثنا » وهو مما اوصى به صلى الله عليه وسلم عند موته بل ما كانوا يعتمدون على الخوارق في زمن حياته وهو زمن المعجزات القطعية لا الخوارق المشكوك بها وانما يعتمدون على عملهم وكسبهم فان أعانهم الله تعالى بخارقة شكروا والا عملوا وصبروا (٣) صرح العلماء بأن الخوارق أمور نادرة مجهول أمرها فلا يبنى عليها حكم (٤) صرح السبكي وغيره بأن الولي لا يجوز له اظهار الكرامة الا لضرورة وعدوا هذا من الفرق بينها وبين المعجزة الواجب اظهارها وليس من الضرورة حاجة الناس اليها في دنياهم مثلا وقد التمس السبكي في الطبقات الكبرى أسبابا ضرورية لما نقل عن بعض السلف من الخوارق وقد قال سيدي احمد الرفاعي الكبير قدس سره (ان الولي يستتر من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض) فاذا كان هذا حال الكرامة عندهم فكيف نرخي للعامة العنان في الاعتماد عليها (٥) صرح الشيخ الاكبر قدس سره بان الكرامة لا تتكرر لانها أمر خارق للعادة واذا تكررت كانت معتادة فلا تكون خارقة وظاهر ان مايطلبه العامة من ذلك يشبه بعضه بعضا ويزعمون انه وقع مثله من كل ولي يطلبون منه فتكرار الطلب عبث وغرور (٦) قسم بعض المتأخرين الخارقة الى أقسام من مقتضاها انها تظهر على يد كل صنف من أصناف الناس لا فرق بين بر وفاجر وتختلف

أسماؤها باختلاف من ظهرت على يده فان ظهرت على يد فاسق أو كافر سميت استدراجا فاذا أضفنا الى هذا عدم التفرقة بين الحي والميت في اعتقاد ان الفعل لله تعالى وان الخارقة سبب لنيل الحاجة فلا بأس بأن يذهب الناس لقبور الفساق والكفار ويطلبوا منها حاجتهم بناء على جواز ان يحصل ذلك لهم استدراجا لامثال الاموات وان شئت فرضت ذلك مع الاحياء من المذكورين (٧) ان الاعتماد على الامر النادر الغير موثوق به كالكرامة كالاعتماد على مايسمونه فلتات الطبيعة أو على الكنوز وهو من الجهل والغرور الذي ينبغي انكاره وعدم تقرير فاعله عليه

وأما طلب قضاء الحاج وتقويم الاعوجاج من الاضرحة والقبور بناء على ان أصحابها شفعاء يتوسطون الى الله تعالى فيها فهذا بعيد عن دين الاسلام ومخالف لعقائده وآدابه أيضا لان الذين أثبتوا الشفاعة من المسلمين وهم أهل السنة قالوا انها اكرام من الله تعالى لنبيه أو له ولمن شاء الله من المصطفين في الآخرة لافي الدنيا والشفاعة المتفق عليها عند المسلمين هي التي ترجع الاخبار فيها الى حديث معناه ان لكل نبي دعوة مجابة على سبيل القطع وكل نبي قد دعابها في الدنيا فاستجيبت له ونبينا صلى الله عليه وسلم قد ادخرها للشفاعة في الاخرة ولا محل هنا لايراد الخلاف في الشفاعة وما لكل فريق من مثبتها ونافيها من الادلة القرآنية على ذلك ويكفي فيما نحن فيه انها مختصة بالاخرة وانها لا يقطع بها (ولا فى الاخرة) لاحد من هؤلاء الاولياء والصالحين الذين يطلب الناس منهم حاجاتهم المتعسرة عليهم ويحملنا حسنو الظن على التأويل لهم بأنهم يعتقدون فيهم الشفاعة والتوسط

بينهم وبين الله تعالى لا الايجاد والتأثير كأن الانكار لا يكون الا على الشرك المحض والكفر الصريح .

ان عباد الاوثان والاصنام والبشر منهم من كان يعبدها لانها شافعة لا لانها خالقة وموجدة وقد أنكر القرآن عليهم بايات منها قوله تعالى حكاية عنهم في معرض الانكار «ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» الاية وقوله تعالى «ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض» الاية وهي ترشدنا الى انه لا يجوز لنا ان نفتات عليه سبحانه باتخاذ شفعاء لم يأذن لنا باتخاذهم واعلامه بما لا يعلم فيما ان لم يكونوا ممن ارتضاهم للشفاعة. وان فيما تقدم في بحث الكرامة وفي الآيات والاخبار الكثيرة التي تأمرنا بالالتجاء الى الله وحده لانه أقرب الينا من حبل الوريد وفي العقيدة المقطوع بها عند جميع فرق المسلمين من ان الله تعالى لم يجعل واسطة بينه وبين خلقه في الاعدام والايجاد وانما جعل الواسطة للتعليم والارشاد وهم الانبياء (ومن جرى على آثارهم فهو كالنائب عنهم) وقد انقطعت هذه الوساطة بخاتم الانبياء الذي هو آخر وسيط وفي الحديث الشريف الذي أشرنا اليه من ان الله تعالى منح كل نبي دعوة واحدة مستجابة فما يدعو به غيرها موكول افضل الله تعالى وغير مقطوع باجابته وفي الاحاديث الكثيرة التى بينت ان الرخصة في زيارة القبور بعد النهي عنها انما هي لاجل الاعتبار بالموت وتذكر الآخرة لا لاجل الانتفاع بالميت ولذلك يزار قبر الكافر والفاسق وفيما ورد في الاحاديث من ان الميت تحت رحمة الله تعالى كالغريق المتغوث (طالب الغوث) وانه يستحب الدعاء له وفيما شاهدنا من فساد عقائد العامة باقرارهم على ما يصدر منهم

عند زيارة الصالحين (وهو ما فصلناه سابقاً) الذي انتهى ببعضهم الى اعتقاد التأثير لهم والى تسييب السوائب ، كالعجول ونحوها باسمهم كما كان المشركون يسيبونها للاصنام ونهى عنها القرآن والى المفاضلة بينهم وبين الانبياء والى الحلف بالله باطلا والتحرج والتأثم من الحلف بالولي كاذباً والى ترك الاسباب في المصالح الكلية اعتماداً على الاولياء كما جرى في بخارى عند زحف الروسيا عليها حيث أجاب العامة وكثير من الخاصة من أمرهم بالتأهب والاستعداد للمدافعة عن البلاد بقولهم ان شاه نقشبند رضي الله تعالى عنه هو حامي بخارى وهو الذي يرد الاعداء عنها وفيما ورد في الكتاب والسنة من أن آباء بعض الانبياء وأبناءهم كانوا كفاراً وأبناء كثير من الاولياء كانوا فساقاً أشقياء ولو كان الامر في يدهم فعلا أو شفاعة لما كانوا كذلك — في ذلك كله وفي غيره من الآيات والعبر ما يوجب على العلماء أن يبينوا للناس قولا وكتابة أن لا يعتقدوا بقدرة غيبية الا لله تعالى وان يسيروا في مصالحهم الدنيوية على السنن والنواميس التي طبع الله الكون عليها ودلتهم المشاهدة على صدق الكتاب في عدم تبديلها وتحويلها وأن لا يعتمدوا على الخوارق الموهومة ولا على الشفاعات التي هي في الدنيا معدومة وفي الاخرة غير معلومة بمعنى انه لا يعلم لولي بخصوصه شفاعة في الاخرة على أنهم « لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » وان سيد الشفعاء عليه السلام كان يقول لاهله وعشيرته الاقربين « اعملوا لا أغني عنكم من الله شيئا » وأمثال هذه الارشادات التي فيها سعادة الدنيا والاخرة لا أن نسكت للعوام على منكراتهم المشاهدة هي ومضراتها بناء على حسن

الظن المبني على أمور مشكوك في حصولها وهل مع مشاهدة المنكر مجال لحسن الظن والقاعدة أن اليقين لا يزول بالشك

ثم ان لزيارة العلماء والصالحين أحياء وأمواتا فائدة معقولة لم يرد بها الشرع فيما نعلم وهي تأثر الزائر بتذكر ما أوتيه المزور من الفضيلة والكمال وانفعال روحه بما ينهض الهمة ويبعث على التشبه والاقتداء اذا كان الزائر ذا بصيرة صافية تتمثل لها شمس الكمال فيفيض عليها من أنوار الهمة والعزيمة ما يبعث على احتذاء ذلك المثال والنسج على ذلك المنوال ولعل هذا ما يعنيه السادة الصوفية بقولهم التبرك بالزيارة واستمداد الهمة من المزور « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »

الشعر العصري

من نظم صاحب الفضيلة استاذنا الشيخ حسين افندي الجسر الطرابلسي الشهير

بالجد يبلغ ذو الآمال ما طلبا	وبالوفاق ينال المرء ما رغبا
ياعصبة الملة الغراء أنشدكم	ربا بعزة علياه قد احتجبا
ما السرّ في ان اسلافنا لناسلفوا	سادوا البرية فيما أورث العجبا
ياجاهلا قدر علياهم وما اكتسبوا	سل الاناسي أو سل عنهم الكتبا
تخبرك انهمُ سادوا الانام علا	ودوخوا الكون حتى السبعة الشهبا
يجبي اليهم خراج الارض قاطبة	بذاك خاطب هارون المدى السحبا
هل كان ذلك بغير الجد حالفه	حسن الوفاق والا فاذكروا سببا

لله در علوم بينهم برزت | من كل فن عن الافكار قد حجبا
أصول فقه وتوحيد وفلسفة | وهيئة وسياسات غدت نخبا
جغرافة وتواريخ مهذبة | وفن حرب ومانكفى به النوبا
صنائع وفلاحات ونافعة | وجملة من علوم أصبحت أدبا
نحواً وصرفاً وانشاء وقافية | وقرض شعر ونظما يبعث الطربا
بلاغة وبياناً والبديع وما | قد يعجز الحاسب المطري إذا حسبا
ما في الطبيعة علم فات مقصدهم | ولا الرياضة فن عنهم احتجبا
أكان تدوينهم هذي العلوم لأن | ينال منها سوانا كل مارغبا
أم انهم وضعوا تلك الصنائع كي | تكون في سلب أموال لنا سببا
أم انهم رتبوا فن الفلاحة كي | يعود ربع سوانا عامرا خصبا
أم الشفاء تقول الشيخ ألفه | لغيرنا فاستفادوا منه ماوجبا
ودونوا كتبا منه وقد نسبوا | ابداعها للذي في دارهم نجبا
أم الحريري أبدى من بلاغته | تلك المقامات كي تغدو لهم ادبا
لو شام ناظره بين الانام لما | تلك التقاليد أن الدهر وانقحبا
كلا وربك ماراموا بما سمحوا | الا لنكسب منه خير ما اكتسبا
فلا يليق بأن الغير وارثه | ونحن فيه كمن عن إرثه حجبا
وان ترى من ديار الغير لامعة | بروقه ونراه منهم انسكبا
فنغدو كالبحر تنهل السحاب به | من مائه وترى ذا البحر قد نضبا
هذا وقد أذعنت قهرا لسطوتهم | كل الطوائف ممن شط اوقربا
لو رمت تعداد ما نالوه من عظم | على البرايا غدوت اليوم منقلبا

لكن عليك باخيار الصحابة اذ ... فيه شفاء ومن في نهجهم سربا
مثل الذي انضج الالاف صارمه ... من قبل ما انضجت شمس الضحى العنبا
او المقيم على ارباض خرشنة ... اشقى العدا بجيوش أسمدت حلبا
أو الذي بفتوحات له اتصلت ... غدا له فاتح بين الورى لقبا
فياعصابة دين الله حيهلا ... على الذى فيه حقا نبلغ الا ربا
واسترجعوا ذكر اسلاف لكم تركوا ... مفاخرا لم ينلها غيرهم حسبا
وجانبوا الحسد المذموم مسلكه ... وجردوا سيف عزم يقصم العضبا
كونوا بجمع قلوب عند سعيكم ... الى المعالي تنالوا كل ماطلبا
ان القداح اذا ماجمعت عجزت ... عنها الاكف واذ مافرقت فهبا
هذا الخليفة قد ابدى لنا طرقا ... من الهدى والى ساحاتها ندبا
أنشا مدارس تعليم وزينها ... بكل فن علينا قبل قد صعبا
ولم يدع سببا يفضي لثروتنا ... الا بهمته قد سهل السببا
فما عليه من الاحسان أرسله ... فما علينا سوى أن نهجر اللعبا
ان لم نكن بهداه نهتدي فلنا ... يقال ما في ثمود قد أتانا نبا
يا صاحبي لا يكون المرء مفتخراً ... الا اذا عزمه مع رأيه اصطحبا
وأي يريك الدجى صبحا يصاحبه ... عزم يقد الصخور الصم والقضبا
فلا يفيدك تصقيل الشعور اذا ... لم يغد عقلك مصقولا بما كسبا
ولا يصونك «بسطون» بحربته ... ان لم يكن منك عزم يشطر الحربا
ياسعد عرج على ربع العلوم فقد ... أقوى لعلك تحييه لمن طلبا
ويا كواكب ذي الفيحا وجيرتها ... كونوا طوالع سعد عندها ارتقبا
واستسلموا لهدى المولى خليفتنا ... فلن يفوز امرؤ عن هديه انقلبا

اذ جل مقصده أنا بنعمته	بين البرايا نفوق العجم والعربا
أدامه الله شمسا تهتدي أبداً	البابنا بسناها ثم لا غربا
ما نال بالجد والآمال ماطلبا	وبالوفاق حوى ذو الجد مارغبا

مقتطفات من الجرائد

﴿ التسلح في العثمانية ﴾

نشرت جريدة الستندرد منذ أيام رسالة وردتها من فينا موسومة بهذا العنوان معربها كما يأتي

الظاهر ان الحكومة العثمانية تروم ان تسالم جيرانها بالاصلاحات العسكرية فهي ليست فقط باذلة جهدها وعنايتها في تحسين أحوال جيشها بل قد ورد أخيرا من الاستانة ان المساعي مبذولة فيها لزيادة هذا التحسين والمبالغة في ذلك التنظيم

وقد ظهر تقدم جديد بالذكر في جميع أنواع السلاح التي لديها ولا سيما المدافع فقد كانت مدافعها في الحرب الاخيرة من طرز كروب الحديث ولكن منذ زمن وجيز بدىء في الطوبخانة بانشاء معمل لصنع مدافع سهلية من طرز هوبتزر فاصبحت كيانر بذلك تسابق معامل المانيا وأوستريا في صنع هذه المدافع وستجهز مدفعية السهل بمدافع من ذوات الطلق السريع ويقال ان الحكومة تخابر الآن معمل كروب بشأن ارسال هذه المدافع ولا يمضي زمن طويل حتى تصبح جميع العساكر مسلحة ببنادق موزر وهي قد أنشأت منذ مدة معملا لصنع البارود الذي بلادخان في موضع يدعى زيتون برنو قرب الاستانة ولكن البارود الذي يصنع فيه

ليس وافيا بالمراد فلذلك أرسلت وزارة الحربية توصي معامل المانيا على صنع مقدار منه برسمها وعمل مئة مليون من قراطيس البارود «الخرطوش»

ثم ان مسألة القلاع والحصون شاغلة افكار رضا باشا وزير الحرب ويقال ان المعاقل التي حول ادرنه ومعاقل دجوماجا الواقعة على الحدود البلغارية ستعزز بأسلحة جديدة ويكمل تسليح استحكامات كرك كيليس (لعله يريد قرق كليسا) الواقعة بين ادرنه والبحر الاسود

أما فيما يتعلق بتنظيم الجيش فقد تقرر منذ بضعة أيام انشاء ١٧٠ أورطة جديدة من الجنود الاحتياطية التي لا تخدم خدمة منتظمة والتي تتمرن على الفنون العسكرية في أوطانها في أيام الاعياد والعطلة وقد صدرت الاوامر الآن الى حكام الاقليمين المجاورين للجبل الاسود وصربيا وبلغاريا بتشكيل ذلك العدد من الاورط من أهاليها فتستدعى في زمن السلم مدة شهر أو شهرين وتقدر نفقاتها بثلاثة ملايين فرنك في السنة ثم ان الخيالة المعروفة بالحميدية المؤلفة الآن من ٦١ فرقة سيغير نظامها ويشكل منها ست ألوية من الفرسان وينفذ المشروع القديم القاضي باضافة كوكبة أو نصف كوكبة من سائر الفرسان الى كل فرقة من الفرق الحميدية ومما يذكر في هذا السياق ان جماعة من الضباط الاتراك قد اشتروا اخيرا عددا كبيرا من الخيول من هنغاريا الشرقية برسم الخيالة العثمانية (الاهرام)

***

ترقي الصنائع في المانيا

نشر مؤخرا في برلين إحصاء جدير بالاعتبار تفهم منه درجة ارتقاء الصنائع في المانيا فقد كان عدد المشتغلين في معاملها عام ١٨٨٢ غربية ١٦٢٣١

٥٨٣ من الرجال و١٥٠٩١٦٧ من النساء وفي سنة ١٨٩٥ بلغ عدد الصناع ٧٩٢١٩٤٢ رجلا و٥ ٢٢٣٩٣٢ امرأة وكان عدد الانوال التي يشتغل بها من العامل الواحد الى الخمسة عام ١٨٨٢ نحو ٢٨٨٢٧١٨ نولا وعدد عملتها ٤٤٣٥٨٨٢ وفي سنة ١٨٩٥ بلغ عدد هذه الانوال الصغيرة ٢٩٣٤٧٢٣ نولا ومقدار عملتها ٤٧٧٦٦٥ شخصا والانوال المتوسطة التي تستخدم من الستة صناع الى خمسين صانعا كان عددها سنة ١٨٨٢ نحو ١١٢٧١٥ نولا وعدد عملتها ١٣٩١٧٢٠ عاملا وعام ١٨٩٥ بلغ عدد الانوال ١٩١٢٩٩ وعدد العملة ٢٤٥٤٢٥٧ عاملا وسنة ١٨٨٢ كان عدد المعامل الكبيرة التي تستخدم من الواحد وخمسين عاملا الى ألف عامل ٩٩٧٤ معملا وعدد عملتها ١٦١٣٢٤٧ عاملا وفي عام ١٨٩٥ بلغ عدد هذه المعامل ١٨٩٥٥ معملا وعدد عملتها ٣٤٠٤٣٤٣ عاملا ومازال عدد المستخدمين والمستخدمات في هذه المعامل يزداد آنا فانا حتى كان عدد المستخدمين عام ١٨٨٢ نحو ٢٠٥٠٦١ مستخدما فبلغوا عام ٩٥ نحو ٤٤٨١٣٤ مستخدما

أما عدد الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من العمر المشتغلين في هذه المعامل فهم عبارة عن ٤٦٤٤٢٤ ولدا و١٣٨٧٣٦ بنتا وعدد الذين جاوزوا هذه السن هم كناية عن ٦٨٧١٥٠٤ وقد بلغت قيمة مصنوعات هاته المعامل عام ١٨٨٢ زهاء ١٢٢٩٩٠٠٠٠٠ مارك (المارك فرنك وربع) وبلغ مقدار ماصدر منها ١٧٢٠٠٠٠٩ طن (الطن أربع قناطير شامية) وقد بلغت صادرات عام ٩٢ نحو ٢٣٨٠٠٠٠٠٠ وقيمة الصادرات ٣٤٢٤٠٠٠٠٠٠ مارك فهذه الزيادة المهمة تدل على ماوصلت اليه البلاد الالمانية في خلال السنين الاخيرة من الترقي الخارق للعادة فلله مايفعل الاقدام والثبات .

(نبات يضحك بالعه)

قالت جريدة (آهنك) الازميرية ان قد اكتشفت في بلاد العرب شجيرة خضراء الاوراق لامعتها لها ثمر يشبه الفاصولية يحتوي على حبتين أو ثلاث سوداء اللون وهذه الحبات ذات رائحة تميل للافيون حلوة الطعم فاذا سحقت سحقا جيدا وبلع منها الانسان مقدارا يستغرب حالا في الضحك الطويل بصفة لا تقاوم ويزداد ضحكه بالتدريج فيطفق يقفز ويلعب ويتغنى ويتحرك فيه هذا الهوس مدة ساعة ثم يسكن وعندها يستولي النعاس عليه فينام ملء جفونه ساعات طوال ومتى أفاق من غفلته يصبح مااعتراه نسيامنسيا فاذا ضاق ذرع المرء اوبكى بكاء مرا وبلع من هاته الحبات يعتريه ذاك الحال على انه اذا أدمن على ابتلاعها يعرض نفسه لمرض الاعصاب وقد أوصى الاطباء كل عبوس قمطرير ان يبتلع من هذا النبات على نحو ما قررناه فيزول مابه من الكآبة . هذا كلام الجريدة ترجمناه على سبيل الفكاهة والله أعلم بحقيقة هذه الشجيرات وثمراتها (الشام)

***

من أخبار الاستانة العلية ان مولانا السلطان الاعظم أنعم على قواد الاساطيل الاجنبية في كريت بوسامات مختلفة باختلاف درجاتهم العسكرية جزاء حسن خدمتهم في الجزيرة وصدرت الارادة السنية بانشاء مأوى للارامل اليونانيات في سلانيك فاهذا الانعام الشامل والحنان الكامل؟

ومنها ان راتب افندي أحد الحذاق من رجال المدفعية قد اخترع طربوشا يصنع من النبات والكلأ بدلا من الصوف وهو اختراع مفيد

جدا لا سيما للعسكر وهو يسعى الآن في أخذ براءة الامتياز به فعسى أن ينالها مع الجزاء الحسن

ومنها أطلق ٥ الاف جندي انتهت مدة خدمتهم فانصرفوا حاملين رتب الشرف العسكري داعين لمولانا السلطان بالنصر والتأييد والعمر المديد

ومنها : يهتم الباب العالي بتجهيز وتعبئة ١٧٠ كتيبة « طابور » من العسكر في جهات ادرنه ومناستير ويقال ان وزير الحربية يسعى بالغاء اعفاء أهل الاستانة من الخدمة العسكرية الذي هو نظام السلطان محمود وقد أظهر ان ذلك يزيد في الجنود ٢٠ ألفاً من مسلمي الاستانة ما عدا البدلات المالية التي تؤخذ من سائر الملل ٠ ومنها : أعلنت السفارة الالمانية رسميا ان الامبراطور والامبراطورة يصلان الى الاستانة في ١٧ اكتوبر « ايلول » القادم ٠ ومنها : صدرت الارادة السنية بالاصلاح في مدينة القدس الشريف فشرع في توسيع شارع باب الخليل الموصل للحرم الشريف وفي اقامة الابنية الجميلة على جانبيه

سلطة مشيخة "الطريق الروحية" (*)

(تابع ما قبله)

لما رأى الفرنسيون عند تداخلهم في الجزائر نفوذ شيوخ الطريقة التيجانية الروحي وشدة خضوع العامة وتسليم الخاصة لهم اكتنهوا شؤونهم فألفوهم قد اتخذوا هذه الرياسة وسيلة للمال والجاه وذريعة للمكاثرة والمفاخرة وظهر لهم امكان استخدام هذا النفوذ لمد ظلال فرنسا وتمكين

(*) نشرت في العدد ٢٣ الصادر في ٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

سلطتها في تلك البلاد وكذلك كان . أظهر جماعة من الفرنسويين العارفين بالعربية الاسلام وامتزجوا بشيوخ الطريقة امتزاج الماء بالراح وأمدوهم بالمال فرقوا الكثير منهم في مراتب الطريقة كالنقابة والخلافة وجعلوا منهم شيوخا مسلكين ثم صاروا أئمة وخطباء ومدرسين وناهيك بالاوربي اذا صار رئيسا مطاعا كيف يخدم أمته وحكومته ولقد ساعد رؤساء هذه الطريقة البعوث الفرنساوية التي أرسلتها فرنسا للصحراء الكبرى والسودان الغربي ومكنوا لهم في أرض الجزائر وتونس وكانوا أكبر الخاذلين للامير عبد القادر في محاربة فرنسا حتى انهم حاربوه جهاراً عند حصار مدينة (عين المهدي) وبمساعدتهم حصل ليون روس الفرنساوي الذي تظاهر بالاسلام على فتوى من علماء القيروان اتخذها الفرنسويون مع الفتويين اللتين حصل عليهما هذا الدخيل من مصر ومكة (بوسائط لا محل لها هنا) آلة لاخماد حمية مسلمي الجزائر ليقعدوا عن محاربة فرنسا ونقلت الجرائد الفرنسوية عنهم في تلك الايام انهم كانوا يلقون في نفوس عامة العرب « ان الخوف من الفرنسويين هو الخوف من الله تعالى » ولا غرابة في ذلك فإن لشيوخ الطريق الجهال في كل البلاد من الوساوس التي يمكن الاستعانة بها على مثل هذا الغرض مالا يحصى ، منها الرضي بالقضاء والاستسلام للقدر ، ومنها ان هذا من علامات قيام الساعة وانتهاء الزمان وانه لواقع ماله من دافع فمعارضته عبث ، ومنها ان وقوع هذه المصائب على المسلمين أمور أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم فالسعي في ابطالها سعي في اظهار عدم صدقه ولقد سمعت مثل هذا التعليل الغريب ممن يدعي العلم ويعرف بالصلاح ، ومنها ان الولي الفلاني أو الشيخ الفلاني

علم بالكشف والاطلاع على الغيب ان الامر الفلاني لا بد من انفاذه ومن عارضه يخسر ولا يظفر ، ومنها : ان هذا شيء أشارت الى حصوله الجفور ، فمعارضته جهل وغرور ، ومنها : اننا نقاوم هذا الخطب بالدعاء والتوجهات، أو بالخوارق والكرامات، كما نقل عن أهل بخارى أنهم قالوا ان شاه نقشبند يرد روسيا عن بلادهم ، وكما نقل عنهم وعن غيرهم من الاجتماع لقراءة البخاري الشريف لرد الاعداء عن بلادهم .

أمثال هذه الوساوس المصادمة للعقل والدين ، منتشرة بين المسلمين في جميع الاقطار، وهي على ضررها وعللها، مأخوذة بالتسليم من غير انكار، ومن أنكر عليها وقال انها تعللات غير صحيحة أقاموا عليه النكير، وحرفوا الكلام عن مواضعه، فبعضهم يقول هذا معتزلي أو وهابي لا يعتقد بالدعاء والكرامات وشفاعة الاولياء ولا يؤمن بالقضاء والقدر ، وبعضهم يقول ان هذا فلسفي لا يصدق بقرب الساعة وانتهاء الزمان وينكر بركة الحديث الشريف ، وبعضهم يقول ان هذا عدو مبين لانه ينكر على المسلمين، وهكذا تشيع بينهم تسمية خادم الدين عدو الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ولننقل عن الفرنسويين أنفسهم ما يشهد بصحة كلامنا في استخدامهم أهل تلك الطريقة قال علامة تقويم البلدان (الجغرافيا) المسيو اليزيه روكلوا في الصفحة ٦٣٩ من المجلد الحادي عشر من كتابه المسمى رسم الارض ما نصه :

« ان بعضاً من رؤساء الطرق في الجزائر شرهون طامعون لنيل المال والجاه، بعداء عن التمسك الحقيقي بالدين، لا يتحامون ادخال كثير من

النصارى في زمرة اخوانهم ولا يتخلفون عن مساعدتهم عند الحاجة »

وجاء في رسالة طويلة للمسيو دوكنستان نشرت في مجلة العالمين الشهيرة في العدد الصادر في أول مارس سنة ١٨٨٦ شرح فيها الكاتب المساعدات العظيمة التي يأتيها شيوخ الطريقة التيجانية خدمة للفرنساويين فيها الطريقة المثلى التي ينبغي ان تسلكها حكومة فرنسا في موالاتهم السرية لان المجاهرة قد تضر كما حصل في ابان محاربة الامير عبد القادر ومما جاء في تلك الرسالة قوله «انني بغاية الاسف ألاحظ انكباب ضباطنا الفرنساويين في الجزائر على الدخول في زمرة الطريقة التيجانية وتهافتهم على أخذ العهد بتظاهر زائد والى حد لا يقبله الذوق والاستحسان وان كان من الحكمة والرشد ان يدخل بعض رؤساءنا العارفين بلغة العرب في زمرة الطريقة التيجانية توصلا للفوائد السياسية التي تنتج من ذلك اذ لا ينكر انهم بهذه الوسيلة يمكنوننا من نشر الامن في الاقطار والصحاري ومن تقوية نفوذنا على العرب كما هو حاصل الآن بكل سهولة بسبب المصالح المتبادلة والمتكافئة بيننا وبين رؤساء هذه الطريقة فاذا أردنا أن نستفيد بانتظامنا فيها ويقوى سلطاننا على المسلمين وينتشر نفوذنا السياسي وجب ان نقف في طريق أخذ العهود عند الحد الملائم المقبول والا صرنا واياهم (أرباب الطريقة التيجانية) في موضع هزؤ وسخرية امام أعين العرب أجمعين »

ثم تكلم عن الشيخ السنوسي وما يجب من الوسائل لمقاومته وتشتيت طائفته ثم قال مانصه « يلزم أن يكون على حدود مستعمراتنا رجال من أصحاب الدهاء والخبرة التامة بأحوال الطوائف الاسلامية الذين يعلمون دخائلها وعيوبها ليستعملوا كل خلل يجدونه لصالح وطننا ولا يصح للحكومة أن تغيرهم

من مراكزهم الا اذا تعذر بقاؤهم فيها على انه لا ينبغي تغييرهم الا بعد فرصة من الزمن يوقفون فيها من يخلفهم على تلك التجارب ويحيطونهم علما بكل من يوالينا محبة واخلاصا ويلزم أن يكون لهؤلاء العمال ارتباط تام وعلاقات شخصية مع الاهالي ومشائخ الطرق ومن على شاكلتهم من أرباب المظهر الديني مثل ما لضباطنا المسكريين مع التيجانية ولكن ينبغي أن تعطى لهم أوامر تقضي عليهم ان لا يتظاهروا بالمحبة الزائدة للطوائف الخاضعة لنا ولا بالكراهة الزائدة للطوائف المخالفة لنا فان السياسة الممزوجة بالدهاء والمهارة تستلزم أن نتجافى ظاهرا عن المصافين لنا ونتظاهر بالميل لاعدائنا، وتنكب هذه الطريقة ينتج اضاعة نفوذ أولئك الاصفياء ويقوي نفوذ أعدائنا عليهم وبعبارة أجل ينبغي ان تكون فوائدنا الظاهرة موجهة منا الى اعدائنا اذ لا يصعب علينا أن نستميل من كان شرها ناقص الشجاعة والدين ونلجؤه الى الدخول في زمرتنا والخضوع لنا ثم نواليه سرا بهدايانا الخفية لكيلا يأسى على ما فرط في جنب الله من ترك دينه وخيانته وطنه

أما تلك الطوائف الشديدة البغضاء لنا التي يخشى اجتماع كلمتها علينا فمن الحمق والغباوة أن نظهر لها الكراهة وعدم الرضى لاننا بذلك نحملها على التألب علينا والاجتماع لمصادتنا واني لا أنكر ان مثل هذه السياسة عديمة الشرف ولكنها مملوءة بالفوائد العائدة على بلادنا ولهذه الوجهة أرفض رأي القومندان (رين) الذي يرى ان السياسة الحالية مع العرب لا تليق بشرف مملكة عظيمة مثل فرنسا فما على حكامنا الفرنساويين في تلك الجهات الا أن يحصروا كل قواهم في جلب أكابر مشايخها واستمالتهم

بالمال والفوائد المادية والتظاهر بعلامات الاحترام اذ بهذه الطريقة وحدها نحصل على سكوت هؤلاء الرؤساء وسكوت المرؤسين تبعا لهم والاغضاء عن كل ما يحصل وغض الطرف عن جميع أعمالنا ومساعينا فضلا عن كوننا نتمكن بغاية السهولة من القاء بذور الشقاق والفتن بينهم وأقرب منفعة لنا من ذلك اننا نفرق شمل هذه الطوائف الدينية - أنظر الى كم شظية شظينا الطريقة القدرية التي شتتناها ومزقنا لفيفها وبمثل هذا نتمكن من جعل القوة السنوسية التي هي أشد صلابة من الحجر الصلد مفتتة كأجزاء الرمل فلا يبقى ارتباط بين أجزائها وانما يكون ذلك اذا ثابرنا على بث الدسائس ونفخ روح البغضاء فيها وواظبنا على اسناد كل وصمة تلحق العار بها وتوجب احتقارها والازراء بها » اهـ « البقية للآتي »

حالنا

(لحضرة الفاضل صاحب الامضاء)

كلمة صدق أقولها وان كنت أعلم ان الصدق قد صار تقريعا والنصح والاخلاص تعنيفا

ان جل شبابنا (وأخص من يدعي التنبه منهم) تائهون في فيافي الغرور، وائغون عن محجة السداد، لا يعرفون هريرا من غرير، ولا قبيلا من دبير، ان بحثوا فبغير رابطة تربط عروة بحثهم، ولا ثبات على فكر يؤيد حجتهم، وان سكتوا فبغير نتيجة، ولا وصول الى حقيقة، وان انتقدوا فمن وراء حجاب، وان استصوبوا فبغير اهتداء الى الصواب . بينما ترى المتمدن منهم يطنب في فوائد العلم العصري ومزاياه، وذم كل شيء سواه،

اذ تراه خاض بذم ما مدحه ومدح ما ذمه من غير أن يشعر، وان ادعى أنه شاعر فلا نكاد نعرفه هل هو عدد للعلم ما له هم ولا سلام أم حليف له يدافع عنه بالسيف والقلم وفي الحقيقة هو لا في العير ولا في النفير وهذه على ما أرى من النقط الموعرة التى وقفنا بها وتعذر علينا قطع مجاهلها ومفاوزها، والسير في جدد التقدم والنجاح، والتدرج في معارج الترقي والفلاح

وما تلك الا نتيجة الجهل وعدم دراسة العلم الصحيح وسوء التربية الخلقة وان شئت التفصيل فقل هو نتيجة حب الأثرة من لا نسميهم ... وعدم الاعتناء بتعميم العلوم وتسهيلها للعموم والاكتفاء بقشقشة الألفاظ ولوك الالفاظ المصنعة الموهمة بالعلم والانكباب على حب الترقي الشخصي مع الجهل والرغبة في التنافس والتحاسد والمزاحمة بالمناكب في المراتب والافتخار بما يوجب العار، والعار بما يوجب الافتخار، والادعاء بغير حق وغمط الحقوق وعدم الاعتراف بالجميل والذهاب ... وعدم الانقياد لمن يصدع بالحق وتفرق الكلمة وتشتت الآراء والاكتفاء من العلوم المصرية باللباس الفاخر والفرش الباهر والتحلي بالاحجار الثمينة التي لو قومت كلها لبلغت ما استهلكته من الدراهم مبلغا يقوم بفتح المصانع العمومية والمدارس العلمية من طبية وصناعية وزراعية وتجارية ونحو ذلك

فان افتخارنا معشر الشرقيين بآثار اسلافنا لايجدينا نفعا مادمنالانرى شيئا من حاجياتنا فضلا عن كمالياتنا ألا وهو من صنع الاغيار الذين استنزفوا منا البصائر والابصار فضلا عن الدرهم والدينار ومع ذلك لم يزل

اكثرنا مكتفيا بقوله ان التمدن الغربي استمد من التمدن الشرقي ثم ان هذه الحقيقة لا ينكرها الغربي فضلا عن الشرقي لكن ياترى هل يفيدنا مجرد معرفتها ان لم تكن آثارها ظاهرة علينا وهل ياترى لو كانت معنا جوهرة ثمينة وسلبها الغير منا واستفاد وأفاد غيره وعجزنا نحن عن الاستفادة منها فضلا عن استردادها فأي فخر يبق لنا بل أي عار يبق علينا فليجبني المفتخر بعظام أجداده من الشرقيين بشرط انصاف الضمير وصفاء الفكر عن شوائب التحيز لاضواثه ومزالق الاستبداد بمنشوراته بعد أن يعلم ان الفخر بالهمم العلية لا بالرمم البالية

ورب منصف حلب الدهر أشطره وسبر حلوه ومره اسمعه في عالم الخيال يقول

لقد أصبت وصمصام الحق كبد الحقيقة وسلكت من صراط الصدق أقوم طريقة وشخصت المرض العضال الذي أصاب جسم أكثر الشرقيين وتركهم يتخبطون كالذي تخبطه من المس الشياطين ولكن أين من يسمع أين من يعي أين من يتفكر ؟ !

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذا كا

بل كل يغني على ليلاه، والعارف منهم يقول واويلاه، خشب مسندة لا تجر بالآلات الميكانيكية التي تجر الاثقال، وقلوب موصدة لا تنفذ فيها أشعة رانتجن التى تخرق الجبال، وعقول عقم لا تعرف نتيجة الاختراع، والسن بكم لا تعرف من الافصاح الا وصف المقرطق أو ذات القناع، وآذان صم لا تسمع بالتليفون الذي يسمع الصم الجماد، وعيون عمي لا تنظر بالمكبرات (المكروسكوبيه) التي تقرب الابعاد، بل لا تنظر بنور

الكهرباء التي هي كالقمر ، ولا بالغاز الذي هو كالزهر أو الزهر ، حتى ولا بشمس النهار، التي تستمدمنها الانوار، بل ولا بنور الذي خرق طبقات الارض بل اخترق ما فوقنا من الطباق، فأرانا سير الكواكب في الافلاك، والبرق في الآفاق ، وتموج صدى الانسان تحت الماء حيث تنقله الاسلاك ، وتسمع صريره الاسماك ، انك لا تجني من الشوك العنب، كما لا تستنشق رائحة العود من الحطب

مساو لو قسمن على الغواني لما أمهرن الا بالطلاق

هذه آيات القرآن العظيم ، هذه أحاديث الرسول الكريم ، هذه الكتب المقدسة كالتوراة والانجيل ، كل ما ذكر يأمر بجلب الخير لبني الانسان ، وتحصيل العلم ولو بالصين بل أينما كان ، والتقاط الحكمة حيثما وجدت هذه جرائدنا تنادي بالنصح على رؤس الاشهاد على حد قول القائل

أنادي فلا ألقي مجيباً سوى الصدى فاحسب ان الحي ليس بآهل

منها ما هو له ربع قرن ونحو ذلك (كالثمرات والاهرام) ومنها ما هو له أقل من ذلك (كالمؤيد) ومنها ما هو ابن سنته لكنه يعد في مصاف الكهول (كالمنار) ومنها ومنها الخ فأين الذي جنى ما أثمرته (الثمرات) وأين الشعب الذي أيد استقلاله بارشادات «المؤيد والاهرام» وأين الامة التي استنارت من « المنار » وأين وأين الخ فأقول له مجيباً مهلا مهلا أيها المتهور للحق والحقيقة ، فلعلنا نجد للاقناع بالحسنى طريقة، فان الحقيقة بنت البحث ولا تتولد الا بازدواج در الافكار وتصادم زند البصيرة حتى يندلع منها لسان الحق بساط الانوار وقد يركب الصعب من لاذلول له : ويستصحب الانسان من لا يلائمه

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا فما حيلة المضطر الا ركوبها

والاعتدال في الكلام ، أوقع في النفوس من وقع السهام(؟) وليس من العدل سرعة العذل « امل لهم عذراً وأنت تلوم» فان الغريب دخل بيننا أيها الشرقي باللطف والملاينة فنال منا ما أراد أفلا يجدر بنا ونحن من وطن واحد وعنصر واحد المجاملة بقيام الحجة حتى نصل لى المحجة

من المعلوم ان الغير بلغ من التقدم شأواً بعيداً ليس بعده شأو لراكب ولا مجال لطالب بل لا بالغ اذا قلت زاحم الكواكب بالمناكب «شأن أسلافنا الاندلسيين والمصريين وسواهم» وهو مع ذلك لم يخرج عن الطور البشري ولا تنزلنا عنه غير ان تقاعسنا عن تحصيل العلوم واهمال الاباء عن تعليم الابناء وعدم اتحاد قلوبنا على نجاحنا ونجاح بلادنا هو الذي أخرنا وثبطهم رجالنا وشباننا فان أحداً منا لو جاء بنصيحة أو قام بمشروع يفيد البلاد ويستفيد هو منه بالطبع لمكر عليه آحاد بل عشرات بل مئات بل ألوف وأفسدوا عمله وقاموا ضده وظنوا فيه الظنون غير ناظرين الى نصيحته أو مشروعه بل الى شخصه وهو عين الغفلة عن حقوق الاشخاص نحو البلاد والعبث بمصالحهم ومصالحها وهو الداء القتال الذى فتك فينا وفي بلادنا فتكا ذريعا وما علينا الا ان نتداركه قبل ان يزمن ويتعذر علينا علاجه بأن نكون يداً واحدة على نفع البلاد وجلب كل ما يعود بالخير عليها وعلى متوطنيها ايا كانوا مقتفين بذلك آداب الشرائع الغراء واثار من ساروا على اثارنا وجاسوا خلال ديارنا واستمدوا من أنوارنا وهو أمر سهل على الكل بان ينبذ كل منا النفع الخاص ويتمسك بالنفع العام الذي يدخل فيه الخاص فاننا باحتياج زائد الى ترقية

بلادنا بنشر العلوم والمعارف فيها وترويج مصنوعاتها حتى نستغني عن مصنوعات الغير وتبقى ثروة البلاد في البلاد واتحاد القلوب وحده هو الكفيل بحسن الاستقبال وبلوغ البلاد معارج الكمال

محيي الدين الخياط

﴿ الاسلام في الصين ﴾

مترجمة بقلم حضرة الفاضل صاحب الامضاء

جاء في جريدة الكرسنت الاسلامية التي تصدر في لفربول بالانكليزية تحت هذا العنوان مانصه :

لقد نشرنا قبل الآن التقارير التي وضعها اثنان من رصفائنا عن انتشار الاسلام وتقدمه في بلاد الصين وهذان الاثنان هما الاستاذ فيوسلوف والمستر تيرسنت .أما الاول فيقول ان الاسلام سائر بسرعة عظيمة في سبيل التقدم والنجاح ، وان الصينيين يحبونه حبا كثيراً ، ويميلون الى أهله ميلا كبيراً ، وان كثيرا منهم يتسابق الى التدين به . ويقول أيضا : وفوق ذلك فان من يمعن النظر في تقدم الدين الاسلامي الحاضر يرى انه ليس من المستحيل ان جميع أهل الصين ربما يتدينون بالاسلام ويصير هذا الدين أخيرا الدين الرسمي لبلادهم .واذا استمر الاسلام في تقدمه الحاضر وانتشاره السريع وازداد عدد الداخلين فيه الى ان تصير الصين بحذافيرها بلاداً إسلامية وجزأ من العالم الاسلامي فانه من المحقق انه يخشى على النصرانية لانها تعدم وسائل التقدم في تلك الاصقاع لان رسوخ الاسلام في بلاد الصين

يفقدها كل سلطة فيها أما الكاتب الثاني فانه قد اتفق مع الاول لكنه زاد في قوله بانه منذ شرع الصينيون ينتحلون الدين الاسلامي بكثرة هائلة تزايدت عداوة الروسيين الاسلام في الشرق فانه لا يروق في أعينهم ان يروا الصينيين يدخلون في دين الاسلام أفواجا لان انتشار الاسلام بهذه السرعة مما يضاد اغراضهم السياسية ولذلك لا يفترون عن ايجاد القلاقل في آسيا الوسطى وفي قلب المملكة الصينية لكن عناية القادر قدرت ان ينتشر الاسلام في مقاطعات تبلغ مساحتها سبعة آلاف ميل مربع تقريباً

ودخول الاسلام في الصين كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بزمن قصير فكان أول بزوغ شمسه فيها في عهد الخلفاء ، والتاريخ ينبئ بانه كانت بين العرب والصينيين علاقات تجارية في عهد الخليفة الاول من الخلفاء الراشدين وأوضح أيضا من التاريخ الاسلامي ان أحد الصحابة رحل الى الصين بتجارة طائلة مع جماعة من قومه وكانوا يحملون معهم سلعا تجارية وكتاب نبيهم المقدس ونعني به القرآن وقد قام هو وجماعته بالدعوة الى الاسلام فلم يلتفت اليه أحد ويترك دين الوثنية فذهب الصحابي وجماعته الى مقاطعة كانتون واستمر وافيا وأخيراً أتيح له النجاح وأسلم على يديه الجم الغفير من أهالي هذه الجهة وابتنى فيها جامعا ، وقد منحت المملكة الصينية امتيازات كثيرة للعرب واختلط الصينيون بهم وتشبهوا بآدابهم وأخلاقهم خصوصا وان مكارم الاخلاق وحسن المعاشرة والاداب التي اختص بها هؤلاء العرب اجتذبت اليهم قلوب الصينيين فدخلوا في دينهم وازدادت محبة أهل الصين للدين الاسلامي بثبات أهله على الاستقامة وحسن السلوك وبالتدريج أصبح الفريقان أصدقاء وتزوج كل

فريق من الآخر وهو ماقوى الرابطة بينهم

وبمرور الزمن أصبح العرب مساوين للصينيين من كل الوجوه وأصبح الصينيون مسلمين وعلى هذا فقد العرب شيئاً من عاداتهم الاصلية وفقد الصينيون دينهم القديم . وتوجد أسباب أخرى انتشر بها الاسلام هذا الانتشار السريع وهي ان الاغنياء من المسلمين يشترون أولاد الوثنيين وبناتهم ويربونهم بمعرفتهم وهم فوق ذلك يتصدقون على الفقير ويطعمونه ويكسون العريان ويساعدون المحتاج ويشفقون على المريض وكانوا لا يتأخرون عن تشييع جنازات الوثنيين فبهذه الخطة التي اتبعها العرب جذبوا اليهم عقول الصينيين وقلوبهم ونما بذلك دين الاسلام بقوة في المملكة الصينية

ومما يناسب ذكره في هذا المقام انك لاتجد فرقاً عظيماً بين المسلمين في الهند والمسلمين في الصين فكلاهما يتبعان كتاباً سماوياً واحداً هو القرآن الكريم فتراهم متشابهين في الاخلاق والعادات والآداب الا انهم يختلفون في أمر واحد وهو الزواج فالصيني لايتزوج باكثر من واحدة والهندي يميل الى تعدد الزوجات وهم في ذلك لم يخرجوا عن أصول الاسلام وأوامر القرآن لانه مباح للمسلم ان يتزوج باربع نساء ان استطاع مرضاتهن جميعا والمسلم الصيني لاينكر حقيقة هذه الاباحة لكنه لايحب تعدد الزوجات وسبب ذلك ناشيء من معاشرة المسلمين للصينيين الوثنيين الذين لا يستحسنون تعدد الزوجات طبقاً لعاداتهم

ومن أهم دواعي حب الصينيين للمسلمين ان هؤلاء المسلمين لم يخرجوا عن طاعة أولياء أمورهم ونحن لانستطيع أن نصف المسلمين بالخيانة لرؤسائهم

سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين بل نقول انهم مطيعون للرؤساء من أي دين سواء كانوا في أوطانهم أو في أي بلاد يذهبون اليها ويختلطون باهلها فهم قوم مطيعون لكل حاكم عادل كان أوظالما شفوقا أوقاسيا مسلما أو غير مسلم لانهم مكلفون بذلك طبقا لاصول الدين الاسلامي لذلك تجد المسلمين دائما يطيعون أولياء أمورهم ويظهرون الولاء لهم ويكرهون كل مشاغبة لان قلب الحكومات لا يروق في أعينهم هذه هي أكبر الدواعي وأهمها التي جعلت الصينيين يميلون بكليتهم الى المسلمين اه

مصر في ١٦ أغسطس سنة ٩٦ — محمد ضيا

مقتطفات من الجرائد

﴿ تربية البنات ﴾

نشرت جريدة « مصباح الشرق » الغراء في عددها الاخير ضمن رسالة مكاتبها في الاستانة العلية الفقرة الآتية

« كانت احدى الجرائد في دار السعادة قد نشرت بروجرام مدرسة الالمان وذكرت أن المدرسة المذكورة مستعدة لقبول البنات المسلمات ولما كان تعليم بنات المسلمين في مدارس الاوربيين ممنوعا بمقتضي نظام الدولة عادت تلك الجريدة فكذبت نفسها بنفسها » اه

وخليق بالمصريين أن يتخذوا هذه القاعدة التي جعلتها الدولة العلية أساساً في نظام التعليم منهجهم القويم في تربية بناتهم لان الحكمة في هذا الخطر ظاهرة لاتكاد تخفى على عاقل

ذلك أن الغرض الاول من تعليم البنات تربية نفوسهن وتهذيب

أخلاقهن وجعلهن صالحات لتربية أولادهن صغاراً وتدبير أمور منازلهن بما يضمن السعادة والراحة في داخلية العائلات، وظاهر أن أشد التعاليم تأثيراً في النفوس وخصوصا نفوس النسوة تعاليم الاديان القوية الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، المعلمة أن القصد في النفقات فضيلة وأن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وان الشيطان كان لربه كفوراً، الباثة روح المحبة العائلية والحنان الوالدي، الحاضة على حسن المعاملة واصطناع المعروف مع ذوي القربى والجيران، الملقنة أن النظافة من الايمان وان أشرف فضيلة للمرأة طهرها وحصانتها ورعاية حقوق زوجها كما ترعي حقوق الله عز وجل

هذه هي التعاليم التى تجعل المرأة صالحة في بيتها وأساس نظام العائلة وهي التعاليم التي خص الدين الاسلامي بأوفر حظ منها

وما نكب المسلمون في جامعتهم الا بعدما نكبوا في نظام عائلاتهم بسبب إهمال تربية المرأة التربية الدينية الصحيحة النافعة

فاذا أريد تعليم البنات بعد ما أهمل أمرهن القرون فتناسين مبادئهن الدينية على نمط التعليم الافرنجي فقد جاء تعليمهن ضغثا على ابالة اذ هن يكرهن بعد ذلك جامعتهن ولا يهمهن شأنها، يكرهن عاداتهن الاولى ويتبعن العادات الجديدة فلا يأتلفن بذلك مع بقية العنصر الذي نشأن منه فلا يقوم معوج للعادات القومية ولا يمكن ارغام مخالطيهن على قبول ما ألفهن فيقع التنافر الذي يفسد به نظام العائلات

وبالله ماذا ينفع العائلة المصرية أن تربي بناتها في مدرسة أوربية فتستفيد اللغات الاجنبية التي لا يمكن أن تخاطب احداهن بها أمها

وأباها وربما أخواتها وزوجها . وان تتقن عمل الازهار الصناعية وكيف تلبس النطاق « البسط » الضيق في خصرها وتضرب البيانو على أضبط نوتة « نقطة » من الالحان الافرنجية . ثم هي اذا رجعت الى المنزل الذي نشأت منه وجدت من أهلها عالما غير العالم الذي ألفته في المدرسة ووقع التنازع بينه وبينها في كل شيء ألفت ضده وكان منها أن تمج وتبغض كل ما ألفوا وأحبوا دون أن تستطيع تغيير شيء من الوسط الذي عادت اليه

ألا يكون التعليم على هذه الحالة شقاء دائما للبنات وبترآ في العائلة وبذر شقاق بين بعض أفرادها والبعض الآخر لا يداوي جرحه غير أن تتزوج تلك الفتاة المتعلمة في مدرسة أوروبية بمتعلم في مثل مدرسة الفرير والجزويت وتنشأ منها عائلة لا تعرف على أسيء دين هي وربما أنكرت نسبتها لمصر لو وجدت الى ذلك سبيلاً ؟!

أو لم يكن الاوفق والأليق ان تتعلم البنت تلك المبادىء الشريفة التي أشرنا اليها لتعود الى بيت أهلها مصلحة ما فسد من أموره بلا جفاء ولا نفور ولتكون مثالا صالحا لاخواتها أما وربة بيت قادرة على ادارة شؤونه فتكون كاليد الكريمة لزوجها والقلب الرحيم لاولادها والصدر الرحب للجار ذي القربى بلا أذى للجار الجنب .

واذا وجدت العائلة المصرية على هذا الاساس وجدت الجامعة المصرية كلها على أشرف أساس وعاشت سعيدة تحس بوجودها وتلتذ بنعيمها وتلك هي الحياة الطيبة التي يكون بها الانسان انسانا وانسان عينه قرير

﴿ اختراع عجيب لمعرض باريس ﴾

شرعت احدى الشركات بانشاء قصر ذي خمسة وعشرين طبقة من الفولاذ النقي المغطى بألواح زجاجية ذات ألوان شتى وهو يدور على محور متين بحيث يتمكن جميع من يوجد في غرفه ان ينظروا غرائب المعرض وهم جلوس في نوافذه وشرفاته وسينار بأربعين ألف مصباح كهربائي تنعكس أنوارها على زجاجة من الداخل والخارج وسيكون ارتفاعه ٣٥٠ قدما وهو على شكل هيا كل الصينيين (لبنان)

***

﴿ جامع ليفربول ﴾

جادت مناهل الحضرة السلطانية باهداء شمعدانين من الفضة الخالصة المقدر ثمنهما بمائتين وخمسين ليرة عثمانية للجامع الشريف الذي استشاده «كذا» المسلمون في ليفربول وقد جاء في أخبار المدينة المذكورة ان المسلمين القاطنين بها احتفلوا احتفالا شائقا بوضع هذين الشمعدانين في المسجد المشار اليه ثم رفعوا عريضة شكر للاعتاب الملوكية لما أنعمت عليهم بهذا الاثر الملوكاني لازالت بيوت الدين ودور الموحدين آهلة مزدانة باحسان الحضرة السلطانية أيدها الله تعالى(؟) (طرابلس)

***

(الكتب والجرائد)

ذكرت جرائد دار السعادة ان نظارة البريد والبرق العلية قد أوعزت الى جميع ادارات البريد العثماني بأن تسلم الكتب والجرائد التي ترد الى

أصحابها للحال لأن في تأخيرها ضررا بيِّنا لا يسوغ اتيانه وقد قالت ان النظارة المشار اليها طالما أنذرت الادارات بالجري كما تقرر آنفا فاذا حدث بان تكرر وقوع مثل هذه الاحوال فان المسؤلية ترجع على مديرية البريد فتبوء بالعقاب الواجب

(المنار) ان ادارات البريد لاتفتيء تتلف الكتب والجرائد تارة وتؤخر تسليمها لذويها تارات مادامت تحت ادارة مراقبين جهلاء وولاة وحكام عميان يعتقدون ان الحث على التربية والتعليم مضر بالدولة والامة وان النهي عن البدع والمعاصي مضر بالدين وان الحض على الاتفاق والائتلاف والتعاون على المنافع الوطنية ومساعدة الحكومة على تعميم المعارف منبه للافكار (وهو جرم عظيم) فسواء على ادارات البريد في السلطنة أنذرتهم النظارة العليا في الاستانة أم لم تنذرهم ٠ وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يعقلون

تقول النظارة اذا تكرر هذا الجرم وهو تأخير تسليم الكتب والجرائد الى أربابها من أي مديرية فان المسؤلية ترجع على تلك المديرية بالعقاب الواجب . فليت شعري من السائل ومن المعاقب؟ ايسأل لنا ادارة بريد دمشق الشام لماذا حبس العدد السابع من المنار خمسة أيام بلياليها ! ولماذا حبس العدد التاسع منه نحو عشرة أيام ثم اعطي لذويه ممزق الغلف مقطع الحزم ! ولماذا أعدم العدد ١٨ و ٢٠ و ٢١ بله غيرها من أعداد سابقة !؟ ٠ وانما طلبنا سؤال ادارة الشام لان خللها محدود وذنبها معدود أما ادارة بيروت فهي لاتسئل عما تفعل : لا يعبأ الناس بالقول ولا بكتابة الاوامر والنواهي فاذا عاقبت النظارة بعض المديرين الخائنين

يعتبر باقيهم ويسلكون طريق الاستقامة فتعود للناس الثقة بهم المفقودة الآن التي اضطرت العثمانيين حتى أصدق المخلصين منهم للدولة العلية الى ارسال الكتب والرسائل بالبرد الاجنبية ماوجدوا الى ذلك سبيلا • ياليت ادارتي بريد بيروت والشام كادارتي بريد طرابلس الشام واللاذقية وما كان أجدر موقع بيروت المهم ان يكون مدير البريد فيه مثل سعيد بك مدير بريد طرابلس • لتبرهن النظارة الكبرى على اتقان العمل بالعمل لا بالقول الذي هو رماد يذر في العيون، ولتعلم أنه اذا أمكن ذر الرماد في الابصار فلا يمكن ذره في البصائر والافكار • هذه نصيحة مخلص غيور يود أن لا ينسب لبريد دولته خلل ولا قصور، لكنه يعلم ان الخلابة اللسانية غرور، لا تقنع سامعاً ولا تخدع ناظراً فانما العبرة بالاعمال وعلى الله الاتكال

عيد الجلوس الهمايوني (*

في مثل هذا اليوم (١٩ و٣١ اغستوس) من سنة ١٢٩٣ الموافقة سنة ١٨٧٦م بويع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين والسلطان الاعظم على جميع العثمانيين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبدالحميد خان « نصره الله تعالى وأيده » بالخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية وهو يوم يحتفل فيه العثمانيون على اختلاف مللهم ونحلهم والمسلمون على اختلاف أقطارهم وحكوماتهم ويظهرون فيه الابتهاج والسرور ويزينون المعاهد والقصور

---

*) فاتحة العدد الرابع والعشرين الصادر في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

ويهنئ بعضهم بعضاً بهذا الموسم الحميد ولقد طفق المصريون يستعدون للاحتفال وإقامة معالم الزينة من أول شهر اغستوس والجرائد العثمانية وفي مقدمتها جريدة المؤيد الغراء تحدو بهممهم وتحرك من نفوسهم الاريحية العثمانية والمكارم العربية . تجول في شوارع القاهرة وأسواقها فتسمع فوقك في كل بقعة حفيفا كحفيف الاجنحة الخافقة وما هو الا خفقان الرايات الحمر ذات الاهلة والنجوم البيض التي تمثل لك سماء من الياقوت كواكبها من الماس واللؤلؤ أو تخيل لك النيل يجري من فوق الرؤوس وقد عم فيضانه حتى روي ماؤه الاحمر مزينا بزبده الابيض في كل جو كما روي منه كل قاع . واذا أصخت بسمعك لخفقان الراي «جمع راية» والاعلام سمعتها تتناجى مع أرواح النسيم بان ارتباط مصر بالدولة العلية كارتباط الروح بالجسد وأن كل ذرة من ذرات مصر تنجذب الى العثمانية بطبيعتها وكل نفس منفوسة في مصر تخضع لجلالة السلطان الاعظم بطوعها وارادتها .

قال قائل ان الاحتلال الانكليزى أنمى محبة الحضرة السلطانية في قلوب المصريين وفسره بما يبعد عن الصواب ونحن نقول ان لم يكن الاحتلال انمى ذلك الحب فقد أيقظه ونبهه وان لم يكن أوجد الرابطة العثمانية فقد أحكمها وقواها لا لان السلطان أذن للانكليز في احتلال مصر واصلاحها كما زعم الزاعم بل لان استبداد الانكليز في البلاد وتهديدهم استقلالها وافسادهم معارفها واستيلاءهم على سفنها ومراكبها وأراضيها وأموالها — كل ذلك — نبه المصريين الى رحمة حكامهم الاتراك وعرفهم ان من وجد في الاتراك اخوانهم

من حاكم ظالم فان ظلمه ناشئ عن جهله لا عن ارادة الدولة العلية بمجموعها — سلطانها وحكامها لهم السوء على ان مصر جزء من أجزاء السلطنة وعضو طبيعي من أعضائها تربطها بها رابطة الجنس والدين فلو ان الحضرة السلطانية أو أي حاكم عثماني اختص نفسه بشيء من مصر لكان ذلك في نظر المصريين كانتقال الخاتم من أصبع الى أصبع أما أخذ الانكليز له فهو اضاعة وفقد لا يرجى عوضه . هذا مانبه المصريين على شدة التعلق بأذيال الدولة العلية والاخلاص في الحب للذات الشاهانية مقتدين في ذلك بخديويهم عزيز مصر عباس حلمي باشا الامين المخلص لسلطانه والخليفة عليه

وستقام في مساء هذا النهار (ليلة الخميس) الزينة الكبرى في حديقة الازبكية وقد استعدت الجمعية المصرية المؤلفة برياسة سعادة حسن بك مدكور التاجر الشهير لهذه الزينة أتم الاستعداد وقد صدرت أوراق الدعوة لحضور الاحتفال ببيتين كل شطر منهما تاريخ للسنة الهجرية الحاضرة وهما

أعز	الآله	خليفتنا	متين	التجاريب	عبد الحميد
٧٨	٩٧	١١٧٢	٥٠٠	٦٤٧	٧٦ ٩٣
١٣١٦			١٣١٦		

وأبلغه	في	دوام	المنى	سعود	المفاخر	في	كل عيد
١٠٤٤	٩٠	٥١	١٣١	١٤٠	٩٥٢	٩٠	٥٠ ٨٤
١٣١٦				١٣١٦			

أما الزينات الخاصة التي تقام في القاهرة وفي سائر مدن القطر فهي

لا تدخل تحت الاحصاء فانك لا تكاد تجد بيتا من بيوت الوجهاء ولا ادارة جريدة من الجرائد العثمانية — ونخص بالذكر ادارة جريدتي المؤيد والفلاح الغراوين وادارة هذه الجريدة (المنار) — ولا مكتبا من مكاتب المحامين الا وترى الاعلام خافقة في رحابه، والمصابيح تتألق على جدرانه وأبوابه ، وبالجملة ان القلم ليعجز عن اعطاء هذه المظاهر الاحتفالية حقها من الوصف لا سيما اذا أراد أن يصف ما تمنحه من الشعور العام بمعنى الوطنية وما تحكمه من روابط الجامعة العثمانية لكننا أشرنا للاجمال وندع التفصيل للجرائد اليومية . وانا نرفع على أعمدة الجريدة هذه القصيدة لاعتاب مقام الخلافة العظمى ومقر السلطنة الكبرى مسترحمين من مكارم مولانا اتحافها بالقبول وهي :

يوم الجلوس على العرش الحميدي — أجل عيد على الدنيا سياسي

ذاك الجلوس قيام بالامانة أو — نوم مع الامن أو نيل الاماني

قيام راع يبيت الليل منتبها — كيما ينام قريراً كل مرعي

قيامه بشؤون الملك نابعة — حكم الخلافة في الدين الحنيفي

عبد الحميد وذو الرأي الرشيد بنا — وخير هاد ومأمون ومهدي

مقرونة طاعة البارئ بطاعته — كما قرأناه في النص القرآني

ذو همة تحسب الافلاك أنجمها — دارت على محور منها مجازي

اذا خبا البرق في الآفاق أومض في — أفكاره بين ايجاب وسلبي

يعارض البرق منهلا ومنسجما — بعارض من نداه حافل الري

بين المحيا وكفيه مناسبة — كالبدر والبحر في الجذب الطبيعي

تقلد الملك والاخطار محطمة — من كل صوب كاعناق البخاتي

فاستل صارم عزم من اضاءته　　تنصلت صبغة الخطب الدجوجي

فلم يدع هام خطب غير منفلق　　ولم يذر عنق كرب غير مفري

وشاد للدولة العظمى دعائمها　　من دنيوي به تسمو وديني

شكت اه البؤس والضرا فاتحفها　　بمعنوي من النعمى وصوري

وبث روح الترقي في عناصرها　　من عسكري ومالي وعلمي

وكف عنها زحوف الطامعين وقد　　كانت تهدد منهم بالالاقي

مآثر كهتون المزن هامية　　تواترت بين مروي ومرئي

قد طوقت كرة الدنيا مناطقها　　منها بنور ولكن غير شمسي

بالكم والكيف تأبى الاشتراك بها　　بالرغم عن هذيان الاشتراكي

تعزى الى شخصه السامي فلست ترى　　سوى حميدية اسم أو حميدي

ياخادم الحرمين الاشرفين ويا　　رب النفوذين حسي وروحي

وحاملا راية السلم الشريف ومي　　زان السياسة للقطر الاوربي

يخشى خلافك بل يرجى حلافك من　　ملوكه كل مرجو ومخشي

يهنيك عيد به عاد السرور على　　كل الرعية من عرب وتركي

وعش لامثاله بالله معتصما　　مؤيداً منه بالنصر الالهي

وانا نختم القول بأبيات ذات تاريخ قدمها لنا حضرة الاستاذ الشهير الشيخ سليمان العبد من علماء الجامع الازهر الشريف وهي

عيد الجلوس مبشر　　بالنصر والفتح المبين

وسعوده تزهو بعه　　دك يا أمير المؤمنين

وتقلدت مصر بطا　　لع يمنه عقدا ثمين

وتيمنت ببهائه　　واستبشرت بالمخلصين

وأضاء في ارجائها فزهت وضاء بها الجبين
في كل عيد تجتلي صفو الهناء مع البنين
ونراك خير خليفة تحمي البلاد من المهين
ونرى الرعايا في صفا في ظل عدلك آمنين
ونرى للملك عزة ونراك في عز متين
ونراك يقظان العيو ن على صلاح المسلمين
ونراك في سعد السعو د وأنت أرقى الظافرين
ونراك تحفظ حوزة الا إسلام فينا كل حين
ونراك فياض العطا كرما لكل الطالبين
ونراك بساما لدى بذل الندى للسائلين
ونراك وثابا على محق البغاة المارقين
ونرى سهامك والموا ضي في نحور المعتدين
وعلى دياجي المشكلا ت بنور وجهك تستعين
ومن الحوادث والكوا رث دمت في حصن حصين
واسلم فما في الامر من خلل اذا كنت الامين
وأسعد فما في الملك من عوج اذا كنت المعين
وأهنأ بعيد جلوسك الزا (م) هي على مر السنين
أرخته في بيت شه رفائق الدر الثمين
عيد الجلوس كمال بشـ ـرياأمير المؤمنين

١٣١٦

(فادعوا الله مخلصين له الدين)

ورد علينا رقيم من مصر بامضاء (أحد مشتركي المنار) ينتقد صاحبه علينا ويخطئنا في أمور هو فيها مخطىء وأغلاط الرقيم اللفظية تحاكي أغلاطه المعنوية ولذلك أضربنا عن نشره ونكتفي بذكر المسائل التي أنكرها وبيان الحق فيها فنقول:

(المسألة الاولى) قولنا في العدد الرابع ان أكثر العلماء ذهبوا الى عدم انتفاع الاموات بقراءة القرآن من الاحياء . زعم صاحب الرقيم ان الاكثرين ذهبوا الى الانتفاع والاثابة . ودلالتنا ما صرح به العلامة المحدث الشمس محمد بن علي العسقلاني احد شيوخ الحافظ ابن حجر في رسالته (القول بالاحسان العميم) وقد لخصها الزبيدي في شرح الاحياء فليراجع صاحب الرقيم الصفحة ٣٦٩ من الجزء العاشر من ذلك الشرح ان لم يكن له وصول للرسالة

(المسألة الثانية) قولنا في العدد الماضي ان الرخصة في زيارة القبور انما هي لاجل التذكر والاعتبار ولذلك كانت عامة لزيارة قبر المسلم والكافر والصالح والفاسق ولقد أنكر صاحب الرقيم هذا القول أشد الانكار وأتى بكلمات تنبىء عن دعوى مع جهل وقلة اطلاع حيث قال (ومن الغريب الذي تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع الذي ما سمعنا به ولا من قبلنا ولا أحد نطق به أو قال بطلبه زيارة قبور الكفرة والفساق سوى حضرتك مع ان المروي والمتلقى هو طلب الاسراع بالمشي عند المرور صوب قبورهم فكيف هذا مع مدعاكم بطلب زيارتهم فهل عندكم

لهذا دليل من كتاب او سنة أو عن سلف صالح) اه فقول بعد الاستعاذة بالله من أفتئات الجهلاء على الدين وأهله ان هذه المسألة منصوص عليها في شروح البخاري ومسلم وفي كثير من كتب الفقه والتصوف ولنذكر بعض النقول في ذلك من الصفحة ٣٦١ من الجزء العاشر من شرح الاحياء قال الشارح في الكلام على حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الاخرة غير ان لا تقولوا هجرا » قال شيخ الاسلام ابن تيمية: قد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارتها بعد النهي وعلله بأنها تذكر الموت والدار الاخرة وأذن إذناً عاما في زيارة قبر المسلم والكافر والسبب الذي ورد عليه لفظ الخبر يوجب دخول الكافر والعلة موجودة في ذلك كله الخ ثم نقل عن شرح المناوي للجامع الصغير ان هذه الزيارة يستوي فيها سائر القبور ولا يخص قبر دون قبر قال: قال السبكي متى كانت الزيارة بهذا القصد لا يشرع فيها قصد قبر بعينه ولا تشد الرحال لها وعليه يحمل ما في شرح مسلم من منع شد الرحال لزيارة القبور وكذا بقصد التبرك الا للانبياء فقط اه «فليعتبر الذين يشدون الرحال لزيارة قبور الشيوخ » قال وقال بعضهم استدل به على حل زيارة القبور هب الزائر ذكراً أم أنثى والمزور مسلما أم كافراً قال النووي وبالجواز قطع الجمهور وقال صاحب الحاوي «مقابل قول الجمهور» لا يجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط اه وبهذا القدر مقنع لمن يطلب الحق وجزم الامام النووي بغلط صاحب الحاوي في مخالفة الجمهور هو مساو للقول بأن المسألة لا خلاف فيها فليعتبر صاحب الرقيم

(المسألة الثالثة) تخطئتنا للذين يستغيثون بالاموات ويستعينون

بهم على قضاء حاجهم في معاشهم وسائر شؤونهم الدنيوية وقد خبط صاحب الرقيم في هذه المسألة خبط عشواء في مدلهمة ظلماء وزعم انها من أصول الدين وان الاحاديث في الطلب من الموتى مستفيضة ومجمع عليها ونقول السلف فيها كثيرة مع ان السلف ما سمعوا بهذا الضلال ولم يرد فيه الا حديث واحد مكذوب موضوع لعن الله واضعه «وستعلمه» وعجبت كيف لم يورده صاحب الرقيم وقد أورد ما هو أبعد منه في الدلالة على المقصود كحكاية الشهيد الذي قاتل ثم نام فاذا هو ميت فعلموا انه قام من بين الاموات من باب الكرامة وحياة الشهداء ونحن نقول ان هذه المسألة من المسائل الاعتقادية والاعتقاد لا يؤخذ من الحكايات التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا من أقوال الشيوخ وافهامهم وان سماهم صاحب الرقيم أو أصحاب المطابع الذين يطبعون كتبهم أئمة كما سمى الشيخ داود البغدادي إماما لانه اقتدى به في قوله: ان الاموات يتصرفون في قبورهم فلنضرب بالحكايات وأقوال الشيخ التي استنبطتها أفكارهم أو أوهامهم عرض الحائط ولنتكلم على الآيات القرآنية التي أوردها واشتبه عليه معناها كما اشتبه على كثير من المحرفين أو المخرفين فان القرآن هو الامام الحق الذي لا يضل من اتبعه . أما هذه الآيات فهي قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله تعالى (والمدبرات أمرا) ولقد وفى مسألتنا حقها في تفسير الآية الاولى العلامة الالوسي المحقق في تفسيره روح المعاني وانا ننقل زبد كلامه وعيونه في ذلك

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) « هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا أي تقرب اليه بشيء » ثم قال ما نصه

« واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد والقسم على الله تعالى بهم بأن يقال اللهم انا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين يا فلان ادع الله تعالى لي ليرزقني كذا وكذا ويزعمون ان ذلك من باب ابتغاء الوسيلة ويروون — وهم كاذبون — عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: اذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور أو فاستغيثوا بأهل القبور ، وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل وتحقيق الكلام في هذا المقام ان الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لاشك في جوازه ان كان المطلوب منه حيا ولا يتوقف على أفضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله تعالى عنه لما استأذنه في العمرة : لا تنسنا يا أخي من دعائك — وأما اذا كان المطلوب منه ميتا أو غائبا فلا يستريب عالم انه غير جائز وانه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف » ثم ذكر الدعاء للاموات وقال « ولم يرد عن أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهم أحرص الخلق على كل خير انه طلب من ميت شيئا بل قد صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقول اذا دخل الحجرة النبوية زائرا: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف ولا يزيد على ذلك

ولا يطلب من سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم أو من ضجيعيه المكرمين رضي الله تعالى عنهما شيأ وهم أكرم من ضمته البسيطة وارفع قدرا من سائر من أحاطت به الافلاك المحيطة » ثم ذكر الدعاء في ذلك المحل وانه لم يرد عنهم استقبال القبر الشريف عند الدعاء ونقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى انه لا يستقبل بل يستدبر وان المعول عليه استقبال القبر وقت السلام واستقبال القبلة وقت الدعاء ثم قال « فاذا كان هذا المشروع في زيارة سيد الخليقة وعلة الايجاد على الحقيقة صلى الله تعالى عليه وسلم فماذا تبلغ زيارة غيره بالنسبة الى زيارته عليه الصلاة والسلام ليزاد فيها ما يزاد أو يطلب من المزور بها ماليس من وظيفة العباد » ثم ذكر مسألة القسم على الله تعالى بأحد من خلقه وذكر ان ابن عبد السلام أجازه في النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره وانه نقل عن أحمد مثل ذلك وان « من الناس من منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه » قال « وهو الذي يرشح به كلام المجد بن تيمية ونقله عن الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأبي يوسف وغيرهما من العلماء الاعلام » وأطال في البحث وذكر فيه مسألة استسقاء الصحابة بالعباس وان معنى التوسل به طلب الدعاء منه ولذلك دعا وأمنوا على دعائه ثم قال « والناس قد أفرطوا اليوم في الاقسام على الله تعالى فأقسموا عليه عز شأنه بمن ليس في العير ولا في النفير وليس عنده من الجاه قدر قطمير وأعظم من ذلك انهم يطلبون من أصحاب القبور نحو اشفاء المريض واغناء الفقير ورد الضالة وتيسير كل عسير وتوحي اليهم شياطينهم خبر : اذا أعيتكم الامور الخ وهو حديث مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين

مجهول لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك . فكيف يتصور منه عليه الصلاة والسلام الامر بالاستغاثة والطلب من أصحابها سبحانك هذا بهتان عظيم وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره انه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون، ومن كلام السجاد رضي الله تعالى عنه : ان طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله ، ومن دعاء موسى عليه السلام وبك المستغاث وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابن عباس رضي الله تعالى عنهما : اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، الخبر وقال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين»

ثم ذكر انه لا يرى بأساً بالتوسل بجاه النبي صلى الله تعالى وسلم وحرمته اللذين هما من فضل الله تعالى ورحمته عليه وكذلك القسم فكأن التوسل توسل وأقسم على الله بصفة من صفاته قال اذ معناه اللهم اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا ثم صرح بقوله « ولا يجري ذلك في التوسل والاقسام بالذات البحت ثم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولعل ذلك كان تحاشيا منهم مما يخشى ان يعلق منه في أذهان الناس اذ ذاك — وهم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام — شيء ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمة الطاهرين ، ومن العجيب انه مع هذا قال لا بأس بالتوسل بجاه غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته وأما من لا قطع في حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من

الحكم الضمني على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه وفي ذلك جرأة عظيمة على الله تعالى »

وفي هذه الاجازة انتقادات ، الاول : خروجها عن سنة سلف الامة وفي الحديث الصحيح « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان ذلك بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » الثاني : ان الولاية ظنية فلا يقطع بها لاحد الا بنص من الشارع وأين النص الا ماورد من بشارة بعض الصحابة بالجنة ، الثالث : انه يخشى من عموم الجهل في هذه الايام مالم يكن يخشى في زمن نزول الوحي وبيان الحق من الباطل والتمسك بالتوحيد على أكمل وجه وانه يعلم كما يعلم كل مختبر أن النزغات الوثنية عادت الى الناس من جراء ذلك ولا منكر ولا مرشد ، الرابع : ان التوسل بالمعنى الذي ذكره لا يعقله الا عالم فقيه في دينه وانه لتأويل حسن لمن يفهمه لان تفسيره التوسل بقوله « معناه اللهم اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا » هو كقولك اللهم اشملني برحمتك التي رحمت بها فلانا واعطني من فضلك الذي أعطيته ولقد ختم هذا الفاضل البحث بجملة صالحة وانما نقلها بنصها زيادة في البيان وهي   (البقية بعد)

« رأي في موضوع المنار »

ورد لنا هذا الرقيم الحكيم من بعض الفضلاء في دار السعادة فعهدنا بترجمته لبعض البلغاء العارفين باللغتين العربية والتركية فترجمه بتصرف ونشرناه مع ترجمته لما فيه من الفائدة والتنبيه وهو :

فضائلمند أفندم

بويكتاه بوبي همتا جريده كز ايچون رأيمي صوريور سكز، نه ديه يم!
آنك شاننده نه ديسه م ازدر. لسانم قاصر قلمم عاجز اولمسه كوكلك
ايستديكني سويلردم. فقط تفاخر ويا تمدح ده أولى شونى ديه جكم:
بنده كز سويلديكم على الخصوص يازديغم هر سوزي اعمال فكر ونظر
دن صكره سويلر يازارم «أول انديشه وانكهي كفتار» بنديني هنوز
كوچوك ايكن آلشدم. بو درس حكمتي نصل دستور عمل اتخاذ ايتمه يه يم كه
«انسان هر سويلديكني بيلمه لي فقط هر بيلديكني سويلمه ملي» در.
أولكي مكتوبده جريده كزدن كنايه «اوقدر بكندم كه ملكمزده
هنوز مثلي نشر اولنمديغنه حكم ايتدم» ديمشدم بو سوزم نه برفلتهٔ لسان نه
زلهٔ قلمدر، براعمان بر تأمل بر انتقاد نتيجه سيدر كه كلمهٔ حق قدر طوغريدر.
سز منهج مستقيمكزده دوام ايتدكجه بن ده حكمده ثبات ايدرم. سزدن
شونى رجا ايدرم كه يازدقلركزي فهم سقيم بلاسيله معكوسا تلقي ايتمه-
لرينه فتور كترميكز. عزم وحزمكز دوچار وهن وخلل اولمسون. حق انكار
اولنور ابطال اولنه ماز. قره بلوطلر كونشي اورتر فقط كيزله يه مز.
شپره متأذي اولورديه كونش ضياسني نشر ايتمسونمي؟ جاهلر يا كلش
اكلارديه طوغرى سوز سويلنمسونمي؟ سز دائما حقه اتكال وانكله
اشتغال ايديكز. جاهلر البته دوچار نكال اولور.

«مناره»لك اوغرامقده اولديغي صدماتدن بن سزدن اول خبر اليوردم
وسزدن زياده متأثر اوليوردم. بو نكاه متسلي اوله لم كه بيك اوچ يوز بو قدر
سنه اول ده منكرين كلام الله بويله يا ايشلردي. كنديسني احيا ايدني

اقلرينه چالشمق بخير وشرايله حق وباطل بيني آيره مامق جاهللرك ك آچينه حق حاللرندندر . سز اقتسحر آفرين فصاحت او اعجاز نماي بلاغت أو ناطق حق وحكمت أو تربيه أموز امت أولان قلمكزي الكزدن براقيكز هان يازيكز . بزي منهاج رشاد وسبر اه سداده سوق يچون مشعل كش هدايت أولكز . أو كنده وادئ ويل قدر خوف وخطرناك شوورطه لر واردر دوشمه يهلم . بزده نه بصر نه بصيرت قالمشدر . يازيكز كه انسانلغمزي اكلايه لم . ترقى وتكامله چاليشه لم . هر قاريش طوبراغي اجداد مزدن برتاج شهيدك قاني بدلي أولان وطنمز دشمنك حرص وطمعندن نصل محافظه اولنور اوكره نه لم . دشمنه عرض افتقار مذلتندن قورتلمق نه ايله ميسر اولور بيله لم . نصل بر جهل وغفلت ايچنده بولنديغمزي ايده لم . بلكه كنديمزدن اوتانيرز وقسمزه خصوصيله اخلافمز اوله جق اولادمزه اجيرزده بر آز گوزمزي آچارز . بلكه وفرق فاحكم ه سياستك نتيجه سيئه سي اولمق اوزره عدد مجموعمز قدر متفرق اولان افرادمتمزله اتحاد اولمق وجهني تقدير ايدرز باقي عرض سلام واحترام ايله ختم كلام ايدرم .

التعريب

سيدي صاحب الفضائل

رغبتم الي في ابداء رأيي بشأن صحيفتكم التزمة في مشربها وأسلوبها عن الكفؤ والنديد وأحببتم بأن أتناولها بشيء من النقد وآخذ طها الطريق بيان سقاطها ، والتبحث في عثراتها يارب ماذا أقول ؟ مهما أغرقت في نعتها وغلوت في تبيين مزيتها أكن منصحباً منقطعاً دون الحقيقة لو أن لي قوة

غير النطق والكتابة أعبر بها عما يجوك في نفسي من وصف مناركم فان لساني قاصر وقلمي حصير كليل ، وأيم الله ان في مناركم من حر الكلام وبليغ المنى وثاقب الرأي ونافذ البصيرة وخالص النصح ورائع الحكمة وواسع العلم مالا يحسن واصف وصفه ولا طاقة له بتحديده ، اني محدثك ببعض خلائقي وانعد مني تمدحا وتبجحا، لا أخط حرفا ولا أنبس بكلمة مالم أمعن النظر وأجيل قداح الفكر فيما أكتب أو أقول، ولقد ألقي في نفسي منذ الحداثة كلمة نصح لم تزل تشملني بركتها الى الآن وهي «فكر أولا ثم تكلم» وما أذكر اني سمعت أحسن من قول بعض الحكماء «ليعلم المرء كل مايقول ولا يقولن كل مايعلم» وقد اتخذت هذا الذي أسير به قلمي قانونا أعرض عليه جميع أقوالي .

كنت أثبت على وصف المنار في مكتوبي السابق بقولي (ذهب بي الاعجاب الى أنه خير مانشر في بلادنا من الصحف الى الآن) أجل والله ان كلمتي هذه ليست فلتة لسان ، ولا زلة قلم ، بل هي نتيجة الروية وبنت الامعان ، وان شئت قلت توازي كلمة التوحيد في الصحة والصدق، اللهم غفرا وأرى ان ثباتكم على هذه الشاكلة المثلى، ومواصلتكم السير في هذا النهج القاصد ، يضطرني الجاج في حكمي والتصميم على رأيي ومما أقدم اليكم بالنصيحة فيه ان لا يلحقكم يأس وقنوط ، ولا يرهقن همتكم فتور أو كلال، من أناس منوا بضعف المدارك، وسفه العقول، فغدوا يحرفون كلامكم، ويفهمون منه مالا تريدون، ويحملونه على عكس ماتقصدونه فويل لهم مما يأفكون ، بل قاتلهم الله اني يؤفكون . الحق ينكر ولا يبطل السحب السوداء تستر قرص الشمس ولا تخفي آياتها (شعاعها) أفذي

الخفاش من ضوء الشمس هل يمنعها من نثر نضار أشعتها على العالم ألفة الجهلة لخطأ القول؟ هل يصرفنا عن النطق بصوابه؟ لا أرى الا أن تعمدوا أنتم الي نصرة الحق وتعكفوا على خدمته وإعلاء كلمته ثم تعرضوا عن أغمار القوم وشذاذهم فان مصيرهم إلي زاوية الخزي وهاوية الخذلان .

سيدي : وجمت جدا لما يصادفه ناركم من العقبات وساءني أمره أكثر مما ساءكم ونمي الي خبره قبل ان تخبروني ، فلتتحصن من زحوف الملمات ، بمعاقل الصبر والثبات ، ولنبدد جيوش الاسى بالاسى (جـ اسوة) بكلام الله الذي قاومه الجاحدون منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وحاولوا إطفاء نوره ، وابى الله الا ان تكون العاقبة للمتقين ، وارحمتاه للجهلة الاغبياء يجتهدون في إماتة مايحييهم ، ويحرصون على اطفاء نورهم الذي يسعي بين أيديهم ، لا يفرقون بين الخير والشر ، ولا يفاضلون بين الحق والباطل ، الا ساء مايفعلون . أليس فعلهم هذا مما يبعث الاسف والرقة لحالهم ، ويثير الحذر والاشفاق على مستقبل هيئة اجتماعهم ؟

لا يلفتنكم ما يعرض لكم من العقبات عن الجد في أمركم ، والسعي وراء مقصدكم ، ولا يجرمنكم ويحملنكم جهل الجاهلين ، على نبذ القرطاس والقلم ، وازال آية الحجاب على ما عندكم من مخدرات الحقائق والحكم ، دعوا قلمكم وهو خالق سحر الفصاحة ، ومظهر اعجاز البلاغة ، والناطق بالحق والحكمة ، المعلم تربية الامة ، يعرج بالامة الى مستوى العزة والفخر ، ويريها الجادة ، ويحذرها ملتويات الامور . اجعلوا أمامنا نبراس الهداية لنرى سبيل الرشاد ، ونسلك نهج السداد ، فلا نقع فيما نصب في طريقنا من

المخائل وتتردى فيما أعد لنا من الهوائير والمهاوي التي تضارع وادي الويل الجهنمي . كلت والله منا البصائر بل والابصار فاكتبوا لنفهم أننا لم نزل بعد في أفق الانسانية لنجد في بلوغ مراتب المدنية والكمال الاجتماعي . لنتعلم كيف نحسن الذود عن حوضنا، والذب عن حقيقتنا، والدفاع عن وطننا الذي شربنا كل شبر من صعيده بدم عدة شهداء من افراطنا (أجدادنا) ونعرف كيف نتناشه من مخالب الاعداء التي ضربت بتمزيقه وتكالبت على نهشه ، لنعلم كيف يتسنى لنا التفلت من حبائل الذلة والاستخذاء للعدو، والتفصي من أثر الحاجة والافتقار اليه . لنكون على بينة من تلك الغفلة التي أظلتنا ركامها، وذلك الجهل الذي نحن في غيابته. استنهضوا الهمم الخامدة، ونبهوا الافكار الجامدة، لعلنا نخجل من أنفسنا ونتبصر في أن لها حقوقا لا ينبغي اهمالها فنرثي لحالها ، وننفكها من اغلال الاخلاق والملكات الفاسدة ، ومعاطر العادات والتقاليد الخبيثة، ثم تتدرج في التدبر والحزم فنضع على إحدى عينينا نظارة معظمة، وعلى الاخرى نظارة مقربة ، ونستشرف بها عماء المستقبل ، فنمهد لاعقابنا وانسالنا فيه مستقراً ومتاعاً الى حين ، ونبوئهم فيه ما نأمن معه على حفظ استقلالهم وجامعتهم، وصيانة دينهم ووطنهم، لعلنا نتدبر عاقبة التفرق والتشعب ، والتخاذل والتواكل، فتسمو هممنا لجمع الاقوام المتفرقة ، وضم الاهواء المتمزقة ، ألم يأن لابناء الملة الواحدة ان يقدروا وجوب الاتحاد والالتحام قدره؟ ألم يأن لهم ان يتفلتوا من شرك هذه السياسة المضرة سياسة (فرق تسد) التي مكنت يد العدو من نواصيهم ؟ ونيرحكمه في رقابهم؟ هل في

قدرة أحد غير الله أن يحول هذا البلد الى لبد وان يديل الاتحاد والانضمام من التصدع والانقسام . وأختم كلامي بعرض سلامي واحترامي

« المنار » ان مثل والي بيروت هو الذي يحمل مثل هذا الفاضل من العثمانيين الصادقين في حب دولتهم المخلصين لسلطانهم على التأفف والتضجر واطلاق القول في الانتقاد . قرأ صاحب هذا الرقيم في المنار المقالات الكثيرة التي حضضنا فيها على اتفاق العثمانيين على الاعمال النافعة التي ترقي أوطانهم وحذرنا فيها من الاصغاء لوسوسة الاجانب والاعداء الذين أوضعوا خلال الديار يبغون الفتنة وفيها سماعون لهم ، ورأى ان هذا المنهج لم يرض والي بيروت ومراقبي الجرائد فيها فسعوا بمنع المنار ولذلك أشار بقوله « سياسة فرق تحكم » وهذه السياسة الخرقاء يتهم الاعداء فيها الدولة العلية بجريرة بعض الولاة الخائنين الذين يحبون التفريق لمنافعهم الخاصة وكفاك بمن ألقى الخلاف والنزاع بين طوائف النصارى في بيروت ، فتحيز لبعضهم واعرض عن بعض ، ولولا ان لرؤسائهم من العقل ما أمسك بحجزاتهم ، لوقعت الفتنة وفاض طوفانها على المسلمين والافرنج ، وتداخلت الدول الاوربية وكان ما لا تحمد مغبته . يعني والي بيروت عطوفتلو رشيد بك بمنع المنار لاننا لم ننشر فيه مسراه في « تقويم وقائع » أيام كان يكتب فيها ما كان جزاؤه عليه من الحضرة السلطانية الغضب والحرمان من خدمة الحكومة خمس سنين . اذا كان يدعي أن ما ينشره المنار - وما هو الا الحث على الاتفاق تحت لواء الدولة والتربية والتعليم - مضر فلم لم يرشدنا الى النافع عندما طلبنا ذلك منه كتابة غير مرة ! هل من الغدر اتباعه في ذلك بشارة مراقب الجرائد العربية الذي

طرد من المكتب الاعدادي طرداً لما لا حاجة لذكره وخرج جاهلا لم يتعلم غير السعي في ايذاء الناس وأكل أموالهم بالباطل ؛ أليس هو الذي سافر في خدمة محمد افندي سلطاني لمصر وأنشأ الافندي المذكور جريدة « الرياض المصرية » فجاء خادمه عبد الرحمن الحوت لسوريا وجمع من بلادنا قيم الاشتراك في الجريدة سلفاً واستأثر بها دون صاحب الجريدة فعطلت لذلك الجريدة وضاعت الاموال على أربابها حيث التهمها الحوت وهو مليم !؟ هل يعذر الوالي في اناطة مراقبة الجرائد والكتب التي ترد الى الولاية بمثل هذا الجاهل الخائن ليتحكم في العلم والدين بما تربى عليه ويكون سبباً في الطعن بالدولة العلية ونسبتها الى حب الجهل والشقاق وبغض العلم والوفاق بين رعاياها ان كان هذا عذراً فهو كما يقولون «عذر أقبح من ذنب » أو هو أعظم ذنب .

انما كتبنا هذه النبذة مع أن مشربنا عدم الكلام في الشخصيات لاجل تبرئة الدولة العلية مما يرمي اليه رقيم فاضل الاستانة وبيان ان سياسة الجهالة والتفريق التي يجري عليها بعض الولاة وأذنابهم لا ترضي سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وهو بريء منهم ومنها وهؤلاء الخائنون يوجد مثلهم في كل مملكة فنسأل الله تعالى ان يطلع مولانا السلطان الاعظم على أعمالهم المضرة ويوفقه لاصطلامهم وتطهير المملكة من خبائث أحكامهم والله ولي التوفيق

﴿ نصيحة في معالجة فضيحة ﴾

البغايا على قسمين مسافحات وهن اللواتي يجاهرن بالفاحشة ولهن في مدن القطر المصري . مواخير رسمية يتخذنها بمعرفة الحكومة التي تكشف عليهن أطباؤها الكشف الطبي وتعطيهن براآت تعلن سلامتهن من الامراض المعدية وتأخذ منهن رسوماً مالية كما هو الشأن في مدن أوربا . — وذوات اخدان وهن اللاتي يزنين سراً ولهن أخدان «زبونات» مخصوصون وكان العرب يسمونهن ذوات الاخدان ويكنى عنهن في البلاد المصرية لهاته الايام بصواحب البيوت السرية . وقد عزمت أخيرا الحكومة المصرية أن تنقل مواخير المسافحات رسميا من داخل المدن وتجمعها من احشائها الى بقعة مخصوصة من كل بلد وقد أحصت أخيراً هذه المواخير في الاسكندرية فكانت ٨٢ ماخوراً ، قالت جريدة البصير «أي عبارة عن بلدة صغيرة من بلاد القطر» وزادت عليها جريدة السلام بقولها «لو أضيف اليها المحلات المستترة لكانت بلدة كبيرة تقتضي مأمور مركز أو قائمقام»

ونحن نقول إن صواحب البيوت السرية يكدن يكن من المسافحات لانهن انما يلذن بالاستتار من الحكومة هرباً من الكشف الطبي ومن أداء الفروض على أمثالهن من المسافحات ولا بد في كل بلد من وجود ذوات أخدان يحامين حتى البيوت السرية ويسترن وأخدانهن من كل أحد فاذا ضممنا هؤلاء وهن لا يحصين الا بالخرص والحدس الى أولئك اللواتي قدرن بأهالي بلدة كبيرة تجلى لنا مقدار ضرر حرية الفحش واهمال

التربية الدينية التي هي الدواء الوحيد، لهذا الداء المبيد، وعلمنا انناقي حاجة أي حاجة لاستبدال المدارس الوطنية بهذه المواخير الجهرية والسرية وهيهات ان يقاومها مثلها عدداً والشر أغلب، والفحش أرغب، فالتربية الدينية التربية الدينية !! اما لجوابها داء البلاد قبل استحكامه، وانتاشوا بها الوطن من مخالب حمامه، فالفسق مدعاة الخراب والدمار، وما للظالمين من أنصار

سجايا العلماء (*)

العلماء والحكام من مجموع الامة بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الانسان، فصلاح حال العلماء والحكام يصلح حال الامة، وفساد حالهما مفسد لحال الامة بأسرها، فاذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد واشباهها من الرذائل فاشية في أمة فاحكم على أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد، وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والمكس بالمكس ولا يصدنك عن الجزم بهذا الحكم المؤرخون الكاذبون، والشعراء الغاوون، الذين يرفعون هيا كل الاطراء، وينصبون تماثيل المدح والثناء، لكل رئيس من أولئك الرؤساء، بما ينشرونه من الجرائد، وما ينظمونه من القصائد، ولا تعول في الاحتجاج والاستدلال، الا على الآثار والاعمال، فهي التي تشرح الحقائق، وتترجم من السجايا والخلائق، من غير كذب ولا محاباة، ولا مصانعة ولا مداجاة، فخذ بيد عقلك هذا الميزان، وطف به جميع عالم الانسان، يظهرك على ما في الضمائر، ويطلعك على مخبآت السرائر، ويبين لك الراجح من المرجوح، والعادل من المجروح، بشرط ان تقيم الوزن بالقسط

(*) فاتحة العدد الخامس والعشرين الصادر في يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

ولا تخسر الميزان ولا تطغى فيه كما أشار الى ذلك الفرقان الحكيم

اذا التزمت الشرط فلا ريب انك لاتقيم وزنا لكثير ممن يزعم الدهماء انهم يوازنون الجبال ، ويرجحون في الفضل والكمال ، وربما رجح في قسطاسك المستقيم ، من ينقصه وزنه أكثر الاقران والاقتال

فلا يعول في الاستدلال على حال الانسان الا على أعماله ، لان الاعمال تنشأ من الاخلاق والملكات الاعتقادية والادبية ، ولا إخالك تذهل عن كون الكلام من جملة الاعمال اللسانية ، ودلالته مقبولة فيما نحن بصدده من حيث كونه مظهرا لمعلومات المتكلم ، ومجلى لاخلاقه وآدابه ، لامن حيث مدلول الالفاظ في المدح والذم ، فان هذا هو الذي لا يعول عليه ، الا بعد تطبيقه على ما في الخارج وشهادة الاعمال والآثار له

من علامات علماء السوء الذين يفسدون آداب العامة واخلاقهم ، ويزعزعون اعتقاداتهم وأديانهم ، الانتصار لانفسهم الخبيثة ، وحظوظهم واهوائهم الباطلة ، بعنوان الانتصار للدين ، والغيرة على الحق ، فيذمون من يحسدون ، وينالون من دينه وعرضه قولا أو كتابة ، بحيث يوهم أحدهم سامعه أو الناظر في كتابته انه ينتصر للدين ، ويبين الحق من الباطل ، وينقسم هؤلاء الى أقسام ، منهم من لا يذم الا ما يراه باطلا ، ومن يعتقد صدور الباطل منه ، ومن أدلة كذبه في دعواه اذا لم يذم الا الباطل حقيقة كونه يأتي بهذه المذمة غيبة ، ولا ينصح من جاء بالباطل بينه وبينه ، وكونه يحب ان تشيع الفاحشة وينتشر الباطل حيث لم يسمع عنه من قبل من جاء به ، وكونه يمدح صاحب الباطل في وجهه ويعظمه ، بدلا من نصيحته وتقريعه ، وكونه يذكر ما نسب له امام مخدومه أو بعض ذويه سيما اذا كان المذموم ذا مكانة عالية ومنزلة سامية ،

وكون يدفن الحسنات ويعلن السيئات الى غير ذلك مما لايخفى على ذوي البصائر ، ومنهم من يريه حسده وهواه الحق باطلا والصحيح فاسدا ويكفيك عمى بصيرته دليلا على كذبه في دعواه الانتصار للحق أو الغيرة على الدين ، ومنهم الذين يقولون كذبا ويختلقون افكا لا يكتفون باخفاء المحاسن والمناقب ، وابداء المساوى والمثالب ، بل يتدقحون ويتجرمون ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (أنه كذب) أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ، ومن علاماتهم انهم لا يكادون يعترفون بخطأ بل يؤلون لا تقسهم ولمن يوافق قوله اهواءهم ولو بتحريف الكلم عن مواضعه والخروج باللغة عن أساليبها كما يفعلون للغميزة والازراء بمن يحسدونه ومن لايطابق قوله أغراضهم وأهواءهم وان لباب الحق كما علمت

من علامات علماء الاخرة وأنصار الحق الذين يهتدى بهديهم ، وتصلح أحوال الامم بالاقتداء بعلمهم ، أنهم اذا رأوا معروفا وخيرا من أحدا خوانهم يذيعونه ، وينوهون به ويثنون على صاحبه بما هو أهله ، واذا رأوا سوأ وأمرا منكرا يسترونه وينصحون فاعله من غير ان يشعروا أحدا آخر به فان أصر على منكره عامدا متعمدا وكان المنكر مما يتعدى ضرروه حذروا منه من يخشى عليه منه سواء كان في غيبة صاحب المنكر أم في مشهده ، ومن علاماتهم أنهم يقبلون النصيحة من أي ناصح ، ويقابلون عليها بالثناء والشكر ويرجعون عن الخطأ متى علموا به ، ضالتهم الحكمة ينشدونها حيث وجدوا ويأخذونها حيث وجدت

كل من نظر في كلامنا هذا يعلم بما أعطيناه من الفرقان ان علماء الحق أمسوا أندر من الكبريت الاحمر ، وان علماء السوء أعم وأكثر ، ولا يغتر

بالعمائم المكورة، والاردان المكبرة، والاذيال المجررة، وان كانت محل غرور الا كثرين، والعنوان ضدهم على العلم والدين، واذا تنبه لعدم الاغترار بالظاهر، وعول على الاستدلال بالاعمال والمآثر، وأحب معرفة سيرة بعض رجال العلم والدين، بما أشرنا اليه من السلطان المبين، فاننا نقص عليه خبر رجلين منهما مع الاشارة الى ضدهما فنقول:

ألف حكيم الامة الاستاذ الفاضل والعلامة الكامل الشيخ محمد عبده (رسالة التوحيد) التي لم يؤلف مثلها في الاسلام فطفق بعض علماء السوء يوسوسون الى أوليائهم ويوحون الى تلامذتهم وأصحابهم أن هذه الرسالة فيها نزغة اعتزالية وبعضهم تهور فقال ان فيها انكار الوحدانية وهذا في غيبة المؤلف وفي مشهده يثنون عليها أطيب الثناء ويطرونه عليها أشد الاطراء ومنهم من قيد ذلك الثناء والشكر بالكتابة وهؤلاء — كما علمت — من الذين يجعلون الحق باطلا والحالي عاطلا حسداً أو عمى بصيرة

وقد كشفنا بهتانهم من غير أن نعرف أعيانهم في مقالة مخصوصة نشرناها في العدد ١٢ من جريدتنا

هل أتاك حديث علماء الآخرة وأنصار الحق وما كان من شأنهم تلقاء « رسالة التوحيد » . قرأ الرسالة العلامة المحدث الذي انتهت اليه رئاسة علوم اللغة والحديث في هذه الديار لا سيما علم الرواية للحديث الشريف ولاشعار العرب والمخضرمين ألا وهو الاستاذ الفاضل الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي فتوقف في بعض حروف وفي بعض مواضيع منها فولى وجهه شطر بيت الاستاذ المؤلف حتى اذا ما جاءه طلب منه أن يقرأ الرسالة معه فقرآها في يومين وتذاكرا فيما توقف فيه فأزال له

الاستاذ المؤلف بعض ما أشكل عليه واعترف له بالاصابة في بعض ما انتقده وانتهى الامر بشكر كل منهما للآخر. ومن حسن أخلاق الاستاذ المؤلف واعترافه بالحق وشكره عليه انه قص هذه القصة على تلامذته في الجامع الازهر، وأثنى لهم على اخلاق الاستاذ الشنقيطي وعلمه ودينه وقال هذه هي مزايا العلماء . أما الانتقاد الذي اعترف المؤلف فيه للمنتقد بالاصابة فهو نحو قوله «دعيت لتدريس» وكان ينبغي أن يقول «دعيت الى تدريس» فسبق القلم هذا من حيث اللفظ وأما من حيث المعنى فمسألة البحث في خلق القرآن ، انتقد الشنقيطي بأن فيها مخالفة لما التزمه المؤلف من سلوكه في العقائد مسلك السلف، قال والسلف لم يبحثوا في هذه المسألة فاعترف له المؤلف بذلك وقال انني خالفت في هذه المسألة بخصوصها الشرط لاهميتها واشتباه كثير من الناس فيها

لم يكتف الاستاذ الشنقيطي بالشكر للمؤلف في مشهده وعلى سمعه على هذا الاثر الجليل بل قرظه بقصيدة غراء ذات حكم ونصائح وجاء الرواق العباسي في الجامع الازهر الشريف ولما حشر العلماء والطلاب لسماع درس الاستاذ المؤلف استأذن منه بقراءة القصيدة عليهم وصعد كرسي الدرس وافتتح الكلام بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على خير الانام وأنشد القصيدة والناس مصيخون والاستاذ المؤلف بينهم وهي :

ألا ان خير الناس من كان قصده ... لنفع الورى أو كان في الضر زهده
لقد مات دين الله وانحل عقده ... فأحياه بالذكرى (محمد عبده)
فذكر من يخشى بذا الدين وحده ... ومن كان لا يخشى وبالله أيده
ونشر للاسلام من بعد طيه ... لواء على الاعلام يخفق بنده
ونوه بالاسلام تنويه ماجد ... بتنويهه بالدين يزداد مجده

وجدد للآنام توحيد ربهم ... براهينه المهداة إذ طال عهده
براهين عقل ثم نقل مبينة ... حباهم بها عفوا وما جد جده
وسار بها سير المجد نصيحة ... لطالب دين الله فاشتد عقده
ولم يستعن في ذا الرئيس وجنده ... ولكن جنود الله والعلم جنده
ولم يستمن أهل الإدارة كلهم ... ولا بعضهم فالله منه ممده
ولم يستعن بالازهريين انهم ... اذا استقدحوا زندا ورى قبل زنده
ولم يتخذ حكم المحاكم عدة ... ولكن حكم الدين قسطا يعده
ولم يعتبر في حسن تأليفه الرضي ... تقار يظ من في الجهل لم يدر حده
ولم يسترق تأليف أستاذه الذي ... به لاح برق العلم يحدوه رعده
وخير كلام المرء ما زان نفسه ... بصدق حديث ليس يمكن رده
وشر مقال الحر ما شان ربه ... ببهتان قول لا يحاول جحده
فلازم دليل العقل والنقل صادعا ... بأمر اله الخلق يلزمك رشده
ولا تعدون عيناك عنه فانه ... إلى الله هذا الخلق طرا مرده
ولا تسلكن سبل الضلالة سادرا ... ففيها ترى المخذول يمتد كده
وإياك والتقليد في الجهل انه ... بناء لدى التحرير يسهل هده
وجادل بسلطان مبين أولي النهي ... به كل من ماراك قهرا ترده
ودع عنك تقوال الحسود وبغيه ... ففي نار غيظ الحقد يشويه حقده
ودع عنك بهتان الجهول وغيه ... فاخوانه في الغي كل يمده
فعاموا كعوم الحوت في بحر جهلهم ... وفي بحر طغواهم وقد طم مده
فان تعددن ما حرفوه وصحفوا ... لجهلهم بالعلم يتعبك عده
أرالك بنصرت الدين بالحق حسبة ... اليها القوى المقدام يشتد شده
وننصر مولانا ونعلم انه ... هو الله فقر العبد منه ووجده
وينصرنا المولى ويصدق وعده ... وأصدق وعد النصر لا شك وعده
فدونك نصحا مخلصا واعلم انه ... هو الدين نصح يا (محمد عبده)
وأحمد رب الناس سرا وجهرة ... على كل حال يلزم الناس حمده

﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾

تابع ما قبله

« ان الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الاولياء الاحياء منهم والاموات وغيرهم ، مثل يا سيدي فلان أغثني ، وليس ذلك من التوسل المباح في شيء ، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك ، وأن لايحوم حول حماه ، وقد عده أناس من العلماء شركاً وان لا يكنه فهو قريب منه ، ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك الا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الاذى والا لما دعاه ولا فتح فاه وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم . فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب الا من الله تعالى القوي الغني الفعال لما يريد .

ومن وقف على سر مارواه الطبراني في معجمه من انه كان في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق رضي الله تعالى عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المنافق فجاؤا اليه فقال : انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله تعالى — لم يشك في أن الاستغاثة بأصحاب القبور الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه في الجنان عن الالتفات الى ما في هذا العالم ، وبين شقي ألهاه عذابه وحبسه في النيران عن اجابة مناديه والاصاخة الى أهل ناديه — أمر يجب اجتنابه ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه . ولا يغرنك ان

المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته ، وتنجح طلبته ، فان ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل وقد يتمثل الشيطان للمستغيث في صورة الذي استغاث به فيظن ان ذلك كرامة لمن استغاث به هيهات هيهات انما هو شيطان أضله وأغواه وزين له هواه وذلك كما يتكلم الشيطان في الاصنام ليضل عبدتها الطغام الخ » اه

أقول ان شياطين الاوهام والخيالات كافية لخداعهم بكل ما ذكر ويوجد مثل ذلك عند جميع الامم والملل ومن قرأ التاريخ وكتب الاديان رأى من أمثال الحكايات التي يتناقلها هؤلاء عن شيوخهم شيئا كثيراً ولو روعيت في نقلها شروط رواية الحديث لم يكد يثبت منها شيء .

هذا وان ما أورده هذا المفسر الواسع الاطلاع في الآية مغن عن البحث في غيرها. وأما قوله تعالى « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » فمناها كما عليه جماهير المفسرين أن أولئك الالهة الذين يدعونهم أي يعبدونهم أو ينادونهم لكشف الضر عنهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أي القربة بالطاعة والعبادة وأيهم أقرب معناه من هو أقرب منهم يطلب الوسيلة الى الله تعالى (كسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام) فكيف بالابعد . وجوز الحوفي والزجاج أن يكون أيهم أقرب في محل نصب يبتغون والمعنى يبتغون أيهم أقرب فيتوسلون به أي بدعائه لا بذاته كما قال المحقق الالوسي وهذا التجويز انما هو من حيث وجوه الاعراب لا انه متبادر من اللفظ أو مأثور عن السلف فيحتج به لا سيما في الاعتقاد ومع ذلك فقد تعقبه في البحر بأن في اضمار الفعل المعلق نظراً قال ومع فا هو وجه غير ظاهر اه وصاحب الرقيم قد حرف الكلم عن مواضعه

وتعدى على كتاب الله وافترى على رسوله وعلى السلف الصالح حيث قال ما نصه (أمر الله تعالى بابتغاء الوسيلة وفسرها تعالى في الآية الاخرى أعني قوله يبتغون أيهم أقرب فيتوسلون به الى الله تعالى وهو عام سواء كان التوسل بدعائه أو بشفاعته أو بجاهه أو بكرامته أو بذاته في حياته وبعد مماته ولكل شاهد من الكتاب وصحيح الاخبار والآثار عن السلف الصالح) اه نعوذ بالله من الجرأة على الله ورسوله والتلاعب في الدين بمحض الهوى . اذا كان عند هذا الجاهل المنحرف آيات قرآنية وأحاديث صحيحة على التوسل بذوات الاموات والاحياء تشهد لما أخذه من وجه الاعراب الضعيف المردود الذي اتخذه عقيدة فما باله لم يأت بها !!

وأما قوله تعالى «والمدبرات أمرا» فقد قال بعضهم يحتمل ان تكون المدبرات الارواح بعد انفصالها من الاجساد وفسروه بأن الانسان قد يرى أباه في المنام فيرشده الى شيء مفيد أو يرى شيخه فيحل له مسألة عويصة ومثل هذا واقع استشهدوا له بما ينقل عن جالينوس انه مرض فرأى في المنام من أرشده الى علاج فتناوله في اليقظة فبرىء من مرضه

وقد اعترف المفسرون بأن هذا الاحتمال لم يرد في خبر نبوي ولا أثر سلفي وأوردوه بصيغة الضعف فهل يصح ان نعده مد الاديم ونضيف اليه الاضافات، ونلحق به الملحقات، التي انتحلتها الاوهام والخيالات، ونجعل ذلك كله عقيدة دينية ونقول «انا وجدنا آباءنا ـ والله أمرنا بها؟» حاش لله لا تؤخذ العقائد من الاحتمالات ولا يستدل عليها بالاحلام والمنامات

هذا ما يحتمله المقام من الكلام على الآيات وأما الاحاديث فليس في الباب الا حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما وهو

حجة على صاحب الرقيم ومن على رأيه ومذهبه من وجهين (الاول) قول عمر اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم وانا نتوسل بعم نبينا فاسقنا فهو دليل على ان المراد بالتوسل طلب الدعاء من الحي كما نقلنا ذلك في تفسير الالوسي ولو صح التوسل بالذات لما عدل عمر عن التوسل بالنبي وذاته الشريفة موجودة الى التوسل بعمه العباس على ان وقائع الاحوال، يعروها الاحتمال، فيكسوها ثوب الاجمال، فيسقط بها الاستدلال، كما قال الاصوليون وذلك بالنسبة للاحكام التي يكتفى فيها بالادلة الظنية فما بالك بالعقائد التي تبنى على البراهين اليقينية . (الثاني) قول العباس رضي الله تعالى عنه في دعائه على ما في رواية الزبير بن بكار «اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة» الخ وهو نص صريح في ان كشف البلاء لا يكون الا بالتوبة من خلاف الشريعة الالهية الذي أوجب البلاء والرجوع الى العمل بها والنفي يشمل التوسط الذي ما أنزل الله به من سلطان ولو شئنا لنأتين بالايات القرانية والاحاديث النبوية التي تنفي الوسائط الشركية والشفاعات الوثنية وان كادت تكون غير محصية لكن من لا يقنعه القليل لا يقنعه الكثير والمدار على التربية العملية والتعليم

هذا وان سابق كلامنا ولاحقه لم يبن على انكار الكرامات، ولا على نفي شفاعة الاصفياء في الاخرة، وصرحنا بان زيارة قبور الصالحين فيها من الفائدة والاعتبار ما ليس في زيارة سائر القبور، وهو الذي عبر عنه الغزالي بالبركة وقد فسرناها تفسيراً معقولا في المدد (٢٢) وان هذه الفائدة والبركة انما تحصل لاهل القلوب المتفقهة والعزائم الصادقة . ولكن كثيرا من الناس لا تطمئن قلوبهم بالتوحيد الخالص لله تعالى وانما يلوكونه بالسنتهم ولا

تنشرح صدورهم لان يعبدوه مخلصين له الدين حنفاء ولذا اتبعوا سنن من قبلهم حتى في النزغات الوثنية وتحريف الكلم عن مواضعه فضلوا كثيراً وأضلوا عن سواء السبيل، ومحوا مزايا الاسلام وخصائصه، فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا انا لله وانا اليه راجعون

﴿ العقيدة الاسلامية ﴾

« كتاب يحتوي على ذكر شهادات علماء أوربا وأشهر كتابها بفضل الدين الاسلامي في نشر المدنية وارتقاء العمران مع بيان الاساسات الجوهرية التي بني عليها هذا الدين المبين وتطبيقها على القواعد العقلية والاصول الفلسفية »

هذا عنوان كتاب ألفه بالانكليزية الشيخ عبدالله كويليام شيخ المسلمين ورئيسهم في ليفربول من بلاد الانكليز وقد عربه الفاضل محمد افندي ضيا المصري وأهدانا نسخة منه تصفحناها فألفيناها جديرة بالمطالعة ولكن عنوان الكتاب أكبر منه فانه وان بين الكثير من الاسس الجوهرية التي بني عليها هذا الدين لم يستوفها مع التطبيق الذي شعر به العنوان ، ومما يحسن ذكره في تقريظ هذه العقيدة انها تتكلم عن الاسلام من الوجوه التي تستلفت نظر الاوربيين وسائر أبناء التمدن العصري اليه من ذكر محاسنه وفوائده للنوع الانساني وتأثيره في سوق من يأخذ به على حقه للمدنية الصحيحة والجواب عن انتقاد متمدني العصر على بعض أحكامه كالطلاق وتعدد الزوجات وبمثل هذا ينبغي ان يدعى الى الدين في هذه الايام لا بمثل كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم كحواشي السنوسية

والجوهرة التي تبحث عن مزايا الدين وفوائده وتأثيره في سعادة أهله بناء على ان هذا ليس من أصول العقائد لكنها تذكر ان خوارق العادات تقع من كل صنف أو على يد كل صنف من أصناف البشر حتى الكفار والفساق وتسمي كل نوع من تلك الانواع باسم ولم يرد شيء من ذلك في كتاب الله ولا سنة رسوله وسيرة أصحابه وسائر سلف الامة الصالح وانما هو تقسيم لاح في ذهن بعض المؤلفين الذين لا يؤخذ بقولهم في فروع الدين فضلا عن أصوله وعقائده التي اختلف في صحة ايمان المقلد فيها ولو للائمة المجتهدين .

ومما نقله في هذه العقيدة عن علماء اوربا في وصف الاسلام مسألة حقيقة بان يلتفت لها طلاب العلم بل والعلماء المسلمون وهي ان دين الاسلام سهل قريب من الفهم يمكن لكل انسان ان يتناوله من طرف الثمام مع التعقل والاذعان في مدة قليلة جدا وانما استلفت لهذه المسألة أهل العلم مع انها لا نزاع فيها لان كتبهم وتآليفهم التي يتداولونها اليوم قد جعلت السهل حزنا والقريب بعيداً وصار تناول الدين الذي كان يأخذه الاعرابي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مجلس واحد يحتاج فيه الى سنين طويلة فعسى أن يضعوا لنا كتباً سهلة العبارة خالية من الحشو والابحاث الغريبة والمسائل المبنية على الفرض واحتمال الوقوع لاجل تعليم الناس الدين بها فان أكثر منتحلي علوم الدين ان لم نقل كلهم في عجز عن القاء الدروس الدينية من غير كتب يقرأون بها ، والكتب كما تعلم ، فالحاجة الى غيرها شديدة ومما ينتقد به على هذه العقيدة انها تنقل

مسائل دينية عن علماء أوربا مخالفة لما عليه المسلمون وتقر أصحابها عليها مثل الجزم بأن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يعبد النجوم كما يلوح لغير العالم بدين الاسلام من آيات سورة الانعام ومثل نقله عن بعض كتب التاريخ الافرنجية ان النبي عليه الصلاة والسلام كان شاعراً وعبارته المنقولة هي « وهكذا انتهت حياة الرجل الوحيد في تاريخ العالم الذي جمع في آن واحد بين شاعر ونبي ومتشرع ومؤسس لدين ومملكة» ومثل نقله ان أكثر القرآن منزل بالنثر المسجع وليس كذلك ومثل نقله عن بعضهم في القرآن انه يثبت انقلاب هذه الارض القاحلة على بغتة أرضا طيبة تجري من تحتها الانهار وهو ناجم عن عدم فهم القرآن . هذا ما سنح لنا الآن وربما نطالع العقيدة ثانية بدقة وامعان ونوفيها حقها في التقريظ والانتقاد ونختم الكلام بالثناء على حضرة المترجم ونستلفته الى العناية بتصحيح الترجمة في طبعة ثانيــة ونحث أبناء العربية على الاقبال على هذه العقيدة كما أقبل عليها أهل اللغات الاجنبية

مقتطفات الجرائد

(شاه العجم ومنظوماته)

ان لشاه العجم شغفا شديدا بنظم الشعر وهو يعد نفسه من أشعر شعراء مملكته ففي ذات يوم طرق أذنه خبر وجود شاعر مجيد من مدينة طهران فاستقدمه على جناح السرعة الى بلاطه ودفع اليه منظوماته ليرى رأيه فيها ويعلمه علم اليقين عنها فلما طالعها ذلك الشيخ الشاعر التفت الى

الشاه بدون خشية وقال له بحرية ضمير ان قصائدك يامولاي متباينة القوافي وعارية عن المعاني ولما كان الشاه ينتظر من الشاعر تقريظها وسمع منه بجرأة هذه العبارة أخذت منه الحدة مأخذها وكاد يتميز من الغيظ فامر حالاً بأن يساق الشاعر الى الاسطبل ويجلد، ونفذ على عجل أمره فيه، وبعد مضي مدة أيام استحضره الشاه اليه وكلمه برقة وبشاشة عن الشعر والشعراء فاخذ ذاك يتداول معه الحديث حتى اتصل بالشاه أن يتلو عليه بعض أبيات كان قد نظمها مؤخراً فما كاد الشاعر يسمع منها بيتين حتى نهض حالا من حضرته وسار متخذاً وجهة الاسطبل لا يلوي على شيء، فناداه الشاه قائلا له الى أين أنت متوجه ؟ فأجابه الشيخ الشاعر بكلام متقطع وهو يهز رأسه : اني ذاهب يامولاي الى الاسطبل لاستعد للجلد ثانية فما كاد يتم هذه العبارة اللطيفة حتى استغرق الشاه في الضحك ثم عينه عضواً في بلاطه

﴿ النساء في مملكة سيام ﴾

كل فرد من المدرنيين في تلك الجهة يقتني من النساء من اثني عشرة الي ثلاثين امرأة بحسب قلة ثروته أو كثرتها ولا يمتاز الشريف منهم الا بكثرة عدد حرمه وجمال هيئتهن

ثم ان بين حرم الواحد منهم من تسمي كبرى وهي التي يكون قد اقترن بها بعد خطبة رسمية أما الباقيات فيسمين صغريات وكلهن تقريباً يشترين بالمال فان المدرني منهم يمكنه ان يشتري عدة نساء جميلات بسبعمائة فرنك أو بثمانمائة فرنك بالاكثر واذا دفع ألف وخمسمائة فرنك

يحصل على نساء يحاكين حور الجنان أما زوجته الكبرى التي أشرنا اليها فهي التي تشتري له بقية زوجاته بحسب مطلوبه وهي التي يلقي اليها أيضا مقاليد رئاستهن فتذهب بهن الى التنزه وتكون المقدمة عليهن في كل ما يتعلق بشؤون بيته وبعد وفاته تكون وحدها وريثته ويكون ولدها خلفا لابيه ولا يمكن بيعها البتة

﴿ الآلام العصبية والبيانو ﴾

يزعم أحد علماء الفرنسويين ان أغلب الالام العصبية التي تعتري السيدات تنجم عن لعب البيانو

﴿ ميتة شنيعة ﴾

نشرت جرائد بريكسول خبر ميتة شنيعة وهو ان بعض العملة كانوا يتعاطون المدام في احدى الحانات فمر بهم بائع سمك فاستوقفه أحدهم ليشتري منه فرأى بين السمك فرخ انقليس (حنكليس) حياً فقبض عليه للحال وخاطر رفاقه على شرب كاس خمر على نفقتهم اذا قطع رأس ذلك الفرخ بأسنانه حالما فغرفاه وأدنى الفرخ منه انتفض هذا من يده وانساب في حلقه الى جوفه وبعد مضي دقيقة انتابت ذلك المسكين آلام شديدة في امعائه وملأ صراخه تلك الناحية ومع كل الوسائط التي أجريت له لم يلبث الا بضع ساعات ومات مأسوفا عليه { لبنان }

﴿ فتح أم درمان والقضاء على السودان ﴾

لم تكد ترتفع الشمس في يوم الاحد الماضي الى ربع السماء حتى فاجأتنا أصوات المدافع من قلعة مصر وأول ما خطر لنا من السبب في

ذلك فتح أم درمان والنصر على السودان وكان الامر كذلك فقد بعث سعادة كتشنر باشا سردار الجيش المصري في صبيحة ذلك اليوم (الاحد) رسالة برقية رسمية الى صاحب السعادة نخري باشا نائب القائم مقام الخديوي يؤذنه فيه باحتلال الجنود المصرية المظفرة (أم درمان) فصدر أمره سريعا باطلاق واحدوعشرين مدفعا من القلعة إعلاما بالنصر فأطلقت الساعة التاسعة صباحا

وأرسل سعادته رسالة برقية يبشر فيها سمو الخديوي المعظم ورسالة أخرى لعطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار (وهما في أوربا)

كانت الملحمة الكبرى في صباح يوم الجمعة الماضي وكان البادئ بالهجوم التعايشي بدراويشه ولقد جالدوا مجالدة الابطال لكنهم رأوا باعينهم أنه لا قبل لهم بالسردار وجنوده وما لديهم من المدافع والمدد الكاملة والاهب التامة وما هم عليه من التنظيم والشجاعة فولوا الادبار واركنوا الى الفرار وكان التعايشي يقاتل في قلب الجيش فتقهقر ثم ولى وأدبر فكر رجاله على أثره كما هو شأن الجيوش الغير منظمة اذا قتل أو ولى رئيسها لا تقوم لها قائمة اتباعا لنظام الشطرنج وهاك تفصيل خبر الملحمة والفتح نقلا عن عن الاخبار البرقية الواردة من مكاتب شركة روتر (نقلا عن المؤيد الاغر)

***

كان أول من رأى العدو قادما هم طلائع السواري حيث رأوا جيوش الاعداء زاحفة كالسيل على بعد ثلاثة أو أربعة أميال وهم بين راجل وفارس رافعين الاعلام مترنمين بالاناشيد الحربية الحماسية . حينذاك اصطفت البيادة وعلى يسارها الاورطة العشرون والاورطة الخامسة من الريفل والجاردس

وانضمت اليها أورطة مكسيم فيوزلرس الايرلندية وأورط واروبكس وكرون وسيفورث ولينكولن ورويال رتيلري وأورطتا مكسويل ومكدونالند السودانيتان ثم وضعت المدافع على الجانبين وأقيمت ألوية لويس وكولنسن وراء الجيش للحاجة

وما جاءت الساعة ٧ والدقيقة ٢٠ حتى زحف العدو من المرتفعات جملة واحدة وقبل ذلك أطلقت مدافعنا حيث كانت الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ فجاوبتها بنادق الدراويش ثم حملوا حملة منكرة مندفعين من الاعالي على الجناح الايسر الا اننا أسرعنا وصوبت نحوهم البنادق من كل صوب وحدب وانصبت عليهم النيران من جميع الجهات فاضطروا الى الانسحاب نحو قلب الجيش ليحملوا حملة أخرى وكان فرسانهم يقابلون النيران بقوة ثبات ، الا ان اورط الكمرون واللينكولن والسودانيين سحقوا العدو سحقا فتأخر وتقدمنا وصارت بعد ذلك الارض مغطاة بجثث القتلى ولا يمكننا ان نقدر خسائرنا تماما، ومهما وصف الكاتب شجاعة الدراويش وحملتهم وثباتهم فانه لا يعد مبالغا ولا متغاليا فانك ترى حاملي الاعلام منهم يجدون في الزحف وليس بيننا وبينهم سوى مائة ياردة

أما الامراء المتطون صهوات الجياد فكانوا يبذلون أرواحهم عن طيب خاطر ثباتا واستماتة

وقد أوقف العدو اطلاق الرصاص هذه الساعة وربما كان لغرض اجتماع قوتهم لكي يحملوا حملة ثانية ولذلك كان هذا اليوم يوما مشهودا قتل فيه من الدراويش ألف وتقدمت فيه جيوشنا حتى صارت على أبواب أم درمان واليك ما عرفته لهذه الساعة من القتلى والجرحى .

قتل الليفتنت غرنفل من الاورطة الثانيـة عشرة اللانسرس ، والكبتن كالديكوت من الواريكس وجرح كثيرون

﴿ الجمعة مساء ﴾

زحفت الجنود وأخذت أم درمان وفر التعايشي وخلص نيوفلد

جرح الكولونل رود (مكاتب التيمس) ولما تأخر الدراويش وراء التلال أعطي السردار الاوامر لالوية لويس وكولنس بأخذ الحذر والتيقظ التام وحاول الدراويش الهجوم على الجناح الايسر ولكنهم فشلوا في أمرهم ونكصوا على عقبهم وقد تقدمت قوانا أورطة أورطة نحو أم درمان

وبينما كانت الالوية الانكليزية تسير على الجانب المكون لشكل هلال من النيل (قرب أم درمان) واذا بالدراويش قد هجموا على الجناح الايمن من الجنود المصرية التي كانت تسير من المسكر وقد تجمعت الدراويش وراء صخور مرتفعة عالية تبعد نحو ميلين عن المسكر وساروا تحت لواء أسود للتعايشي ليقاوموا ما استطاعوا فكانت القوة المهاجمة للجنود المصرية مؤلفة من خمسة عشر ألفا من الاشداء الاقوياء قد جعلوا قبلتهم الجناح الايمن فصدرت في الحال أوامر السردار بتطويح الجناح الايسر والقلب حول الاعداء وتركت الاورطة الاولى من بريتش بريجاد لتقل المهات بينما احتلت أورطة مكسويل السودانية الا[illegible]ت التي كان يجتمع عندها الدراويش وانضمت بقية لواء مكدونالند

النار في خلال عشر دقائق تمكنت جنودنا الباسلة من حصر قوة الدراويش (قبل تمكنها من الرجوع الى المنازل) تحت نيران ثلاثة ألوية وبعض مدافع الطوبجية

ولطالما حاول الدراويش المخلصون أن يقاوموا مقاومة شديدة بكل شجاعة واقدام ولكنهم كانوا يسحقون سحقا ويرتدون على أعقابهم المرة بعد المرة ومع ذلك كانوا يرفعون أعلامهم بكل زهو وخيلاء ويموتون تحت ظلالها ولا ريب أن مثل هذه الاعمال أكثر ما يقدر على مقاومته الجسم البشري اذ كلما محيت كتيبة تقدمت أخرى حتى فني أكثرهم وولى الباقون الفرار تاركين الارض وراءهم مغطاة بالجثث المتحفة بالمرقعات

تلغراف آخر

ناوشت الاورطة الحادية والعشرون اللانسرس بعض الاعداء فوجدت كتيبة كبيرة من فرسان الاعداء مستترة فصبت عليها رصاص البنادق حتى أوقفتها مكانها ولكن قتل من جنودنا ضابط وقتل أيضا ٢١ جنديا وجرح ٢٠ هذا بينما كانت الخيالة المصرية مشتبكة القتال طول النهار مع فرسان البقارة الذين أخذوا مدفعا بقي معهم مدة من الزمان ولكن جنودنا ردته ثانية بعد ذلك بهمة واقدام غريبين

وان الانسان ليأخذه الاعجاب والتأثر الزائد من شجاعة الدراويش واقدامهم فكلما انفرط عقد اجتماعهم واضمحلت قوتهم تألبوا ثانية مقدمين للحرب حتى يقطعوا أربا أربا ولا يبقى لهم أثر ما وترى الامراء يقتحمون الاهوال ويدفعون بأنفسهم للموت تنشيطا لاتباعهم حتى كاد بعضهم يصل صفوفنا قبل ان يخترق جسمه بالرصاص المذاب المنصب عليه وكم من جريح يعالج سكرات الموت يدير رأسه ليطلق من بندقيته طلقة الوداع

وعند الساعة ١١ والدقيقة ١٥ أمر السردار بالزحف فتقدمت القوة

وطردت من بقي من الاعداء أمامها في عرض الصحراء بينما كان الفرسان يقطعون خط رجعتهم عن أم درمان

وعند الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ دخلت الجنود جميعها أم درمان تحت قيادة السردار وراية التعايشي السوداء مرفوعة

وأنا أكتب هذا في ضواحي هذه المدينة المضمحلة منتظرا احتلال المدينة بأجمعها هذا اليوم

وتقدر خسائرنا تقريبا بنحو ٢٠٠ نفر وخسائر الدراويش بالالوف وقد انقرضت المهدوية بذلك انقراضا لا تقوم لها بعده قائمة اه

وأنت ترى ان تهور هؤلاء الدراويش وغرورهم دفعهم الى مبارحة حصون عاصمتهم (أم درمان) المنيعة والهجوم على الجيش الذي يفوقهم تنظيما واستعدادا وهكذا اذا وقع القضاء عمي البصر

مأثرة جليلة

نفتخر بالكرم الشرقي، ونخص القطر المصري بالنصيب الاوفر من هذا الفخر، ولكننا اذا نظرنا في تواريخنا الحاضرة أو في جرائدنا التي تجعل الحبة قبة والحصاة جبلا لا نكاد نرى فيها نبأ عن آثار الكرم الحميد، والسخاء الصحيح، وما ثم الا منافسة الاسراف والتبذير عند الولائم والوضائم، ونحوها من مجتمعات الحزن والافراح، اللهم الا ما يكون أحيانا قليلة من بعض رجال الفضيلة ولقلة هؤلاء سارت كلمة السموءل «ان الكرام قليل» مثلا

أفضل الانفاق ما كان في أفضل الاعمال ولا أفضل من العلم

فالذين ينفقون أموالهم ويبذلون كرائم مقتناهم لتعزيز العلوم والمعارف وتوسيع دوائرها هم فضلاء الكرماء وكرماء الفضلاء وهم أقل القليل في كل قطر وجيل

نقول هذا تمهيداً لذكر المأثرة الجليلة ، والمكرمة الجميلة ، التي يحق للتاريخ أن يفتخر بها وهي وقف السروات الافاضل أبناء سليمان باشا أباظه (تغمده الله برحمته) مكتبة والدهم الشهيرة على طلبة الازهر الشريف.

هذه المكتبة تدخل في نيف وألفي مجلد ، منها نحو الف كتاب من نفائس الكتب الخطية، ومنها ماهو بخط ابن مقلة وابن هلال الشهيرين وغيرهما من مشاهير قدماء النساخ ، وفيها اكثر من مائة كتاب بخطوط مؤلفيها من العلماء السابقين ، ولقد أنفق سليمان باشا رحمه الله تعالى على جمع هذه الكتب الاموال الكثيرة ، لأنه كان من الافاضل المغرمين بالعلوم، والمشغوفين بجميع كتبها النفيسة، وأحب أولاده البررة أن تكون تذكرة له في أشهر معاهد العلم، وصدقة جارية ينتفع بها من بعده، فعهدوا بتنفيذ ذلك لاخيهم الفاضل الكامل محمد بك أباظه وهو أمضاه وأنفذه بمعرفة وارشاد العلامة المفضال الاستاذ الشيخ محمد عبده العضو العامل في ادارة الازهر الشريف وقد جاء البك المشار اليه بتلك الكتب القيمة النفيسة الى الازهر الشريف في (١٠ ربيع الآخر سنة ١٣١٦) فاستقبل أحسن استقبال وتلقاه الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر بالشكر والترحاب وكتب له كتابا يتضمن الثناء عليه وعلى اخوته الكرام والدعاء للمرحوم والدهم ويعده بتخصيص خزانات للكتب «يكتب عليها مايفيد انها كتب المرحوم سليمان باشا أباظه التي وقفها ورثته الاكرمون »

ونحن نرفع أعلام الشكر والثناء في منارنا لآل أباظه السراة الكرام ونرجو أن يكونوا خير قدوة لابناء الامراء والاغنياء في الديار الذين أصبحوا على أمتهم عارا، وحملوا أنفسهم وأهليهم اوزارا، وكانوا لاوطانهم خرابا ودمارا، اصلح الله شؤوننا وشؤونهم بمنه وكرمه

أنسنا بلقاء حضرة الفاضل محمد افندي مصطفى الدوملي الاسكندري وكيل جريدة (معلومات) وقد أهدى الينا أبيات مطرزة باسم (المنار) يقرظه بها فننشرها شاكرين له وممتنين من لطفه وهي

ا	أنعم بمن أنشا وصاغ (منارا)	ببديع در قد زها وأنارا
ل	لاحت معارفه بنور فضائل	وبلاغة تدع الفهوم حيارى
م	مالت عقول أولي العقول له كما	عنه أخو الجهل انثني وتوارى
ن	نعم المؤسس للمنار وحبذا	طرق لخير الناس فيها سارا
ا	الله يمنحه (رضا) ويزيده	(رشدا) ونجحا دائما ووقارا
ر	رام الهداية للانام فمن نحا	نهج الهدى فليتخذه منارا

التعصب (*

قد علمت أن التعصب هو عبارة عن القيام بالعصبية، وان مناط العصبية في اصطلاح هذا العصر هو الجنس أو الدين، وان الافرنج ومن احتذى مثالهم من أبناء المشرق حذو القذة للقذة يغرقون في مدح التعصب للجنس على اطلاقه، ويعدونه المشكل للدول، والمقوم للامم

(*) فاتحة العدد السادس والعشرين الصادر في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

ويفتخرون بالتغالي به والاستبسال في سبيله ويرون أن الشرف الاعلى والكمال الارفع في بذل النفس والنفيس في تقوية الجنسية ونصب الاشراك والاحابيل لايقاع سائر الشعوب فيها

ويخصون التعصب للدين بالازراء والازدراء والثلب والسب والطعن والقدح ، ويعدونه منبع الشرور ومولد الفتن وعدو المدنية ومثار الحروب ومقطع الصلات بين الامم ، ويتنذرون الاتصاف به ، ويتنصلون من الانتساب اليه ، بل استعملوا لفظه للسباب والشتيمة ، ويزعمون ان صاحبه خابط في ظلمات الجهالة ، والتعصب غشاوة على عينه ، أو حجاب كثيف يحول بينه وبين نور المعرفة ، بل هو أكمه لاقابلية فيه لادراك نور المدنية الصحيحة !!!

فليت شعري هل يرى هؤلاء ان الدين المطلق هو منبع الشرور ومصدر الرذائل والعقبة الكؤد في طريق المعارف ! وان اللغة من حيث هي لغة مجمع أزمة الفضائل ومنبعث أشعة العلوم والعرفان ! كيف وجلهم أو كلهم ينتسب للدين تشرفا به ولو رمي بلقب الكفر تقوم قيامته ويتبرأ من هذا اللقب الشائن الذي رماه به الشانئ ، بل ان عقلاء الكفار من هؤلاء المتمدنين يعترفون بفضل الدين وان كانوا لا يدينون به ، ويشهدون أنه المهذب للنفوس الرادع لها عن الشرور ، وانه يزع ما لا يزع السلطان لأنه مهيمن على النفوس لا يفارقها في حنادس الليالي ، ولا يزايلها وراء الحجب والاستار ، حيث تنام أعين القضاة ولا تصل أيدي الشرطة والاعوان

لا ترجع الانفس عن غيها مالم يكن منها لها زاجر

فلم يبق من شبهة لمن يخص التعصب الديني بالمقت والذم ، والجنسي

بالشرف والاطراء ، الا الغرض وأنا أقص عليك غرض الاوربيين منه فاستمع لما يتلى

أنت تعلم ان المنفعة مدار كل عمل عند هؤلاء القوم . فاما انتفاعهم من التعصب للجنس وتربية الامة على حب جنسهم مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم فهو انهم تمكنوا به من توحيد أممهم ، وامنوا من عواصف الثورات التي كانت تهب في بلادهم كالريح العقيم ، ما تذر من شيء أتت عليه لا جعلته كالرميم ، وهو الذي نقاسي اليوم عناءه، ونساور بلاءه في أرمينيا وكريت وغيرهما من البلاد العثمانية ، التي فقدنا هذا التوحيد لاهمال التربية على التحاب والتواد والاعتصاب بالجنسية العثمانية الجامعة .

وأما انتفاعهم من التعصب الديني فهو انهم شكلوا الجمعيات الدينية وجعلوها من آلات الفتوح وأرسلوها الى آسيا وأفريقيا أوزاعاً أوزاعا (جماعات متفرقة) تحت حماية دولهم فعملت مالا يعمل السيف بل كانت تسير على أثرها الجواري المنشآت في البحر كالاعلام، تحمل المدافع الفوهاء التي تدمر كل قطر ينظر فيه لاحد المرسلين شزراً، أو تستعمره استعماراً

انظر تاريخ أوربا مع المشرق كله وبين يديك الان شاهد قريب وهو اندفاع دول أوربا الكبار على الصين ومبدأه احتلال ألمانيا لكياوتشاو بسبب قتل بعض المرسلين ولم يكتفوا بهذه المنافع والمغانم بل هم ينفخون هذا الروح «التعصب» في نصارى الشرق بواسطة جمعياتهم السرية والجهرية ويربونهم عليه في المدارس السياسية الدينية التي ينشؤنها في بلادهم . يمثلون لهم لدى تعليم التاريخ صورة ماضيهم مع بني وطنهم بصفة مشوهة تنفر منها النفوس وتقشعر الجلود، ليوقعوا بينهم

العداوة والبغضاء، ثم يعدونهم بالحماية والنصر ويمنونهم بالاستقلال اذا هم شقوا عصا الطاعة وخلعوا رداء السلطة

ذلك وعد غير مكذوب، يجتهدون في الوفاء به ما وجدوا للوفاء سبيلا، واعتبر ذلك في الفتن الاخيرة في بلاد الدولة العلية من عهد مقدمات الحرب الروسية الى عهد المسألة الارمنية والمسألة الكريدية تلقه واضحاً جليا

ومما يقضي على العاقل بالعجب ان هذه الدول لا تحاشي المجاهرة بالانتصار للنصارى بعنوان حماية الديانة النصرانية

ولو ان دولة أو امارة اسلامية سألت عن حال المسلمين في مستعمرات تلك الدول من حيث زراعتهم أو تجارتهم فضلا عن الانتصار لهم لقامت عليها قيامة أوربا وأجمع دولها على وجوب تأديبها لانها حركت سواكن التعصب الديني الذي يقوض أساس العمران بل لو انفجرت براكين العدوان في بلادهم فأحرقت جميع أرباب المذاهب لا تحرك لهم عاطفة رحمة، ولا تجيش في صدورهم حمية، سواء كان المحترقون بتلك النيران نصارى أم غير نصارى، اللهم الا ان كانوا من جنسهم فالفرنساوي لايحن في أوربا الا للفرنساوي والانكليزي لا ينظر الا للانكليزي وهلم جرا

فالتعصب الديني عندهم محرم في الغرب، واجب في الشرق، اللهم انه واجب كونه مذموماً لفظه لا فعله وعلى اجتناء المنافع المدار وهو المبدأ واليه المآل

واما ما يثرثر به هذا النشء الجديد في الشرق من لفظ التعصب والمتعصب في معرض الذم فهو لفظ عن غير عقل ولا بصيرة بل لبس

الا صدي ما يقوله أولئك المختلبون،[1] يرجّعه هؤلاء المختلبون ، أو هو حكاية أصواتهم من غير ملاحظة ما ترمي اليه . الاتراك يرددون كثيراً لفظ (فناتيك فناتيك) أي تعصب ديني

يقول ما قالا له كما تقول البيغا

الا من انفصل من جنسيته الشرقية واتصل بهؤلاء الافرنج كما تنفصل النيازك من كوكب فيجذبها اليه كوكب آخر تتصل به وتكون جزأً داخلاً في بنيته .

ومن تجرد من جلابيب الحظوظ والاغراض، وترفع عن التحزب للاديان والاجناس، ونظر في الشؤون بعين الانصاف، جاعلا مطمح نظره الحقيقة ، تجلى له انه لا فرق بين التعصب للجنس والتعصب للدين ، الا بما يكون به الاول أشرف رابطة وأقدس مناطا، وان كلا منهما فضيلة اذا وقف عند حد الاعتدال ، وان الغلو في كل منهما رذيلة تدعو الى ايذاء المتعصب لمخالفه فيما قامت به العصبية، وتحمله على التعدي وهضم الحقوق واختلاس المنافع . والعقل المجرد عن الشوائب يحكم بقبح ومذمة التعدي والايذاء لذاتيهما، من غير نظر الى سببهما ، ومن نظر في التاريخ يرى ان كلا من هذين النوعين للتعصب قد نشأ من الافراط فيه منازعات وحروب اهريقت فيها الدماء، ويتمت الاطفال وأيمت النساء .

ثم ان للحروب وجها يرجع الى قاعدة ارتكاب أخف الضررين وليس هنا مجال للبحث فيه

يرمي الافرنج والمتفرنجون المسلمين بالتعصب الديني الذميم أي الافراط

(١) الاختلاب كالخلابة الخديعة بالكلام

فيه المؤدي الى ايذاء المخالف ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا، تحملهم عليه الاغراض السياسية وهم يعلمون انهم كاذبون، هذا الافراط في التعصب لم يوجد في ممالك المسلمين الا بين أرباب المذاهب الاسلامية كالمعتزلة والخوارج والشيعة من أهل السنة ، وأما بين أهل الاديان المختلفة فلم يكن له أثر الا مالا تخلو عنه طبيعة الوجود مما يكون مثله بين أبناء المذاهب الواحد حتى اضرمت ناره أوربا بالحروب الصليبية فاستضاءت هي بنورها ، ورمي بشرر شرورها آخرون

من يجهل التاريخ تخدع بما يلفظ به المذاعون من الافرنج والمتفرنجين، ويصدق جرائدهم فيما تزعم من براءة أوربا من التعصب الديني ، ويغتر بتلفيقهم وتمويههم الحقائق وابرازها في أثواب الزور المدبجة بألوان التمدن العصري ، لكن أسفار التاريخ على علاتها واختلافها تشهد على أوربا بالتعصب المشوه منذ دخلت في النصرانية الى مابعد الحرب الصليبية ، وبالتعصب المموه في هذه القرون الاخيرة ، غض بصرك عن إبادة اسبانيا للمسلمين في بلاد الاندلس وعن معاملتها هي وروسيا لليهود الذين أجبروا على النصرانية ومن لم يقبل كان جزاؤه القتل او الاجلاء من وطنه ، ومصادرته في ماله وعقاره ، وارم باشعة النظر الى الامتين العظيمتين زعيمتي التمدن وناشرتي لواء الحرية والعدالة والمساواة ... انكلترا وفرنسا ، لم تكتف الواحدة منهما بتأليف الجمعيات لتنصير المسلمين وغيرهم ، ولا بغرس التعصب الذميم في نفوس تلامذة المدارس التي ينشؤنها في البلاد الشرقية وفي الاخص بلاد الدولة العلية ، ولا بالقاء الدسائس والفتن بين النصارى والمسلمين في البلاد التي قوي نفوذهم وتداخلهم فيها ، لكثرة النصارى الآخذين عنهم

والمخالطين لهم ، ولا بالتحامل على الدولة العلية والاجتهاد في سلخ بلادها التي يكثر فيها المسيحيون ، واعطاء تلك البلاد الاستقلال عن الدولة أو الحاقها بحكومة مسيحية — بل لا يزال روح التعصب القديم محركا لالسنتهم ، ومالكا أزمة عامتهم وخاصتهم ، وناهيك بعظيم انكلترا وفقيدها المستر غلادستون وخطبه ضد الاسلام ، وكلمته الاولى في وجوب اعدام القرآن ، وكلمته الآخرة في وجوب تطهير أوربا من المسلمين ، فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى

ودونك كلمة أخرى من عظماء الانكليز عبر بها عن قاعدة من قواعد السياسة التي يجب على أوربا العمل بها وهي كلمة اللورد سالسبري في وجوب اعادة ما أخذه الهلال من الصليب للصليب دون المكس ، كبرت كلمة هو قائلها ، وعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولا تنس معاملة البريطانيين لمسلمي ليفربول ، ورجمهم بالاحجار في مصلاهم ، بله معاملتهم للهنود وغيرهم من البعداء عن أرض التمدن والحرية ، بل لا تنس تعصبهم على كاثوليك ارلنده وعدم مساواتهم بالبروتستان !!!

واذكر ما نقله المقطم من عهد غير بعيد عن الفرنساويين واستنكافهم من السفر مع المسلمين في حوامل (عربات) السكك الحديدية في تونس والجزائر ، ولديك الآن في فرنسا مسألة دريفوس التى أقامت الامة الفرنسوية وأقعدتها ، فتألب حكامها ومحكوموها على اليهود جميعهم بجريرة أسندت الى بعضهم كذبا وبهتانا وتعصبا ذميما ، ومن وقف على دخائل هذه المسألة ودقائقها يتعجب من غلواء الفرنساويين وطيشهم وتعصبهم الاعمى

ويحكم بأن التهذيب لا يمكن ان يلابس النفوس الا بالدين السماوي من غير غلو فيه ولا تفريط ولا افراط وهو مافقده الاوربيون في الجملة والفرنسويون في الجملة والتفصيل

قال قائل ان ظل الديانة قد تقلص عن فرنسا وعن عامة أوربا وان الحكومة الفرنسوية صرحت رسميا بانه لا دين لها فكيف تغلو في التعصب للدين وهي ليست على دين ؟ ونحن نقول صدق القائل فيما حكاه عن فرنسا وسائر أوربا ويؤيد قوله هذا ما نقل عن كثير من العارفين بأحوال أوربا كالخطيب لوازون الفرنسوي في خطبته في الاوبرا الخديوية بمصر وغيره ، وجاء في مجلة المقتطف الغراء عن الدكتور يعقوب افندي صروف أحد منشئيها انه دخل احدي كنائس باريس متفرجا فرأى فيها جماعة ولم يكن يوم أحد ، فقال ما أرا كم الامتدينين يا أهل باريس ، فقال له الدليل وهو فرنسوي لا تغرنك الظواهر لكن التعصب على المخالف في الدين لا يستلزم تمسك المتعصب بالدين حقيقة ، وانما يكفي فيه الانتماء له ولو اسماء فكيف اذا انضم الى ذلك جعله عاملا من عوامل السياسة ، وأداة من أقطع أدواتها ، وتأيد بالوراثة الطبيعية عن الآباء والاجداد ، والغرائز والسجايا الموروثة لا تنزع وتمحى آثارها بمجرد اعتقاد بطلان مناشئها وقبح مصادرها ومواردها

قال القائل ان تحامل الدول الاوربية على الدولة ناجم عن محض المطامع السياسية أو خدمة الانسانية بازالة الظلم واصلاح البلاد ، وليس للتحمس الديني فيه يد ، ولولا ان جميع حركات أوربا وسكناتها صادرة عن منازع السياسة دون منازع الديانة لما حارب بعضهن بعضا ، ولما وازرن الدولة العلية في حرب القرم بل وفي الحرب اليونانية الاخيرة ، والجواب عن

هذا في غاية الظهور : أما كون المطامع السياسية هي المالكة لارادة دول أوربا والمصرفة لها فهو مما لا ريب فيه ، الا ان هذه المطامع لما أوجبت معاملة الدولة العلية معاملة لا تنطبق على معاملة بعضهن لبعض وكان من المشاهد انهن يكلن لها في السلم والحرب بغير المكيال الذي يكلن فيه لانفسهن في السلم والحرب حتى انهن يسلبن من بلادها في الحالتين على السواء — علمنا ان المطامع السياسية الاوربية مشوبة بالتعصب الديني الذميم تلقاء الدولة العلية بل أقول ان للنزعات الدينية أثراً عظيما في السياسة الاوربية العامة ، تشهد لذلك علاقات الشعوب البلقانية مع روسيا ، وعلاقة ايرلندا مع فرنسا ، ومن أقوى شواهده ما كان للحرب الاميركية الاسبانية من الاثر المختلف عند أمتي الحرية انكلترا وفرنسا ، فقد كان ضلع الاولى مع الاولى والثانية مع الثانية ولا ينكر أن لاتفاق المذهب واختلافه يداً في ذلك ، وان كابر المكابرون وموه المموهون • ثم ان الجنسية والوطنية في تنازع دائم مع الدين عند الامم الغربية ، حتى ان الكاثوليكي الاميركي قد يحارب أخاه الاسباني ، الا انهم لم يصلوا في ذلك الى محو سلطة الدين والمذهب على النفوس بسلطة الوطنية والجنسية •

وأما دعوى خدمة الانسانية والسعي في ازالة الظلم واصلاح البلاد فهي خداع وتغرير للعقول ، أليس في بلاد بعضهن وفي مستعمرات جميعهن من الظلم ما يجب ازالته أولا ؟! لمَ لم تتعرض الدول الاوربية لاغاثة أهالي كوبا كما تعرضن لاغاثة أهالي كريت مع ان ظلم أسبانيا لكوبا مما لا ريب فيه وهو الذي حملها على العصيان بخلاف كريت فان عصيانها كان بدسائس أوربا التي صادفت من أهل كريت نفوسا خبيثة مجبولة على الفتن والشغب

كما وصفهم مقدسهم بولس في احدى رسائله !!!، وأما انتصار بعضهن للدولة العلية في حرب القرم ومحاربة بعضهن بعضا فلا ينهض حجة على نفي التعصب ولا اثباته بل بعض ذلك من مطامع السياسة المحضة وبعضه من المطامع المشوبة بالنزعات الدينية يعرف ذلك المؤرخون المدققون

أما المسلمون فقد كانوا في شبيبة دينهم وعنفوان قوتهم يحترمون مخالفيهم في الدين ويساوون بينهم وبين أنفسهم في الحقوق « لهم مالنا وعليهم ماعلينا» وهذا في حق الذمي والاجنبي المعاهد دون الحربي وقد ذكرنا في العدد الثاني والعشرين محاكمة الامام علي -وما أدراك من هو- مع يهودي عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعاتبة علي لعمر بعد المحاكمة على عدم المساواة بينه وبين خصمه حيث كناه وسمى خصمه (وسنذكر ما فرضت الشريعة الاسلامية من الحقوق للذمي والاجنبي المعاهد في فرصة أخرى) فهل وصل الاوربيون في نهاية مدنيتهم الى شيء مما كان عليه المسلمون في بدايتهم وبداوتهم من المساواة ؟

كلا انهم لا يحتلون بلاداً ولا يطأون أرضا الا ويجعلون أنفسهم فوق كل شريعة وقانون وهو ما يسمونه بالامتياز سواء كان حلولهم في الارض حلول فتح واستعمار أو حلول ارتياد واتجار !

لم يقف المسلمون عند هذا الحد من المساواة والعدل بل تخطوه الى حد أبعد منه وهو معاملتهم للمخالف معاملة الاكفاء فيما يتعلق بالشرف والفضل « التشريفات » وتقليدهم المناصب العالية ان كانوا أهلا لها حتى كان منهم من تولى قيادة الجيش في أسبانيا وكثير منهم ارتقى الى رئاسة الدواوين القلمية وغيرها وحفظ أسرار الخلفاء والملوك « سكرتير » ولم

يكن ذلك خوفا من مراقبة دولة أخرى تنتصر لهم ولا استمالة لهم ولقومهم للاسلام . كيف وقد كان من عمال الامويين من يكره دخول المخالفين في الاسلام لئلا تنقص مبالغ الجزية

لو شئنا سرد الشواهد على حسن معاملة المسلمين لمن خالفهم في الدين أيام تمسكهم بالدين وعملهم بآدابه واهتدائهم بهديه لاحتجنا الى تأليف رسالة أو كتاب لكننا نزيد على ما أشرنا اليه شاهداً واحداً مما كان أيام الدولة العباسية ونشير الى بعض الشواهد في عهد الدولة العثمانية فنقول

« ستأتي البقية »

اقتراح القيصر

اهتز العالم للمنشور الذي ابلغه قيصر روسيا بلسان ناظر خارجيته لعامة دول اوربا يقترح فيه عقد مؤتمر للبحث في وضع حد للاستعدادات الحربية التي أثقلت كواهل الدول واستنزفت ثروة الامم واستأصلت منها الخيرات والبركات والقوى المادية والادبية وما صرح به المنشور أن آلات الهلاك والدمار الحديثة التي انفقت عليها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ربما تمسي بعد قليل من الزمن ألقاء [1] لا ينتفع بها بمخترعات جديدة يبطل فعلها وذلك مما يجتاح الثروة ، والخطر الناجم عنه يجعل السلم المسلح وقرا ينوء بالامم ، فاذا طال الامد فلابد ان يفضي الى الويل الذي ترغب الدول في مجانبته ويروع العقل البشري توقعه

الاقتراح لا خلاف في شرفه ، ولم تذكره جريدة في أوربا الا واثنت

(١) الالقاء جمع لقا بفتح اللام وهو الشيء الذي يطرح ويلقى لنحو الاستهانة به

على مقترحه ، وانما وقع الخلاف والنزاع في أمور (١) هل اقترحه القيصر حبا بالسلام عن سلامة نية واخلاص طوية أم هنالك أغراض سياسية (٢) هل استشار أحدا من الدول فأجازه عليه أم افتحره افتحارا (٣) هل الاقتراح في هذا الوقت ابتسار وارفال أم جاء في ابانه وأوانه وصادف محله وأهله (٤) أي الدول يوافق مصلحتها وأي الدول يخالفها (٥)هل تجيب جميع الدول أو المعظام منها الدعوة وينفذ الاقتراح

(الامر الاول) قال بعض السياسيين ان القيصر قد جعل الاقتراح تمويها على مقاصده السياسية والغرض منه كيد انكلترا ليتم مقاصده في الصين ومأربه في حدود الهند من غير ان يتهم بشيء يوجب حذر انكلترا وزيادة قوتها في تلك الاصقاع واذتم أمر المؤتمر فهو واثق بأن الرأي العام يوافقه ضد انكلترا في التحكيم فيقضي لبانانه براحة وسلام، ولم أر من ذكر مأربه في الشرق الادنى ومما كسته للدولة العلية التي رآها ناشطة في هذه الايام لزيادة قواتها البرية والبحرية ، وحاول صدها عن ذلك بطلب الغرامة الحربية فلم يفلح ، واذا كان الرأي العام يوافقه ضد انكلترا فهو يوافقه ضد الدولة العلية بالاولى .ومن الناس من يقول ان القيصر مخلص في اقتراحه لا يقصد نكرا ولا يحاول مكرا لانه متشبع في حب السلم الحقيقي الذي يمكنه من ممالكه الواسعة واسعادها حقق الله ذلك عنه وكرمه

(الامر الثاني) الجرائد والسياسة تضرب من أجله في أودية الحرص والتخمين، ويرجح الكثير وزانه استشار امبراطور المانيا ، وزعم البعض أنه ربما كان استشار حليفته فرنسا، لكن لهجة الجرائد الفرنسوية وتبرمها من الاقتراح يقضي بخلاف هذا ، والارجح أنه افتحره افتحارا، ويقال ان

الامبراطور غليوم كان عازما على هـذا الاقتراح في أثر زيارته للقدس الشريف فسبقه اليه القيصر

(الامر الثالث) من الناس من يقول فيه بالابتسار[1] وان هذه الامنية التي يتمناها كل العقلاء يحتاج في تحققها الى قرن كامل على الاقل، ولذلك قد أوجب الاقتراح غرابة ودهشة

(الامر الرابع) مما لم يقع فيه اختلاف أن هـذا الاقتراح يوافق مصلحة كل من أوستريا وايطاليا لانهما مثقلتان بالنفقات الحربية، مستغرقتان بالديون التي لا يجدان لها وفاء مع هذه الاستعدادات الحربية ويوافق مصالح جميع الدول الضعيفة أيضا، اللهم اذا كانت في مأمن على بلادها ومنافعها، ولم يكن للمؤتمر حق بأن يهب مايشاء لمن يشاء من غير معارضة ولا منازعة، فان أعطي المؤتمر هذا الحق فيكون معنى الاقتراح اتفاق الاقوياء على ابتلاع الضعفاء وهضمهم بدون تعب ولا نصب، والاتفاق عزيز، والاقتراح على هذا سلمي في مظهره، حربي في حقيقته، ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب، اللهم اجر اللهم سلم سلم

(الامر الخامس) اوستريا وايطاليا قد أجابتا الدعوة وسلمتا تسليما، وألمانيا تظهر بألسنة جرائدها الابتهاج وكذلك انكلترا، الا أن هذه تقول ان الوضع من قوة السلاح ينبغي ان لا يتناول البحرية، يعني أنه يجب على الدول كلها ان تضع من اسلحتها الا بريطانيا العظمى، فيجب ان تزيد قواها وتستأثر بمنافع العالم وحدها، ومتى جاء وقت العمل يلغى هذا القول ويبطل الامل، ولاريب ان ثناء الجرائد الانكليزية على القيصر واظهارهم الابتهاج

(١) الابتسار: الاتيان بالشيء قبل أوانه

بالاقتراح وفوائده - كل ذلك من المصانعة والدهاء المعهود من سياسة الانكليز، ونقل عن جريدة إقدام وغيرها من الجرائد التركية مثل ذلك وكيف لا يكون ماتظهره جرائد البريطانيين والعثمانيين مصانعة وأهم فوائد الاقتراح عند المقترح ايقاف الاولى وتلقف منافع الثانية على مايري البصراء، وأقل مايقال ان ذلك يحذر منه ويحتاط لاجله . وأما الجرائد الفرنساوية فقدملأت الارض صراخاوعويلا فلايرون في الآذان منمكسا عن صفحاتها الا: ألزاس لورين ! الزاس لورين !

جاء في بعض الجرائد ان انكلترا هي العقبة الكؤد في سبيل انفاذ الاقتراح ولاشك ان فرنسا هي العقبة الكؤود. اليس من العجب ان يتوقع العالم مقاومة أعظم ثمرات المدنية والمعارف، من أعظم الدول مدنية ومعارف!! بلى وهذا العجب يضاهي العجب من طلب وضع السلاح وتحديد قواعد السلم من ملك أقوى دولة حربية وصاحب حكومة استبدادية!. ان امام هذا الاقتراح عقبة كبرى تتبعها عقبات عظيمة، وهي الاتفاق على قانون التحكيم ومكان المحكمة التي تفصل المنازعات . واذا تيسر حل المشكلات الحاضرة كالالزاس واللورين ومصر وكريد فما وراءها من المستقبل أيسر حلاء وقد رأينا من عجز الدول العظام في صغرى هذه المشكلات وهي مشكلة كريد مادلنا على انهم عن غيرها أعجز، وان الى ربك المنتهى وهو على كل شيء قدير

ثورة السودان

(من ١٨٨١ الى ١٨٩٨)

وضعت زميلتنا جريدة الاجبشن غازت تاريخا موجزاً لحوادث السودان من بدء ثورتها الى الآن أي من سنة ١٨٨١ الى ١٨٩٨ فرأينا تلخيصه فيما يلي

سنة ١٨٨١ . في أغسطس كان بدء الثورة المهدية

سنة ١٨٨٣ . في يناير سقطت بارا والابيض في يد المهدي

في ٤ نوفمبر فنيت حملة هكس باشا عند شيكان في طريقها الى الابيض

في اكتوبر فصلت سنكات عن سواكن

في دسمبر سلم سلاطين في أم شنجر

سنة ١٨٨٤ . في يناير سقط جيش باكر باشا قرب التيب

في ١٨ فبراير وصل غوردون الى الخرطوم

في فبراير وصل الى سواكن ٤٠٠٠ جندي انكليزي بقيادة السير جرالد كراهام

في ٢٩ فبراير جرت موقعة التيب وقتل فيها ١٥٠٠ من الدراويش

في ١٤ مارس جرت موقعة طماوي وقتل فيها ٢٠٠٠ درويش

في ٢٨ ابريل ترك لوبتون بك من رجاله

في ٢٠ مايو سقطت بربر في أيدي الدراويش فسدت الطريق منها

الى سواكن وانقطعت المواصلات مع غوردون

في ٣٠ أغسطس برح اللورد ولسلي لندرا قاصداً مصر لاستلام قيادة الحملة الذاهبة لانقاذ غوردون

في سبتمبر قتل محمود باشا في أم دبان بعد فوزه في بعض المواقع حول الخرطوم

في ١٠ سبتمبر بعث غوردون الى القطر الكولونل ستيوارت والمسيو هربين قنصل فرنسا والمستر فرانك بوير على سفينة بخارية

في ١٨ سبتمبر جنحت هذه السفينة على صخر على بعد ٣٠ ميلا من أبي حمد فذبح الدراويش الكولونل ستيوارت ورفقاءه في منزل في الهبة

سنة ١٨٨٥ . في ١٧ يناير جرت موقعة أبو قليه

في ١٩ يناير الوصول الى كوبات

في ٢١ منه التقت سفن غوردون بالانكليز بعد اقامتها اثني عشر يوما في النيل

في ٢٤ منه سافر السير ويلسون على سفينة بخارية من كوبات الى الخرطوم

في ٢٦ منه سقطت الخرطوم وقتل غوردون

في ٢٨ يناير نظر السير ويلسون الخرطوم في مسيره اليها

في ٧ فبراير وصلت الى اللورد ولسلي أوامر من لندرا بتقويض سلطة الدراويش في الخرطوم

في ١٠ فبراير جرت مسألة كربيكان وقتل الجنرال أول

في ١٥ فبراير بدأ نكوص الحملة النيلية

في ٢٢ مارس الهجوم على زريبة ماك نايل وخسرت الانكليز خسارة عظيمة

في شهر مايو تجمع الدراويش للحملة على مصر

في ١٤ يونيو وفاة محمد احمد المهدي وخلافة التعايشي

في ١٥ يونيو انسحب الانكليز من دنقله وصرفت حملة النيل ونكصت جنود الحدود مع المعسكر العام الى اصوان

في ٢٦ نوفمبر برح ولد النجومي أم درمان محاولا شن الغارة على القطر المصري

في ٣٠ دسمبر كسر الدراويش في جينيس

سنة ١٨٨٦ في شهر ابريل جرى تحديد التخوم تحديداً نهائياً عند وادي حلفا فانسحبت كل المراكز العسكرية التي الى جنوبيه

سنة ١٨٨٧ في يناير جرى اعداد الحملة لانقاذ أمين باشا

سنة ١٨٨٨ في ٢٠ دسمبر قهر الدراويش في سواكن

سنة ١٨٨٩ في دسمبر وصلت حملة أمين باشا الى زنجبار

سنة ١٨٩٦ في ١٣ مارس استؤنفت الحملة على السودان

في ٧ يونيو قهر الدراويش في فركه

في ٨ يونيو احتلال سوارده

في ٩ سبتمبر موقعة الحفير

في ٢٣ سبتمبر دخل الجيش إلى دنقله

سنة ١٨٩٧ في ٧ أغسطس أخذ أبي حمد

في ٧ سبتمبر احتلت القبائل المصافية للحكومة بربر
في شهر اكتوبر انتهى مد السكة الحديدية من وادي حلفا الى أبي حمد
في ٣١ اكتوبر أطلقت المدفعيات قنابلها الى حصون المتمه
سنة ١٨٩٨ في ٢ ابريل الاستيلاء على شندي
في ٩ ابريل قهر الدراويش في النخيلة على الاتبره وأسر الامير محمود
في ١٣ أغسطس استئناف الزحف الى الخرطوم
في ٢ ستمبر دخول أم درمان «الاهرام»

﴿ السودان المصري ﴾

أهم ما يذكر من أخبار السودان المصري رفع الراية الانكليزية بجانب الراية العثمانية المصرية في أم درمان والخرطوم، وتحقق وجود حملة مرشان الفرنسوية في فشوده . أما رفع الراية الانكليزية فقد اضطرب له أهل مصر أي اضطراب ، وكان النصر على التعايشي عندهم شراً من الانكسار ، لاسيما وقد بشرهم المقطم بأن رفع الراية دائم والمقصود منه ان بريطانيا شريكة لمصر فيه لانه فتح بالجيشين وأنفق عليه من المالين. ولكن سائر الجرائد المصرية تهون الامر وتقول ان رفع الراية مؤقت لا يقصد منه حماية رسمية ولا الاشتراك بالملكية ، وانما هي عادة كل جيش ظافر يرفع رايته عند احتلاله العسكري فى أي مكان ، ثم يرجع كل شيء الى أصله ، ولقد رفع الانكليز رايتهم على قلعة مصر عند احتلالهم لها مدة وما لبثوا أن أنزلوها ، ولكن لا ريب ان نفوذ الانكليز فى السودان سيكون أقوى منه في مصر على انه في مصر ليس بالقليل

وأما تحقق احتلال الفرنسويين لفشوده فهو أعظم خذلان للانكليز في السودان بل في أفريقية ، لان فشوده وما يليها هي البلاد الخصبة من السودان والموقع المهم الذي يتمكن محتله من الاستيلاء على كردفان ودارفور وبحر الغزال والسودان الغربي كله، ولان ذلك يقطع رجاء الانكليز من امتداد نفوذهم من رأس الرجا الصالح الى الاسكندرية ، وتحقيق أماني المسترسل رودس في انشاء مستعمرة أفريقية تضاهي المستعمرة الهندية. لكن اذا خابت مساعي الانكليز بقبض الفرنسويين على قلب أفريقيا (الاقاليم الاستوائية) وحيلولتها بينهم وبين مايشتهون فماذا يكون نصيب مصر من ذلك ؟ اذا كان تنازع الذئب والضبع يؤدي الى حفظ الغنم فحبذا التنازع ، واذا كان يؤول الى فتك هذه ببعضها وذاك بالبعض الآخر فهل ثم من فائدة غير التشفي بخذلان أنكى المدوين في الجملة ؟ اللهم هيأ لنا من أمرنا رشداً واحفظ لنا بلادنا وكف يد الطامعين عنا يا أرحم الراحمين

﴿ متفرقات ﴾

جاء في الانباء الرسمية ان الحضرة السلطانية قد أمرت بان يكتفى بايقاد المصابيح دون الالعاب النارية المعتاد اجراؤها ليلة عيد الجلوس السلطاني بجوار قصر يلديز الهمايوني وان توزع قيمة ذلك ما بلغت على طلبة (مدرسة نشين) كما صدرت الارادة السنية أيضاً بان يتلى المولد النبوي الشريف في جميع مدارس الاستانة وان يعطى لكل مدرسة منها ألف وخمسمائة قرش من الخزينة الخاصة وذلك لابتياع قراطيس من

الحلوى توزع على التلامذة وبتوزيع الباقي على الطلبة استجلاباً للدعوات الخيرية بتأييد الحضرة السلطانية

وذكرت جرائد الاستانة ان مولانا أمير المؤمنين قد أصدر أمره الكريم ببناء أربعة مساجد صغيرة في محلات « مائدة » و « ناقة » و « مصلى » و « بغلة » الكائنة بباب الجمعة ظاهر المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم على ان تكون نفقاتها المقدرة بثمانية عشر ألفاً و ٥٠٠ قرش من الخزينة السلطانية الخاصة

وجاء أيضاً في صحف الاستانة ان حضرة النظام حاكم حيدر آباد من أعمال الهند قد أمر رئيس وكلائه باستنساخ جميع كتب التفسير والحديث الشريف والتاريخ الموجودة في مكاتب الاستانة العلية بواسطة نساخ مخصوصين

***

نقلت صحف الاستانة عن جريدة « الستندارد » الانكليزية فصلا قالت هذه فيه : انه لما كانت الدولة العثمانية لاتضمر لليونان الا كل مافيه الولاء والسلم ، فلا حاجة اذ ذاك الى تداخل الدول بحسم الامور التي يختلف فيها موظفو هاتين الحكومتين ، فان فيهما الكفاءة التامة لحلها حلا مرضياً دون تداخل قط ، ويستفاد من التقرير الذي رفعه هنري بك الكاتب الاول في السفارة العثمانية بأثينا بعد ان تفقد أحوال تساليا ان مسلمي هذه المقاطعة قد نالهم من بني وطنهم اليونانيين ظلم واعتداء كما فصلناه في حينه فلذا أمر الملك جورج ملك اليونان بأن تعاد المحكمة الاستئنافية في مدينة (يكي شهر) التي ألغيت بأمره سابقاً وذلك لكي

تنهي هذه الدعاوي المتعلقة بالمسلمين وتجازي الذين ظلموا

***

جاء في أخبار بريد اوربا أن حملة السودان كانت تقتل في الحرب نساء الدراويش وحجتهم على هذه الفلطة الوحشية ان أحد الضباط رأى جثة امرأة بين القتلى وفي يدها عصا مشظاة فاستنبط من ذلك انها كانت تذفف بها على الجرحى ولا يستغرب هذا الخبر عن حملة قوادها من الانكليز (حماة الانسانية ؟) فانهم ينتقمون أقبح الانتقام لذنوب مزعومة أو موهومة ، ولا تنس ماجاء في رسائل روتر البرقية الخاصة عن السودان من « ان مئات من جرحى الدراويش المهشمة أبدانهم تهشيما زحفوا الى أقذرحي في المدينة وان سيول الدماء تجري من الاكواخ وتشرق عليها الشمس فتصير بركا سوداء ولكن هؤلاء لا يستحقون الشفقة والرحمة لانهم نبشوا جثث موتانا من قبل !!! » هذا قول الكاتب الانكليزي وهو يحكي عن عمل القواد الانكليز فما قولك بهذه المدنية والخدمة الانسانية !؟ . أما وسر العدل لو جرى مثل هذه الاعمال الوحشية لهذه الملل الواهية من الدولة العلية لقامت عليها قيامة اوربا وفي مقدمتها الانكليز ونالوا منها ما نالوا ونسبوا لها الغلو في التعصب للدين ان كان عملها هذا مع مسيحيين وكنا نحن لهم من المصدقين.....

التعصب (*

﴿ تتمة ماسبق ﴾

لم يكن الاستمساك بعروة الدين على عهد العباسيين كما كان على عهد الخلفاء الراشدين فيساووا بين رجل من آحاد يهود وبين أعظم مسلم علما ودينا ومكانة وقربا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعلي كرم الله الله تعالى وجهه ، ويحاسبون أنفسهم وينكر بعضهم على بعض اذا أخل بالعدل والمساواة ولو في اللقب والكنية كما علمت، ولكنهم (أي العباسيين) لقربهم من عهد النبوة كانوا على مقربة من ذلك: يحكمون بالشريعة ويتأدبون بآدابها بالجملة ، والشاهد الذي أريد ايراده من تاريخهم قريب من الشاهد الذي أوردته عن عمر وعلي (عليهما الرضوان) في معاملة اليهودي، وهو بعض خبر أبي اسحق الصابيء . لا أعني بذلك اعتراف الخلفاء بفضله وتقليدهم اياه الاعمال الجلائل مع ديوان الرسائل، وانما أعني ما كان بينه وبين الطبقة العليا من المسلمين من الموادة والمخالقة ، نذكر منها بعض خبره مع الشريف الرضي، وهو من علمت مكانته من الشرف الباذخ والسؤدد الرفيع، وكان في العلم لا يضاف اليه كفيح ولا يقرن به نديد، وهو من أئمة الشيعة وكفاك أنه اجتمعت له الاجادة في المنظوم والمنثور معا، وهي -كما قال ابن خلدون- لا تتفق الا للاقل ، ولقد كان يعامل أبا اسحق معاملة الاكفاء والنظراء مع انه كان يسامي الخلفاء ويطاولهم ويفاخرهم في مجالسهم ، حتى ان الخليفة

(*) فاتحة العدد السابع والعشرين الصادر في ٣ جمادى الاولى سنة ١٣١٦

القادر بالله كان يتهمه بالتطلع الى الخلافة لانه يرى نفسه أحق بها لمكانة نسبه، وعلمه هذا وأبو اسحق من الصابئة الذين هم أضعف وأحقر فرقة من فرق الاديان، لكنه كان فاضلا بليغا فلم يحل خلاف دينه وضعف طائفته دون معاملته بما يستحق فضله من الاجلال وتقليدالاعمال. ولقد كان مثل الشريف يجله لفضله وأدبه، لالوظيفته ومنصبه، ومن آية ذلك مرثاته التي رثاه فيها بعد موته، فان فيها من الثناء عليه مايربي على ما كان يكتبه له في حياته من المراسلات المنظومة والمنثورة، وانا نأتي ببعض أبياتها وان كانت مشهورة زيادة في البيان. مطلع القصيدة

أعلمت من حملوا على الاعواد ... أرأيت كيف خبا ضياء النادي

(ومنها)

بعداً ليومك في الزمان فانه ... أقذى العيون وفت في الاعضاد

لاينفد الدمع الذي يبكى به ... ان القلوب له من الامداد

كيف انمحى ذاك الجناب وعطلت ... تلك الفجاج وضل ذاك الهادي

قد كنت أهوى ان أشاطرك الردى ... لكن أراد الله غير مرادي

سودت مابين الفضاء وناظري ... وغسلت من عيني كل سواد

ثكلتك أرض لم تلد لك ثانيا ... أنى ومثلك معوز الميلاد

ليس الفجائع بالذخائر مثلها ... ياماجد الاعيان والافراد

لاتطلبي يانفس خلا بعده ... فلمثله أعيى على المرتاد

الفضل ناسب بيننا ان لم يكن ... شرفي يناسبه ولا ميلادي

ان لم تكن من أسرتي وقبيلتي ... فلأنت أعلقهم يدا بودادي

ان الوفاء كما اقترحت فلو تكن حيا اذاً ما كنت بالمزداد
ضاقت علي الارض بعدك كلها وتركت أضيقها علي بلادي
لك في الحشا قبر وان لم تأوه ومن الدموع روائح وغواد

الى أن قال في آخرها

صفح الثرى عن حر وجهك انه مغرى بطي محاسن الامجاد
وتماسكت تلك البنان فطالما عبث البلى بأنامل الاجواد
وسقاك فضلك انه أروى حيا من رائح متمرس او غاد

ان الشريف الذي قال ان الفضل ناسب بينه وبين أبي اسحق وانه كان أعلق نسبائه وأسرته بوداده هو الذي أنشد الخليفة القادر بالله هذه الابيات (من قصيدة) في مجلسه وهي:

مهلا أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا كلانا في المفاخر معرق
الا الخلافة ميزتك فانني أنا عاطل منها وأنت مطوق

وهو الذي رثى الخليفة العادل والامام المجتهد عمر بن عبد العزيز الذي رفع من شأن آل البيت الكرام بعد اضطهادهم من سلفه الامويين والذي مناقبه ومآثره لا تحصى فاقتصر من مدحه على مثل قوله

ياابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـن فتى من أمية لبكيتك
غير اني أقول انك قد طبـ ـت وان لم يطب ولم يزك بيتك
وعجيب أني قليت بني مر وان طرا وانني ماقليتك

يقول انه لا يمكن البكاء على عمر بن عبد العزيز وقال ان الدمع الذي يبكي به أبا اسحق لا ينفد لان له مداداً من القلب ويعجب أنه لم

يقل عمر ويبغضه ولم يقل انه يحبه ، وقد عهد الى نفسه أن لا تتخذ خلا بعد أبي اسحق ، وقل انه أذاق أهله وأنسباءه بوداده ، وهذا مما يؤيد قولنا السابق ان الافراط في التعصب الديني لم يمهد من المسلمين الامم المخالفين في المذهب دون المخالفين بأصل الدين ، كما انه وقع منهم التعصب للجنس أحياناً ولا حاجة لبيان ذلك لانه مما لا نزاع فيه . وهذا الشاهد الذي أوردناه له نظائر كثيرة يعرفها من نظر في كتب التاريخ الاسلامية لا سيما قبل الحروب الصليبية

وأما الدولة العلية العثمانية فحسبك من حسن معاملتها للمخالف لها في الدين وهي في أوج عزها ومنتهى قوتها ، ما كان من السلطان محمد الفاتح مع الروم يوم فتح القسطنطينية واقراره للبطريق على امتيازه وامتياز طائفته ، واعطائهم الحرية الكاملة ، ومنحهم الرعاية الشاملة ، وتسجيل ذلك في قوانين المملكة ، وجعله عهداً متبعاً في الدولة لا ينقض ، تعطى للبطارقة به الوثائق (الفرامين) السلطانية من ذلك العهد الى الآن خلافاً لما كان يعاملهم به الكاثوليك من القسوة والاضطهاد . ولقد كان عرض على الروم الخضوع لكنيسة رومية بازاء انتصار اخوانهم الكاثوليك لهم واغاثتهم من العثمانيين فائتمروا بينهم وأقروا على ان رؤية تاج السلطان محمد في مذبح كنيسة آياصوفيا أهون وأحب اليهم من رؤية عراقية (قبعة مخصوصة) كردينال من جماعة البابا فيه ، ولولا أنهم كانوا يأملون من العثمانيين العدل والاحسان والمجاملة لما فضلوا سلطتهم على الاتحاد مع اخوانهم في بعض قضايا الدين ، وبقاء سلطتهم لهم ولم تزل تلك الامتيازات مرعية الى اليوم وربما نذكرها في فرصة أخرى لمناسبة تعن

لقد سام العثمانيون من سبقهم من العباسيين والامويين في رفع مخالفيهم في الدين – لا سيما النصارى الى المناصب العالية، فجعلت الدولة حكاماً للصرب وللملكتين من اليونان فخانوها وكانوا لنمتها من الكافرين، ولقد كان منها مثل ذلك في عهد كانت ترتعد فيه أوربا من بأسها، وما فتئ جارياً بحركة الاستمرار الى هذا الحين، ثم لم يكن السير على نحو واحد لما تقتضيه طبائع الاوقات من اختلاف الحالات، وكلنا شاهد رعاية الدولة العلية لطائفة الارمن حين رأت من جدهم واجتهادهم في العلم والعمل حتى انها قلدتهم الاعمال الجليلة لا سيما في المالية ورفعت غير واحد منهم الى مقام الوزارة، وبالجملة قد ميزتهم حتى على العرب الذين أكثر رعاياها وأخلصهم وأكثرهم على دينها، فقابلوها على ذلك بالكنود والكفران والخيانة والعصيان، كان منهم من يظهر المضرة في صورة المنفعة، ويلبس الامانة ثوب الخيانة، كاغوب باشا الذي قرر خفض مرتبات وأجور صغار العمال بحجة توفير المال في الخزينة، وهو يعلم انه يضطرهم بذلك الى الرشوة التي تفسد السلطنة وتضعضع بنيانها

ويعلم أكثر القراء (المصريون) ما كان من خدمة نوبار باشا لانكلترا في مصر التي ثبتت أقدامهم فيها على حين كانت في زلزال، وأمر الاحتلال قرين الاختلال . وقد انتهى أمر الارمن في الدولة الى الثورات والفتن والسعي في احراق الباب العالي ونسف البنك العثماني واذ شئت فقل بمحو الدولة العلية حماها الله تعالى من دول الارض – كل هذا يكون بدسائس أوربا ثم لا يخجل عظماء ساستها أن يقولوا ان الدولة متعصبة تهين رعاياها المسيحيين فيجب انقاذهم . وانما هي القوة تقول للضعف

ما تشاء - ما أصاب المسيحيين من حسنة في ظل الدولة العلية فتزعم أوربا انه كان خوفاً منها أو تعمية عليها ، وما أصابهم من سيئة فتقرنه بتعصب الدولة وتحمسها ، وان تاريخ الدولة يكذبها في زعمها الذي تغش به الجهلاء والمخدوعين

كانت أوربا على عهد السلطان سليم ياوز ترتعد فرائصها من خشية الدولة العلية ، وكانت الولايات المسيحية الاوربية العثمانية تكثر الخروج على الدولة لاسيما في إبان اشتغال الدولة بالحرب، وما كان يجرؤها على ذلك الا خفض العيش وفرط الطيش، فارتأى السلطان سليم رحمه الله تعالى أن يجبرهم على الاسلام أو يمزق عصبيتهم بالتشتيت والتفريق باجلائهم عن أوطانهم ، فاستفتى شيخ الاسلام العلامة أبا السعود فأفتاه بعدم جواز ذلك شرعاً ، فعدل عن رأيه وان كان لرأيا سياسيا حكيما . فهل كان ذلك عن خوف أو مصانعة لاوربا أم هو الدين الاسلامي الذي يقول كتابه العزيز « لا إكراه في الدين » وتصرح سنته بأن من آذى ذميا كان النبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة ونحو ذلك من النصوص

وخلاصة القول ان الغلو في الدين أو التحمس الديني وهو مايطلق عليه أهل العصر التعصب هو مما نهى عنه الدين الاسلامي صريحا « لا تغلوا في دينكم » وآداب الاسلام وأحكامه تنافيه كما تنافيه أيضا آداب الانجيل ومواعظه ، ولم يضرم الاوربيون نيرانه في العالم قديما وحديثا اتباعا للانجيل وان كانوا أظهروه بمظهر ديني ، بل لم يلابس الدين قلوب الاوربيين في عصر من الاعصار، وما كانوا متبعين للانجيل يوما من الايام وأما قول الانجيل ما جئت لالقي سلاما انما جئت لالقي سيفا

انما جئت لالقي ناراً ، فليس معناه الامر بالحروب والفتن ، وانما هو أخبار عن المستقبل ، أي انه بسببه يحصل هذا وان لم يكن مأموراً به ولا مرضياً ، هذا ما نفهمه من تطبيق مثل هذا النص على سائر النصوص التي تصرح بوجوب الخضوع والتسليم لاي حاكم ، واعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وهي كثيرة ولا تسمع من رجال هذا الدين الا انه دين سلام واستسلام وانما حارب الاوربيون لاجل الدين المسيحي وا كرهوا الناس عليه اجيالا وغلوا فيه غلوا كبيراً ، حتى سرت عدوى غلوهم وافراطهم في تعصبهم الى غيرهم ممن جاورهم ، لان روح الحرب والفتنة كان صاحب السلطان الا كبر عليهم ، والمصرف لاجسادهم قبل دخول الدين المسيحي في بلادهم ، ولقد تناولوا الدين من أبناء الرومانيين وهم — كما قال في العروة الوثقى — » على عقائد وآداب وملكات وعادات ورثوها عن أديانهم السابقة ، وعلومهم وشرائعهم الاولى ، وجاء الدين المسيحي اليهم مسالما لعوائدهم ومذاهب عقولهم ، وداخلهم من طرق الاقناع ومسارقة الخواطر ، لا من مطارق البأس والقوة ، فكان كالطراز على مطارفهم ، ولم يسلبهم ما ورثوه عن أسلافهم ، ومع هذا فان صحف الانجيل الداعية الى السلامة والسلم لم تكن لسابق العهد مما يتناوله الكافة من الناس ، بل كانت مذخورة عند الرؤساء الروحانيين ، ثم ان الاحبار الرومانيين لما أقاموا أنفسهم في منصب التشريع وسنوا محاربة الصليب ودعوا اليها دعوة الدين التحمت آثارها في النفوس بالعقائد الدينية وجرت منها مجرى الاصول ، ولحقها على الاثر تزعزع عقائد المسيحيين في أوربا وافترقوا شيعا وذهبوا مذاهب تنازع الدين في سلطته ، وعاد وميض ما أودعه أجدادهم في جرائيم وجودهم ضراما ، ثم أرشدهم

النظر في طبائع الكون والاعتبار بحالهم وماضيهم الى استعمال الدين آلة سياسية، وهذا ما يحمل حكومة تصرح رسمياً بانه لادين لها على اعلان حمايتها النصارى الكاثوليك في الشرق، وهذا بعينه هو الذي حمل قياصرة الروس على ادعاء الرئاسة الدينية واعلان حماية الروم الارثوذكس، ومن هنا نرى الفتن التي تحدث في بلاد الدولة من النصارى تظهر على أيدي أبناء مذهب الدولة الاوربية المحركة للفتنة، فالنيران التي اشتعلت في البلقان قبيل اعلان روسيا الحرب على الدولة العلية انما أشعلها الارثوذكس قسيسوهم وعامتهم، والنيران التي أضرمت اخيرا في أرمينيا انما أضرمها البروتستان بحض بريطانيا العظمى البروتستنتية، وانما يدنم الافرنج والمتفرنجون التعصب الديني ليخدعوا الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا فيحلوا رابطتهم الدينية التي هي أقوى الروابط الجامعة بينهم على اختلاف لغاتهم وأجناسهم، ويعموهم عن تعصبهم وتحمسهم، لكنهم كثيرا ما تحملهم الاغراض والمقاصد السياسية على التصريح بالحقيقة فقد صرحت جريدة الطان وهي من أشهر جرائد فرنسا بأن حرب الانكليز للسودان يمثل واقعة من وقائع الحروب الصليبية، وصرحت بعض الجرائد النمسوية والالمانية الشهيرة فيما افادنا البريد الاخير بان الخطة التي تجري عليها أوربا مع مسلمي كريت هي السبب في كل اضطراب حدث ويحدث في الجزيرة، وان حالة الجزيرة قد ساءت منذ تولت أوربا ادارة أحكامها وشؤونها، وهي تزداد كل يوم خرابا ودمارا، فالمسيحيون واقعون في ضيق شديد وعذاب أليم، ولكن عذاب المسلمين وضيقهم أعظم، لانهم محرومون من جميع حقوقهم تقريباً، وقد صبروا زمانا طويلا على مصائبهم وخطوبهم حتى ملوا مرارة الصبر

وعذاب الانتصار ، وطفحت الكأس الى الاصبار . هذاما تعترف به جرائد الامتين اللتين انفصلت حكومتاهما عن أوربا وأبتا مشاركتها في بغيها على أهل تلك الجزيرة ، كل هذا والاميرال الانكليزي يشدد في طلب تعجيل نزع السلاح عن المسلمين دون النصارى ليتمكنوا من استئصالهم عاجلا ، ومولانا السلطان الاعظم يطلب نزع السلاح من الفريقين كما يقتضيه العدل والمساواة في الظاهر ، وان كان في الباطن فيه اجحاف بالمسلمين لا من حيث الطلب نفسه بل من حيث ان المسيحيين أكثر عددا وعددا ، والاوربيون يحمونهم برا وبحرا ، كما تصرح بذلك الجرائد المسيحية قالت الاهرام (وعندنا ان جلالة السلطان مصيب فيما يفترضه من نزع السلاح من المسيحيين والمسلمين في كريت لا من المسلمين وحدهم ، اذ ليس من العدل ولا من الحكمة ان تجبر الفئة القليلة وهي لا ناصر لها ولا معين ، وتبقى الفئة الكبيرة القوية مسلحة وهي محمية ببوارج الدول ومدرعاتها) اهـ .

لقد قلنا ان تعصب أوربا في هذه الازمنة مموه ، وكان في العصور السالفة مشوها ، وأبلغ من هذا ما نقل عن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين انه قال لبعض كتاب جرائد أوربا « ان أوربا تحاربنا حربا صليبية في شكل سياسي » لكن مسألة كريت خرجت عن دائرة المحاولات السياسية الى العدوان الظاهر ، وتجلى فيها الافراط في التعصب الذميم في أقبح صوره المشوهة ، ولقد ذم اوربا ولعن اتفاق دولها العظام كل كاتب حتى كاتب المقطم فاعتبروا بمدنية أوربا يا أولي الابصار !

فيا أيها المسلمين تمسكوا بدينكم وتعصبوا فيه ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ولا تعتدوا في تعصبكم حدود العدل فتعتدوا على جيرانكم

المخالفين لكم في الدين، فان ايذاء أي مخالف من ذمي ومعاهد ومستأمن وبعبارة أخرى غير حربي حرام في دينكم، وخروج عن هديه القويم، سواء كان الايذاء بالقول أو الفعل، ومن قال لكم ان التعصب بهذا المعنى مذموم فهو غاش مخادع، يريد ان يفتنكم عن دينكم الذي لا تقوم لكم قائمة بدونه، بل ما أصبتم بالمصائب وانتابتكم النوائب الا بانحرافكم عما كان عليه سلفكم الصالح، وتشبثكم بالبدع وانغماسكم في الشهوات واقترافكم المنكرات.

لا أعني بالبدع والمنكرات اختلاف اشكال الازياء وألوان الطعام والشراب المباحين، فان المخالفة في هذا ليست مخالفة في الدين وانما هي مخالفة في العادات، وانما أعني الانحراف عن اخلاقهم الفاضلة وأعمالهم النافعة، كالعفة والشجاعة والعدل وعلو الهمة وعزة النفس والتواضع وما ينجم عنها وعن أمثالها من الآثار، لا تكونون مؤمنين حتى تكونوا - كما قال الله تعالى - أخوة، أبوكم جميعا خليفة المسلمين الذي يجب على كل مسلم في مشارق الارض ومغاربها الخضوع له والاعتراف برئاسته، ولا يلومكم على هذا بنو وطنكم المخالفون لكم في الدين، كما انكم لا تلومونهم على خضوعهم لرؤساء دينهم في الممالك الاخرى، كخضوع الكاثوليك العثمانيين لحضرة البابا. وان مقام الخلافة في الاسلام، أعرق في الدين من مقام البابوية في النصرانية، فان الصحابة لم يدفنوا النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد تعيين الخليفة عنه. أما السلطة البابوية فقد أفادنا التاريخ انها تأسست في أوائل القرن السابع للميلاد وأول من رتب قوانين الكنيسة ووضع رسومها هو البابا غريغوريوس الاول الذي تولى من سنة ٥٩٠ إلى ٦٠٤ ومعلوم ان

سلطة خليفة الاسلام روحية وزمنية (سياسية) من الاصل ، أما البابوية فقد أنيطت بها السلطة الزمنية في اثناء القرن الثامن للميلاد إثر مقاومة البابا لقانون ليون قيصر القسطنطينية القاضي بإزالة الصور والتماثيل من الكنائس ، ونجاحه في ابطال العمل بما سنه القيصر وفي سنة ٨٠٠ م ألبس البابا الملك شرلمان التاج وسمي شرلمان حاميا للمسيحيين ورئيسا جسمانيا لهم كما ان البابا رئيس روحاني وكان نصب البابا مشروطا بتصديق الامبراطور (ولا تنس ما نقل عن جوستنيانوس قيصر القسطنطينية في ذلك) مع هذا فانك تجد فرقة الكاثوليك وهي أكبر فرق النصارى خاضعة أتم الخضوع الديني لسلطة البابا حيث اتفقوا بعد عدة قرون من وجود ديانتهم على ذلك، فما بالنا نحن المسلمين لا نرتبط بخليفتنا مع وجود الاوامر بذلك في الكتاب والسنة معمولا بها من ابتداء وجود الامة؟ أنخشى ان يقال انا متعصبون ؟ ان كان معنى التعصب ما ذكرنا فلنكن متعصبين، فان من يغمزنا بذلك أشدنا تعصبا ، ونحن نريه الجذع في عينه قبل ان يرينا القذى في عيننا ، وان كان التعصب عبارة عن اهانة المخالف وإيذائه وإكراهه على ترك دينه ولو بضروب الحيل فنحن أبرأ الناس من التعصب وأبعد عنه قديما وحديثا .

ثم قد اخرجنا اليه خصمنا في بعض الازمنة لكن لم يكن الا كسحاب الصيف عن قريب تقشع ، ولا تزال أوربا تلمنا بسوء معاملتها لنا وافتئاتها علينا بحجة الانتصار للمسيحيين ما لا نعلم، وما منعنا ان نرسخ في هذا العلم الا الدين الاسلامي الذي « يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » على انا لسنا متمسكين به على وجه

الكمال، ولو مرقنا « والعياذ بالله » كما مرقت أوربا لافرطنا في التعصب كما أفرطت وبغينا كما بغت ، وقد قلت ولا أزال أقول لا يصد عن الغلو والافراط في التعصب الا التمسك بآداب الدين الصحيحة ، فمن كان يحب الاصلاح ويرغب في الوفاق بين المختلفين في الدين لاسيما المسلمين والنصارى فليأمر الاولين بآداب القرآن والآخرين بمواعظ الانجيل، وعلى الله قصد السبيل ، ومن حاول الاصلاح في الشرق بغير هذا فقد حاول المستحيل

فيا أيها العثمانيون ان لكم مخادعين من أنفسكم أمنون جانبهم ، وتتوهمون خيرتهم ، قد أوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم، فاحذروهم على وطنكم وبلادكم ، فانهم عاملون على انحلال عصبيتكم الدينية والجنسية العثمانية معاء يبغضون اليكم دولتكم، ويسعون في اماتة لغتكم واحياء لغات أورباء ويلقون بينكم وبين بني وطنكم العداوة والبغضاء بعنوان الدين، وما ذلك الا هدم الدين . ليضم كل منكم يده في يد شريكه في وطنه، وتعاونوا على الاعمال النافعة، وتعاملوا بالامانة والصدق، لتقوى فيكم المحبة التي تغفر معها الهفوات، ويعفى عن السيئات، لا تنخدعوا لاوربا فيا أنتم أولاء تشاهدون كيف اتفق أعظم دولها على شقاء اخوانكم في كريت. حافظوا على جامعتكم العثمانية واجتهدوا في تعميم التربية التي تصلح أحوال الحاكم والمحكوم، ولا يجرمنكم اختلاف الدين والمذهب على ان لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور

مقتطفات الجرائد

(المكاتب الشهيرة في العالم)

اكبر مكتبة في العالم مكتبة باريس فقيها أكثر من مليوني مجلد مطبوع و١٦٠ ألف مجلد بخط اليد ، ولا يوجد فرق يذكر بين المكتبة الملوكية في بطرسبرج ومكتبة المتحف البريطاني في لندن وفيه نحو مليون و٥٠٠ ألف مجلد، هاتان هما كبريا المكاتب الموجودة في العالم . أما المكاتب الشهيرة دونهما فهي المكتبة الملوكية في مونيخ وفيها الآن اكثر من ٩٠٠ ألف مجلد ومن ضمنها كثير من الكتب الصغيرة ، ومكتبة برلين الملوكية فيها ٨٠٠ ألف مجلد، ومكتبة كوبنهاغن فيها٥١٠ آلاف ،ومكتبة درسدن فيها ٥٠٠ ألف مجلد ، والمدرسة الجامعة في كوتنجتن لها مكتبة فيها ٦٠٠ ألف مجلد، والمكتبة الملوكية في فينا فيها ٤٠٠ ألف مجلد ، ومكتبة مدرستها الجامعة فيها ٣٧٠ ألف مجلد،وفي بودابست مدرسة جامعة فيها ٣٠٠ ألف، ومدرسة المراسلات في كراكو فيها مثل هذا العدد تقريبا ، والتي في براجو فيها٢٠٥ آلاف مجلد، أما المكاتب الاميركية فانها آخذة في نمو سريع حتى انه يوجد في مكتبة بوستن الآن ما يقرب من مليون مجلد

مشروع الخط التلغرافي

(بين مصر ورأس الرجا الصالح)

ان المستر سسل رودس ليس هو صاحب هذا المشروع العظيم بل

المؤسس له انما هو الكولونل جرانت في سنة ١٨٧٦ حيث كان عرضه على مؤتمر الجغرافية الذي كان منعقدا في مدينة بروسل من تلك السنة وخطط المواقع اللازمة له . فما أعظم الارادة الفعالة عند الانكليز

❊

﴿ أطول مسافة قطعها الحمام الزاجل ﴾

أطول مسافة قطعها الحمام الزاجل هي من بحيرة تشارلس في لوسيانا الى فيلادلفيا وهي مسافة طولها ١٣٠٠ متر قطعتها حمامة اسمها « سادى جونس » وأسرع الحمام طيرانا حمامة للمستر واتن من سكان نيويورك فان حمامته قطعت ١٠٦ أميال و ٢٩ دقيقة في ساعة   (محمدان)

﴿ وكل من لا يسوس الملك يخلعه ﴾

لكل بداية نهاية ولا يبقى الا وجه ربك الكريم . مضى على الاسبان أربعمائة وست سنوات وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً وهم يحكمون العالم الجديد وقد وصل اليوم الحكم عن خريستوفوروس كولمبوس الرحالة الشهير .

نشر ذلك الهمام الراية الاسبانية لاول مرة في العالم الجديد فوق سان سلفادور وذلك يوم الجمعة ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٤٩٢ وقد ذهبت تلك البلاد من أيدي الاسبان وهي الآن تابعة للمستعمرات البريطانية

وكانت جمايكا تابعة لاسبانيا فطويت رايتها هناك عام ١٦١٣ ودخلت

البلاد في حوزة الانكليز والفلمنكيين والافرنسيين

وفي عام ١٦٣٤ طويت راية الاسبان في البرازيل واراغوا فاستولت البورتوغال عليها وهما الآن جمهوريتان

وفي عام ١٦٥٥ لحقت جاميكا بما سبقها من الولايات الاسبانية ودخلت في حوزة الانكليز

وفي سنة ١٦٨٠ استولت بريطانيا العظمى أيضا على جزائر باهاماس . وعام ١٧٩٥ خسر الاسبان هايتي وكانت يومئذ تدعى سان دومينيك فدخلت في حوزة الحكومة الافرنسية وهي الان جمهورية مستقلة . وفي سنة ١٨١٧ استقلت بلاد شيلي ورفعت عنها نير الاسبان الثقيل . وفي عام ١٨١٩ انضمت فلوريدا الى الولايات المتحدة وقد كانت ولاية أسبانية . وعام ١٨٢١ استقلت البلاد المكسيكية .

وأشأم عام كان على أسبانيا عام ١٨٢٤ حيث استقلت كولمبيا وغرانادا الجديدة وبيروا وباراغوا واكوادور وبوليفيا بهمة البطل الشجاع سيمون بوليفار . وسنة ١٨٤٥ استقلت فنزويلا ولم يبق لاسبانيا غير كوبا وبورتوريكو وبعض جزر صغيرة وهذه قد خرجت من يدها في ١٩ آب (اغسطس) الجاري عام ١٨٩٨ حسب منطوق البروتوكول الذي وقع عليه من الدولتين الاميركية والاسبانية وبذلك أصبحت أسبانيا لا تملك ما يساوي شروى نقير في العالم الجديد . بعد ان كانت صاحبة السلطان والسؤدد وسيدة أميركا الوسطى وأميركا الجنوبية

فمن آلة الحست ما عندها الآن غير الفقر والمشاغب والمتاعب

والثورات، كل ذلك نتيجة الظلم الوخيم، فليحذر الظالمون فما من ظالم الا ويبلى بأظلم

فأين كل هذه الاملاك الواسعة ! وأين تلك السطوة والعز؟ لقد ذهب في خبر كان ! من جراء الاختلال وسوء السياسة فتم ما قيل: (وكل من لا يسوس الملك يخلعه)

❊

﴿ أموال مصارف الدول ﴾

في بنك انكلترا ثلاثون مليونا و٢٧٠ ألفا و٧٨ ليرة انكليزية ذهبا وفي بنك فرنسا أربعة وسبعون مليونا و٣١٣ ألفا و٣٣٢ ليرة انكليزية من النقود الفضية . وفي بنك ألمانيا ٢٨ مليونا و ٥٥٨ ألف ليرة انكليزية ذهبا و١٤ مليونا و ٧١١ ألف ليرة انكليزية نقودا فضية وفي بنك روسيا ١١٧ مليونا و ٢٢٧ ألف ليرة انكليزية ذهبا و٤ ملايين و٢٧٤ ألف ليرة انكليزية من الفضة «كوكب أميركا»

كتاب المحكمة الشرعية

« في محاكمة القادرية والرفاعية »

سفر كبير ألفه منشئ هذه الجريدة في سنة ١٣٠٨ عند ما اشتد النزاع وعظم النفور بين الرفاعية والقادرية، وطفق بعضهم يطعن بالبعض الآخر بالقول والكتابة، وألفوا الكتب الكثيرة في ذلك، ونسبوا بعضها للمتقدمين، ليروجوا ادعاءهم المنازعة بين القطبين الجليلين سيدي عبد

القادر الجيلي وسيدي أحمد الرفاعي (قدس سرهما) ويقبل كلامهم في المفاضلة بينهما ...

ولقد طالعت قبل الشروع في التأليف وفي أثنائه كتب الفريقين التي طبعت حديثا وبعض الكتب الخطية بكل دقة وامعان ، وتصفحت وجوه الخلاف ، وأحصيت مواد النزاع وحررتها تحريراً ، وحكمت الشرع في القبول والرد واستدللت بالعقل والتاريخ ، وبكلام شيوخ الصوفية كل في موضعه ، ولشدما ألجمت الخصم بلجامه ، وألزمته الحجة من كلامه ، لان هذا ادعى للاقناع ، وأقرب الى الافحام ، ولقد ألف أحد علماء تونس الفضلاء كتابا سماه «السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني» وطبع هذا الكتاب وأتيح لي النظر فيه فألفيته على حسنه نقطة من بحر كتابي . ولقد رتبت الكتاب ترتيبا حسناء وقسمته تقسيما يشوق المطالع ، وكتبته بأسلوب لايمل منه قارئ ولا سامع ، وأودعته من الفوائد الادبية والسياسية والحكم والتنبيهات العصرية والاشعار والافاكيه ما يكفل لكل طالب بطلبته ، ويجذب كل صنف لمطالعته ، وسنقدم منه نموذجا للقراء ببعض نبذ ننشرها في المنار ، ثم نفتح بابا للاشتراك في طبعه ، وان ألح علينا بعض العارفين به على التعجيل بالطبع ، فنستلفت الانظار الى الاعداد التالية سلفا

وقفنا على تقريظ لرسالة التوحيد من نظم الفضال صاحب الامضاء فنشرناه بعنوانه وهو

(حضرة مولانا الاستاذ الاكبر رب الحكمة وعنوان المعارف فضيلتلو افندم الشيخ محمد عبده)

هو الله يحبو من يشا بهدايته ويمنح من يختاره بعنايته

ومن خير من أولي (محمد عبده) فقد حفه فوق الورى برعايته

له فكرة تعنو المعارف عندها ففاق السوا علما بوقاد فكرته

غدا فيلسوف الشرق فليفتخر به بنوه لدى العرب الشهير بحكمته

له الله قد أهدى من الفكر جوهرا بتأليفه يزدان رونق بهجته

وان كنت في التبليغ لاقيت جفوة فما فاتح الا يعاني لشدته

أقت براهينا هي الشهب فوق من تصدى فما يجديه وقع أسنته

على انها مثل الثوابت يهتدي بتقويمها الراجي قويم محجته

ومع صغر في الحجم وازت كبيره فأبدت لدى الاعجاز أكبر آيته

ففيها ترى ضوء المطالع ساطعا وما كوكب الاسرى في مجرته

وان كان في سير المواقف مطمع ففيها انطوى ذاك الفضاء بجملته

زهت في مقاصير العلوم خريدة على عفة جادت لكل برغبته

بروحي منها دقة في اختصارها فمنطقها يزري النسيم برقته

بروحي ما فيها من الدقة التي تشا كل رمزا من حبيب لمقرته

فقل بكمال ان تؤرخ جمالها محمد عم الكل نور رسالته

٨٠ ٩٢ ١١٠ ٨١ ٢٥٦ ٦٩٦

سنة ١٣١٥

محمد جوده الدمياطي

﴿ تصريح انكلترا بامتلاك السودان ﴾

تناقلت الجرائد المحلية خبرا كلم كل فؤاد ، وفت في جميع الاعضاد ، بل كان قارعة من القوارع ، تمزقت من وقعها المسامع ، وهو أن الدولة الانكليزية بعثت الى نظارة خارجية مصر برسالة برقية تقول فيها (ان حكومة انكلترا أنفقت في محاربتها السودان النفقات العظيمة ، وخسرت في فتحها الخرطوم وأم درمان دماء رجالها ، ومن هذا هي تعد نفسها ذات الحق الاول في السودان ولمصر الحق الثاني !! فيحتم على انكلترا أن تكون هي الآمرة الناهية فيه ، وعلى مصر أن تقبل ارشادها ونصائحها فيه) انظر الى هـذه المقدمات البينة والحجج القيمة ؟ من قال من بني الانسان ان المتطفل أو المتفضل بمساعدة انسان على دفع مضرة عن أرضه ، أو اجتلاب منفعة لمالكه ، يكون له الحق الاول في ذلك الملك ، والتصرف المطلق في تلك الارض ، ويجب على صاحب الارض المالك أن يكون عبدا خاضعا له ومنفذ أوامره ؟أي قانون أم أية شريعة تبيح لصاحب الهدية أن يمتلك بيت المهدي اليه بحجة ان الهدية كانت حجرا أو خشبة ودخلت في البناء ؟أقول ان شريعة البغي والظلم المؤسسة على قاعدة (القوة تغلب الحق) هي التي تبيح هذا دون سواها ، سمحت انكلترا لمصر بثمانمائة ألف جنيه لكنها ابتزت منها ألوف الالوف من الجنيهات من مدة الاحتلال ، فهل كان ذلك ذريعة لامتلاك بلادها ؟! ثم انهم ليأكلون أموالنا ويسفكون دماءنا بتسليط بعضنا على بعض لاجل فتح بلادنا وامتلاكها ، ونسميهم مع

ذلك مصلحين ، ولا يزال فينا من يحسن بهم الظن وينخدع لهم وأولئك هم الغافلون

اما الحكومة المصرية فقد ارتاعت كما قيل لهذا النبأ العظيم، وان كانت مستسلمة للانكليز في جميع الشؤون ، وطيرت الخبر لسمو العزيز في أوربا ورفعته للاستانة العلية أيضا ولا نعلم ماذا يكون الجواب عنه، وان بعض الناس لم يزالوا في ريب من صحة الخبر لغرابته وبعده عن مسلك الانكليز في التمويه ، وعدم انطباقه على قاعدة من قواعد حقوق الامم والدول ، وستنكشف الحقيقة عما قليل

جاء في بعض الجرائد المحلية ان مولانا السلطان الاعظم تعلقت ارادته السنية بمنع جميع الجرائد المصرية من دخول ولايات السلطنة ماعدا ثلاثا مسيحية ، ولقد كذبت هذا الخبر جريدة الاهرام، وتكذبه دائما جرائد سوريا التى تنقل الاخبار في كل اسبوع عن الجرائد المصرية مع العزو الصريح اليها ، ولا وجه لتخصيص الجرائد المسيحية بخدمة الخلافة الاسلامية، بل المسلمون العارفون بحقوق الخلافة، لانها من مهمات دينهم أحق بهذه الخدمة وأهلها، وهم والمسيحيون سواء في خدمة الدولة العلية والجامعة العثمانية، لانهم في بنوتها سواء، ويجب عليها العدل فيهم والمساواة بينهم في الحقوق والاحكام بحسب نصوص الشريعة الغراء

اننا لنعلم ان ذلك الخبر قد خلقه بعض المداعين في الاستانة ليوهم بعض أرباب الجرائد هنا أن مولانا السلطان لا يرضى الا عن الجرائد التي تشهد لبعض الشيوخ في الاستانة بالقطبية الكبرى والولاية العظمى ومقام

المعرفة بالله تعالى أوما يقرب من هذه الشهادة ، لكن من أراد ان يوهمهم ذلك الخداع لا يسيرون في ظلمات الاوهام، ولا يشهدون الزور، ولا يتسلقون لاعطاء مراتب الصوفية لاهل الضلال . واذا كان أولئك الشهداء معتقدين صدق أقوالهم فلماذا لا يدينون بدين العارفين بالله تعالى واقطاب دينه وأهل سره ؟ تبا لمن يبيع دينه ووجدانه بالأماني الوهمية وويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون

مقدمة

كتاب الحكمة الشرعية (*)

(في محاكمة القادرية والرفاعية)

بسم الله الرحمن الرحيم

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم *

تلك آيات الكتاب الحكيم ، تهدي الى الحق والى طريق مستقيم ،

(*) فاتحة العدد الثامن والعشرين الصادر في ٩ جمادى الأولى سنة ١٣١٦

ولا ينكب عن نهجها ويرغب عن هديها الا القوم الضالون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون * ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً، فبشره بعذاب أليم *

هذا خطاب الله تعالى لنا في كتابه المعصوم ، وهو الامام الحق الهادي الى سواء السبيل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أمرنا بالاعتصام بحبله المتين، ونهانا عن تفرق الكلمة واختلاف الوجهة ، وامتن علينا بتأليف القلوب والاتحاد في سبيل الحق، حتى أصبحت رابطتنا الملية كالعصبية الجنسية ، وافراد أبناء الملة باجتماعهم واتحادهم الديني كالاخوة في القرابة النسبية ، الذين يرجعون الى اصل واحد يعرفونه ولا ينكره منهم أحد . وانذرنا بأن المتفرقين عن الحق والمختلفين فيه بعد مجيء البينات وتبيين الايات ، هم الذين يمسهم العذاب العظيم ، وأكد لنا النهي بتكريره لكيلا نكون كالفريق المتفرق فيجري علينا حكم سنته العادلة وحكمته البالغة ، هذا بعد ما نبهنا على انه ما بين لنا ذلك الا رجاء اهتدائنا بالتمسك بهديه، والاعتصام بحبله، وفرض علينا القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يجهل ما أمر الله به ونهى عنه ، فينبذ الطاعة ويشذ عن الجماعة ، فيسقط في مهاوي الهلكة ، وتفترسه الذئاب العادية ، ويكون عبرة للمعتبرين .

لقد صدقنا الله تعالى وعده ووعيده، وظهر فينا تأويل كتابه ، وتقذف أبناء ملتنا حكم سنته في أهل الشقاق والافتراق، وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

كانوا من عهد نبيهم «عليه الصلاة والسلام» والخلفاء الراشدين المهديين من بعده متمسكين بكتاب الله المبين، ومعتصمين بحبله المتين، كلمتهم واحدة ووجهتهم متفقة، فافتتحوا الفتوحات، ونشروا لواء العدل واتسع سلطان ملكهم بما أزالوا من سلطة الفرس والرومان وغيرهما، حتى كان في أواخر مدة الخلافة الراشدة ما كان من الاختلاف والافتراق، أثار ما أثار مما لا يخفى على أولي الابصار — ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم لما سكنت الزعازع، وسكت المنازع للمنازع، وخضع المسلمون لامير واحد انشعب صدعهم، واندمل جرحهم، وتنبهوا لمصالحهم، وتيقظوا للقيام بشؤونهم، فاندفعوا كالسيل يتسابقون لاكتساب الكمال وادراك المجد المؤثل، فتغلبوا على الممالك، وتوسعوا في مجال الفنون من العلوم والصنائع، وأظهر الله تعالى دينهم على الدين كله، حتى دخل فيه في اقل من قرن واحد اكثر من مائة الف نفس من غير حرب ولا كفاح، وافتتحوا في نحو ثمانين سنة زيادة عما افتتحه الرومانيون في ثمانمائة سنة، فامتد ملكهم من القاموس الاتلانتيك من جهة المغرب، الى تونكين الصينية في أطراف المشرق، ودام لهم هذا السلطان باتفاقهم وتضافرهم الى أمد ليس بقريب، وهم في خفض من العيش ورغد من الحياة، لا يضارعهم في ذلك مضارع، ولا ينازعهم فيه منازع، ثم لما تعددت فيهم الامراء، وانقسم ملكهم الى عدة ممالك كل مملكة تستقل تحت رياسة سلطان، وذهلوا عن مخالفة ذلك لاصول دينهم الراسخة جذورها في تربة الحكمة الطيبة، الضاربة فروعها في سماء المجد والعزة، وانما بمراعاتها جنوا ما جنوه من ثمرات السعادة — انظر ماذا آل اليه أمرهم، لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم،

حتى تناكرت الوجوه ، وتقلبت القلوب، واختلفت رغائب الامراء، وعكف كل على شأن نفسه يعمل لها لا للامة ، فصار نهارهم ليلا ووزنهم كيلا، فنزلت بهم المصائب ، وانتابتهم النوائب، فمزقت بمخالبها أديمهم، ومضغت بانيابها لحومهم وصاروا سلفا ومثلا للآخرين . فلو راجعت تاريخهم واستقريت أنباءهم ورأيت كيف عاث في بلادهم جنكيز خان التتاري واحفاده ، وكيف فتك بهم تيمورلنك وأضرابه ، ثم كيف فاض عليهم طوفان أوربا في الحروب الصليبية، وسمعت صدى أصوات نسائهم منعكسا عن صفحات الكتب: تدعو بالويل والثبور، لهتك الستور، وعظائم الامور، لفاضت عيناك حزنا ، وتمزق فؤادك أسى وشجنا

ثم ارجع البصر كرتين نحو غربي بلادهم وشرقيها ، وتأمل ما حل بهم في الاندلس، وأسحب أشعة نظرك على ما نزل بغيرها من بلادهم ، حتى تنتهي الى البلاد الهندية، والممالك التيمورية، التي تغلبت عليها الامة البريطانية، ولعلك قد شاهدت أو حدثك من شاهد ما رزئوا به بعد ذلك من جور المتغلبين وطمع الطامعين، ولا تزال الفتنة ترمي في بلادهم بشرر كالقصر ، وكادت تعم كل بادية ومصر . ولا أرى عاقلا يرتاب في أن كل ذلك نتيجة تفرقهم واختلافهم وتشتت أهوائهم ، وهو ما حذرهم الله غائلته ، وأنذرهم مغبته ، فتماروا بالنذر، فأخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق ، وما ربك بظلام للعبيد . ولا رجاء في الامن على ما بقي لهم فضلا عن استرجاع ما سلب منهم الا أن يتحدوا جميعاً تحت لواء الخلافة ويكونوا كجسم واحد اذا تألم له عضو تداعى له سائر الجسد، وكالبنيان

يشد بعضه بعضا ، كما جاء في هدي صاحب الشريعة صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ان الدين الاسلامي كان أول ظهوره في الامة العربية وهي أشد الامم تعصبا للجنس وتحزبا له ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانتزع من قلوبهم حمية الجاهلية وامتلخ من نفوسهم التعصب للجنس والمشرب ، ومن كلام صاحب النبوة عليه السلام « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية » حتى لم يبق للآخذين بهذا الدين عصبية في غير دينهم ، وسواء في ذلك العربي والعجمي ، ألم تر أن الوالد كان يقتل ولده لاجل الدين ولا تصده عن الفتك به رحمة الابوة ، والولد يقتل أباه ولا تمنعه من سفك دمه حرمة الوالدية ، ثم انهم كانوا يقفون في تعصبهم موقف الاعتدال ، ولا يتعدون - ولا سيما في حال السلم - حدود الفضيلة والكمال ، كما ترشد اليه آداب الشريعة . ولم يرسخ في نفوس المسلمين في أوائل نشأتهم خلق الا ما كان مستنداً الى أمر ديني ، ولم تجتمع كلمتهم للقيام بشأن من الشؤون الا أن يكون عن باعث الدين . ثم لما افترق المسلمون شيعا ، وانقسموا في الاصول الى عدة مذاهب ، وكان كل يدعو الى مذهبه عن وازع الدين ، كان لهذا الاختلاف اليد الطائلة في تفرق الكلمة وفساد بعض الملوك والامراء ، وكان لذلك من سوء العاقبة ما لا يجهله من نظر في دواوين المؤرخين وأسفار الاخبار ، وهذا من أوضح الشواهد وأبين الآيات على ان الحق في الاصول لا يتعدد ، وان المصيب واحد ، ومن عداه كافر أو مبتدع ، وان اختلاف المذاهب تفرق في الدين والله تعالى يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » فالدين يدعو الى

الاجتماع والتوحيد، والتمذهب يدعو الى الفرقة والتبديد، فهو ضد الدين وأثره مناقض لاثره . ومن مقومات سعادة هذه الامة أن يجتمع علماء المذاهب والفرق لاسيما الفرقتان العظيمتان أهل السنة والشيعة ويفرغوا وسعهم لازالة الخلاف من الخلاف، واستبدال الوفاق بالشقاق. ومتى جعلوا غرضهم الحق ورائدهم الانصاف اهتدوا الى الصراط المستقيم

ان الخلاف في الاصول زعزع أركان الاسلام، بخلاف اختلاف الائمة المجتهدين في الفروع، ولاسيما في المعاملات والاحكام القضائية التي يحكم فيها العرف وتختلف باختلاف الزمان، فانه قد يتعدد الحق فيها ويمكن أن يكون القولان المختلفان ولو في النفي والاثبات مشروعين، وكل منهما حق في الواقع، وانما اختلافهما لاختلاف الازمنة أو الامكنة أو الاشخاص، ذهب الى ذلك بعض الاصوليين وكاد يطبق عليه أهل الكشف والشهود، وفيه ألف العارف الشعراني كتاب الميزان الشهير الذي تلقته علماء الامة بالقبول، وقد نسب الامام النووي القول بأن كل مجتهد مصيب الى جمهور المحققين (كما في شرح مسلم)

ألم تر ان اختلاف أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد لم يثر في الملة نزاعا يذكر، ولم يضرم نارا يوقود الفتن تتسعر، ولم يكن من أثره الا منافسات شخصية بين بعض أرباب الظهور . من علماء الرسوم والقشور، عندما بعد عهد الائمة وطال الامد على اتباعهم، فقسق الكثير عن هديهم، وانحرف بهم السبيل عن سيرتهم، أما اختلاف الخوارج والمعتزلة والشيعة

وأهل السنة بعضهم مع بعض فقد كان من أهواله وسوء مآله ما أشاب النواصي، وانقضت له شوامخ الصياصي

ان أولى الاختلاف بعدم اثارة النزاع واضرام نار الفساد اختلاف مناهج شيوخ الطرق والمسلكين، في كيفية الدلالة على رب العالمين، بل لا يجدر بنا ان نسمي التفنن في وسائل الهداية اختلافا اذ لا اختلاف في الحقيقة كما أشار اليه قائلهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل الى ذاك المقام يشير

وقال سيدي عمر بن الفارض مشيراً الى ذلك

فكم بين حذاق الجدال تنازع ... وما بين عشاق الجمال تنازع

أولئك القوم لا متارف في طرقهم للبغضاء، ولا مبعث للشحناء، ولا مهب لرياح الاهواء، أولئك القوم لا مواقد في مناهجهم تضرم فيها نيران الفتن، ولا مجال تتراكض فيه خيول الاحن والمحن، أولئك القوم لا سعة في سبيلهم للتقاذف والتنابز، ولا فسحة للتقاطع والتدابر، قوم قاموا بخدمة مولاهم، وأخلصوا له في سرهم ونجواهم، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا. اغتروا بآداب الناس مع القوم وتسليم أحوالهم اليهم، وان أشكل ظاهرها وساء مشهدها، فخلطوا في الطريق ما ليس منه، وهم مخالفون في السيرة والسريرة لمن يدعون اتباعهم، ويزعمون انتحال نحلتهم، وانتحاء مناحيهم، ويحتجون على ناصحهم بالفاظ يقولونها، وكلمات يلوكونها، يشبهون فيها الظلمة بالضياء، ويشتبه عليهم الغرور بالرجاء، «يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله

يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ؟ ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون » دب اليوم داء الامم قبلهم فقسدت أخلاقهم ، وخبثت أعمالهم ، تحاسدوا على الاعراض البالية وتنافسوا فيها ، وتباغضوا في الاغراض الخسيسة وتهالكوا عليها ، تلاحزوا وتنابزوا بالالقاب ، وتباروا وتفاخروا بالانساب ، وقلد الصادقين المدعي الكذاب ، في جملة من الوسائل والاسباب ، فعسر التميز بين البريء والمرتاب ، الا على الافراد من أولي الالباب ، وما كفاهم هذا الهبوط والسقوط ، ولم يقنعوا بهذا الاعتداء والاستعلاء ، حتى تسلقوا صرح الغلو علوا وفسادا في الارض ، فطن بعضهم بدين بعض وغض من طريقته أي غض ابتغاء الفتنة وسفك الدماء ، وطلبا للبأساء والضراء ، فثبت بها الجاهل ، وزلت قدما العامل ، فتدهور في هاوية الخسران ، وانهار به الجدار في جحيم الخذلان ، وما للظالمين من أنصار .

تلك قصة القادرية مع الرفاعية ، أستغفر الله من ظلم أهل الطريق بل بعض المنتسبين اليهم قولا ، المتخلفين عنهم تخلقا وعملا ، طبع للقادرية بضـ ـ كتب في مناقب الامام الجليل سيدي عبد القادر الجيلي (قدس سره) لم يذكر في بعضها نسبة الولي الشهير سيدي أحمد الكبير الرفاعي (قدس سره) لاهل البيت النبوي عند ترجمته اتباعا لجماهير المؤرخين ، وذكر في بعضها اثبات تلك النسبة بعد نقل القول بنفيها ، فطبع الرفاعية رسائل وكتبا عرضوا في بعضها بنسب الامام الجيلي ، وصرحوا في بعضها بالقطع بانكاره ، وبنسبة الشطح والادلال له استدلالا بهما على عدم تمكنه في الولاية ، وأنكروا منقبة القدم ، وأكثروا من الطعن في المؤلفين في مناقبه لا سيما العلامة الشطنوفي

صاحب كتاب بهجة الاسرار ، فالف أهل هذا العصر من علماء القادرية كتابا سماه (الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين) وهو كتاب للرفاعية صرحوا فيه بما أشرنا اليه من المطاعن . أثبت هذا القادري في كتابه نسب السيد الجيلي بالنقول الكثيرة عن العلماء والمؤرخين ، وتكلم في منقبة القدم واثباتها ونقل بعض ثناء العلماء على الامام الشطنوفي ، كل ذلك على سبيل الرد على ما في كتاب ترياق المحبين ، وزاد على ذلك بعض فوائد ومواعظ مأثورة عن الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه ، وانتقد بعض رسائل للرفاعية واعترض على أكلة الافاعي واللاعبين بالنار منهم

لم يمض على طبع هذا الكتاب زمن قصير حتى قام بعض الرفاعية بتلفيق كتاب أتى فيه بالعجب العجاب . أغرق بالطعن في طائفة القادرية وغلا غلوا كبيرا ، فحكم بأن جميعهم من أهل البدعة ، بل تهور فقال بكفرهم والعياذ بالله تعالى ، وزعم انهم يتسترون بالدين ، ويتظاهرون باتباع الطريقة القادرية غشا وخديعة للمسلمين ، ليتمكنوا من افساد عقائدهم ، وانهم دائبون في السير الى هذه الغاية ، متفننون في التلاعب بالدين ، واذية سيد المرسلين ، وأرباب الطرق كافة ، والرفاعية خاصة . ورتب على هذه المزاعم الباطلة انه يجب على المسلمين كافة والرفاعية خاصة ان يفرغوا الوسع باستئصالهم ومحوهم من وجه البسيطة نصرة لله ولرسوله وحفظا للدين القويم !!!

هذه أول سيئة لذلك الكتاب ، سودت بها صحائف مقدمته ووراءها في قلبه فتن كقطع الليل المظلم ، منها انه أناط ما نسبه من العظائم الى السادة القادرية بسيد منهم علي المكانة ، رفيع المنزلة ، قوي العصبية ، معروف القدر عند عامة المسلمين وخاصتهم ، وقد أكثر بعد ذلك من الحط عليه ، وشنأه

، بصراح المنكر من القول، بعد ماغالى في الطعن ضده امام العارفين الشيخ عبدالقادر برأه الله تعالى بما لم يسبقه على الجراءة بمثله سابق ، وأفرط في الجرح والايذاء لذريته المباركة ، حتى تعدى لمن أثنى على حضرته النزيهة ، وألف في مناقبه من أكابر العلماء — كل ذلك ليحض ذلك السيد وأتباعه ، ويحرض أنصاره وأشياعه ، على الخوض في تيار الفتنة وغشيان سوقها التي أصبها بالكلام السيء الذي يحرك الجماد ، ويلقي في أرض الدعة والسكون بذور الفساد . هذا بعد ماصرح في المقدمة بأنه ألف كتابه مرضاة لجماعته الرفاعية، وانهم أجمعوا على طبعه ونشره، وذكر من كثرة عددهم وقوة حزبهم ماأراد به اظهار استضعاف القادرية دونهم، ليثبت بذلك تحقق العداوة والتضاد بين الفريقين، ويبرزهما في صورة الخصمين المتنازعين، فيسري سم دسيسته في أرواحهم، وينفذ سهم فتنته من قلوبهم، وتشب نيران الضغينة التي أوقدها في أفئدتهم، فتنشب لها حروب داخلية، يهي لها بناء الامة، وينصدع شمل هيئتها المنشعب بحكمة المستوي على منصة الخلافة مولانا السلطان الغازي عبد الحميدخان، الذي فاض معين سياسته وفضله فاستقى منه العمران البشري وروي نوع الانسان

وليته وقف عند هذا الحد الذي لم يدن نحوه قبله أحد ، فانه تعداه إلى الكذب على الله ورسوله بالخبط والخلط في أصول الشريعة وفروعها ، وعلى الاولياء والعلماء بنقله عنهم ماانقطع ببراءة ساحتهم منه ، والحاقه بهم من مانجزم بطهارة اردانهم من التلوث به ، وتفضيله ابن الرفاعي عن جميعهم ولم يستثن الا أئمة الشيعة الاثني عشر دون الائمة المجتهدين، بل نقل عن كتب فئته مايقتضي مساواته للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض الشؤون !!!

ومشاركته له في بعض خصائصه، الى غير ذلك من التلاعب في فنون العلم، من غير روية ولا فهم، فما كان الا تبديل أحكام وزعزعة نظام

أتيح لي النظر في ذلك الكتاب في هذا العام عام ١٣٠٨ ثمان وثلاثمائة وألف . فكنت كلما تصفحت من صفحاته، وتأملت جملا من عباراته، تتابني من الغيرة على الدين لوافح الاتقهال، وتتناوبني من الحيرة في جرأة مصنفه لوائح الامتعاض، فما أتيت على آخره الا وقد نفث في روعي روح الحق، وهتف بي هاتف الامانة الدينية والصدق : ان انهض ممتثلاً لقوله جل علاه (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وانشأ كتابا يكون فرقانا بين الحق والباطل، وبرزخا بين حلم الحليم وجهل الجاهل، يسلك في حسم النزاع بتحرير منازعه مهيع الصواب، ويحرى بحسب الاستطاعة مواقع الحكمة بفصل الخطاب، يتيمم مع الحقيقة ويجد، ويصوب النظر حيث يرى الصواب ويقصد، لا يميل مع أحد الرجحين، ولا يتطرف الى أحد الطرفين، فاستعنته تعالى على القيام بهذا العبء، واستهديته الى اخراج هذا الخبء، فوجدته مجيبا يابي من ناداه، قريبا يجيب دعوة الداعي اذا دعاه، ورتبت الكتاب على ستة مقاصد وخاتمة ﴿ لها بقية ﴾

التعصب

(لحضرة الكاتب الشاعر صاحب الامضاء)

من تأمل بعين البصيرة في سير الامم والشعوب والقبائل والبطون والملل والاسر ، وما يستتبع ذلك من العز والذل والرفعة والسقوط والحياة والممات ، علم ان قائد الجميع ومدبر الكل والمحور الذي تدور عليه والروح الذي يحيها من العدم ويجعلها في مصاف الامم هو (التعصب) وما أدراك ما التعصب ؟

لعل القارىء لاول وهلة يستغرب ذلك أشد الاستغراب حيث ان تلك اللفظة صورتها بعض الامم — التي ما قامت لها قائمة الا بها — بحيوان هائل المنظر ، ناشب الاظفار ، يبطش بكل من خالفه من بني الانسان ، وما ذلك التصوير الا لمآرب وغايات ، سوف تتضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ليسمح القارىء أولاً بتعريف تلك اللفظة ثم ليتدبر ماأنشأ عنها وعن تركها من رفعة الامم وانحطاطها وعزها وذلها

التعصب رابطة تربط القلوب المتفرقة ، والآراء المتشتتة ، والاهواء المتباينة ، والوشائج المتقطعة ، الى أرومة واحدة ، تسق بماء واحد في صعيد واحد

التعصب به حياة الامم الميتة ، وسعادة الشعوب المضطهدة ، ولولاه

ما قامت قائمة لأمة من الامم ، ولا حفظ استقلال لشعب من الشعوب أو جنس من الاجناس

تأمل بالاسفار من لدن آدم عليه السلام ، تر ما قامت دعوة نبي من الانبياء الا اذا تعصب له من قومه من أدرك كنه الدعوى (؟) وذب عن حوزتها ، والا كان عرضة لاذاهم وعبثهم بما أتى به كما جرى لكثير من الانبياء

ان الانسان لا يعيش منفرداً ، فهو اجتماعي طبيعة ، تأمل لمَ لم يكن الكون تحت سلطة واحدة؟ لمَ لم تدخل انكلترا تحت حوزة روسيا أو لم لم يكن الامر بالعكس؟ لمَ لم تدخل فرنسا تحت حوزة ألمانيا أو لم لم يكن الامر بالعكس ؟ لمَ شعوب البلقان وما جاورها من العناصر دائما في نزاع؟ لم لم الخ

لمَ لم تكن الاديان وما يتفرع عنها من المذاهب واحدة ؟ لمَ لم يجتمع أصحابها الى دين واحد ومذهب واحد ؟ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن ...)

أما وسر الاختلاف ، وما نشأ عنه من الحكم التي تحار فيها العقول ، ما فرق تلك الدول عن بعضها البعض (مع انها من دين واحد كما تزعم) الا التعصب لجنسيتها ، والتحيز لقبيلها وبالاولى لمذهبها ، تأمل بما وصل اليه الرومانيون والفينيقيون والعرب الاندلسيون والمصريون وسواهم ، بل وبما وصلت اليه أوربا الآن من العلوم وما يتبعها من القوة والثمة ؟ هل كان ذلك بالانفراد ، أو بالعصبية الجامعة للافراد ؟

تأمل بما فاجرت الحرب على بني الانسان ، هل باعث لذلك سوى

التعصب للطمع أو للاستيلاء أو لاهانة لحقت أو لدين من الاديان ؟

تأمل بماذا نشبت حروب القرون الوسطى ، هل سبب لذلك سوى تعصب دين .... على دين ...

تأمل بماذا اتفقت أوربا على روسيا في حرب القرم وعلى الدولة العثمانية في جملة مواقع أقربها حرب الروسيا الاخيرة وما تلاها من مؤتمر برلين ...

تأمل بماذا أغرت بعض الدول الارمن والدروز والكريديين على العصيان ، واليونان على احتلال كريد بمداعطائها الامتياز وتعيين المسيحي (بجرجي باشا) وتنظيم الضابطة من طرف أوربا ، وما نتج عن ذلك من الحروب العثمانية اليونانية ، وتعصب الدول على عدم انالة الفاتح أرضاً كانت له !! الى غير ذلك في كون ان الدول ابتلعت جملة أراضي من الفاتح وغيره بمجرد وضع اليد أو الاغتصاب ، لا باراقة دماء واستنزاف أموال

تأمل لمَ لم تحل الى الآن مسئلة كريد وجبل ثار بها متروك على غاربهم ؟

تأمل لمَ بعض الدول متشبثة بتعيين من حورب أبوه لاجلها ؟

تأمل لمَ لم تترك صاحبة الملك تفعل ما تريده من إعادة النظام عليها ؟

تأمل لمَ لم تترك تبدل عسكرها كما يبدل غيرها ، كأن عسكرها ليسوا من الانسان وليس لهم أهل تتفتت أكبادهم لرؤيتهم ؟!

سبحانك اللهم ان هذا بهتان وظلم عظيم ، بل هو ليس من التعصب في شيء ...

تأمل لمَ إذا أرادت عمل شيء يعود عليها بالفائدة نصبت لها أوربا

المراقيل ورمتها بالتعصب ولا ترمي نفسها !

تأمل لم نشبت الحرب بين امريكا وأسبانيا الان، ولم اوربا تقريباً متألبة على امريكا !

تأمل لم اتفقت أوربا على اليابان في حربها مع الصين، ولم اتفقت الان على ابتلاع الصين بطرق لم نسمع مثلها في آبائنا الاولين ؟

تأمل لم علائق روسيا وانكلترا الان على غير ما يرام

تأمل لم انكلترا طامحة بنظرها الى ابتلاع السودان، ومجردة عليه من جيوش التمدن . . . لا التعصب . . براكين النيران، تأمل لم كانت الجرائد الاوربية وغيرها مختلفة النزعات متباينة المشارب، وكل يوم تنشب بينها الحروب القلمية بمقذوفات الافكار وسهامها ، لا بمقذوفات المدافع ونيرانها، كل يدافع عن أهوائه ، ويدعي العصمة لآرائه، هذه لسان حال البرنس فلان وهذه لسان اللورد فلان وهذه للمحافظين وهذه للاحرار وهذه للاشتراكيين وهذه للعملة وهذه للاسرة المالكة وهذه وهذه الخ

أقول والصدق خير ما يقال حبذا حبذا زمن التعصب حبذا حبذا تلك الايام التي مرت كأنها أحلام ، أيام كنا والقول قولنا، والقوة قوتنا، والامر والنهي بيدنا، ومع ذلك لم نعبث بما كان تحت سلطتنا مما يخالف ديننا ،ولم نتألب عليه بل عاملناه بمقتضى الشرع الذي يأمر بالعدل والاحسان لجميع بني الانسان (لهم مالنا وعليهم ما علينا) وكم حمت دولتنا من ملوك الدول المتألبة علينا الان مالا نطيل بذكره فانتثر بهذا الوقت عقد (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا — ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) سنة الله في الخلق (وتلك الايام نداولها بين الناس)

ثمرنا ذلك العقد حتى لا يرى منا أحد بالتعصب ، الذي به قوام الجامعة الدينية والدنيوية، فصدقت علينا هذه الجملة « تركنا الدنيا والدين حتى لا ندعى متعصبين »

أما وسر التعصب وما به من الاتحاد إن أوربا ما خلقت لنا تلك اللفظة وصورتها لنا بغير صورتها الحقيقية ورمتنا بها الا لتفريق شملنا، وتبديد كلمتنا، وتمزيق قوتنا، وحل رابطتنا الدينية، لتقوى على أخذنا بسهولة مما يعلم ذلك كله الخبير، وفي هذا القدر كفاية ولعلي أغتنم الفرص وأحدث عما يخطر لي من هذا القبيل والله الموفق　　　(محيي الدين الخياط)

(المنار) ان كلام الكاتب الفاضل في التعصب المطلق ، فيدخل فيه الديني والجنسي وقد ذكر من آثاره ماهو مذموم وماهو ممدوح ، يحتج ببعض ذلك على منفعة التعصب، وببعضه على تلبس أوربا به على اطلاقه، ومزج القول في ذلك مزجاً . ومما يؤخذ عليه فيه من جماهير علماء الدين قوله : ان دعوة الانبياء ما قامت الا بالتعصب ، وقد تبع في ذلك الحكيم الاسلامي ابن خلدون ، والجماهير يقولون ان الدعوة قامت بالتأييد الالهي، وانما الفتوحات التي اتسعت بها سلطة الدين هي التي قامت بالعصبية كما تقتضيه طبيعة الملك، ولعلنا نبسط الكلام في هذا الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق وبه المستعان

﴿ مقتطفات الجرائد ﴾

مثال للفرق بين أمة تحيا وأخرى تموت

كتبنا منذ أيام بضعة سطور في محليات المؤيد اشتملت على مثال يوضح بين حالتي التعلم والتعليم عند مسلمي ومسيحيي مصر، قياساً على احصاء مدارس وتلامذة الفريقين في مدينة أسيوط أكبر مدن الصعيد

والآن نريد أن نقدم مثالا من هذا القبيل أكبر من ذلك يوضح الفرق بين حالة الامة المصرية بحذافيرها، وحالة أمة أخرى في ولاية ممتازة بين ولايات الدولة العلية، وقد منحت منذ عشرين سنة الاستقلال الاداري الذي منحته مصر منذ ستين سنة وأكثر، ليرى القراء كيف تحيا أمة بإزاء أمة تموت

ونعني بتلك الولاية الشبيهة بولاية مصر في الامتيازات وان كانت أحدث منها عهداً في الاستقلال الاداري — ولاية بلغاريا التي تجد السير في طريق الحضارة والترقي بواسطة تحصيل العلوم، وهي الواسطة الوحيدة التي بها حياة الامم وسعادتها

ففي صوفيا (عاصمة بلغاريا) كلية جامعة مؤلفة من ثلاث مدارس عليا، احداهن تاريخية فلسفية، والثانية طبيعية رياضية، والثالثة حقوقية

وفي الولاية ١٥٠ مدرسة للتعليم الثانوي (التجهيزي) منها ٨٥ للطلاب الذكور و٤٤ للبنات و١٤ للفريقين معا وست مدارس للمعلمين وواحدة حربية

وأما المدارس الابتدائية في الولاية فعددها ٤٤٨١ مدرسة ، تقسم كما يأتي : — ٣٠٧٩ مدرسة بلغارية أرثذوكسية و١٩ بلغارية كاثوليكية و٨ بلغارية بروتستانية و٢٥ بلغارية اسلامية و١٢٤٣ تركية و١٦ تاتارية و٢٩ يونانية و١٣ أرمنية و٢٧ اسرائيلية و٤ كاثوليكية و٣ فرنساوية و٢ رومانية وواحدة ألمانية وواحدة روسية

وتدفع الحكومة ثلثي نفقات ٣٠٧٩ مدرسة من هذه المدارس وهي المدارس البلغارية الارثذوكسية

أما الثلث الباقي من نفقات تلك المدارس الوطنية الملية فتقوم به مجالس البلديات في الولاية ، وأما بقية المدارس التي للمسلمين وغيرهم من المذاهب الاخرى وعددها ١٤٠٢ مدرسة فعلى نفقة أصحابها ومؤسسيها

وميزانية المعارف العمومية في الحكومة البلغارية مقدرة بمبلغ ٩١٨٨٥٦٠ فرنكا (عبارة عن ٣٦٧٥٤٢ جنيها انكليزيا)

وبما ان عدد سكان هذه الامارة حسب احصاء سنة ١٨٩٣ يبلغ ٣٣٠٩٨١٦ نسمة ، فيكون مثل هذه الامة عنوان أمة تسير في طريق الحياة الحقيقية بعد ان عرفت كيف تحيا وتسعد

واذا ذكرنا تلقاء ما تقدم ان الامة المصرية يبلغ عددها عشرة ملايين الا ربما أي نحو ثلاثة أمثال عدد بلغاريا الا قليلا ، وان كل ما فيها من المدارس التجهيزية اثنتان ونصف بدل ١٠٠ وان كل ما تنفق الحكومة عليها نحو ١١٥ ألف جنيه بما في ذلك ما تتناوله نظارة المعارف من ديوان الاوقاف وغلة أرض موقوفة ، وان أكثر هذه الميزانية ضائع على ثمن أدوات وكتب غير نافعة تستورد من أوربا ، ومرتبات باهظة لاساتذة أكثرهم يجهل ما هو منوط

بتعليمه ، وأن عدد المدارس صائر فضلا عن ذلك من الكثرة الى القلة ؛ بينا كيف يكون تقهقر الامم ومصيرها في خمود حركتها الى الموت والفناء

(المؤيد)

***

محاولة قتل الملوك

(منذ خمسين عاما)

في شهر يونيو عام ١٨٤٨ حاول شقي قتل البرنس دي بروس في لندن وذلك قبل ان يتولى عرش الامبراطورية الالمانية

وفي سنة ١٨٤٩ حاول هاملتون قتل الملكة فيكتوريا ، وفي شهر مايو عام ١٨٥٠ ضرب رجل اسمه روبرت بات الملكة فيكتوريا بعصاه وهي خارجة من قصر الدوق دي كمبريدج

وفي ٢٢ مايو عام ١٨٥١ حاول فوضوي قتل فردريك غليوم في واتنبرو

وفي ٢ فبراير عام ١٨٥٢ طعن رجل اسمه مارتين مارتينز الملكة ايزابل وهي تصلي في كاتدرائية مدريد

وفي عام ١٨٥٢ حاول ضابط انكليزي قتل الملكة فيكتوريا وفي تلك السنة دبرت مكيدة لقتل الامبراطور نابليون الثالث وهو ذاهب الى مرسيليا

وفي ١٣ فبراير عام ١٨٥٣ طعن خياط نمساوي اسمه لا بريت الامبراطور فرنسوا جوزف بمدية وهو سائر في فينا

وفي تلك السنة حاول طلياني قتل الملك فيكتور عمانوئيل والد الملك أمبرتو وحاول فوضوي قتل الامبراطور نابليون الثالث تجاه الاوبرا

وفي ٢٧ مارس عام ... حاول رجل قتل الملك شارل الثالث في بارم

وفي شهر ابريل عام ١٨٥٥ أطلق ثوروي مسدسه على نابوليون الثالث وهو خارج للنزهة في شان اليزه

وفي ٨ سبتمبر عام ١٧٥٦ حاول فوضوي قتل نابوليون في بللامار

وفي ٢٨ مايو عام ١٨٥٦ قبض البوليس على رجل يتحفز لطعن الملكة ازابل

وفي ٨ دسمبر عام ١٨٥٧ طعن جندي الملك فرديناند ملك نابل بحربة بندقيته

وفي ٤ يونيو عام ١٨٥٨ حاول أورشيني قتل نابوليون

وفي شهر يوليو عام ١٨٦١ أطلق أحد طلبة العلم في باد بادين نارين على ملك بروسيا غليوم ولم يصبه

وفي عام ١٨٦٢ أطلق طالب عيارا ناريا على ملك اليونان فأخطأه

وفي ٢٤ دسمبر عام ١٨٦٣ حاول رجل قتل نابليون الثالث

وفي ٦ ابريل عام ١٨٦٦ حاول رجل اسمه كارا كوزوف قتل القيصر اسكندر في بطرسبرج ، وفي شهر يونيو من السنة ذاتها أطلق برزووسكي عياراً ناريا على القيصر في باريز فأخطأه

وفي سنة ١٨٦٨ قتل البرنس ميشال ولي عهد الصرب

وفي سنة ١٨٦٩ حاول شقي قتل الخديوي

وفي سنة ١٨٦٩ حاول شقي قتل نابوليون وهو خارج للنزهة في غابة بولونيا

وعام ١٨٦٩ حاول فوضوي قتل الملكة فيكتوريا

وفي عام ١٨٧١ كيد الشر للملك أميديه صاحب اسبانيا

وفي ١١ مايو عام ١٨٨٨ أراد المسمى هوديل قتل الامبراطور

غليوم الاول ، وفي ٢ يونيو من السنة ذاتها أطلق بيلنغ عيارين ناريين على الامبراطور غليوم فأصابه

وفي ٢٥ اكتوبر عام ١٨٧٨ أطلق مونكازي على ملك اسبانيا مسدسه

وفي ١٧ نوفمبر عام ١٨٧٨ استل باسانتي مديته وأغار على الملك همبرتو ليطعنه

وفي ١٤ ابريل عام ١٨٧٩ هجم سولوييف على اسكندر الثالث ليقتله

وفي اليوم ذاته أغار شاب على البرنس ميلان (الملك ميلان) ليقتله

وفي دسمبر عام ١٨٧٩ تآمر النهلستيون على نسف قطار القيصر

وفي ٣٠ دسمبر عام ١٨٧٩ حاول فرنسيسكو اوتيرو قتل ملك أسبانيا والملكة قرينته

وفي ١٧ فبراير عام ١٨٨٠ ألهب الديناميت في قصر القيصر في بطرسبورج

وفي ١٣ مارس من عام ١٨٨٠ طعن القيصر اسكندر الثاني فتوفي على أثر جراحه

وفي ٢ يوليو عام ١٨٨١ أطلق رجل اسمه غيتو عيارين ناريين على الجنرال غارفيلد رئيس جمهورية الولايات المتحدة فأصابه وتوفي الجنرال من جراحه

وفي شهر مارس عام ١٨٨٢ اطلق رودريك ميلراً ناريا على الملكة فيكتوريا فلم يصبها

وفي ٢٤ يونيو عام ١٨٩٤ قتل كازيريو المسيو سادي كارنو رئيس جمهورية فرنسا في ليون

وفي ابريل عام ١٨٩٧ هوجم الملك همبرتو

وفي ٨ أغسطس عام ١٨٩٧ قتل المسيو كانوفاس

وفي ١٠ سبتمبر الجاري عام ١٨٩٨ قتلت امبراطورة النمسا في جنفا فتكون هذه الامبراطورة هي الملكة الوحيدة التي فتكت بها يد الفوضوية لانها لم تكن تصدق بان شقيا كقاتلها ينظر اليها بسوء وهي أم كل فقير وأخت كل فاعل وعامل (الاخبار)

﴿ حرية الاديان في الدولة العلية ﴾

جاء في جريدة محمدان الهندية ما ترجمته :

حصلت مشاحنة في سالونيك بأراضي الدولة العليـة بين جماعة من اليهود الاسبانيين وبين جماعة من البرغال فأتى الاتراك في الحال الى محل الواقعة وانتصروا لليهود حيث كان الحق في جانبهم وهذه المشاغبة كانت ناشئة من احقاد سيئة بين الفريقين من زمن مديد • وقد نشرت هذه الحادثة على أثر ذلك في أعمدة جريدة « جويش كرونكل » وليس من الضروري ان نأتي على نصها ، لكنه يهمنا ان نقتطف منها ماله علاقة بالدولة العلية من حيث الاديان وهو : « لا يوجد بلد واحد في أوربا على وجه الاجمال يتمتع فيه اليهود بنعمة الحرية الدينية التامة كما يتمتعون بها في أرض الدولة العلية، ولا يمكن أن يجدوا من الارتياح وحسن المعاشرة كما

يجدون في ظل الحكومة العثمانية، فحكومة السلطان – والحق يقال – ساهرة على راحتهم ، ولديهم الادلة القاطعة على ذلك خصوصاً أيام الحرب العثمانية اليونانية الاخيرة » اه نقلا عن جويش كرونكل «الرائد الاسرائيلي» الصادر في ١٠ يونيو سنة ١٨٩٨

﴿ انكلترا وفرنسا في السودان ﴾

أرسل سعادة السردار بعد فتح أم درمان والاستيلاء على الخرطوم سرية بحرية مؤلفة من المدفعيات النيلية التي لديه وأمر عليها هنتر باشا وسيرها في النيل الازرق لاحتلال القضارف وقتال أحمد الفضيل . وسار السردار نفسه بسرية مؤلفة من فرقة (أورطة) سودانية ومئة جندي انكليزي والمدفعية التي خصصها لذلك لاجل الاستيلاء على فشوده واخراج مرشان الفرنسوي وسريته منها . أما السرية الاولى فقد استولت على القضارف، وهي بلاد خصبة بالقرب من بلاد الحبشة، وكان أشيع ان الاحباش احتلوها مدعين انها لهم ، ولذلك كان السردار أصدر أمره لبرسونز باشا محافظ سواكن بأن يرسل حامية كسلا لمساعدة السرية ، والقضارف في جنوبي كسلا ، وقد حصل بين المصريين والدراويش معركة قتل فيها من الاولين احد عشر جندياً، وجرح اثنان وثمانون وقتل من الآخرين خمسمائة درويش

وأما السردار وسريته فقد وصلوا الى فشوده ، وطلب من مرشان الفرنسوي أن يأتي القطر المصري قبل أو أم درمان ، فأجابه بانه احتل فشوده باسم الحكومة الفرنساوية فلا يغادرها الا بامر منها . فانشأ

السردار في الحال موقعا عسكريا في جانب فشوده ورفع عليه الرايتين – الانكليزية والمصرية – وزجع ادراجه، وظهر للناس أن إرجاف الجرائد الانكليزية وزعمها بأن السردار يخرج مرشان من فشوده طوعا أو كرها من تغريرها وايهامها المعهود مثله من الانكليز، ثم انهم يفعلون ذلك مع المستضعفين

يخفق الآن في جو فشوده ثلاث رايات : راية شرعية وهي المصرية العثمانية ، واخريان طامعتان وهما الفرنساوية والانكليزية ، واجتماعهما هو الذي فتح باب المسألة السودانية بل والمصرية كما صرحت بمقتضى ذلك الجرائد الفرنساوية من قبل ، فان تم الفلج لبريطانيا وألقيت اليها مقاليد مصر والسودان وأقرت على السيادة على وادي النيل كله، تتحقق أماني مستر رود وتعلو انكلترا على أوربا كلها علوا كبيرا ، يصح أن يقال فيه ، لبريطانيا العظمى الحياة السعيدة والعز والرفعة ، ولاوربا الصغرى الغباوة والبلادة، ولفرنسا الحقيرة الجهل والحمق والطيش والتعصب الاعمى ، ولتركيا المظلومة السقوط من عداد الدول بل ماهو أعظم والمياذ بالله تعالى

الاتحاد (*)

ملخص خطاب كان القاه منشئ هذه الجريدة (المجلة) في منتدى حافل بعلماء طرابلس الشام وحكامها ووجوهها أيام كان فيها لمناسبة اقتضت ذلك

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

الاتحاد والالتئام حياة الهيئة الاجتماعية بها قوامها، ومحور لسعادتها

(*) فاتحة العدد التاسع والعشرين الصادر في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٦

الصورية والمعنوية عليه مدارها، الاتحاد والالتئام في الامة كالفصل المقوم في الهيئة النوعية فمن شذ عن الاتحاد من افراد الامة يعد خارجا منها وينبغي أن يحرم من حقوقها، كما ان فاقد القوة الناطقة من آحاد النوع الانساني يعد منسلا من الانسانية لاحقا بالعجماوات. الاتحاد والالتئام في المجتمع الانساني كالجذب والانجذاب في العالم العنصري من حيث التكوين والانتظام، أما الاول فكما ان الله تعالى فتق رتق الهباء الاول بناموس الجاذبية العامة، وسوى منه الاجرام السماوية والكرة الارضية ـ ولولا ذلك لكانت هباء منبثا ـ كذلك يؤلف الله تعالى الامم والدول بناموس الاتحاد والالتئام العام، ولولا ذلك لسعي كل شخص في محيط نفسه، فلا يكون الاهنيهة حتى تنقرض الامة ويمحي اسمها من لوح الوجود، وبمقتضي هذا الناموس يفهم سر «من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» ويجدر أن يسمي العامل أي عمل ينفع الناس خادم الانسانية، والجاني على أي فرد من أفرادهم جانيا على الآدمية، وبهذا الاعتبار يتبين ان العالم والحاكم والزارع والصانع والتاجر والناظر كلهم أكفاء، وفي درجة واحدة، وان كانوا يتفاضلون باعتبار آخر

وأما الثاني فكما انه بمقتضى الجاذبية ثبت كل كوكب في مركزه، وحفظت النسبة بينه وبين سائر الكواكب بتقدير العليم الحكيم، كذلك بمقتضى الاتحاد والالتئام يقوم كل فرد من أفراد الامة بالعمل الذي يحسنه، ويحفظ النسبة بينه وبين سائر أفراد الامة من الحقوق والواجبات التي تأمر بها الشريعة العادلة «صنع الله الذي أتقن كل شيء» فلو نزع

روح الاتحاد والالتئام من نفوس الناس لرزؤا باختصام واصطدام كما تتصادم اجرام الكواكب، لو فقدها الارتباط الالهي المعبر عنه بالجاذبية لظلوا في مباغضة ومناصبة، ومناهضة ومواثبة، حتى يأذن الله تعالى بانقراضهم وما ذلك من الظالمين ببعيد

فضيلة الاتحاد والالتئام، والوفاق والوئام، هي أقدس السجايا، وأنفس المزايا، رغيبة تنبعث عن المحبة والالفة، وتبعث على القيام بالمصالح العامة، مع الاتصاف بالاخلاق الفاضلة، وتلك غاية الغايات المشار اليها بحديث «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق».

لاجرم ان صدق المحبة والالفة للناس الكافل لحصول الغرض المطلوب، لا يتأتى الا بعد شعور المرء بأن مجموع الامة كالشخص الواحد، وان كل صنف من أصناف العاملين فيها كعضو رئيسي في البنية الشخصية، وان تفاوت الاصناف في المظاهر والرتب في النظر العام، لا يخرجهم عن كونهم اكفاء متساوين في المزية تجاه الهيئة الاجتماعية، كما ان تفاوت الاعضاء الوضعي في تركيب البنية لا يوجب تفضيل العينين على القدمين بالنسبة للمصالح الشخصية، لعلو تينك وتسفل هاتين، لان الكمال الاجتماعي والشخصي وابراز مزاياهما متوقف على كلا الامرين على السواء . ولا التفات لاهل البطالة المتكبرين بالاوهام حيث يحتقرون الصناع والزراع فانما مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير، والنسبة بينهما كالنسبة بين الايدي والارجل، وبين زوائد الاظافر والشعور لو كانوا يعقلون

لست أعني بالشعور بما تقدم ان يمر في التصور أو يقع في الذهن، فان ذلك لا يغني شيئا، وانما أعني أن يكون أمرا وجدانيا، وملكة نفسانية

راسخة في النفس ، تزعج المرء على العمل ، وتنكب به على مزالق الزلل ، ولا وسيلة لهذا الا التربية العملية ، والتهذيب على أصول الحكمة الدينية العقلية بنشر المعارف الصحيحة بين جميع طبقات الامة ، وتلقينها للاحداث من الذكران والاناث ، ونقشها في ألواح نفوسهم من أول النشأة لتثبت فيها ملكات الفضائل ، وتقف بحب الذات التي هو علة العلل للشقاء موقف الاعتدال ، فيسلكون في أعمالهم منهج العدل الذي هو مركز دائرة الكمال ، ومدار فلك الفضيلة ، ومبدأ السعادة الحقيقية بشهادة « اعدلوا هو أقرب للتقوى - واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

ولقائل أن يقول ان العلم غير العمل كما أشرت ، فتلقين الاحداث المعارف ليس كافلا تهذيبهم ، فلا بد من مراعاة شيء آخر يساعد المعارف على التهذيب ، ويعد التربية العملية وينميها ، حتى تؤدي الى الغاية المقصودة منها ، فانا نرى كثيرا من الناس يعنون بتربية أولادهم ولا تنجح فيهم التربية ، كما نرى الكثير من حملة العلم بعداء عن التهذيب ، فما هو الامر المساعد للتربية والتعليم على هداية الصراط المستقيم ؟؟ والجواب : ذلك هو « التشبه والاقتداء » والكلام فيه طويل الذيل متدفق السيل . واني أقتصر منه على كلمة تقتضيها الحال ، وتعد الزيادة عليها من الارغال [1] ،

وهي ان الانسان مولع بالاقتداء بالكبراء والعظماء ومحاكاتهم ، فالحالة التي يكون عليها الامراء الجالسون على منصات الاحكام ، والشيوخ المتصدرون لارشاد الانام ، لها أثر عظيم في نفوس السواد ، فاذا كان هؤلاء الرؤساء متمسكين بحبل الوفاق والوئام ، أثرت حالتهم في المرؤسين

(١) الارغال : وضع الشيء في غير موضعه

أثر محموداً، وتضاعف نفوذهم الحسي والروحي بالحق تضاعفاً مبيناً، وفي ذلك من التقدم الديني والمدني ماينهض بالاوطان، ولا يرتاب فيه الاالعميان —

« بقية الخطاب كلام خاص لافائدة في نشره »

﴿ التشبه والاقتداء ﴾

يعلم الناظرون فيما نكتب ان التشبه بالاوربيين في ازيائهم وعادتهم قد قد جرى في الشرق جريان الدم في العروق، فأبناء الدنيا يرون في ذلك شرفا ورفعة، والمتصرون الذين يرونه ذنبا وبدعة، وغلوا في ذلك حتى ذموا تقليد المخالف في كل شيء وان كان نافعا مفيداً، ولكن لما كان الامراء والكبراء يتفاخرون ويتبارون في التشبه بالافرنج وهم موضع اجلال الدهماء وتعظيمهم — صار سائر الناس يقلدهم في ذلك، لان ناموس التقليد مطرد باحتذاء لهازم الناس وأدنائهم مثال عليتهم وكبرائهم، وسرت العدوى في ذلك لبيوت العلماء ورجال الدين، وقد ذكرنا في كتابنا (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) جملة مسهبة في التقليد والتشبه، بينا حكمه من الجهة الدينية والسياسية، وانناذكر هنا بذة منها تتعلق بأصول سياستنا المناسبة لما مر وهي:

اذا نظرنا الى التقليد والتشبه من طرف السياسة تجلى لنا أن الصواب امتناع أمتنا عن التشبه أو التقليد لغيرها من الامم في الازياء والعاد وكل مالا فائدة فيه لاسيما المناصبين والمعادين لنا والا تداب لتقليدهم في كل مايعود علينا بالمنفعة وعلى الخصوص المنافع التي تتعلق بالقوة على التغلب، والدفاع عن الحوزة، وبتوسيع دائرة الثروة، بأن نجتهد بمجاراتهم ومباراتهم بل بمنافستهم ومسابقتهم الى أصول المنافع ومقدماتها وأسبابها، لا اننا نقتصر

على اجتلاب نتائج صنائعهم وأعمالهم، كالآلات الحربية والبوارج البحرية، اذ تقليدهم في النتائج باتخاذها منهم واحتذائهم فيها، لايخرجنا عن كوننا عيالا عليهم، ولا يرجى ان نداينهم و نقاربهم فضلا عن أن نساهمهم ونحاذيهم، فضلا من أن نساميهم فنسموهم و نبذهم (نغلبهم) لاسيما ونحن الآن كما ترى هذاذيك بذاذيك ولا كفران لله

وأما أخذ العلوم والفنون وأصول الصنائع عنهم فلا محذور وراءه، ولا محظور امامه، ومن هي في أيديهم الآن من أهل المغرب أخذوها منا فهذبوا ونقحوا واستنبطوا، وكنا أخذناها من غيرنا فهذبناها ونقحنا. ثم لم نصل الى مداهم وغايتهم التي انتهوا اليها الآن في استثمارها واستدرار ضروع انعامها، ولا نيأس من روح الله في السبق عند الكرة الاخرى « وتلك الايام نداولها بين الناس » ولا التفات لسفهاء الاحلام، المستغرقين في أودية الاحلام، حيث يغمزون الناظرين في تلك الفنون ويلمزونهم، ولا شبهة لهم الا ان من ننقل عنهم ليسوا من المسلمين والخطب سهل، فقد روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم انه قال (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه العسكري عن أنس مرفوعا بلفظ (العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها) وفي رواية عند القضاعي انه قال آخر الحديث (حيثما وجد المؤمن ضالة فليجعلها اليه) وروي عن ابن عمر (رض) موقوفا عليه انه قال: خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت

وفي نهج البلاغة ان أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه قال: خذ الحكمة انى كانت، فهي الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج من صدره

حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن) وقال أيضا (الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق) واستدل بعض أهل العلم على مشروعية طلب العلم من أي طريق كان ، بحديث (اطلبوا العلم ولو بالصين) في زمن لم يكن يسكن الصين فيه غير أصناف المجوس ، والحديث اخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا . ولا غرو فان شرعا أساسه الحكمة ، ودعامته الفضيلة ، وغايته سعادة الدارين والظفر بالحسنيين — يأمر بسلوك الجادة ، وعدم الاستنكاف عن الاستفادة ، وهذه كتب اعلام الملة فى تفسير الكتاب الكريم وشرح الحديث الشريف والتصوف والادب والتاريخ محشوة بكلام حكماء اليونان الذين نقلت علومهم الى الامة ، وحكماء الفرس الذين خالط أمتهم العرب ، وبحكايات أحوال عباد بني اسرائيل ورهبان النصارى ما استحسن منها (بل وما لم يستحسن لكنه لا حجة في هذا)

ولقد كان الشارع صلى الله عليه وسلم يعجبه كلام بعض المشركين ويعجب به ، وكثيرا ما كان يستنشد شعر أمية بن أبي الصلت ويستزيد حتى أنشد مرة مائة قافية . أخرج مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال (هل معك من شعر أمية شيء ؟) قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتاً فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت فقال (ان كاد ليسلم) . ولو أردنا الاطالة لاوردنا ما لا يحصى من النصوص على لزوم الاخذ بهذه الفنون التي هي مبدأ الصنائع . ناهيك ان الركن الركين للمحافظة

على الدين ونشر تعاليمه الصحيحة بين المخالفين هو الجهاد وهو يتوقف في هذا العصر على الفنون المذكورة وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب . ولكن الجهل الذي عم في هذا الزمان وطم ، والاغراق في التعصب على المخالف من غير روية ولا فهم ، وعدم معرفة مقاصد الشرع ، وانتفاء الوقوف على طرائق الضر والنفع — يحمل كل ذلك الغوغاء من أبناء هاته الايام ، على رشق من ينسب لحكماء الفرنجة علما أو فهما بسهام الملام ، وربما طعنوا في دينه وهم ليسوا في ذلك على دين ، ولا تنهض لهم حجج قيمة ولا يأتون بسلطان مبين « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها !! فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

وحاصل القول ان جملة ما يتأتى به التقليد والاحتذاء ينحصر في ثلاثة امور (الاول) الفنون والصنائع المفيدة وهذا ربما يصل طلب التقليد فيه الى الوجوب الشرعي وذلك كالفنون التي تتعلق بالقوى الحربية والصحة الجسدية وسائر مالا يستغني عنه العمران ولا وصول اليها أولا الا بالتقليد والاقتباس . (الثاني) مالا نفع فيه ولا ضرر منه والاولى تركه وان كان مباحاً وان لم يكن بد من فعله فينبغي أن لا يلاحظ التشبه بهم ولا يتوخى احتذاؤهم فيه . (الثالث) مافيه ضرر لنا والحكم الشرعي في اتيان المضرات المحققة الحرمة ، والمظنونة الكراهة . وهناك شبهات يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وربما لا يظهر ضررها الا باستعمال السواد الاعظم لها ، لا الآحاد والعشرات مثلا ، أعني بهذا التهافت على استعمال أدوات الزينة والترف الغالية الاثمان وهم في كل آونة يخترعون لنا زياء

ويبتدعون لنا طرزاً جديداً، يبطلون به ما سبقه ونحن نتلو تلوهم ونحتذي شاكلتهم في نضد الصفار ١ والدياسق ٢ والقواثير ٣ والجفان ٤ والزلج ٥ والقمون ٦ والصحاف ٧ والسكرجات ٨ والاباريق والسموف ٩ والورسيات ١٠ والاكواب ١١ والسوملات ١٢ والبهار ١٣ والكؤوس والمثابن ١٤ والمكوم ١٥ والعائد ١٦ والخناجيد ١٧ والسرر المرملة ١٨ والمنصات ١٩ والارائك ٢٠ والنمارق ٢١ والزرابي ٢٢ والكراسي والشجاب ٢٣ والقدن ٢٤ والمصابيح والزهريات وسائر الآنية والماعون النفيس وفي التهاويل ٢٥ والاكاليل ٢٦ والمناجد ٢٧ والمناطق ٢٨ والكبائس ٢٩ والاسورة والخواتم وجميع أصناف الحلي البديع وفي القنازع ٣٠ والعمارات ٣١ والقوانس ٣٢ والكلل ٣٣ والظلل ٣٤ والسجوف ٣٥ والشفوف ٣٦ والرياط ٣٧ والخيل ٣٨ والقطائف ٣٩ والاقبية ٤٠ والحصير ٤١ والنهبة ٤٢ وأبي قلموز ٤٣ والخفاف ٤٤ والتساخين ٤٥ والجوارب ٤٦ والكوث ٤٧ والقفاز ٤٨ وغير ذلك من أنواع اللبوس والنسيج . يتخذ ذلك أولا المتطرسون المتطرزون في الملبس والمأكل والمشرب، من أهل النعم والثراء الزينة والتفاخر والتكاثر والخيلاء، فتسم بدائرة السرف والترف ويسري سمه في روح الامة فيهب الموزون للتقليد وتجمح نفوسهم للانفاق، «التم بعد البؤس» وتعدم الصبر على حالة الاملاق، لا سيما أرباب المظاهر الذين منحهم صنفهم نظر الاعتبار، وحالتهم في الاشتهار، لا تساعدهم عليها حالتهم في الايثار، فتسقم العواطف الشريفة، وتفسد السرائر والضمائر الصادقة، وتختل الافكار الصحيحة، وتتلب على أفراد الامة الاثرة، ويستحوذ عليهم الضعف ويكون مآلهم شر مآل

من نواميس الكون وسنة الله تعالى في الخلق ان الاسترسال في الترف والتوغل في الرفه والانغماس في التنعم مبدأ لانحلال الامم ، وعلة لسقوطها في هاوية العدم ، اذا لم يقترن ذلك بعلم وتربية يكونان علاجا لابنائها، يقيهم أمراض تلك الصفات وأدواءها ، ولقد كان سلف الامة الذين تنجلي بهديهم كل غمة متيقظين لعلل الترف وأدوائه ، محذرين من فتنته وبلائه

هل أتاك حديث عمر بن الخطاب اذ كتب الى عتبة بن فرقد الذي أمره على جيش العجم « ياعتبة بن فرقد انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك (انظر كيف أمره بمساواة الجيش وهو أميره) واياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير قال : الا هكذا ورفع لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصبعيه ، رواه مسلم قال الامام النووي وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفرايني باسناد صحيح قال «أما بعد فاتزروا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل واياكم والتنعم وزي الاعاجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وابرزوا وارموا الاغراض » قال النووي ومقصود عمر رضي الله تعالى عنه حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظتهم على طريقة العرب في ذلك اهـ

قلت يعني انه خشي ان يضعفوا عن الجهاد اذا هم أخلدوا الى التنعم الذي يستدعي حب الراحة لان كل واحدة من هذه الاشياء التي نهاهم

عنها محرمة أو مكروهة لكونها من زي العجم، كيف وقد كان النبي وأصحابه يلبسون الطيالسة الكسروية وغيرها من لبوس العجم حيث كانوا في مأمن من الاستغراق في الترف الذي خشيه عمر على جيشه بسبب مخالطة الاعاجم والاستئناس بأزيائهم وأحوالهم الذي ينتجه تكرار النظر . ومما نهاهم عنه الخف والسراويل وكانوا يلبسونهما في الحجاز بلا نكير الخ

٭٭٭

﴿ تفسير الكلمات الغريبة ﴾

(١) النضد محركة : يطلق على خيار الشيء، ومن معاني المقار بالفتح متاع البيت، ونضد المقار ما يستعمل في مثل أيام الاعياد ٢ الدياسق: الاخونة من الفضة واحدها ديسق بفتح فسكون ٣ الفواثير الاخونة من رخام أو ذهب أو فضة واحدها فاثور ويقال للخوان في العرف اليوم طاولة وهو مأخوذ من الافرنجي ٤ جفان ج جفنة وهي أكبر القصاع ٥ الرح بضمتين الصحاف الكبار ٦ القمون الجفان التي يعجن فيها مفردها قمن بالفتح ٧ قالوا أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة «بالتصغير» تشبع الرجل الواحد وقالوا الصحفة قصعة مسلطحة أي متسعة عريضة تشبع الخمسة ٨ السكرجات آنية صغيرة توضع فيها الكوامخ المرمئة على الطعام وفي حديث الترمذي ما أكل (صلعم) في سكرجة وهي بضم السين والكاف والراء المشددة ٩ السعوف الاقداح الكبار وقيل أمتعة البيت وخصها بعضهم بالحقرات كالدلو والتور ١٠ الورسيات جمع ورسي ضرب من أجود أقداح النضار ١١ الاكواب ج كوب وهو قدح لا عروة له وتسميه العامة اليوم كباية ١٢ السوملات

جمع سومة وهي الفنجانة الصغيرة تشرب اليوم فيها قهوة البن ١٣ البهار بالضم اناء كالابريق ولعله يصح اطلاقه على مانسميه اليوم ركوة ١٤ المثابن ج مثبنة بالفتح تضع المرأة فيه مرآتها واداتها ١٥ العكوم ج عكم بالكسر وهو نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها ١٦ العتائد ج عتيدة حقة يكون فيها طيب الرجل والعروس ١٧ الخناجيد ج خنجود بالضم وهو كالخنجرة والخنجود السفط الصغير وقارورة طويلة للذريرة ١٨ السرر المرملة هي المزينة بالجواهر أو غيرها ١٩ المنصات بكسر الميم ج منصة كرسي ترفع عليه العروس لترى من بين النساء من نص الشيء اذا رفعه وأظهره فهي اسم آلة والمنصة بالفتح الحجلة وهي الموضع المزين بالفرش الموطأة والثياب المرفعة للعروس جمع حجل بالتحريك وحجال بالكسر ، ونص العروس أقعدها على المنصة فانتصت ٢٠ الاريكة سرير في حجلة أو مطلقا أو كل ما يتكأ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو سرير منجد مزين في قبة أو بيت فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة، وأرّك المرأة تأريكا سترها بها ٢١ النمرقة والنمرق بالضم ويثلثان الوسادة الصغيرة أو الميثرة أو الطنفسة ٢٢ الزرابي ج زربي بالضم والكسر وهو البساط أو كل مافرش واتكيء عليه ٢٣ الشجاب ككتاب اسم لخشبات منصوبة توضع وتنشر عليها الثياب ج شجب ككتب ومثله المشجب قال في التاج وهو عيدان تضم رؤسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الاسقية لتبريد الماء ويصدق على مايسمونه اليوم في مصر شماعه

٢٤ الغدان ككتاب أيضا القضيب الذي تعلق عليه الثياب ج غدن ٢٥ ج تجميل وهو زينة التصاوير والنقوش والوشي والثياب والحلي والسلاح يقال

هولت المرأة تهويلا اذا تزينت بحليها ولباسها والتهاويل الالوان المختلفة ولعله الاصل ٢٦ ج اكليل وهو التاج وشبه عصابة ترصع بالجواهر ٢٧ ج منجد كمنبر حلي مكلل بالفصوص وهو قلادة من لؤلؤ أوذهب أو قرنفل في عرض شبر يأخذ من العنق الى أسفل الثديين يقع على موضع النجاد ٢٧ ج منطقة كمكنسة وهو كل ما تشد به وسطك كالنطاق والمنطق (ككتاب ومنبر) وانتطق وتنطق شد وسطه به ٢٩ الكبائس ج كبيس وهو حلي مجوف محشو طيبا ٣٠ القنازع ج قنزعة وهي كما في القاموس التي تتخذها المرأة على رأسها ٣١ العمارة بالفتح كل شيء يضعه الرئيس على رأسه من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو غيره وليس هذا مما تحتذي فيه رجالنا الافرنج أما النساء فقد احتذين مثال الاوربيات في كل شيء بحسب استطاعتهن ٣٢ الغشاوة (مثلثة) والغاشية الغطاء بانواعه منها اللآنية ومنها للثياب وهي الآن كثيرة جدا ٣٣ الكلل ج كلة بالكسر وهي الستر الرقيق يخاط كالبيت يتقى به البعوض وتسميها العامة ناموسية ويسمون البعوض أو نوعا منه ناموسا ٣٤ الظلل ج ظلة بالضم وهي كالمظلة مايستظل به من الشمس ويصدق على ما تسميه العامة شمسية ٣٥ ج سجف بفتح أوله وكسره وسجاف (ككتاب) وهو اسم لسترين مقرونين بينهما فرجة وهو المسمى عند العامة برداية ويقال سجف الستر اذا أرسله ٣٦ الشفوف الثياب الرقيقة واحدها شف بالفتح ٣٧ الرياط والريط ج ريطة (بكسر الاول وفتح الاخرين) وهي كل ملاءة غير ذات لفقين (أي قطعتين متضامتين) كلها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق ٣٨ الخميل الثياب الخملة يقال أخمل القطيفة أي جعلها ذات خمل (بفتح

فسكون) وهو وبر وزغب يكون في وجه النسيج كالهدب الدقيق يقال للثوب منه خملة وخميلة ٣٩ جمع قطيفة وهي دثار مخمل وفي التاج عن بعضهم هي كساء مربع له خمل ووبر ٤٠ جمع قباء (كسحاب) ضرب من الثياب عربي أو معرب قال في محيط المحيط هو الذي تسميه العامة بالقنباز . وتقباه لبسه وهو ليس مما نقلد فيه غيرنا الا بتركه ٤١ الحصير ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب مأخذه لحسن صنعته ٤٢ النهنه الثوب الرقيق النسج وأنواعه كثيرة لاسيما في هذه الايام ٤٣ أبو قلمون (بالتحريك) ثوب رومي من ابريسم يتلون ألوانا وتسميه العامة عندنا شاره ٤٤ جمع خف وهو معروف ٤٥ التساخين المراجل والخفاف وشيء كالطيالس بلا واحد أو أحدها تسخن «كجعفر» وتسخان ٤٦ الجوارب والجواربة ج جورب اسم لنسيج يلبس في الارجل ويسميه المصريون شرابات والسوريون قلاشين ٤٧ الكوث بالفتح نوع من الخفاف الصغار ويقال له فقش بالفتح وأصل هذا فارسي قيل والاول أيضا وهو يصدق على ما تسميه عامتنا سرموجه ٤٨ القفاز شيء يلبس في الاكف ويزر على الساعدين وربما لا يزر وهما قفازان . وبعض ما ذكر له أسماء عند العامة مأخوذ من اللغات الاجنبية

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

(العادات المصرية)

ثلاثة تشقى بها الدار   العرس والمأتم والزار

مضى الكلام على العرس والمأتم وهما آفتان من آفات الجمعية المصرية سالبتان للاموال جالبتان للاحزان ، وبقي الكلام على شر الثلاثة وهو الزار . ولا تجد في مفردات اللغة كلمة تفي ببيان ضرره وشره بل ولا جملة تكفي لايضاح ما يجمع من القبائح والفضائح، وكفى به عارا أن تكون المخدرة مطية من مطايا الجن . ولو اجتمع جماعة من المجانين في مكان لما بلغت ضوضاؤهم معشار مايحصل في مجلس الزار من الصياح والجلبة، ولو اجتمع في المستعطف المستميح ماتظهره السيدات الاميرات المترفعات المتكبرات من الخضوع والخشوع والذلة والمسكنة أمام شيخة الزار أو كودية الزار لـكفى لانعطاف أشد القلوب قسوة ، ولو حسب ما ينفق على الزار من سائر الطبقات وما يصاغ له من الحلي من الذهب والفضة في مدة قصيرة لبلغ مبلغاً يمكن أن تشاد به مدرسة للبنات من أعظم المدارس يخرجن منها متعلمات مطهرات من أدران هذه المفسدة الشيطانية ، ولو تنبهت المشيخة الازهرية الى الاعلان بتحريم هذا الزار وتفسيق من يعين عليه وتبكيت من يرضى به لأهله لكتب لها به عمل صالح ، ولكن بعض علمائنا الاعلام وجها بذتنا العظام يرون أن وظيفتهم العلمية تروقف على الاعتراض والتنديد على من يدخل المسجد برجله اليسرى مثلاوما

لهم ولما يكدر خواطر الكبراء ونساء الامراء ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ولو امتنع الرجال عن الاتفاق على الزار لكان أجدر وأحرى بمن يطيع الشرع والعقل ويخالف الشيطان والمرأة ولكن المصيبة كل المصيبة أن ينتهي أمر المرأة مع الرجل بعد تسخيره الى تخبره ، فقد سمعنا عن كثير ممن يجلهم الناس ويعظمونهم انهم قد طأطأوا رؤوسهم الى الكودية تبخرهم وتناجي عفاريتهم .

والله لولا أن يعاقب صاحب ... ويقول بعض القارئين تعمدا
لذكرت أسماء عظيما قدرها ... تخذت لها ورد الضلالة موردا

واحكم ما جرى على لسان أحمد بن الحسين قوله

ولم أر في عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام

ولو وقفت في مجلس الزار ورأيت ما يجري فيه من الضلالات والمكفرات بتزيين القرابين والركوب عليها والطواف بها وشرب الدماء وتلطيخ الوجوه والثياب بها وتبي أحشاء الذبيحة لرأيت نفسك كأنك واقف في معبد من معابد اليونان لعبادة الاصنام والاوثان

أما ما يجري في الزار فانا نذكره ببعض التفصيل لان كثيرا من الناس يسمعون به اجمالا ولا يعرفونه تفصيلا واليك البيان

ان السبب الصحيح في انتشار الزار هو التقليد لا غيره فترى المرأة تدعي المرض ومن تمارض يمرض الطبيب فيه فاذا عجز الطبيب طلبت الزار واقنعت زوجها بأن فلانة كانت مريضة بمثل مرضها ولم تبرأ الا به ، وكأنها تنشد

ألا يا طبيب الجن هل لك حيلة ... فان طبيب الانس أعياه دائيا

ثم تستحضر شيخة الزار وهذه تطلب منها إجراء العقد على اصطلاحهن، والعقد عبارة عن ربع ريال يوضع في آناء ويصب عليه ماء الورد ويوضع هذا الاناء على كرسي محاطا بأطباق فيها من أنواع الجوز واللوز والبندق واللبن الحامض، ثم تغتسل الممسوسة وتلبس ثيابا بيضاء وتخضب يديها ورجليها وتضع هذا الكرسي بما عليه عند رأسها تلك الليلة، وفي الصباح تحضر الشيخة فتثقب ربع الريال ثم تضع فيه خيطا وتعقده على عضدها، ثم تصنع رقاقا بالسمن والعسل وتطعمه الممسوسة وتكلفها بأن تجهز لنفسها في مسافة ما بين ليلة العقد وليلة الزار حليا معروفة لهم عند الصائغ، وهي عبارة عن خلاخل ودمالج ومعاصم ومعاضد وخواتم وأقراط مرصعة باللؤلؤ والمرجان، ومناطق وقلائد وخناجر وسيف ومصقلة وسوط وصولجان، وخوذة وسكاكين وغيرها، وجميعها اما أن تكون ذهبا خالصا أو فضة صافية، وتكلفها أيضا باحضار كثير من ملابس الرجال والنساء المختلفة من أردية وملاآت وأوشحة وأخمرة وكلها من الحرير الملون المزركش بالذهب والفضة، فان لكل عفريت وعفريتة لباسا خاصا وقد تكون الممسوسة ذات أخدان كثيرة يترادفونها، فاذا جاءت ليلة الزار دعت صاحبته صواحبها ونصب الكرسي ووضعت عليه الحلي وقامت الشيخة عليها مع توابعها وفي أيديهن الدفوف يضربن عليها، ثم يجزن الحلي وبعد ذلك يفتتحن مجلس الزار بكلام مقفى ملحن تدور فيه أسماء العفاريت وكُناهم، فاذا بدأن بالنقر والالحان وذكرن اسماء من هذه الاسماء قامت الممسوسة من صاحب هذا الاسم أو صاحبته وعملت ما يعمله، فان كان العفريت هو البدوي وضعت اللثام، وأخذت الحسام، ولعبت به لعب

الريح بفضل منطقتها ، وسط حديقتها ، وصالت كما تصول الابطال ، وقالت للاتراب نزال نزال ، وان كان العفريت هو المغربي احتدت وغضبت ، وحسرت عن جبهتها وقطبت ، وأبدلت الجيم بالزاي ، وقالت لفتاتها يامولاي ، وأسرعت في الكلام ، وابتدرت بالخصام

وان كان العفريت هو أوربي لبست الطربوش على حرف ، وغمزت بالحاجب والطرف ، ثم اختالت وتمايلت ، واستمالت وغازلت

وان كان العفريت هو الصعيدي علقت في الهراوة جراب الزاد ، وأكثرت من قولة عاد .

وان كانت العفريتة رينه كشفت عن ساقيها ، وشمرت عن ذراعيها ، وأخذت المصقله وأومأت الى العمل بها فلا تزال كأنها تنشر ثيابا وتطوي ، وتصقل وتكوي

وان كانت العفريتة سفينة لعبت برأسها في طست من الماء ، لعب السفينة في الأماء .

وان كان العفريت طفلا أو طفلة تكلمت بألفاظ الاطفال ، وحذفت من كلامها الحروف الثقال ، فكمل جمالها بهذا النقص ، كما كمل حسنها بذلك الرقص

وهكذا كل واحدة في دورها تلبس لبس عفريتها وتمثل عمله حتى تأثر صاحبة الزار عند ذكر اسم عفريت من هذه الاسماء فتقوم وتعمل عمل صاحبه فيعلم حينئذ أنه العفريت الذي مسها

ولا يزلن في رقصهن وتمثيلهن حتى تضعف القوى وتكل الاعصاب فيترامين مغشيا عليهن ولا يفقن حتى تأخذ الشيخة في فمها شيئا من ماء

الورد ثم تمجه في وجوههن ، فاذا افقن عدن الى ما كن عليه من دق الدفوف ودعاء العفاريت حتى يقلقن الجيران وكلامهم جار بالشكوى اعترضته زوجته خوفا عليه أن يمسه عفريت وقالت له «اياك والاعتراض» حتى اذا أشرقت الغزالة برز الكبش يتهادى في الحلي والحلل ، بين الخدم والخول ، بعد غسله وتطهيره ، وتمويذه وتبخيره ، وقد ركبته صاحبة الزار وأحاط بها ضاربات الدفوف فتطوف بهذا الزفاف سبعا حول ذلك الكرسي الذي بات وعليه النقل واللبن والشموع متقدة بين يديها فاذا انتهت من الطواف اخرجنه الى الجزار فذبحه وتلقين الدم في اناء فتدهن الممسوسة به قلبها وتلطخ وجهها ويديها وثيابها وتشرب منه ثم يتناوب الحاضرات ذلك فيفعلن فعلها وبعد ذلك يستحضر اناء كبير من المزر (البوزه) ويشربن منه ويأكلن احشاء الكبش بعد شيها ، ثم تدق الدفوف ويحرق البخور ويخلن في المكان راقصات صائحات بقولهن «ياشايل الدم ياشارب البوزه يارينه يا بتاعة الزار ، يارينه حلقك مرجان ، سفينة في البحر عوامه ، تقلع وتلبس وهدومها غرقانه» ولا يزال الحال على هذا المنوال الى أن ينضج الشواء فتضع الكودية على كل قرص من الفطير قطعة من الشواء وتناول كل واحدة نصيبها

وهذا الترتيب بعينه من تطهير الذبيحة وتبخيرها وتحليتها وزفها والطواف بها وذبحها والتلطخ بدمها وشي احشائها وتفرقة أجزائها مع الفطير كان يعمل عند عبدة الاوثان في تقديم قرابينهم ونذورهم

وبعد الأكل يعدن الى ما كن فيه الى ان يطوى النهار فتذهب كل واحدة من الحاضرات الى بيتها بعد ان تقبل يد الشيخة وتتبرك بها

ولا تسل عما يصيب كل واحدة منهن من وهن الجسم واضطراب الاعصاب واختلاف الصحة ، فما أشبههن في هذه الحالة التي يعتبرنها شفاء لامراضهن بحالة أولئك الذين كانوا يقومون من تحت حوافر الفرس مرضضين في تلك العادة القبيحة عادة الدوسة التي احسنت الحكومة كل الاحسان في إبطالها ، وياليتها تلتفت الآن لابطال هذه العادة الوثنية فتطهر الآداب من أرجاسها اذا لم يكن بالازواج نخوة تدفعهم لمحو هذا العار من بيوتهم، وتنزيه نسائهم أن يكن من مطايا الجن {مصباح الشرق}

﴿ تعصب اوربا على الدولة العلية ﴾

لقد ظهر من خبث الدول الاوربية وافراطها في الطمع والتعصب الاعمى على الدولة العلية مالم يكن في الحسبان، وأشوه مظاهر خبثها وطمعها وتعصبها ما كان في هذه السنين الاخيرة في أرمينيا وكريد وغيرهما ولقد عادت هذه السياسة السوأى من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معاً، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى في بلاد الدولة، فلم يبق في هذه البلاد عاقل يخدع بهذا التمويه، وقد اعترف بهذا كل بصير حتى الذين يقدسون أوربا كاصحاب جريدة المقطم، فعسى أن يعم هذا العلم جميع المسيحيين بواسطة عقلائهم وفضلائهم فيتفقوا مع بني وطنهم على اعلاء شأن الوطن في ظل الدولة العلية ورعاية المراحم السلطانية وما ذلك على الله بعزيز

مالابد منه (*)

قلنا ولا نزال نقول ان التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة ، والعاملان الرافعان الى قنة السيادة ، وهما أمران متلازمان لا يفارق أحدهما الآخر الا اذا أمكن وجود العمل من غير علم العامل بما يعمل . التعليم افادة العلم — أي علم — والتربية هي القيام بشؤون الصغير حتى يميز ويقدر على العمل ، وارشاده الى وجه الصواب في العمل عند القدرة عليه ، وفهمه ما يلقى اليه ، حتى يتم له رشده ، ويكمل له عقله ، وهذا لا يحصل الا بالعلم النافع ، فالعلم هو الينبوع الذي يستمد منه القائمون بالتربية والتعليم ، العلم كثير والعمر قصير فلا يمكن ان يحصل جميع أفراد الامة جميع العلوم ولو استغرقوا جميع الاوقات ، وتركوا الاعمال وهي المقصودة بالذات ، فما هي العلوم والفنون التي لا بد منها لجميع الافراد ، ولا تسع جهالتها واحدا من الآحاد ؟

ان الشريعة الاسلامية قسمت العلوم التي فرضت على الامة تعلمها الى قسمين — واجب عيني وواجب كفائي — فالاول ما يطلب من كل فرد من أفراد الامة ذكرانها واناثها كالفنون الباحثة عن تصحيح الاعتقاد وتهذيب الاخلاق وتطهير النفوس وكيفية العبادات وما هو الحلال ليتقى والحرام ليتقى

والثاني ما يطلب من مجموع الامة لتعلقه بالمصلحة العامة فاذا قام به

(*) فاتحة العدد الثلاثين الصادر في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣١٦

كل قطر من الاقطار طائفة يكفون الامة ما تحتاجه منه سقط الحرج عن الباقين والا حرجت الامة كلها وكانت آثمة، واذا أثمت الامة كلها نزل بها البلاء وحل بها السخط الذي يقتضيه ذلك الاثم الكبير الذي ضاعت به المصلحة العامة ولكل ذنب بلاء على قدره، وذنوب الامم لا ينالها العفو ولا ترجأ عليها العقوبة كما هو مشاهد «وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة، ان أخذه أليم شديد»

المصالح العامة ما بها قوام الدين كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلوم التفسير والحديث والاصول والفقه الخ ماهو مشهور، وما بها قوام الدنيا كالزراعة والصناعة والطب والحساب والهندسة الخ ماهو معروف، وقال العلماء لا يكون الانسان كاملا في علمه حتى يأخذ من كل فن من الفنون المتداولة في عصره طرفا يعرف به موضوع الفن وفائدته ونسبته لغيره من الفنون لكيلا يعادي العلم ويذاكر اهله عن جهل ويحكم عليه خطأ ثم يصرف همه الى التوسع في العلم الذي يريد العمل به والانفراد فيه

وكأين من علم يكون في عصر من العصور من الكماليات فيصير في عصر آخر من الضروريات كعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) الذي كان في عهد العباسيين تقصد به اللذة اكثر مما تقصد به الفائدة (كعلم الهيئة الفلكية حتى الآن) وقد أصبح اليوم من الضروريات التي لا بد منها، سعدت بالتوسع فيه دول ساعدها على الاستواء على البلاد، والاستيلاء على العباد، من غير سيوف تسل، ونفوس تسيل، وبدون مدافع تساثل، وصياصي تجيب، وشقيت بالتقصير فيه امم ذهبت بلادها من ايديها من غير أن تشعر،

وجاس العدو ديارها تحت مواقع انظارها ولم تبصر ، ثم يتوقف اليوم على هذا العلم الحرب والجهاد، وسياسة الممالك والبلاد، فهو دعامة الحرب وأساسها، ومعيار السياسة وقسطاسها ، وكذلك الهندسة والفلسفة الطبيعية وفنون أخرى

جرت الامم القوية في التربية والتعليم على طرق لا مندوحة لنا عن محا كاتها فيها ومجاراتها عليها كماً وكيفاً ، مع اعتبار حالة بلادنا الدينية والاجتماعية، ومراعاة مقدرتنا المالية والعلمية، لاننا نعلم أن عزة تلك الدول وتقدمها على نسبة تقدم التربية والتعليم فيها · ومن يلاحظ سير الامم والدول في هذا العصر ويقيسه بمقياسه ، ويزن تقدمها وتأخرها بميزانه ، يتجلى له بالبرهان الرياضي الصحيح أن ذلك لا بد أن ينتهي بفناء بعضها وتلاشيه، وبلوغ بعضها من مراتب الوجود الممكن أقاصيه وأعاليه ، الا اذا عثر المجد وكبا الجواد، أونهض العاثر من سقطته وجد المتخلف، واذا وقع الامران معا فذلك التوفيق ، القاضي بسعادة فريق لشقاء فريق ، ولا نيأس من روح الله في انالة أمتنا من ذلك ما تتمناه · شعر بهذا بعض خاصتنا فطفقوا يلهجون بالتعليم والتعلم وسرى هذا الشعور في كثير من العامة ولكنه شعور اجمالي لا يشرح الحقيقة ولا يهدي الى محجة الصواب ·

يذهب كثير ممن يسعون بانشاء المدارس وتعميم التعليم الى ان العلم الذي يكفل السعادة للائمة هو ما يعلم في مدارس الحكومة كبعض اللغات الاجنبية والفنون الرياضية والطبيعية والقوانين الاوربية الذي يؤهلهم للوظائف لان السواد الاعظم منا يرى ان الغاية من العلوم والفنون

لخدمة الحكومة بمعنى ان يكون للانسان وظيفة فيها تعطيه مالا يعيش منه وجاها يعتز به، ولا يبالي مع ذلك بأي مجلى ظهر وبأي لون اصطبغ، ومن يجنح بتعليمه هذا المنحى فهو جاهل، ومن يرمي بتعليمه الى هذا الغرض فهو خاسر، لانه غرض خسيس لا يتجاوز المنفعة الشخصية، ولا يبالي صاحبه بشقاء الامة بل ولا بفنائها اذا كان وسيلة لمصلحته وطريقا لمنفعته، وأجدر بتعليم هذا شأنه أن يعد من البلاء لا من النعماء، وان يرغب عنه ولا يرغب فيه، وان يسعى في ازالته لا في انالته . والغاية الصحيحة التي نقصدها نحن وجميع العقلاء من التربية والتعليم هي التي شرحناها في مقالة (الى أي تربية وتعليم نحن أحوج) من العدد السادس عشر أعني ما يجعلنا أمة عزيزة سعيدة يحافظ كل فرد منها على جامعته الجنسية والدينية والوطنية، ويشرب في قلبه ان ما أصاب أمته من حسنة فنعمتها شاملة له، وما أصابها من سيئة فمعرتها لاحقة به، ولقد قال أستاذنا الاكبر العلامة الشيخ محمد عبده كلمة بليغة في العلم الذي نحن أحوج اليه لاسعادنا وهي «العلم ما يعرفك من أنت ممن معك» وانها لكلمة حكيمة لمن وعاها وما يعقلها الا العالمون

واننا نذكر في هذه المقالة «ما لا بد منه» من الفنون لكل فرد من أفراد الامة بحسب ما تقتضيه حالة العصر فنقول

(١) علم أصول الدين أعني علم ما هي القضايا الاساسية للدين وما أدلتها وما وجه الحاجة اليه، وماذا كان من أثره وفائدته في العالم، لا البحث في غوامض علم الكلام كالوجود هل هو عين الموجود أو غيره، والصفات هل هي عين الذات أو غيرها أو لا عينها ولا غيرها، ولا ما ألحق به

توسعا في البحث وانطلاقاً مع الخواطر والافكار وليس منه ، كقول بعضهم ان خوارق العادات تصدر من جميع أصناف الناس مؤمنهم وكافرهم ، صالحهم وفاسقهم . وانما تترك أمثال هذه المباحث للذين يحبون الانفراد بالتوسع في الفن ومعرفة كل ما قيل فيه ، ولا فائدة منها للجماهير الا تهويش الاذهان ، وربما أضرت بالعقول والاديان

(٢) علم تهذيب الاخلاق واصلاح العادات فهو العون على التربية الصحيحة ويحتاج في كماله الى الفلسفة العقلية وعلم النفس

(٣) علم فقه الحلال والحرام والعبادات (ويسميه الاتراك علم حال) وانما فقهها أن تعرف على الوجه الذي تحصل به فائدتها للعامل بها ، كأن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر لما تعطيه من مراقبة الله تعالى وخشيته ، ويكف الصوم عن الشهوات ويبعث على الشفقة ، وتمنع الحيلة في الزكاة وتعطى عن طيب نفس مع معرفة فائدتها في اصلاح حال الهيئة الاجتماعية والقيام بحقوق الانسانية ، ويلاحظ في الحج فائدة المساواة بين الناس حيث يقفون في صعيد واحد بهيئة واحدة لا زينة معها ولا طيب ولا فرق فيها بين ملك ومملوك وعظيم وصعلوك «سواء العاكف فيه والباد» . وفائدة التعارف بين المسلمين والاخاء حيث يجتمع في تلك الاماكن المقدسة العربي والتركي والفارسي والهندي والصيني الخ ويتآخون في الله تعالى . واني رأيت المسلمين لا يزالون يلاحظون معنى الاخاء في الحج ويسمون من يتعرفون به هنالك أخا ونعما هي

وفائدة تمثيل هيئة الاموات الخارجين من الدنيا ، ومعاهدة الله تعالى على التوبة والانابة والبر والتقوى ، وفائدة الخضوع والامتثال لامر الله

تعالى ولو فيما لا يعقلون له معنى ولا يعرفون له فائدة ،كرمي الجمار وتقبيل الحجر الذي لا ينفع ولا يضر كما قال عمر رضي الله تعالى عنه

(٤) علم الاجتماع وأحوال البشر في بداوتهم وحضارتهم ومللهم ونحلهم وعاداتهم وسائر شؤونهم

(٥) علم تقويم البلدان « الجغرافيا » وقد مر بك الايماء الى فائدته وعظيم شأنه

(٦) علم التاريخ وينبغي أن يتوسع كل أحد في معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده ، وأن يأخذ طرفا من التاريخ العام . والتاريخ ولا أزيدك به علما هو مادة السياسة ومهد العقل ومغذيه ، والمفيض على الارواح حب الجنس والوطن ،والهادي النفوس الى مصالح بلادها والمحافظة على استقلالها

(٧) علم الاقتصاد الذي يبحث عن انماء الثروة وحفظها وهو من أركان المدنية الحاضرة وما أضر بهذه البلاد (المصرية) الا البعد عن العلم والعمل بالاقتصاد ولما كان هذا العلم من مقومات الامم والدول سمي (علم الاقتصاد السياسي)

(٨) علم تدبير المنزل وينبغي ان تتوسع البنات في هذا العلم لانه وظيفتهن ، والعمل به منوط بهن ، وجهلهن به داعي الخلل في المعيشة ، ومن لم تكن أمور منزله منتظمة فلا عيش له وان ملك الدنيا بحذافيرها

(٩) علم الحساب ولا بد من معرفة القدر اللازم منه للبنين والبنات ويتوسع فيه الذكور لان الاعمال المالية الكبرى انما تناط بالرجال .

(١٠) علم حفظ الصحة « الهيجين » وهذا من أهم المهمات لتربية الاولاد وهناء العيش ، فكم أسقم الجهل به صحيحاً وأمات مريضا ، وكم فتك

بالاطفال فتك الاوبئة والادواء، ومن نظر الا حصاآت الصحية في البلاد المتمدنة يعلم فائدة انتشار العلوم الطبية في الصحة العمومية

(١١) علم لغة البلاد. ترى الافرنج الذين يفتخر كبراؤنا ومدعو التمدن فينا بتقليدهم عن جهالة وعماية يفتخرون بلغاتهم ويدأبون على خدمتها ويسعون في تعميمها، وقد جعلوها مناط الجنسية فهلا قلدوهم في ذلك عوضا من تقليدهم في تعلم لغتهم ؟؟؟!! . للغتنا العربية علينا من الحق ما للغة الانكليزية على الانكليز والفرنساوية على الفرنساويين، ولها حق آخر علينا هو أقدس من سائر الحقوق يوجب علينا إحياءها حتما وهو حق الدين الذي لا يمكن حفظه الا بها، وهو ركن سعادتنا الدنيوية والاخروية. لست أعني بتعلم اللغة الذي جعلته مما لا بد منه لكل فرد من أفراد الامة حفظ متونها ومعاجمها، ومدارسة كتبها الازهرية بحواشيها وتقاريرها، فان ذلك ربما يمضي العمر على متوخيه بغير ثمرة ولا فائدة، وانما أعني أن يدرس التلامذة جميع ما يتعلمونه بلغة عربية فصيحة، وان يتدارسوا الكلام العربي البليغ منظوما ومنثورا مع التفهم لمعانيه، وملاحظة أساليبه ومناحيه، لتنطبع في نفوسهم ملكة صحيحة يقتدرون بها على الاتيان بمثل ذلك الكلام بسهولة، ويضاف الى هذا تلقينهم كتبا مختصرة سهلة في النحو والصرف والمعاني والبيان بالطريقة المفيدة، وكل هذا يمكن تحصيله في مدة وجيزة اذا كانت الكتب سهلة والمعلم حاذقا حكيما، فان قيل وأنى يوجد هذا وذاك ؟ أقول متى وجد الطالب يوجد المطلوب

(١٢) فن الخط ولا تخفى فائدته على أحد.

يؤخذ من هذه الفنون القدر اللازم، ولا بد مع تعلمها من الوقوف

على مواضيع العلوم المتداولة في العالم وفوائدها وبعض مسائلها في الجملة كما ألمنا الى ذلك آنفا . ليكون كل فرد على بصيرة من حالة عصره ولان العلوم والفنون يتداخل بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا ، وما وراء الذي شرحناه كالعلوم والفنون التي عليها مدار ترقي الصناعة والزراعة والتجارة فيجب ان ينفرد لها طوائف من الامة ، وحيث كان التوسع فيها يتوقف على الاستعانة بكتب الافرنج الذين أتقنوها وجنوا ثمارها فينبغي أن يتعلم بعض لغات أولئك الاقوام طائفة منا لاجل ترجمة الكتب المفيدة في تلك العلوم

هذا ما عن لنا في هذا المقام كتبناه على طريق الاجمال ، فاذا سار عليه القائمون بتشييد المدارس نرجو أن يكون سعيهم مؤديا لسعادة الامة والوطن ، والا كان اغواء واضلالا ووبالا ونكالا ، فقد جربنا التعليم بغير الصبغة الدينية فما زادنا الا بلية ورزية ، ونرجو ممن رأى في كلامنا هذا منتقدا ان ينبهنا اليه ، وربما نعود الى الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق

رسالة الحاسد والمحسود

(للجاحظ)

[illegible] نسخة بخط علي بن هلال الكاتب الشهير

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أطال الله [illegible] ووهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك الاستقامة ودفع عنك الندامة

كتبت الي أكرمك الله تسألني عن الحسد ماهو ومن أين هو وما دلائله وأفعاله وكيف تفرقت أموره وأحواله ، ولم يعرف ظاهره ومكتومه ، ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء ، ولم كثر في الاقرباء وقل منه في البعداء وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين ، وكيف خص به الجيران من جميع الاوطان ؟؟

الحسد – أبقاك الله – داء ينهك الجسد ، ويفسد الاود ، علاجه عسر وصاحبه ضجر ، وهو باب غامض وأمر متعذر ، فما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء»

وقال بعض الناس لجلسائه أي الناس أقل غفلة ؟ فقال بعضهم صاحب ليل اغاهمه ان يصبح ، فقال انه لكذا وليس كذلك ، وقال بعضهم المسافر غاية همه أن يقطع سفره ، فقال انه لكذا وليس كذلك ، فقالوا له فأخبرنا بأقل الناس غفلة ، فقال الحاسد ، انما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها فلا يغفل أبدا ، وروي عن الحسن انه قال : الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس ، وما أتى المحسود من حاسد الا من قبل فضل الله اليه ونعمته عليه ، قال الله تبارك وتعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) ، والحسد عقيد الكفر وحليف الباطل ، وضد الحق وحرب البيان ، وقد ذم الله أهل الكتاب فقال (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فمنه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ، ومنتج كل وحشة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم بين الاقرباء ، ومحدث

التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلطاء يكمن في الصدور كمون النار في الحجر، ولو لم يدخل رحمك الله على الحاسد بعد تراكم الهموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضضه ووسواس ضميره، وتنغص عمره وكدر نفسه، ونكد لذاذة معاشه، الا استصغاره لنعمة الله عنده، وسخطه على سيده بما أفاد الله عبده، وتمنيه عليه أن يرجع في هبته اياه وان لا يرزق أحدا سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوما، وكان عندهم في القياس مظلوما، وقد قال بعض الاعراب: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم، والحاسد مخذول ومأزور، والمحسود محبوب ومنصور، والحاسد مهموم ومهجور، والمحسود مغشي ومزور

والحسد – رحمك الله – أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الارض، خص به أفضل الملائكة فعصى ربه، وقايسه في خلقه واستكبر عليه، وقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) فلعنه وجعله ابليس وأنزله من جواره وشوه خلقه تشويها، فموه على أنبيائه تمويها، فنسي عزم ربه فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود فتاب عليه وهدى، ومضى الحاسد اللعين على حسده فشقي وغوى. وأما في الارض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه، وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، لقد حمله الحسد على غاية القسوة وبلغ به أقصى حدود العقوق، واذ ألقى عليه الحجر شادخا، فأصبح عليه نادما صارخا. فمن شأن الحاسد ان كان المحسود غنيا وبخه على المال وقال جمعه حراما ومنعه أثاما. وألب عليه عاويج أقاربه وتركهم له خصماء، وأمامهم في الباطن، وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر، وقال له: كفروا

معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون. وان وجد له خصما أعانه عليه ظلما. فان كان ممن يعاشره فاستشاره غشه، أو تفضل عليه بمعروف كفره، أو دعاه الى نصره خذله، أو حضر مدحه ذمه، وان سئل عنه همزه، أو كانت عنده شهادة كتمها، وان كانت منه اليه زلة عظمها، يحب أن يعاد ولا يعوده، ويري عليه المقود. وان كان المحسود عالما قال مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل، ومتبع نيل، مايدري ماحمل، قد ترك العمل، وأقبل على الحيل، قد أقبل بوجوه الناس اليه، وما أحمقهم اذا مالوا عليه، فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رعيته، وأسوأ طعمته. وان كان المحسود ذا دين قال متصنع يغزو ليوصى اليه، ويحج ليثنى عليه، ويقرأ في المسجد ليزوجه جار ابنته، ويحضر الجنائز لتعرف شهرته، وما لقيت حاسداً قط الا تبين لك مكتومه بتغيير لونه، وتخويص عينه، واخفاء سلامه والاعراض عنك والاقبال على غيرك، والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك، ولذلك قال القائل

طال على الحاسد احزانه   فاصفر من كثرة احزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه   ما هاج منه حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة   من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله   تسلم من كثرة بهتانه

وكان عبد الله بن أبي قبل نفاقه نسيج وحده بجودة رأيه وبعد همته، ونبل شيمته، وانقياد العشيرة له بالسيادة والسعادة، واذعانهم له بالرياسة، وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع له لبه، وتبين لهم عقله

وافتقدوا منه جهله ، ورأوه لذلك أهلا ، لما أطاق له حملا ، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة ورأى عز رسول الله صلى الله عليه شمخ بأنفه لحسده ، فهدم إسلامه وأظهر نفاقه ، وما صار منافقا حتى صار حسوداً ، فحمق بعد اللب ، وجهل بعد العقل ، وتبوأ النار بعد الجنة

ولقد خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يارسول الله لا تلمه فقد كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوجه ، ولو سلم المخذول من الحسد لكان من الاسلام بمكان ، ومن السؤدد في ارتفاع ، فوضعه الله بحسده واظهار نفاقه . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه ، ورجل آتاه الله قرآنا فهو يقوم به في آناء الليل والنهار» كان ما سواهما مذموما ، وصاحبه عليه مقليا ، وربما نتج الحسد الكبر فيبلغ صاحبه في المقت غايته ، وفي البغض من جميع الخلق نهايته ، فلا يعمل عملا الا مضغوه ، ولا يذكر في مجلس الا سبوه ، واشهد انه في ملكوت السماء أشد مقتا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنتم شهداء الله في الارض فما رآه المسلمون حسنا كان عند الله حسنا وما رآه المسلمون قبيحا سيئا فهو عند الله سيء»

وقال بعضهم اني أشتري اللحم فأخفيه من جيراني مخافة أن يحسدوني . وذلك ان الجيران — رحمك الله — طلائع عليك ، وعيونهم نواظر اليك ، فمتى كنت بينهم معدما فأيسرت فبذلت واعطيت ، وكسوت واطعمت ، وكانوا في مثل حالك فاتضعوا ، فسلبوا النعمة وألبستها أنت ، فعظمت عليهم بلية الحسد ، وصاروا منه في تنغيص آخر الابد

ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مستور ، وبصنعه محجوب ، لم يأت

عليه يوم الا كان مقهوراً ، ولا بات ليلة الا كان عن منافعه مقصوراً ، ولم يمس الا وماله مسلوب ، ودمه مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك

وقال مالك بن دينار تقبل شهادة القراء في كل شيء الا بعضهم في بعض ، فاني وجدتهم أشد تحاسدا من التيوس تشد النعجة فيهب عليها هذا التيس مرة وهذا التيس مرة ، وضرر المحسود الى صديقه اكثر منه الى عدوه ، والى خليطه أظهر منه الى مفارقه ، والى قريبه أسرع منه الى بعيده ، وذكر حميد الطويل انه سأل الحسن البصري فقال يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن ؟ فقال أنسيت — لا أبالك — اخوة يوسف ؟ المؤمن يحسد ولكن مالم يظهر بلسانه ويده ،

وأقول ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ، ولا قدر على تشحينه وكتمانه ، حتى يتمرد عليه في ظهوره واعلانه ، فيستعبده ويستعمله ويستنطقه لقهوره عليه ، لهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرجل على زوجته ، ومن الآسر على أسيره . وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا ، وبالدهاء معروفا ، وبالعقل موسوما ، وبالمداراة متهوما ، فأظهر بلسانه حسدا كان أضب عليه لما طال في قلبه طائله ، حتى ظهر عليه مع صبره على المكاره ، وحمله نفسه على حتفها ، وقلة اكترائه والتفاته على احجار المجانيق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه مايلتفت اليها ،

حدثنا عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير انه قال قدت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير ، فقال له ابن الزبير أنت الذي تؤنبني ؟ قال نعم لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاو » فقال له ابن الزبير قلت ذلك

واتبعه بقول يدل على حسد. كان ابن عباس من شره معصوما ، وكان ذلك مما في قلبه لبني هاشم مهزوما ، وكانت وخزة ثقيلة فلم يبدها له . وفروع بني هاشم حول الحرم باسقة ، وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية ، ومجالس بني هاشم من أعاليها عامرة ، وبحورها بارزاق العباد زاخرة ، وانجمها بالهدى زاهرة ، فلما تجلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أمكن في نفسه ، والحاسد لا يغفل عن فرصته الى ان يأتي الموت على رمته ، وما استقبل ابن عباس ذلك الا ما رأى عمر يقدمه على أهل القدم ، ونظر اليه وقد أطاف به الحرم ، فأوسعهم حكماً ، وتعقبوا منه رأياً وفهماً ، وأشبعهم علما وحلما . ويروى عن ابن سيرين أنه قال ما رأيت أكثر علما وحلما من منزل ابن عباس

وأما أنا فقد أقول لو ملكت عقوبة الحاسد لم أعاقبه بأكثر مما عاقبه الله بالزامه الهموم قلبه وتسليطها عليه فزاده الله حسداً ، وأقامه عليه أبداً (لها بقية)

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

(دماغ الرجل ودماغ المرأة) — يبدأ دماغ المرأة بالتقهقر في سن الثلاثين أما الرجل ففي الاربعين

(الدخان لقياس رطوبة الهواء) — اذا أشعلت سيكارتك ورأيت دخانها يصعد مسرعا فاعلم أن الهواء رطب واذا رأيته يهبط أو يبقى سابحا فالهواء جاف وتعليل ذلك واضح لما تعلمه من ثقل الهواء اذا كان رطبا فاذا سبح الدخان فيه كان أخف منه فيتصاعد والعكس بالعكس

(نمو الاطفال) — معظم نمو الاطفال انما يكون اثناء النوم

(نفقات السلطان) — يقدرون نفقات جلالة السلطان بألف جنيه في اليوم

(امبراطور الصين) — تعلم اللغة الانكليزية عن يد بعض المرسلين الاميركان حتى أتقنها جيداً

(طوابع البريد) — يبلغ عدد هذه الطوابع في كل العالم نحو ١٣٠٠٠ نوع

(حياة التاجر والزارع) — يؤخذ من الاحصاآت الصحية ان معدل حياة التاجر نحو ثلثي حياة الزارع

(العمل الجسدي والعمل العقلي) — يفقد الجسم من القوة في العمل العقلي ربع ما يفقده في العمل العضلي على الاقل

(طول الحياة والنوم) — وجد بالاستقراء ان أكثر الذين يعمرون طويلا ينامون باكراً ولا غرو فاننا نرى من أول العوامل في تقصير مدة الحياة في مصر السهر { الهلال }

***

﴿ تقسيم أفريقيا ومساحتها ﴾

قسمت بعض الجرائد القارة الافريقية بين الدول فكان لانكلترا خمسة ملايين و٨٠٠ ألف كيلو متر مربع ولفرنسا تسعة ملايين و ٦٠٠ ألف وابلجيكا مليونان و٣٠٠ ألف ولالمانيا مليونان وللبورتغال مليونان و٧٥٠ ألفاً ولمصر مليون فقط وللدولة العلية مثلها ولاسبانيا ٦١٠ آلاف ولايطاليا ٦٧٥ ألفا وللولايات المستقلة مليونان والغير مأهولة مليونان و٤٧٨ ألفا فتكون مساحة أفريقيا كلها ٣٠ مليون كيلو متر مربع

أما الولايات المستقلة في أفريقيا فهي مراكش ومساحتها ٦٢٠ ألف كيلومتر والحبشة ومساحتها ٧٥٠ ألفا والترنسفال ٣٣٥ ألفا وجمهورية أورانج ١٣٠ ألفا

والذي يظهر مما تقدم ان لانكلترا وفرنسا أكثر أفريقيا ولكن حظ فرنسا من أملاكها أقل من حظ انكلترا الان في جملة ما تمتلكه صحراء أفريقيا العظيمة وهي لا تنفع شيئا وأما الحظ الحقيقي فهو حظ مصر لان المليون كيلو متر التي تمتلكها تسوى أفريقيا كلها (السلام)

اليمن

من أخبار صنعاء اليمن « الرسمية » ان الحكومة قررت بناء ميناء أمين تسع ست بواخر ومائة سفينة شراعية وذلك لان الريح الجنوبية التي هبت في هذا العام قد خربت ميناءها ولان هذه الفرضة من أهم الفرضات تبلغ قيمة الصادر والوارد منها نحو مليوني ليرة سنويا وقد استؤذن الباب العالي بذلك . وفي النية اصلاح فرضة (مخا) من أعمال تعز التي أصبحت مأوى لمئات من الصيادين بعد ان نزح سكانها وتجارها منها لضيق ذات اليد فيها وتقهقرها في العمران منذ خمسين أو ستين سنة على انها من القابلية لانواع الترقي بمكان

أخذ بانشاء المخافر التي ذكرنا فيما سلف صدور الامر الكريم بتشييدها بين الحديدة وصنعاء

وصل الحديدة السفينة « ريودريا » السلطانية وهي إحدى السفن

التي أصدر الباب العالي أمره بان تحافظ على الثغور اليمانية منعا لتهريب الاسلحة وكبحا لجماح الذين اعتادوا تهريبها

أنفذ حضرة ملاذ الولاية اليمانية رقيما الى ملحقات الولاية قال فيه:

انه قد استبان من التحقيقات المهمة ان جباية الاعشار وزكاة الاغنام والخراج في الولاية هو على أصول غير مطردة مما حصل عنه غدر وخسارة للخزينة والاهلين وبقيت أكثر واردات الدولة المشروعة في زوايا البقايا فلهذا تقرر وضع تعليمات لجباية الخراج وهي تقسيم المبالغ المقيدة صفقة واحدة باسم العزلة بين أهالي القرى المؤلفة منها تلك العزلة بنسبة نفوسهم وثروتهم وتقيد حصة كل قرية على حدتها في قلم المال وبعد اعطاء مضبطة لكل قرية بما عليها توزع تلك الحصة في القرية على المكلفين ثم تحصل منهم بمعرفة المختارين المنتخبين أي العقال . أما جباية الاعشار فهي قريبة من ذلك أي ان المبالغ والحبوب التي تجبي بدلا وعينا والتي تقيد مرة واحدة باعتبار العزلة والمخلاف التي توزع على القرى وبعد تفريق حصة كل قرية منها تحتال كل قرية على حدتها أو تدار أمانة على حساب الحكومة . أما الاغنام فتعد بموجب تعليماتها اعتبارا من أول آذار «مارس» ذلك ما نرجو ان يكون من ورائه حفظ أموال الخزينة وصيانة الاهلين من سوء المعاملة والمغدورية (ثمرات الفنون)

(المنار) نسأله تعالى أن يحسن على ولايتنا البيروتية بوال مثل والي اليمن عطوفتلو حسين حلمي بك افندي الموصوف بالديانة والعفة والاستقامة ونرجو مثل ذلك لجميع ولايات السلطنة السنية

﴿ التنازع على السودان ﴾

تؤكد بعض الجرائد ان الاحباش كانوا محتلين لسوبات ثم غادروها وعسكروا على مسافة ٤٠٠ كيلو متر منها وان الرأس ولد جورجيوس هو القائد لهم وانهم نحو ٨٠ ألفا من المدربين وان السردار لما سار من فشوده الى سوبات علم بذلك ولكنه رفع العلم المصري عليها بالاحتفال المعتاد ويقال انه أرسل الرسل إلى صاحب الحبشة ويظن انه يحمله فيها على المصافاة مع الحكومة الخديوية

ويظنون ان هنتر باشا الذي سار في النيل الازرق وانتهى الى سنار ورفع عليها العلم المصري وجد الاحبوش قد سبقوه فرفعوا عليها العلم الحبشي . ويؤكدون أيضا ان الرأس منغاشيا معسكر بستين ألف مقاتل في فازوغلي . وهذه خير بلاد السودان المصري

ويقولون ان مرشان بني في فشوده ثلاث قلاع وان عنده خمسة قوارب مدرعة وانه عقد مع شيخ قبيلة الشلوك عهدا لم يمكنه الشيخ ولذلك أبى مقابلة رجال السردار الذين ألحوا بطلب مقابلته في فشوده

اذا صح هذا وصح ما قيل ان بين الاحبوش والفرنساويين معاضدة ومساعدة ولولا ذلك لما نجح مرشان في حملته فالامر جلل ومسائل السودان معضلة والله أعلم بمصير الامور

كتب والي كريت الى الاميرالية ان الحكومة استردت من المسلمين جميع الاسلحة في شهر ابريل سنة ١٨٩٧ فلا معنى لمطالبتهم الآن بغيرها .

وبلغ جواد باشا حاكم قنديا أهلها المسلمين بأن الجنود العثمانية لا تخرج من كريت اجابة لطلب الدول

وما كان ربك ليهلك القرى

(بظلم وأهلها مصلحون) (*

توالت الفتن على الممالك الشرقية وأوغلت الدول الفاتحة في بلادها ، وولجت في أحشائها بعدما انقصتها من أطرافها ، واستدرت بالتجارة اخلافها ، تفنن الطامعون بهافي اطماعهم ، ولونوا الفتوح والامتلاك بالوان كثيرة ، منها مايزعج مظهره وتفزع رؤيته ، ويخشى مخبره وتحذر مغبته . ومنها مايبهج منظره وتسر رؤيته . وتخدع غايته وتغر عقباه . ماهي تلك الالوان ؟؟ حماية رجال الديانة المسيحية . رعاية المصالح الخصوصية . وقاية البلاد من الاعداء . اصلاح البلاد ونشر المدنية فيها . الاحتلال الموقت لمعاهدات مخصوصة . الحماية . الاستئجار !!!

كل هذه ألفاظ لا معنى لها الا الاستيلاء والتملك بدون حرب ولا كفاح . وقد نجحت الدول القوية في هذه الحروب السياسية والفتوحات السلمية ، وكادت — لولا تنازعها — تستولي على جميع بلاد آسيا وافريقيا . على أن التنازع ماأوقف تسيارها ولا صد تيارها ، وقصارى مافعل انه أطمعها الفريسة لقمة

(*) فاتحة العدد الحادي والثلاثين الصادر في ٢ جمادى الآخره سنة ١٣١٦

لقمة فأفادها عما أمنها من تعسر الازدراد وتعذر الهضم اذا هي التهمتها مرة واحدة

هل تنبه الشرقيون لهذه القوارع التي تقع على رؤسهم، والصواخ التي تطرق آذانهم وأصابع الحوادث التي تكاد تفقأ عيونهم ؟ نم قد تنبهوا وشعروا بالرجز الاليم ، وطفقوا يتململون كما يتململ السليم ، الا قليلا منهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون. نم قد تنبهوا لمصابهم ولكن هل علموا ابلته وأسبابه ؟ كلا سوف يعلمون . ثم كلا سوف يعلمون. لو علموا السبب لاندفعوا الازالة العلة قبل استحكامها ومداواة الداء قبل الايداء (الهلاك) فلا بد من العلم قبل العمل (وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون) كيف يهلك الله الشعوب ويبيد الامم وكيف يديل من الدول دولا و ينزع السيادة من قوم و يستخلف من بعدهم قوما آخرين ؟؟

يقول المسلمون ان الدين هو الذي كان سبب سيادتهم وسعادتهم، وان الاعراض عنه هو الذي اوقعهم في الشقاء وانزل عليهم البلاء. ويحتجون بآيات من الكتاب العزيز كقوله تعالى (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) وقوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) حقا قالوا ولكن اكثرهم يلهج بالقول عن غير فهم ولا بصيرة متوهمين ان في الدين سرا روحانيا غير معقول، يمد الآخذين به بالنصر والقوة، و يعطيهم الغلب بالخوارق والكرامات !!
و يقول الناظرون في سير الانسان في زمانهم الحاضر والواقفين على تاريخه في الزمن الغابر: ان ضعف الامم وانحلالها وهلاك الشعوب وانقراضها وعزة الدول وامتناعها وسيادتها وارتقاءها كل ذلك جار على نواميس طبيعية وسنن الهية لا تتغير ولا تحور ولا تبدل ولا تحول وقد هدى الله بفضله النوع الانساني

النجدين ، وبين له الطريقين، فمن سار على طريق الترقي والسيادة مراعيا سنن الله تعالى فيهما وصل اليهما سواء كان مؤمنا ام كافرا، ومن سار على طريق التدلي والمهانة وحكمت عليه نواميسهما انتهى اليهما مؤمنا كان ام كافرا، فالدين لا أثر له فى عزة الامم ولا فى ضعفها واستكانتها والشاهد على ذلك ان جميع الدول الاسلامية اليوم ضعيفة ، ودولة اليابان الوثنية فى أعلا درجات القوة والعزة ؛ بل ان الامم المتمدنة تعتقد ان الدين حجاب كثيف يحول دون الارتقاء لولا ان مزقته لما لاح لها نور العلم بطرق السعادة، وقيد ثقيل لولا ان فكوه لما أمكنهم الايجاف والايضاع والتنقل والارتقاع، ولظلوا يرسفون رسفان (مشي المقيد) من لا تزال القيود فى أرجلهم والاغلال فى أعناقهم . ومن رأي هؤلاء ان العقبة الكبرى فى طريق تقدم الدول الاسلامية هو الدين الاسلامي نفسه، وانهم اذا مرقوا منه رجي لهم اتباع خطوات اوربا وتقدموا كما تقدمت!!.

من كان مبغضا للمسلمين من هؤلاء يسجل عليهم الضعف والانحطاط بل يدمهم بالحمام والموت الزؤام. ومن يحب المدافعة عنهم لامر ما يقول ان فيهم قابلية للنهوض والترقي والاخذ بأساليب المدنية الجديدة التي ساد فيها غيرهم، مستدلا بأن الحكومة المصرية مثلا لا تأبى قبول أي عمل تأتيه الحكومات الاوربية حتى اباحة الموبقات من السفاح والسكر ونحوه ، لكن الشعوب الاسلامية لجهلها لا تجاري حكامها التي نزعت الى الاصلاح الاوربي، ولذلك يحكم علماؤها بكفر الآخذين بالتمدن الاوربي من حاكم ومحكوم، فدليل الترقي (وهو تقليد أوربا على رأيهم) هو عند تلك الشعوب دليل على الانحطاط والتدلي لانهم يعتقدون ان التقدم محصور فى التمسك بالدين والجري

على آثار آبائهم الاولين، فيجب على الحكومة تعليمهم وتنبيههم ليساعدوها على الاصلاح والا تعذر النجاح واستحال الفلاح

هذا ملخص مايقوله فينا المتمدنون، ويكتبه في سياستنا الكاتبون، وقد اشتبه على الدهماء منا حقه بباطله، ورأى فيه المنحرفون شبهة على بطلان الدين، وهبوطه بالآخذين به الى أسفل سافلين، لان من المشهود الذي لايمكن انكاره ان المسلمين أمسوا أفقر الامم وأكسلها وأجهلها ودولهم باتت أضعف الدول وأظلمها

ولا فرق بينهم وبين جيرانهم يضاف اليه هذا التقهقر والانحطاط الا في الدين فلا جرم ان الناظر فى طبائع الملل يضيف ذلك اليه ويقرنه به واننا نكشف الغطاء عن تحقيق الحق في المسألة لينجلي الصبح الذي عينين فنقول :

قول المسلمين ان الدين هو الذي كان سبب سيادتهم وسعادتهم وان خسران تلك السيادة والسعادة انما جاء من الانحراف عن هديه صحيح، وقول القائلين ان الله تعالى قد جعل لارتقاء الامم سننا حكيمة من سار عليها فاز ومن تنكبها خسر مهما كان دينه — صحيح أيضا، وقد صرحنا بمثله غير مرة (انظر العدد ٥ ١ من المنار) وقد غالى كل فريق في رأيه فزعم المسلمون ان الانتساب للدين فيه أسرار غير معقولة تعطي أصحابه قوى غيبية تكون بها غلبتهم على من سواهم ، وزعم الآخرون ان الدين لا أثر له في الاسعاد بل هو موقع لاربابه في الشقاء، فأفرط الغالون وفرط المارقون، اغترارا بأولى المسلمين، وآخرة الاوربيين، ولم تخرج سيادة المسلمين في أول نشأتهم عن نواميس الكون الا ماأمد الله به نبيه (صلى الله تعالى عليه

وسلم) عند ضعف المسلمين ... بهم بالمعونة الربانية زيادة عن المحافظة على السنن العامة وتلك سنته تعالى مع أنبيائه. ألم تر كيف كان الظفر كاملا والتأييد شاملا في غزوة بدر ووقعة الاحزاب ونحوهما مع قلة المسلمين وضعفهم، ويوم حنين اذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا وولوا مدبرين؟ وكيف انكسروا في واقعة أحد لاخلالهم بالسنة الالهية وهي طاعة الرئيس بالحق. وأما أوربا فان الدين لم يكن صادا لها عن التقدم الا بما زاد عليه الرؤساء من المنع عن النظر في نواميس الكون وسائر الفنون العقلية وسلب الاستقلال في الارادة والرأي، والحرية في القول والعمل، بحجة الدين. فلما اهتدى القوم الى هذا بما اقتبسوه من الاسلام في حروبهم الصليبية أقاموا في ضوئه أساس مدنيتهم، ولما أحسوا بلذة المدنية طفقوا ينسلون من الدين الذي كان مانعا لهم منها، ولكن نبذ الدين رماهم بشرور ستضطرهم الى الرجوع الى الدين يوما ما، لأن كمال البشر لا يتم الا به كما قال، وعلى الوجه الذي بينه أستاذنا في رسالة التوحيد.

والاعتدال في مسألتنا الذي نريد أن نبينه هو أن الدين الاسلامي دين الفطرة لما كان مرشدا الى سعادة الدنيا والآخرة مما بيّن للناس أن لله في خلقه سننا حكيمة لا تبدل ولا تحول، وهداهم الى السير عليها، وشرع لهم من الاحكام ما إن تمسكوا به لن يضلوا عن طرق السعادة أبدا، ومن السنن التي بينها القرآن بيانا كافيا وكرر القول فيها سنته تعالى في اهلاك الامم وسقوط الدول، قال تعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) وقال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال تعالى (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون)

وبيّن تعالى ان الظلم اذا وقع في أمة يعمها العذاب وان لم يواقع الظلم جميع افرادها فقال (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا ان الله شديد العقاب) والآيات الناطقة بأن الظلم مؤذن بهلاك الامم وفساد العمران كثيرة جداً، وتقابلها الآيات المبينة أن التقوى والصلاح والاصلاح والعدل ونحوها من صفات الكمال واقية من حلول البلاء، وسبب لزيادة النماء، وهي كثيرة ايضا منها (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) الصالح في عرف المسلمين من يقوم بحقوق الله وحقوق العباد، وقال الشيخ الاكبر قدس سره: المراد بالصالحين هنا الذين يصلحون لعمارتها وادارة اعمالها، ومنها (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)

وقد صدرنا هذه المقالة بآية كريمة وموعظة حكيمة وهي (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) قوله تعالى وما كان ربك الخ معناه ما كان من شأنه ذلك ولم تجر سنته به، فكل آية مصدرة بذلك فهي قاعدة عامة تنبيء عن سنة ثابتة، وفسر الظلم في الآية بالشرك وهي نص على أن اصلاح الناس فيما بينهم مانع من اهلاكهم وتسليط الاعداء عليهم وان كانوا مشركين بالله تعالى، وفيها دليل على ان الايمان بالله من غير اصلاح الاعمال وعدل العمال لا يمنع الاهلاك، ويؤيده قوله تعالى (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وتأمل قوله كما استخلف الذين من قبلهم ففيه اشارة الى ان سنته تعالى واحدة وأما آية (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فيحمل الاطلاق فيها على التقييد في الآيات الكثيرة أو يراد بالتعريف التعظيم، والمراد المؤمنون الكاملون الذين يقومون بحقوق

الايمان ، على ان الايمان يطلق كثيرا على التصديق ، والعمل الصالح معا ، والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة ، ومنها ماورد: ان الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق .

أرشد الدين الاسلامي الى السنن الالهية وأمر بالنظر في الكون والتفكر والاعتبار ، وفصل ماتمس اليه الحاجة ، وهدانا الى ان لكل عمل أثرا لا يتعداه ، وأن الاسباب مربوطة بمسبباتها وكل سبب يفضي الى غاية ، والامور الدنيوية لا يمنعها الله عن طلابها اذا أتوا البيوت من أبوابها ، والتمسوا الرغائب من طرقها وأسبابها ، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين ، وانما الايمان شرط للمثوبة في العقبى وكمال السعادة في الدنيا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا) . بهذا كان الدين الاسلامي سببا في سعادة ذويه وسيادتهم عند ما كانوا مهتدين بهديه ومتمسكين بحبله ، لا بأسرار خفية وأمور غير معقولة ، لكن جهل المسلمين بتعاليم دينهم أفضى بهم الى التفرق والانقسام والميل مع الهوى ، وجهلهم بحالة العصر زادهم عمها وحيرة في الدين والدنيا . ثم لما اتصل بعض أمرائهم وحكامهم بالاوربيين رأوا أنفسهم مضطرين الى مجاراتهم وموافقتهم فقلدوهم عن غير بصيرة ، فكانوا بذلك عونا لهم على أنفسهم ، فازدادوا من الامة بغضا على بغض الظلم والفسق ، وعجز العلماء والفقهاء عن هدايتهم الى تعاليم الدين الموافقة لروح العصر لعدم وقوفهم على حالة العصر ، على أن الباحثين عن هذه التعاليم نفر قليل في كل قطر ، ولا يكادون يتسامون الى مراتب الامراء والسلاطين ، والمتصدرون جهلاء ، وعن الاصلاح بعداء ، الجماهير منهم مشغولون بالمباحث اللفظية وأساليب الكتب وخلاف الفقهاء ، والمدعون

الارشادلام لهم الا المفاخرة بالانساب ، ومناهضة بعضهم بعضاً حسدا وغواية ، وخداع العامة بأنهم في قصورهم واجدادهم في قبورهم متصرفون في الا كوان !! يشفون ويسعدون ويفقرون ويغنون ويحلون ويعقدون ويحيون ويميتون ويوم القيامة يشفعون فيشفعون (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لأنهم مضلون يقولون على الله الكذب وهم يعلمون

فهؤلاء رؤساؤنا من الحكام والعلماء والمرشدين،هذه أحوالهم يشكو بعضهم من بعض،ولا يهتم أحد منهم الا بتحصيل رغائبه ، ونكاية مُناصبه، وقد ضاعت الامة فيما بينهم—ضاع دينها باهمال التعليم والارشاد، وضاعت دنياها بترك العدل في البلاد (فصب عليهم ربك سوط عذاب * ان ربك لبالمرصاد) . وأي عذاب أشد من سوء الحال ، وضياع الاستقلال ، وانتزاع ممالكهم من أيديهم ولا حرب ولا قتال . فاذا ادعوا انهم على الاسلام فأين آثاره التي تدل عليه؟ واذا اعترفوا بالانحراف عنه فليرجعوا اليه ، والا فلينتظروا من الامر ماهو أدهى وأمر، وأنكى وأضر،ولنا الرجاء بان المسلمين قد تنبهوا من رقادهم ، وطفقوا يرجعون الى رشادهم، وذلك بتعميم التربية والتعليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

رسالة الحاسد والمحسود

(للجاحظ)

منقولة عن نسخة بخط علي بن هلال الكاتب الشهير

{ تابع ما قبله }

وكيف يصبر من استقر الحسد في قلبه على أمانيه ، وقد كان أخوة يوسف علماء حلماء ولدهم الانبياء فلم يغفلوا عما قدح في قلوبهم من الحسد بيوسف صلى الله عليه وسلم ، حتى أعطوا أباهم المواثيق المؤكدة ، والعهود المقلدة ، والايمان المغلظة ، أنهم له حافظون ، وهو شقيقهم وبضعة منهم ، فخانوا العهود ، ووثبوا عليه بالظلم فألقوه في غيابة الجب ، وجاؤا على قميصه بدم كذب ، فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم طمعاً أن يخلو لهم وجه أبيهم ويتفردوا بحبه ، وظنوا أن الايام تسليه ، وحبه لهم عن بعده عنه يلهيه ، فأسالوا عبرته وأحرقوا قلبه . وكيف لا تقر عيون المحسودين بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الارض بصبره على أذى حساده ، ومقاصته اياهم بالعفو والمكافأة وحسن العشرة والمؤاخاة ، بعد امكانه منهم لما أتوه ممتارين ، ووفدوا عليه خائفين ، وهم له منكرون ، فأحسن وفدهم وأكرم قراهم ، فأقروا له لما عرفوا بالاذعان ، وسألوه بعد ذلك الغفران ، وخروا له سجداً لما قدموا عليه وفداً

فاذا أحسست — رحمك الله — من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت

من مخالطته ، فانه أعون الاشياء لك على مسالمته ، وحصن سرك منه تسلم من شذاة شره وعوائق ضره ، واياك والرغبة في مشاورته ، فتمكن نفسك من سهام مساورته ، ولا يغرنك خدع ملقه وبيان زلقه ، فان ذلك من حبائل ثقافه ، فان أحببت أن تعرف آية مصداقه فدس له من يهجنك عنده ويذمك بحضرته ، فانه سيظهر لك من تشبيبه لك ما أنت به جاهل ، ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل ، فهو ألجّ في حسده لك من الذباب وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور ، وما أحب ان تكون عن حاسدك غبياء ولا عن فهمك بما في ضميره نسيا الا ان تكون للذل محتملا وعلى الدناءة مشتملا ولا خلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهباً أو تكون بك اليه حاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أرادك غرضا ولو نلت بذلك كنوز قارون لم يكن ذلك مما بذلت عوضا وقد قيل على وجه الدهر « الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها » . وربما كان الحاسد المصطنع اليه بالمعروف اكفر له وأشد اجتهاداً وأكثر تصغيراً لذلك من أعدائه . وكان الحسن بن هانىء يرتم على مائدة اسماعيل الهاشمي وكان من المطعمين للطعام المسرفين فعارض الحسن بن هانىء يوما بعض أصحابه فقال له من أين ؟ فقال له من عند اسماعيل فقال له ما أطعمكم ؟ فقال اطعمنا دماغ كلب في قحف خنزير !! فلم يكن منه هذا القول الا على وجه الحسد ولم يسلم منه مع كثرة انسه به وكثرة سيبه اليه حتى احتشد واحتفل في الذم له والتهجين لطعامه ولولا شدة ورع ابن سيرين وصدق لهجته لم يكن قوله فيما قال وأخبر عن نفسه من اطراح الحسد عن قلبه مرويا عنه وعند ذوي العقول معجبا حيث قال :

ماحسدت أحداً على شيء ان كان من اهل الجنة فما حسدي لرجل من أهل الجنة ؛ وان كان من أهل النار فما حسدي لمن يصير الى النار ؟

ومتى رأيت حاسداً يصوب لك رأيا وان كنت مصيبا ؟ أو يرشدك الي صواب وان كنت مخطئا ؟ أو نصح لك في غيبه عنك أو قصر في عيبه لك ؟ ؟ هو الكلب الكلِب والنمر الحرب والسم القشب والفحل القطم والسيل العرم ان ملك قتل وسبا وان ملك عصى وبغى حياتك موته وثبوره وموتك عرسه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور ويكذب فيك كل عدل مرضي لا يحب من الناس الا من يبغضك ولا يبغض الا من يحبك . عدوك بطانته وصديقك علاوته وانك ربما غلطت في امره لما يظهر لك من بره ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى وكنت في مذاهبك فطنا نقابا ولم تكن في عيب من أوضح لك عيبه مرتابا لاستغنيت بالرمز عن الاشارة وبالاشارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالخفض عن الرفع وبالاختصار عن التطويل وبالجمل عن التفصيل وأرحتنا من طلب التحصيل ولكن اخاف ان قلبك لصديقك غير مستقيم، كما ان ضمير قلبك غير سليم

انك غير سالم منه وان رفعت القذى عن لحيته ، وسويت عليه ثوبه فوق منكبه ، ولبست ثوب الاستكانة عند رؤيته ، واغتفرت له الزلة بعد زلته ، واستحسنت كل ما يقبح من شيمه ، وصدقته على كذبه ، واعنته على فجرته فما هذا العناء ؟ وماهذا الداء العياء ؟ كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبة الله نبيه صلى الله عليه وسلم في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد اذا حسد ؟ اتطلب ويحك اثراً بعد عين ؟ او عطراً بعد عروس ؟ او

تريد ان تجني عنباً من شوك ؟ او تلتمس حلب لبن من حائل؟ انك اذاً لأعيا من باقل ، وأحمق من الضبع ، ان كنت تجهل بعد ما علمناك ، وتعوج بعدما قومناك ، وتبلد بعد ما ثقفناك ، وتضل اذهديناك ، وتنسى لما ذكرناك ، وتغبي عما فهمناك ، وأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ ، وعمي عن المنافع ، ختم على قلبه وسمعه ، وجعل على بصره غشاوة ، ونعوذ بالله من الخذلان ، انه لا يأتيك ولكنه يناديك ، ولا يحاكك ولكنه يوازنك ، أحسن ما تكون عنده حالا أقل ما تزيد مالا ، وأكثر ما تكون عيالا ، وأعظم ما تكون ضلالا ، وأفرح ما يكون بك أقرب ما يكون بالمصيبة عهداً وأبعد ما تكون من الناس حمداً فاذا كان الامر على هذا فمجاورة الاموات ومخالطة الزمنى والاجتنان بالجدران ومص المصران وأكل القردان — أهون من معاشر مثله والاتصال بحبله . والغل نتيج الحسد ورضيعه ، وغصن من أغصانه وعون من أعوانه ، وشعبة من شعبه ، وفعل من أفعاله ، وحدث من أحداثه ، كما أنه ليس فرع الا له أصل ولا مولود الا من مولد ، ولا نبات الا بأرض ، ولا رضيع الا له مرضع ، وان تغير اسمه فانه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته ، ورأيت الله جل ثناؤه ذكر الجنة في كتابه فحلاها بأحسن حلية وزينها بأحسن زينة ، وجعلها داراً وليائه ومحل أنبيائه ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فذكر في كتابه ما من به عليهم من السرور والكرامة عند مادخلوها وبوأها لهم فقال (إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين)

فما أنزلهم دار كرامته الا بعد ما نزع الغل من صدورهم فبافتقاد الغل والحسد تهنوا بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر في مقابلة الوجوه بسلامة صدورهم ونزع الغل والحسد من قلوبهم، ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة، ولتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا، وواقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب واعقبوا فيها الخروج، لأنه عز وجل فضل بينهم في المنازع ورفع درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات وسني المطيات، فلما نزع الغل والحسد ظن ادناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهدا أنه أفضلهم منزلا وأكرمهم درجة وأوسعهم داراً بسلامة قلبه ونزع الغل من صدره، فقرت عينه وطاب أكله، ولو كان ذلك لصاروا الى التنغيص في النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب ولحدثت فيهم العيون والذنوب، وما أرى السلامة الا في قطع الحاسد ولا السرور الا في افتقاد وجهه، ولا الراحة الا في صرم مداراته، ولا الربح الا في ترك مصافاته، فاذا فعلت ذلك فكل هنيئا واشرب مريئا ونم رخيا وعش في السرور مليا، ونحن نسأل الله الجليل أن يصفي كدر قلوبنا ويجنبنا واياك دناءة الاخلاق، ويرزقنا واياك حسن الالفة والاتفاق. أحسن الله توفيقك والسلام

المناقشة السادسة

(من الشعب الاول من المقصد الثاني من كتابنا)

« الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية »

قد علم من الشاهد الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ان صاحب لباب المعاني جهل الشيخ القادري بأنه لا يفرق بين السحر والكرامة ولا بين أهلهما وذلك لانه قال ان أكل الحيات ودخول النار من السحر كما تقدم، وقال ان قلب الخارقة بدعة منكرة من الضلال أو الكفر

أقول قد نقل جماهير المؤرخين ان الطائفة الرفاعية فشا فيها بعد الشيخ احمد الكبير الرفاعي رحمه الله تعالى اللعب بالحيات وأكلها في الحياة اي من غير تذكية ولا طبخ، وتسلق النخل ونحوه من الاشجار والقاء انفسهم منها الى الارض، وركوب الوحوش البرية، ومن الناقلين لذلك من اثبت القول على غره ولم يتبعه باستقباح ولا استحسان ولا تخطئة ولا تصويب، ومنهم من صرح بتخطئتهم وكون اعمالهم هذه من البدع المنكرة في الدين كشيخ الاسلام احمد بن تيمية والحافظ بن كثير والحافظ الذهبي والفقيه المحدث العيني، نقل هذا الشيخ ابو الهدى افندي احد مشاهير ارباب الطريقة الرفاعية في عصرنا في الصفحة الثانية عشرة بعد المئتين من كتابه قلادة الجواهر، واطال المباحث فيه في عدة صفحات تلي الصفحة المذكورة، صرح في بعضها بنصوصهم ومن ذلك ما كتبه في صفحة ٢١٦ ونصه «وانظر قول الذهبي في تاريخه عند ذكر سيدي احمد الكبير الرفاعي رضي الله تعالى عنه وكان

المنتهى اليه في التواضع والقناعة ولين الكلام والذل والانكسار والازراء على نفسه وسلامة الباطن ولكن اصحابه فيهم الجيد والردىء وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم احوال شيطانية منذ اخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء اصحابه » اه بحروفه قلت ثم آخذ الحافظ الذهبي بعد نقل عبارته هذه بأنه قصر في ترجمة الرفاعي حيث لم يذكر كراماته التي منها دخول النار الى آخر ماذكره الذهبي عن طالحي اتباعه ونفاه عنه وكذلك فعل غيره في صفحة ٢١٧ «انهم تصدروا لقلب الكرامة الى البدعة وجعلوها من الامور المنكرة لاجل الحسد — قال — وقالوا عند ذكر كراماتهم ماعرفها الشيخ ولا صلحاء اصحابه فكيف لا يعرفها وهي كراماته الباهرة »

قلت وعلى هذا جرى في كتاب لباب المعاني على ادعاء ان تلك الامور كرامات وان المنكر عليها حول الكرامة الى البدعة ورتب على ذلك القول بجهل الشيخ القادري مؤلف الفتح المبين والحكم بأن ذلك من الضلال والكفر فللشيخ القادري اسوة حسنة في ائمة دين الله عز وجل وحفاظ احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث طعن فيه هؤلاء الرفاعية بمثل ماطعنوا فيهم . والحكم الصحيح في المسألة ان بعض ماينقل عنهم معصية قطعا باتفاق ائمة الاسلام كأكل الحيات حية وبعضها يحصل بالتعود والتمرن لكل من حاوله وزاوله كالقاء الرجل بنفسه من شاهق الى الارض وهو من الصناعات المستفادة بالتجربة وقد برع به الاوربيون منذ نما عمرانهم واتسعت حضارتهم ومبناه على تحصيل ملكة حفظ الموازنة في كل حال من الاحوال التي يتقلبون بها في ألعابهم بحيث يتغلبون على

سلطان الوهم المعارض لمن يحاول مثل تلك الاعمال من غير تحصيل ملكتها هذا ما يفهمه الفقير من التعليل على ذلك . والقائمون بهذه الصناعة مشاهدون في كل قطر وانما يكثرون حيث تكثر مواد الرفاهة باتساع العمران وكذلك اللعب بالحيات وأكلها يناط بالتعود كما هو ظاهر

وأما دخول النار والدنو من السباع الضارية فقد يكون كرامة وقد يكون حيلة وشعوذة وغير ذلك . ومعلوم ان علماء الدين يشترطون لكون الخارقة كرامة ان تصدر من ظاهر الصلاح سالك سبيل التقوى والرفاعية المشهور عنهم ذلك ليسوا كذلك كما هو مسطور في زبر الاولين والآخرين من العلماء بل وفي كتب هؤلاء الرفاعية المدعين لذلك قال العلامة المدقق شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني ما نصه « وما يشاهد من وقوع دخول النار لبعض المتسبين الى حضرة الولي الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره من الجهلة الذين كادوا يكونون لكثرة فسقهم كفاراً فقيل انه من باب السحر المختلف في كفر فاعله وقتله فان لهم أسماء مجهولة المعنى يتلونها عند دخول النار والضرب بالسلاح ولا يبعد ان تكون كفراً وان كان معها مالا كفر فيه » ثم نقل عن العبر مثل ما تقدم عن الذهبي وذكر انه شاهد منهم من دخل النار وجعل يشرب الخمر فيها وقد أطال العلامة ابن أمير حاج في بيان ان هذه الامور الشيطانية لا تكون كرامة وليس فاعلوها بأهل للكرامة ولا أرى الشيخ القادري الا ناقلا عن هؤلاء الاجلة والبحريني نسب له ذلك توسلا وتوصلا للنيل من دينه وعرضه وان نقل عنه أجوبته عن هذه الامور وصورة استفتاء يقول فيه السائل ما ملخصه «ما القول في جماعة

يدخلون النار ويأكلون الحيات ويشربون السم ويفعلون أمثال ذلك من الاشياء المبتدعة الخارقة للعادة التي لم يتفق وقوعها في الصدر الاول والكثير منهم على غير الطريق المستقيم ؟ اه » ومضمون هذا مسلم عندهم وقد أجابوا عن ذلك بما لا يخلو عن نظر بل هو فاسد على الغالب وسيأتي بسط هذا المقام بتحرير الايرادات والاجوبة وتمييز الحق من الباطل ونقول العلماء في ذلك في المقصد الخامس ان شاء الله تعالى وقد اشترط الشيخ أبو الهدى افندي في صفحة ٣٩ من كتابه هداية الساعي الرخصة في عمل هذه الاشياء (اللعب بالنار والدبوس والحيات وأكلها) « أن يكون لازالة انكار كافر على الدين بشرط أن يؤمن بعد ذلك قال والا فلا رخصة في عمل شيء منها قطعا وان من اشتغل بها آثم واقع في الحرام عاص للشرع » اه وسيأتي البحث في هذه الجملة وفيما ينافيها من كتب قائلها الاخيرة

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

قرأنا في رفيقتنا (ترجمان) الغراء التي تطبع في القريم ما تعريبه :

ان المسلمين ببلدة باطوم اتحدوا على جمع إعانة لتأسيس مدرسة فتسددلهم في مدة وجيزة الحصول على ألفين وخمسمائة روبل . ثم لما بلغ ذلك حضرة السري الوجيه نوري بك خاليف أحد أهالي تلك البلدة تبرع بأرض واسعة الارجاء تحتوي على بستان فاخر وبها أماكن مبنية بالاحجار المتينة

بلغنا ان هيئة المالية البلجيكية قد راجعت الحكومة السنية في الحصول

على امتياز يخولها انشاء تراموای في مدينة بيروت

حدث زلزال في ليلة الاربعاء الماضية بجزيرة (ساقس) باربع هزات متوالية فاستولت الدهشة على سكانها وراحوا يتسابقون الى خارج البلد حيث قضوا ليلتهم أما الاضرار فقد أصابت بعض الجدران وسقطت بعض قطع القرميد من سطوح المنازل {كوكب العثماني}

***

﴿ التعليم في الجامع الدسوقي ﴾

لما كان الجامع الدسوقي من أجل المواقع لتعليم العلم الشريف وكان حوله وأمامه كثير من البلاد التي لا يقدر أهلوها على تعليم أولادهم العلم في الازهر المنيف لما يعوزهم من ضروريات الحياة وكان هذا الجامع الدسوقي ملحقاً بادارة الجامع الازهر ـ اشتغل مجلس ادارته بوضع نظام لسير التعليم والامتحان عليه من دسوق بجاه والحمد لله وافياً بالمقصود منه . ثم رأى مجلس الادارة أيضا ان اصلاح التعليم في الجامع الدسوقي يتوقف على ارسال بعض من حضرات العلماء الازهريين اليه زيادة عمن فيه من حضرات علمائه السابقين فعين له ثلاثة من علماء الازهر: اثنان مالكيان وهما حضرتا الشيخ يوسف فيوص والشيخ رفاعي عامر وواحد شافعي وهو حضرة الشيخ مصطفى نفادى وقد سافر حضراتهم من الازهر الى دسوق يوم الخميس الماضي ويشتغلون بتدريس العلوم الشرعية ووسائلها في الجامع الدسوقي على حسب النظام الذي وضع للتدريس فيه وعلى حسب قرارات مجلس الادارة المبينة لآداب الطالب والاستاذ

والكتب التي تمنع قراءتها بالحواشي والتي يسوغ تدريسها معها بطريق التخيير وغير ذلك من النظامات (المؤيد)

﴿ نور اليقين ﴾

(في سيرة سيد المرسلين)

ذكرنا في المقالة التي صدرنا بها العدد الماضي ان التاريخ من العلوم التي ينبغي ان تعلم لجميع أفراد الامة ولا سيما تاريخ الامة والملة والوطن وأومأنا الى الفائدة في ذلك . وعلى هذا تجري جميع الامم المتمدنة في تربية أبنائها وبناتها .

يسمي المسلمون التاريخ الذي يبحث عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم علم السير . ولدراسة هذا النوع من التاريخ فوائد كثيرة لأنه تاريخ أمة ودين وبلاد ورجال عظام ، فهو يسمو بقارئه الى معرفة كيفية ظهور الدين الاسلامي واشتراع شريعته وتأسيسه أمة كانت أحقر الامم وأبعدها عن التهذيب والمدنية وارتقائه بها إلى اسما مراقي التهذيب والسعادة . ولذلك يتنافس فيه الافرنج وقد ألفوا فيه كتبا كثيرة لهم فيها مذاهب كثيرة ، ولا يزالون يدأبون في البحث عنه ويعنون بالتوسع فيه . وما أجدر اتباع هذا النبي وأصحاب هذا الدين بمثل ذلك . ولكن من الاسف ان نراهم معرضين عنه كل الاعراض وكتبهم فيه قليلة وغير منقحة ! وطالما كنت أفكر في حاجتنا الى كتاب موجز في ذلك ليتدارسه من لا تسمو هممهم الى قراءة المطولات وليقرأ في المدارس الاسلامية فيكون عونا لابنائنا على فهم الدين وتحبيبه اليهم فان قراءة السير لها من الشأن في تقوية الاعتقاد ما ليس لكتب العقائد

وقد أدركت الضالة ووافتني الرغبة في كتاب «نور اليقين في سيرة

سيد المرسلين » فان مؤلفه الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضري قد اعتمد فيه على صحاح الاخبار وأغضى عن الخرافات والغرائب التي ولع بها اكثر المؤلفين فجاؤا بالغث والسمين ، ومهد لكثير من الحوادث تمهيدات تشرف بالقارىء على سرهاه وأرشد أهل العصر للاعتبار بها باشارات لطيفة ومقارنات منبهة وتعليل يشفي العليل مع انه قليل ، ولولا ضيق المقام لأوردنا من ذلك شيئا ولعلنا نوفق لذلك في عدد آخر

وعسى ان يزيد الاستاذ المؤلف تنقيحه في طبعة ثانية ويعني بنفسه في تصحيح الطبع فيزيل بين الفاظ الاحاديث النبوية وما أدرج معها وامتزج بها بوضعها بين أقواس وكذلك الآيات القرآنية ولقد فعل ذلك بالطبعة الاولى ولكن لم يكن تاما ٠ وأقترح على حضرته أيضا عزو الاحاديث الى مخرجيها والاشارة الى صحتها أو ضعفها وبذلك تتم الفائدة. وبالجملة ان هذا الكتاب لا يوجد مثله في هذا الفن فهو على اختصاره انفع من المطولات التي تثير على الدين بعض الشبهات بما جاءت به من الغرائب التي يتوهم اصحابها انهم يقوون بها الدين ويعظمون سيد المرسلين ٠ فنشكر حضرة المؤلف ونثني عليه بلسان الاسلام أطيب الثناء ونحث جميع المسلمين على مطالعة الكتاب وقراءته لنسائهم وابنائهم ونستلفت على الخصوص رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية وأعضاءها وجمعية العروة الوثقى الى تقرير قراءته في مدارسهما والله الموفق

مرآة المرأة — اهدانا حضرة الفاضل الماس افندي فوزي ناظر المدرسة العثمانية ومؤسسها نسخة من كتابه « مرآة المرأة » وهو كتاب

مصور يبحث في الشؤون العائلية ويهدي ارباب البيوت الى كيفية ادارتها على وجه السداد

⁂

التعليم والتربية عند نساء الاستانة — واهدانا حضرة الفاضل محمد افندي ضيا مترجم العقيدة الاسلامية رسالة « التعليم والتربية عند نساء الاستانة » وهو ترجمة خطاب في تربية المرأة في الاسلام خصوصا والشرق عموما القته السنيورتيه السمير الده سرفاتنس على مؤتمر النساء في معرض كولومبيا في يوليو سنة ١٨٩٣

ولا يخفى ان موضوع الكتاب والرسالة من اشرف المواضيع التي نحن في اشد الحاجة اليها فنشكر سعي الفاضلين ونحث على اقتناء الكتابين ولم تسمح لنا الفرصة بمطالعتهما لنقرضهما وننتقدهما

دفعت حكومة مراكش ١٥٠ ألف فرنك لحكومة البورتغال و ٢٠٠ ألف فرنك لايطاليا تعويضا عن تعدي عصائب الريف على رعاياهما فهكذا الجهل يدمر البلاد وتقول بعض الجرائد الاسلامية اننا هو لنا في شأن مراكش حين أنذرناها بالهلاك اذا لم تصلح شؤنها وهؤلاء غاشون للمسلمين وأولئك عار على الاسلام

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

(فأضلونا السبيلا)(*)

اللهم غوثا غوثا ورحمة ولطفا . اللهم عونا عونا ومنة وفضلا. انظر اللهم الى هذه الامة التي شقيت بعد السعادة ، واستعبدت بعد السيادة، وذلت بعد العز ، وافتقرت بعد الغنى ، وضعفت بعد القوة ، وجهلت بعد العلم ، وظلمت بعد العدل ، وفسقت بعد الطاعة ، وكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

اللهم قد مسخ الرجال وفنك النساء وعم الجهل وساءت التربية وأرسلت الحبال على الغوارب فصار المعروف منكراً والمنكر معروفا والاخرق وليا والعاقل مقليا وهضمت الحقوق وكثر العقوق وفشا الكذب وأكل السحت فأنزلت على الامة الغضب والمقت ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

اللهم ان حكامنا قد أطلقوا الحرية في الفسق والكفر وقيدوا الحرية في العلم والفكر وتركوا شريعتك السماوية واستبدلوا بها القوانين الوضعية وشرعوا للرئيس الاكبر سلطة مقدسة ينسخ بها ما أحكمت ويبيح ما حظرت ويحظر ما أبحت ويعفي عمن عاقبت (أي حكمت عليه بالعقوبة) فأخذهم العذاب وهم ظالمون

اللهم ان علماءنا قد تركوا القرآن والسنة وأخلاق الدين وعكفوا

(*) فاتحة العدد الثاني والثلاثين الصادر في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣١٦

على الخلاف والبحث في أ " ب المؤلفين وأهملوا ارشاد الامة لأن بعض فقهائهم قال لا يجب على العالم ان يعلم مالم يسئل ؛ وانى يسأل الجاهل المطلق؟! وأولوا قولك (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقولك (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

اللهم ان قراءنا ومرشدينا قد اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا يقرأون القرآن تغنيا في الازقة والشوارع والملاهي والمجامع لا يجاوز حناجرهم . وقد استبدلوا بذكرك التغني والرقص والتثني وما كان ذكرهم الا جمجمة وحمحمة ودمدمة وهمهمة . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) . قادوا الامة بزمام الذل الى مقاصدهم فماتت هممها وتراكمت غممها زعما بأن شيوخهم كانوا من الاذلين وأنت تقول (ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) علموها الاحتجاج على التقصير بالقضاء والقدر الذي نهى نبيك عن الخوض فيه ودحضت فيه احتجاج المشركين وعنفتهم على سوء أدبهم حيث قلت في كتابك العزيز (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء !! كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ؟)

اللهم انهم قد حولوا قلوب عبادك عنك الى شيوخهم فصاروا يستعينون بهم في رغائبهم ويستغيثون بهم في نوائبهم ويطوفون بقبورهم متضرعين ولاحجارها مقبلين ولحاجهم منهم طالبين ويقولون انهم

شفعاؤهم عندك يقربونهم اليك زلفى . وما كان الشرك الذي محاه كتابك وعابه على من قبلهم الا مثل هـذا . ولكنهم حرفوا وأولوا ، وغيروا وبدلوا ، احتجاجا بكرامتك لاوليائك المخلصين . ثم ان فضلك يمنح من أطاعك الكرامة ولكن ما كنت لترضى بقول هؤلاء : إن سموات السبع بمن فيها من ملائكتك المقربين وأرواح أنبيائك المرسلين صارت في رجل أحد شيوخهم كالخلخال ، وهو الذي من لمسه أو لمس أحد خلفائه وذريته لا تمسه النار ، وان أحدهم يسعد ويشقي ويفقر ويغني ويميت ويحيي (كما قالوا في سيدي أحمد الرفاعي وعبد الرحيم الرفاعي قدس الله سرهما من هذا الضلال) وأنت تقول (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أي لا ليقترح عليهم كما قال البيضاوي وغيره . وقد أمرت سيد أنبيائك ان يتنصل من الاستطاعة على مثل ما يدعون بقولك (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي ، قل هل يستوي الاعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟) وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون)

اللهم اصلح الراعي والرعية وألف بين قلوب عبادك وألهمنا رشدنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . وانصر سلطاننا . وأيد برهاننا ولا تجعلنا ممن قلت فيهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)

أما بعد فقد روي أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان يسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشر والبلاء الذي يقع على الامة وعن

أسباب ذلك وقد قيل له في ذلك فقال أعرف الشر لا تقيه فنظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

عرفت الشر لا للشر (م) لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر (م) من الخير يقع فيه

لا جرم أن العلم بعوارض الامم من السعادة والشقاء هو العلم بالانسان الذي هو أشرف الموجودات في هذا العالم وهو من أشرف العلوم وأهم مباحثه ما يشرح أسباب أمراض الامم وهلاكها ، وقد نبه عليه القرآن الحكيم بمثل قوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي للانبياء الذين جاؤا لتهذيبهم واصلاح شؤونهم وهدايتهم الى سعادتهم ، ويظن من لا فقه لهم بأسرار الدين أن الله تعالى أهلك الامم المكذبة اكراماً لمن كذبوهم وانتقاما لهم ، ولو كان ذلك صحيحا لكان وجود الانبياء فيهم عذابا ولم يكن رحمة . والحق أن حالتهم في الفساد والفسق والظلم والحيد عن سنن الله في بقاء الامم هو الذي كان سبب هلاكهم كما هو صريح الآيات الكثيرة جداً والمطابق للعقل ، وانما الانبياء والمصلحون أزالوا عذرهم وأبطلوا احتجاجهم على الله تعالى بأنهم كانوا غافلين عن سنن الاصلاح (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فبين لهم طرق سعادتهم بآيات الطبيعة ثم آيات الوحي (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٭ والذين كفروا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون)

هذا العلم هو الذي ينير البصائر ، ويصلح السرائر ، ولله در الامام الغزالي حيث قال: أفضل العلوم العلم بالله تعالى وبسننه في خلقه. ولكن المسلمين تجاوزوا بأنظارهم آيات الكتاب الكثيرة التي أرشدتهم اليه، والآيات الكونية في الآفاق وفي أنفسهم، وحسب جمهورهم انه لايمكن الكلام على مستقبل الامم الا بالاطلاع على الغيب، وحملوا كل ماورد في السنة على ذلك . وزاد عليها الزنادقة والمنحرفون أحاديث وضعوها وافتروها للآرب ، فكان للباطنية واضرابهم من المبتدعة فيها ملاعب ، وفي التوسع بالتأويل مشارب ، وفي انفصام عرى الوحدة بالتفرق في الدين مذاهب

لنمسك عنان القلم عن الجري في هذا المضمار الآن ولنأخذ من التاريخ قبسا نستضيء به في بحثنا عن اضلال رؤسائنا لنا وانحرافهم بنا عن جادة السعادة الى تيه الشقاء والخزي . مالوامع الهوى ، فطرحونا في الهوى (بضم الهاء ج هوة) وانتهى بهم الاستبداد، الى توهين قوى الافراد ، وان شئت قلت الى اضمحلال الامة واعدامها اذ ليست قوة مجموع الامة الا قوة الافراد بعينها

رؤساؤنا هم الامراء الذين تولوا أمر الاحكام ، والعلماء الذين بيدهم أزمة العلم والتعليم ، والمرشدون الذين تصدوا للتربية والارشاد . واننا نكتب مقالات نبين فيها كيف كان إضلالهم لنا حتى انتهينا الى هنا ونبدأ بالكلام في الخلافة والخلفاء والسلاطين والامراء . فانتظر الاعداد التالية

الرسالة الحاتمية

وتسمى الموضحة لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي، شرح فيها ماجرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من اظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره، وانا نورد ماذكره في مقدمتها من السبب في ذلك قال:

لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفا عن مصر ومتعرضا للوزير أبي محمد المهلبي بالتخييم عليه، والمقام لديه، التحف رداء الكبر، وأذال [1] ذيول التيه، ونأى بجانبه استكبارا، وثني عطفيه جبرية وازورارا. فكان لا يلاقي أحداً الا أعرض عنه تيها، وزخرف القول عليه تمويها، تخيل عجبا اليه، أن الادب مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره، وروض لم يجن نواره سواه، فهو يجنى جناه، ويقطف قطوفه دون من تعاطاه. وكل مجر في الخلاء يسر، ولكل نبأ مستقر، فعبر جاريا على هذه الوتيرة مدة مديدة، أجرته رسن البغي فيها، فظل يمرح في تيهه حتى اذا تخيل انه السبّاق الذي لايجارى في مضمار، ولا يساوى عذاره بعذار، وانه رب الكلام ومقتض عذارى الالفاظ، ومالك رق الفصاحة نثرا ونظما، وقريع دهره الذي لايقارع فضلا وعلما. وثقلت وطأته على كثير ممن وسم نفسه بميسم الادب، وانبط [2] من مائه أعذب مشرب فطأطأ بعض رأسه، وخفض بعض جناحه، وطأمن [3] على التسليم له طرفه.

---

(١) اذال هنا بمعنى أرسل (٢) انبط أي استخرج (٣) طأمن ظهره أي أحناه وطأمن طرفه خفضه وغضه وهو كناية عن الخضوع له والاذعان افضله عليهم

وساء معز الدولة أحمدبويه ، وقد صورت حاله ان يرد حضرته وهي دار الخلافة ، ومستقر العز وبيضة الملك — رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان، وكان عدوا مباينا لمعز الدولة فلا يلقي أحدا بمملكته يساويه في صناعته، وهو ذو النفس الابية والعزيمة الكسروية. والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالاحرار صروفه ، ولا دارت عليهم دوائره ،وتخيل الوزير المهلبي — رجلا بالنسب — ان أحدا لا يستطيع مساجلته، ولا يرى نفسه كفؤا له،ولا يضطلع باعبائه، فضلا عن التعلق بشيء من معانيه !! وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه ، وتفخيم من يفخمونه، وتكرمة من يراعونه ويكرمونه، وربما حالت الحال، وأوشكوا عن هذه الخليقة الانتقال، وتلك صورة الوزير المهلبي في عوده عن رأيه هذا فيه

ولم يكن هنالك مزية يتميز بها أبو الطيب عن المعين المفرع من أبناء الادب فضلا عن العتيق القارح الا الشعر ، ولعمري ان أفنانه فيه كانت رطبة، ومجانيه عذبة ، فنهدت[1] له متتبعا عواره ، ومقلما أظفاره، ومذيعا أسراره، وناشرا مطاويه، ومنتقدا من نظمه ما تسمح فيه، ومتحينا ان تجمعنا دار يشار الى ربها، فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف به السابق من المسبوق ، واللاحق من المقصر عن اللحوق ، وكنت اذ ذاك ذا سحاب مدرار، وزند في كل فضيلة وار، وطبع يناسب صفو العقار، اذا وشيت بالحباب، ووشت بها سائر الاكواب، هذا وغدير الصباصاف، ورداؤه ضاف، وديباجة العيش غضة، وأرواحه معتلة، وغمائمه منهلة، وللشبيبة شرة[2] وللاقبال من الدهر غرة ، والخيل تجري يوم الرهان باقبال أربابها، لا بعروقها ونصابها، ولكل

«١» أي برزت وصمدت «٢» حدة ونشاط

امرئ حظ من مواتاة زمانه، يقضي في ظله أرب، ويدرك مطلب، ويتوسع مراد ومذهب

حتى اذا عدت من اجتماعنا عواد من الايام، قصدت مستقره، وتحتي بغلة سفواء [1] تنظر عن عيني باز، وتتشوف بمثل قادمتي نسر، وهي مركب رائع وكأني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب، وبين يدي عدة من الغلمان الروقة [2] مماليك وأحرار، يتهافتون تهافت فريد الدر عن اسلاكه، ولم أوردهما متبجحا ولا متكثرا بذكره، بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال، ولم ترعه روعته، ولا استعطفه زبرجه [3] ولا زادته تلك الجملة التي ملأت أبهة طرفه وقلبه الا عجبا بنفسه، واعراضا عني بوجهه، وقد كان أقام هناك سوقا عند اغيلمة لم ترضهم العلماء، ولا حركتهم رحا النظراء، ولا أنضوا افكاراً في مدارسة الادب، ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره، وسهله ووعره، وانما غاية احدهم مطالعة شعر ابي تمام وتعاطي الكلام على نبذ من معانيه، او على ماتعلقت الرواة مما يجوز فيه، فألفيت هناك فتية تأخذ عنه شيئا من شعره

فحين أوذن بحضوري، واستؤذن عليه لدخولي، نهض من مجلسه، واذا تحته أخلاق عباءة قد ألحت عليها الحوادث فهي رسوم دائرة، وأسلاك متناثرة، فلم يكن الا ريثما جلست فأتانا فنهضت فوفيته حق السلام، غير مشاح له في القيام، لأنه انما اعتمد بنهوضه عن الموضع أن

«١» سفواء أي خفيفة سريعة «٢» الروقة بضم الراء جمع رائق وهو الحسن الذي يروقك أي يعجبك «٣» الزبرج بالكسر الزينة من وشي أو جوهر ونحوه والذهب والسحاب الرقيق والمراد الاول

لا ينهض الي ، والفرض كان في لقائه غير ذلك ، وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر :

وفي المشي اليك عليّ عار ولكن الهوى منع القرارا

فتمثل بقول الآخر :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام

وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن جدود وأرزاق بأقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمي فيحرزه من ليس بالرامي

واذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكنا في وغرة القيظ وجمرة الصيف ، وفي يوم تكاد ودائع الهامات تسيل فيه . فجلست مستوفزا[١] وجلس متحفزاء وأعرض عني لاهيا ، وأعرضت عنه ساهيا أؤنب نفسي في قصده ، واستخف رأيها في تكلف ملاقاته ، فغبر هنية [٢] ثانيا عطفه ، لايعيرني طرفه ، وأقبل على تلك الزعنفة [٣] التي بين يديه ، وكل يومي اليه ، ويوحي بلحظه ، ويشير الى مكاني بيديه ، ويوقظه من سنته وجهله ، ويأبى الا ازوراراً ونفاراً ، وعتواً واستكباراً ، ثم رأى ان يثني جانبه الي ، ويقبل بعض الاقبال علي ، فأقسمت بالوفاء والكرم ، فانها من محاسن القسم ، انه لم يزد على ان قال ايش خبرك !!؟ فقلت بخير أنا لولا ما جنيته على نفسي من قصدك ، ووسمت به قدري

«١» أي منتصبا غير مطمئن ونحوه متحفز «٢» غبر : مكث وبقي ومن معانيه ذهب ومضى فهو من الاضداد ، وهنية كهنيهة تصغير هنة الاولى بناء على ان لامها واو والثاني بناء على انها هاء ويكنى بالهنة عن أي شيء والمراد هنا ساعة لطيفة أو مدة قليلة «٣» الزعنفة الطائفة من كل شيء وكل جماعة ليس أصلهم واحداً

من ميسم الذل بزيارتك ، وجشمت رأيي من السعي الى مثلك ، ممن لم تهذبه تجربة ، ولا أدبته بصيرة ، ثم تحدرت عليه تحدر السيل الى قرارة الوادي ، وقلت له أبن مم تيهك وخيلاؤك ، وعجبك وكبرياؤك ، وما الذي يوجب ما أنت عليه من الذهاب بنفسك ، والرمي بهمتك الى حيث يقصر عنه باعك ، ولا يطول اليه ذراعك ، هل ههنا نسب انتسبت الى المجد به ، أو شرف علقت بأذياله ، أو سلطان تسلطت بعزه ، أو علم تقع الاشارة اليك به ؟؟ انك لو قدرت نفسك بقدرها ، أو وزنتها بميزانها ، ولم يذهب بك التيه مذهبا ، ما عدوت ان تكون شاعرا مكتسبا ، فامتقع لونه ، وغص بريقه ، وجعل يلين في الاعتذار ، ويرغب في الصفح والاغتفار ، ويكرر الايمان انه لم يثبتني ولا أعتمد التقصير بي ، فقلت ياهذا ان قصدك شريف في نسبه تجاهلت نسبه ، أو عظيم في أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه خفضت منزلته ، فهل المجد تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله لكنك مددت الكبر سترا على نقصك ، وضربته رواقا حائلا دون مباحثتك ، فعاود الاعتذار ، فقلت لا عذر لك مع الاصرار ، فأخذت الجماعة في الرغبة الي في مباشرته وقبول عذره ، واستعمال الاناة التي تستعملها الحرمة عند الحفيظة ، وأنا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه وذم خليقته ، وهو يؤكد القسم انه لم يعرفني معرفة ينتهز معها الفرصة في قضاء حقي ، فأقول ألم استأذن عليك باسمي ونسبي ، أما كان لك في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتني ؟ ، وهب ان ذلك كذلك ألم تر شارتي ، أما شممت عطر نشري ، ألم أتميز في نفسك عن غيري ؟؟ وهو في أثناء ما أخاطبه — وقد ملأت سمعه تأنيبا وتفنيدا — يقول خفض عليك

اكفف من غربك [1] أردد من سورتك [2] استأن فان الاناة من شيم منك ، فأصحب [3] حينئذ جانبي له ، ولانت عريكتي في يده ، واستحييت من تجاوز الغاية التي انتهيت اليها في معاتبته ، وذلك بعد رضته رياضة الصعب من الابل ، وأقبل علي معظما ، وتوسع في تقريظي مفخما ، واقسم انه ينازع منذ ورد العراق ملاقاتي ، ويعد نفسه بالاجتماع معي ، ويسوقها التعلق الى أسباب مودتي

فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه فتى من فتيان الطالبيين الكوفيين فأذن له ، فاذا حدث مرهف الاعطاف تميل به نشوة الصبا فتكلم فأعرب عن نفسه : فاذا لفظ رخيم ولسان حلو واخلاق فكهة وجواب حاضر وثغر باسم في أناة الكهول ووقار الشيوخ ، فأعجبني ما شاهدته من شمائله وملكني ما تبينته من فضله فجاراه أبياتا

قال ابن خلكان ومن ههنا كان افتتاح الكلام بينهما في اظهار سرقاته ومعايب شعره ، والرسالة طويلة تدخل في ١٢ كراسة تشهد لصاحبها بالفضل الباهر مع سرعة الاستحضار واقامة الشاهد

---

(١) المراد بالغرب هنا الحدة (٢) السورة هي الحدة أيضا (٣) أصحب الرجل صار ذا صاحب وأصحب البعير ونحوه ذل وانقاد بعد صعوبة كأنه دخل في الصحبة بعد الامتناع والمراد هنا انه لان له

الحرب أو التحكيم — سوانح وبوارح

قال بعض العلماء ان من برع في فن من الفنون يهتدي به الى سائرها ومراده أن بين مسائل العلوم مشابهة فمن قويت ملكته في مزاولة بعضها سهل عليه فهم البعض الآخر

ولدينا الآن مسألة من علم السياسة تشبه مسألة من مسائل النحو وقد اختلفت فيها الجرائد السياسية كما اختلفت النحاة في مسألتهم ، المسألة السياسية مسألة فشوده والنحوية مسألة التنازع ، يقول النحاة اذا تنازع عاملان في اسم فلا بد من إعمال أحدهما اذ يمتنع اجتماع مؤثرين على اثر واحد كما ثبت في علم الكلام ، واختلفوا في الاولى بالعمل من العاملين فذهبت طائفة الى ان العامل الاول أولى ، وقالت أخرى بل الاولى هو الثاني واستدل كل فريق بدليل ، كذلك المتكلمون في السياسة اتفقوا على ان الذي يستولي على فشوده واحد ولكن اختلفوا في تعيين ذلك الواحد واستدل كل فريق بما لاح له انه يؤيد جانبه

تقرأ في الجرائد الانكليزية وما على مشربها من الجرائد المصرية ان الحق واضح في جانب بريطانيا العظمى لانها فاتحة بمالها ورجالها مع مصر ، فهي شريكة لها في كل بلاد السودان الذي يعتبر ملكا للفاتحين ، ولأن السر ادورد مونسون سفير انكلترا في باريس أبلغ المسيو هانوتو ناظر الخارجية الفرنسوية السابق في ١٠ دسمبر سنة ١٨٩٧ ان الحكومة الانكليزية لا تسلم لدولة أوربية بدعوى تحتل بها جزءاً من وادي النيل

وان وزارة اللورد سالسبوري توافق وزارة اللورد روزبري على انه: اذا كانت فرنسا قد أرسلت حملة بأوامر سرية الى بلاد اشتهرت دعوانا عليها من زمن بعيد فاننا نعد عملها هذا غير ودي أو (عدائيا) كما قال السر ادورد غراي في مجلس النواب الانكليزي في ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥

وتقول الجرائد الفرنسوية والجرائد التي على مشربها في مصر وغيرها: ان توفيق باشا الخديوي السابق قرر اجابة لطلب الانكليز ترك السودان المصري وكتب في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٤ الى غوردون باشا حاكم السودان من قبله يأمره باجلاء الجنود والعمال المصريين من بلاد السودان كلها فصار بذلك السودان مباحا لكل فاتح كسائر الاراضي الافريقية المقرر في مؤتمر برلين ان من سبق الى شيء منها ملكه، وقد شرعت الحكومة الانكليزية تتصرف في السودان المصري من عام ١٨٩٠ فأخذت زيلع وأعطت هرر لايطاليا ولادو لولاية الكونغو بل خصصت نفسها بالاقاليم الاستوائية الخصبة وأجرت للكونغو ما شاءت

فان كان تصرفها هذا صحيحا فلماذا لا يكون تصرف فرنسا صحيحا مثله ؟ وان كانت البلاد لما تزل ملك الحكومة الخديوية العثمانية فما هذا التصرف وما هذا الامتلاك والاشتراك بالفتوح الذي تدعيه؟ وأما قولها انها لا تسمح لاية دولة باحتلال أي جزء من وادي النيل فهو لا يقتضي امتلاكها لوادي النيل واعطاءها الحق بالاستئثار به! والا لأمكن لكل دولة أن تمتلك من الارض ما تشاء بكلمة كهذه تقولها. وقد زعمت بعض الجرائد ان المسيو هانوتو لم يرد على كلمة السر ادوارد السابقة، لكن الكتاب الازرق الذي أصدرته الحكومة الانكليزية من عهد قريب

وضمنته المذاكرات التي جرت في مسألة فشوده بين انكلترا وفرنسا من شهر دسمبر سنة ١٨٩٧ الى ٣ اكتوبر الجاري مع ملحق فيما دار بين الحكومتين من أغسطس سنة ١٨٩٤ الى ابريل سنة ١٨٩٥ قد جاء فيه أن المسيو هانوتو أجاب سفير انكلترا «عن بلاغه الذي تقدم» بأن سفير فرنسا في لوندره اعترض على ذلك في إبّانه وانه هو رد ذلك القول في مجلس الشيوخ في ٥ أبريل سنة ١٨٩٤ ولم ترد الحكومة الانكليزية على رده

أما نحن معاشر العثمانيين عموما والمصريين خصوصا فنقول ان حجج الفريقين داحضة فالبلاد السودانية هي من الممالك الشاهانية ، والخديويون لا يملكون اخراجها منها ، لأن الذي يولي الخديوي على البلاد يحدد له سلطة ليس هذا منها . فتخلي توفيق باشا عن السودان لا يجعله مباحا لمن سبق وغنيمة لمن فتح ، مالم يجزه على ذلك السلطان الاعظم اجازة رسمية . واذا فرضنا صحة التخلي فلا مندوحة عن القول بأن جميع ما احتلته فرنسا صار ملكا لها ، وكذلك ما أخذته انكلترا من زيلع وغيرها وما وهبته جائز صحيح ، وما فتح باسم الحكومة الخديوية فهو للحكومة الخديوية ليس لانكلترا فيه شيء ، لانها لم تكن الامساعدة على سبيل التبرع ، ولو كانت شريكة لم يكن السردار «باشا» ولا بسا للطربوش !! ولم تكن النفقات كلها من الخزينة المصرية بل كانت مناصفة ! وكانت الـ... ألف جنيه داخلة في ضمن الحساب ولم تعط دينا ويسمح بها بعد ذلك سماحا

لكن السياسة ليس فيها حق وباطل وصحيح وفاسد ، وانما هي قوة تفعل وضعف ينفعل ، ولذلك نرى الجرائد الانكليزية ترمي في الاحتجاج

الى غرض آخر وهو انها تطلب من فرنسا أن تمثل نفسها مكان الانكليز في مصر ، وعاملة عملها في الاجتهاد بفصل السودان ثم باعادته ، وتعبها في القبض على أزمة الحكومة المصرية وادارة مصالحها على الوجه الذي تحقق به أمانيها !! أفيسهل عليها وترضى بعد وشك الوصول الى الغاية الاخيرة والحصول على الرغبة المتوخاة أن تحول انكلترا أو غيرها دون مرامها وتصد سهمها عن غرضها ومرماها ؟؟ . لاريب ان فرنسا اذا تمثلت هذا وتنكبت خطة السياسة واتبعت خطة الانجيل الشريف الذي يأمر بما اتفقت عليه الشرائع من عهد كونفوشيوس الصيني الى الآن من أن يعامل الناس كل أحد بما يحب أن يعاملوه به فهي تسلم فشوده للانكليز وتترك لهم وادي النيل ! ، ونحن نطلب من انكلترا أن تعامل مصر والدولة العثمانية بما تحب أن تعامل هي به اذا فرض ان القوة أمكنتها من احتلال بلادها ،

السياسة وراء الدين والادب وليس تقوم عليها حجة أو تنصاع لآية غير القوة ، ولذلك نرى الدولتين الان تتهيآن للحرب والكفاح وتعدان الاساطيل العظيمة التي لا يوجد عند غيرهما مثلها قوة وكثرة . ويظهر ان الفريقين مصممان على عدم الاقتناع بالمذاكرات الودية اذ لا حجة قيمة لواحد منهما تقنع به خصمها وتعتذر به الحكومة المنصاعة لأمتها التي تناقشها الحساب ، وانما هما طمعان يتناطحان فاذا لم يحل بينهما حائل فلا بد أن ينتهي الامر بغلبة أحدهما بالقوة

كل من الدولتين تخاف الحرب لعلمهما بأن خسارتها أكثر من ربحها ولا سيما مع الاكفاء ، ولكل واحدة منهما صوارف ليست للاخرى .

أما انكلترا فانفرادها بعدم حليف لها، وحليفة خصمها أقوى الدول بأسا وأصعبها مراسا، وكون المملكة تأبى أن تختم أعمالها السلمية في عمرها الطويل بالحرب الهائلة التي يذهل تصورها العقول ويدهش الالباب وكونها شديدة الحرص على المال مبالغة في الاقتصاد، وخوفها من خروج مستعمراتها عليها اذا هي اشتبكت بمحاربة دولة قوية تشغلها عن كل ماسواها . وأما فرنسا فتعطيل معرضها الذي تستعد له من سنين، وفتنة دريفوس التي أقامت الامة وأقعدتها وعدوتها الكبرى المانيا. ومن رأينا ان الحرب ربما كانت مسكنة لحركة فتنة دريفوس لأن المهم يتلاشى في الأهم، وان ألمانيا تود ان تقع الحرب بين الدولتين وتبقى هي على الحياد حتى اذا ما ضعفتا معا أمنت شر فرنسا وطلبها الالزاس واللورين، ومعارضة انكلترا في الاستعمار والتجارة بل وفرنسا أيضا وفي ذلك أعظم نهضة لها، وماذا تتوقع من التعرض لفرنسا، وروسيا القوية حليفة فرنسا من وراء ظهرها وفي تعرضها الخطر على أوربا كلها ! !

فاذا قلنا ان الجرائد حمست الأمتين ونفخت في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وعلمنا ان الحمية وعزة النفس أخوف ما يخاف من أمم أوربا على حكوماتها اللاتي لا يمكنها مخالفة الشعب اذا هو طلب شيئا فلا جرم انه لم يبق من مانع للحرب الا التحكيم وهو ما أشارت به بعض الجرائد الروسية

اذا اتفق الخصمان على تحكيم الدول العظام في المسألة فلمن يكون الفلج والظفر ؟ هل تنصف تلك الدول فتقول لهما لا حق لكما فأديا صاحب الحق حقه واخرجا من السودان بسلام وسلماه للحضرة الخديوية نائبة السلطان الاعظم صاحب السيادة الحقيقة ؟ واذا قالت الدول هذا فهل ترضى

فرنسا به والاحتلال الانكليزي في مصر على حاله؟ أم تقول ان هذا التسليم لا يتم الا بالجلاء عن مصر وهو ما تنتظر نهزة مثل هذه لتقوله؟ وهل يرضى اللورد سالسبري المناقشة الاوربية في المسألة المصرية بعد ما أكد في الكتاب الازرق رسميا انه يأبى مثل هذا كل الاباء؟ أم تقسم أوربا السودان بين الدولتين وتسكت عن الاحتلال؟

كل ذلك غيب مجهول ولكن الذي نعلمه ان ميزان سياسة أوربا الآن في يد القيصرين العظيمين نقولا وغليوم، والاول حليف فرنسا والثاني عدوها، ولكنه صديق جلالة السلطان صاحب مصر والسودان، فاذا كانت هذه الصداقة توازي تلك العداوة فيترجح السكوت وعدم الميل لاحد الجانبين، لكن ألا يوجد مرجح آخر يجذب الامبراطور غليوم ليحصل الترجيح لمن يميل هو له؟ نقول كان يرجى أن يستميله القيصر لان مسالمة وموادة المانيا لروسيا من أهم الاسس السياسية التي أسسها بسمارك وحافظ عليها طول حياته ولم يظهر ما يكدرها من بعده الا ما نقله لنا البرق في هذا الاسبوع من ان سفارة روسيا في الاستانة لم ترفع رايتها لقدوم الامبراطور كسائر الدول، والسفن الروسية ثمة لم تزين بالرايات والاعلام كغيرها، فاستوقف ذلك الانظار وحرك سواكن الافكار، ولا يزال البرق والبريد ينقلان لنا منذ عزم الامبراطور على زيارة الاستانة والقدس أخبار اهتمام روسيا وفرنسا لذلك، خشية من زيادة نفوذه المضعف لنفوذها في بلاد الدولة وحذر من مداخلته في حماية المسيحيين (وهي أشد عوامل الدولتين في بلادنا) وقد صرحوا بأن شدة تقرب المانيا من تركيا يخل بموازنة الدول! ولعمري لا معنى لهذا الا توقع المحالفة

فاذا استطاع مولانا السلطان الاعظم أن يستفيد من هذه الاحوال مايضمن له حفظ بلاده بالتوفيق بين ضيفه الامبراطور وروسيا وفرنسا واجماع رأي الاربع على حل عقدة المسألة المصرية فهو أحكم حكماء السياسة وأشدهم دهاء وأبعدهم غورا وأحصفهم رأيا، وتظهر حكمة سكوته عما جرى في مصر والسودان الى الآن، وينسي الامة رزء كريت وما بين يديه وما خلفه من المصائب والارزاء، وان كانت نتيجة زيارة الامبراطور شدة نفور روسيا وفرنسا منا في هذا الوقت الحرج الذي طرقت فيه أبواب المسألة المصرية ، ويرجى باتفاق من ذكرنا ان يفتح رتاجها ويقوم اعوجاجها ، وفوز الضيف العظيم بالامنية ودولة المضيف الكريم بالرزية ! فانها نتيجة خسيسة ، ومغبة تعيسة، وأجدر بمولانا السلطان الاعظم أيده الله تعالى أن لا ينيل الامبراطور غليوم شيئا من رغائبه ، اذا هو أعرض عن موافقته على أجل مآربه، فقد حلب الدهر أشطره، وعرف حلوه ومره، وابتلى نفعه وضره ، وهو خير كفؤ كريم لهذا شد الله تعالى أزره، ويسر أمره، ورفع ذكره آمين

﴿ رسالة التوحيد ﴾

كما دلت هذه الرسالة على ترقي العلم بترقيتها دلت على رواجه برواجها واننا نرى ونسمع كل يوم أحاديث الاعجاب بها والتنافس فيها وقد اطلعنا على رقيم لحضرة الكاتب البليغ صاحب العزة الامير شكيب ارسلان بعث به الى فضيلة الاستاذ المفضال مؤلف الرسالة قال فيه :

« قرأت رسالة التوحيد ولم أزدد بكم علما الا انني سررت لكم بنشرها

بعد ان حجبت الحاكم بين الانظار وبين تلك الآثار ، وبعد ان ظن ان القضاء صرف نظركم عن كل ماسواه ، ولعمري ان احسن عمل يؤتى هو مثل هذا الاثر ولم اقرأ من مكتوب العصر شيئا ابدع من هذه الرسالة ولا مايدانيها الا ان كان بعض كلام المرحوم السيد جمال الدين ، وعليه فالدائرة واحدة لاحق لي في الحكم من جهة الفن وتعديل الآراء والمذاهب ، ومع هذا فحيث كان الامر من المعقول تأملت فوجدت ان طريقة هذه الرسالة هي أقصد الطرائق ، وانها غاية مايرتاح اليه العقل ويرتاح فيه ، فما أشكل بعدها من مغلقات أسرار الوجود فهو مما حتم الله بإشكاله ، وخبأ نوره عن عباده ، وأما البيان فقد طالما اعتقدت أن الانشاء مارق به المحسوس حتى كاد يسهل ، أو تجرد منه مثال التخييل ، ولقد وجدتني في تلك الرسالة في عالم معنوي قادت البراعة أسراره ومجرداته بزمام التعبير ، الى ان تخيلت اني قابض على المعاني بيدي ، فضلا عن اني متمثلها في خلدي ، فهذا غاية الخلق من البيان وهو ما أتت به الرسالة » اه

وقد كتب الينا من بلاد الشام أن بعض فضلاء النصارى اطلعوا على الرسالة فقال أحدهم « اذا كان الاسلام هو ما تشرح فانا أول مسلم ، ولكن مؤلفها فيلسوف ديني يقول ينبغي أن يكون الاسلام كذا » فرد عليه مسلم بأن مؤلفها هو من أكابر علماء الازهر أعظم المدارس الدينية ، وهو يقرأها فيه ولم ينكر أحد من علمائه عليها ، ولا قال انها زادت في الاسلام ماليس منه . وقال فاضل آخر : أود أن تقرأ هذه الرسالة في جميع المدارس النصرانية بعد حذف الكلام عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أي لاجل وقوف الناس على سر الدين المطلق ، ولعمري لم يتجل فضل الدين

في مؤلف يمثل السعادة للبشر في اتباعه كما تجلى في هذه الرسالة . ولذلك
جاء بعض أبناء المدارس الاستاذ يوما وقال اني أشكرك أن جعلتني
برسالتك مسلما فاني ما كنت أفهم معنى الدين وفائدته قبلها ، وقد اجتهدت
في ذلك ونظرت في التفسير فلم أفهم المقصود من القرآن لكثرة المباحث
اللفظية ونكت البلاغة . . .

﴿ جرائد سوريا المستعبدة ﴾

« لمة جديدة »

وارحمتاه للجرائد السورية المستعبدة لكل ذي سلطة وجاه ولا سيما
اذا كان شأنه الايذاء والاضرار بالناس ، يبيعون دينهم بدنيا غيرهم مكرهين ،
وما كان أغناهم عن هذه المهنة الحقيرة اذ كانوا متقين . نشرت جريدة
طرابلس في عددها ٢٧٩ الاخير رقيما بامضاء حسن خالد الصيادي أي
ابن سماحتلو الشيخ أبو الهدى افندي المشهور كتبه لبعض أتباعهم الرفاعية
الذي استأذنه بالرد على كتابنا (المحكمة الشرعية في محاكمة القادرية
والرفاعية) لانه اطلع على النبذة التي نشرناها من مقدمته في العدد الثامن
والعشرين من جريدتنا المنار . وقد كتبت الجريدة المذكورة مقدمة للرقيم
تحت عنوان « الانصاف وصف الاشراف » وفي هذا العنوان براعة تامة
لأن صاحب الجريدة يعتقد بشرف نسبنا ولا يعتقد بشرف صاحب الرقيم ،
فعنوانه فيه اعتذار خفي لنا على انه مجبور ومرضاة لصاحب الرقيم ، وقد الله
لم نؤاخذه على نشره ، ولكن آخذناه على مدحه بقوله « كان فصل الخطاب

وزينا جريدتنا بنشره الخ » وكان له مندوحة عن هـذا . . . فاذا عادت هذه الجريدة لمثل هذا فاتنا نقنعها بما عندنا من الحق بالصفة التي يعرفها صاحبها . أما كتابنا (الحـكمة الشرعية) فقد اطلع عليه أشهر العلماء في بلاد الشام واعجبوا بعلمه وبلاغته ونذكر أسماءهم اذا اقتضت المناسـبة . وأما في بلاد مصر فـكل من قرأ النبـذ التي كتبناها منـه فقد أطراً وأطراه حتى قال بعض الكتاب البلغاء انناحين قرأنا مقالة العدد الثامن والعشرين من المنار كدنا أن لا نميز بين كلام تلك المقدمة ومافيها من آيات القرآن لولا الحفظ . أما الرد على المقدمة المذكورة فليس فيها شيء من مسائل الخلاف يرد عليه ، وانما فيها ذكر مضرة الخلاف في الامة والحث على الاتفاق تحت لواء الخلافة ، ولـكن القوم يستطيعون الرد على كل شيء كما نعلم من كتبهم ، وعلى نحو الرقيم الذي نحن بصدده وما هو الاعبارة عن (شقاشق مزالق . هتك الانسانية بالافساد . السفلة . السفهاء . أرباب المقاصد السيئة والاغراض الدنيئة . هتك شرف ، اضرار . يجعل الباطل حقا والحق باطلا . والكذب صدقا والصدق كذبا . والرفيع وضيعا . والوضيع رفيعا . والكريم لئيما واللئيم كريما . يحط مقادير الـكرام ويهضم حقوقهم . يحرف مقاصدهم ويشمت بأساءتهم حسادهم . ذي غرض لئيم . جريء على الناس لمقاصد دنية . أمـة ساقطة جاهلة . الاوساخ الدنيوية . نار الشقاق . التهجم بغيا وعدوانا . العاجز الباغي هوانه . طيشا . الاحقاد خدعتهم . آذوا الحضرة ... الفتنة الحاسدين . بدسائس المفسدين . أهل النفاق . الشقاشق الزائدة . المباحث الباردة . بوالزمزم . مذبذب جاهل . قبيح فعاله . سفاسف آماله حرف المرف . قلب الخير شراً والشر خـيراً بمجرد قياسه العقلي الفاسد

ورأيه المكوس الكاسد . الخسيسة الدنيوية المفسدة ، يثير ضغائن ، الطعن أهل الباطل ، الحاسدين ، المفسدة ، صريح فالج دائه ، ذنب الغرائب ، الخزعبلات ، الترهات)

هذه هي ألفاظ الرقيم وقد ضمنه بعض أحاديث واهية منكرة يقصد بها التهديد كحديث « أهل الشام سوط الله في الارض ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم وان يموتوا الا هما وغما وحزنا » ولا يصح هذا الا عند مثلهم ، وقد ذكرني الحديث الذي وضعوه لاثبات افساد القادرية للدين وهو « يفسد هذا الدين عالم وابن ولي » (انظر صفحة ٣ من مقدمة لباب المعاني) ونحن لا يسمح لنا ديننا وأدبنا بمثل ذلك السفه والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم لنجعله رداً عليهم مقابلة للفاسد بالفاسد ، وان في القطر جرائد وكتبا قد كفتنا مؤنة الاول كجريدة الحشاش التي تصدر في الاسكندرية وكتاب المسامير الذي يتم طبعه قريبا ، أما كتابنا وجريدتنا فلا تنشر غير الحقائق مع النزاهة التي تليق بأدب المسلم ، واذا ادعى حسن بك خالد انه وأبوه لم يهمّا الكتاب الحكمة الشرعية فلماذا حركا نوري باشا لكتابة رد علينا وطفقا يردان بكلامهما الفاسد !! واجبرا جريدتي بيروت والثمرات على نشر رسالة نوري باشا وربما يجبران جريدة طرابلس على نشرها بعد امتناعها كما جبراها على نشر كلامهما !! واذا كان قومهم على وفاق مع القادرية فليصرح أبو الهدى افندى في الجرائد بتكذيب (لباب المعاني) وسائر كتبه التي تطمن بهم وتكفرهم !!!

﴿ المسلمون في جاوا ﴾

طلب المسلمون الذين تحكمهم دولة هولاندا كأهالي جاوا وأمثالهم من حكومة هذه المملكة ان يتجنسوا بالجنسية العثمانية فاهتمت لذلك حكومة هولاندا والباب العالي ولكن هولاندا قد ... اهما هذا الامر فطلبت من الباب العالي ان يسترجع قناصله من مستعمراتها لأنهم يزرعون محبة الدولة العلية في قلوب المسلمين!! اما الباب العالي فطلب اليها اجابة هذا الطلب ولا يزال البحث جاريا في شأنه

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ (*)

الخلافة والخلفاء

ليس من غرضنا في الكلام على الخلافة بيان شروطها وانطباقها على القائم في مقام الخلافة لهذا العهد أو عدم انطباقها ، فان هذه المباحث انما يأتيها أرباب الاغراض الدنيوية، بل الامراض الروحية، الذين يثيرون رواكد الاوهام ، و يسيرون في دياجير الظلام ، ونقول قبل الدخول في البحث ان كل من يحاول اشراب الافهام وجوب نزع الامامة من بني عثمان فهو عامل على الاجهاز على السلطة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود، وما لهؤلاء النوكى من تكأة يتكئون عليها الا قولهم « الخلافة في قريش » وغفلوا أو أغفلوا الشروط المهمة التي لا توجد اليوم في

(*) فاتحة العدد الثالث والثلاثين الصادر في ١٦ جمادي الآخرة سنة ١٣١٦

قرشي كالعدالة على شروطها الجامعة ، والعلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام، والرأي الصحيح المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح وجمع الكلمة . وكل الذين توسوس لهم أمانيهم بالخلافة وتطربهم جرائدهم باستحقاقهم لها عراة من هذه الصفات التي هي أركان بناء الخلافة، وما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش الا لما كان لهم من المكانة في النفوس التي من أثرها اجتماع القلوب عليهم، والاذعان لسلطانهم عن رضى واختيار ، وقد نال هذا المعنى آل عثمان فحصل المقصود الشرعي به

انما نتوخى في هذه المقالة الالماع الى أهم وظائف الامامة وكيف خرجوا بها عن حدها حتى صارت مثار النزاع والشقاق ، بعد ان كانت معقد الاعتصام والاتفاق ، فضلت الامة بذلك عن رشادها ، وفتنت في دينها ، ووقعت في نيران الاختلال ، وأصليت جحيم فقد الاستقلال ، وحق لأفرادها أن يقولوا: ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، وهذا عين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم التي أمرنا بها في الحديث الصحيح

الامامة الكبرى هي خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، فهي جامعة لما يسمونه السلطة الروحية والسلطة الزمنية معا . وقد بينا في العدد الثاني والعشرين من جريدتنا أن نظام الاجتماع البشري لا يتم بدون هاتين السلطتين بل لا تتكون الامم والشعوب الا باحداهما أو كلتيهما ، واجتماعهما في رئيس واحد أعظم مبدأ للوحدة القومية الكاملة ، وبينا أن تفويض أمر السلطتين للقائمين عليهما بحيث تكون ارادتهم شريعة ومشيئتهم قانونا لا رادّ لأمرهم ولا معقب لحكمهم — تغرير بالامم ، و يؤدي غالبا الى

تطويحها في مهاوي العدم ، وان سعادة البشر موقوفة على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية، وجعل الناس فيها شرعًا لا مزية لرئيس على مرؤوس الا بما يمتاز به المرؤوسون بعضهم على بعض ، ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون ، وان الديانة الاسلامية هي التي حددت الشريعتين ، وقيدت السلطتين ، وألمعنا هنالك الى بعض سيرة الصحابة مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذلك ، فليرجع الى العدد المذكور من شاء

بهذا فتح للنوع الانساني باب كان مغلقا عند كل الامم والشعوب المتمدنة وهو ما يسمونه المبدأ الديمقراطي الذي يظهر به استعداد الافراد، وتتجلى به قوى الشعوب، ويرقى به اوج السيادة، وتنال به غاي السعادة . فتح هذا الباب بمصراعيه فدخل الناس منه الى مدنية جديدة ماعتم الداخلون فيها أن صاروا بعد شدة العداء اخوانا ، وبعد الاثرة والتعدي والطمع يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، وبعد المحاباة متساوين في الحقوق لا فرق فيها بين أعظم عظمائهم وبين أخس مخالفيهم في دينهم وجنسهم، وما كان الملك من ملوكهم ان ينال امتيازا في الحق على صعلوك من صعاليكهم، ومن شواهد ذلك ان امامهم عمر بن الخطاب عليه الرضوان ابى الا أن يقتص من جبلة بن الايهم ملك بني غسان حين لطم أعرابيا مجهولا، ففر جبلة من هذه المساواة حيث لم يكن وقر الاسلام في صدره ، ولجأ الى النصرانية . وصاروا بعد العبودية للاوهام والخضوع للاصنام أحرارا لا يخضعون لغير الحق، ولا يداجون أحدا في الحق، فمحيت بذلك السلطة المقدسة والطاعة العمياء ، ومحق التمرد والاستبداد ، وترفعت النفوس عن

الدنايا والخسائس وتوجهت الى معالي الامور

حسبك دليلا على تقيد سلطة الخلافة في الاسلام مع الشورى قول عمر — وكفى باسم عمر مدحا الذي سارت به الركبان وصار مثلا عند جميع الامم — : «من رأى منكم فيّ عوَجا فليقومه» قاله على المنبر فقال رجل: لو رأينا فيك عوجا لقومناه بسيوفنا، فقال «الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوّم عوج عمر بسيفه»

يظن قوم أن هذا القول جاء به عمر من نفسه، والحق انه نطق بالشريعة التي قلبت طبيعته من أسوأ الاحوال الى أحسنها، وقول عثمان في خطبته التي خطبها في الناس يوم جاء أهل الامصار يتصفون اليه في شأن بني أمية: «يا أهل الامصار قد جئتم من البلاد البعيدة تطالبوني بأمور لم أكن أنا الذي ارتكبتها وحدي — الى أن قال — وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه، فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمري لامركم تبع» فتأمل قوله: فأمري لأمركم تبع.

ولقد كان الامراء وقواد الجيوش من الصحابة يسألون من الروم وغيرهم عن الامارة، يقال لأحدهم هل أنت أمير هؤلاء القوم؟ وانما يسألونه لانه مساوٍ لقومه، لم يتميز عنهم في شارته وزيه، فيقول هكذا يقولون مادمت على طاعة الله تعالى، فاذا خالفت وعصيت فلا طاعة لي عليهم أولا امارة لي عليهم. ومثل هذه الشواهد في كلامهم كثيرة جدا، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد

لولا ان المسلمين كافة كانوا يعلمون ان الامام مقيد بالشريعة التي توجب عليه تحري مصلحة الامة في كل عمل يعمله لها، وانه مؤاخذ على كل

خطأ ، لما وفد أهل الاقطار على المدينة المنورة يناقشون عثمان «عليه الرضوان» الحساب على ظلم عماله الامويين ، وتألبوا على خلعه أو قتله ثم قتلوه — ظلما — بغير محاكمة شرعية ، فأهين بهذا التطرف في الحرية والغلو في الافتئات مقام الخلافة الذي كان حفاظ الدين ، وأعقبه التفرق والشقاق ، وكانت تلك الصدمة الاولى التي لم يندمل جرحها حتى اليوم ، أهين ذلك المنصب الشريف الذي كان المرجع في حل المشكلات ، والضياء في ظلمة الشبهات ، فانفصمت عروة الوحدة ، وانحلت ربط (بضمتين جمع رباط) الاجتماع ، ونجم عن التفرق في الخلافة التفرق في الدين نفسه بحدوث المذاهب المختلفة ، ومن الذي يرد ذلك التعدد الى توحده والافتراق الى اجتماع وهو من وظائف الخلافة التي حدث عنها

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء ؟

كانت حرمة الخلافة تبيح لعبد حبشي كبلال (رض) أن يعتقل سيد بني مخزوم وفاتح بلاد الرومان (الشام) بعمامته على ملأ من الناس ويقوده الى أبي عبيدة ليناقشه الحساب ، أو يبعثه الى الخليفة الذي أمر بذلك

ومن هنا تعلم فائدة استخلاف الامام قبل موته من توفرت فيه الشروط ، وهي قطع عروق الخلاف الذي هو مطعاة الفتنة ومبعث الشقاق والهرج كما حصل ، سنة أسنها الخليفة الأول وأجمع الصحابة على قبولها وجنوا ثمار منافعها ، ولكن الامة اذا انتكست — والعياذ بالله تعالى — انقلبت منافعها الى مضار ، وتحولت وجوه مصالحها الى مفاسد ، وكذلك كان شأنهم في الاستخلاف . اتخذوه وسيلة الى جعل الخلافة إرثاً عصوراً في الاقربين

والامل، وان كانوا ليسوا بأهل، واشترعوا في ذلك شرعاً لم يأذن به الله،
وفات بهذا التوارث معنى اختيار أهل الحل والعقد من الامة من يرونه
صالحا لهذا المنصب، فوسد الامر الى غير أهله وهي الصدمة الثانية التي صدم
بها الاسلام وأهله، واذا أضفتها الى الصدمة الاولى وهو تعدد الخلفاء يتجلى
لك انهما كانتا كافيتين لمحو السلطة الاسلامية من القرن الاول وعدم امتدادها،
ولكن روح الدين نفسه كانت في ريعان شبابها فقويت على أعراض هذه
الامراض العارضة، فلم يظهر أثرها الا بعد ضعف الدين نفسه، كذلك يطرأ
على الجسم في طور الشباب داء دوي فتدفع أعراضه قوة المزاج حتى
لا تكاد تظهر فاذا ألم بالمزاج ما أضعفه من كبر أو غيره نمت جراثيم الداء
وظهرت أعراضه، ثم تغلب الاسلام بقوته المساوقة للفطرة فكانت
طبيعة الوجود مساعدة له على تدفق سيله الذي أروى العالم وامتداده
الذي لم يعهد له نظير في التاريخ   (لها بقية)

اليأس والرجاء في مصر

للاطباء في معالجة الادواء ومداواة الامراض طريقتان معروفتان
احداهما مقاومة المرض بتناول الادوية في أوقات معينة بمقادير معلومة
وهي معالجة المريض بما هو خارج عن ذاته منفصل عن ماهيته والثانية
الازم بمنع المصاب من كل ما يزيد المرض ويطيل أمده وهو الذي يسمونه
الحمية ومحاولة تقوية المزاج بذلك وبما يستلزمه من تدبير الغذاء المناسب
والنظافة التامة واستنشاق الهواء النقي وحسن الخدمة وازالة ما يهيج

الأقطار ويؤلم النفس من كل شيء. وهذه الطريقة هي المثلى وعليها يعتمد
الحكيم النطاسي وبها يقضي لأن المدار إنما تقوية المزاج حتى يقدر على
دفع المرض بذاته، والعلاج بالأدوية والتدابير انما هو مساعد لقوة
المزاج على دفع المرض لا انه هو الدافع له فهو كالسلاح لا عمل له في
نفسه ولكنه مساعد الشجاع على الظفر

وحدة السيف ان يزهو بجوهره   وليس يعمل الا في يدي بطل

وقد ضرب سيف الزبير بن العوام رجلاً فقدّه نصفين فقيل له
ما أمضى سيفك! فقال كلا انما هي قوة الساعد. فإذا ضعف المزاج وحرض
البدن لاستحكام الداء فالعلاج الخارجي لا يكاد يفيد شيئاً، واذا قوي
فربما يطرد المرض من غير مساعدة الدواء، وأكثر المعالجة ما كانت
بالطريقتين معاً فان القوي الأعزل اذا غلب اليوم فلا يأمن أن يغلب
غداً، هذا كله معروف في معالجة الاشخاص

ما أشبه أمراض الامم بأمراض الافراد وما أشبه معالجتها بمعالجتها.
اذا مرضت الامة بانتشار الجهل فيها واستبداد حكامها أو فقد المحبة منها
والغفلة عن الجامعة التي تضمها وتجمعها، أو الانخداع لعدو في ثياب صديق
طمح بها وعمل على تفريق كلمتها بعنوان الناصح المصلح، أو الاغترار
بنعيم يزول وصفو عيش لا يدوم، وأعقب هذه الامراض افتقاد الثقة
بين الحاكم والمحكوم أو بين الافراد بعضهم مع بعض والالتجاء الى الاجنبي
واتخاذه بطانة والاعتماد عليه والثقة به وكثرة الرشوة والمصادرة والسخرة
والتعذيب من الحاكم للمحكومين والسفه والتبذير من الخاصة والعامة
وصارت الامة بهذا كله طعمة لكل طامع ونهبة لكل ناهب ظالم

وضربت الامم القوية بصيد بلادها وضربت الدول الفاتحة في احشائها فعظم عليها الخطب وأنساها هذا المرض الاخير جميع ما تقدمه من الامراض المتولد هو منها لانه هو الذي يودي بحياتها وينتهي بمماتها (وهو فقد الاستقلال) — اذا كان هذا كله — فهل الصواب الاهتمام بمعالجة هذا المرض دون ما تقدمه من الامراض لانه المذفف على تلك الجروح والمجهز على حياة الامة أو الاعتناء بمعالجتها جميعاً ؟ ؟

أقول ان السعي بمعالجة مرض نتج من أمراض أخرى تقدمته مع بقاء تلك الامراض متأصلة في الجسم عبث وضلال وقصارى ما تفيد هذه المعالجة ازالة بعض أعراض المرض بأدوية خارجية ولا يؤمن بعد ازالته أن يعود هو أو مثله ما دامت العلة الاولى موجودة بمقدماتها كلها

وبعد هذا فموضوع كلامنا المسئلة المصرية واستقلال مصر، مرض مصر الاخير الذي تولد من تلك الامراض التي أشرنا اليها هو الاختلال الذي انتهى بالاحتلال الانكليزي لها وأعني بالاختلال فقد الانتظام من المعيشتين العائلية والوطنية ومن السلطة الحاكمة والاحتلال الانكليزي

من شأن المريض الاهتمام بازالة أشد اعراض مرضه ايلاما بأقرب الطرق وبأسرع الادوية فعلا ولذلك قد تعلقت آمال المصريين بأوربا وكلما عن سبب لذكر المسألة المصرية اتلعوا مادين أعناقهم اليها وطامحين بأبصارهم الى فرنسا التي تحسد انكلترا على سبقها لهذه الغنيمة (الاحتلال) واستئثارها بوادي النيل الذي يعطيها السيادة على كل دولة عظيمة وصار الرأي العام المصري كما قيل

كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

وأري ان مسألة فشودة هي آخر مافي طوامير النفوس من الرجاء والامل بأوربا وفرنسا فاذا انتهت على ماتحب انكلترا وترضى أو على مافيه منفعة الامتين دون مصر فلا جرم ان مرائر الرجاء تسحل وأسباب الامل تقطع ، ولكن هل ييأس المصريون من الاستقلال وجلاء الانكليز ؟ أقول من الحق أن يعتمد المريض على الضماد والطلاء الخارجي الذي عسى لا يفيد واذا أفاد فانما هو تسكين ألم أو ازالة عرض ربما يكون زواله وقتيا. والواجب الذي لا تخيير فيه انما هو الاعتماد على المعالجة الداخلية والعمل على اجتثاث جراثيم المرض واستئصال ميكروبات الداء وتقوية مزاج الامة حتى يكون في مأمن من مضرة اعراض المرض كما وقع لقبائل المرته في الهند ثم يدفع بطبيعته أصل الداء كما اتفق للولايات المتحدة في أمريكا

كل قارئ لهذه الجريدة عنده علم من خروج الامريكيين على حكامهم البريطانيين واخراجهم من بلادهم قهراً واستقلال بلادهم عند ماعمتها التربية وانتشر في ربوعها التعليم الصحيح ، وأما قبائل المرته الهندية فقلما يوجد عند أحد من هذه البلاد علم عن حالها ، واننا نشير الى مجمل من خبرها فيه عبرة لمن يعتبر

امتازت تلك القبائل بتهذيب الاخلاق ومحبة جنسها ووطنها واتفاق أفرادها وتضافرهم على كل مافيه مصلحة ومنفعة لهم، واتخذوا لهم رؤساء فضلاء لا يشذون عن طاعتهم ، ومن سجاياهم حب المسالمة والاتفاق مع مجاوريهم والطاعة لحكامهم ، ولما دخل الانكليز بلادهم واستولوا عليها أصفقوا [١]

(١) اصفق القوم على الشيء أي اجمعوا عليه

على عدم قتالهم وسلموا تسليماً، ولو كانوا حربيين كقبائل الافريدين لما تسنى لبريطانيا اخضاعهم أبداً بل لكانت سلطة بريطانيا على خطر منهم في الولايات المجاورة لهم ان لم نقل في الممالك الهندية كلها لان الاتفاق والالتئام في الامم لا يغالب . سلموا للانكليز ولكن أتدري بماذا ؟ عقدوا مجالس الشورى وأقروا باتفاق الآراء على التسليم للانكليز بشيء واحد وهو دفع الاتاوات التي يفرضونها عليهم مهما بلغت وما وراء هذا فكل من تحاكم الى حاكم انكليزي يقتل قتلا محقا كان أو مبطلا ومن اشترى من تاجر انكليزي سلعة يقتل مهما اشتدت حاجته اليها . وعلى ذلك جروا من غير ما إخلال وظلوا على عادتهم في لبوسهم وما عونهم وسائر حاجهم حتى تعلم طائفة منهم الصناعات الافرنجية في أوربا بعثهم قومهم لهذه الغاية فتعلموا ورجعوا يعلمون ويصنعون ومن ذلك الحين كثر استعمال الماعون والنسج الاوربيين ونحوهما

ولما كانت الطرق الحديدية مما يختص بالحكومة لم يمكنهم انشاؤها في بلادهم وقد كانوا متفقين على عدم الركوب ونقل البضائع في السكك الحديدية التي أنشأها الانكليز في بلادهم والاعتماد في ذلك على الابل ونحوها ثم وجدوا ان في ذلك تأخرا في التجارة فصاروا يركبون ويتجرون فيها . واتفق يوما ان أحد وجهائهم أراد السفر في الرتل (القطار) الحديدي فأخذ تذكرة من تذاكر الدرجة الاولى ولما دخل المركبة صادف فيها رجلا انكليزيا أراد منعه من الجلوس معه ترفعا فأطلعه على التذكرة التي تؤذن بأن له الحق بالركوب في تلك المركبة فأصر الانكليزي على منعه وأصر المرتي على عدم الامتناع فلطمه الانكليزي ودفع به الى خارج المركبة فاقطع الرجل عن

السفر ولم تمض على الحادثة أيام حتى بلغ الخبر لجميع قبائل المرته الضاربين ما بين كلكته وحيدر اباد (ولهم وسائط مخصوصة لنقل الاخبار وايصال صوتهم الى سائر أطراف بلادهم) وحتم عليهم أن لا يركبوا بعد ذلك في الاتال الحديدية ولا ينقلوا فيها عروض تجارتهم . وكان الامر كذلك ورجعوا الى جمالهم ونياقهم وكادت السكك الحديدية المارة في بلادهم الواسعة تبطل اذ معظم عملها معهم ولا شغل فيها لغيرهم الا ما كان من مسافر سائح أو عسكر ينقل من مكان الى آخر وبعد البحث من مدير المصلحة علم السبب واجـ . في مرضـ القوم وما قدر على مصالحتهم حتى بلغ منه الجهد واشترطوا عليه أن ينقل أشخاصهم وبضائعهم مدة ستة أشهر بدون أجرة ولا مقابل فرضي بذلك

فهذه ثمار بعض الحب والاتفاق الناجين عن حسن التربية القومية، فهل أضرت بأولئك القبائل سيادة الانكليز عليهم ? هل أذلت نفوسهم وملكت عليهم أمرهم ? هل استحوذت على أراضيهم واستأثرت بتجارتهم وصناعتهم ? هل استبدت على أمرائهم ورؤسائهم وافتأتت عليهم . . ? هل استطاعت القبض على زمام تربيتهم وقيادتهم بها الى الخضوع لعظمتهم والخنوع لعزتهم بله التجنس بجنسيتهم ? هل فعلت بهم شيئا من الافاعيل التي فعلتها بسائر الهنود والتي تفعلها في مصر وهي لم تستول على مصر استيلاء شرعيا رسميا كاستيلائها عليهم ??

كل ذلك لم يكن فعلام لا يعتبر المصريون بهؤلاء القوم ويندفعون الى التربية الوطنية القومية والى م يعرضون عن العلاج الصحيح لمرضهم وهو تقوية بنية الامة بالتربية الصحيحة ولا سعادة لهم الا بها وحتام يعدون

أخلاقهم ويقتمون رؤوسهم ... موف بأيصارهم على من لايسعى الا لمصلحته ظن وافقت مصلحتهم فالسعي لنفسه لاألم والنظر اليه والزجاء به لايزيدانه شيأ في مصلحة نفسه ؟

فيا أيتها الامة التعسة الحظ النكدة العيش هبي من نوم الغفلة. وانفضي عن رأسك غبار الخمول ولا تخدعي لكلام المغررين لا تيأسي من روح الله ولا تعتمدي بعد التوكل عليه الا على سعيك فالعلاج الصحيح الذي يدفع عنك جميع الامراض ويذهب مع المرض الذي تبرء « الاحتلال » بسائر الاعراض انما يطلب منك لانه يتعلق بداخليتك وما هو الا تعميم التربية الصحيحة والتعليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الانصاف من مزايا الاشراف

عثرنا على مقالة في بعض جرائد سوريا المتصبغة بإمضاء « السيد محمد نوري الكيلاني » ملخصها انه اطلع على النبذة التي نشرناها من مقدمة كتابنا الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية في جريدتنا (المنار) ووصف الكتاب رجما بالغيب بانه بذر بذور شقاق جديد بين الطائفتين وافتتح باب فتنة سده الله » وأننا ان زعمنا الحب لجده الكيلاني فعلينا ان نحترم الرفاعي وان غير ذلك من مزالق المهالك ويجب على اتباع الشيخين ان يضرب به وجه صاحبه وختمها بالتهديد والوعيد على طريقة الذي حركه لهذه الكتابة وتمثل ببيتين من الشعر يومىء بهما الى انه متحد مع رئيس الرفاعية سماحتلو الشيخ ابي الهدى افندي وانهما يحرقان بالسر خصمهما

وبذيانه ولو كان من حديد!! وذكر أن هذا الخطاب لعصبية الطائفتين

وقد ذيل الرسالة صاحب الثمرات الفاضل بأنه يرجو اقفال هذا الباب وأن مقام القطبين محفوظ لا تؤثر فيه العوامل مهما تلونت صبغتها، ونحن نقول في الجواب: ان ما وصف به الكتاب سعادة نوري باشا هو وصف غير صحيح والكتاب انما ألف في وقت احتدام النزاع لاجل سد باب الفتنة وبيان الحق في مسائل الخلاف والنزاع لكيلا ينخدع أحد بتلك الكتب التي ذهبت بحرمة الطريق ورجاله ومست الدين نفسه ويستحيل على قارئها أن يعتقد بأحد القطبين بل يخشى عليه ان لم يكن راسخاً في العلم والدين أن يختل اعتقاده الاسلامي والكتاب يبرئ الشيخين من كل نميمة عزوا بها ويؤول ما انتقصتها به تلك الكتب اذا أمكن تأويله والا يرده ويثبت بطلانه ويضع حداً للاطراء الذي غالى به جهال اتباعهما فرفعوهما به الى مقام الالوهية، فقول سعادة الباشا اذا كان يحب فلاناً فليحب فلاناً أيضاً نجيب عنه بخصوصه بأننا نحب الاثنين محبة اقتداء بهديهما ولا نخرجهما عن كونهما عبدين لا يملكان لنا بل ولا لنفسهما ضراً ولا نفعاً ونعترف لهما الاحترام الشرعي ولا نعترف بشيء يخالف الشرع فهو الحق (فماذا بعد الحق الا الضلال؟) وأذا فهم هذا سعادة الباشا يعلم أن كتاب الحكمة الشرعية لم يؤلف مرضاة لعصبيته لان فيهم أغنياء ومكاسين، ولا لعصبية الرفاعية لان لهم رئيساً يهب الرتب والنياشين!! وانما مرضاة للحق الذي لا يعدم نصيراً وظهيراً في كل حين فسقط بهذا تهديده سواء كان على ظاهره أم اشارة الى تمكنه مع الآخر من الايذاء وعلى كل حال فتهديده وتهديد الآخر سواء

ومن آية صدقنا قولنا اننا لم نؤلف الكتاب الا لسكب مياه النصح على نيران الضغائن لتتلاقى القلوب على الصفاء والوداد ما كتبناه في التنبيه السادس من المناقشة العاشرة من الشعب الاول من المقصد الثاني من كتابنا (الحكمة الشرعية . . .) المذكور وتلك المناقشة هي في قول (لباب المعاني) في القادرية « يجازون على الحسنة بالسيئة وعلى الحسن بالقبيح » الوارد في الشاهد التاسع والاربعين من شواهد السفه والشتم والهجو الشعري في ذلك الكتاب واننا نورد هنا ملخص ذلك التنبيه وهو

تخصيصه « أي مؤلف لباب المعاني » صاحب القلادة « هو أبو الهدى افندي » بالاحسان للقادرية دون غيره مع قوله انهم يجازون على الاحسان بالاساءة فيه ايماء الى ان من القادرية من أساء الى مؤلف القلادة نفسه وتخصيصه ذلك بغالب القادرية يكاد يخرجه من الايماء الى الظهور ولم يصرح بتلك الاساءة اكتفاء بوضوح الاشارة وتحاشيا من زيادة شيوعها وعلم من لم يعلم بها وهي على ما ظهر لنا انكار غالب القادرية « الشرقيين » على كيلانية حماه الذين صاهروا الافندي المشار اليه ووقوع النفور بين بعض وجهائهم وبين من صاهره ومن رضي عنهم وشايعهم على ذلك الاعتقاد أولئك المنكرين الناقمين أنه ليس كفؤا لهم من حيث شرف النسب اذ يرون انه ليس من ذرية أبي الخير أحمد الصياد « قدس سره » وان الصياد هذا ليس من الاشراف وانما هو من عرب العمير والقائلون بشرفه يأتون على انه عراقي قلت وممن صرح بأن الشيخ أحمد الصياد هذا يمني شيخ الاسلام التاج السبكي في الطبقات الكبرى .....

هذا ما بلغنا ــ والعهدة على الراوي ــ واذا صح فهو لا يقتضي القطع بانكار النسب المذكور لجواز ان يكون صحيحاً ولم يقفوا على صحته وسيأتي البحث في ذلك في محله

ولعله صح عند سماحة أبي الهدى افندي طعنهم في نسبه وقولهم انه تمكن من اشاعة دعواه بواسطة الجاه الدنيوي حتى عرض بنسب جدهم الغوث الاعظم في كتبه ورسائله المنشورة باسمه وانما لم يطعن بنسبتهم الى حضرة الغوث قدس سره لان طعنه بها لا يقدح في تواترها ولا سيما بعد العلم بان ثمة غرضا باعثا عليه واتصال نسب الغوث بالبضعة الطاهرة وان كان متفقا عليه ومعلوما بالتواتر كما يستفاد من عبارة العلامة الالوسي المارة ــ وتفصيله في المقصد الرابع ــ فالطعن فيه ربما يوهم ان ثمة مطعنا لان قائله لم يقله من عند نفسه وانما يسنده الى بعض المتقدمين الذين هم مظنة للصدق والخلو من الاغراض والمنافسات القائدة الى هذه المساوي والقاذفة في هاته المهاوي

فان قيل من البين أن مقصد هذه الشرذمة من الرفاعية اعلاء قدر الرفاعي وتغليب صيته على كل أولياء الامة وعلى الجيلي بوجه خاص فلأي شيء صرح الشيخ أبو الهدى افندي وهو رئيسهم ــ على ما صرح به البحريني في الصفحة ٧٩ ــ بأن الاقطاب الاربعة سواء في النسب والمرتبة والقدم والفيض ألا يدل هذا التصريح على انه لا يرتضي بكلام تلك الجمعية من الرفاعية ولا يذهب مذهبهم في كتبهم الحديثة التي اختلقوها على بعض الغابرين فضلا عن كونه رئيساً لهم كما يعلم من كتاب لباب المعاني ؟ . . . فالجواب لا دلالة في عبارته على ما ذكر فانه كتب تلك العبارة

قبل التصدي للانكار على القادرية والشروع أو التمادي في الغلو في شأن الرفاعي المقارن لغمط حقوق الجيلي بل الذي يترجح لناظر نحو (هداية الساعي) من كتبه الاولى أن غاية قصده اشراب الافكار مساواة الشيخين وربما لم يكن طامعا بمساواتهما في الشهرة على أن له في تلك الكتب عبائر تشعر بتفضيل الرفاعي على غيره الا انه اعتذر عنها قبل إيرادها بأن اتباع كل شيخ يحق لهم تفضيله على غيره لكونه وسيلتهم وواسطتهم الخ . . . ويوشك ان يكون كتاب هداية الساعي أول دفتر أنشأه في شأن الطريقة الرفاعية كما يؤخذ من مقابلته بغيره من كتبه في اللفظ والفحوى سواء كانت المقابلة في النظم أم في النثر وسواء كان ذلك في مقوله أم في منقوله (وربما ننشر في المنار شيئا من هذه المقابلة) ولقد طبع الكتاب المذكور في استانبول سنة ١٢٨٩ وكان مؤلفه يومئذ نقيبا في جسر الشغراي أوائل رقيه في مراقي الجاه الدنيوي وكان من أخلاقه وعاده في تلك الايام التملق لاشراف البلاد ووجهائها وتمداحهم بالاشعار ككيلانية حماه وكيالية حلب وخلق التملق هو الخلق الفرد الذي ينهض بذويه الى الحصول على سعادة الدنيا من المال والجاه ، ولو توخينا الاستدلال على عدم صحة ما ينسب لذلك الرجل في حق الجيلاني والجيلانية من الكتاب المذكور لكان لنا في غير تلك العبارة المشار اليها في السؤال دليل واضح على احترامه للقادرية وتعظيم طريقهم والثناء على الامام الجيلاني ثناء لا يحتف به تعريض بطعن ولكن الاستدلال بما في ذلك الكتاب المؤلف من نحو عشرين عاما على أحوال مؤلفه وعلاقاته مع غيره الا ن غير معتبر الا اذا أيده تكذيب ما نشر بعده من الكتب المخالفة له، ومع

ذلك فلا بأس بذكر ما هو من شعائر الود والصفاء، وعلائم المحبة والوفاء، استمالة للقلوب، وتذكاراً للعهود، وتزييلا بين أيام المناصبة والمناواة، وأيام المصاحبة والمولاة، لعلهم يرجعون

ذلك أن سماحة الشيخ أبي الهدى افندي قد نص في الكتاب المذكور على أنه قد تشرف هو ووالده الشيخ حسن وادي بخدمة الطريقة القادرية على يد بعض أكابر مشاهير شيوخها وتفصيل ذلك في خاتمة الكتاب من الصفحة ١١١—١١٣ ونص عبارتها بحروفها نشرناها برمتها في الكتاب ونأتي بملخصها هنا على ما شرطنا

قال بعد البسملة والحمدلة والتصلية « وبعد فمن منّ ربي علي لي شرف ثان بخدمة طريقة سلطان الاولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره العالي وقد تشرفت بالانتساب لخدمة طريقته البهية وحضرته القادرية وأذنت بالخلافة المباركة من حضرة والدي الامجد السيد الشيخ حسن وادي بن علي بن خزام بن علي ابن الشيخ حسين البغدادي ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمود الصوفي دفين شط الموصل الحدبأ الصيادي الخالدي نسبا الرفاعي طريقة ومشربا نفعني الله بهم أجمعين وسيدي الوالد تخلف ولبس الخرقة القادرية من يد حضرة شيخه زبدة العلماء وكوكب الصلحاء شيخ السجادة القادرية في حماه لازال قطره عامراً بوجوده وحماه القائم لله على قدم الوفا الشارب من خمر الصفا مفتي الاسلام بضمة الاولياء العظام كعبة الطالبين ومورد السالكين مرشد هذه الطريقة بكل المعاني والبدل الحاضر عن حضرة جده الجيلاني سيدنا الامجد المحترم السيد الشيخ محمد مكرم أفندي ابن المرحوم شيخنا

الكبير وامامنا الشهير الشيخ محمد افندي الازهري دفين بغداد بجوار جده الغوث الاعظم بن حضرة المرحوم الشيخ عمر بن شيخ مشايخ زمانه واستاذ عصره وأوانه قرة العين الشيخ ياسين بن قطب الدائرة القادرية بالاتفاق دفين حماه الشام السيد الشيخ عبد الرازق — وساق النسب الى أن قال — ابن حضرة الغوث الاعظم سلاب الاحوال استاذ الرجال الدرة البيضاء الجامع بين المشوقين الكبريت الاحمر الهيكل الصمداني والقنديل النوراني سلطان الاولياء باز الله شيخ مشايخ العرب والعجم كنز المعارف ومعدن المعاني السيد الشيخ عبد القادر الحسني الحسيني الصديقي الفاروقي المعروف بالجيلاني رضي الله عنه — وساق نسبه بلقب السيد لكل فرد الى الامام الحسن السبط رضي الله عنه ثم قال — هذا النسب العلي المتصل من مرشدنا وشيخنا السيد الشيخ مكرم أفندي لجده الاعلى صلى الله عليه وسلم . ثم أثنى على شيخه وشيخ والده المذكور كثيرا منه انه تمت له الكمالات في الظاهر والباطن وختم ذلك بهذه الابيات

يا طالبا مدد الجناب القادري ... مل للحما الحموي وقف بالحاضر
وانزل بباب الازهري امامنا ... شيخ الطريق بباطن وبظاهر
أسد غيور قادري هاشمي ... حصن من الزمن الخؤون الغادر
علم له النسب الرفيع وشأنه السا (م) مي سما بحقائق ومآثر
مدد له المدد العظيم وسره ... سيف القضا المردي لكل مكابر
حبر عليّ مناقب أنواره ... كالشمس لامعة لعين الناظر
سر خفي ليس يدركه الفتى ... الا بعين بصيرة وسرائر
بدل عن الجيلي حل بحينا ... فمقامنا عال بعبد القادر

قل للجهول عميت عن أحواله ... وله العناية كابرا عن كابر
وعظ الغبي وقل تقدم والتمس ... مددالعلا من خير ركن عامر
فوحقه لاشك عندي انه ... بدل وقدشهدت بذاك بصائري
وتحققت نفسي حقائق فضله ... ياعاذلي في حبه كن عاذري
أنا لاأمل ولا أميل وان جفا ... أبداوان قطعت لذاك مرائري

(قال) — «وهنا ذكرنا هذه النبذة الجزئية من أحوال السادة القادرية وأرجو من كرم الله ان يمن على بجمع رسالة في ذكر أحوالهم الكريمة لتحصل لي بسببها بركات هممهم العظيمة والسلام ختام» اه ملخصا بالحرف

قلت فالشيخ أبو الهدى أفندي ووالده الشيخ حسن وادي من تلامذة القادرية وأتباعهم واستاذهما ومرشدهما الذي تشرفا بالسلوك على يده في قيد الحياة حتى الآن «أى وقت التأليف وقد مات» فيجب أن لا يصدهما زخرف الحياة الدنيا عن بره فبر الآباء في الطريق متأكد عند القوم تأكدا عظيما وقد أنذروا عاق والده الروحي أي أستاذه في الطريق بالحرمان من الفتوح وبالسلب والعياذ بالله تعالى ونصوصهم في هذا المعنى غزيرة شهيرة · ومن البر أن يعلن أبو الهدى أفندي تخطئة البحريني مؤلف لباب المعاني الطاعن بحضرة الغوث الاعظم وبجميع القادرية على الاطلاق وبشيوخهم بوجه خاص وبذلك يظهر ان ذمته بريئة من تأليفه ومن الحمل عليه فانه متهم بذلك كما تقدم في المقصد الاول وأن يصرح بأن الطعن بالعلامة الشطنوفي وبالامام الجيلي المفضل في كتب الرفاعية المنتشرة في هاته الاوقات مختلق لاصحة لمضمونه ولا لنسبته لبعض العارين وفقا للحجج التي ينصبها على ذلك كتابنا هذا وبذلك تتبين نزاهته وبراءته مما يشير اليه

كلام البحريني من كونه رئيس لجنة الرفاعية كما هو الرأي للمتنبهين لحدوث نشأتها وجدة صبغتها .

أما ان هذا لهو خير من التناكر والتنافر والتقاطع والتدابر واذاعة ذلك وسائل ومقاصد بلسان المطبوعات وفيه جعل آل بيت نبينا مضغة في الافواه ومشاهير أسلافنا الماظة بين الشفاه . وعسى أن لا يعد سماحة الافندي المشار اليه عن اجابة ملتمسنا ماينقله اليه الهمازون اللمازون ويقته عنده المذاعون عن بعض القادرية مما يحتمل ان يكون لا صحة لجميعه أو مجموعه عنهم ولو فرض انه صحيح فما الكلام اللساني الاعرض يتلاشى في الهواء وهم لم يثبتوا في كتاب أو رسالة فيما علمنا ، وعلى كل حال فالحقائق لا تخفى سواء قال الناس أم لم يكونوا يقولون ، وسواء داجى المداجون وصانع المصانعون ، وأنكر الحادون وكابر الحاسدون . أم لم يصانع مبتغي الصنيعة ولم يكابر باغي القطيمة . وان كان لا بد من المماثلة فادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم

عبرة

(المنار وجريدة طرابلس)

وقفنا في جريدة طرابلس والمنار تحت الطبع فرأينا فيها مقالات ترد على (الحكمة الشرعية) أو على مانشر منه في المنار بعضها لصاحب الجريدة وبعضها لآخرين ، بعضها بذاء وسفاهة وبعضها اعتدال ونزاهة ، والعجب أن يرد المسلم الصادق على شيء لم يطلع عليه وكفى بذلك دليلا على نفاق

أولئك الكاتبين واقترائهم وكان يمكن من عنده مسكة من الدين ان يرضي من احتاج الى مصانعته بعبارة نزيهة صادقة كما فعل أحدهم ولكن النفاق ليس له حديقف عنده وقد اتخذت جريدة طرابلس هذه الحادثة فرصة لاظهار حسدها للمنار وراء هذا الستار فطعنت في مشرب الجريدة في أول صدورها لأنها نددت بالعادات المنكرة المذمومة وبنت هذا الطعن على أن ذلك لا يرضي الناس!!! وفاتها ان ارضاء الحق مقدم على ارضاء الناس وان كانت لنفاقها تقدم الثاني على الاول ولولا حسدها للمنار الذي فضح ضعف كتابتها ونفاقها بعبارته العربية ونزاهته الدينية مع كون صاحبه من بلدة طرابلس لما خصته بالذم على ذلك . وهذه جريدة مصباح الشرق الغراء تجري مع المنار في مضمار واحد وتنتقد العادات المصرية حتى المتعلقة بالمتمين للطريق بأشد مما انتقدت المنار فلمَ لم تذمها على ذلك ؟ ، ولكن الحسد انما يقوى حيث تكون الصلة أقوى من نحو وطنية أو قرابة أو جوار ومن العجيب ان جريدة طرابلس طعنت في المنار بما فيه من «تنديدات بتقصيرات أهل الشرق وتحذيرات من تغلب أهل الغرب بما حازوا من قصب السبق » وكأن نفاقها يسول لها ان الأولى بنا غش أمتنا وقولنا للمريض أنت صحيح قوي فكل ما شئت واياك والدواء لان ذلك يسره فيرضى منا ! ، وزعمت ان الناس كلهم نقموا علينا وعلى المنار وهذا كذب فوالله العظيم ان أفاضل الناس كتبوا الينا من مشارق الارض ومغاربها يفضلون جريدتنا على كل الجرائد الشرقية وأما الثناء الذي سمعناه ونقل الينا ممن سمعه شفاها من علماء مصر وفضلائها فهو اكثر من ان يذكر ولا تزال الجريدة في نماء ، ومن عجيب الاقبال عليها ان أكثر من

يتجدد لنا من المشتركين يطلب الجريدة من أول سنتها حتى تحدثنا باعادة ماسضى منها ولئن شئنا لنفضحن هذا النفاق ونبين حقيقة أهله فنحن أعرف بهم ولكن نعفو ونصفح . وليعلم المنافقون ان كتابنا وجريدتنا لم يوضعا للطعن في أبي الهدى افندى ولا لاساءته فضلا عن الطعن بالقطبين الكبيرين الجيلاني والرفاعي رضي الله عنهما وكأنهم به وقد علم بحقيقة مقصدنا الشريف ومشربنا النقي الطاهر فرضي عنه وكأنهم بالمنار يضيء فوق جبال سوريا فيم أغوارها وانجادها فيخطف أبصار الشامتين وتقطع بذلك ألسنة المنافقين، وتحترق قلوب الحاسدين (ان الله لا يهدي كيدا الخائنين)

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

﴿ فأضلونا السبيلا ﴾(*)

٢

الخلافة والخلفاء

بينا في العدد الماضي معنى الخلافة وأهم شروطها ووظائفها وفائدة الاستخلاف ومضرته وأومأنا الى ما كان من الخلاف في الدين بسبب التنازع في الخلافة وقد ورد في الحديث ان الخلافة تكون بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين سنة ثم تصير ملكا عضوضا، واذا أمكن النزاع في صحة رواية الحديث فلا مجال للنزاع في معناه، فلقد خرج بنو امية بالخلافة

(*) فاتحة العدد الرابع والثلاثين الصادر في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣١٦

عن حدها وبعدوا بها عن عهدها وقام الملك بالعصبية وانحرف القائمون عليه عن جادة العدالة العامة والعلم الديني وهما أقوى أركان الخلافة، وانغمسوا في الترف والنعيم واستبدوا بالاعمال كافة وأسرفوا في النفقات من بيت المال ، الا انهم أعطوا الملك حقه من الفتوح والتغلب والعدل في القضاء وحفظ الامن والراحة وكيف لنا بمثل ذلك اليوم ؟ ولذلك كان الفقهاء يعتبرون خلافتهم شرعية وقد احتج الامام مالك في الموطأ بعمل عبد الملك ابن مروان ومع هذا فقد أذن الله تعالى بانقراض ملكهم لفسق ملوكهم واسرافهم في أمرهم ولا سيما بعد عمر بن عبد العزيز العادل فقد كان يزيد بن معاوية أفسق الفساق وكان عبد الملك جباراً عنيداً على انه كان سياسياً ماهراً وكان سليمان همه في قضاء شهواته وكان الوليد الثاني بن يزيد سفيها مستخفاً بالدين وقد حفظ عليهم التاريخ سيآتهم ولم يكد يبلغ ملكهم قرنا واحدا حتى حدث فيه من البدع والفوضى في العلم والدين ووضع الاحاديث واختلاقها على الرسول مازعزع قوائم الدين ولبس أهله شيعاً وفرقهم مذاهب وذاق بعضهم بأس بعض فكان مذهب الخوارج ثم المعتزلة والجبرية ولو لم يخرج الامويون بالخلافة عن رتبتها العلمية الدينية لجمعوا أمر المسلمين على أصول الدين الاساسية وأطلقوا لهم الحرية في النظر فيما وراءها وأنشأوا جمعية علمية دينية تحت رياسة الخليفة للحكم في مسائل الخلاف ومواضيع النزاع تحظر الدعوة الى ماتحكم ببطلانه وتعذر بعده من لم يتضح له ظهور برهانها على برهانه

ثم دالت الدولة الى العباسيين فساروا سيرة حسنة الى عهد أبناء الرشيد والفوضى العلمية على حالها وقام المأمون العباسي على علمه وفضله بنتصر

للمعتزلة ولكن انتصاره كان علميا فقط وغالى بعده المعتصم في الاعتزال وكانت فتنة القول بخلق القرآن التي اضطهد فيها الائمة المجتهدون وطبعت النفوس على الغلو المفرط وظهر في زمن العباسيين الراوندية الذين قالوا بعبادة الخلفاء وقد قاتلهم المنصور والزيدية . بل ظهر ماهو أدهى من ذلك وأمر وهو مذهب الباطنية الذي ظهر بمظاهر كثيرة وسمي باسماء مختلفة وأشهر فرقه الاسماعيلية وقد اجتهد رئيس الباطنية حسن الصباح في افساد الدين الاسلامي والخروج به عن حقيقته . ولا ريب أن ضرر هذا المذهب — وأكثر فرقه من الدهريين — كان من أشد المصائب على الدين لانه تعضد من القوة السياسية بانتصار الخلفاء الفاطميين له ودعوتهم اليه ومن القوة العلمية الدينية بما كان من اختلال أقوال غلاة المتصوفة الذين خاضوا في الكلام على ماوراء الحس استناداً على الكشف فشايعوا الباطنية على ان للقرآن معاني غير ما تعطيه اللغة وأساليبها وفتحوا على الامة باب التأويل الذي ضلت فيه الامم من قبل

هذا التفرق في الدين كان منتشراً في البلاد الاسلامية والخلفاء وادعون سا كنون لا يهتمون لجمع الناس على عقيدة واحدة بل تركوا هذا السيل وما يجرف حتى بلغ مده غايته ووقعت الفوضى الحقيقية بالتظاهر بالمفاسد والخروج على السلطان فهب الكرمانية الكوفة سنة ٢٨٥ في خلافة المعتضد وأغاروا في خلافة المكتفي على الشام وفلسطين وأوقفوا تجارة العراق والحجاز ثم حاصر رئيسهم أبو طاهر مكة وأخذها عنوة وهدم الكعبة وكان ذلك في أوائل القرن الرابع واستباح الحرم بسفك الدماء وأخذوا الجزية من الخليفة القاهر والخليفة الراضي ثم سخر الله ملوك

الهمدانية والاخشيدية للتنكيل بهم ولولا ذلك لاستفحل أمرهم ودامت لهم السلطة . ولكن الباطل قد يطول أمده ولكنه لا يدوم « ان الباطل كان زهوقا »

اجتهد الامويون في اضعاف سطوة العرب في الحجاز لان ضلعهم كان مع الهاشميين وتمكنوا من ذلك بواسطة عمالهم الظلمة كالحجاج وغيره حتى ان المؤرخين قالوا ان الوليد بن عبد الملك ما بنى تلك القبة على صخرة بيت المقدس وجعلها بحيث يطاف بها الا ليحول الناس اليها عن الكعبة !! وكثر اضطهاد العلويين في زمنهم فكان ذلك مغريا لقلوب محبيهم على زيادة الشغف بهم وانتهى بالغلو الذي تعلم ولما أمنوا في عهد العباسيين بعض الامان ظهر من شأنهم ما غيّر قلوب بني العباس عليهم ولمّا عهد المأمون بالخلافة لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أرادوا خلعه واستبدال آخر به منهم فبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي وكان من اضطهاد هؤلاء للعلويين وقتل الكثير من عظمائهم سراً وجهراً ما جمع كلمتهم ودفع بهم الى تأسيس خلافة مستقلة فكانت الخلافة الفاطمية وظهر معها مذهب الشيعة كمال الظهور فامتزج بمذهب الباطنيــة أتم الامتزاج ، كما أنشأ الامويون خلافة أخرى في الاندلس بعد تغلب العباسيين عليهم ونزع الامر من يدهم

اضمحلت الخلافة العباسية وتلاشت بما اضمحلت به الخلافة الاموية من الخروج بها عن العلم والعدالة وبعوارض أخرى عرضت عليها منها كثرة الفتن والبدع التي فرقت الكلمة ومنها اعطاء المأمون طاهرا ولاية خراسان يستقل بالحكم فيها لانه قتل أخاه الامين ففتح باب الاستقلال بالحكم دون الخليفة فكان منفذا للخلل وتفريق السلطة الممزق للملكة ومنها

الاعتماد على الدخيل من العجم والترك الذين استفحل أمرهم فعجز المتوكل وغيره عن تلافي ضررهم واجتناب شرهم ومنه عزل الخلفاء وقتلهم كما فعل الرشيد بالبرامكة حين استبدوا بالاحكام وكادوا ينفردون بالسلطة ومنها اهمالهم أمر ممالكهم الغربية ولاسيما في افريقيا وارخاؤهم العنان فيها للاغلبية كاهمالهم أمر بلاد الاناضول حتى تمكن التتار منهـا . ولو ساروا بالخلافة على منهاجها الشرعي لقيدوا انفسهم بالشورى حتى تحفظ لهم سيادتهم بحفظ سيادة الامة وقوتها وأين منصب الخلافة من الاستبداد والانفراد بالاحكام الذي كانوا يتوارثونه بقوة العصبية التي تقلد الخـلافة للجهلاء كالمعتصم الى غير ذلك من اطلاق التصرف الذي سوغ لهم الاسراف في مال المسلمين وصرفه في الشهوات؟؟ومكن المتوكل من حرق وزيره وتسليط الوحوش على داره واعداده المأدبة لرجال حكومته وقتله اياهم . فأين المسلمون يومئذ من المسلمين في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه وأين هذا الاستعباد والرضى بالضيم من تلك الحرية والعزة؟ أين هذا التفريط في الاخذ على ايدي الحاكمين من الافراط المؤدي الى قتل الخليفة لأن بعض عماله كانوا ظالمين ولم يعجل بالانتقام منهم مع انه قال على المنبر : أمري لامركم تبع . لا جرم ان التفريط شر من الافراط لان الافراط فيه الكمال المطلوب وزيادة واعتبر ذلك في السخي المبذر والشجاع المتهور وفي ضدهما تلقه واضحا جليا فان الشحيح المقتر يذهب امساكه بفائدة المال حتى كانه معدوم والجبان الهلوع ينتهك عرضه ويجنى على حقيقته وهو واجم مستكين وهذا التفريط في الامم مطوح لها في مهاوي العدم وان شئت مثالا الافراط والتفريط في الحرية من حيث الاخذ على أيدي الحاكمين أو العبودية لهم

فارم ببصرك الى الامة الفرنسية والامة العثمانية يتضح لك المراد وتهتدي الى سبيل الرشاد، ومما شرحناه تفهم السر في قوله صلى الله عليه وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية » فان العصبية الجنسية (أى النسبية) التي أراد محوها وجعل النفوذ للامة كلها في ضمن دائرة الشريعة هي التي فعلت بالمسلمين تلك الافاعيل وأول من عمل على قلع المبدأ الديمقراطي الذي جاء به الاسلام بصورة معتدلة هم الامويون وجرى العباسيون من بعدهم على آثارهم حتى عاد لامراء المسلمين وملوكهم الاستبداد الآسيوي على أشده والعصبية النسبية على أتمها ولم يبق من المساواة التي جاء بها الاسلام الا العدل في القضاء والامن العام في غير أيام الفتن التي كانت مهب رياحها من قبل طلاب الملك أو الدعاة الى المذاهب ، وكان أهل الذمة يرتعون فى بحبوحة الراحة ويتفيأون ظل الامان الكامل لبعدهم عن مثار النزاع والشقاق

هذا مجمل خبر الخلفاء العباسيين ، بدأ في سلطتهم الخلل من زمن أعظمهم دولة وعلما (المأمون) واستفحل بعد ذلك حتى آل الى استبداد مواليهم عليهم كما علمت ثم الى مشاركة السلاطين لهم في ذكر أسمائهم فى الخطبة ثم الى قناعتهم باسم الخليفة مع فقد السلطة بالكلية (انظر الى غرور الشرقيين كيف يقنعون بلقب ضخم لم يمسهم شيء من حقيقة معناه)ولو قام بوظيفة الخلافة واحد منهم حق القيام بجمع الكلمة على مذهب واحد وعقيدة واحدة وقيد السلطة وحقق معنى الشورى لما تمزقت السلطة وتضعضع الدين وأضعف الامة ضعفا مكن سيوف جالية التتار من رقابهم من غير مامقاومة، كان التتاري يقول للرجل اعطني سيفك ونم لاذبحك فيفعل، واتفق

ان أحدهم ذبح مئة رجل في مكان واحد وهم ينظرون اليه يذبح الواحد بعد الآخر ولا يعدو عليه منهم أحد !! هكذا هدم أولئك الرؤساء أركان السيادة الاسلامية بهدم التعاليم الحكيمة التي جاءت بها الشريعة واتبعها الخلفاء الراشدون فحق للامة ان تقول فيهم «ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » (لها بقية)

الجرائد

(وظائف أصحابها)

حالها في الشرق والغرب

لأصحاب الجرائد ثلاث وظائف لم تجتمع لطبقة من طبقات الناس وهي التعليم العام والخطابة العامة والاحتساب (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وموضوع تعليمهم وارشادهم وأمرهم ونهيهم الامة حاكمها ومحكومها عالمها وجاهلها صانعها وزارعها وتاجرها . فهم الذين ينهجون للساسة طرق السياسة المثلى ، وينصبون لهم الاعلام والصوى ، كيلا يضلوا في مجاهلها ويغتالوا في معاميها واغفالها ، وهم الذين يبينون للقضاة والحكام خفايا القضايا وحقائق الواقعات مقرونة بما ينطبق عليها من أحكام الشرائع والقوانين ، وهم الذين يصحبون أمراء العساكر في اقامتهم ويرافقون قواد الجيوش في غزواتهم فيشرحون لهم في الحل والترحال حال جنودهم وما يلزمها ويكونون لهم عيونا يتجسسون لهم أخبار أعدائهم ويطلعونهم على خفايا أعمالهم ويرسمون لهم «خرائط» البلاد التي يطرقونها

ويصورون لهم طرقها ومضايقها وموارد المياه فيها فالملوك والسلاطين والقضاة والحكام والامراء والقواد في حاجة اليهم يقتبسون من علومهم ويغترفون من عيالهم (بحارهم)

وهم الذين يرشدون الاساتذة والمعلمين الى طرق التعليم القريبة وأساليب البحث المفيدة ويوصلون اليهم ما اهتدى اليه أبناء صنفهم من الاستنباطات الحديثة والاكتشافات الجديدة وينتقدون مصنفاتهم فيظهرون غثها من سمينها ويميزون بين فاسدها وصحيحها فيساعدونهم بذلك على تمحيص الحقائق واظهار الدقائق فالعلماء والاساتذة تلامذتهم والمؤلفون عيال عليهم . وشأنهم مع الزراع والصناع والتجار كشأنهم مع الامراء والحكام والعلماء سواء بسواء

وهم الذين يهدون الآباء والامهات والقائمين على التربية الى فضائل الاخلاق وكرائم السجايا وكيفية طبع النفوس عليها لتكون ملكات راسخة كما يهدونهم الى كيفية التوقي من الصفات الذميمة والاحتراز من غوائلها والتملص من حبائلها فهم أساتذة الامة في مجموعها وأصنافها وأفرادها وهم الوصلة فيما بين الهيئة الحاكمة والهيأة المحكومة لما يبينون لكل فريق الحقوق التي له والواجبات التي عليه بأزاء الفريق الآخر فصناعتهم أشرف الصناعات وعملهم أفضل الاعمال

يتسع نطاق هذه الصناعة في الامم باتساع عمرانها ورواج أسواق العلوم والمعارف فيها وذلك ما نشاهده في الممالك الغربية ، اتسع نطاق الصحافة فيها حتى صار لكل صناعة ولكل فن جرائد مخصوصة لا تبحث الا فيها وفيما هو من لوازمها ، وبديهي ان جريدة تقصر ابحاثها على

موضوع واحد لا بد أن تبلغ منه غاية لا يمكن أن تبلغها مع تعدد المواضيع وكثرة الابحاث المختلفة ومن هنا يتجلى ان هذه الصناعة في الشرق أصعب منها في الغرب . ولو فرض ان القائمين عليها أكفاء وفي درجة واحدة في الانشاء والتحرير والمعارف ومع ان البعد بين أصحاب الجرائد في الخافقين كالبعد بين أممها في العلوم والفنون . ترى هذه الصناعة عند الغربيين تزداد ترقيا واتقانا عاما عن عام حتى عزموا في هذه الايام على أن يجعلوا لمن يتصدى لانشاء الجرائد دراسة مخصوصة حتى اذا ما أتمها وأخذ الشهادة المدرسية بها يؤذن له بالتصدي لهذا العمل العظيم

هذه أشارة الى ما عند القوم في ترقي هذه الصناعة وأما عندنا فهي كما قيل

لقد هزلت حتى بدا من هزالها   كلاها وحتى سامها كل مفلس

في بلاد الدولة العلية لا يعطى الامتياز الا لقوم يشترط أن يكونوا في سن مخصوصة وعلى مقدرة مالية مخصوصة وسيرة أدبية معلومة وهي شرائط يحسن مراعاتها وان كانت غير كافية إلا ان المصيبة في سيرة القائمين على تنفيذ القانون فانهم لا يعجزهم جعل المستحق غير مستحق وحرمانه من امتياز الجريدة اذا طلبه واعطاؤه لغير المستحق له! فالشروط هنالك ترجع الى شرط واحد وهو بذل الدراهم والدنانير ولهم أعذار في رد طلب من يمسك يده عنهم بعضها له شبهة قانونية وبعضها لا ينطبق على عقل ولا قانون ولكنهم ليسوا بمسؤلين ، ومن غريب هذه الاعذار ما وقع لمدير جريدتنا فانه طلب امتياز مطبعة وجريدة تسمى

« الفيحاء » في طرابلس الشام وبعد استيفاء المعاملات القانونية لدى حكومة طرابلس أعطي مضبطة من مجلس ادارة اللواء بأنه مستحق للامتياز قانوناً وقد أخذت عليه العهود اللازمة ورفعت أوراقه لوالي بيروت لاجل اعطائه امراً بما تقتضيه المضبطة ليرفع الجميع الى الاستانة العلية فتربص الوالي بالامر مدة طويلة لم يرف غضونها الحاحا بالطلب ...

ثم بعد ذلك أجاب بأن اعطاء امتياز بالمطبعة لا مانع منه وأما الامتياز بالجريدة فهو غير جائز ! « لان طرابلس فيها جريدة فاذا صار فيها جريدة ثانية يتعب المراقب لتلك الجريدة (السنسور) حيث يصير مكلفا بمراقبة جريدتين !! » وهكذا اقتضت رحمة عطوفتلو رشيد بك وشفقته على المراقب الطرابلسي ان يحرم الطالب من نيل رغيبته وهو نسيب المراقب فياليت هذه الرحمة كانت عامة من عطوفة الوالي لجميع الرعية ولقد كان هذا الافراط في الرحمة على رجل واحد مدعاة الاستغراب من جميع الذين سمعوا العذر واختلفوا في العلة الحقيقية فقال بعضهم انها تقصير طالب الامتياز وعدم ارضاء الوالي ! وقال آخرون ان صاحب جريدة طرابلس قد شق عليه وجود جريدة مزاحمة لجريدته في بلده فاتخذ الوسائل التي لا ترد عند عطوفة الوالي لمنع اجابة الطلب ، وعلى ذلك فقس

وأما في مصر فقد أهملت بالنسبة للمطبوعات القوانين وصار الناس فيها فوضى فتهجم على انشاء الجرائد من ليس في العير ولا في النفير فصار كالعرض المباح لكل أحد ، ولا شك في انه شر من العرض الذي يباع ويستأجر لان الاخير لا يخلو من بعض الصون والعزة ، والتفاوت

بهذا الاعتبار لا ينافي ترقي بعض الجرائد في مصر عن الجرائد في سوريا وفي الاستانة عموما ولذلك سببان أولهما ان شدة الضغط هنالك على المطبوعات عامة وعلى الجرائد خاصة واحتياج طالب امتياز الجريدة الى ارتكاب جريمة الرشوة يصرف أفاضل الناس عن الاقدام على هذا الامر فيبقى في غير أهله، وثانيهما ان فقد الحرية والاغراق في المراقبة والاخذ على الايدي والاكراه على مدح المذموم وذم الممدوح من شأنه افساد الاخلاق واضعاف الاستعداد والهبوط بالمعارف والفضائل الى أسفل درك الانحطاط ، وأنى ينمو علم من هو مضطر الى كتمانه والعلم — كما قال سلفنا — لا يزكو الا بالانفاق ؟ وكيف تبقى فضيلة من هو مجبر على الكذب والنفاق مع ان العمل هو الذي يطبع الملكات في النفوس؟ واننا نعلم أن بعض من ابتلوا بهذه الصناعة (وأكثرهم ابتلي بها قبل هذا الضغط الشديد) أصحاب فضائل وهم يجاهدون أنفسهم ويودون التملص من هذا البلاء ولقد حاول صاحب جريدة الثمرات الفاضل ترك جريدته اكثر من مرة ولكن كان يلزمه بالصبر والثبات بعض أفاضل القارئين لها، وأشهد أنها أقرب الجرائد السورية الى الصدق وأبعدها عن التملق والنفاق ولقد عهد في ادارتها وكتابتها أخيراً الى من لم يخرج بها عن خطتها الاولى من التحري بقدر الامكان

هذا بعض نتائج الضغط وفقد الحرية ولا يقل عنه الافراط في الحرية فخير الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم ٠ ان اهمال أمر المطبوعات في مصر وترك الناس وشؤونهم فيها قد جاء بنتائج خسيسة منها تهجم السفهاء على أصحاب المقامات الرفيعة بحق وبغير حق

ونشر الكلام المخل بالاداب والمضلل للافكار حتى ارتفعت الثقة من كل جريدة تحدث مالم يكن لها عون وظهير من وجهاء البلاد . والنفور على أشده من الجرائد السياسية وعسى ان يكون عن ترق في الفكر فيدعو الى الاعراض عما لا ينبغي والاقبال على ما ينبغي

تردد بعض الجرائد الشكوى وتظهر التبرم من الحكومة لانها حكمت على الكثيرين من أصحاب الجرائد في الدعاوي التي أقيمت عليهم ولم تراع حقوق هذا المنصب الشريف الذي هو ارشاد الامم وهداية الشعوب ولم تحفظ كرامة أصحابه . والصواب ان الحكومة المصرية مقصرة في تربية أصحاب الجرائد الذين تطفل أكثرهم على هذا المنصب الشريف على غير استعداد فصيروه خسيساً فهم أهل غواية واغواء لا أهل هداية وارشاد . جعلوا الجرائد سبابة شتامة كذابة أفاكة مذاعة خداعة يشترون بهذه الرذائل ثمنا قليلا . حتى صارت الجرائد العربية محتقرة مرذولة، قال بعض الظرفاء الاذكياء ان أصحاب الجرائد والمشتركين بها يصدق عليهم قوله تعالى (سماعون للكذب أكالون للسحت) الاول للأواخر والآخر للأوائل . وقال صاحب السعادة مصطفى ذهني باشا متصرف بولي «في ولاية قسطموني» عندما كان متصرفا في طرابلس الشام: ان الله تعالى يكره لنا الاشتراك في الجرائد وابتياعها بدليل حديث البخاري الشريف «ويكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال» وهذه المكروهات الثلاث تجتمع في الجرائد . ولكن اضاعة المشترك المال وأكل صاحب الجريدة السحت قد قل كل منهما في هذا الوقت

فانا نرى أكثر الجرائد تشكو من مماطلة المشتركين وليّهم في الدفع وان كانوا واجدين

فنسأل الحكومة المصرية مع السائلين ان تتلافى هذه الفوضى في المطبوعات وتضع لها قانونا عادلا يوقف القائمين عليها عند حدودها ويغل أيدي العابثين الذين شوهوا وجهها ومثلوا بها شر تمثيل فلا يليق بحكومة قانونية ان تترك أهم المصالح الوطنية وأشرفها العوبة للاعبين وسخرية للساخرين وان وقعت الامة من ذلك في ضلال مبين

تقويم الافكار

« لحضرة الفاضل حوده افندي (بك) عبده المحامي »

ان جهل الناس بكنه الحقائق لما يقودهم الى التخبط في السير والعماية في الافعال ويؤدي بهم الى الانقلاب في الاحوال والارتباك في الافكار وبقدر ما يفيد معرفة الحقيقة في الناس تعظم أهميتها ويكون الجهل بها من أشد الاضرار على الافراد ومن أقوى عوامل الانحطاط . لهذا كان من اللازم على كل أمة ناشئة أن تجعل من أهم واجباتها تبيان الحقائق خصوصا ما كان منها متعلقا بالنظام . والجرائد هي الهامن الانتشار وتعميمها الجهات المختلفة والاصقاع المتباعدة هي التي تقوم ببث تلك الحقائق وكشف الغموض عنها ولا سيما وان الناس يألفون مطالعتها وتشتاق نفوسهم الى تلاوتها ولا فرق في ذلك بين العامة منهم والخواص وهذه هي حكمة انشاء الجرائد في الامم بيد أنه يلزم أن يكون القائمون بأمرها من أحسن الناس سيرة في الاخلاق والصفات وأوسعهم اطلاعا في المعارف والمعلومات وأن يكونوا أكثر

الناس اختباراً بأحوال الامم وأطوارها هذا مع قوة في التعبير وبلاغة في التحرير حتى يكون لكلامهم أثر في النفوس وسطوة على الارواح فأرباب الجرائد في الحقيقة وعاظ الامة ومرشدوها الى مايلزم لها وما تحتاج اليه من آداب واصلاح حال ، أما اذا تقلد بالامر في الجرائد قوم سفهاء جهلاء فانهم يقودون الامة الى مهاوي الجهالة ويثبتون فيها عوامل الفساد والسفاهة ويكونون أشد نكبة على الناس فان العامة بيركة ماطبعوا عليه من السذاجة في الطباع يعتقدون ان مايقال في الجرائد هو حق مهما تنكر على نفوسهم، وانه صواب مهما كان خطؤه ثابتاً في قلوبهم، لهذا كان ماينشر فيها من الباطل يظنونه حقا وتتغير في عقولهم معالم الحقائق وتتخبط في خيالهم صور اليقين ويصبحون لا يصيرهم غير التضليل والتمويه . فالواجب على الامة التي تطلب ارتقاء ان يكون لمطبوعاتها قانون يوقف كل فرد عند حده وتحجر على المتطفلين على موائد التحرير أن يخطوا خطأ واحداً وتعاقب بأشد العقوبات من اقترف جناية التحرير اذا كان من غير أهلها فان الجناية على الاخلاق لأشد مفسدة منها على الاجسام .

ما أحوج بلادنا اليوم الى مثل هذا القانون فان الفساد الذي ظهر في أخلاق أمتنا هذه الاعوام سببه اطلاق السراح لبعض السفهاء في إنشاء الجرائد لكسب الدراهم وأصبح الفقير اللئيم الذي لا حيلة له في نيل معيشته يستعملها لجلب قوته فهو يهجو ويهذي ويهتك الاعراض ويقدح في الاديان لجلب القرش والدينار. فمثل هؤلاء الانذال يجب قطع دابرهم واستئصال شأفتهم وابعادهم عن الاوطان كي لا يضلوا الناس ويفسدوا الطباع . أين مقام هذه الجرائد السافلة من مقام الجرائد الحقيقية التي تدعو الناس الى التمسك بالفضائل

وتنبيهم الى ترك الرذائل وترشدهم الى استقامة الطباع والتمسك بالاداب وتهديهم الى اصلاح الاحوال وتنوير الافكار؟ هذه هي الجرائد التي يجب ان تنشر بين أفراد الامة لتجني ثمارها وتنتفع بآرائها وتعمل على هداها

في بلادنا ثلاث حقائق عامة هي الوطنية والحرية والسياسية قد اختلفت فيها افهام الناس وتغيرت مُثلها في الخيالات وما علموا الى اليوم ماهياتها اللهم الا اذا كانوا من الخواص والمتعلمين وهذا جزء في الامة قليل وكان على أصحاب الجرائد الصادقة اللهجة ان يجعلوا تبيانها للناس نصب أقلامهم حتى يقف الناس على مفهوماتها تمام الوقوف ولا يضلوا عن مبانيها ولا ينحرفوا في العمل عن جادتها

حقيقة الوطنية هي أن يحب الانسان وطنه وبني جنسه الى حد يحمله على تفضيل فوائدهما على منافعه الشخصية فالوطني هو الذي يجاهد بنفسه في اتيان مايفيد الوطن وأهله وقد تغيرت حقيقة الوطنية في أذهان بعض الناس وتشكلت بصور مختلفة. يعتقد بعض الناس أن الوطنية هي عبارة عن ألفاظ وأقوال لايخرج مؤداها عن دائرة افواههم فاذا دعوا الى عمل يفيد الوطن وكان القيام باعبائه يمس دراهمهم قالوا انما نحن فقراء والله يتولى غنى الناس!! وان دعوتهم الى سعي مبرور يعود بالفائدة على افراد ملتهم ودينهم أطلقوا ألسنتهم على من طلب السعي له وقالوا انه غير جدير بالمساعدة ولا مستحق لها !! هممٌ خامدة وقلوب محشوة بالحقد والنفرة لبني جنسهم وأميال لاتلوي على شيء فيه نفع لبني جلدتهم ومع هذا يدعون انهم الوطنيون وغيرهم المنافقون! أليس هذا من أشنع الجهل وأشد العار؟ هل هؤلاء فهموا معنى الوطنية؟ كلا فان المعرفة الكاملة بالشيء تؤدي الى تشبع الذهن

به ومتى صار كذلك أصبح عقيدة راسخة تؤثر في حركات الجسم والحواس فتجري الاميال على ما تقتضيه تلك العقيدة وان ادعوا أنهم فهموا معنى الوطنية وعملوا بضد ما يفهمون وقعوا في شر ما هم فيه لانهم حينئذ يسمون منافقين وتكون أقوالهم وألفاظهم آلة لتنبه الناس الى انهم وطنيون وهم في الحقيقة مموهون . وبعض الناس يعتقد ان الوطنية يكفي فيها تأليف جمعية يبثون فيها الافكار ويذكرون عن الوطن شيئا وعن الاداب أشياء ثم هم لا يلبثون أن تنحل رابطتهم ويتفرق شملهم وهؤلاء وان كانوا يعملون شيئا مفيدا الاان انحلالهم سريع وهم في الغالب غير أكفاء للقيام بأمر الجمعيات فان هذه تستلزم شروطا لا تتوفر الا في أكابر الامة وعظمائها ، والقائمون بأمرها يلزم ان يكون لهم مادة غزيرة في العلوم والاداب وصناعة في الخطابة والالقاء وأصحاب جمعياتنا ليسوا من هذه الطبقة ، ولا أتعرض في كلامي الى الجمعية الخيرية الاسلامية فانها جمعية خارجة عن موضوع كلامي بمقتضى موضوعها فان موضوعها مادي خيري وحضرات الاعضاء من كبار الامة وعظمائها لا يوجه اليهم طعن ولا يجوز عليهم لوم وانا ندعو الله أن تدوم الى ماشاء الله

فالوطنية على ما قدمنا هي ان يكون الشخص غيورا على بني جنسه محبا لخيرهم معينا لهم يسعى في تقدمهم كما يسعى لنفسه ويرقي في شؤونهم كما يتمنى لاهله ومتى جمعت هذه الصفات وما شابهها في شخص عد وطنيا كاملا مفيدا لوطنه

الحقيقة الثانية هي الحرية — يعتقد العامة ان الحرية هي إتيان الموبقات جهاراً وان هذا كمال من الكمالات الاوربية التي يجب ان يتحلوا بها ، لهذا

نرى كثيراً من الآداب التي كانت قبل شيوع هـذا اللفظ قد انتهكت حرمتها وأصبح فساد الطباع عاما في أخلاقهم وأصبح هذا المعنى عقيدة من عقائدهم وقوي في أذهانهم، وكم جر هذا الى نقض الآداب وأدى الى فقد رأس الخصال البشرية اللازمة للهيئة الاجتماعية ونظام الانسانية وهو خصلة الحياء ولو علموا ان الحرية هي تخويل الشخص الاختيار في أداء ماله وما عليه ليس الا لبدل فساد الطباع بالارتقاء في المدارك وكانت الآداب اليوم راقية أوجها الاسمى، وطهارة الاخلاق مطمئنة في برجها الاعلى، وكانت الناس في سعادة بدل هذا الشقاء. فترى من ذلك ان جهل الناس ببعض الحقائق أدى بهم الى الاعوجاج في الطباع والانقلاب في الاخلاق وضياع الاداب فلو قامت الجرائد الصادقة اللهجة تذكر الناس بما طرأ عليهم وتنصحهم بتبيان المعاني التي جهلوها وأفسدت أحوالهم حتى يقفوا على الحقيقة لكان خيراً للناس وأفيد مما يسمعونه ويتلى عليهم نعوذ بالله من الغواية ونسأله الهداية، وسيأتي الكلام على معنى السياسة ان شاء الله

أدبيات

نظم كثير من الشعراء أبياتا من كل بحر من بحور الشعر ضبطوا بها الاوزان بعروضها مع الاشارة الى اسمائها ومنهم من جاء فيها بالاقتباس وقد رأينا في مجلة المقتطف المفيدة تقريظ كتاب في النحو لاحد علماء

الالمان ختمه بالكلام في العروض وقرض الشعر وأورد ابياتا في ضبط موازين الشعر مزينة بالاقتباس فأحببنا تفكيه قراء المنار بها وهي:

الطويل

طويل مدى الهجران من كنت أهواه أذاب فؤادي والتصبر أفناه
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله

الكامل

يا كاملا سلم وقل تعظيما للمجتبى خير الورى تسليما
متفاعلن متفاعلن متفاعلن صلوا عليه وسلموا تسليما

الوافر

أوافر كيد شعري في مزيد على رغم الاعادي والحسود
مفاعلتن مفاعلتن فعولن ألا بعدا لعاد قوم هود

الهزج

هزجتم يا منى النفس عن الاوطان بالانس
مفاعيلن مفاعيلن كأن لم تغن بالامس

المديد

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن يا لبكر انشروا لي كليبا

البسيط

يبسط في أملي اني أراهم خوفاً من الجور لما ان أعاينهم
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن فأصبحوا لا ترى الامساكنهم

الرجز

الرجز الموزون اذ يقدر أجزاؤه بين الورى لا تنكر
مستفعلن مستفعلن مستفعلن يا أيها الذين آمنوا اصبروا

الرمل

رمل أكرم به من رمل لذة للمختفي والمجتلي

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن والذي أطمع أن يغفر لي

السريع

سريع بحر قد سداه الحكيم كرر على سمعي به يانديم

مستفعلن مستفعلن فاعلن ذلك تقدير العزيز العليم

المنسرح

منسرح الشعر صاغه الاول ممن تراهم عن الهوى نكلوا

مستفعلن فاعلات مستفعلن بدالهم سيئات ما عملوا

الخفيف

خف لما أردت أشدو الخفيفا لذ في مسمعي فكان طريفا

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ان كيد الشيطان كان ضعيفا

المقتضب

اقتضبه حين حبا فن معشر الادبا

فاعلات مستفعلن ماله وما كسبا

المجتث

مجتث شعري ألقى في القلب مني عشقا

مستفعلن فاعلاتن والله خير وأبقى

المتقارب

تقارب موعد جمع العصاة فيا أيها الناس أدوا الصلاة

فعولن فعولن فعول أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة

وقد نبه المقتطف على بعض ما وقع في الكتاب من السهو أو

الغلط فقال : «جاء في تفعيل المنسرح انه مستفعلن فاعلات مستفعلن والصواب مستفعلن فاعلات مفتعلن . وكذلك في تفعيل المقتضب انه فاعلات مستفعلن والصواب فاعلات مفتعلن . وفي تفعيل المتقارب انه فعولن فعولن فعولن فعول والصواب فعولن مكررة أربع مرات» وفي هذا الانتقاد على اطلاقه مقال سنذكره في العدد الآتي ان شاء الله تعالى . ولا تخلو الابيات من تحريفات لم ينبه عليها

شذرات علمية

يؤخذ من الاحصاآت الاخيرة ان عدد لغات البشر وفي جملتها اللهجات المتقاربة ٢٧٥ لغة

يقول أحد علماء الالمان ان دماغ الانسان مؤلف من ثلاث مئة مليون حويصلة عصبية

تنفق انكلترا على جنودها براً وبحراً ٠٠٠،٥٠٠،٦٣ جنيه وتنفق فرنسا ٠٠٠،٣٨٧،٣٦ جنيه وألمانيا ٠٠٠،٢٢٦،٣٥ وروسيا ٠٠٠،٥٦٩،٣٨

يقدرون مساحة مملكة الانكليز في العالم بنحو ٠٠٠،٠٠٠،١١ ميل مربع وهي تشغل خمس اليبس وسكانها خمس سكان الارض وفيها ١٠،٠٠٠ جزيرة و ٢٠،٠٠٠ نهر وتحتوي على خمس ماشية الارض وواحد من اثني عشر من خيولها

(عوالم الميكروب) لا شيء يمثل عظمة الخالق كالتأمل في عالم الميكروب فان كثرته تكاد تفوق التصديق ومن غرائب ذلك انك

اذا جمعت من تلك الاحياء ما وزنه ١٠٠٠ من (أو جزء من خمسين من القمحة) لبلغ عددها خمسة أضعاف عدد سكان الارض

(وزن الميكروب ومساحته) اتصل الدكتور كلاين في انكلترا الى تقدير وزن الميكروب وهو الحيوين الصغير المشهور فوجد ان كل ...٠٠٠٠١٢٧٧٠ منه تزن غراما واحداً وقدر أيضاً مساحته فوجد أن كل ...٠٠٠٠٠...٥ منه لو رتبت محاذية لشغلت مساحة بقدر مساحة طابع البريد　{ الهلال }

كريت

تم جلاء الجنود العثمانية عن خانيا واحتلتها الدول الاربع ورفعت عليها أعلامها مع العلم العثماني وطلب الاميرالية من اسماعيل بك الاسراع باخلاء الحصون والقلاع كلها في الجزيرة من الجنود فأجابهم انه لا بد من بقاء الالفين والخمس مئة جندي لجمع الذخائر الحربية واخراجها وهي بنادق ومدافع حصار ومدافع نحاسية ثمينة وبارود وتوربيد وقدر ثمنها عليون في ليرة عثمانية وقد أجابت الدول طلب القيصر الروسي أن يكون البرنس جورج ابن ملك اليونان حاكما للجزيرة ولكنهم الآن يسمونه مندوبا للدول (مازلنا نخضع للالفاظ والالقاب حتى حكمت فينا شر حكم) وسواء سموه مندوبا أم وكيلا أم أجيرا أم أميرا فالمعنى واحد يفهمه كل واحد . . . وطلب الاميرالية من دولهم الاذن لكريت باقتراض خمسة ملايين فرنك تعطى للاهلين مسلمين ومسيحيين لترميم بيوتهم . ولا زال الانكليز يشنقون

المسلمين بحجة انهم هجموا على الجنود الانكليزية!! وقد أتمت الدول وضع
القواعد الاساسية لحكومة الجزيرة وسيجردون المسيحيين من السلاح
وانا نكتب هذه السطور والقلب يضطرب والاعضاء ترتجف والروح
تناجي جبار السموات والارض بأن يهبنا حكمة وسدادا وقوة واستعدادا
وصلاحا واصلاحا تحول بيننا وبين طمع الطامعين وتمنعنا من كيد الكائدين
وما ذلك على الله بعزيز

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ (*)

الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر

٣

أثبتنا في العددين السابقين مجملا من خبر الخلافة الاموية والخلافة
العباسية وألممنا الى أن عدم سير الخلفاء بهذا المنصب العظيم على منهاجه
الشرعي هو الذي قوض دعائم السلطة الاسلامية ورمى المسلمين بالفشل
والوهن ، وأشرنا الى تمداد الخلافة ونذكر في هذا العدد مجملا من خبر
الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر وما يتبعها ونختمه
بذكر الخلافة التركية فنقول

كان بعد بلاد الاندلس « اسبانيا » عن مركز الخلافة مع صعوبة
المواصلات سببا في اختلال النظام وجرئا لولاتها وحكامها على تكليف
الرعية فيها فوق وسعهم وكان من ثم من القبائل الحميرية والشامية والعراقية

(*) فاتحة العدد الخامس والثلاثين الصادر في ٥ رجب سنة ١٣١٦

يتنازع بعضهم بعضا وينفسون على قبائل البربر الافريقية وانتهى ذلك بنزوع حزب عظيم الى تأليف حكومة مستقلة وفي أطواء ذلك علم القوم ان عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الاموي فر من السفاح ولجأ الى قبيلة زناتة أعظم قبائل أفريقية فطمحت اليه الابصار وتعلقت به القلوب ثم استقدموه فقدم وكان في قرطبة رئيسان من لدن الدولة العباسية يتنازعان السلطة وقيادة العسكر فقاوماه أولا ثم سلما اليه وبايعه أهل الاندلس على الخلافة سنة ١٣٩هـ و٧٥٧م فصارت الخلافة خلافتين أموية في الغرب وعباسية في الشرق

كان خلفاء الامويين في الاندلس خير خلفاء المسلمين بعد الراشدين وأقرب في سيرتهم الى الشرع وأبعد عن الفسوق والبدع التي انغمس فيها أكثر أموبي دمشق وعباسي بغداد فقد كان عبد الرحمن الاول عادلا مصلحاً وكان ولده هشام حليما محسنا وكان عبد الرحمن الثاني كجده هشام في الكرم والحلم ويزيد بالادب والعلم وكان محمد الاول والمنذر وعبدالله عادلين مصلحين وجاء في آثارهم عبد الرحمن الثالث فجمع أشتات الفضائل لانه أعطي القوتين العلمية والحربية فاجتهد في رفع منار العلوم والفنون وادخل في اسبانيا علوم بغداد وبنى المباني العظيمة التي كانت زينة قرطبة ومفخر الاندلس كلها وانقاد له المغرب الاقصى

سار هؤلاء الخلفاء كما قلنا سيرة حسنة بالنسبة الى غيرهم ولكن روح الشقاق والخروج على السلطان كان قد تمكن من الامة وطمع في الخلافة كل من له وشيجة رحم بالخلفاء أوعصبية تناط بعصبيتهم ولو جرى المسلمون على أصل الاختيار والانتخاب لسلموا من بلاء كبير .

عهد الخليفة عبدالرحمن الاول لولده الثالث هشام الاول فكبر ذلك على

أخويه الكبيرين سليمان وعبد الله فخرجا عليه وحاولا سلب الخلافة منه أو الاستقلال في بعض الاعمال (الولايات) فتغلب عليهما وعفا عنهما ثم خرجا بعده على ولده الحاكم وطلبا قسمة البلاد

أحدث هذا في نفوس العمال طمعاً في الاستقلال كانوا يخفونه في ابان القوة خوفا على مناصبهم ويظهرون كمال الطاعة والانقياد ويستمدون لنيل مطامعهم سرا ويتربصون بالخلفاء الدوائر فلما آنسوا منهم الضعف ظهر المضمر وتوالى العصيان في الاقاليم وكان أشد الولاة عيثا وفسادا في أرض الاندلس والي طرسوس فقد كان شديد الساعد بمساعدة سليمان وأخيه عبدالله على عصيانهما المتوالي الذي أشرنا اليه . ثم أضرم القتال في شمالي البلاد ولاة سرقُسطة ومريده وطُليطلة وحوسقه باغواء رجل يدعى عمر وقد استقل عمر هذا وولده كالب بين بلاد المسلمين والافرنج نحو ثلاث سنين وادعى انه يعتبر الديانتين معا وكان ينتهز الفرصة ويضرم نار الثورة وقد غلبه الخليفة محمد ثم عاد ولم يزل يوالي الثورات حتى زلزل المملكة زلزالاء وأورثها خبالا ووبالا ،وعصت قرطبة الحاكم بن هشام سنة ٢٠٢هـ ٨١٧م حين رتب لكلاءته خفراء جعل لهم مكوس مايرد من عروض التجارة فكانت ثورة اراد الخليفة العقاب عليها فانقض الناس على خفرائه وقتلوا منهم عددا عظيما ،وقد كان الخلفاء بعد عبد الرحمن الاول يتخذون الخفراء من مغاربة الزناتة ثم أحضر عبد الله في سنة ٢٨٨هـ ٩٠٠م أرقاء سلاوونية من القسطنطينية فعلموهم حركات السلاح واتخذوهم خدما فاستراحوا بذلك من المشاجرات التي كانت تحصل بين الخدم من العرب والبربر وزاد ثقة الخلفاء بهؤلاء الخدم اعراضهم عن السياسة ولكن لما

رأوا الخلل والضعف في الدولة زجوا بأنفسهم في المنازعات السياسية كما فعل اقتالهم وأمثالهم في العباسيين ، وقويت هذه الامراض الداخلية حتى ضعفت مزاج الدولة فلما جاءتها الصدمات الخارجية زعزعتها ثم دمرتها تدميرا

قلنا ان سيرة خلفاء الاندلس كانت أحسن من سيرة غيرهم في الجملة ولكن لا نقول انهم ساروا بالخلافة في منهاجها الشرعي وهو جعل الحل والعقد والنكث والفتل وسائر الشؤون العامة مقيدة بالشورى المتبعة كما كان الراشدون ولو فعلوا ذلك لما نزل بهم البلاء ولكن السلطة كانت محصورة في شخص الخليفة ومتى كان الامر كذلك فان الشقاء يكون أقرب الى الأمة من السعادة لانها تكون تابعة لشخص واحد اذا استقام استقامت واذا زل زلت أو زالت ، وكذلك كان شأن هؤلاء الخلفاء فقد بدأ الضعف والانحطاط فيهم في عهد هشام الثاني لانه كان سيئ التدبير بعيداً عن السياسة والامر كله في يده فعجز عن مقاومة الاعداء فانحطت مهابة الخلفاء وخضدت شوكتهم واستفحل أمر الثوار والخارجين وكان الافرنج في أثناء ذلك في تقدم مستمر في الاعمال الحربية فتجرؤا على المسلمين وطفقوا يناوشونهم القتال وينتقصون بلادهم من أطرافها ، وأولو الامر مشغولون بالفتن الداخلية وسائر الناس قسمان : العلماء وقد أوغلوا في فنون الادب إيغالا صرفهم عن كل ما سواه بل قادهم الى الترف والانغماس في النعيم المضعف للنفوس عن الحرب والجهاد ، والصناع والزراع وهم أتباع كل ناعق ولاسيما في الامم التي ليس فيها تربية قومية أمية وليس لها رأي عام ، وتربية الامة وتعميم العلم والتهذيب فيها وان كانا

من أهم ما جاء به الدين الاسلامي الا أن استبداد الخلفاء والسلاطين واستئثارهم بالامور العامة وتقصير العلماء والمرشدين ذهب بهذين الامرين اللذين هما روح الامم وحياتها

أما الخلافة الفاطمية فقد كانت شر خلافة أخرجت للناس تولدت فيها جراثيم الفساد التي قضت على غيرها من أول عهدها كتفويض السلطة الى الوزراء والقواد واستخدام الدخلاء وجعلهم قواداً. فقد كان الخليفة الثاني « العزيز » أول من اتخذ وزيراً قرن اسمه باسمه وأول من استخدم الترك وجعل منهم قواداً فكانوا سلاً في رئة الدولة نمت جراثيمه رويداً رويداً حتى كان من أمره ما سنشير اليه قريباً.

صدمت هذه الخلافة الثورات من أوائل نشأتها أيضا فقد خرج على الحاكم وهو الخليفة الثالث قوم ادعى زعيمهم انه من ذرية هشام ابن عبد الملك فاشتعلت نار الحروب الداخلية وكانت سجالا ثم ظفر الحاكم بهم فأمات الزعيم شر ميتة . ومن سيئاتهم كثرة العهد في الخلافة الى الاحداث فكان ذلك مدعاة لتلاعب الوزراء والقواد بالامر فقد بويع الحاكم وسنه احدى عشرة سنة وكان الوصي عليه الوزير ارجوان فانفرد بالنفوذ وتجاوز الحد في الاستبداد، وولي المستنصر الخلافة في السابعة من عمره! وكانت أمه أمة سوداء اشتراها أبوه الظاهر من يهودي فتصرفت بالامر كما أحبت وجعلت مولاها الاول مستشاراً فكانت الخلافة الاسلامية تدار بيد يهودية، واستخلف الحافظ لدين الله أصغر أولاده اسماعيل الظافر بأمر الله وسنه سبع عشرة سنة فاستبد وزيره العباس بالامر ثم ضاق ذرعا من استهتار الخليفة واسرافه في الخلاعة والشهوات ورأى ان عاره يمس

شرفه وشرف ولده لامتزاجهما به فأمر ولده ان يكيد له ويقتله فقعل ثم قتل أخويه به ليبرأ من تبعة قتله في أعين الناس وولي ولده الفائز وعمره خمس سنين وقيل سنتان!! ومما حكاه عنه المؤرخون انه جمع الامراء لمبايعته وحمله على كتفه ولما أمرهم بالطاعة والانقياد له صاحوا بالاجابة صيحة شديدة منكرة فزع لها الخليفة الحدث فبال على كتف الوزير! وصار يصرع بعد ذلك « فيارباه هل هذه هي خلافة النبوة التي يقوم بها دينك ويستقيم أمر عبادك؟ »

وقد انحطت مصر في أيام الفائز هذا حتى كانت تعطي ضريبة عظيمة للصليبيين في القدس ليكفوا عن الاغارة على غزة وعسقلان . استغاث أهل القصر من وطأة الوزير عباس الثقيلة بصالح بن رزيك الارمني الاصل الشيعي المغالي فقدم الى مصر وتولى الوزارة بعد هرب عباس ولما مات الفائز أراد الصالح ان يولي مكانه شيخا من الفاطميين فأسر له في مجلس المبايعة أحد أصدقائه بأن سلفه في الوزارة كان أحسن تدبيراً منه لانه لم يسلم نفسه لخليفة لم يتجاوز الخمس سنين فاعتدها نصيحة وسمى الحدث عبد الله بن يوسف خليفة ولقبه بالعاضد لدين الله فنشأ مستعبداً للوزير صالح وتزوج ابنته وسماه ملكا ثم سلطانا وأشرب منه الغلو في التشيع وقد أحفظ لقب الملك أو السلطان قلوب أهل الخليفة على الوزير فأرسلت له عمته من ضربه ضربا مبرحا انتهى بموته (انظر الى الاعتناء بشرف الالقاب الضخمة عند أرباب العقول السخيفة فقد قتل الصالح لقبه مع انه لم يزده سلطة ونفوذاً)

أما سيرة هؤلاء الخلفاء ووزرائهم فقد كان العزيز أديبا شجاعا محبا للصيد ، وفوض أمر الجند إلى جوهر القائد فاتح مصر ومؤسس الازهر

وولى الوزارة يعقوب بن يوسف وقرن اسمه باسمه وأمر أن تكون المكاتبات الرسمية باسمه وتختم الاوامر بختمه فأحسن هذا الوزير السيرة وكان فاضلا مصلحا فحسنت حال البلاد في عهده ولكن تفويض الامر الى الآحاد اذا جاء بالخير يوما يجيء بالشرور أياما فقد ولي بعد العزيز ولده الحاكم فطغى الوزير أرجوان الوصي عليه وبغى كما قلنا آنفا ثم لما رشد الحاكم كان رشده عين الغي فانه لم يكد يستبشر العلم ببنائه (دار الحكمة) وما اجتلبه اليها من الكتب القيمة واباحتها لكل قارىء وناسخ حتى غشيت العلم والدين والمسلمين والذميين ظلمات من ظلمه واستبداده وكفره وعناده المتولد ذلك كله من مرض في دماغه وخلل في عقله

فقد ظهر في عهده مذهب الضرارية نسبة لرئيسهم ضرار أستاذ حمزة صاحب الرسائل الكثيرة في بيان المذهب الذي يدعو الى عبادة الحاكم فنصرهم الحاكم ثم ادعى الالوهية وفتح سجلا لكتابة أسماء المؤمنين به فكتب بالتسليم له نحو سبعة عشر ألفا ولقد كانوا كلهم أو جلهم مكرهين لانه كان ينتقم أشد الانتقام ممن يخالفه ولكن مدرسته (دار الحكمة) ودعاته دعاة الفتنة قد أضلا خلقا كثيراً وتأسس بذلك مذهبه وثبت حتى ان في الناس من يعبده حتى اليوم !! فهل كان المسلمون بهذا الاستسلام مهتدين بهدي الاسلام!! حاش لله . أليس هؤلاء الرؤساء الضالون هم الذين شوهوا وجه الدين وانحرفوا بأهله عن صراطه المستقيم ؟ ألا يحق لجموع الامة أن يقول في هؤلاء السادة (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً) ؟

والحاصل ان الحاكم كان يسفك الدماء بغير سبب ويظلم أهل الذمة

بدون سند فقد هدم الكنائس في مصر والقدس ثم بنى كنيسة القيامة على نفقته وكان يأمر وينهي بما لا يعقل له معنى كالامر بسب السلف قولا وكتابة على الجدر بألوان مختلفة وكالنهي عن أكل الملوخية والجرجير وبيع الزبيب ، وقد جاء من بعده المستنصر وكان أذنا إمّعة فاسقا ضعيف الرأي فكانت الخلافة اسما بلا مسمى وفي عهده ادعى رجل أنه هو الحاكم وكان يشبهه فتبعه قوم واجتمعوا عند قصر المستنصر وصاحوا هذا هو الحاكم فنكلت بهم الدولة .

وقد استبدت أم المستنصر بالاحكام وتلاعبت بتغيير الوزارة وخرج معز الدولة والي حلب على الخليفة وحاول الاستقلال فأرسل اليه الجيوش المصرية فغلبها ثم لم يشأ الهجوم على مصر ولكنه أرسل زوجته وابنه ليعقدا الصلح مع الخليفة فاستمال الخليفة جمالها البارع واستنزله عن حلب لزوجها !! . وخرج عليه الامير معز بن باديس في الغرب وجعل الخطبة باسم القائم بأمر الله العباسي فحاربه جيش المستنصر ست سنوات فدوخه ولكن نفوذ المستنصر انتشر حتى ان أمير اليمن عليا بن محمد الصالحي خطب باسمه بل ان الامير ارسلان البساسيري قائد جيوش الخليفة القائم بأمر الله العباسي رفض الطاعة لخليفته ورفع في بغداد العلم الفاطمي الابيض ودعا للمستنصر على منابرها سنة ٤٥٠ وفعل مثله أهل واسط والكوفة وأكثر المدن الشرقية الكبيرة واضطر القائم بأمر الله ان يوقع على صك يتضمن ان الحق في الخلافة كله للخلفاء الفاطميين ثم دب نفوذ المستنصر الى خراسان وشرقي بلاد فارس ولولا ان حاكم تلك البلاد رأى ان رسوخ قدم العلويين هناك

بقصره فأوقف سير نفوذهم وسار بجيشه الى بغداد فأعاد السلطة العباسية
ـ لبلغ نفوذهم آخر بلاد العباسيين وأما مكة المكرمة فكانت تتنازعها
السلطتان فتغلب هذه تارة وهذه تارة

لما قوي الخلل استفحل أمر الاتراك وكانت أم الخليفة استكثرت
من أبناء جنسها السودان وجعلتهم مناصبين للاتراك فسفكت بينهما دماء
غزيرة وكانت بلاد مصر قسمين الوجه القبلي «الصعيد» في قبضة
السودان والوجه البحري في قبضة ناصر الدولة الوزير، وقد ضيق هذا على
الخليفة بعد ما استنزف الاتراك ثروته ونهبوا قصره حتى لم يبق له ما يلبسه
الا الاسمال الخلقة البالية التي لا تكاد تستر عورته ثم أشفق عليه فعين
له مئة دينار في الشهر . ولما لم يبق للاتراك ما ينهبون اقتسموا المكتبة العلمية
وكان فيها نحو عشرين ألف مجلد وكان لحاكم الاسكندرية ابن المحترق قسم منها
بعثوا به اليه فنهبه العربان وأخذوا جلود الكتب للاحذية وأحرقوا الباقي!!!

وقد اغتنم بدر الجمالي نهزة الخلل فاستقل في سوريا ثم استدعاه المستنصر
للقاهرة مستنصرا به فجاءها وقتل امراءها عن آخرهم ثم أسرف في قتل
أمراء القطر وأصحاب النفوذ فيه حتى أخضع البلاد فقلده الخليفة السيف
والقلم وامارة الجيوش فانفرد بالحكم وسار سيرة حسنة في اصلاح البلاد
وترقية الزراعة والتجارة وتشييد المباني الضخمة من المساجد وغيرها .
وقد خرجت صقلية (سيسيليا) في عهد المستنصر من سلطة المسلمين لاهمال
أمرها مع خصبها وعظمها

وكان الآمر باحكام الله مولعا بالملاهي مغرما بالنساء ولا سيما البدويات
فقتله الباطنية وهو قاصد زيارة معشوقة له بدوية . وتولى بعده ابن عمه

الحافظ لدين الله وكان غرا بعيدا من السياسة ومذاهبها مفتتنا بالسلطة الدينية (الكاذبة) ومفوضا أمر الادارة الى الوزراء الذين قتل حسادهم خيارهم لقربهم منه . وتولى بعد الحافظ ابنه الظافر بأمر الله كما قلنا وكان منقطعاً لسماع القيان والاستمتاع بالحسان غير مبال بما يتهدد شرقي ملكه من الصليبيين وغربيه من أمير صقليه الذي زحف الى مصر . ثم انتهى هذا الخلل بمجيء الملك الحازم صلاح الدين الايوبي الذي أزال هذه الخلافة الفاسدة المضرة وأسس الدولة الايوبية خاضعة للخلافة العباسية الاسمية .

وأقبح شيء حصل في خلافتهم الدعوة الى مذهب الباطنية ، فان الدعوة الى الدين من مقوماته وقد أهملها المسلمون في كل عصر وقام بها دعاة الفاطميين لاجل ابطال الاسلام وسنشرح ذلك في محله ان شاء الله تعالى

وأما العثمانيون فلم يكن قيامهم بدعوى الخلافة الدينية بل قاموا بعصبية الملك وأول من فطن للرياسة الدينية عاقل زمانه السلطان سليم ياوز ، ولو تم له ما يتمنى لبني للاسلام بناء لا ينقض ، فقد كان من أمانيه جعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ومد نفوذه في البلاد الاسلامية كبلاد العرب والهند وسنبين ذلك وفوائده في فرصة أخرى ثم لم يكن لاسم الخلافة شأن في آل عثمان حتى جاء مولانا السلطان الحالي عبد الحميد خان أيده الله تعالى فاحيي هذا اللقب الشريف واجتهد في جمع كلمة المسلمين عليه وسنكتب مقالة مخصوصة في هذا الموضوع نبين فيها رأينا فيما تحيي به الخلافة الاسلامية الحياة الطيبة ان شاء الله تعالى

ظلم الدول للمسلمين

(في كريت)

كاتب من قنديه

اختلف كتاب الجرائد الاوربية وتبعتها الجرائد المصرية في شرح الحوادث المحزنة التي جرت في «قندية» أخيرا ثم اتخذت وسيلة لتعجيل القضاء على هذه الجزيرة المنكودة الحظ

وأحمد الله على ان جريدتكم الغراء قددخلت الممالك المحروسة الشاهانية بإرادة سنية اذ هي الجريدة الوحيدة الاسلامية التي يمكنها شرح حالتنا التعيسة وايصالها الى جميع اخواننا العثمانيين

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ونحن وان لم نرد من شرح حالتنا رفع الشكوى الى جميع قراء المؤيد لان مقامنا الآن لم يبق مقام شكوى ولا تنفع فيه الدعوى الا أننا نفرج كربتنا بشرح حالتنا لاننا نعتقد أن جميع اخواننا العثمانيين سيتوجعون لمصابنا ويتألمون بآلامنا ولذلك رأيت أن أوافيكم بالحقيقة كما هي ليتدبر من أراد ان يتعظ بحوادث الايام وليتذكر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

قضى الله على جزيرة كريد أن تكون مأوى لدسائس ذوي الغايات السياسية أعداء الاسلام والمسلمين اذ كبر عليهم أن تبقى جزيرة كبيرة

مثل هذه الجزيرة في أيدي تلك الامة التي يحسبونها الخصم الالد مدى الدهر ، وبذلك جرت الفتن والثورات فيها منذ ثلاث سنوات وكان شبوبها بأيدي أبناء وطننا المسيحيين الذين اتخذهم الاجانب خصوم الدولة آلات لتنفيذ غاياتهم السيئة في بلادنا ولم تكد تشب نيران هذه الفتن في الجزيرة حتى أسرعت الدول الاوربية الكبرى بسفنها ولها حجتان : الاولى حماية المسيحيين في بلاد الدولة العلية من ظلمها — وهم الثائرون — والثانية حماية الانسانية والعمل لما فيه راحة النوع البشري الذي وقفت أوربا نفسها على خدمته في مدى القرن التاسع عشر !!

ولكن الدول نفسها وجرائدها وكل ذي مسكة عقل وشفة ولسان شهدوا — والله خير الشاهدين — على ان الفتن لم تزد نارها شبوبا والانسانية لم تهتك حرمتها والنوع البشري لم ير العذاب المهين في عهد مثل ماكافح فيه مسلمو الجزيرة وشاهد جميع سكانها في ظرف السنتين اللتين تولت فيهما الدول الاوربية ادارة شؤون كريد

والكريديون أنفسهم شاهدوا بأعينهم الامور التي كانت الدول تجريها ضد بعضها في السر والعلن وغاية كل منها أن تمهد لنفسها مستقبلا ليس للاخرى في الجزيرة وهو السبب الوحيد في زيادة اضطراب أحوالها ومضاعفة خلل الامور وان كانت للجميع وجهة واحدة هي اضطهاد المسلمين والتنكيل بهم في كل حركة أو سكون

وبعد ما طال المطال على هذه الاحوال بل الاوحال قرر أمراء بحرية الدول انشاء لجنة عليا مؤلفة من خمسة أشخاص من مسيحيي

الجزيرة للنظر في المحاكم وتدبير واصلاح الامور والمحافظة على الامن العام . . . والنظر في صرف ماهيات (الجندرمه) وكيفية تحصيل الضرائب المفروضة على الاهالي لهذه الغاية

والغريب انه لم يكن لهذه الحكومة المؤقتة من وظيفة غير مطالبة المسلمين بالضرائب المفروضة على أملاكهم مع ان أملاكهم هذه كانت محصورة في أيدي المسيحيين يتصرفون فيها كيف يشاؤون . فما لم يجنوا ثمرته استأصلوه من جذوره قطعا بالفؤوس أو حرقاً بالنيران فضلا عن الايقاع بكل من يخاطر بنفسه ويخطر على باله ان يسعى لاخذ شيء من حاصلات أرضه. فقام المسلمون يشكون من هذا الظلم الفادح ويصيحون يا للعدالة ياللانصاف من هذا الجور والعسف؛ ولكن أهل العدالة كانوا قد وضعوا أصابعهم في آذانهم حذر صواعق النداء الحق فازدادت بالمسلمين الحيرة وذهبوا فوجا بعد فوج الى سعادة أدهم باشا محافظ قنديه ورفعوا له العرائض الطوال العراض أن يسمح لهم بالخروج الى حقولهم ليتأتى لهم الحصول على شيء مما يسدون به بعض المطلوب منهم فخاطب الاميرالية في ذلك فاعرضوا عنه كل الاعراض

وبينما المسلمون فى الضنك الشديد بين هذه العوامل المختلفة اذ قرر الاميرالية طرد مأموري الاعشار المسلمين من وظائفهم وعهدوا في أمر هذه المصلحة في قنديه الى رئيس هو من زعماء الثورة وأحد صنائع الانكليز المشهورين في الجزيرة واسمه (ألكسي) وعينوا له أيضا سكرتيرا وأمينا للخزينة ونحو عشرين كاتبا من المسيحيين وأرسلوا الجميع الى محل ديوان الاعشار مخفورين بجماعة من عساكر الانكليز للمحافظة عليهم من

جهة ولتسليمهم أزمة الاعمال من جهة أخرى . والقارىء يفهم من أول وهلة ماهو الغرض من هذا الانقلاب الذي يحتاج العمال معه في الوصول لمحل مأموريتهم الى حراسة عسكرية وخصوصا في ظروف كهذه

وعند ذلك اجتمع المسلمون حول الادارة عزلا من كل سلاح وعارضوا في تسليم زمام أحكامهم الى أعدائهم الذين اختلسوا أموالهم وانتهكوا حرمة الدم والعرض بينهم . ولكنهم لم يكادوا يعارضون حتى جاءت فرقة من العساكر الانكليزية تحت امرة قائدها الكبير يصحبه ابن ڤيس قنصل انكلترا ووكيل قنصل أمريكا في قنديه

وقد أخذ هو وعساكره يعاملون المسلمين بكل أنواع التحقير والاهانة من سب وضرب وطردوهم على ماهم فيه من الكدر وشدة التغيظ يطلبون حقا ويدافعون عن أشرف حق للانسان وهو أن لا يكون خصمه حاكمه ، وبذلك تمكن هذا القائد من طرد العمال المسلمين وغير العمال منهم وتسليم مركز الحكومة للمسيحيين

أما المسلمون فقد تضاعف حنقهم وغيظهم وتجمهرهم وهو ما كان يطلبه ويعمل له ذلك القائد ، ثم استقر رأيهم على ارسال أربعة أشخاص من كبارهم الى القائد ليحتجوا على فعله ولم يكد هذا الوفد يصل الى باب دار الحكومة حتى أطلق عليهم الرصاص من العساكر الذين كانوا واقفين بجانبي الباب عملا بأمر قائدهم من اطلاق الرصاص على كل من يعود الى دار الحكومة من المسلمين فوقع الاربعة مضرجين بدمائهم وفارقوا الحياة شهداء بلا ذنب ولا جريرة غير كونهم ظنوا أن لدى القائد بقية رحمة وعدالة فقصدوه للاستنصاف من عمله بالشكوى اليه !!!

وبديهي انه لم يكن ينتظر من المسلمين الواقفين صفوفا على بعدمن دائرة الاعشار بعد ان رأوا اخوانهم يتخبطون في دمائهم سوى أن يغلبوا على صبرهم ويفقدوا الرشد وينادي بعضهم بعضا : سلاحكم . سلاحكم وهكذا كان ،

وبعد برهة وجيزة كنت لا ترى الا أفظع المناظر وأشدها وحشة ورعبا لأن المسلمين المساكين تقلدوا السلاح خيفة أن يكون صدرالامر باطلاق الرصاص عليهم أجمعين فبمجرد رؤيتهم على هذه الحال أطلقت العساكر الانكليزية الرصاص عليهم وصارت الرجال تسقط عشرات عشرات على الارض صرعى يتخبطون في دمائهم وهم كذلك كانوا يطلقون النيران على أعدائهم

أما المسيحيون فقد ظهر انهم كانوا متقلدين الاسلحة مستعدين للحرب عند أول حادثة وقد رأوا الفرصة التي لم يكونوا يحلمون بها وصاروا في جانب صف العساكر الانكليزية يطلقون الرصاص على المسلمين علما منهم بأن هذه المذبحة عائدة مسؤوليتها — أو شرف الافتخار بها — على انكلترا وجيشها ! وقد زاد اشتراك المسيحيين الكريديين في المذبحة مع الانكليز هياج المسلمين وجعلهم يخاطرون بأرواحهم رخيصة في سبيل الدفاع عن شرفهم والانتقام من أعدائهم

وفي هذه الاثناء ظهر حريق في أحد بيوت المسلمين فاشترك الانكليز والمسيحيون والنار التي أضرمها الثوار في هذه الفظائع ضد المسلمين . ثم ظهرت عدة حرائق أخرى من الجانب الذي كان الثوار يتحاوزون اليه مما اكد الظن بأن الموقد للنار هم الثوار ليشغلوا المسلمين

بها — اذ هي في املاكهم — عن القتال فيتمكن هؤلاء من الانحاء عليهم

ومما يذكر هنا على سبيل تقرير الحقيقة التاريخية أن فريقاً من المسيحيين الثائرين كان يشترك مع الانكليز وفريقاً آخر كان ينهب ويفتك وينهك في حرمات النساء المسلمات في البيوت التي أشعلوا فيها النار ثم انضم اليهم بعد ذلك بعض العساكر الانكليزية . والخلاصة انه لم يكن فتك الثائر بالنساء والاطفال بأقل من فتك العساكر الانكليز والثوار المسيحيين بالرجال جانبا وبالاعراض والاموال جانبا . وكنت ترى الطفل مضموما على صدر أمه والنار تلعب في أردانها والثائر يقطع في أقراطها ويجذب في عقودها وأساورها ! بل ويراودوها عن نفسها ! ثم يتركها على أفظع الحالات تتقلب في وسط النار وهي تحاول أن تقي ولدها بين أضلاعها فترى النيران بين جوانحها أشد عليه حرارة وسعيراً من نيران أشعلتها يد الطغاة الآثمين .

ثم لم يقف الامر عند هذا الحد فان القائد الانكليزي لم يكفه ماشاهده الكريديون من عظم قوته البرية فأراد أن يفتن ألبابهم بقوته البحرية ولذلك بعث برسالة الى قومندان احدى الدوارع الانكليزية الراسية بالميناء أن يطلق مدافعه على الجهات التي يحتمي فيها المسلمون وهنالك انصبت كرات المدافع عليهم كالصواعق واستمر اطلاقها زمنا حتى بلغ عدد ما أطلق ست وثلاثين كرة وأترك للقراء حساب عدد الانفس التي فتكت بها كرات المدافع في بيوت حشر فيها عشرات المئات بل ألوف من المسلمين الاحتماء فيها . وقد ذهبت جملة عائلات برمتها شهيدة تحت ردم المنازل التي انهارت على الملتجئين اليها بحجة انها كانت مأوى رؤساء الثائرين من المسلمين

وكان القائد العثماني يوالي الاحتجاج بعد الاحتجاج على القائد الانكليزي الذي أوقف اطلاق المدافع بعد بلوغ ذلك العدد كما ان الثوار المسيحيين اختبئوا وقتئذ حتى لا يظهروا امام الجميع مشاركين للانكليز في فعلهم ولكن من لنا بمن كان يقنع النار أن تقف عند حد بعد ما استطار شررها وملأ شواظ نارها الجو وبعدما استطالت في تدمير المنازل والاسواق وقد أبي الله أن تنطفيء الا بعد ان دمرت ١٦٢ منزلا فضلا عن السوق الكبير المسمى (سوق الوزير) وقد التهمته النار برمته ودامت مستمرة مدة ثمان ساعات حتى لم يبق فيه ما تلتهمه . أما القتلى والجرحى فقد بلغ عددهم في هذه الحادثة المحزنة ٢٩٢ نفساً

وياليت القائد الانكليزي وقف عند هذا الحد أيضا فانه طلب اخراج احدى وأربعين عائلة من فقراء المسلمين من منازلهم لكونها واقعة على ربوة عالية خشية أن تثور فتنة أخرى ويتخذ المسلمون هذه المنازل العالية كمتاريس وملاجيء يطلقون منها النار أو يعتصمون فيها فأخرجت تلك العائلات من ديارها ذليلة طريدة وسلطت على هذه الدور معاول الهدم فسويت مع التراب ولكن السكان شهدوا لذلك القائد الانكليزي بالشفقة الانسانية والرحمة البالغة اذ لم يكلف أصحاب تلك الدور بنقل أنقاضها على رؤسهم وأكتافهم !! . وفرح هؤلاء بهذه النعمة الكبرى وأسرعوا الى الشوارع التي يقيم فيها اخوانهم الذين أحرقت دورهم بالنيران فبقوا والارض فراشهم والسماء غطاؤهم الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا

هذه هي الحادثة التي سمتها الجرائد الانكليزية فتنة المسلمين في قندية وطلبوا من اجلها تجريدهم من السلاح وعاقبوا اثني عشر منهم بحكم الاعدام

انفذوه على سبعة منهم في ١٥ اكتوبر الماضي وسينفذونه على خمسة آخرين كما عاقبت اوربا المتمدنة الدولة العلية عليها باخراج عساكرها من كل الجزيرة كأنهم كانوا يريدون ان تشترك هذه العساكر مع العساكر الانكليزية والثوار المسيحيين في قتال اولئك المسلمين فلما لم تقم بهذا الواجب عليها لم يكن لها مقام في الجزيرة فلتشهد اوربا وليعتبر المسلمون

شرحت لكم في مقدمة هذه الرسالة حادثة قندية المحزنة التي يسمونها (فتنة المسلمين) وهي الحادثة التي قضت على الجزيرة القضاء الاخير كما تعلمون

واريد الآن ان ابين لكم الحالة التي آلت اليها الجزيرة بعد ذلك فان الدول الاربع وهن انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا قمن وقعدن وارغين وازبدن وآلين الا ان تخرج العساكر العثمانية بحذافيرها او ينزلن الصواعق المهلكات على رؤوس المسلمين في الجزيرة وبهذا المعنى رفع السفراء الاربعة في الاستانة العلية مذكرة اجماعية الى الباب العالي وجرت المخابرات بينهم وبينه حتى انتهى الامر الى اجابة سؤلهم لان حكمة جلالة مولانا السلطان الاعظم قضت ان لا تزهق أرواح ألوف من أبرياء المسلمين في الجزيرة فدية لسلطة زائلة معها لا محالة

وسواء كان في استطاعة الدول الاربع تنفيذ ما أنذروا به الباب العالي أولم يكن ذلك في امكانهم فانه قد قضي الامر واستلمت الدول الاربع بصفة مؤقتة أمس (٥ نوفمبر سنة ٩٨) ادارة الحكومة في كل لواء .وفي مركز خانية على الخصوص

ومن جملة ذلك استلام الانكليز ادارة متصرفية (قندية) ورفع

العلم الانكليزي على دار الحكومة بجانب العلم العثماني . وعين السير (شر مسايد) القومندان العمومي هنا المستر (ماكماهون) اليوزباشي محافظا للمدينة وانكليزيا آخر في رتبته حكمداراً للبوليس وآخر كذلك مديرا للبلدية وقد عزل جميع مأموري العدلية المسلمين وضباط وأنفار (الجندرمة) الاجانب (الارناؤد) ومأمور الجمرك المسلم

وفي هذا اليوم أيضا دخلت بقية العساكر العثمانية مع الطوبجية كافة آخذين معهم مدافع كروب الجديدة وسائر مدافع البطاريات المستعملة وستتوجه البيادة منهم الى سلانيك والطوبجية الى أدرنه

وكذلك علمنا من أخبار ريثميو أنه في يوم الاربعاء ٨ تشرين الاول سنة ٣١٤ أجلت العساكر العثمانية الموجودة في قرى (مارولا) و(ايلاطانو) و(بانوذي) و(انويا) و(خرومانستر) و(فيذينا) وخلفتهم فيها العساكر الروسية . وعندئذ اطلق الاهالي المسيحيون القاطنون بتلك الجهات العيارات النارية اعلانا بفرحهم وسرورهم من تبدل الاحوال وصاحوا دعاء: لتعش اوربا لتحي النصرانية لتسقط تركيا (لا سمح الله)

وافادتنا ايضا اخبار خانيا ان اميرالية الدول الاربع استلموا ادارات الماليه والجمرك ودار الحكومة بالاشتراك ووظفوا في جميعها جملة من المسيحيين الكريديين وطردوا كل مسلم من وظيفته بحجة عدم الثقة بهم وعدم استئمان جانبهم

ومن هذا وذاك يعلم القراء ان الاحتلال في خانيا مشترك والسلطة كذلك مشتركة الا ان النفوذ الفرنساوي فيها ظاهر على نفوذ بقية الدول الاربع . وسبب ذلك ان لانكلترا اختصاصا باحتلال (قندية) وانفرادا بالسلطة فيها

كما ان للروسيا اختصاصا باحتلال (ريثيمو) وانفرادا بالسلطة فيها

والمسلمون في خانيا يشكون من كثرة ايذاء الفرنساويين لهم بالسفاسف من الاعمال كرمي المؤذنين على المنارات بالاحجار وكطرح القاذورات على أبواب المساجد وكالعبث بألفاظ غير لائقة اذا رأوا امرأة مسلمة مارة وما أشبه وكذلك المسلمون في قنديه يشكون زيادة العسف والظلم في الاحكام والاضطهاد المتوالي والجبروت العالي . وقد أصدر المجلس العسكري الانكليزي قراره باعدام خمسة أشخاص من كبار المسلمين المتهمين في واقعة ٢٥ أغسطس وأعدموا فعلا شنقاً في يوم الجمعة ١٧ تشرين الاول سوى السبعة الذين أعدموا قبل عشرة أيام من ذلك التاريخ

وتوجد الآن أربع محاكم عسكرية انكليزية في قندية كل واحدة منهن مختصة بنوع من الجرائم على زعمهم لمحاكمة الذين تصدوا على عساكر الانكليز أو المحتمين بالحماية الانكليزية من سكان الجزيرة — وما أكثرهم الآن - وكذلك على مطلق مسيحي الجزيرة

والغريب أن جميع التحقيقات الجارية هنالك تؤسس وتبنى على قواعد شهادات المسيحيين الكريديين بدون وجود أحد من أعيان المسلمين أو من قبل الحكومة العثمانية . واذا طلب أحد المسلمين شهوداً من أبناء ملته فيكفي في تفنيد شهادتهم أن يقال ان الشهود أقارب المشهود له بأي صلات القرابة والعمدة في ذلك على تعريف المسيحيين الكريديين لانهم هم وحدهم الذين يستطيعون معرفة قرابة المسلم للمسلم بالجزيرة ! وهذا

منتهى العدالة الانكليزية ومنتهى التمدن الاوروبي الذي رزئنا بمصائبه!!

والخلاصة أن المسلمين في جميع أنحاء الجزيرة أصبحوا حيارى، عليهم سمات الذل وصبغة الاحزان لا يدرون ماذا يفعلون وقد ضاقت في وجوههم رحبيات الآمال ، يتعدى عليهم بأنواع العسف والجور فلا يجدون لهم مناصا الا الاستسلام، وتهان نفوسهم ونواميسهم الادبية فلا يجدون لهم نفقا في الارض ولا سلما في السماء يهربون منها الى غير هذه الدنيا الكدرة ...

ويقال ان هذه الادارة المؤقتة تستمر مدة ثلاثة أشهر ولا يبعد أن تستمر مثل مدة الحصار البحري الذي كانوا يقولون في أول الأمر ان أجله ثلاثة أشهر أيضاً واذا قضى الله أن تحق على مسلمي الجزيرة كلمة الشقاء الى الابد ويعين البرنس جورج اليوناني حاكما على كريد لم يبق أمام المسلمين كلهم الا الهجرة العمومية مخافة أن يلاقوا في أيامه الشؤمى أضعاف ما يلاقون من العذاب الهون في عهد ادارة الدول المتمدنة

بقي على القراء أن يعرفوا مآل (سودا) الان وأقول لهم ان الاحتلال فيها مختلط مثل خانيا وان كان الاحتلال البري لروسيا

وأهم خبر عن (سودا) الآن أن الدول الاوربية مختلفة فيمن يستولي على ترسخانة « دار صناعة » هذه الميناء بعد اخلاء الحكومة العثمانية لها لانه حتى الان لم يتم اخلاؤها . ولا غرو فمثل هذا الخلف كان منتظراً وسيستفحل أمره وتظهر النوايا الخبيثة متى طال الامر على هذه الادارة المؤقتة وكل آت قريب .   ابن شهيد في كريد

(المؤيد)

تقويم الافكار

(لحضرة الفاضل حموده افندي (بك) عبده المحامي)

٢

الحقيقة الثانية هي السياسة وهي النظر في شؤون الامة والسير بها في منهاج يقودها الى مواطن الراحة والسعادة وهي نوعان سياسة داخلية وسياسة خارجية فالسياسة الداخلية هي التي تلزم الملك في ادارة شؤونه الداخلية ولا بد للملك الراغب فيها أن يحيط بأحوال رعيته ويقف على ما يجري فيها ويتعرف سيرة بطانته وكبار أمته ويراقب اعمالهم وينظر في حركاتهم ومتى ظهر له وتحقق أن منهم من ينحرف عن سنن الاستقامة ويبيع الذمة ويبيح المظلمة وينفذ الغرض والشهوة وجب عليه أن يبعده ويحل به نكبته . أما اذا استوثق من استقامة أحدهم فعليه أن يكافئه ويحله محلا من رعايته وينزله منزلة الكرامة ويمن عليه بعلو المكانة فان ذلك مما يشجع المعتدلين في سيرهم ويقوي من آمالهم ويحبط عمل المنحرفين فيرجعون عن غيهم ويتركون سبيل اعوجاجهم فبهذا تصفو له القلوب وتحوم عليه الافئدة وبهذا تخضع له الطباع المستحجرة والرقاب المستعصية : أما المستقيمون منهم فلركونهم الى عدله واطمئنانهم بفضله وأما المنحرفون فلخشيتهم من بأسه ومهابتهم من صولته انما على الملك أيضا أن لا يأخذ بالريب ولا يبطش بالظن ولا يحكم بالوهم ولا يجعل كلام الجاسوس سنداً يؤاخذ به أو حجة يعاقب بها وان يبعد اهل الوشاية ولا

يقرب اولي السعاية فان ذلك مما يغير القلوب ويوغر الصدور ويولد الحقود فيصبح البريء مؤاخذاً والجاني منعما والمعتدل مبعداً والمنافق مقربا وهذا حال لا يستقيم معه شأن ولا يتوطد به نظام فتضيع الثقة من الحاكم وتصبح أحكامه مظالم ويعسر عليه أن يسوس الرعية ويقود الامة

قالوا: بالراعي تصلح الرعية ولكن هذا المفهوم لا يؤخذ على اطلاقه فان استقامة الحاكم وحدها لا تكفي في ارتقاء الامة اذا كانت هذه فاقدة التربية وتعوزها العلوم والمعرفة ، وأمر بديهي ان الحاكم الاكبر وظيفته ان يأمر ويسن قوانين وينشر لوائح ولكن المنفذ والواقع عليه التنفيذ ليسوا الا رجال الدولة والرعية وحينئذ لابد لتوطيد سياسة الملك من نشر التعليم والاعتناء بأمر التهذيب حتى تتثقف العقول ويفهم الناس ارادة الحاكم ويفرقوا بين الحق والباطل خصوصا وان صاحب الامر في الامة مهما كان علمه محيطا بأحوالها فان هناك اشياء يتعلق بها النظام ولكنها لا تصل الى علمه ولا يحس بها غير الرعية المباشرين لحركتها فلا بد لايجاد هذا الاحساس أن تستشعر الافراد بما يلزمهم ومايصلحهم حتى يرشدوا الحاكم اليها وقد يعرض للحاكم أحوال كثيرة وصعوبات شديدة لا يمكن ان يفكك مشاكلها أو يذلل شدائدها الا باتفاق مع رعيته والاستعانة بآرائهم وهذه حالات هي في غنى عن البيان. فاذا كانت الامة فاقدة الحركة العقلية عارية مما يلزمها من المعرفة كيف يستقيم للحاكم أمر في مثل هذه الحالة؟

ومن دعائم السياسة في الدولة ان يكون المستظلون برايتها يحكمهم قانون واحد ولا يفرق بين وطني وأجنبي ولا أريد بلفظ القانون الا معناه الخاص وهو الذي يفصل بين الناس في معاملاتهم وما يقع بينهم من الجنايات والجرائم فانه

اذا ميز فريق عن آخر في دائرة الحكم انصدع النظام وانتكست العدالة خصوصا اذا كان هذا التمييز للاجنبي كما هو حاصل اليوم في بلادنا فان الوطني يرى نفسه أحق بالامتياز من الاجنبي الذي ارتحل عن بلاده وحل في أرض أخرى طلبا للقوت وطمعا في جلب الثروة فكم يستشعر الوطني بآلام هذا الامتياز وكيف يحب حكومته مع حرمانه من امتيازات بلاده بل حرمانه من أهم حقوقه ؟ واذا بغض حكومته كيف يمكن أن تسوسه وتأمل منه خيراً ؟ ثم إذا كان هذا الامتياز للوطني فالاجنبي لايخالج ضميره هذا الاحساس لعلمه أن المميز أهل لذلك وأحق به لان البلاد بلاده والحاكم من جنسه يميزه كيف يشاء . ويظهر من هذا خطأ إنشاء المحاكم المختلطة والمحاكم القنصلية في الديار المصرية وانها لطريق وعر في اقامة السياسة الداخلية وتوطيد الراحة العمومية واليك مثالا من نظام تلك المحاكم :

اذا قتل وطني أجنبيا نصبت للقاتل الشباك وقبضت عليه المصايد وزج في السجن وجيء به الى المحاكم وحوسب على مااقترف وحكم عليه بالاعدام في يوم معهود ومشهد معلوم وهذا عدل لا يرتاب فيه أحد ولكن اذا كان القاتل هو الاجنبي فلا تنصب له الشباك ولا تصطاده المصايد بل يبعث باوراق التهمة الى القنصلية فاذا رآها القنصل وكان رجلا عادلا حكم بنفيه الى بلاده ثم يعود الجاني بعد قليل من الزمان ويعيش بيننا بالسلام وبالامان ، وان كان القنصل ممن يتهاونون بالقانون خلى سبيل الجاني وقال ان عندنا من الاشغال السياسية مالا يسمح معه بالنظر في القضايا فلسنا قضاة !! ولهم المذر وبهذا تضيع حقوق أهل المقتول وحق النيابة في النظام

والسلام فهذا هو طرز القضاء في الجنايات الذي عليه قطرنا وبه حفظ الامن وراحة السكان!

ومن دعائم سياسة الملك الداخلية عدم التفريق بين طبقات الامة في تولي الاعمال ونوال الوظائف فلا يصح قصر الوظائف على ابناء الطبقة العليا فان الكثير منهم بل الاغلب فيهم غير أكفاء لتقلد الوظائف وادارة الاعمال بل على العكس من ذلك فان في الطبقات الاخرى من هو أكثر استعداداً وأقوى ذكاء وأحسن طباعاً وأشد محافظة على الشرف والآداب من ابناء الطبقة العليا وحينئذ فلا بد للحاكم من ان يحكم الكفاءة في تولي الاعمال وادارة الشؤون حتى يؤمل أن تسود رعيته وتصلح أمته

لها بقية

الموسوعات

مجلة جديدة ظهرت في مصر القاهرة تصدر في غرة ومنتصف كل شهر عربي تبحث في كل فن وترمي الى كل غرض يتولى تحريرها لجنة من أفاضل الكتاب في مصر وينشر شاعر مصر اليوم أحمد افندي (بك) شوقي فرائد أشعاره ومحاسن رواياته فيها وقد عهدت اللجنة في إدارة المجلة الى حضرة الاديب الفاضل أحمد حافظ افندي عوض وقد أودع العدد الاول منها بعد المقدمة وبيان غرض المجلة نبذة تاريخية شرعية كان خطب بها على جمعية المعارف المصرية العالم الفاضل علي افندي بهجت مترجم نظارة المعارف تبحث في عقد زواج القائد (جاك فرنسوامنو) باحدى بنات أشراف رشيد بعد تظاهره بالاسلام الذي مكنه من خداع المسلمين وخدمة أمته

الفرنسية بما لم يكن لبناله لولم يتظاهر بالدين الاسلامي . ومقالة في السكك الحديدية . ومنزلتها . وبعض نبذ متفرقة من (رواية الارياس — او آخر الفراعنة) لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي (بك) شوقي . والرجاء معقود بأن هذه المجلة ستصادف اقبالا ورواجا لان اصحابها من أعرف الناس بمرامي أفكار القارئين في هذه البلاد وبما يرون انفسهم في حاجة اليه وهم محل ثقة من الامة المصرية نجح الله مقاصدهم ونفع الوطن بعملهم بمنه وكرمه

ادبيات

ذكرنا في العدد الماضي انتقاد المقتطف تعميل بعض البحور التي نقلها عن كتاب الالماني وقلنا ان في ذلك الانتقاد على اطلاقه مقالا وعدنا بذكره في هذا العدد فنقول الآن

قوله في تصحيح المنسرح أنه مستفعلن فاعلات مفتعلن يوهم أن هذا هو أصل أجزائه ويعلم أبناء الصناعة ان الاصل مستفعلن مفعولات مستفعلن وانما يكون كما قال اذا عرض له الزحاف المسمى بالطي وهو حذف الرابع الساكن كما هو المستعمل وبالنظر للاصل يكون قد اقره على الخطأ في فاعلات واعترض على الصواب في مستفعلن . وقوله في تصحيح المقتضب انه فاعلات مفتعلن يوهم ان هذا هو الاصل في اجزائه ومعلوم ان الاصل فاعلاتن مستفعلن مستفعلن الا انه يجب ان لا يستعمل الا مجزوءا فيكون فاعلات مستفعلن كما جاء في كتاب الالماني ثم يدخله الطي فيكون فاعلات مفتعلن كما قال المقتطف وقد نبهنا على ذلك لئلا يشتبه الامر على الطالبين

ما اشبه اليوم بالامس

(لابي العلاء المعري)

أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا خيرا أسروه أو شرا أذاعوه

ماحُم كان ولم تدفعه مشفقة ويفصل الامر في الدنيا مطاعوه

ان ابن يعقوب[1] نال الملك عن قدر برغم ناس لبعض التَّجر باعوه

وخالد بن سنان ليس ينقصه من قدره الكون في حي أضاعوه

مالي رأيت دعاة الغي ناطقة والرشد يصمت خوف القتل داعوه

لا يفرحن بمولود ذوو شرف فانما بشراه الطفل ناعوه

كذلك الدهر عني من يصاحبه ولم يعد بسوى الخسران ساعوه

والله حق وان ماجت ظنونكم وان اوجب شيء ان تراعوه

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

(فأضلونا السبيلا)[*]

٤

(أهل العلم والتعليم)

قلنا ان سادتنا وكبراءنا هم الخلفاء والامراء الذين بيدهم امر الاحكام ، والعلماء الذين بيدهم زمام التعليم، والمرشدون الذين تصدوا التربية العملية ، وقد مضى الكلام على الخلافة والخلفاء وفي غضونه إلماع الى

(١) في نسخة الاصل: أن النجاشي

*) فاتحة العدد السادس والثلاثين الصادر في ١٢ رجب سنة ١٣١٦

سيرة الامراء، وأبنا أن ذنب الخلفاء الاكبر الذي ضيع الدين وفرق أهله شيعا هو عدم جمع المسلمين على عقيدة واحدة لا مجال للخلاف فيها، والاقرار على أن كل ما وراءها يعد من الابحاث العلمية والتفنن في طرق الفهم ولا يمس أصل الدين، والحظر على الدعوة والتعليم بما يمس العقيدة الاساسية المتفق عليها كما كان عليه الامر في عهد خلافة الراشدين، فقد خاض صبيغ (كعليم) التميمي على عهد عمر رضي الله تعالى عنه في المتشابه وسأل عن تأويل القرآن فجلده عمر حتى اضطربت الدماء في جلده، وفي رواية حتى شجه وسال الدم على وجهه ولما قال جئت ابتغي العلم قال له بل جئت تبتغي الضلالة، ثم قال احملوه على قتب واخرجوه الى بلاده ثم ليقم خطيباً فليقل ان صبيغاً طلب العلم فاخطأه، وكتب الى أهل البصرة أن لا تجالسوه فكان بينهم كالبعير الاجرب لا يجلس الى قوم الا تفرقوا عنه وتركوه وحده. ولكن الخلفاء والملوك تركوا الناس وشأنهم من الفوضى العلمية والدينية زمنا، وانتصروا للبدعة طوراً ودعوا اليها بل الى الكفر في طور آخر (كالفاطميين الذين دعوا الى مذهب الباطنية) وكل ذلك مرت الاشارة اليه في المقالات السابقة. ومن جراء هذا قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم

ومن سوء حظ المسلمين ان فساد الخلفاء والامراء تبعه في الغالب فساد العلماء الذين كان يرجى منهم تقويم العوج واصلاح الخلل ومداراة

الملل، واتبعوا خطواتهم في كل فج وساعدوهم باسم الدين على كل أمر، وفي كل عصر من العصور السالفة لم يرج في سوق العلوم حتى الدينية الا ما راج عند الامراء والسلاطين، قال الامام حجة الاسلام الغزالي في بيان سبب اقبال الخلق على علم الخلاف في كتاب العلم من احياء علوم الدين ما نصه .

«اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه، وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم، فلما أفضت الخلافة بعدهم الى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم، وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين (بكسر الصاد أي جانبه) ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات، [1] فرأى أهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الأئمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة

(١) المنار : كان ذلك الالحاح من حسنات الخلفاء وذلك الاعراض من سوء حظ المسلمين اذ كان سبباً في خروج القضاء عن أهله وتوسيده لمن شايع الظلمة على الافساد

فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا منهم الولايات والصِلات فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين، وبعد ان كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله ، وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات. ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يستمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات ، وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة، كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا (انصبوا) على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص ، وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد أصول الفتاوى،

وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن ، وليس ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار . فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ، ولو مالت نفوس أرباب الدنيا الى الخلاف مع إمام آخر من الائمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب من رب العالمين !!! » اهـ

أقول هذا ما قاله حجة الاسلام فى جماهير علماء المسلمين الى عهده في أواخر القرن الخامس ، والقرون الخمسة الاولى خير زمن المسلمين علما وعملا وتمسكا بالدين ، وقد كان الامر من بعد ذلك أدهى وأمر : جهالة عمياء ، وليال ظلماء ، وانتشار غوغاء ، ولا يغني الحجة بكلامه الا الغالب الذين كان بيدهم الزمام ، فأضلوا الامة بغش الامام ، وقد تولد من خلافهم في قواعد العقائد التفرق في الدين وتكفير بعضهم بعضا اعراضا عن القرآن واتباعا لشهواتهم وحظوظهم - أخبر الله تعالى انه وصى الانبياء (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وكفى بذلك تهديداً ، وأي تهديد أعظم من اثبات أن المفرقين لا تجمعهم بصاحب الدين جامعة مّا ؟؟ وقد نهى عن ذلك نهيا صريحا زيادة عما تضمنه هذا الاخبار من النهي حيث قال (ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) قال المفسرون أي فرقا تشايع كل فرقة إمامها الذي أضلها عن دينها ، والآيات القرآنية الآمرة بالاتحاد

في الدين وعدم التفرق فيه كثيرة (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

ولو ان غرضهم قمع المبتدعة والضال عن الحق كما زعموا لما حدث عن ذلك ماحدث من التفرق والتشيع الذي شق عصا الجماعة ورمى المسلمين بالانقسام الذي أوصلهم الى ما ترى . أليس قد كان الخلاف بينهم لفظياً في كثير من المسائل كما أوضحه المتأخرون بعد انتهاء عصور المشاغبات والغلو في التعصب والتحزب ؟ فكيف خفي عليهم ذلك وهم أعلم من المتأخرين الذين اهتدوا اليه لولا غشاوة الهوى على أبصارهم ووقر الانتصار للنفس في أسماعهم !!

أليس منها مالا فائدة من الخلاف فيه ولا يترتب عليه حكم كمسألة من هو الاحق بالخلافة من الصحابة التي كانت أعظم صدمة على الاسلام والمسلمين ولا تزال كذلك الى اليوم ؟ اذهي التي قسمت المسلمين الى قسمين كبيرين وهما السنية والشيعة . وقد أطال في بيان التلبيس في تشبيه هذه المظاهرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف الامام حجة الاسلام في الاحياء فليرجع اليه من شاء ، وما أحسن ماقاله في هذا المقام استاذنا الاكبر صاحب رسالة التوحيد وهو :

« بقيت علينا جرثة نظر في تلك المقالات الحق التي اختبط بها القوم اختباط الخوة تفرقت بهم الطرق في السير الى مقصد واحد حتى اذا التقوا في غسق الليل صاح كل فريق بالآخر صيحة المستخبر فظن كل أن الآخر عدو يريد مقارعته على ما بيده ، فاستحر بينهم القتال ولا زالوا يتجالدون حتى تساقط جلهم دون المطلب ، ولما اسفر الصبح وتعارفت الوجوه رجع الرشد

الى من تي وهم الناجون، ولو تعارفوا من قبل لتعاونوا جميعا على بلوغ ما أملوا ولو افقهم الغاية اخوانا بنور الحق مهتدين »

ولو شئنا بيان الفتن والحروب التي تولدت من هذه الخلافات لاحتجنا الى تأليف مجلدات

وأما الخلاف في الفروع فهو وان كان دون الخلاف في قواعد العقائد فقد نجم عنه فتن كبيرة وأضر بالمسلمين ضررا عظيما، ناهيك بالفتنة التي أثارها دخول العلامة ابن السمعاني في مذهب الشافعية، والفتنة التي هاجر بسببها امام الحرمين والامام القشيري وأضرابهم من وطنهم، والفتنة التي دفعت بالشافعية الانتصار بالتتار على الحنفية فكان ذلك سبب هلاك الفئتين، ولم تزل كتب الفقه محشوة بما يخجل المنصف من قراءته كقول بعض الحنفية يجوز للحنفي ان يتزوج بشافعية قياسا على الذمية ، وقد أفتى بعض حنفية طرابلس الشام لهذا العهد بعدم جواز الاقتداء بشافعي قال لان الشافعية يشكون في ايمانهم!! «والشك في الايمان كفر » لان أئمتهم جوزوا قول أنا مسلم ان شاء الله، فذهب بعض الشافعية الى مفتي طرابلس وطلب منه قسمة المساجد فتلافى الامر المفتي (جزاه الله خيرا) واستحضر ذلك الحنفي ووبخه ونهاه

والحاصل ان المسلمين بدأوا ينحرفون عن هدي الدين الاسلامي من العصر الاول ، فقد نقل العلامة الشاطبي في الاعتصام وغيره ان الصحابة الذين عمروا كثيرا كانو ينكرون ما رأوا في آخر حياتهم أشد الانكار، حتى قال أبو الدرداء وأنس بن مالك (رضي الله عنهما) لو رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى الدنيا لم يعرف من دينه الا هذه الصلاة، وقد

روينا عن شيخنا ابي المحاسن القاوقجي رحمه الله تعالى حديثا مسلسلا بقولهم: رحم الله فلانا فكيف لو رأى زماننا هذا وهو ينتهي الى عائشة رضي الله عنها فانها أنشدت قول لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقالت رحم الله لبيدا فكيف لو رأى زماننا هذا . وفي كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه من شكوى الانحراف عن الدين العجب العجاب . هذه هي الدلالة القولية وحسبك بدلالة الأثر فلولا انحراف العلماء والخلفاء لما انحرفت العامة ولما وقع المسلمون بهذه الرزايا والمصائب التي انتهت بهم الى فقر العقول وفقر الايدي وضياع السلطة وتمزقوا كل ممزق . وجملة ذنوب العلماء (١) الاختلاف في الدين (٢) الاعراض عن القرآن والسنة (٣) الاعراض عن علم التهذيب الذي هو لب الدين (٤) الاعراض عن معرفة سنن الكون التي أرشد اليها القرآن كثيرا (٥) معاداة العلوم والفنون التي عليها مدار العمران (٦) ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الدين (٧) ترك الخطابة في يوم الجمعة والخروج بخطبة الجمعة عما شرعت له (٨) الخروج بالدين عن سذاجته بتوسعهم في الواجبات العينية وصعوبة الكتب بحيث صارت الحنيفة السمحة التي كان يتلقاها الاعرابي من صاحب الشريعة في مجلس واحد لا يمكن أن يعرفها الانسان الا في سنين طويلة ولا سيما اذا كان له عمل آخر (٩) عدم مراعاة الزمان في أحكام المعاملات القضائية حتى اضطر الحكام الى العمل بالقوانين الوضعية، مع ان الشريعة أوسع من ذلك وأصولها تناسب كل عصر، وقد أوصلنا الجمود على مذهب واحد الى تضييق الشريعة

فكان الاختلاف في الفروع أيضا نقمة مع انه لم يكن في الاصل الا رحمة (١٠) حصر طريقة التعليم وكل موضوع من هذه المواضيع يحتاج الى كلام كثير وموعدنا الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى

تقويم الافكار

(لحضرة الفاضل حموده افندي (بك) عبده المحامي)

(تابع لماقبله)

٣

ومما يزعزع سياسة الملك الداخلية ويسبب تقويض اركان الدولة كثرة الاجناس واختلاف الاديان، ولهذا كلما كانت رعية الدولة مؤلفة من اجناس متعددة كلما صعبت قيادتها وكانت اقرب الى الهياج من السكينة والى القلق من الراحة، فان اختلاف الاجناس والاديان مما يؤدي الى الاختلاف في الطباع والعادات، ومتى كانت هذه متغايرة والاخلاق متباينة جر ذلك الى النزاع في المعاملة والتنافس في المصلحة ثم ان ابناء الجنس الواحد متى وجدوا بين أجناس اخرى ينبت فيهم نوع من العصبية والتألف يحملهم على الثورة والخروج عن الطاعة لاقل سبب واوهى حجة، ولهذا كانت سياسة الدولة العلية في امورها الداخلية من اصعب السياسات لان رعيتها مختلفة الاجناس والاديان فقد كانت من وقت غير بعيد صاحبة السيادة على السرب وبوسنه والجبل الاسود واليونان والبلغار وقبرص وقد اصبحت هذه البلاد اليوم في معزل عن حكمها وسيادتها

فأكبر عامل ترجع اليه هذه الحركات هو الاختلاف الذي بينته

فلا بد للدولة المؤلفة من الاجناس المختلفة من ان تكون راقية اوجا عاليا من المدنية وأفرادها بالغين مبلغا عظيما من الكمال والهداية حتى يمكن ان يستتب فيها نظام ويقوم لها حال ، لان ذلك الكمال يعرفهم انهم باجتماعهم تحت راية واحدة أصبحوا يداً واحدة يهمهم المحافظة على تلك الراية لانها هي التي تقيهم من كوارث الدهر وعوادي الايام وانهم متى كانوا يقطنون أرضا واحدة فعلاقات المعيشة تحوجهم الى تحسين المعاملات فيما بينهم ويجب عليهم احترام تلك العلاقة والسعي في توطيدها حتى تدوم فيهم المعاشرة ويصل كل منهم الى غايته ومنفعته ، وأرباب الاديان المختلفة لو رجعوا الى أصول كل دين لرأوها متحدة ولوجدوا أن كل دين ما نزل الا لامر واحد هو تهذيب النفس وتحسين علاقتها مع من يخالطها فكل دين قد أتى لهذه الغاية ، حث على الفضائل وحض على التوفيق بين الناس ، ولو فهمت كل طائفة حقيقة دينها لما نشأ بين الناس تباغض ولا حدث بين أهل الاديان المختلفة تنافر وتلك سنة الله تعالى في خلقه وهو القائل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) ولكن ضل أناس في كل دين واعتقدوا أن الاختلاف في الدين يوجب النفرة من غير أهله ويأمر بالتباعد عمن خالفهم فيه ومن هذا تخالفت العلاقات بين أرباب الاديان المختلفة وأصبح اختلاف الدين علما على المعاداة والتنفير وهذا كله سببه الجهل وهو راجع الى تقصير انصار الدين في كل أمة فانهم هم الملزمون بتبيان مايصلح العقائد ويقوم الافكار فيما يختص بالاديان

وربما يعتقد القائمون بأمر الاديان أن انتشار التعليم يكشف الغطاء عن الحقيقة ويمحو أثر هذا العدوان المنتشر بين أهل الاديان ويركنون الى ذلك ويقولون لالوم علينا ولا تثريب نعم لاننكر أن التعليم له بعض التأثير في تحسين العقائد الساقطة ولكن الاشياء الراسخة التي تلقن الى الطفل في طفوليته على انها من الدين تبقى لايقاومها التعليم مهما كانت درجتها من السخافة وكثيرا مانسمع بعلماء في الهند يغوصون بحار العلوم ويعضون أزمانهم في سبر غور الفنون ومع ذلك تراهم يعتقدون ان المهم هو الشمس والبعض يعتقد انه النار والآخر يعتقد انه القمر وغير ذلك من عقائد التخريف والهذيان فلو كان التعليم يحسن العقائد لكان هؤلاء أولى بتركهم هذه الخزعبلات فالواجب على أهل الدين من كل أمة أن يقوموا ببث معالم الدين حق القيام ويزيلوا هذا العدوان

هذا بعض ما تقوم به السياسة الداخلية في الدول وتتوطد به دعامتها ولنتكلم الآن على السياسة الخارجية أما السياسة الخارجية فهي ماتلزم الملك في علاقته مع الدول الاخرى ودعامة هذه السياسة هي المحافظة على حقوق الملك وعدم التفريط في شيء يعود ضرره عليه ومن أقوى أساساتها حب السلم وعدم تعريض الدول الى حرب تنشب بينها وبين دولة أخرى أعز منها قوة وأكبر انتظاما ، وقواعدها الحقيقية هي معرفة الامم الغابرة ودرس العلوم الجغرافية والتاريخية والوقوف على الاحوال الحاضرة التي تجرى بين الدول والعلاقات التي تتجدد بينهم حتى اذا دعي القائم بأمرها في الدولة الى أمر يشترك فيه معهم كان بصيراً في الاقدام عليه ويلزمه أن يكون مجربا يقيس ماجريات الحوادث بعضها على بعض

وهذه السياسة لا قانون لها وانما قد يحصل بين الدول معاهدات تختص بامور يجري العمل عليها الا انها لا تراعى حرمتها عند تحكم الاغراض السياسية والاهواء الذاتية فالمدار الحقيقي لها هو الاخذ بالحزم والروية والنظر الى العاقبة هذا ما يمكن ان يقال في معنى السياسة وبعضهم يخلطها بالنفاق فيجعله من ضروب السياسة وهذا شطط في سوء الاخلاق وفساد الطباع ونقص الآداب نعوذ بالله من سوء النية ومن خبث الذمة والرياء ونسأله الهداية ونسترفده العناية .

مقتطفات من الجرائد

السكك الحديدية

يبلغ طول السكك الحديدية التي قد أنشئت سنة ١٨٩٧ في أوربا ٥٦٠٥ كيلومترات أما السكك التي قد أنشئت في سنة ١٨٩٦ فيبلغ طولها ٥١٧٢ كيلومترا ولحكومة روسيا الجزء الاكبر من هذه الطرقات لانها قد أنشأت خطا طوله ١٥٢٤ كيلومترا وتليها في ذلك حكومة أوستريا (النمسا) حيث أنشأت ما يبلغ طوله ١٤٨٨ كيلومترا اي ٥٤٨ كيلومترا في أوستريا و ٩٤١ في بلاد المجر وتعد المانيا في هذا الميدان بعد اوستريا الان عندها من الخطوط الحديدية ما يبلغ طولها ٧٨٨ كيلومترا ولفرنسا فقط ٣٩٣ كيلومترا

واذا قورنت الطرقات الحديدية في بلاد اوربا بعدد الاهالي كان لحكومة السويج السبق لان الذي يخص مليونا من النفوس من طرقاتها الحديدية ٢٠٥٠ كيلومترا وحكومة سويسره يخص المليون من اهلها ١٢٠٠

كيلومتر ومن اهالي الدنيمارك ١١٠٠ كيلومتر وفرنسا ١٠٧٠ . واذا نظرت مساحة الارض وكثرة الطرقات عدت حكومة بلجيكا فى المقدمة لان الالف كيلومتر مربع من ارضها يخصها الفا كيلومتر من السكك الحديدية وتتبع انكلترا بلجيكا فى هذا الاعتبار فان الالف كيلومتر مربع منها يخصها ١٠٨٠ كيلومترا من الطرق الحديدية والمانيا ٨٩٠ وهولاندا وسويسره ٨٨٠ وفرنسا ٨٧٠ كيلومترا

﴿ التجارة فى المانيا ﴾

نشر تقويم احصائي عن تجارة المانيا وما حازته من الرواج فى ظرف تسعة اشهر وقد قارن فيه اصحابه بين تجارة المانيا فى هذا العام وفى سنة ١٨٩٧ فظهر ان الزيادة ثمانية وخمسون مليون وستمئة وتسعة وخمسون ماركا ومما لاحظه واضعو التقويم هو ان مايرسل من البضائع لأمريكا قد زاد في ثلاثة أرباع العام الحالي زيادة عجيبة كما ان الوارد من أمريكا قد كثر ولكن كثرة لاتتجاوز مئات الالوف من الماركات

التجارة بين الولايات المحروسة الشاهانية وبين اوربا

كانت منسوجات انكلترا وفرنسا ترد الى الولايات المحروسة وتصادف الرغبة التامة فتباع بالقناطير المقنطرة من المال غير انها قد قلت منذ أجرت المانيا المراقبة التجارية الشهيرة وقد كسدت البضائع الافرنسية والانكليزية لرواج تجارة المانيا

ففي سنة ١٨٩٥ ميلادية دخل من انكلترا ماتساوي قيمته ...٩٠٧٥٠١١٠ ومن فرنسا ... ٥١١٥٩ وفي سنة ١٨٩٦ دخل من انكلترا ...١٠٦٩٦٢٦٩٠٠

ومن فرنسا ما يساوي ٥٩٨,٠٠٠,٤٠٠ وفي سنة ١٨٩٧ تناقصت ادخالات انكلترا ١٠٠,٠٢٥,٠٠٠ وفرنسا...٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كل ذلك بحساب المارك

وكل من اطلع على ما قدمناه ورأى تجارة المانيا وتقدمها يعلم ان ما صادفته تجارة انكلترا وفرنسا من الكساد قد عاد بالتقدم على التجارة الالمانية لان ما كان يرد من المصنوعات الالمانية قد بلغ في سنة ١٨٩٥ ما يساوي ٣١٦,٢٩٥,٠٠٠ مارك فقط ولكن المقدار المذكور قد بلغ في سنة ١٨٩٦ من الزيادة ما يساوي ٢٥٥,٤٨٦,٠٠٠ وفي سنة ١٨٩٧ بلغ ما يرد من تجارة المانيا ما تساوي قيمته ٢٨٥,٦٦١,٠٠٠ مارك

يظهر من التقويم العمومي ان عدد الاهالي في ولاية سمرقند ٨٥٧,٨٤٧ نفساً منهم ٨٣٧,٩٩٠ مسلما و١٢,٤٣٧ مسكوفيا و١٢٩ راسقولنيكيا و١٧٦ روتستنتيا و١٣٠٤ من الكاثوليك و٢٨١ أرمنيا و٦٠٠٠ يهودي و٣٠ مجوسيا　　(الكوكب العثماني)

﴿ الالقاب والرتب الشريفة في فرنسا ﴾

كتب الفيكونت دي روابة فصولا طوالا عن الشرف والشرفاء في فرنسا والالقاب المديدة التي يحصل عليها زعانف القوم بالغش والخداع فاظهر أن الالقاب تباع وتشرى بالاموال وانه يوجد الآن في فرنسا ٤٥ ألف عائلة من الشرفاء منها أربع مئة عائلة قادرة على اثبات شرفها وألقابها منذ القديم وما بقي فقد تجدد جديداً بواسطة المال والخداع وأكد الكاتب أن الجمهورية الافرنسية ترفع ٤٠ رجلا مع عائلاتهم في كل عام الى درجة الشرف وكثيرون يبدلون اسمائهم فان المسيو دلاك أحد أغنياء

باريس استأذن حكومتها بتغيير اسمه فصار اسمه دي لاك دي يوجونه وبعد تغيير اسمه بعامين أصبح كونتاً من أصحاب الشرف . وعدا عن ذلك فقداسة البابا ينعم سنويا بلقب كونت وأمير على ستين من أغنياء فرنسا

وعدا عن ذلك فان خمسين في المئة بين بارون وماركيز وكونت وأمير يتزوجون بالامريكيات الاغنياء والاسرائيليات الالمانيات ذوات الثروة وهؤلاء يصبحن حائزات على القاب رجالهن عند هذا الزواج

(كوكب أميركا)

آثار أدبية

« الاباء والصدق »

قرأنا في الطبقات الكبرى للتاج السبكي هذه الابيات الحكيمة قال أنشدها الامام الشيخ أبو اسحاق الشيرازي الشافعي الشهير ولم يسم قائلا وهي

صبرت على بعض الاذى خوف كله … وألزمت نفسي صبرها فاستقرت
وجرعتها المكروه حتى تدربت … ولو حُملته جملة لا شمأزت
فيارُب عزٍ جر للنفس ذلة … ويارُب نفس بالتذلل عزت
وما العز الا خيفة الله وحده … ومن خاف منه خافه ما أقلت
سأصدق نفسي ان في الصدق حاجتي … وأرضى بدنياي وان هي قلت
وأهجر أبواب الملوك فانني … أرى الحرص جلاَّبا لكل مذلة
اذا ما مددت الكف ألتمس الغنى … الى غير من قال اسألوني فشلت

إذا طرقتني الحادثات بنكبة ... تذكرت ماعوقبت منه فقلت
تبارك رزاق البرية كلها ... على مارآه لا على ما استحقت
فكم عاقل لا يستنيب وجاهل ... ترقت به أحواله وتعلت
وكم من جليل لا يرام حجابه ... بدار غرور أدبرت وتولت
يشوب القذى بالصفو والصفو بالقذى ... ولو أحسنت في كل حال لملت

« مؤاخذة » قال الامام السبكي بعد ايراد هذه الابيات : قلت قوله تبارك رزاق البرية البيتين أصدق من قول أبي العلاء المعري

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاحلام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقاً

فقبحه الله ما أجرأه على الله وقد أحسن من قال نقضا عليه

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل شبعان ريانا
هذا الذي زاد أهل الكفر لاسلموا ... كفراً وزاد أولي الايمان ايمانا

آثار عن امبراطور ألمانيا

(في الشام والقدس)

زار امبراطور ألمانيا وقرينته في دمشق الشام ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي ومكث عنده برهة واقفا ثم بسط يديه كانه يستنزل عليه الرحمة الالهية واطراه في الثناء قائلا انه كان الآية الكبرى في زمانه في الشهامة والعدل والكرم ولما انفتلا صنعت الامبراطورة بيدها إكليلا بديعا من الزهر اجابة لطلب الامبراطور وأمر أن يكتب عليه بالعربية

« ويلهلم الثاني قيصر ألمانيا وملك بروسيا تذكار لابطل السلطان صلاح الدين الايوبي »

ألقى الامبراطور خطبة حيث أقيمت له المأدبة من بلدية دمشق أثنى فيها أطيب الثناء على الحفاوة التي لقيها في زيارته للشام وذكر فيها ان من أسباب سروره وجوده في بلدة عاش فيها من كان أعظم رجال عصره وفريد دهره شجاعة وبسالة من كان قدوة الشهامة وطائر الشهرة في الآفاق السلطان صلاح الدين الايوبي الشهير وأثنى فيها على مولانا السلطان الاعظم صديقه المخلص وشكره ثم ختم خطابه بقوله

وليوقن حضرة صاحب الشوكة السلطان عبد الحميد خان الثاني والثلاثمئة مليون من المسلمين المرتبطين بمقام خلافته العظمى ارتباطا قويا والمنتشرين في جميع أنحاء الكرة الارضية ان امبراطور المانيا سيبقى محبا لهم الى الابد (وفي رواية معضداً لهم)

اتفقت الجرائد العربية والاوربية على شدة سرور الامبراطور بما لقيه من الحفاوة في دمشق الشام وروي عنه انه قال انه لم ير منذ جلس على سرير الملك جمعا رحب به وابتهج بلقائه أكثر مما رحب به أهل دمشق الفيحاء . وقد ابتهج في دمشق بأمور كثيرة ورأى فيها مالم يره في غيرها منها لعب العرب بالرماح وبالسيف والترس ومنها الرقص المعروف (بالدبكة) ومنها آثار قديمة رآها في منزل أحد أمراء بني العظم وقد أبيح له ان ينتقي منها ما أحب ويأخذه فانتقت الامبراطورة بعض اوان نفيسة وأعجب بما اهدى اليه من المصنوعات الشامية من أثاث ورياش . منها عباءة من الحرير عسلية اللون موشاة بخيوط الذهب

والفضة وكوفية من الحرير المزركش أيضا وعقال ـ اهداه تلك متصرف لواء حماه فلبسها في الوقت وكان يخرج بها الى البرية !! . وقد اهدى الامبراطور والامبراطورة لكثير من الرجال والنساء هدايا نفيسة

ومما نقلته الجرائد الاجنبية ان جلالة الامبراطور أقام احتفالا في البقعة التي اهداه اياها صديقه السلطان الاعظم في جبل صِهيَون وهي التي يقول المؤرخون انها كانت منزل السيدة العذراء عليها السلام . وقد اهداها الامبراطور لابناء رعيته الكاثوليك وطير في اثر الاحتفال للحضرة البابوية رسالة برقية قال فيها « اعد نفسي سعيدة برفع هذه الرسالة البرقية الى قداستكم لا عرب لكم عن سروري وامتناني من رجل الكرم والفضل السلطان عبد الحميد الذي أهداني بقعة أرض مقدسة في أورشليم ليبرهن لي على صداقته التي لا أشك بصدقها فقد وفقني الله للحصول على منزل السيدة العذراء في أورشليم وقد وهبته لابناء بلادي الكاثوليكين واني ليسرني جداً أن أؤكد لقداستكم ان الآثار المقدسة عزيزة لدي لاسيما مايختص منها بالكاثوليك الذين هم تحت حماية امبراطوريتي ومستظلين بالراية التي جعلتني العناية الالهية حاميا لها . وارجو من قداستكم قبول خالص شكري واعتباري لكم وتحققوا صدق اخلاصي للكرسي الرسولى » فأجابته الحضرة البابوية بالشكر على هذه الهدية الثمينة التى أهداها للكاثوليك الالمانيين قائلة انهم لا شك يقبلونها من جلالتكم بالشكر الخالص

لما استعرض الامبراطور العساكر السلطانية في دمشق اعجب

بانتظامها وأثنى على المدفعية قائلا لسعادة القومندان « انى أهنئك بحسن انتظام مدفعيتك التي هي كأحسن مدفعيات الدول وبمثلها تخاض معامع الحروب » وقد شهد للجيش الشاهاني عقب استعراضه في دار السعادة قائلا « بمثل هذا الجيش ينبغي أن يحارب المحاربون » . وفي هذه الشهادة من أعظم امبراطور ما يحق لنا معاشر العثمانيين الافتخار به لان سيد القول ما يقول الرئيس

* * *

تعصب أوربا الديني

امبراطور المانيا رجل حربي لانه رئيس أعظم جيش منظم في العالم اليوم وقد كان السلطان صلاح الدين الأيوبي أعظم رجل حربي في عصره ومن سجايا البشر ان البارع في شيء يحترم من هو مثله في طبقته وان كان خصمه ولذلك شواهد كثيرة وقد عهد في تاريخ الحروب ان الشجاع الباسل يأسف على قرنه الباسل اذا قتل ولو بسيفه وفي هذا المعنى قال بشر لما قتل الاسد

وقلت له يعز عليَّ أني قتلت مناسبي جلدا وفخراً

من أجل هذا افتخر الامبراطور فى دمشق بانه في « بلد عاش فيه ذلك البطل الهمام الذي دوخ الالمان وسائر الصليبين وأعاد للاسلام سلطته » وأهدي لضريحه ذلك الاكليل ، وقد اعمى التعصب جرائد الالمان عن هذا المعنى فاقام أصحابها النكير على الامبراطور قائلين ان هذه اللهجة لم تكن تنتظر من امبراطور يتظاهر بأنه حامي المسيحيين وملكهم وزعم بعضهم بأنه نسي التاريخ وأورد نبذة من تاريخ صلاح الدين وانه أسس دولة عظيمة وقهر الفرسان المسيحيين في ملحمة طبريا وأخذ الصليب الحقيقي

وكسر الدولة النصرانية فاضطر الامبراطور فردريك بربروس بأن يأتي لمحاربته فكسر السلطان جيشه ومات غريقاً وملك صلاح الدين البلاد المقدسة النصرانية . قال هذا هو السلطان الذي كسر الجيوش المسيحية الغربية قد قام الامبراطور الالماني الجديد اليوم يطريه بالمدح والثناء فكيف استطاع ان يحرك لسانه بالثناء على رجل هدم معالم الدولة النصرانية وسدطريقها في أوجه الزائرين.... كل هذا عند القوم وهم يرموننا بالتعصب ويدعون البراءة منه فمن لنا بمن ينصفنا منهم بالحجة ولا حجة الا القوة فمن لا يستطيع ان يفعل لا يستطيع ان يقول !

ومن تعصب أوربا (والشيء بالشيء يذكر) اضطهاد اليهود والهياج عليهم في فرنسا المتمدنة بسبب مسألة دريفوس الذي اتضحت براءته وقد سري لهيب هذا الهياج من باريس الى الجزائر وطار بعض شرره الى تونس ويوشك أن يعم كل بقعة لفرنسا فيها نفوذ فليعتبر المعتبرون

انتقاد

رأينا في المقالة الافتتاحية من العدد ١٨٢ من جريدة السلام الغراء عبارة ينبغي ان لا تصدر من مسلم وهي « ان الاقدار اذا جرت وتمادي ظلمها على الانسان » الخ ونحن نعلم ان الذين يحررون هذه الجريدة ليسوا من المسلمين فنسافت أنظارهم الى مراعاة مذهب من تصدر الجريدة باسمه ولو انهم أسندوا ذلك الظلم الى الطبيعة لم يكن بذلك بأس لانه مجاز مطروق أما القدر فيعتبر فيه اسناد ما يوجد الى علم الله تعالى وارادته وقدرته وبهذا الاعتبار لا يجوز وصفه بالظلم

فلسفة التربية الحقة (*

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده الشهير ﴾

وهي رسالة نقلها عن درس للاستاذ العلامة الفيلسوف الشيخ جمال الدين الافغاني الحسيني رحمه الله كان ألقاه على طلبته الافاضل عند ما كان يدرس كتاب الاشارات للشيخ الرئيس أبي علي بن سيناء وجعل ذلك الموضوع فاتحة تدريسه . قال حفظه الله

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتيسة أو الحيوانية أو الانسانية علم أن قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلية في قوامها تفاعلا متناسباً بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقضي بظهور بعض خواصه وتسلطها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي مايسمى بالمزاج المعتدل الحامل لروح الحياة فان غلب أحد العناصر على سائرها واضمحلت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم

وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ماسواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب الاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهى الى اليبس نذير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليبحث في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويعاد به المزاج الى حالة

(*) فاتحة العدد السابع والثلاثين الصادر في يوم السبت ١٩ رجب سنة ١٣١٦

الاعتدال ان خرج عنها لتتم حكمة الله في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية . فالنباتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لابد منه في تربية النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وماذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الاهوية ومنافعها ويقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى يحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها

ولن يكون الطبيب طبيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعي وعلوم النباتات ليعلم خواصها ويميز نافعها من ضارها ، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه ، وخبيرا بعلل الامراض وأسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلا بما يليق به ، فان جهل من ذلك شيئا كان فقده خيرا من وجوده ، فان الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجهله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ، ويعين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه يحتمل الشفاء بمقاومته الطبيعية لولا مساعدة الجاهل وعونه ، وكما يلزم للطبيب أن يكون عالما بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شفيقا رحيما صادقا أمينا ، لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فانه ان كان قاسيا عديم الرأفة أو كان خائنا فلربما صار آلة في أيدي أعداء المريض يستعملونه لهلاكه بالقائه السم في الادوية مثلا أو إهماله في العلاج بما يقدمون

اليه من العرض الفاني ، وكذلك ان قصر همه على مايناله من الدينار والدرهم فانه ان كان على تلك الصفة لم يكترث بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فان هلك فقد نال مايزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه ايضا خير من وجوده

وكما أن روح الحياة البدني إنما يستقر حين تجتمع أصول متضاربة ينشأ من تغالبها مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى - كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبيت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة ، فان تغلب أحد الخلقين على الاخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة وبات شقيا سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحين والهلاك

ألا ترى ان النفس الانسانية لا بد لها من خلق الجراءة وخلق المخافة وهما متضادان ؟ ومن مقاومتهما على وجه معتدل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تتحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتغلب المخافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا ، وكانت حياته على خطر يتهدده في جميع أوقاته . ولو أن الجراءة تغلبت على المخافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهالك لحق ولغير حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الهلكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه . وكذلك لا بد لها من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء والبذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ، ولو أن الامساك تغلب على ضده حتي

اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية مثلا والالبسة فيضر ببدنه ولم يوف بحقوق مشاركيه في المعيشة كزوجته وولده أوفى التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم ويتأدى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ، ولو تغلب البذل لانفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرآ لا يجد ما ينفقه في ألزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي وسط لطرفين متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبغلبة أحدهما على الآخر يختل نظام الفضيلة ولا محالة، وينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية، ولا يسعنا المقام لتفصيل ذلك . وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس يقع أيضاً بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المغذية للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة وانفعال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقلدها بعاداتهم أو باستماع اغواء ذوي الاهواء وتمويهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فللنفوس علل وامراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب ولوازمه لحفظ صحة الابدان كما بينا

فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الاخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة الكمال بمنزلة الاطباء . وكالزم

للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم الحكيم الروحاني طبيب النفوس والارواح اذا رقي منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بارشاد ابنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضاً وان يكون مطلعاً على درجات ترقيها ودركات تدنيها في جميع الازمان وأن يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أو قديم قوي في النفوس أو ضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف

وكما أنه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الاعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الاخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع .

وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقاً رحيما صادقا أمينا لا ينظر الى الدنايا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين أن يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولى مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بحطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء. أولئك هم المرشدون الحقيقيون، فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزئت بمطببين لا أطباء بان صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء والسفلة والادنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فان المرشد الضال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويغرس فيها جراثيم الشر باسم انها أصول الخير وربما كان مقصده حسناً ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ، ويبعده عن اتخاذ وسائله

فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فان ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلجه، وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت نقع الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن العدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل، فلا ريب اذا كان عدم هؤلاء المرشدين خيراً من وجودهم. وكذلك ان كان خائناً أو دنيئاً ينحط الى سفاسف الامور أو عديم الشفقة الانسانية فانه يتخذ النصيحة سلما للوصول الى أغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتقت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعتلت ، فيكون آلة بيد الاشرار وذوي الاهواء يستعملونه في فساد الأمة والعشيرة لقضاء أوطارهم

ألا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين : قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أرباب الجرائد، فان كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وابناء جلدتهم، والا استحقوا الرفض والطرد والابعاد ووجب على كل من يهمه أمر الاصلاح أن يقذفوا بهم من البلاد كيلا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر على المبتلي بل يتعداه بالسراية الى كل من سواه » اه　　(الموسوعات)

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

﴿ فأضلونا السبيلا ﴾

٥

(المرشدون والمربون — أو — المتصوفة والصوفيون)

الاسلام دين علم الناس أن يعتمدوا في سعادتهم الدنيوية والاخروية على أعمالهم النفسية والبدنية ، وفضل أهل العمل والكسب على المنقطعين لعبادة الله المعتمدين في أمر معاشهم على من يمونهم من أهليهم أو غيرهم، وأقام لكل قاصر وليا يتولى شؤونه ويعنى بتربيته حتى يرشد ويقوى على العمل وعند ذلك يدعه وشأنه، وجعل لكل عاجز فيما يتعهده وينفق عليه ويقوم بأمره الذي عليه مدار حياته ، وجعل هذه الولاية والقيام في الاقربين لانهم أولى بالمعروف وأقرب الى العناية الصحيحة بأمر الصغير والعاجز على ترتيب معروف في فن الفقه، فمن لم يكن له أقارب فعلى أهل وطنه من المسلمين الذين جعلهم الاسلام عائلة واحدة وفرض عليهم القيام بأمر بعضهم على ترتيب يراعى فيه الاقرب فالاقرب نسبا وجواراً ووطنا ودينا . بل فاض عدل الاسلام وعمت رحمته فعلم الآخذين به أن يشملوا بعنايتهم هذه كل من تفيأ ظلالهم ودخل في سلطانهم من أي دين كان، فهو يحض على تربية اليتيم واطعام الجائع وكسوة العاري واعتهاد الضعيف وتجهيز الميت من غير المسلمين اذا لم يوجد لهؤلاء أولياء من ذويهم وأقاربهم وجعل ذلك حقا على المسلمين للذميين على تفصيل يعرف من الفقه

ومن وظائف الحكام الزام المسلمين بما ذكر مع مراعاة شروطه اذا هم قصروا فيه

وغرضنا من هذه الكلمات هنا بيان ان تعميم التربية واجب في الاسلام . وكما تجب تربية كل صغير حتى يكبر ويرشد يجب الاخذ على يد كل كبير اذا اجترح السيئات واقترف المنكرات أو أخل بالآداب العامة وعبث بمصالح الناس وذلك بالزامه بترك المنكر فعلا أو ارشاده الى ذلك قولا . ومن أخل بهذا الواجب هبط الى أسفل درج الاسلام وسقط في أضعف الايمان الذي ليس بينه وبين الكفر الا خطوة واحدة (اذ لا معنى لكونه أضعف الايمان الا هذا) وهذا على تقدير انه ساخط على من فعل القبيح منكرا له في قلبه كما ورد في الحديث الشريف . وفرض مع هذا أيضا القيام بالامر بالمعروف والدعوة الى الخير وانذار الناس بعواقب التفريط لعلهم يرجعون

على هذا كان الاسلام في مبدأ ظهوره ! ولو ظل أهله على منهاجه القويم وصراطه المستقيم لما ضل أحد منهم عن سعادته ولما أهمل أمر التربية والارشاد من الكافة، وانفردت به فئة من الناس سارت في الجادة زمنا وانحرفت عنها أزمانا وجعلت عنايتها في التربية الروحية فقط وأفرطت في الزهادة كما أفرط الذين من قبلهم فأهملوا مصالح الدنيا ولم يوفوا البدن حقوقه وذلك مما جاء الاسلام لتعديله... وبالجملة انهم حتى في طور كمالهم لم تكن تربيتهم وارشادهم على الوجه الذي يكفل للامة سعادة الدارين . ولذلك لم يتبع طريقتهم في كل عصر الا بعض الناس وصاروا فرقة مستقلة سميت الصوفية عدها بعض المؤرخين من الفرق المشتقة من الاسلام

المخالفة لسائر الفرق في الاصول كالمعتزلة والشيعة وأهل السنة . وكيف لا وقد عاملهم فقهاء أهل السنة وحكامهم بأشد ما عاملوا به سائر الفرق فحكموا ببدعة بعضهم وكفروا كثيراً من أكابر شيوخهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم غلوا بعد ذلك في تعظيمهم والتسليم الاعمى لهم غلوا كبيرا

من هم الصوفية وما هو شأنهم ؟؟ قال الامام القشيري في رسالته ما حاصله : ان المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى الصحابة اذ لا أفضلية فوقها ثم سمي من أدركهم التابعين ثم من أدركهم تابعي التابعين ثم تباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي من الفرق فكل فريق ادعوا ان فيهم زهدا فانفرد خواص أهل السنة المراعون انفاسهم مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة اه

وقال العارف الشهاب السهروردي في عوارف المعارف بعد ماذكر الصحابة والتابعين ما حاصله : «ثم لما بعد عهد النبوة وتوارى نورها واختلفت أيضا الآراء وكدر شرب العلوم شرب الاهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها ، وكثرت العادات وتملكت أربابها ، وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها - تفردطائفة باعمال صالحة وأحوال سنية واغتنموا العزلة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة أهل الصفة تاركين الاسباب مبتهلين الى رب الارباب فأثمر لهم صالح الاعمال وسني الاحوال وتهيأ صفاء الفهوم لقبول

العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان كما قال حارثة: أصبحت مؤمنا حقا لما كوشف بمرتبة الايمان غير ما عهد فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها تعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف من السلف حتى صار رسما مستمراً وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم » اه

أقول يعلم من كلام هذين الامامين في التصوف وغيرهما أن ما كانوا عليه لا يمكن ان تكون عليه الامة بتمامها لان العزلة والانفراد وترك العمل للدنيا يفضي الى ضعف الامة واضمحلالها وينتهي ذلك بزوالها. وأنه قد تجددت لهم علوم ومعارف وأحوال لم تكن تعهد عند سلفهم من الصحابة والتابعين وذلك كالكلام على ماوراء الحس والعقل من العوالم الغيبية وهو مايسمونه علم الاسرار قال ابن الفارض رحمه الله تعالى

وثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

ولهم علوم كثيرة جدا تعلم أسماؤها من كتاب الفتوحات المكية وانما جاءهم ذلك من الرياضات والمجاهدات النفسية والعناية بمعرفة ما انطوي عليه الروح الانساني من الخواص والمزايا والقوى الادراكية والتأثيرية ومن ذلك مايسمونه الكشف والامداد والتصرف بالهمة. ولقد سبقهم الى ذلك فلاسفة اليونان والهنود ولكن الصوفية وصلوا منه الى غاية لم ينته اليها غيرهم. وكل هذا من علم أسرار الكون وطبائع الخلق كالعلم بنواميس النور والكهربائية وخواصهما ولكنه لما جاء بصبغة دينية من رجال الدين حدث عنه ما أشرنا اليه من حط الفقهاء والاحكام على أهله

وتكفيرهم وسفك دمائهم كما فعلوا مع الفلاسفة الذين بحثوا في بقية أسرار الخلق وصبغوا علمهم بصبغة الدين وخلطوه بعلم العقائد الذي سموه (علم الكلام) وكان اضطهادهم للصوفية أشد من اضطهادهم للفلاسفة كما يعلمه من قرأ التاريخ وماذلك الا لان علم الصوفية أغريب عن فهم الفقهاء أمس بالدين بل هو ثمرة التمسك بفضائل الدين وآدابه كما يقول عامة أصحابه ولذلك مزجوه بالقرآن والسنة مزجا ولكن جاء بعضه مخالفا لظاهر الشرع

ليس غرضنا من هذه المقالة بيان مواضع الخلاف بين الفقهاء والصوفية ولا بيان الصواب والخطأ في ذلك وانما نقول ان الصوفية انفردوا بركن عظيم من أركان الدين وهو التهذيب علما وتخلقا وتحققا ولم يكن أمرهم في أول العهد الا عمل صالح وتخلق بالاخلاق الفاضلة . ثم لما دونت العلوم في الملة كتب شيوخ هذه الطائفة في الاخلاق ومحاسبة النفس فجاؤا بما قصرت عنه الفلاسفة الاولون ثم حدث فيهم الخوض في الكلام على ماوراء الحجاب وشرح ماتنتجه المجاهدة من الاذواق والمواجد وعجائب الخيال ومزجوا كلامهم بالفلسفة العقلية والطبيعية والعلمية وسلكوا في فهم القرآن مسلك طوائف الباطنية الذين كانوا أعظم صدمة على الاسلام فذهبوا الى ان للقرآن معاني غير ماتعطيه اللغة وأساليبها واشاراتها وزعم الباطنية انها هي المقصودة بالذات وقد جاء الصوفية من ذلك بالصحيح والفاسد والباطل الذي ينابذ القرآن والدين بالكلية وقد ورد في حسان الاخبار وصحاحها «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» والمراد برأيه هواه الذي يؤيد مذهبه . نعم ان لبعض الصوفية فهما في القرآن ترقص له العقول وتعجز عنه العلماء الفحول وقد أنكر الامام الغزالي على المتصوفة نحو

تأويل فرعون بالقلب القاسي والاحتجاج على مجاهدته بقوله تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى) وان كان الغرض به صحيحاً ولهم من تحريف الكلم عن مواضعه ما هو أسد من هذا كقول بعضهم في قوله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الملوك هي الله « تعالى عن ذلك » والقرية القلب والافساد تبديل الصفات المذمومة بالممدوحة وكقول بعضهم في قوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده » من ذل ذي يشفع أي من أذل نفسه ينال مقام الشفاعة عند الله تعالى · وقد قال ابن الصلاح الفقيه الشهير في فتاويه وجدت عن الامام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر ثم قال وأنا أقول ان الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئاً من ذلك انه لم يقله تفسيراً ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وانما ذلك منهم تنظير ما ورد به القرآن والنظير يذكر بالنظير ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الايهام والالباس اهـ

أقول وقد وقع بالفعل الالتباس فضل به كثير من الناس وما كان من غرائب الصوفية صحيح المعنى في ذاته كان خطوة موصلة لاباطيل الباطنية عند غير البصير المحقق والذي يدرك الفرق قليل · والتفسير المطبوع المنسوب لسيدي الشيخ الاكبر هو لبعض الباطنية وفيه من تحريف القرآن مالم يأت بمثله محرفو التوراة ومع ذلك تزين به المكاتب وتحترمه العلماء وقد قال العلامة النسفي في عقائده: النصوص على ظواهرها

والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد، قال العلامة التفتازاني وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية

هذا من شر ما ترتب على مذهب التصوف من مضرة الامة وهو مع ما ذكرناه أولا من الافراط في الزهادة وترك العمل للدنيا وقد نفر أهل العلم والتعليم من النظر في كتبهم لاسيما في هذا الزمان. ومن العجيب ان أهل هذا العصر يقدسون شيوخ الصوفية ولا يعترضون على أحد منهم ولا على شيء من عادات أهل طرائقهم وان كان بدعة وضلالا! بل يقيمون النكير على من أنكر عليهم ولو بالحق ومع ذلك لا يلتفتون لكتبهم ولا يتدارسونها وان كانت لأئمتهم الذين جمعوا بين علمي الظاهر والباطن زعما ان هذه كماليات لا يطالعها إلا من أراد أن يتفرغ لها !! وبذلك اندرس علم تهذيب الاخلاق الذي هو روح الدين وقوامه لانه لا يوجد الا في كتبهم وكتب الفلاسفة وكتبهم هي التي تذكره على الطريقة الدينية . أليس من العجيب ان الازهر – أعظم المدارس الدينية عند المسلمين – لا يقرأ فيه علم تهذيب الاخلاق الذي لا دين بخلافه!؟ انني كنت اطالع في كتب الاخلاق والتصوف قبل طلب العلم وكنت مولعا بها واذكر انى قلت لبعض شيوخنا اقرأ لنا الجزء الثالث من احياء علوم الدين بدلا من مقامات الحريري القليلة الجدوى فأبى علي ذلك متعللا بما لا حاجة لشرحه !. فالصوفية قد نفروا العلماء من كتبهم بما ذكرناه من شأنهم فشدة زهادتهم في الدنيا كانت سببا لزهادة المسلمين في الدنيا والآخرة معا! وكلامهم في الغوامض التي تخالف ظواهر الشرع مع التسليم لهم فتحت بابا لافساد العقائد وصار كل زنديق يدخل ما يشاء في كتب الدين منسوبا

لاولياء الصوفية وقد شرحنا بعض هذه المفاسد في مقالات سابقة ولا سيما مقالات الموالد ومقالات سلطة مشيخة الطريق الروحية وبينا سريان النزعات الوثنية في المسلمين بسببهم . ومن يستطيع اليوم أن يتجرأ بالانكار على شيء من شؤونهم وان برأ منه الائمة العارفين الذين ينسبونه لهم ؟؟ أي عاقل يصدق ان السيد عبد القادر الجيلي وهو امام في كل العلوم والمعارف الاسلامية يقول: اعطيت سجلا مد البصر فيه اسماء اصحابي ومريديّ الى يوم القيامة وقيل لي قد وهبوا لك !! أيقول هذا عبد القادر والنبي الاعظم صلى الله عليه وسلم يقول لبنته سيدة النساء «يافاطمة يابنت محمد اعملي لا أغني عنك من الله شيأ» . هل الذين قال الله تعالى فيهم «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» كانوا يلقبون أولئك الاحبار والرهبان بأعظم مما لقب به هذا العبد الخاضع لله تعالى عبد القادر الجيلي الذي ذكروا من ألقابه التي ينادى بها «يامحيي الرمم يابارىء النسم ياضياء السموات والارض» هل قالوا فيهم أعظم من قول بعض جهلاء أهل الطريق «ان احد مريدي الغوث الاعظم مات فسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه فأجابهما بأنه لا يعرف الا شيخه عبد القادر فأراد الملكان ان يوقعا به العذاب فجاء الغوث الاعظم فشفع له وأنجاه الله !! » اللهم ان هذا ضلال مؤد للاباحة يتبرأ منه الشيخ عبد القادر قدس الله سره الطاهر وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ومثله في كتب أهل الطريق كثير

سيقول السفهاء من الناس ان مثل هذه الانتقادات لا ينبغي ان تنشر في الجرائد ولكن الكتب التي هي فيها قد طبعت مرارا كثيرة وتوجد

في كل بقعة من بقاع الارض يتبوأها المسلمون ولا نجد لها منكرا فهل هذا هو الدين؟ . وسيقول اخرون منهم ان ذكرها كان لغرض من الاغراض · ونحن نقول ان الذي يحاسب على المقاصد والنيات وخطرات القلوب هو الله تعالى وما دام الكلام حقا فلا يعترض عليه « لنا الظاهر والله يتولى السرائر» ٠وقد تبين بهذا ومما نشرناه قبلا كيف كانت اطاعة هؤلاء الرؤساء مضلة للامة ، ولو أردنا ان نشرح حالة القوم اليوم لجئنا بالعجب العجاب ، وكفاك ان مقام الارشاد ينال باجازة تشترى بريال واحد وما من أحد ينكر ان الفرق بين هذا الخلف وذلك السلف كالفرق بين الثرى والثريا وفقنا الله لمرضاته وألهمنا رشدنا لنتدارك ما مضى

شبهة وجوابها

ورد علينا رقيم من بعض قارئي جريدتنا انتقد فيه صاحبه ما كتبناه في شؤون الخلفاء وسيآتهم وتقصيرهم في وظيفتهم الدينية ونصحنا بان لا نعود الى الخوض في مثل هذه المواضيع لان كتابتها في جريدة سيارة يطلع عليها الاجانب وأعداؤنا وأعداء ديننا فيشمتون بنا ويتخذونها حجة علينا

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين: أولها ان ما كتبناه في ذلك هو قطرة من بحار التاريخ الزاخرة عند أولئك الاجانب أو الاعداء الذين يعنيهم المنتقد فاذا سكتنا عنه فسكوتنا كتمان له عن أبناء ملتنا الذين يجهله أكثرهم لاهمالهم علم التاريخ وظنهم انه لا فائدة فيه الا التسلية بل سمعت بعض الشيوخ الذين يدعون الفقه يقول ان قراءة التاريخ مكروهة

لان فيه كذبا وتعليله هذا يقتضي ان قراءة أكثر كتب الحديث والتفسير مكروهة لان فيها أحاديث موضوعة وضعيفة ومنكرة وقصصا كاذبة باطلة بل لا يبعد أن يقال على ذلك ان قراءتها محرمة لان الكذب في تفسير كتاب الله تعالى والاختلاق على نبيه من أعظم الكبائر لا يقاس بها الكذب في سيرة ملك أو حاكم أو خليفة أو عالم .

وفي كتب الفقه التي يشغل بها المتفقه المذكور كثير من الاقوال الباطلة التي لا يصح العمل ولا الافتاء بها والصواب ان شوب الحق بشيء من الباطل لا يقتضي ترك الحق وانما يقتضي النظر الدقيق والتمحيص ليخرج الحق من بين الاباطيل كما يخرج اللبن من فرث ودم خالصا للشاربين. وانما ذكرنا هذا لنبين لحضرة المنتقد قول شيوخنا في التاريخ الذي هو من أشد المنفرات عنه ليعلم مقدار حاجتنا الى استخراج فوائده وعرضها على أمتنا واشعارهم أنهم لا يمكن لهم الوقوف على حقيقة مرض الامة الا منها ومن لم يعرف مرضه لا يسعى لعلاجه واذا سعى فان سعيه يكون عبثا وضلالا، بل خيبة ونكالا، ومامثلنا مع الاجانب الذين يرتأي أصحاب الافكار الضعيفة ان نستر ضعفنا عنهم بأسبابه ونتائجه الا مثل النعامة التي ترى الصياد يريد اقتناصها فتخبئ رأسها وتستره لكيلا تراه توهما ان عماها عنه يوجب عماه عنها وأن ذلك عين النجاة، وحرام على من يجهل تاريخ الغابر وحالة العصر الحاضر ان يقول هذا شيء يضر الامة وهذا شيء ينفعها، وقد منينا والصبر بالله بقوم جهلاء في ثياب علماء يغشون الامة ويغررون بها توهما أن كل من يقرأ تنازع العوامل في النحو يعلم تنازع الامم وكل من يعرف احوال تقديم المسند والمسند اليه وتأخيرهما يعرف أسباب تقدم الامة وتأخرها وكل من

تصد ر للفتوى في مسائل الرضاع والطلاق وصحة الاجارة والسلم له ان يفتي في صحة الشعوب من أمراضها، واطلاقها من وثاقها ، بل وقعنا في فوضوية الافكار والعلم فصار كل فرد منا مِعنًّا مِفنًّا (١) ولا برهان يتوكأ عليه، ولا رئيس يرجع اليه، سياسة السواد الاعظم منا اليوم هي كتمان الامراض والسيئات ، وان انتهي ذلك بالممات ، وتكبير ما عساه يوجد من حسنة حتى تكون الحبة قبة والذرة جبلا، بل اختلاق الحسنات، والكذب فيها على الاحياء والاموات، لتسبح الامة في بحر الغرور ، الى أن تهلك وتبور، وقد رأينا من سير الامم الحية أن كتابها وخطباءها يملؤن الدنيا صراخا وعويلا اذا صدر من أمتهم سيئة ويهولون أمر تلك السيئة بما يزعجون به الي ازالتها وربما يخفون الحسنات ولا سيما الاستعداد الحربي لما لا يخفى من الاسباب

(الوجه الثاني) ان كل ما نكتبه في الانتقاد على خلفاء المسلمين وأمرائهم وعلمائهم وأهل الطرق وجميع رجال الدين غرضنا الاول به بيان براءة الدين الاسلامي نفسه مما يرميه به أعداء المسلمين من الاوربيين الذين يزعمون أن جميع ما حل بهم من الضعف والضعة والظلم والاستبداد وفساد الاخلاق واختلال الاعمال الذي يكاد يمحو سلطتهم من لوح البسيطة ويجعلهم أذل الشعوب وأفقرها — كل ذلك ما حل بهم الا بسبب دينهم فهو الذي جر اليهم البلاء، وطوحهم في مهاوي الشقاء، والحق ان هذا البلاء والشقاء ما جاءهم الا من الانحراف عن الدين وما كانت أمة لتنحرف عن دينها دفعة واحدة وانما يكون ذلك بالتدريج، ينحرف الرؤساء والامراء

(١) أي عرّيضاً يدخل في كل مالا يعنيه ويخوض في كل فن يعرض له

فتأول لهم العلماء - علماء السوء - فتبعهم الدهماء وهكذا كان شأن الذين جاؤا من قبلنا واتبعنا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ولا يتم ذلك الا بمدة قرون .

لا ريب ان اظهار براءة الدين برمي أهله رؤسائهم ومرؤسيهم بالتقصير فيه والميل عن هديه، هو أعظم خدمة له ولاهله، والا كان النقد بل النقض موجها للاصل والفرع مما ومايعقلها إلا العالمون . ويدخل في تبرئة الدين مماذكر بيان انه أساس للسعادة متين لايمكن أن يقوم صرح مجد أهله الا عليه خلافا لمن أعشى أبصارهم شعاع مدنية أوربا فرأوا ان التقليد الاعمى لها هو الذي ينهض بالامة . وهل زادنا هذا التقليد الأعمى الا شقاء وتعاسة ؟ هل نهضت أمم أوربا الا باستقلال الفكر والارادة واتفاق الكلمة والجد في العمل والاعتماد على النفس في الاعمال الكسبية مع الاعتقاد بانه لاقوة ولا سلطان وراء مايحس به ويعلمه الناس الا الله تعالى وحده؟ وهذا عين ماجاء به القرآن وقرره الاسلام . واعترف بعض المنصفين من علماء أوربا وحكمائها بأن نشأة مدنيتها الحديثة انما كان رشاشا من نور الاسلام فاض عليها من الاندلس بأيدي تلامذة ابن رشد الفيلسوف الاسلامي ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الغرب والشرق

والغرض الآخر من انتقاداتنا النصيحة لرؤسائنا اليوم أن يتداركوا مافرط من بعض سلفهم ويصلحوا مافسد من أمور أنفسهم ويعطوا وظائفهم حقها ويسيروا بالامة في المنهاج الذي نهجه الله تعالى لها والله على مانقول وكيل

﴿ المنار في بلاد البرازيل ﴾

نقدم خالص الشكر لرفيقتنا جريدة الاصمعي الغراء على تنويهها بشأن جريدتنا وتكرار الثناء عليها مما يزيد النزالة السورية في بلاد البرازيل رغبة فيها كما نشكر أبناء وطننا السوريين في تلك البلاد على موازرتنا فلقد أقبلوا على الجريدة مع انهم مسيحيون ومشرب الجريده اسلامي لكنها تحترم الدين المطلق وتقرر انه مبعث اشعة الفضائل والكمالات وان الرجوع الى تعاليمه الصحيحة لاسيما مواعظ القرآن والانجيل هو الذي يجمع القلوب على الاتفاق والائتلاف المؤدي الى سعادة الاوطان والانحراف عن ذلك ميلا مع ريح السياسات الاوربية هو الذي يلقي العداوة والبغضاء في النفوس بحجة الدين كما هو مشاهد في كل مكان ثبتت فيه اقدامهم وانبثت فيه تعاليمهم .ويسرنا ان نرى العقلاء من العثمانيين وعلى الخصوص المسلمين والمسيحين قد تنبهوا لهذا الامر وقد قام الكتاب يسعون في نشره بين الناس وتقريره في عقولهم وقد امتازت جريدتنا بكثرة الخوض في هذا الموضوع والاجتهاد في اقناع الامة العثمانية به واعترف لها بهذه المزية المسلمون والنصارى فقد قالت جريدة المقتطف الشهيرة أن الجرائد العربية النافعة للامة قليلة جدا والمنار منها .وقد قرأنا في العدد ١٥ من جريدة الاصمعي الغراء التي ذكرناها في صدر هذه النبذة مانصه

« المنار أحسن جريدة في جرائد الاسلام كنا نطالع اعدادها منذ صدورها بامعان فلا نجد الا كل مقالة بليغة مملوءة بالاقوال الحكيمة

الفلسفية مما يدل على اقتدار صاحبها وتمكنه من العلم ، وقد حمل على عاتقه وفقه الله ان يبث في صدور أهل الشرق من الاسلام روح التهذيب الحقيقي وان ينسخ من عقولهم الخرافات والاضاليل وربما أنشأنا مقالة عن قريب عنوانها (جرائد الاسلام والمنار) »

«وفي العدد الاخير منها (يعني ١٧) مقالة عنوانها « الجيوش الغربية المعنوية في الفتوحات الشرقية » بالغة منتهى الاعجاز من مناطق العقل وحسن السبك ذهب فيها الى أن الجيوش المعنوية هي الخمر والميسر والربا والبغاء والتجارة ، خمسة فيالق ادخلها الغرب الى الشرق ففاز عليه الفوز المبين وقد شرح مفصلا عن كل فيلق منها فوفاه حقه ، وياليت أن دولتنا العلية ايدها الله تصم اذنها عن أقوال الوشاة وتسمح لهذه الجريدة النادرة المثال ان يدوم دخولها الى بلادها فقد قرأنا فيها أنهم يسعون في منعها » اه

فتأملوا رعاكم الله أيها القراء هذا الانصاف والبعد عن التعصب فهكذا ينبغي الاتفاق والائتلاف والتعاون على خدمة الاوطان لاسيما من أرباب الجرائد الذين نصبوا أنفسهم للخدمة العامة فحسبنا ما رأيناه من العبر في الخلاف والخصام

الاصلاح في الدولة العلية

تولدت جراثيم الضعف في الدولة العلية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (رحمه الله تعالى) الذي بلغت الدولة في عهده أعلى مراقي القوة والعزة ومن مئتي سنة الى الآن يظهر الضعف في الدولة شيأ فشيأ وهذه حقيقة لا ينكرها أحد كيف وقد اعترف بها السلطان عبد المجيد عليه الرحمة

واجتهد في الاصلاح وخط كلخانة شاهد رسمي على ذلك واعترف بها أيضا مولانا وخليفتنا السلطان الحالي عبدالحميد خان أيده الله تعالى ونصره في النطق الشريف الذي ألقاه على مجلس المبعوثان عند تأسيسه وذلك شاهد رسمي آخر ، وقد فصل جودت باشا في تاريخه الخال بملله وأسبابه وهو تاريخ يستقى من دفاتر الحكومة وأوراقها الرسمية

صدمت الدولة العلية في هذين القرنين صدمات شديدة ما كانت دولة أخرى لتقوى على احتمالها في نهاية قوتها فجميع الدول الاوربية القوية خصيماتها يتربصن بها الدوائر ويعاملنها بالمكر والخداع والمخاتلة ورعاياها مؤلفة من ملل وأجناس لا توجد في مملكة من ممالك الارض وهم باستيلاء الجهل عليهم ألاعيب في يد أوربا تحركها متى شاءت فلاجرم كانت سياستها أصعب سياسة في العالم : جهل وفقر في الرعية، وضعف في الدولة ، وأعداء أقوياء في الخارج

اذا تمهد هذا فاعلم أن مولانا السلطان الاعظم قد حمل على عاتقه حملا لا تستطيعه أمة بمجموعها ومن ثم ألف أحد الامريكين رسالة في مناقبه موضوعها « هل ينهض باعباء أمة عظيمة رجل واحد» وقد ظهر كتاب جديد في مناقبه لأحد الالمان أتى فيه بالعجب العجاب وسننشر نبذا منه في بعض الفرص أن شاء الله تعالى ، والمشهور من سياسته الحكيمة في الشؤون الخارجية أكثر من الشؤون الداخلية فانه حفظه الله تعالى مقاوم بشخصه الكريم لاوربا كلها، والمنتقدون على سياسته ينسبون لها التقصير في اصلاح داخلية المملكة مع أنه قد أجرى فيها ما تعلمه من الكتاب الذي ننشره تباعا تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا في عهد جلالة السلطان

عبد الحميد الثاني) لكن الذي يذهب ببهاء هذه الاصلاحات والاعمال الجليلة العمال والحكام الخائنون وهم كثيرون في الدولة جداً ، وما كان السلطان ليقدر على تقويم الافكار واصلاح النفوس في سنة أو سنين وانما يحتاج هذا الي عناية عظيمة بتعميم التربية والتعليم على أحسن الطرق وأفيدها وفي ذلك الضمان الكافي لاصلاح المستقبل وسنشرح رأينا في الاصلاح في اقتراح نرفعه الى مقام الخلافة على صفحات هذه الجريدة وقد أنبأنا البرق في هذه الايام بأن سماحتلو شيخ الاسلام ودولتلو ناظر العدلية قد رفعا للحضرة السلطانية عريضة يلتمسون فيها الاصلاح الذي تضطر اليه الدولة في هذه الاوقات الحرجة ولعل هذا لا يتم الا بانتقاء الرجال الفضلاء الصادقين وتقليدهم الوظائف وإلقاء التبعة عليهم في كل ما يوجبها وان في الدولة رجالا قادرين صادقين كما أن فيها قوما ظالمين وهكذا شأن كل الامم ، وشيخ الاسلام وناظر العدلية بيدهما زمام القضاء الذي هو أساس الاصلاح المتين وركنه الركين فعسى ان يبدءا بالاصلاح القضائي ومولانا يساعدهما عليه بغير ريب ، وقد تعلقت ارادته بتأليف لجنة برياسة ناظر المالية تبحث في شؤونها ويتلو ذلك البحث في الاعمال الادارية والمعارف ان شاء الله تعالى (*)

---

*) هكذا كنا نغتر بصدور الارادات بالاصلاح حتى أيقنا بعد طول الاختبار ان هذا كله من قبيل ذر الرماد في العيون وإلهاء الناس عن الاصلاح والمطالبة به وماذا تعمل اللجان اذا كانت المالية طوع الارادة المطلقة تعطي منها ما تشاء وتمنع ما تشاء وكان السلطان وحاشيته يأخذون منها اضعاف مالهم ولا يعطون شيئاً مما عليهم؟! وهكذا الحال في سائر الشؤون

﴿ أخبار تونسية ملخصة من جريدة الحاضرة الغراء ﴾

﴿ بواعث التحصيل ﴾

لا يخفى ان المرء بكماله ، لا بجماله، وان فضل الادب ، أسمى وأجل من فضل النسب ، وان منهل العلوم ومورد الكمالات يسعى اليه من كل صوب وحدب، وجريا على هذه القاعدة قد قررت الحكومة المحمدية أن لا يتولى الوظائف الادارية في المستقبل الا من توفرت فيه شروط اللياقة والاهلية فزيادة على تحصيل العلوم العربية يتعين على طالب الوظيفة أن يبرهن على احرازه الملكة الكافية في تثقيف الذهن بالفنون الوقتية من العقلية والنقلية التي اقتضتها الظروف الحالية كالجغرافيا والحساب والتاريخ ولا شك ان هذا التنظيم من بواعث التنشيط على اقتناء الكمالات والمعارف النافعة ولذلك نحث عموم الشبان التونسيين الذين يقصدون الانخراط في سلك الخدمات الادارية أن يقبلوا على مناهل التعليم بجد وهمة تمكنهم من احراز قصبة السبق في هذا الميدان وهذا نص الامر العالي الصادر في هذا الشأن :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه علي باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى أعماله وبلغه آماله الى من يقف على أمرنا هذا من الخاصة والعامة . أما بعد فبناء على انه من اللازم أن تكون للمستخدمين المسلمين بسائر الادارات التونسية معارف عمومية في علم الحساب والتاريخ والجغرافية وبمقتضى ما قرره مدير العلوم والمعارف

ومعروض وزيرنا الاكبر أصدرنا أمرنا هذا بما يأتي

« الفصل الاول »

جعلنا شهادة في المعارف العملية يقع اعطاؤها عقب امتحان يشتمل قانونه على المواد المذكورة في الفصل الثالث

« الفصل الثاني »

الانفار الحائزون على هاته الشهادة يفضلون على غيرهم من المترشحين الغير الحصلين على غيرها من الشهادات التي تراها الدولة مساوية لها ويقطع النظر عن الامتحانات الفنية وذلك للحصول على الخطط الآتي ذكرها

خطة الخلفاء. وخطة مستخدمي ادارة المال وادارة الاداآت وجمعية الاوقاف . وخطة الوكالة . وخطة حكام بالمجالس المدلية

« الفصل الثالث »

يشتمل قانون المعارف على المواد الآتي ذكرها

علم الحساب — العمليات الاربع والكسور العشرية والكسور الاعتيادية وقاعدة الثلاث وقاعدة الشركة والنسب والطريقة المترية ومكاييل المساحة والجرام

علم الهندسة — القواعد الابتدائية والعملية وقواعد المساحة

علم الجغرافية — جغرافية أقطار الدنيا الخمسة الابتدائية وجغرافية حائط البحر المتوسط من حيث الطبيعة والسياسة والثروة وجغرافية القطر التونسي والجزائر منفصلة

علم التاريخ — تاريخ شمال افريقيا والقطر التونسي خصوصا وتاريخ التمدن الاورباوي ملخصا وتاريخ العرب اه باختصار

تقريظ

أهدانا حضرة الفاضل الكامل سيدي محمد بن الخوجه رئيس قلم الحساب في الدولة التونسية كتابا نفيسا جمعه بامر حكومته السنية يشتمل على سبع رسائل مفيدة ألفها أكابر مشايخ الاسلام من السادة الحنفية والسادة المالكية في مسائل الانزالات والخلوات والكردار وما يتبع ذلك من النصبة والجلسة والخزقة وبيع الوقف الخرب وقد حررت هذه المسائل في تلك الرسائل تحريراً ، جعل المهدي الفاضل هديته هذه « صلة الادب ورابطة الوداد الخالص » بمنشيء هذه الجريدة ووصفنا بما هو أهل له من خدمة الملة والدين ، فنشكر لهذا الوديد الجديد هديته ونستمسك مخلصين بعروة صلته

الاصلاح المطلوب (*)

يجب على من يتكلم في الاصلاح أن يكون على علم بوجوه الافساد ومثاراتها في الامة التي يبحث في اصلاحها والا خبط خبط عشواء فان اتفقت له الاصابة في بعض كلامه فرمية من غير رام وان اخطأ فهو ما ينتظر منه . وقد قلنا في مقالة سابقة انه يحرم على من يجهل تاريخ أمة أن يقول هذا شيء يضرها وهذا ينفعها .وهانحن أولاء نأتي بمجمل من خبر الخلل الذي طرأ على الدولة العلية قبل الكلام على الاصلاح الواجب نستقي ذلك من تاريخ جودت باشا الذي يعتبر تاريخا رسميا للدولة

(*) فاتحة العدد الثامن والثلاثين الصادر في يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٣١٦

العلية كما علمت من العدد الماضي ولذلك نعتقد ان الدولة العلية لا تستاء من بحثنا هذا لأن التاريخ المذكور منتشر في جميع البلاد العثمانية وهو من جملة الكتب التي أهداها مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان أيده الله تعالى لمكتبة المدرسة الحميدية في عكار وفي ذلك دليل على انه يرضى بأن يدرس لطلاب العلم . وهذا يدحض مايزعمه بعض الكتاب وأصحاب الجرائد من كراهة مولانا السلطان دراسة أحوال الدولة العلية ومعرفة الخلل الذي طرأ عليها (*)

فصل جودت باشا رحمه الله تعالى في الفصل الخامس من الجزء الاول من تاريخه أخبار الخلل الذي طرأ على قوانين الدولة العلية فرماها بالضعف الذي هي عليه وبين اسباب ذلك وعلله فنقتطف من ذلك ماترى ملخصا

لما بلغت الدولة على عهد السلطان سليمان القانوني (رحمه الله تعالى) درجة الكمال في القوة البرية والبحرية وفي الادارة احتجب السلطان وترك حضور الديوان والسفر الى الحرب فضعف اهتمامه بالامور وقل اطلاعه على الحقائق وبعد مارتب قوانين الدولة احسن ترتيب كان هو أول من خالف النظام وتلاعب بالاحكام فكانت سنة سيئة فيمن جاء من بعده وهاك أنموذجا من ذلك

المناصب الملكية والعسكرية

كان منصب الصدارة العظمى لا يناط الا باهله الذين تنقلوا في مراتب الاعمال تدريجا من الالوية الى الولايات الاناضولية ثم الروملية ومن ذلك الي رتبة الوزارة مع العفة والاستقامة فخالف السلطان سليمان

(*) بعد هذا علمنا ان السلطان منع طبع هذا التاريخ وقراءته وطبعت نسخة منه ناقصة ومحرفة

نفسه هذا النظام فجعل ابراهيم آغا (خاص أو طه جي) صدراً أعظم وهو ممن تربى في القصر السلطاني لا في مناصب الدولة فطفق خلفاء السلطان سليمان يلقون مقاليد الوزارة لمن أحبوا من الشبان الاغرار الجهلاء فاقدي التربية، ولاغترار هؤلاء باقبال السلاطين عليهم كانوا يعرضون عن الاستشارة ويستنكفون أن يستفيدوا من العارفين وما كانوا يراعون القوانين بل يسيرون بحسب أهوائهم (قال جودت) وذلك مخالف للقاعدة الكلية المبنية على منطوق آية (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فصارت الامور تجري على الرغائب واختل بذلك نظام الدولة وتبدلت قوتها ضعفا، وكذلك الشأن في أمراء الالوية وامراء الامارات (الذين يسمون اليوم متصرفين وولاة) ولم يكن يعزل أحد من غير ذنب ولذلك كانت تنحصر قواهم في أعمالهم فيتقنونها

كان أصحاب التيمار والزعامة (الاول من يبلغ راتبه من ثلاثة الاف درهم الى عشرين ألفاً والثاني من كان راتبه فوق ذلك) من ذوي الوجاهة والمستحقين الذين يقومون بحماية الامة والدولة ويأخذون المال المرتب لهم بحق، ولما ولي السلطان سليمان القانوني خسرو باشا منصب امارة الامراء عن غير استحقاق ولا أهلية لانه لم يكن له عمل قبل ذلك الا ذوق طعام السلطان قبل احضاره له ابتدع هذا الباشا الذواق بدعة توجيه التيمار بالرشوة وناهيك بضررها وكان أمراء الامراء من قبله يوجهون التيمار المحلول الى مستحقيه وتصدر الارادة السنية بتنفيذ ذلك ولا يوجه التيمار أو زيادته من دار السعادة ابتداء بل بمقتضي توقيع أمير الامراء كان السلطان ووزراؤه يتذاكرون في شؤون الدولة وينفقون الاحيان

من غير دخول أحد بينهم فصار ندماء السلطان مراد الثالث والمقربون اليه يعرضون لمصالح الدولة ويكلفون الصدر الاعظم بأمور غير معقولة فاذا لم يجب طلبهم يكيدون له عند السلطان بالحل والسعاية وكانوا يتوصلون بذلك الى قتل الصدور ونفيهم وكان أولئك المقربون لا يالون بما يفعلون فاضطر الصدور لاتباعهم ومجاراتهم على أهوائهم فتمادوا في طغيانهم

كان الوزراء ينشأون في تعلم الفنون الحربية والتمرن عليها من الصغر ويحضرون الحرب بأنفسهم فارتقى بذلك قوادهم (كالسردارية والسر عسكرية) الى أعلى الدرجات من المهارة ثم جعل السلطان هذه المناصب في جماعة من رجال حاشيته الجهلاء فاختل بذلك نظام التمرن الحربي وسرى الفساد في جسم القوة العسكرية

كان قانون الانكشارية (الذين كانت الدولة ترعب بهم دول الارض) قاضياً بأن جنودهم لا تنتظم الا من الاولاد المقيمين في الثكنات المخصوصة المختارين لذلك وفي سنة ٩٠٠ حشر الناس من البلاد لحضور الاحتفال بختان نجل السلطان محمد ورغب جماعة من الاجلاف الانتظام في سلك الانكشارية لزيادة الفرح فصدرت الارادة بذلك وانتدب أرهاد آغا رئيس الانكشارية لتنفيذها فشاور في ذلك رؤساء قومه فقالوا ان هذا مخالف للقانون ومضر بالدولة العلية واتفقوا على عدم قبولهم فألح بعض الندماء والمقربين الذين لم يتأملوا عواقب الامور بتنفيذ ذلك فصدرت به الارادة السنية ثانيا ففضل فرهاد آغا الاستقالة على هذه الرئاسة الخائنة (هكذا هكذا تكون الفضلاء والامناء) وتولى مكانه يوسف آغا فأدخلهم فدخل بذلك الخلل في هذا السلك فقطع عروته

وثم منظومه حيث صار يدخل فيه من لا يعرف له أصل ولا وصف وصارت علوفتهم وارزاقهم تجرى على خدم المقربين والوزراء وصار معاش التقاعد الذي كان يعطى للشيوخ والعاجزين يعطى للشبان والاقوياء وكثر عديد الانكشارية بهذا الخلل حتى عجزت الدولة عن كفايتهم ولما كان هؤلاء الخدم والاتباع الذين يأخذون الاموال والمعاشات التقاعدية لا يحضرون الحرب ولا يقومون بالخفارة اضطرت الدولة الى استئجار خفراء ففقدت رجال الحرب الذين كانت الدول تضرب بهم هذا المثل «يجب على من يكافح العثمانيين أن نكون رجلاه من رصاص ويداه من حديد» .

كان نظام أصحاب الزعامة والتيمار ونسق الفرسان (النسق محركة ما كان على نظام واحد من كل شيء ويسمى نسق العسكر بالتركية وجاق) محفوظا من الدخيل والاجنبي عنها الى سنة ٩٩٢ تولى عثمان باشا سردار ايران ابن أوزدمير فادخل في ذلك جماعة أراد نفعهم لا استحقاقهم فمن بذلك سنة عادت بالخلل على النظام وصارت مرتبات هؤلاء كمرتبات الانكشارية عرضة للنهب والسلب وزاد عدد العساكر الذين يأخذون المرتبات وسائر الطوائف من أصحاب الملوفة فاضطرت الدولة الى زيادة الاتاوات والرسوم الاميرية فكان ذلك مدعاة الظلم والاعتداء وانتهى بفقر الاهالي وخراب البلاد

كان من مقتضى القانون ان يكون أرباب التيمار والزعامة من أهل البلاد في الالوية فلما منحها السلطان مراد الثالث لخدمة الوزراء ساءت الحال وجرت الارزاق على المجهولين ممن لا عمل له ولم يجد أرباب الاستحقاق سبيلا

للشكوى في دار السعادة لأن العلة من هناك وطفق المقربون من هذا السلطان وندماؤه فاغتصبوا بعض القرى والمزارع التي كانت خاصة بالغزاة والمجاهدين وتسمى (أربه لق) ولما فاض ينبوع ثروتهم أفاضوا منه على اتباعهم وحواشيهم وتأسى بهم وكلاء الدولة فصار الفريقان يوجهون التيمار والزعامة المحلولة الى من ذكرنا وبعضها ألحق بالاملاك الهمايونية « الاراضي السلطانيه » وبعضها خصص لتقاعد أناس صحيحي الابدان، وقسم اغتصبه أرباب الوجاهة فضموه الى أملاكهم وسموه بغير اسمه وصار يناله كل أحد حتى أهل الدعابة (المساخر والمهرجون) وبعضها قيد بأسماء خدمهم ومماليكهم ببراءات سلطانية وبعضها جعله الندماء والمقربون وسائر الحاشية وقفا لجهات مختلفة (قال جودت) مع ان وقف هذه الاراضي لا يجوز مطلقا لانها من حقوق المجاهدين والغزاة وبدعة وقف الاراضي السلطانية قد ظهرت في أيام السلطان سليمان فانه عند ما جعل صهره رستم باشا صدراً أعظم ملكه بعض القرى التي فتحها أجداده فجعلها هذا الباشا وقفا على جهات مختلفة. واطال في ذلك بما بين به ان ذلك كان وسيلة لاضاعة حقوق بيت المال (وكم جعل الوقف ذريعة لأكل حقوق بيت المال وحقوق الناس في غير الدولة العثمانية أيضا) حيث اقتدى برستم باشا في ذلك من جاء بعده وأضاعوا حقوق المجاهدين وانقرض بذلك أصحاب التيمار والزعامة انقراضا واضمحلت القوة العسكرية العظيمة وكان من أثر ذلك زوال اعتبار الفرمانات السلطانية من النفوس بعد ما كانت تحترم احتراما عظيما

ولما نقص ريع بيت المال لما ذكرنا أحدث رستم باشا السابق ذكره بدعة التزام الاموال الاميرية لاجل زيادتها فأعرض أرباب العفة والامانة المتمسكين بالدين عن الالتزام وتهافت عليه الاسافل الفاسدو الاخلاق فـكان ذلك سببا آخر الخراب الاقطاع والاملاك الهمايونية فعم الاعتداء وخربت المدن وافتقر الزراع الذين هم خزانة الدولة الحقيقية

ولم تكتب حاشية السلطان بقطع رواتب الغزاة بل فتحوا باب الرشوة على الشفاعة بتوجيه امارة الولايات والالوية وسائر المناصب الى من يبذل لهم وما كانت شفاعتهم عند الصدر الاعظم الا امرا مطاعا كما علمت فتقدم الاشرار وتأخر الاخيار ولم يبق للرتب قدر ولا اعتبار وكثرت أصحاب المناصب والرتب من كل فسل ذميم ونذل لئيم وكثر الجور والتعدي بكثرتهم حتى انتهى بما تعلم . فتبين مما شرحناه أن أسباب الخلل والفساد ترجع كلها الى أصل واحد وهو حاشية السلطان وخاصته

أما أمر الاسراف والتبذير والانغماس في النعيم المتولدة جراثيمه في عهد السلطان سليمان (رحمه الله تعالى) ثم سرت في جميع طبقات الامة فهما لا يتعلق بغرضنا شرحه الآن . ومن المسلمات ان الترف هو الذي أباد الامم السالفة وانه لا نجاة للأمم منه الا بتعميم التربية والتعليم اللذين اهتدى اليهما الغربيون في هذا الزمن واذا انضم الى ذلك الاعتصام بعروة الدين الحق والتأدب بآدابه الصحيحة فهنا لك الكمال والامان من الزوال ما دامت الأمة متمسكة بعروة الحق وقائمة بالشكر « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد »

الرتب والمناصب العلمية

كان السلاطين العثمانيون يبذلون العناية في ترويج العلوم والمعارف ولما فتح السلطان محمد القسطنطينية جعلها موئل العلماء والادباء بما سهل من سبل العلم وما عمل لترقيته ثم لما جاء السلطان سليمان خدم العلم ووسع دائرته بزيادة نشر الفنون الرياضية والطبية فهو الذي أنشأ مدرسة مخصوصة للطب وأنشأ بجوارها مستشفى « اسبتالية » ولم تكن أوربا لذلك العهد تعرف هذا . وكانت رتب المدرسين ١٢ رتبة لا يرقي أحد الى رتبة منها الا بعد تمكنه من التي دونها وبذلك كانت المناصب العلمية في أهلها وكانت حرمة العلماء محفوظة حتى اذا قال أحدهم هذا حكم الله خضعت له الرقاب وقال جميع الناس سمعنا وأطعنا وكان القضاة عدولا تذعن لحكمهم النفوس في السر والجهر

طرأ الخلل على النظام العلمي في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة فبدأ بالتسامح والتساهل في رعاية قوانينه وانتهى الى الافضاء بالرتب والمناصب العلمية لغير أهلها ومستحقيها فتولد من ذلك فتن كثيرة أشدها ضررا الظلم في القضاء وزوال حرمة العلم والدين من نفوس الناس . واننا نذكر مجملا من خبر ذلك الخلل تبصرة وذكرى

صار قضاة العسكر (قضاء العسكر اعلى الرتب العلمية في الدولة وقاضي العسكر هو ما كانت تسميه دول العرب قاضي القضاة) يعزلون من المنصب الاعلى بعد مدة قليلة من توليتهم بغير ذنب فكان اصحاب الطمع والشره منهم يغتنمون الفرصة للاكتساب من المنصب قبل العزل

فيوجهون المناصب والرتب العلمية الى غير أهلها . وصار الموالي (رتبة الموالي دون رتبة قضاء العسكر ومن اهلها يكون القضاة ولها مراتب متعددة وللأولى مرتبتان فقط) يبيعون أوراق الملازمة المؤدية الى رتبة التدريس (وهي دون رتبة المولوية المذكورة آنفا) ويعطونها لاي انسان من غير مراعاة شروطها . فانحدر الخلل من قضاة العسكر الى الموالي ومن هؤلاء الى العلماء والمدرسين وهرع أمراء المقاطعات والضباط بل والعوام الى ابتياع أوراق الملازمة التي تجعلهم علماء ومدرسين ثم موالي وقضاة فامتلأت معاهد العلم بالجهلة حتى لم يكد يتميز العالم من الجاهل . ثم صار منصب التدريس الفعلي منصبا اسميا والمدرسون لا يذهبون لمدارسهم بل لا يعرفون مواقعها ولا يسألهم أحد عنها ثم احترقت المدارس وخربت وبقي التدريس يوجه الى مدارس خيالية وكثر عدد الذين يسمون مدرسين وتنوسي التدريس فعلا بالكلية . وصار أبناء الصدور والقضاة ينالون وظيفة التدريس وهم احداث وأطفال ويترقون لذلك في الوظائف حتى ان الواحد منهم لتأتيه نوبته في المولوية وما طرّ شاربه ولا اخضرّ عذاره . وكان ينال التدريس أيضا كل ذي وجاهة واعتبار حتى صارت المراتب والمناصب العلمية تؤخذ بالارث فسهل على الوزراء ورجال الدولة تقليدها لابنائهم وغيرهم فازدحم عليها الغوغاء وصار الجهال يموج بعضهم في بعض والتبس الامر وفسد أي فساد . وكذلك صار منصب المولوية العملي اسميا كالتدريس وكان يتولى ادارة أعمال المولوية عن القاضي نائبه وصارت مدة الولاية للقاضي سنة واحدة .

بعد غض النظر عن بناء التقدم والامتياز على أسس العلم والفضيلة والاستحقاق والاهلية جروا على قاعدة الاقدمية أي تقديم الاقدم فالاقدم الا ما استثني من أصحاب الوجاهة والشرف والمنتمين الى الشفعاء المجبرين . . الذين لا يتقيدون بقانون ولا يحكم عليهم نظام. وهذه القاعدة الاستثنائية كانت تسمى في اصطلاح المدرسين الطفرة وكانت متبعة أيضا في رتب الموالي والصدور فكثر عدد الجميع جداً. وكان الذين ينالون هذه الرتب بغير استحقاق يحتقرون ما دون رتبة قضاء العسكر التي يسمى أربابها الصدور . وكان هؤلاء الصدور يتطرسون ويتبجحون ويصرفون أوقاتهم في ذكر مساوي بعضهم فكانوا كلا على عاتق الدولة

عينت الدولة لكل واحد من المدرسين والموالي والصدور قضاء يتولى ادارته نائب له فيتناول النائب حصته المعينة ويأخذ الباقي صاحب المنصب باسم (معيشة) للمدرسين و «اربه لق» للصدور والموالي . ولما كان هؤلاء النواب ليسوا من أهل القضاء اضطروا الى الاستعانة بنواب عنهم يتولون الاحكام اقتداء برؤسائهم فأصبحت النيابة تدير الاعمال في جميع الاقضية ورتبة القضاء نهبة للصدور والموالي والمدرسين وتبعهم في ذلك الجوخدارية وصارت الطريقة العملية التي وضعت لنشر العلوم والمعارف واحقاق الحقوق وسيلة للتعيش فكان ذلك فساداً كبيرا وخللا في الملك والملة

ولما زاد عدد المدرسين أصبح أكثرهم في حالة تشبه حال المتسولين وتبدل عز العلم وشرف التدريس بالذل، وكان النواب الذين ذكرناهم من أهل الجهل والمكر والسفه يشتركون مع الظلمة في ظلم العباد وخراب

البلاد ، وكان سائر من يأخذون أوراق الملازمة بالرشوة أو الشفاعة أوغادا جهالا لا يحسنون قراءة أسمائهم ولا أداء الشهادة الشرعية على شيء فطفقوا يبيعون الوظائف لامثالهم فاضطر العلماء والصلحاء الذين لم يبق لهم قيمة الى مداراة الظلمة فضاع الشرف الصحيح وخربت الامانة الدينية وراجت البطالة والجهالة . وكانت تلك العصور التي دبت فيها هذه المفاسد في الامة والدولة قد تنبهت فيها الامم الاوربية للعلوم والمعارف والصنائع فتقدموا وتأخرنا ولولا ما جاء به السلاطين المتأخرون من الاصلاح لملكنا

كادت الدولة العلية ان تسقط على عهد السلطان محمود « رحمه الله تعالى » فازال ما طرأ من الفساد على الانكشارية باصطلامهم واستئصالهم وأسس عسكرا جديدا وجاء بعده السلطان عبد المجيد « رحمه الله تعالى » فاجتهد في الاصلاح بما نعلم وحسنت الحال في عهده وفي عهد السلطان عبد العزيز « عليه الرحمة » بعض الحسن ثم جاء في آثارهم سيدنا ومولانا الخليفة المعظم والسلطان الاعظم عبد الحميد الثاني أيده الله بروحه وأمده بنصره فهب للنهوض بالامة نهضة واحدة فأسس مجلس الامة « المبعوثان » ووضع القانون الاساسي (*) وجهد في احياء معنى الخلافة الذي اهمله سلفه بعد السلطان سليم ياوز ، فطرأت الحرب الروسية والدولة على غير استعداد وقدمها فتن أضعفتها وانتهت الحرب بما نعلم وتلتها الحروب السياسية بين أوروبا والدولة العلية فشغلت مولانا عن صرف قواه للاصلاح الداخلي لانه تحمل أثقال هذه الحروب بنفسه لضعف ثقته بالوزراء بسبب فتنة

(*) علمنا بعد كتابة هذا انه ليس الواضع للقانون الاساسي بل أعلنه مضطرا وأبطله بحكمه مختارا

السلطان عبد العزيز وما كان من الخيانة في الحرب مع الروسية ومع ذلك عمل أعمالا داخلية يشرحها المنار دائما كما أشرنا الى ذلك في العدد الماضي وحيث قد لهجت الجرائد بمسألة الاصلاح الداخلي وقال بعضها أمبراطور المانيا نصح لصديقه السلطان الاعظم بالعناية الكبرى به وانبأ البرق بأن بعض الوزراء يذاكر جلالته في ذلك رأينا ان نعرض ماتراه واجبا الآن مع علمنا بان مولانا أيده الله أوسع علما بما يجب من ذلك ، ولكن روينا في صحيح مسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» فاهتداء بالحديث الشريف نقول بناء على المعلومات السابقة

اركان الاصلاح

الاصلاح الذي لا بد منه يتوقف على أمور (١) منع الشفاعة والتوصية من كل أحد في كل ما يتعلق بمصالح الدولة من توجيه المناصب والوظائف ومنح الرتب والوسامات أو العفو عن العقوبات وغير ذلك لان الشفاعات في هذه الامور هي أصل الفساد السابق وينبوعه كما مر «٢» تأديب من يتعرض لهذه الشفاعات أيا كان اذا ثبت عليه ذلك «٣» انتقاء الوزراء والولاة والحكام وسائر رجال الحكومة من خيرة الرعية بدون تمييز بين تركي وعربي أو مسلم وذمي في ضمن حدود الشريعة اذ الحاكم الشرعي لا يصح أن يكون نصرانيا مثلا واما نحو الجباية والكتابة فلا فرق فيها بين مسلم وغيره فقد كانت الجباة والكتاب على عهد خلافة الراشدين وغيرهم من غير المسلمين في بلاد الشام وغيرها وقانون الدولة ناطق بذلك «٤» حصر القضاء الشرعي في أهله كالمتخرجين في مكتب النواب أو الجامع

الازهر المشهود لهم بالعلم والعدالة ممن نشؤا بينهم «٥» اعطاء الحرية لكل حاكم قضائي أو سياسي بأن يعمل بما يراه في ضمن دائرة الشريعة المكلف بالعمل بها «٦» القاء التبعة على من ذكر فيما يتعلق بوظائفهم واعمالهم اذا هم انحرفوا عن جادة العدالة «٧» عدم عزل أحد بغير ذنب ثابت (٨) معاقبة من يعزل بذنب وحرمانه من مناصب الدولة ووظائفها حرماناً قطعيا (٩) زيادة مرتبات صغار المأمورين ومعاشاتهم لان قلتها تضطرهم الى الرشوة التي تذهب بالعدل الذي هو أساس العمران «١٠» اعطاء الحرية للرعية بالشكوى من أي حاكم تعدى حدود وظيفته وتأمين من يرفع الشكوى من تعدي الحاكم المتظلم منه ولو لم تثبت دعواه «١١» ايصاء الولاة والمتصرفين بالاجتهاد في التأليف بين أهل الملل المختلفة والطوائف المتعددة وترغيبهم في انشاء المدارس الوطنية والشركات المالية التي توحد المصالح وتجمع القلوب على العمل لترقية الوطن وتكافئ الدولة كل من أحسن في ذلك عملا «١٢» اعطاء الحرية المعتدلة للمطبوعات في دائرة القانون «١٣» منع الجرائد من اطراء الولاة والحكام وسائر المأمورين بالاماديح الشعرية التي تغرهم وتخدعهم وتحملهم على الاسترسال في ظلمهم وتجرأهم على التمادي في الباطل فان جرائد النفاق والدهان من أقوى عوامل الافساد والخراب (١٤) عدم اعطاء رتبة شرف أو وسام الا لمستحقه فاذا جرح طالب العلم الذي يرغب في رتبة التدريس بعض العلماء وعدله الآخرون فينبغي أن يقدم الجرح على التعديل كما عليه المحدثون وهكذا يكون الشأن في الباقي، بل ينبغي التحقيق على من أخذوا الرتب والوسامات بغير حق ونزعها منهم ان أمكن وربما نشرح بعض هذه الامور في فرصة أخرى

هذا ما عن لنا في الاصلاح الواجب مراعاته الآن في السلطنة وسنشرح رأينا في الاصلاح الديني أي المؤدي الى المحافظة على الدين والعمل به وجمع كلمة المسلمين ورفعه الى مقام الخلافة في عدد تال ان شاء الله تعالى

السعادة الحقيقية

لحضرة الاصولي الفاضل حوده افندي عبده الهامي

جسم السعادة يتألف من مقومات الحياة المادية والملاذ الجسمانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح السعادة هي الفضائل النفسانية والكمالات المعنوية والمزايا البشرية

شغلت عقول الناس عن معنى السعادة الحقيقية وصرفوا آمالهم وسعيهم الى ما يجلب لذة جسمانية وراحة بدنية واعتقدوا ان لا سعادة لهم الا بالاستحواذ على ما تقوم به معيشتهم وظنوا ان الظواهر المادية تكسبهم ثوبا من الفضل وحلة من الكمال فبهذا انصرفوا عن التطلع الى الكمالات وكسب الممدوح من الاخلاق والصفات

والناس في حياتهم المادية قسمان قسم يستحوذ على المال من طريق الحق والعقل وقسم تاه في بيداء الغواية وسلك طريق الغواية يطلب المال مهما كانت ذريعته ويسعى اليه مهما كانت وسيلته الا انه لم ينل من الكمال حظا ولا أصاب من الفضل غرضا ومثله في مثل ذلك المجاه التي تطعم لما تقدم من العمل . فجمعه المال وان كان بطريق حق ثابت لا فضل

له فيه ولا يعد فاضلا الا بالفضائل التي نبينها . والقسم الآخر هو أقل بكثير في الدرجة من القسم الاول ومثله مثل الحيوانات الضارية التي لا ينال الناس منها سوى الضرر . الانسان نوع ميزه الله عن الحيوانات بمزايا العقل والفضائل فاذا لم توجد تلك المزايا فقد انحط عن درجة الحيوانات لانه اذا عري عن تلك المزايا صار حيوانا ضاراً وصارت هي أنفع منه .

ثبت حينئذ ان الاستحواذ على مناهل الثروة وينابيع الكسب ليس كافيا وحده في لبس ثوب الفضل وانما يصح ان يتخذ المال آلة للوصول الى بعض الفضائل ومن جعله غرضا لا يسعى الا اليه فقد جهل حقيقة نفسه وأضاع الغاية المطلوبة من حياته

والناس متقاربون في حياتهم المادية مهما اختلفت الثروة فلربما تلذذ الفقير بعيشه القليل ونغص الغني ذو النعيم العظيم على أن موارد الثروة لا تدوم لصاحبها فكم من غنى زال وما دام وكم من فقير أصبح يجر ذيول النعيم . فلا تفاوت في الحقيقة بين الناس الا بالفضائل والمحامد لانها هي المزايا الموطدة لروابط الجمعية البشرية المؤسسة لبناء هيكل الانسانية وما دامت في افراد دولة يدوم معها الارتقاء واذا انحطت هوت تلك الدولة في مهاوي الدمار وبعدت عنها السعادة بعد السماء

نقرأ في سير الغابرين ونشاهد في أمم الحاضرين أن الدولة ترتقي أوج الكمال وتبلغ الفضائل من نفوس أهلها مبلغا عظيما ثم تحط من تلك الرفعة الى حضيض الذلة وربما خيل ان الفضائل مع تمكنها من نفوس تلك الدولة الراقية لم تقدم شيئا في سعادتهم ولم توقف مجاري

انحطاطهم وحينئذ يبطل القول بأن الفضائل هي الموصلة للسعادة ولكننا نجيب على ذلك بأن الدولة اذا وهنت بعد عظمتها فقد فقدت عنصر الفضائل من نفوسها والعلة المؤثرة في السقوط هي في الحقيقة ضياع تلك الفضائل من افرادها فان الوهن الذي يطرأ على أفراد الدولة الراقية سببه انهم عند ما يحسون بلذة العيش ونعيم الراحة يروق في طباعهم محبة الحياة المادية وبعد قليل تغلب عليهم تلك المحبة ثم ينتهي بهم الحال الى أن تتحجر في طباعهم وتصبح طبيعة لا مرد لقضائها وعند ذلك ينسون الفضائل وما توجبه على نفوسهم من المزايا وتبتدىء عندهم كراهية تلك الفضائل لانها لا تبيح لهم كل ما تشتهيه الحواس ويطالب به الميل الجسماني ثم تتدرج الكراهية في نفوسهم وينتهي الامر بأن تصبح الفضائل كالعدو القائم عليهم بالمرصاد فيمجونها وينبذونها وحينئذ يستولي السقوط على الدولة بذهاب الكمال من الناس وانحلال الرابطة وتصبح حكومة الطباع الفاسدة هي المؤيدة للسلطة وتذهب سنن النظام ادراج الرياح . فلاجل صيانة الدولة من السقوط لا بد حينئذ من طائفة في كل أمة تقوم بأمر الحث على الفضائل خصوصا اذا بلغت من الارتقاء الحد الذي نوهنا عنه لان الفضائل أخلاق مكتسبة كما سنبينه ولاجل أن ترسخ في النفوس لا بد أن يكون هنالك ما يقومها ويطالب بها دائما

ثبت حينئذ أن ارتقاء الامم وحفظ سعادتها لا يكون الا بالفضائل والكمالات

بقي علينا أن نعرف هل الفضائل غريزية في النفس أو مكتسبة .

واذا كانت مكتسبة فما هو طريق اكتسابها . ثم لنا كلام بعد ذلك على بعض الفضائل ان شاء الله

لم يخلق الانسان ميالا بطبعه وغريزته الى الفضيلة وانما يخلق وفيه استعداد لتلقي الفضيلة على حسب ما يوجهه اليه القائمون بأمره. والدليل الحسي ناطق بذلك فان سكان البادية تشاهد في طباعهم خشونة وفي أخلاقهم يبوسة وهم أبعد الناس عن الفضائل (في هذا الكلام نظر سيظهره المنار عند المناسبة) ولولا ما يبث فيهم من العقائد الدينية الحاضة على التمسك بالفضائل لاصبحوا شر الناس ولكانوا كالحيوانات في سيرهم ومعيشتهم أما أهل المدن فنجد في طباعهم لينا وفي أخلاقهم رقة ولا بد حينئذ من أن يكون هناك عامل مؤثر في طباع أهل المدن لا يوجد في طباع سكان البادية وذلك العامل هو التربية فأهل البادية لبعدهم عن المربي والمرشد لهم كانوا على ماذكرنا وأهل المدن لوجود المربي بينهم اكتسبوا ما هم فيه من الفضائل وثبت حينئذ ان الفضائل أمور كسبية مناطها التربية فالتربية هي الطريق الحقيقي الموصل للفضائل

فالمؤثر الحقيقي الذي نجني به جميع الفضائل هو التربية لهذا كان الاعتناء بأمرها مقرراً عند الامم التي رتعت في مروج المدنية وبحبوحة السعادة

يخيل للانسان من تغلب قوته الحيوانية على روحه الشفافة البشرية أن الفضائل أمور شاقة والاخذ بها مما يضيق على النفس في التصرف بحريتها وربما كان هو السبب في انحراف أغلب الناس عن الاخذ بالفضائل واكتسابها ولكن هذا خيال باطل وان لذة المتمسك بالفضائل لهي أعلى وأرقى من ملاذ المتمسك بالطباع الفاسدة لان الفضائل هي كمالات

ترفع بها درجة النفس وتصيرها معظمة سائدة على غيرها واي لذة تضارع لذة تلك الرفعة المعنوية التي يشرق نورها على الروح بتأثيرها لا كما يحصل في اللذائذ المادية من سرعة الزوال لهذا كانت الشرائع متفقة كلها على الحث على الفضائل ولم تتخير موضوعاً أعلى ولا مقاما أسمى من ذلك المقام العظيم المنوط به السعادة الدنيوية والاخروية . وعلى فرض أن في تحمل الفضائل مشاق على النفس أمام ما يصادمها من الملاذ الحسية فالتربية تصير الفضائل طبائع وتغرسها في النفوس كالنقوش ويشب الشخص دائبا عليها تلازمه في حركاته وسكناته اذا قصر في بعضها يجد من ضميره زاجراً وموبخا ويأخذه في نفسه انقباض وكدر وعلى العكس من ذلك تجده مسروراً مشروح الصدر اذا أرادها وواظب عليها ووقف عند حدها . بقي علينا أن نعرف متى تغرس الفضائل في النفوس وما هو دور الحياة اللائق لغرسها

للحياة ثلاثة أدوار طبيعية دور الطفولية والشبوبية والرجولية ففي دور الطفوليه يكون ذهن الطفل أكثر استعدادا لتلقي مبادىء التربية وعناصر الفضائل وهو ببركة ماله من السذاجة في هذا الدور يكون قلبه كالمرآة ينطبع فيه جميع ما يلقى اليه ولا يصح حرمان الطفل من تلقينه تلك المبادىء في هذا الدور لأن ذلك يوعر عليه طرق الاكتساب في الدورين الآخرين من حياته

ثم ان بعض الناس يعتقد ان الترهيب هو السبب الوحيد لتلقين المبادئ في هذا الدور وهذا من الشطط لان تأثير الترهيب نجده في الغالب قاصرا على ردع الشخص امام زاجره ومتى انتهز فرصة غياب

الزاجر يأتي المحذر منه ولا شيء يمنعه أما الترغيب في الفضيلة مع بيان منفعتها للطفل على قدر ما يقبله عقله بطريق الوداعة والمداعبة فمما يطبع الطفل عليها ويحببها لنفسه لانها أتت من طريق يلائم طبعه بخلاف ما يأتي من طريق المكروه والترهيب فانه دائما يكون مكروها عند الطفل لهذا كانت معالم التربية في بلاد الريف من كل أمة هي أكثر انحطاطا منها في المدن وهذا سببه ان معالم الفضائل لم تغرس في نفوس الاطفال على وجه معقول مقبول بل كانها تغرس بطريق الترهيب المكروه الذي اعتاده أهل البادية .

دور الشبوبية هو الدور الذي تحكم فيه الشهوة ويتغلب فيه سلطان الملاذ الجسمانية بحكم الطبيعة ولا بد من معالجة النفس في قبول الفضائل وهنا تبذل جميع الوسائل من ترهيب وترغيب يختلفان باختلاف الاستعداد الموجود في الافراد ولطالما وقعت شبان في شرك الشهوات بسبب ترك التربية في هذا الدور وقضوا حياتهم في ملاذ حيوانية وشهوات بهيمية

دور الرجولية هو دور إلقاء النصيحة على الناس وتذكيرهم بما غرس في نفوسهم من معالم الفضائل في الدورين السابقين وهذا الدور لا حد له من العمر بل الواجب على أمة تطلب فخاراً وتنوي ارتقاء أن يقوم من افرادها نفر أعطاهم الله قوة سليمة في القاء النصائح والحث على الفضائل وبلاغة في التعبير وصناعة في الالقاء وقوة في البرهان ودرجة عالية في القلوب وبالجملة يكونون من خيار الامة وعظمائها حتى يكون لقولهم تأثير على النفوس وتذكيرهم يبقى له أثر في الأرواح وسلطة في القلوب لهذا كان من حكمة الدين الاسلامي أن فرض علينا الخطبة في صلاة الجمعة

تذكيراً للناس بالفضائل والمواعظ حتى لا يغيب عن عقولهم خيالها لأن الانسان بماله عن كثرة الاشغال طبع على النسيان فلا بد من منبه ينبهه ووازع يذكره. هذا مجمل من الكلام يختص بماهية السعادة الحقيقية ويذكر أن الفضائل هي غرائز مكتسبة بالتربية وسنأتي ان شاء الله تعالى على بيان الفضائل وكيف أنها روح السعادة (لها بقية)

الشعر العصري

نظم فارس اليراعة عزتلو الامير شكيب ارسلان

عما بصباح العلم رغداً وأنما   بربع ظلام الجهل عنه تصرما

قد انصاح (1) صبح السعد في ليل نحسه   فغادره شيئاً فشيئاً مهزّما

وثاب اليه العلم عدوا بعوده   اليه فلا لوم ما تلوّما (2)

فأصبح داجي أفقه اليوم زاهراً   وقد كان زاهي أفقه قبل مظلما

وأينع ذاوي روضه اليوم بعد أن   تصوّح من عصف البوارح في الحمى (3)

ترنح عطف السعد فيه بعيد ما   رأى لثغور العلم فيه تبسما

وباتت غصون العز تخطر عند ما   رأت فوقها طير المعارف حوما

لعمرك ان الشرق رُدَّ بهاؤه   فيرفل في ثوب الثناء منمنما

وعاد اليه الفضل والعود أحمد   عليه اذا كان الغياب مذمما

وما الشرق الا ذلك الشرق لم يزل   مدى الدهر اعلام العلى متسنما

فان نابه يوما من الدهر صرفه   فلم تك الا برهة فتثلما

---

(1) انشق (2) ثاب رجع وتلوم تمكث وتاخر (3) تصوح تشقق والبوارح الرياح الحارة

وإما تطش دهم الليالي سهامه فهيهات لم تسلبه للحظ أسهما
وان فاته للفضـل غيث فانمـا توخى اليه الرجع جما فعمّا[1]
وان تمره الاحداث من بعد بسطة فأيّ الورى لم يلق بؤسا وانعما
وان يك يوما سود الجهل افقه فقد طالما في الفضل أطلـع أنجما
نجوم عـلوم أخجلت بضيائها نجوم علوم لحن في كبد السما
بمن اهتدى في سيره كل بارج توغـل في بحر الكيـان الذي طما
رجال بهـم جاد الزمان وعله على مثل هـذا الجود يوما تنـدما
أقامهم في الشرق يحيون أهله فأذهـل عمـا نال عادا وجرهما
هم الملأ الاخيار والعصبة الاولى رأينا لعمري الرشـد فيهـم مجسما
تظـلم منه الفخر قبل مجيئهم فجاؤوا فلما أثقلوه تظلما[2]
لكم ارهفوا بالجد للمجد مخذماً وكم أرعفوا بالنبل للفضل مخطما[3]
وكم صرفوا وجه الصروف عن الورى
وكـم عفروا بالحزم للدهر مرغما[4]
وكم سهلوا حزنا عـلا وثنيـة وكم بدلوا بالشهد صابا وعلقما
وسلوا من الآراء أبيض صارماً ففلوا من الارزاء جيشا عرمرماً
اماطوا قناع المكرمات وقد جلوا محيا المعالي بعد ان كان اسحما
واعلوا منار الرشد في افق شرقهم وخلو سبيلا للمآثر اقوما

«١» الرجع مصدر رجع وللطر بعد المطر وعم أبطأ وعم عنه كف بعد المضي «٢» تظلم الاولى بمعنى شكا من الظلم والثانية بمعنى احاله الظالم على نفسه «٣» المخذم كمنبر السيف القاطع والارعاف اسالة الدم والمخطم كمنبر الانف «٤» المرغم بالفتح الانف والمراد بتعفير أنف الدهر الاذلال

وأجروا ينابيع المعارف في الملا فطال بها نبت المعاني وقد نما
وشادوا أصولا للفنون وأوضحوا لها سبلا أضحت الى النجح سلما

لها بقية

﴿ عجيبة عجيبة — أو العدل في القضاء ﴾

عجيبة مغنية كانت في مصر على عهد السلطان الملك الكامل ابن ايوب ويذكر ان الكامل كان مع تصميمه بالنسبة الى ابناء جنسه يحضرها اليه ليلا وتغنيه بالجنك على الدف في مجلس يحضره ابن شيخ الشيوخ وغيره وأولع محمد الكامل بها جدا ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند القاضي ابن عين الدولة وهو في دست ملكه فقال ابن عين الدولة السلطان يأمر ولا يشهد فاعاد عليه السلطان الشهادة فأعاد القاضي القول فلما زاد الامر وفهم السلطان انه لا يقبل شهادته قال أنا أشهد اتقبلني أم لا فقال لا ما أقبلك وكيف اقبلك وعجيبة تطلع اليك كل ليلة وتنزل ثاني كل يوم بكرة وهي تتمايل على ايدي الجواري وينزل ابن الشيخ من عندك اعيا ما ينزل فقال له السلطان «يا كنواخ» وهي كلمة شتم بالفارسية فقال له ما في الشرع يا كنواخ اشهدوا علي اني قد عزلت نفسي ومضى . فجاء ابن الشيخ الى الملك الكامل وقال المصلحة اعادته لئلا يقال لاي شيء عزل القاضي نفسه وتطير الاخبار الى بغداد ويشيع أمر عجيبة فقال له صدقت ونهض الى القاضي وترضاه وعاد الى القضاء وهذه الحكاية سماها بعض الناس «عجيبة عجيبة» وفيها بحث فقهي يراجع في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي

{ اقتراح على مجلس ادارة الازهر الشريف }

رددت بعض جرائد سوريا ومصر خبر صدور الارادة السلطانية السنية لطائفة أو طوائف من طلاب العلم في دار السعادة بالتجوال في البلاد والقرى والمزارع (الابعديات والعزب) لبث النصائح الدينية وارشاد الناس وتعليمهم مدة ثلاثة أشهر (رجب وشعبان ورمضان) وهذه المنقبة من أجل المناقب لمقام الخلافة الاسلامية أعزه الله تعالى وياحبذا لو أصدر سيدنا ومولانا الخليفة المعظم أمره لجميع البلاد الاسلامية بالقيام بهذه الفريضة الدينية

وبهذه المناسبة نقترح على فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الشريف وعلى أعضاء مجلس ادارة الازهر ان يعهدوا بمثل هذا العمل الشريف الى المدرسين ونجباء الطلبة الذين يقضون مدة اجازاتهم في بلادهم وقراهم وان يضعوا لهم سننا معينة يسيرون عليها في عملهم هذا ثم يتعرفون أنباءهم فيكافؤن من احسن عملا • من فائدة ذلك للقائم به التمرن على النصيحة والارشاد واختبار سيرة العامة في دينهم ومعرفة مايحتاجون اليه في ذلك وذلك يهديه الى تعلم ماينفع به وعدم شغل الوقت بما عساه لا يلزمه . ومن أفضل ماتتوقعه من مجلس ادارة الازهر اختيار جماعة من نجباء المجاورين من كل قطر من الاقطار وترشيحهم للوعظ بأن تلقى اليهم دروس مخصوصة في الاخلاق والعادات ويمرنون على الخطابة بحيث تصير ملكة لازمة لهم وترغيبهم في ذلك بالمكافآت وزيادة الرزق (الجراية) بقدر

الامكان . وسنوفي الموضوع حقه من البيان في مباحث (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) و(الخطابة) و(التمسك بالقرآن) ان شاء الله تعالى

﴿ مدارس الخرطوم ﴾

طير البرق الينا من أيام خبر اقتراح كتشنر باشا لورد الخرطوم وسردار الجيش المصري فتح اكتتاب لجمع مائة الف جنيه لانشاء مدرسة كلية في الخرطوم باسم غوردون باشا الانكليزي الذي هلك فيها . ولم يكد يلبج الخبر المسامع ويجول في المجامع حتى جاء في أثره خبر آخر مع البرق بأن الفرنساويين هبوا لمجاراة الانكليز في هذا ولا بد أن ينشؤا في الخرطوم وغيرها من بلاد السودان مدارس متعددة باسم فشوده ومرشان أو بأسماء أخرى لئلا يستأثر الانكليز بنشر نفوذهم السياسي والديني والادبي في تلك البلاد الواسعة ، فهل يوجد في أغنياء المصريين أو المسلمين من يبذل المال للمحافظة على دينهم ولغتهم وآدابهم وتنميتها وهي موجودة كما يسعى أولئك لايجادها وهي مفقودة؟ ان كان في العالم الاسلامي أغنياء لهم غيرة على دينهم ولغتهم وآدابها فاننا نرى آثارهم في مجاراة الاوربيين بمثل هذه الاعمال وان كانوا لا يقلدونهم الا بالترف ولوازمه من المنكرات والفواحش فلهم اللعنة ولهم سوء الدار

الاصلاح الديني (*)

﴿ المقترح على مقام الخلافة الاسلامية ﴾

لا تقوم مصلحة عامة الا برياسة ولا تسير رياسة في منهاج الصواب مالم تكن مقيدة بقانون عادل . والدين مصلحة عامة ورئيسه في الاسلام بعد زمن النبوة الخليفة الذي يتولى أمور المسلمين فهو المطالب بحراسته الصورية والمعنوية، المسؤول بتعميم نشره في البرية، وقد بينا في مقالات (الخلافة والخلفاء) أن خلفاء المسلمين بعد الراشدين قصروا في حفظه فضلا عن نشره ، ولم ينتشر انتشاره السريع في أقطار الارض الا بسهولة تعقل عقائده ويسر أحكامه، وتأثير فضائله وآدابه، لا بعناية الخلفاء، ولا سعي الملوك والامراء . أي خليفة أقام للدين دعاة تحت حمايته في بلاده أو في البلاد الاخرى الا ما كان من دعاة الفتنة ورواد الاضلال على عهد العبيديين في مصر ؟ أي خليفة سعى في جمع كلمة المسلمين التي فرقتها المذاهب ، ومزقها اختلاف المشارب ؟ ؟ كل ذلك لم يكن كما علمت من المقالات السابقة ولو كان لما وقف سير الاسلام ، أو تقلص ظل سلطته عن أحد من الانام ، ولما أصيب فيضانه بالجزر أو يبلغ مده غاية حده . ما رعوا الخلافة حق رعايتها بل صيروها ملكا عضوضا كما ورد في أعلام النبوة فساءت الحال ، وانتهت الى هذا المآل . وهذا لا يمنع من تدارك ما مضى وتلافي ما فرط فيه .

(*) فاتحة العدد التاسع والثلاثين الصادر في يوم السبت ٣ شعبان سنة ١٣١٦

ولما كانت لمولانا المتبوئ مقام الخلافة لهذا العهد أمير المؤمنين عبد الحميد الثاني (أعزه الله تعالى وأيده) عناية عظيمة في إحياء منصب الخلافة الاسمى والقيام بشؤونها بقدر الاستطاعة رأينا من واجب النصيحة للامام التي ورد بها الحديث الصحيح الذي أوردناه في مقالة « الاصلاح » السابقة أن نبين ما نعلم أنه من مقومات الاصلاح الديني ، كما بينا رأينا في مقومات الاصلاح السياسي المدني ، على أن الاصلاحين متلازمان في الامة الاسلامية لا يقوم أحدهما حق القيام الا بالآخر والشريعة الاسلامية هادية للاصلاحين اذ كل خير وصلاح للعباد، يتعلق بالمعاش والمعاد، قد قرره الاسلام واعتده من مقاصده. وقد عرف علماء المسلمين الدين بأنه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل. ولهذا قلنا في العدد الماضي ان مرادنا بالاصلاح الديني « ما يؤدي الى المحافظة على الدين والعمل به وجمع كلمة المسلمين » ولا يحصل هذا بعمارة المساجد والتكايا ولا بالانعام على بعض الشيوخ أو أهل الحجاز بالرتب والرواتب والوسامات بل لا بد في ذلك من أعمال تناط بالحكام وأعمال تطالب من العلماء وأصحاب الوظائف الدينية كالائمة والخطباء والمدرسين وأعمال تتعلق بمجموع الامة وأعمال تختص بالبلاد الحجازية وانما نتكلم على ما يسنح لنا في ذلك بوجيز من القول مستمدين التوفيق للتي هي أقوم ممن علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

أهم ماجاء به الاسلام هو التوحيد في العقائد الدينية والتعاليم الادبية والاحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الاصلاح الاسلامي جمع المسلمين

على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعي واحد لا يحكم عليهم غيره في أي نوع من أنواع الاحكام ولغة واحدة . ويتوقف هذا الاصلاح على تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل قطر اسلامي وتكون عظمى شعبها فى مكة المكرمة التي يؤمها المسلمون من جميع أقطار الارض ويتآخون فى مواقفها ومعاهدها المقدسة ويكون أهم اجتماعات هذه الشعبة فى موسم الحج الشريف حيث لا بد أن يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون الى شعبهم من المجتمع العام مايستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجهرية . وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم والأمن من وقوفهم على ما لا ينبغي وقوفهم عليه في جملته أو تفصيله (ومنها) أن لشرف المكان والحالة قاصديه الدينية أثرا عظيما في الاخلاص والتنزه عن الهوى والغرض فضلا عن الغش والخيانة وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة علمية دينية تطبع في مكة أيضا . وأية شعبة استطاعت انشاء جريدة تنشئها

ولنذكر كل توحيد من التواحيد التي يجب في الاصلاح جمع الامة كلها عليها وما يكون من عمل الجمعية فيها ثم نذكر أهم ما يناط بالجمعية وشعبها من الاعمال وهو تلافي البدع والتعاليم الفاسدة التي تحدث قبل انتشارها واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين وأهم ثمراتهما وهو ارتباط الحكومات الاسلامية واتحادها فنقول

(الاول والثاني توحيد العقائد وتوحيد الآداب) تؤلف الجمعية كتابا

فيما أجمع عليه المسلمون بجميع فرقهم التي يعتد بإسلامها من أصول الدين الثلاثة : صحة الاعتقاد وتهذيب الاخلاق واحسان الاعمال — لا يذكر فيه شيء من مسائل الخلاف لاسيما بين الطوائف الاسلامية التي لها امارة وفيها كثرة كالشيعة بل ينحى فيه منحى « رسالة التوحيد » التي ألفها حديثا أحد علماء الازهر الشريف ، ولا يتعرض فيه أيضا المباحث الفلسفة التي مزج الاولون بها علم الكلام ، ويكون الكتاب بعبارة في غاية السهولة ويترجم بجميع اللغات المتداولة ويعلن من مقام الخلافة بأن هذا هو الاسلام وجميع الآخذين به اخوة في الدين يجب على كل منهم ان يعتقد مجموع الامة جسما واحداً هو عضو فيه كسائر الاعضاء وانه لا قوام له ولا حياة ولا شرف الا بسلامة المجموع من كل ما يعرض على الحياة من العلل او يمس الشرف ولا يمنع من هذا الاختلافُ في المسائل الفرعية والتي ليست من أسس الدين وأركانه كالمفاضلة بين الصحابة « عليهم الرضوان » في الخلافة وغيرها كما لا يمنع الانسان من تكريم أعضائه تلونها بلون غريب عن لون الفطرة أو كما لا يمنعه من محبة اخوته وأبنائه دمامة أو مرض يعرض لبعضهم ، بل ينبغي أن تكون العناية بأمر المنحرف أشد ، والانعطاف عليه أقوى

(الثالث توحيد الاحكام) لا يمكن أن تنال الامة حظها من السعادة المدنية الا بخضوعها ظاهرا وباطنا للقوانين القضائية والمدنية التي تسير عليها حكامها ولا يمكن ان يخضع مسلم لقانون وضعه البشر الا كرها واجبارا ومن يراعي منهم القانون ويخضع له في الظاهر كرها يعصيه في السر اذا أمن العقوبة كأن علم انه لا يمكن اثبات عصيانه ومخالفته أو انه يتسنى له

ارضاء الحاكم بالشفاعة أو الرشوة وما اضطر الحكومة العثمانية والمصرية الى العمل بالقوانين الاوربية الا عدم وجود كتب شرعية اسلامية تنطبق على حالة العصر وعجز الحكام عن أخذ ذلك من الشريعة لجهلهم بها وغفلة العلماء عن حالة العصر وما تقتضيه والتقيد بمذهب واحد . فاذا أمر الخليفة الجمعية بتأليف كتب تؤخذ من جميع المذاهب الاسلامية تنطبق على حالة العصر لاجل الحكم بها فعلت وهو أيسر شيء عليها . ولا يتوقف هذا على التلفيق الذي يمنعه الجمهور لانه مفروض في مسألة واحدة ، واذا صادقت على هذه الكتب شعب الجمعية كلها صار متعينا للاتفاق عليه من علماء الملة على اختلاف مذاهبهم ثم اذا امر الخليفة بالعمل به تذعن له النفوس وتخضع سرا وجهراً .

ولا يختلج في ذهن عاقل ان ذلك يسوء أصحاب الملل الاخرى في الدولة ويتولد منه نفورهم منها لان العنصر الكثير في الدولة منهم هو عنصر النصارى ولا يمكن نفور هؤلاء من قوانين الشريعة الاسلامية بحجة الدين لان دينهم يأمرهم بالخضوع لاي سلطان يحكمهم وأية شريعة يحكمون بها ولا بحجة المصلحة والمنفعة لان مصالحهم ومنافعهم تحفظ بشريعة يذعن لها مشاركوهم في تلك المصالح وأعمالها ومجاوروهم في وطنهم سواء فيها حاكمهم ومحكومهم مالا تحفظ بشريعة يعتقد الحاكم والمحكوم أن العمل بها غير واجب بل تعدي حدودها لازم لا يمنع منه الا الأمن من العقوبة لا سيما وهم يعلمون ان الشريعة الاسلامية تأمر بالعدل والمساواة بين المسلم وغير المسلم في الحقوق وتفرض على المسلم من الواجبات مالا تفرض على غيره .

وكاتب هذه السطور يعلم من مذاكرة نبهاء النصارى وعقلائهم انهم يتمنون لو تكون الاحكام شرعية اسلامية ولا ينتقدون مما يعلمونه من

أحكام الفقه الاسلامي الا مسائل قليلة ليست من مسائل الاجماع ومهمات الدين في الغالب

وفي توحيد الاحكام الشرعية على ما ذكرنا ارضاء لجميع مذاهب المسلمين في الفروع وقطع لعرق التعصب الذي أضر بهم في الايام الخالية وغير ذلك من الفوائد التي لا محل في هذه المقالة لشرحها . ويوشك ان تحكم الدول الاجنبية مستعمراتها الاسلامية بهذا القانون ارضاء لاهلها واستمالة لهم واطمئنانا لخضوعهم للاحكام سراً وجهراً . ولا حاجة هنا لبيان كيفية التأليف من الضبط والسهولة والترتيب وإن لنا في مجلة الاحكام المدلية لخير مثال . ولا دليل على أن جميع الحكومات الاسلامية تأخذ بهذا القانون حالا ولكن لا مندوحة لهم عن الاخذ به مآلا

(الرابع توحيد اللغة) كل من كان قصير النظر لا يتجاوز شعاع بصره ما بين يديه — وكل من كان جاهلا بأحوال الامم الحية وسعيها في نشر لغاتها في جميع الاقطار — وكل من ضعف عقله ودينه فوقع في هوة اليأس من حياة الامة ونجاح عمل كبير على يدها — وكل من تمكن منه الطيش والعجلة وقلة الاحتمال فصار يطلب الغاية في البداية — كل هؤلاء الاصناف يعتقدون ان محاولة جمع الامة الاسلامية أو شعوب الدولة العثمانية على لغة واحدة غرور وجهل لانها محاولة محال ، وطلب مالا ينال، ولكن لا يوجد ذو مسكة من العقل يرتاب في ان نجاح الامة التام وارتقاءها الكامل يتوقف على وحدة لغتها فاللغة هي مناط الجنسية ومعقد الارتباط عند الامم المرتقية وما دامت الدولة مختلفة الاجناس فهي على خطر من

حياتها السعيدة وبين يدينا من الشواهد، ما يقطع لسان كل معاند،

هذه دولة أوستريا — النمسا والمجر — تعد من الدول القوية المتمدنة في أوربا ومع ذلك قد رماها اختلاف الاجناس بالفتن التي يخشى ان تؤدي الى تمزيقها بتفريقها وتودي بعظمتها التي يمسكها الامبراطور الحالي أن تزول لماله من المكانة والمحبة في نفوس الجميع

العمل الاول في توحيد اللغة انما يكون من الخليفة صاحب السلطان وعمل الجمعية فيه كعملها في نشر الدين والدعوة اليه كما يأتي. والحكومة العثمانية تجتهد في تعميم لغتها التركية العذبة في بلادها ولا يتسنى لها ذلك أبدا. وتترجح اللغة العربية على التركية في وجوب تعميمها بأمور (منها) كونها لغة الدين فإحياؤها احياء له وتعميمها وسيلة لتعميمه وفهمه (ومنها) امكان نشرها بسهولة لان التركي يدعوه الى تعلمها كونها لغة دينه أما العربي الذي لا طمع له في مناصب الدولة فلا تتوجه نفسه الى تعلم التركية وهذه الدولة العلية لم تقدر في بضعة قرون أن تستبدل لغتها بالعربية في قطر من الاقطار ولو سارت على ما كان يرغب السلطان سليم ياوز « رحمه الله تعالى » من جعل العربية لسان الدولة الرسمي وتعميمه لكان معظم الاتراك اليوم ينطقون بالضاد (ومنها) محو الامتياز الجنسي بين الترك والعرب فقد أضر هذا الامتياز بالدولة ضررا مبينا ولا تزال اخطاره تهددها. ثم ان الرابطة الاسلامية بين العنصرين كافية للاتحاد والاعتصام ولكن أين التربية الاسلامية التي تنفخ هذا الروح في العنصرين كما نحب ونرضى ؟. ولا يجهل من وقف على دسائس المفسدين أن أنفذ عواملهم في التفريق بين هذين العنصرين هو اختلاف اللغة. فان كان كمال بك الكاتب العثماني الشهير

(عليه الرحمة) قال ان الجامعة بين الترك والعرب مؤيدة بأخوة الاسلام ورابطة الخلافة فان كان أحد يقدر على تفريقها فهو الله وان كان أحد يفكر فى ذلك فهو ابليس » فلقد قال ما قال ولم يكن السعي فى التفريق قد وقع فعلا . أما الآن فقد ظهر من أعداء الدولة أبالسة تسعى لهذا الفعل القبيح بما تستطيع وفتنة اليمن لا تخلو من آثار هؤلاء الابالسة الاشرار (ومنها) أي (المرجحات) كون الناطقين بالعربية فى الدولة أكثر عدداً آلفا بالك بهم فى الامة كلها (ومنها) كون علماء المسلمين فى جميع أقطار الارض يعرفونها (ومنها) أن سعي أمير المؤمنين فى نشر لغة الدين وتعميمها يجمع قلوب المسلمين في جميع المسكونة على محبته والتمسك بولاء دولته

{ لها بقيه }

(ليلة المعراج)

احتفل المسلمون في ليلة الاحد الماضية بتلاوة قصة المعراج الشريف وهذا الاحتفال من المواسم الحادثة في الملة لم يكن على عهد السلف الصالح. وقد ألف في هذا الموضوع قصص كثيرة منها ماتحرى أصحابه الروايات المنقولة من صحيح وحسن وضعيف ومنها ما جيء فيه بما لا يصح من منكر القول وموضوعه ومزج الروايات الواهية بالصحيحة مزجا لا يتميز فيه الصحيح من الفاسد والذين يقرءون هذه القصص منهم العلماء الذين يشرحون القصة للناس ببيان يقرب من عقولهم وتتناوله أفهامهم من غير ان تجول خيول خيالاتهم في معاني من تنزه عن صور الخيال ، وتسري قنافذ أوهامهم الى حضرة من تعالى عن خطرات الاوهام ،ومنهم الجهال الذين ينشئون

السم في الارواح ، ويزعزعون العقائد الصحاح ، حيث يوقعون في أذهان العوام مايمثل حضرة الربوبية بجسم من الاجسام ، كان يراجعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الكلام ، مع النظر المعهود بين الانام . فوقع الكثير من العامة بسبب ذلك في شرك التجسيم ، لعدم التمييز بين الصحيح والسقيم ، فاني قد بلوت الناس في هذا الامر وخبرتهم . وقررت العامة فيه وما أقررتهم

اعتقاد ان النبي صلى الله عليه وسلم عرج الى السماء ليس من القضايا الاساسية وأركان الايمان في الدين الاسلامي وقد اختلف العلماء فيه هل كان يقظة أو مناما والاكثرون على الاول ومن هؤلاء من يقول انه بالروح واحتج الآخرون بقوله عليه السلام في رواية صحيحة «ثم استيقظت » وأجاب عنها الاولون ، وللقصاص والشعراء مبالغات في ذلك حملهم عليها التفنن في تعظيم النبي بما هو مستغن عنه فأين قول بعضهم (وشرف العرش بوطء نعله) من قول حجة الاسلام الغزالي (والصحيح انه لم يرتق الى العرش)ويخوضون في القصة في مسألة رؤيته ربه تبارك وتعالى ومناجاته له وهي مسألة خلافية لا يتوقف الدين على إثباتها ولا يختل بانكارها والعلماء يقربون ماورد فيها للافهام ويطبقونه على القواعد المعقولة التي هي أساس الدين

وملخص القول في ذلك أن أصل الدين اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن مشابهة الخلق لاتفاق البرهانين العقلي والنقلي على ذلك . وقد ورد في جميع الكتب السماوية كلام عن الباري تعالى وهو مما يستعمله المخلوقون بعضهم في بعض ويوهم التشبيه وهو ما يسميه المسلمون المتشابه وللعلماء فيه طريقتان مشهورتان احداهما الايمان بحقيته وعدم الخوض في تأويله

بل يفوضون الامر فيه الى الله تعالى لئلا يحملوه على غير المراد منه لله تعالى والثانية حمله على ضرب من ضروب المجاز بقرينة دليل التنزيه العقلي النقلي المانع من ادارة ظاهره ولهم في هذا المقام تفصيل وأقوال لا محل هنا لشرحها . فالعالم المحقق اذا قرأ قصة المعراج وأراد البحث في مسألة الرؤية يقول انه لم يرد فيها شيء قطعي وكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تنكرها وقالت لمن سألها عنها لقد «قف شعري» واستدلت على نفيها بقوله تعالى «لا تدركه الابصار» وقد ثبت ذلك عنها في الاحاديث الصحيحة وينقلون عن ابن عباس رضي الله عنهما القول باثباتها ويرجحه الكثيرون على قول عائشة وعليه فاما ان نفوض معنى هذه الرؤية الى الله تعالى مع القطع بانه تعالى لا تدركه الابصار ولا يرى كما ترى الشخوص والاشباح لانه لا تحصره جهة ولا يحويه مكان فلا هو في السماء ولا على العرش «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» واما أن تأول الرؤية بنوع كامل من العلم والمعرفة خص الله تعالى به نبيه في تلك الليلة ولا فرق حينئذ بين قول بعضهم ان ذلك العلم خلقه الله تعالى في قلب النبي عليه الصلاة والسلام وقول بعضهم انه خلقه في عينيه لان الله تعالى له أن يخلق ما يشاء حيث يشاء وكلهم متفقون على تنزيهه تعالى عن الرؤية المعتادة للناس . ومما يستدلون به في هذا المبحث قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وينقلون عن ابن عباس انه كان يفسر قوله تعالى «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس» بما كان ليلة المعراج فهو اذاً جازم بانها رؤيا منامية وتأويل بعض الناس الرؤيا (المنامية) بالرؤية (اليقظية) بعيد بل ممنوع . واتباع جماهير السلف في المسألة اسلم والله تعالى أعلم

هذا ملخص ما يقال في المسألة ولكننا بلينا بالفوضى العلمية الدينية فكل من اعتم بعمامة يتسنى له تلقين العقائد والخوض في أصول الدين واذا لبس مع ذلك الفرجية وجر ذيله ووسع أردانه وهز سبحته فهو القدوة الذي لا يعارض مع انه افسد في عقائد العوام، وأثار من روا كدالاوهام، وعاث في الاسلام، وهذه الفوضى لم ترزأ بها ملة من الملل فلكل أهل دين رئاسة دينية يرد ويصدر عنها معلمو الدين وناشروه ويرجعون اليها في المشكلات ونحن قد زرئنا من عدة قرون بالتبدد والتفرد في كل شيء حتى كأن كل فرد منا كون تام بنفسه لا علاقة له بالآخر فمن لنا بمن يؤسس لنا جامعة تنضبط بها شؤون هذه الامة دينية ومدنية فايجاد هذه الجامعة ايجاد للامة واحياء لها « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »

السعادة الحقيقية

لحضرة الاصولي الفاضل حموده افندي عبده المحامي

(تابع ما سبق)

السعادة الحقيقية هي راحة القلوب وكمال النفوس فكل ما أدي الى ذلك كان موصلا للسعادة والفضائل هي المعدات الحقيقية لنوال تلك الغاية كما نبينه الآن

قدمنا فيما سبق ان الشرائع الدينية لم تتخير مقاماً أعلى من الحث على الفضائل ولهذا ما تركت فضيلة الا وحضت على الاخذ بها وكلها اتحدت على ان الناس لو عملوا بما جاءت به من الفضائل لنالوا سعادتهم واستكملوا ارتقاءهم

وكان يكفينا في هذا المقام أن نطالب افراد كل أمة بالرجوع الى ما دون في كتبهم الدينية والوقوف عند حدها لان للآيات الدينية عند ذوي العقائد تأثيرا في نفوسهم وسطوة على قلوبهم يعلوان أثر كل تعبير مها أجهد فيه البليغ نفسه الا اننا مع ذلك توفية للموضوع نذكر بعض الفضائل ونبين كيف انها روح السعادة وقوامها ليكون أنموذجا للقارئ يقيس عليه باقي الفضائل . فضيلة الصدق مثلا هي أساس لراحة القلوب وارتفاع النفوس عن كثير من الدنايا والرذائل لان الصدق هو رواية ما يطابق الواقع وهو قوام الجامعة البشرية ورباط الألفة وحفيظ المعاشرة. الانسان مدني بالطبع وهو في حاجة الى كثير من المعاملات ولاجل أن يحفظ علاقته بمن يحوطونه يلزمه أن يكون صادقا في رواياته ومعاملاته. والعلة الأولى في فساد الاسرات (العائلات) هي تطرق الكذب الى معاملاتهم وضياع الصدق من صدورهم وألسنتهم لانه متى ظهر الكذب فيهم جهل كل عضو من أعضاء الاسرة ما ينويه الآخر ورأى من اقبال غيره ما لا يسمع من أقواله بهذا تتنافر القلوب وتحقد الصدور وتتزعزع الرابطة ويجر ذلك الى مفاسد أخرى كالغيبة والنميمة وما شاكل ذلك من الشرور التي تتولد عقب فساد الطباع . ومتى ظهر الكذب في اسرة انتقل الى من يخالطها من الناس وصار كالداء القتال يسري في غيرهم وينتهي الحال بأن تكون روابط الملة التي لا تتكون من الاسرات المتعددة مزعزعة الاركان فاقدة الجامعة ويختل فيها النظام

اذا تأيد الصدق في نفوس أمة سهل حكمها وثبت نظامها وأصبح القضاء فيها ميزانا للعدل وأضحى ظهور الحقائق فيها يسطع كضوء الشمس

وعند ذلك تستريح قلوب الناس من عناء البحث والتنقيب عن كشف غامض أو تبيان خاف ومتى تمكن الصدق من نفوس أمة أصبح زاجرا لهم عن اتيان الموبقات لان فاعل الموبقة اذا ثبت في طبيعته فضيلة الصدق خاف عاقبة الاقدام عليها حيث يصبح مسؤولا ويلزمه طبعه بالاعتراف بما أتاه ويؤاخذ بما جناه

ومن ذلك فضيلة الامانة وهي أعظم الوسائل الموصلة لراحة النفوس فانها اذا انتشرت بين الناس اطمأنت القلوب وحسنت العلاقات وأصبح الناس يتآلفون ويتعاضدون وكم يكون رب الاسرة سعيداً اذا كان أهله وخدمه وحشمه أمناء على عرضه ومصرفه وخدمته وكم يصبح أمير البلاد مشروح الصدر اذا كانت بطانته ورجال دولته أمناء على أعمال الدولة ومهامها . ماذا يكون من حال الدولة اذا بيعت الامانات ونقضت العهود وفسدت القلوب وبدلت بالخيانات؟ هل لها من عاقبة سوى الانحطاط والدمار؟ وهل يغنيها حينئذ وفرة المال أو كثرة الرجال .

انظروا الى حال الخائن وتعاسته وعذاب قلبه وتعب نفسه وعوجوا بالطرف نظرة الى حال الدخلاء الذين خانوا عيش هذه البلاد . أتوا اليها حفاة عراة والجوع يكاد يقضي عليهم ومع ذلك وسعتهم البلاد ورحبت بهم رأفة على حياتهم . وأول هدية قدموها اليها هي سب الامراء والعلماء والكبار . ما الذي نالوه بذلك ؟ هل نالوا بذلك غير سخط الله والناس وهل بقي لهم ذرة من الشرف ؟ لو كانت أرواحهم التي تشغل أجسادهم أرواحاً بشرية أما كانت فارقتها من مدد وأزمان . هل لهؤلاء حياة

حقيقية بين الناس؟ كلا انهم أموات وستفني الارض أشباحهم ويحيق بهم العذاب الأليم ،

ومن ذلك فضيلة الالفة واتحاد الكلمة. اذا تنافرت القلوب وتفرقت الكلمة وضاعت الالفة بين أفراد الاسرة ماذا يكون الحال؟ الا يصبحون أفراداً بعد جامعتهم وأذلاء بعد عزتهم وضعفاء بعد قوتهم

ما ذا يكون الحال اذا فقدت الشجاعة من صدور الرجال ، وسكن فيها الجبن القتال؛ هل تبقى راحة في القلوب وهل تبقى أمانة على الحياة؟ كم يركب الناس من أهوال الذل ويحوطهم من الويل ويستهويهم من المصائب؟

ماذا يكون من عاقبة الحسد اذا انتشر بين الناس؟ كم يصبح الناس في شقاء من شر الحساد؛ وكم تزعزع روابط وتنحل ثقات، هل يبقى للحاسد دين ، هل له قلب ، كم يكسبه الحسد من الرذائل، ويغريه على اتيان القبائح؟ كم تهينه نفسه ويلعنه ضميره والله يبغضه ؟

فعلى الامة التي تبغي أن يعلو لها شأن أو يرقى لها حال أن تعتني ببث الفضائل في جميع الطبقات من افرادها لانها اذا فقدت الفضائل من نفوس أهلها تصبح آلة لفساد طباعهم وتمكنهم من استتباع شهواتهم وبالفضائل ترتفع الامة وان كانت فاقدة المال وبلادنا ولله الحمد بلاد الثروة لا يعوزها غير التربية ولا يحجبها عن الارتقاء الافقد التربية فعلى كل أسرة ان تعتني بتهذيب افرادها وتثقيف أذهانهم بالفضائل الدينية أولا وبالعلوم الحديثة ثانيا حتى يكون لنا الامل الوطيد في الوصول الى السعادة الحقيقية ان شاء الله تعالى

هذا مجمل الكلام على بعض الفضائل ليتخذها القارىء منوالا له والا لو استرسالنا في الكلام على كل فضيلة مع بيان فوائدها في الحياة بالتفصيل لادي بنا ذلك الى التطويل الموجب للملل والسآمة ونعوذ بالله من الغواية ونطلب منه الهداية اه

الشعر العصري

﴿ من القصيدة السابقة ﴾

فتم رجال الشرق قوما ومعشرا ... الى جدهم أصل المعاني قد انتمى
جروا في رهان الفضل في أول المدى ... سباقا كما اجريت اجرد شيظما (١)
ولم يرهبوا من دونها في جهادهم ... خطارا فقد خالوا التوقي تقحما (٢)
فهم أسسوا ركن الحضارة في الورى ... ولم يفعلوا الا لندرك مغنما
وهم أكنهو سر المعارف أولا ... وهم عرفوا. نعم العلوم مقدما (٣)
فلما أحل الله فيهم قضاءه ... ووافاهم داعي الردي متخرّما (٤)
طوتهم أيادي البين من بعد أن رموا ... من الهمة الشماء أبعد مرتمى
فغار ضياء الشرق عند غيارهم ... واظلم وجه الشرق وقتا وأقتما (٥)
ودالت الى الغرب العلوم مع العلى ... كما حكم المبدي المعيد وأبرما

---

(١) المدى هنا بمعنى المسافه والاجرد السباق من الخيل والشيظم العظيم الفتى منها (٢) الخطار جمع خطر وهو الشرف والاشراف على الهلاك ومنه الخطر للسبق يراهن عليه والخطار مصدر خاطر اذا أشفى على الهلاك لنيل ملك أو شرف وبمعنى راهن «٣» أكنهوا الشيء وصلوا الى كنهه وحقيقته وبلغوا غايته «٤» متخرما مستأصلا «٥» أغار بمعنى غاب وأقتم اسود

وأوجف ركب السعي في طلب العلى فكان بذا الجري الجواد المصمما[1]
فهاذه صرف الزمان مسالما ونوله الخير الأتم المعمما
وباتت بلاد الشرق من بعد عزها كأن لم تنل مجدا ولم تحو مقرما[2]
الى أن تجلى طالع العصر بعد أن تحجب عن تلك الجوانب واكتمى[3]
فثابت الى اشراقه الهمم التي عن العلم قبلا قد تقاعسن نوما

ومنها

الا يابني الاوطان ان عليكم الى السعي في تلك المعالي التقدما
عليكم بها فاسموا لها وتشبهوا فمن يتشبه بالكرام تكرما
ومن قصرت أيديه فليسع طوقه ومن لم يجد ماء بأرض تيمما
وقد نكتفي بالطل ان بان وابل ونحجو اعورار العين خيرا من العمى
اما نحن من سنوا المآثر واقتنى مآثرنا من بعدنا حاز مستمى
ألم نعل أعلام العلوم بقطرنا على حين حد السيف يرعف بالدما
ألم نك أهل الاولية في العلى ليالي لا نثني عن المجد معزما
بلى نحن كنا أهلها فازالنا زمان توخى حيفنا وتحكما
وما زال أهل الغرب يدرون قدرنا من الفضل ما أبدوا مدى الدهر معجما
متى يذكر الافضال فيهم خطيبهم على منبر صلى علينا وسلما
فلا تحسبونا قد عرينا وطالما جررنا من الفضل الرداء المرقما
وهم أثروا عنا العلوم فهذبوا فخروا علينا مطرف المجد معلما

«١» أوجف أسرع . والمصمم من صمم في السير اذا مشي على رأيه فيه «٢» المقرم بضم الميم وفتح الراء السيد العظيم وأصله البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ومثله القرم بالفتح «٣» اكتمى استخفى

تباروا بعلم بينهم وتنافسوا ولا جرم ان العلم سر فأشكما [1]

وقد باءوا من باذخ العز منزلا يظل لسان الحال عنه مترجما

اذا نظر الشرقي حال صلاحهم بكي صاحبي منها دما سال عندما

فياوطني حتام تلبث غافلا وحتام ياشرقي أراك مهوّما [2]

ألم تدر بالغربيّ في الارض سائحا على سابح من علمه لبس ملجما

فلله در العلم ان جداءه لما يفوق العارض المتسجما

لكم نال من فخر وأيد صاغروا وكم عال من فقر وقلد معدما [3]

وكم حل من عِيّ واطلق حبسة وكم فل من غي وانطق أبكما

ومنها

فذو العلم يلقى العز حينا ومفردا وذو العلم يلقي العز دهرا وتوأما

ومن نال أخطار اليراع فانما ستقرن كفاه يراعا وصيلما [4]

فسعداً لمن في حلبة العلم قد جرى وسحقا لمن في حلبة العلم أحجما

ومنها

لئن تبذلوا فيه النفيس فغيركم لاحرازه هلك النفوس تجشما

وماغيركم والله لا اصولكم نخبر عنهم لا حديثا مرجما

وقوم هدوا في الحق هدي جدودكم الى أن غدوا الاعلون في الامر مثلما

اولئك قد سادوا واقصى نكاية لنا فيهم ألقاب علج واعجما

---

(١) أشكمه جازاه (٢) المهوم والمتهوم الذي يهز رأسه من النعاس (٣) عال أعلى (٤) الاخطار جمع خطر بالتحريك وهو الشرف والرتبة ومكانة الرجل والصيلم هنا السيف ومن معانيه الداهية والامر الشديد والمعنى أن شرف العلم يوصل الى شرف السيف ويعني آخر أن شرف العلم هو الذي يأتي بشرف القوة

بعلم اذا مابات فيهم متوجا فياطالما قد كان فينا معمما
فإما لعمري قدوة بمعاصر واما تراث للذي صار اعظما
ولا نحسب الاحوال وهي عوارض تغير في أصل المبادي فنسأما

ومنها

وان الفتى من زان مسقط رأسه بما ناله من حكمة وتعلما
فذاك الذي في بردة الفضل ينثني وليس الفتى من بالعقيق تختما
فان ينتظم شمل الرجال بقطرنا ترتب فيه أمرنا وتنظما
لان نجاح الصقع في حسن أهله اذا كان امر الود في القوم محكما
فكونوا كجسم واحد ان تألمت له عضلة تلق الجسيم تألما
تفوزوا بتذليل الصعاب اذا عصت وتقووا على ذا الدهر إما تهضما
وتحظوا باعلاق المنى وتحققوا بهمتكم من عصرنا ما توسما
هو العصر وافى ضاحكا عن فنونه وقد كان من قبل عليكم تأجما

وختامها

كفى عصرنا فخرا وعزا اذا دعى أمير الورى عبد الحميد المعظما
ليجهد في استرجاع رونق شرقنا وتجديد ما من مجده قد تهدما
فلا زال في عصر الخلافة قائما لما آد من أمر العباد مقوما
ينث عليه الخافقان بعدله ثناء جميلا بالدعاء مختما

﴿ تاريخ دول العرب والاسلام ﴾

مؤلف هذا الكتاب هو الاديب الفاضل محمد طلعت أفندي حرب من موظفي الدائرة السنية وأحد أعضاء الجمعية الجغرافية الخديوية وقد

تم الجزء الاول منه وطبع في المطبعة الاميرية في مصر وهو يشتمل على تمهيد وبابين أما التمهيد ففي حدود بلاد العرب الاصلية ومواطن العرب وحاصلات بلادهم ومساحة جزيرة العرب وعدد سكانها وتشوف الافرنج اليها وذكر أشهر سياحيهم الذين دخلوها وأما البابان فأحدهما فيما كان عليه العرب قبل الاسلام وفيه أربعة فصول وثانيهما في العرب بعد الاسلام وفيه فصلان وقد اقتبس المؤلف في هذا الباب جملة صالحة من « رسالة التوحيد » التي ليس لها في شرح حقيقة الاسلام نظير والكتاب مفيد في بابه على اختصاره وهو مطبوع على ورق نظيف وثمنه اثني عشر قرشا أميريا . ويطلب من مكتبة الترقي في القاهرة فنحث على مطالعته كل ناطق بالضاد .

وانا نورد هذه النبذة المفيدة نموذجاً منه وهي تشوّف الافرنج الى بلاد العرب وذكر أشهر سياحيهم الذين دخلوها لا سيما بلاد الحجاز

« من تصفح كتب الغربيين علم انهم متطلعون من زمن غير قريب لمعرفة تلك البلاد طامعون فيها متشوفون للوقوف على حقيقة أحوالها حيث لم يشف غلتهم ما ذكره عن بعضها جماعة من مؤرخي اليونان والروم الاقدمين مما لا يخلو من النقص في مواضع والحشو والرجم بالغيب في غيرها ولا يخفى على القارئ اللبيب دواعي هذه الاطماع فلكل دين طباع وعوائد وتجارة وصوالح يتمنى ان تسود على ماسواها وان يتلاشى ماعداها

« وكان معظم اهتمام الفرنج باكتشاف تلك البلاد في القرن الماضي وجاء في كتاب الجغرافي الفرنساوي لانيه عن كلامه على بلاد العرب ان أول من باشر البحث عن هذه البلاد من الاوربيين هو الالماني نيوبهر

المشهور رئيس الارسالية الدانيمركية (سنة ١٧٦٢) وكان رحلته لبلاد اليمن لاكتشافات علمية على مايؤ كدون وبعد ذلك بنحو نصف قرن توصل الاسباني باديا بواسطة تغيير زيه واسمه ملقبا نفسه (علي بك العباسي) الى مدينة مكة المكرمة وكان أتى مصرأولا وتظاهربالاسلام ومنهاذهب لبلاد العرب بالصفة السابقة في سنة ١٨٠٧ بعد ان تحصل في حلب على أوراق رسمية تثبت نسبته الى الاشراف [1] وفي سنة ١٨٠٩ تمكن الفرنساوي روش وكان مترجما مقربا عند الامير عبد القادر الجزائري من الدخول بصفة وزي عربي الى مكة المكرمة حيث حظي بلقيا وحفاوة شريفها سيدي محمد بن عون وأعلمه انه وافد من قبل الامير ليحصل على التصديق من علماء العرب على فتوى أفتاها علماء مصر والقيروان [2] وسافر من مكة للطائف ولدى عودته لمكة حضر جمع الحج الشريف ولكن دل عليه بعض الحجاج الجزائريين فكشفوا خبره وفضحوا أمره وقبضوا عليه وساقوه الى السجن والناس حوله تحاول الفتك به فسلمه شريف مكة كتاب أمان وبعض نقود يستعين بها على سفره وأشخصه الى جدة .وفي سنة ١٨١٠ ذهب الالماني شيتزن لبلاد اليمن وقتل هناك وفي سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ احتال السائح السويسري بورك هارد حتى دخل مكة والمدينة ورجع مستمدا ببعض معلومات عن حالة البلاد الجغرافية وعن أهاليها وتظاهر

---

(١) «المنار» انظر الى أين وصل شرف نسب الانسان حين صار يثبت بالاوراق الرسمية التي قلبت الاوضاع وصيرت الباطل حقا والكذب صدقا

«٢» تقدم ذكر هذا الرجل وهذه الفتوى في مقالات «سلطة مشيخة الطرق الروحية» من المنار

في آخر أمره بالاسلام وعليه مات وقبره بمصر واسمه عليه هكذا :
عبدالله بوركهارد ومشهور عند العامة باسم الشيخ بركات. ثم حمل المصريون
في هذا الوقت على الوهابيين فسهلوا بعض التسهيل دخول الاجانب بلاد
العرب فتمكن بعض الفرنساويين من وصف مكة والمدينة المشرفتين
وضواحيهما وأول من اجتاز الطريق من الخليج الفارسي للبحر الاحمر كما
ورد بكتاب لانيه المذكور هو الضابط الانكليزي سادليه بأمر من حكومة
الهند . والالماني رابيل عبر بلاد الحجاز في سنة ١٨٢٦ والجهات المجاورة لخليج
العقبة وفي هذا الوقت بينما كان بعض الضباط البحريين من الانكليز
مكلفين من قبل حكومتهم بعمل خريطات لسواحل البحر الاحمر تطوف
أحدهم وهو الملازم ويلشتيد وذهب الى عمان في سنة ١٨٢٨ وفي سنتي
١٨٣٧ و ١٨٤٢ قام الطبيعي بوتا والملازم باسانا بما قام من قبل بنوبهر الالماني
ونجحا بعض النجاح في اكتشافاتهما العلمية وفي سنة ١٨٤٣ زار العالمان
ارنولد وفولحانس فريسنل شواطيء بلاد العرب الغربية والقبلية فزار
أولهما مدينة سبأ وآثار مأرب ونقل صور كتابات كثيرة حميرية وفي هذا
الوقت اجترأ العالم الالماني البارون وريد على التوغل حتى بلاد حضرموت
التي لم يسبقه ولم يلحقه اليها أحد من الاجانب كما قال لانيه السابق ذكره
وفي سنة ١٨٤٥ دخل العالم الفنلاندي أوجستون والين في الجوف وجبل
شمر بزي مسلم واجتاز بلاد العرب من الغرب للشرق وفي سنة ١٨٥٣ رافق
الحج المسيو ريشار برتون بزي مسلم أيضا ووصل الى مكة والمدينة المكرمتين
وفي سنة ١٨٦٢ و ١٨٦٣ تمكن ويليام بلجراف الانكليزي من زيارة
بلاد العرب من جهة الشام وشواطيء عمان وملخص ترجمته وقصته على

ما جاء في الكتاب السالف الذكر هو انه ولد بوستمنستر من أعمال انكلترا سنة ١٨٢٢ وكان أبوه متشرعا ومؤرخا انكليزيا شهيرا وتخرج بمدرسة أوكسفورد ثم خدم في الجيش الهندي وأقام بعدها عدة سنين في الشام تلم في أثنائها العربية وتعرف ببعض الآباء اليسوعيين بها ثم حدثته نفسه بالرحيل لبلاد العرب وساعده هؤلاء الآباء على انماء هذه الفكرة وحصلوا على تعضيد نابليون الثالث أمبراطور فرنسا وقتئذ له وصبغوا رحلته بصبغة دينية سياسية سرية نفقاتها دفعت من جيب الامبراطور المذكور فسافر بلجراف مؤملا الوصول لتحريك الدم العربي الراكد حسب زعمه وتمدين بلاد العرب بواسطة تسهيله طرق اختلاطهم بالغربيين ومضمرا انتهاز فرصة الشقاق الذي كان بين أهالي نجد لإحداث ثورة دينية سياسية علة يستفيد منها أن يستبدل دينهم بالدين المسيحي كما ثبت في مخيلته فتزيى بزي أحد أغنياء العرب وادعى أنه حكيم واستصحب معه بعض أهل البادية يحرسونه ومسيحيا شاميا جعله تلميذا له وكان يحمل معه على ظهر ركائبه بعض أدوية وعقاقير تدل على صنعة الطب التي انتحلها لنفسه ولما وصل الى نجد أقام مدة بالرياض عاصمة الوهابيين وكان يحكم عليها وقتئذ الامير فيصل وقد كاد هذا المخاطر بنفسه أن يلقى منيتـه هنالك من يد ابن هذا الأمير الذي توجس منه خيفة وقد افتضح بعض أمره لو لا تخلصه بالفرار فاجتاز النفود الشرقية وأقام بالهفوف من أعمال الاحساء وزار القطيف وجزائر البحرين وتوجه لعمان ماراً على هرمز ومسقط ثم قفل راجعا الى الشام مارا بالبصرة والموصل وماردين وديار بكر

وفي سنة ١٨٦٤ رسم الايطالي كارلوجوارماني قطعة من بلاد العرب على حدود الشام ثم ان الالماني وتيزتيد قنصل بروسيا بدمشق اذ ذاك وضع كتابا في جغرافية بلاد العرب حسب ما التقطه من أفواه بعض الحجاج ورؤساء القوافل التجارية

وفي سنتي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ساح الالماني مالتزان والسوسيري مونزنجر والفرنساوي هالفي منفردين بالجهة القبلية الغربية من جزيرة العرب وحصلوا كما يقولون على بعض معلومات مهمة

وفي سنة ١٨٧٩ اجتاز الانكليزي بلونت وامرأته بلاد الاردن ومنها الى الفرات ثم وصل الى حائل من بلاد نجد . وفي سنة ١٨٨١ اجتاز هو برا صحاري بلاد العرب البحرية والغربية

وفي سنة ١٨٨٢ جعل الفلكي النمساوي جلازير بلاد اليمن موضع أبحاثه

هذا ولا زلنا نسمع كل يوم بالجرائد وغيرها أن بعضا من الفرنج قد بارح بلاده قاصدًا السياحة والتروح ببلاد العرب والله أعلم بما يضمرون وما يلاقون هنا وما يكتشفون وكذلك قرأنا أن بعض من الدول يحاول من سنوات الاستيلاء على شواطئ الخليج الفارسي طمعا في أهمية مركزها وفي وفرة خيراتها ولنترك للمستقبل كشف الستار عن هذه الاطماع ونتيجة تلك الغايات اهـ

(احياء سنة او سنن واماتة بدع)

لقد كانت حياة الفاضلة منجلة الفضلاء والدة أصحاب العزة سعد بك واحمد فتحي بك زغلول خيرًا لما كانت تأتيه من أعمال البر والاحسان وكان في مماتها خير لما أمات من البدع وأحيا من السنن

من كان يخطر على باله ان العادات السيئة التي أضرت بالدين والدنيا تحكم على العلماء وأهل الهداية والارشاد فلا يحاولون التفصي من عقلها والانطلاق من قيودها ، ثم تكسر مقاطرها « جمع مقطرة خشبة فيها ثقوب توضع فيها أرجل المحبوسين وقد فسرت قبلا » بأيدي علماء القانون وقضاة المحاكم الاهلية النظامية الذين يتوهم المعتزلون عن العالم في خلواتهم ومساجدهم انهم لا يبالون بخدمة الدين والانتصار لأصوله الشريفة والتدقيق في أحكامه والعمل على احياء سننه وآدابه الكافلة لسعادة الامم !

يقضي الميت في بيوت رجال الدين فتنشر الشعور وتدق الصدور وتلطم الخدود وتشق الجيوب وتسود الوجوه والملابس وتقلب أوضاع المساكن وتصيح الصائحات وتعدد النائحات وتسير الجنازة والنار توقد أمامها ودخان البخور يتصاعد من المجامر الفضية « اذا كان الميت غنيا » أو غير الفضية ويعلو الضجيج من فرق أهل الطريق فمنهم من يقرأ الاوراد ومنهم من ينشد الاشعار كالبردة والمنبهجة فتختلط أصواتهم بأصوات النساء الصارخات الخ ماهو مشاهد لجماهير القراء ثم تعقد محافل المأتم

ويكون فيها من الاسراف والتبذير والعادات السيئة المستثقلة التي ينكرها الشرع وينبذها العقل ويتبرم منها كل ذي علم وفضل ودين وأدب ولكنهم يقولون العادات محكمة لا مرد لقضائها

ربما تراءى لكثير من الفضلاء ان يتفلتوا من أسر هذه العادات ولكن يصدهم عن ذلك خوف اللائمة من المقيدين بتلك السلاسل ورميهم بالبخل والفرار من النفقات . ولكن للحق رجالا لا تأخذهم فيه لومة لائم يؤيد الله تعالى بهم الفضائل ويحيي السنن الدوارس

مرضت الفاضلة التي ذكرناها في صدر هذه النبذة في بلدها خارج القاهرة فلما اشتدت عليها وطأة المرض وأحست بدنو الاجل طلبت الانتقال الى العاصمة لتموت فيها هربا من العادات الجاهلية التي يجري الناس عليها في المأتم ولا مناص منها في الارياف وكأنها واثقة بحسن تربية نجليها وقوة عزيمتهما في مقاومة العادات القبيحة مع مظهرهما العظيم وكذلك كان . فقد أبطلا في تجهيزها وجنازتها بدعة النواح وما يلتحق به مما أشرنا اليه آنفا وبدعة حمل النار والتبخير أمام الجنازة التي سرت الى المسلمين من أهل الملل الاخرى وبدعة رفع الاصوات في الاوراد والاشعار التي مر ذكرها وبدعة الاحتفالات ليالي الجمع الى أربعين يوما وأعلنا انهما يقبلان التعزية ثلاث ليال فقط اتباعا للسنة الشريفة . وقدرا ما ينفق عادة في الاحتفالات المعتاد أمثالها من الذوات أصحاب المظاهر وقررا اعطاءه للجمعية الخيرية الاسلامية لتوزعه على الفقراء فسنا بذلك سنة حسنة تسهل السبيل على من يريد ترك الاحتفالات التي يسمونها « المياتم » ويخشى اللائمة والرمي بالبخل . ومعلوم ان جنازة هذه الفاضلة قد حضرها خواص المصريين من جميع الطبقات العلماء والامراء والحكام والتجار كما فصلت ذلك الجرائد اليومية فعسى أن يجري الجميع بعد هذا على اماتة البدعة واحياء السنة واصلاح العادات الفاسدة المضرة بالدين والمال فقدروا أن ما كان يحذر من الذم والقدح على ترك هذه العادات قد استبدل به الثناء والمدح فما من عاقل الا وهو يلهج الآن بالثناء على سعد بك وفتحي بك الفاضلين وأجدر بشيوخ العلم والطريق ان يكونوا من السابقين الى ما ذكر على الوجه الاكمل والله ولي المتقين

الاصلاح الديني (*

﴿ المقترح على مقام الخلافة الاسلامية ﴾

تكلمنا في العدد الماضي على أهم أركان الاصلاح الاسلامي وهو التوحيد في العقائد والتعاليم الأدبية والاحكام القضائية والمدنية واللغة وقلنا إن هذا الاصلاح يتوقف على تأليف جمعية إسلامية على الوجه الذي ذكرناه وانما التوقف بالنسبة لكمال الاصلاح وسرعة انجازه وتعميمه حتى في الاحكام وفي جميع الشعوب الاسلامية كما هو ظاهر لا بالنسبة لأصل الاصلاح وان كان بطيء السير وغير شامل لجميع الفروع وقد وعدنا بان نذكر بعد التواحيد الثلاثة أهم ما يناط بالجمعية وشعبها من الاعمال (وهي ثلاثة) وأهم نتائجها وانجازا للموعد نقول

العمل الاول تلافي البدع والتعاليم الفاسدة قبل انتشارها

لو تنبه الخلفاء لهذا العمل من القرون الأولى وهو أهم وظائف الخلافة لما انتشرت التعاليم الباطلة التي زعزعت العقائد وأفسدت الآداب ولبست المسلمين شيما وأذاقت بعضهم بأس بعض ولا تزال هذه التعاليم تنجم كقرون المعز فتزيد الامة تفريقاً فان المذاهب التي حدثت في هذا القرن من فروع الباطنية قد انتشرت بسرعة غريبة استلفتت أنظار الامم المتيقظة وان عمي عنها الذين لا يبصرون ، وصم عنها الذين هم عن السمع معزولون ، لاعتقادهم ان التربية والتعليم لا يفيدان وانه لا يؤثر في الامة إلا الملوك والحكام . وان تعاليم أخرى باطلة تنتشر بين المسلمين آنا بعد آن منها ما يزعزع العقائد ومنها ما يفسد الآداب ويجرئ على استباحة المحظورات وتتلقاها العامة — وأكثر الناس عامة لا علم لهم بالدين — بالقبول ويكون لها أقبح الاثر في أعمالهم وأخلاقهم

*) فاتحة العدد ٤ الذي صدر في ١٠ شعبان سنة ١٣١٦ — ٢٤ دسمبر سنة ١٨٩٨

أذكر منها الآن شيئاً واحداً اطلعني عليه من عهد قريب بعض الاخوان المتنبهين وهو دعاء طبعه « عبد اللطيف القباج » المقيم في مصر ووزعه مجاناً ليعم نشره وسماه « دعاء سيدي عبد الله ابن سلطان » صدره واضعه بحديث مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ملخصه ان رجلا من الصحابة اسمه محمد بن سلطان « كان يفعل القبيح ويشرب الخمور ويداوم على الفسوق والفجور وكان لا يصلي ولا يصوم ولا يتصدق ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر » إلا أنه كان يقرأ استغفاراً في أول شهر رجب فلما حضرته الوفاة نزل جبريل على النبي يبلغه أمر الله بحضور وفاته وتجهيزه ففعل ووجد الملائكة والحور العين قد اجتمعوا صفوفاً لا يحصي عددهم إلا الله يحضرون جنازته . . . . ولما وقف النبي عليه السلام على سبب ذلك من زوجته وانه الاستغفار الذي ذكر آنفاً أمر علياً كرم الله وجهه بكتابته وقال « من قرأ هذا الاستغفار أو جعله في داره أو متاعه أو حمله معه في سفره جعل الله له ثواب ثمانين ألف ملك وثواب ثمانين ألف صديق وثمانين ألف شهيد وثمانين ألف كذا وكذا . . . ومن قرأ هذا الاستغفار في عمره مرة واحدة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وليس عليه حساب ولا عقاب وبني له ألف قصر في الجنة في كل قصر ثمانون ألف حجرة في كل حجرة ثمانون ألف سرير على كل سرير حورية من الحور العين وشجرة تظللها وفيها ثمانين ألف ورقة كل ورقة مثل الدنيا ومن قرأ هذا الاستغفار في عمره مرة واحدة فان الله تعالى يعطيه ثواب أهل مكة والمدينة وبيت المقدس وان مات أمر الله سبعين ألف ملك يشيعون جنازته . . . . . واذا قام من قبره يوم القيامة يضيء وجهه مثل القمر فيقول الخلائق هذا نبي مرسل أو ملك مقرب فيقول جبريل لا ورب الكعبة لا نبي ولا ملك بل هو عبد من بني آدم أكرمه الله بقراءة هذا الاستغفار ثم يأتي الجنة فيدخلها بغير حساب ولا عقاب » ثم يذكر له فوائد دنيوية ويختم الكلام بقوله « ومن شك في ذلك فقد كفر » يعني من شك في هذا الحديث الموضوع لهدم الدين وإبطاله بالمرة واباحة جميع المحرمات فهو كافر وبعبارة أخرى من شك في الكفر الحقيقي وهو ماذكرناه من فوائد الاستغفار فهو كافر في عرفه واصطلاحه (نعوذ بالله)

ما الذي أثار هذه الاوصاف في ذهن واضع هذه الفرية وما الذي أغواه حتى وضع هذه الاضلولة ؟ آثارها في خاطره موضوعات أخرى من قبيلها تلقى بعضها من الدفاتر و بعضها من خطباء المنابر وأقربها إلي فتنته ما يسمونه « دعاء عكاشة » وهو مطبوع تتداوله الأيدي وتقرأه الألسن ويتخذه الناس عوذة « حجاباً » للحفظ من الشياطين ومن الامراض وهو أكذوبة موضوعة كذبها على النبي عليه السلام بعض الدجالين المضلين كواضع هذا الاستغفار

وأخف من ذلك في الاضلال والاغواء ومثله في الكذب على سيد الانبياء ما نسمعه من خطباء الجهل والفتنة من الغلو في مدح الشهور وبيان فضائلها ومنها أحاديث كثيرة في صوم رجب ومنها الحديث المشهور عند الخطباء في فضل رمضان وهو « إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه أعتق بقدر ما مضى » و يروى بغير هذه الالفاظ وهو موضوع لا أصل له

ومما يحسن التنبيه عليه هنا كيلا يغتر به الجهلاء ان جريدة طرابلس التي تدعي خدمة الدين قد أولت هذا الحديث بما حسب صاحبها انه يقربه من الافهام « وما هدم الاديان إلا تأويل الأباطيل » لانه مع كذب روايته بعيد عن التعقل وفي تأويله غش للعامة بتصديقه والاغترار بوعده الذي يستلزم عتق جميع أفراد الامة من النار وعدم مؤاخذة أحد منهم بذنب فيما يتبادر إلى الاذهان ونعوذ بالله من الخذلان « وسنوفي هذه المسائل حقها من البحث في مواضعها ان أمهل الزمان ووفق الرحمن »

تراقب الجمعية بواسطة أفراد شعبها جميع المطبوعات كما تراقب دعاة الفتنة وكلما وقفت على شيء من البدع والأباطيل تنبه عليه في جرائدها وتوعز الى الخطباء والمدرسين بالتنبيه عليه والتحذير منه و بذلك يقف تسياره و يمتنع انتشاره

العمل الثاني اصلاح الخطابة

الخطابة ركن من أركان العبادة في الديانة الاسلامية . ومن وقف على ما لها من الأثر الحميد في الأمم المتمدنة وما لها من الشأن في جمع كلمتهم وتأليف قلوبهم

وتنشيطهم الى العمل في إسعاد أمتهم ووطنهم فقد سرجعلها من أركان العبادة المشروط فيها الاجتماع . وقد مات روح الخطابة في المسلمين وصار هذا الركن وسما ماثلا بل يكاد يكون دارسا بل صارت الخطابة وظيفة يقصد بها التعيش فتناط بالجهال وتنال بالوراثة مع أنها وظيفة الامام الاعظم أو نائبه وانما كانت كذلك لأن من شأن هؤلاء أن يكونوا عارفين بمصالح الامة واقفين على سائر شؤونها وأصحاب الكلمة المسموعة والسلطة النافذة فيها . ولا سعة في هذا المقام لتوفية هذا الموضوع حقه فنؤجله لفرصة أخرى ونكتفي بالاشارة الى عمل الجمعية فيه وهو أمران أولهما تأليف خطب في مصالح الامة تطبع وتوزع على الخطباء الذين لا يحسنون الخطابة بأنفسهم وهم الأكثرون ويأمر الخليفة بأن يخطب بها دون سواها الى أن يوجد خطباء حقيقيون والاولى أن تجدد هذه الخطب كل عام . والثاني تعيين الطريق لتحصيل ملكة الخطابة ليسلكه كل مرشح لها فيكون خطيبا مصقعا طبعا لا تكلفا ولا يوجه الامام هذا المنصب على أحد الا بعد اختياره من شعبة الجمعية التي في بلاده بأن تقترح عليه أن يخطب في مواضيع مختلفة على البداهة والشهادة له بالاجادة

العمل الثالث الدعوة الى الدين

نعني بالدعوة الى الاسلام مايشمل الدعوة الى أصل الدين والدعوة الى فضائله وآدابه وأعماله التي تودي الى سعادة الدارين ويدخل في هذا النهي عن المنكرات والفواحش . وان فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم دعائم الديانة الاسلامية وسنفرد لها مقالات خاصة إن شاء الله تعالى

من قرأ التاريخ الحديث علم أن المسلمين الضاربين في أحشاء افريقية ويعدون بعشرات الملايين ما تناولوا الدين الاسلامي بدعوة من العلماء والخطباء ولا اعتنقوه بإلزام من الملوك والامراء وانما دخل بلادهم بعض التجار والمحترفين من نحو مزين وحجام فرأوا منهم ثيابا وأبدانا نظيفة ، ونفوسا عفيفة ، وسجايا شريفة، واعتقادات معقولة ، وفعالا جميلة ، فقلدوهم مختارين ، ودخلوا في دينهم طائعين ،

من وقف على هذا وعلى الاسباب الصحيحة لانتشار الدين الاسلامي في كل قطر وكل عصر من العصور تجلى له أن هذا الدين لو وجد له دعاة كدعاة الاديان الأخرى لما بقي للوثنية هيكل يقصد، ولاصنم يعبد، ولظل الناس يدخلون فيه أفواجا من جميع الملل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . ولكن أهله لم يكتفوا بعدم الدعوة اليه بل أوقفوا سيره باقوالهم وأعمالهم المخالفة لهديه . فاذا وفق الله المسلمين للاستعداد للدعوة كما تستعد الدعاة من الملل الأخرى وطافوا بلاد الله مبشرين ومنذرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أمرهم الكتاب العزيز — رأيت للاسلام شأنا عظيما وانتشارا عميما . ان وجود الجمعية التي نتكلم عنها يكون عونا عظيما للوصول الى هذه الرغيبة ولكن لا يتوقف عليها الا في كماله

اهم نتائج أعمال الجمعية

اذا تحققت الآمال، ونجحت هذه الاعمال، فلا ريب ان الحكومات الاسلامية يتقرب بعضها من بعض وتظهر فيهم الاخوة الاسلامية ويتحدون على صد هجمات أوربا عنهم وايقاف مطامعها عند حدود معينة ولا يمنع اختلاف المذاهب من ذلك بعد ما قررناه ولا يصعب على السلطان الاعظم أن يأذن للشيعة باقامة أمامهم في مكة المكرمة اذا توقف الاتحاد والالتئام على ذلك .ولقد كان للعثمانيين في ذلك من الاباء المنبعث عن تعصب بعض شيوخ الاسلام وجهله بسياسة الملة ما رمى هاتين الدولتين الاسلاميتين «العثمانية والايرانية» بالانفصام والافتراق، بعد وشك الاعتصام والالتصاق، أما حرص كل ملك وأمير على كمال الاستقلال في بلاده وامتناعه من الاعتراف للآخر بالرئاسة الدينية فهو من عقبات الاصلاح المطلوب ولكن الشعور العام بالخطر الذي يتهدد الجميع بالافتراق مع الأمن من مس الاستقلال الاداري والسياسي يسهل على الجميع اسناد الرياسة الدينية لارفعهم مكانة وأعلاهم منزلة واقواهم دولة . وغاية هذا الاتحادأن تكون هذه الدول كالدول المتحالفة بالنسبة للامور الخارجية وكالولايات المتحدة في الاصلاحات الداخلية كالتربية

والتعيم و وحدة الاحكام والآداب واللغة ولو لم يتم ذلك الا في زمن طويل وان لايكون لاحدمنهم سيطرة في ملك الآخر أو امارته بل تسير كل مملكة وكل امارة في إدارة بلادها بارشاد مجلس الشورى الذي ينتخبون أعضاءه من عقلاء بلادهم ·

هذه اشارات مجملة في هذا المقام سنحت للخاطر ومتى وفق الله للعمل تنحل بأيدي القائمين به عقد كل إشكال ، وصحة القصد تهدي كل ذي ضلال ،

لا سلامة للجمعية الكبرى الا بسلامة البلاد الحجازية واغنائها عن الاجانب فيما تتوقف عليه حياة أهلها وقد قلنا في مقالة سابقة ان معظم قوت تلك البلاد يجلب اليها من مواني البحر الاحمر فاذا تسنى لمثل انكلترا الاستبداد فيه وحصر موانيه فان أهل الحجاز يموتون جوعا · فيجب على الدولة العلية على كل حال «وإن ذكرناه بمناسبة الجمعية التي اقترحناها» العناية الكبرى في عمارة تلك البلاد أولا بانشاء طريق حديدي من دمشق الشام الى مكة والمدينة والطائف وثانيا بتسهيل السبل لإحياء مافيها من الاراضي الموات الصالحة للزراعة والانتفاع بالينابيع التي تفور في مكان وتغور في آخر ولا ينتفع فيها بري الارض وغرسها

هذه هي خدمة الحرمين الشريفين لاتوزيع الصدقات على طوائف وقبائل مخصوصة فان قامت بها الخلافة الاسلامية والدولة العلية فان الاسلام يشكرها على ذلك بلسان كل آخذ به والا فان ركنا من أركان الدين على خطر الوقوع تحت سلطة الاجانب أو محوه و إعدامه بالمرة (لاقدر الله تعالى) ونسأل الله تعالى وهو أكرم مسئول ان يؤيد خليفتنا ومليكنا و يوفق أمتنا الى كل مافيه خير للملة وسعادة لأبنائها وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

«وردت الرسالة الآتية لجريدة المؤيد الغراء فأوردناها بحروفها وذيلناها بما عندنا من الجواب على السؤال الذي بنيت عليه» وهي

الغرب الاقصى

﴿ هل يمكن استرجاع مجد الشرق بقوة الاسلام ﴾

طنجه (مراكش) في ٦ دسمبر لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

مسئلة نلقيها على أصحاب النهى والاقلام، نعرضها على أرباب السيادة والاحكام، نكشفها لافراد الأمة كبيرها وصغيرها، رفيعها ووضيعها، عاقلها وجاهلها

مسئلة حان الخوض في عبابها، وآن الزمان لكشف نقابها، والبحث عن أسبابها، فقد طفحت الكاس، وشمت الناس، و بلغت الروح الحناجر

ألا ترى الى الاسلام كيف رقت حواشيه، وحطت معاليه، وعبثت أيدي البغاة فيه، حتى صارت سماوه الزاهرة بغيوم الكروب سوداء، وأرضه الناضرة من دماء أبنائه حمراء

ألا ترى الى الشرق كيف تناوشته الأنواء، وتكالبت عليه الاعداء، فخرقت أحشاؤه، وفتحت أرجاؤه، وضيق عليه من جميع الانحاء

توفرت للافرنج المعدات، وكثرت لديهم القوات، ورأوا الشرق يغشاه سبات الخمول، ويعتري أهله داء الضعف والنحول، فحملوا عليه بجيوشهم وأعوانهم، وزاحموا بنيه في بيوتهم وأوطانهم، حتى امتلكوا بكرة أقطاره، وزهرة أمصاره، ووطدوا العزم لغزو ما بقي مستقلا من أراضيه. يقولون من فاتنا اليوم فميعادنا معه الى الغد، ومن عاهدناه بالأمان فليطمئن اذا شاء على هذا العهد

هذا وعشائر العرب وجموع المسلمين وشعوب الشرق جمعاء تنظر الى هذا البلاء ولا تستفيق، وترضى بالهوان وتطبق، كأنما فقدت بينهم الحمية، وماتت من رجالهم روح الانفة والاستقلال، أو استحكمت فيهم رهبة العدو فمدوا أعناق التسليم وأقروا له بالخضوع والاذلال، وأنت اذا حسبتهم تراهم يعدون مئات الملايين يملأون البطاح والوهاد، بينهم رجال الحروب وأبطال الوغى، منهم العلماء وأرباب النهى، ودولتهم فيما مضى وصلت الغرب

بالشرق ، انبسطت الى أطراف المعمورة ، خضعت لها برابرة افريقية في الجنوب ، ودانت لها جلالقة الروم في الشمال ، لكن بالاسف كثرتهم لم تغن عنهم آفة العدو ، ومجد أسلافهم لم يدفع عنهم سيف الاجانب ، فقد امتلكت اليوم دول الافرنج القسم الاعظم من بلادهم ، واسترقت العدد الاوفر من شعوبهم

انظر : دولتان قد افترستا زهرة بلدانهم وأعملتا السيف في أبنائها ، ودولة أخرى تتحفز للوثوب ، وتتهيأ لقلع أركان مملكتهم ، فرنسا اغتصبت الجزائر وتونس في الشمال وغلبت على سودان المغرب في الجنوب ، شقت بطن الصحراء وضيقت على سلطان مراكش دافعة عساكرها كل يوم ومن كل ناحية الى الامام حتى لا تترك أثراً للسيادة العربية في المغرب

انكلترا حكمت سيوفها في سبعين مليونا من مسلمي الهند ، قبضت على باب المندب و بوغاز السويس في البحر الاحمر ، بسطت جناحيها فوق زنجبار ، قعدت بكلكلها على مصر ، أهلكت في أم درمان في ظرف ساعتين فقط نحو خمسة عشر ألفا من الدراويش ، بل من نخبة رجال العرب ونخوه رجال السودان

روسيا تستعد كل يوم ، تجند الجنود وتحشد الالوف على الحدود ، تتربص الفرص للوثوب ، وتنتهز يوما مناسبا للزحف

وماذا يفعل المسلمون ؟

في الهند ملايين الاسلام تدعو بالنصر لمملكة الانكليز علانية وتتغلل صدورها بالغيظ والسخيمة عليها سرا وقد ملئت قلوبهم بالذل وفقدوا كل نخوة وحمية

في تركيا اختلفت الاهواء ، وتعاكست الآراء ، ووقف السلطان وحده يذود عن بيضة الخلافة والملك ، حيث أوربا بأجمعها تحاربه بالسلم ، وقد تمكن الدخيل في الرعية وانحرفت الاحكام عن جادة الحق في الغالب فاختلفت لذلك الحكام وامتلأت القلوب ضغنا فوهت بذلك أركان قوة الدولة وأخذ الأعداء ينقصون من أطرافها كل يوم وناهيك بما انتهى اليه أمر كريد عبرة

مصر مسند العرب ، وعماد الاسلام ، سلمت السيف وخضعت للقدر ، وسكانها الذين استنارت أذهانهم بروح هـذا العصر انقسموا الى حزبين حزب يفاخر

بمعاضدة انكلترا ، وآخر يباهي بمسالمة فرنسا . سيد البلاد ينام والكدر ملء جفنيه ورجال البرلمان بانكلترا يبيتون على فرح كامل وسرور شامل

في تونس والجزائر كلمة « بونجور » خلفت كلمة « السلام » ، وخلاعة الافرنج حلت محل آداب العرب وكادت تهتك حرمة الاسلام ، ومراكش المملكة الوحيدة العربية التي حفظت استقلالها الى الآن قد استحكمت فيها الفوضى ورسخ بارجائها الجهل وحكومتها عوضا عن ان تكون حامية للشعب وحافظة لحقوقه تهتك اعراضه وتبيح دمائه وتستلب أمواله لا ينجو منها عال ولا وضيع

أما أقطار الصحراء الواسعة وما والاها من سودان الجنوب فسل عنها فرنسا بالغرب ، وانكلترا بالشرق ، فهما بها أدرى ، وبالكلام عنها أحرى

هذه هي اليوم حالة الاسلام وحالة الشرق أجمع . سردنالك حقائقها بأبسط الوجوه وأوضحها لم نوشحها بنامق العبارات ولم نطلها بزخرف الكلام حتى تظهر لك ساطعة كالشمس في رابعة النهار . حتى تعلم ان نصيب الشرق في كفة الميزان وأن حالته الحاضرة تنذر بفناء الأمة وذهاب العرب

هل يمكن اذن رد هجمات الشمال عن الجنوب ، ودفع غارات الافرنج عن أمم الاسلام ، واسترجاع ما فقده المسلمون من الأملاك والممالك ، والشمال كما تعلم قوات تفوق الآن الحصر ، ومعدات تدهش الفكر ، لم تدركها العرب ولا الترك ولا غيرهم من أمم الجنوب ؟

نقول انه لا يمكن ان دام الحال على هذا المنوال

ونقول يمكن إذا صاح صوت من غربي أفريقية وقطع مجاهل الصحراء فرددته اعجاز النيل ثم تناقلته وهاد العربية ووديانها فارتجت لدويه الهند وتداولته سهول الشام وجبالها فاهتزت لصداه أركان الاستانة العلية — مكان عرش الخلافة وموضع التاج من رأسها —

أو اذا نفحت ريح من الشرق فزعزعت أهرام مصر وهبت نحو الغرب فنبهت أحياء أفريقية واستيقظ الناس واجتمعت الكلمة

ولكن بأي واسطة أو أي سبيل يتم هذا الامر ؟

ذلك نتركه لفطنة القارىء وحكمته . ومتى تذكر أن الدولة التي قوضت دولة الرومان و بسطت سلطتها من الهند إلى الاطلنطيك انما قامت عن قبائل متوغلة في الخشونة والهمجية، أقوى سلاحها الاتحاد والحمية ، يعلم اننا لم نفرض المستحيل ،
وان الدهر أبو الغرائب   الامضاء

(ن . الفويكي)

﴿ جواب المنار ﴾

قول الكاتب الفاضل إن رد هجمات الشمال عن الجنوب ودفع غارات الافرنج عن أمم الاسلام غير ممكن إذا دام الحال على هذا المنوال — قول صحيح لا ريب فيه . وقوله يمكن « إذا صاح صوت من غربي أفريقية الخ أو اذا لفحت ريح من المشرق الخ » محل نظر وبحث إذ يتبادر ان مراده بالصوت الصائح ، والريح اللافح ، قيام المسلمين بثورة عامة تبتدئ من الغرب فيليها الشرق ، أوتهب من الشرق فيتزعزع لها الغرب ، وتنهض الامة نهضة واحدة للتنكيل بالدخلاء الذين عدوا على البلاد مفتاتين فاستبدوا بالسلطة واستأثروا بالرياسة . وهذا مراد لا ينال وغاية لا تدرك ، فالمسلمون لا تجمعهم لغة ولا حكومة ، والرابطة الدينية قد سحل مريرها وانتكث فتلها من أجيال طويلة ، بما اعتورها من اختلاف المذاهب ، وتنوع المشارب ، وتمزيق السلطة بتفريقها ، وماتولد عن ذلك من دماء سفكت ، وحرمات انتهكت ، وأرحام قطعت ، وقد آل أمر هذه الفتن فيهم الى أن استعان كثير من أمرائهم وسلاطينهم باعدائهم على إخوانهم في الدين ، وأعانوهم عليهم في بعض الاحايين ، ولا أبعد عليك في الشاهد ذهابا إلى تاريخ الدول المنقرضة ، فان في هذه الدول المواثل (جمع ماثل وهو الرسم الذي بقي له أثر) ما يغني عن الاستشهاد بالأوائل

ان بريطانيا ما استقرت قدمها في الهند الا بمعونة الافغانيين ، وان فرنسا ما تم استيلاؤها على الجزائر الا بمساعدة المراكشيين والتونسيين ، وكفي بخذل القريب ، مساعدة للغريب ، وقد كان لدولة الايرانيين ، يد عاملة في انتصار روسيا على العثمانيين ، وان الامراء الذين أضلوا الأمة عن سواء السبيل ، وفعلوا بها هذه الافاعيل ، هم الذين يصدونها عن

سبيل الاتحاد، ويحولون بينها و بين كل مراد، فأنى تتألف عناصرها ، وتتلاصق جواهرها ، وهذه الآلات المحللة لا تبرح عاملة فيها بالتفريق ، ومتى تبلغ هذه الغاية والقائد هو الذي ينكب بها عن جادة الطريق؟! لم يدع أمراء المسلمين وسلاطينهم في بلادهم زعيما يرجع اليه، ولا رجلا تجتمع القلوب عليه، الا وخضدوا شوكته، وحصدوا نبته، إلا ما يكون في البلاد الهمجية من زعماء الفتنة الذين يخرجون على سلاطينهم و يعملون قوتهم فيما يصب البلاء عليهم وعلى أمتهم ودولتهم، كالذين أضرموا نيران الثورة في السودان، والذين لا يزالون يضرمونها في اليمن ومراكش، وكل أولئك يصح ان تتمثل الامة فيهم بقول الشاعر

واخوان حسبناهم دروعا فكانوها ولكن للاعادي
وخلناهم سهاما صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

وأقول أن بلاد المسلمين قسمان . قسم له حكومة منظمة، وجنود معلمة، كالدولة العلية والدولة الايرانية (*) وقسم ليس كذلك كدولة مراكش، والقسم الاول فيه بلاد همجية لم يمسها النظام، ولم تنفذ فيها القوانين والاحكام، فالحكومات أنفسها لا تقدم على محاربة دول الشمال لما تعلم، ولا يمكن أن يثور الاهالي في البلاد التي لها حكومات منظمة على الافرنج الذين تبوءوا بلاد الاسلام لان حكوماتهم هي التي تكبح جماحهم، وتنكث قواهم، فيكون ذلك سببا في زيادة ضعفها، وأما البلاد الاخرى فليس شأنها بأبعد من شأن هذه فحضرة الفاضل صاحب المقالة أعلم منا بما يجنيه أهل الريف في بلاد مراكش على حكومتهم من إغارتهم على السواحل وانتهابهم مراكب الافرنج وتعديهم على أهلها فقد اثقلوا غارب الدولة وحملوها من المغارم التي تدفعها للحكومات الاجنبية باسم الترضية ونحوه ما إذا طال عليه العهد يخرج عن طوق احتمالها، ويؤدي إلى طموح الاجانب لاحتلالها ، واذا ضممت الى تفرق الكلمة وتنكيث القوى وضعف الحكومات حتى عن الرعية في البعض ما عليه دول الشمال القوية الحازمة من الاتفاق والاتحاد على ابتلاع أمم الجنوب وهضم حقوقها على

(*) تبين لنا بعد ذلك ان الدولة الفارسية ليس عندها جيش منظم

اختلاف الوسائل والتنازع في اقتسام الممالك — لاح لك أن الثورة والقيام على الاجانب خطر عظيم عاقبته مظلمة جداً والنتيجة ان هذا أمر لا يقع، ولئن وقع فقد يضر ولا ينفع

ان الشعور بحالة الامة السيئة صار عاما لا يكاد يجهله في جملته أحد ولكن الذين يتوقع منهم شعب الصدع ومداواة الكلم، قد اكتفى أهل النظر والفكر منهم بتأسف العجائز، وتحسر الزمنى، بل بما هو أشبه بحزن النسوان، ومنهم العميان، والمخدرو الجبان، الذين لا يبصرون، ولا يتأملون ولا يتألمون، وهم متفقون على ان إصلاح الحال، وازالة الاختلال، لا يمكن أن يأتي الامن قبل الحكام، والحكام ميؤس منهم في أكثر البلاد فالاصلاح كذلك. هذا هو الرأي الغالب على الناس الامن هداه الله تعالى وقليل ماهم.

ومن الناس من يتكلم في الاصلاح بغير هدى ولا عقل منير فإما كلام مقطع غير معقول، وإما تغرير بالعقول، وأغرب ما كتب في ذلك الكاتبون الحث على الالتجاء لدول أوروبا والاعتماد عليها في إلزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذي يرونه او تراه تلك الدول وغاية هذا تسليم البلاد لها وقد فندنا هذا الرأي الفاسد من قبل وهو لبعض الفارين أو الاغرار، الذين يسمون أنفسهم بالاتراك الاحرار، والذي نعرف عن النبهاء والمتعلمين في مدارس الحكومة من الاتراك والمصريين ان الاصلاح لا يكون الا بتقليد أوربا في جميع الشؤون واتباع سننها شبراً بشبر وذراعا بذراع، وهو على إطلاقه اضلال أي اضلال، وذهب بعض المثرثرين في هذا الموضوع الى أن الاصلاح يتوقف على نهوض الامة و إلزامها الحكومة بما تريد منها بثورة كثورة الفرنسيس المشهورة وقد جربنا هذا وما قبله في مصر ولا نزال نتململ من سموم لدغاتهما والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

فهل نقول بعد هذا « يمكن استرجاع مجد الشرق بقوة الاسلام »؟ نعم وألف نعم « ولكن بأي واسطة وأي سبيل يتم هذا الامر » ؟ ترك صاحب المقالة الجواب عن هذا السوال لفطنة القارىء وحكمته ولكن ذكره بما يهديه اليه ـ ذكره بنشأة الدين ومبدأ ظهوره. ذكره بذلك الانتشار السريع ـ ذكره بالقوة التي فاضت من

فغار القبائل المتوغلة في الخشونة والهمجية فغمرت المعروف من مشارق الارض ومغاربها وأبطلت كل قوة لغيرها وسلطان . ولكن هذه التذكرة تذهب النفوس في تأويلها مذاهب شتى . فمن الناس من يقول ان ذلك الاتحاد وما كان من آثاره حصل بالامداد السماوي والمعجزات والخوارق ولذلك يعتقد جماهير المسلمين أن الاسلام لا يعود اليه مجده الا بالمهدي المنتظر أو السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وقد أضرّ بهم هذا الاعتقاد ضرراً عظيما وكان من أسباب ضعف هممهم وزلزال عزائمهم وظهور الفتن والبدع فيهم (سنبين ذلك في مقالات أخرى)

ومن رأي هؤلاء ان العمل لإحياء مجد الاسلام عبث لا يفيد وانه لا مندوحة عن الرضى بالضيم ، والخنوع للذل ، حتى يخرج المهدي من الخباء ، أو ينزل المسيح من السماء ، ومنهم من يقول إن دولتي الرومان والفرس وغيرهما من الدول التي قوض عرش سلطانها المسلمون كانت عند ظهور الاسلام في تفرق وشقاق وفساد أخلاق فتسنى للمسلمين باجتماعهم واتحادهم الغلب عليهم وأما دول الشمال اليوم فهي في أعلى درج القوة والمنعة واجتماع الكلمة حتى بين كل دولة وأخرى بالنسبة للاستيلاء على أمم الجنوب فمهما اتحد المسلمون واجتمعت كلمتهم لا يتسنى لهم فل جيوشهم ، وثل عروشهم ، بل ربما أفرط بعض هؤلاء فقال ولا يتأتى لهم تقليص ظلالهم ، بتخييب آمالهم ، لأنهم هضموا ما طعموا . فترك الكاتب النبيل بيان السبيل لفطنة القارىء لا يأتي بالفائدة المطلوبة فليس القارىء المخاطب واحدا وانما هم قراء مختلفون في المذاهب والآراء وهذا ما حدا بنا الى كتابة هذا الجواب مبينين رأينا في المسألة الذي اهتدينا اليه بعد البحث الطويل والوقوف على آراء الباحثين وهو

ان اصول الدين الاسلامي وتعاليمه وآدابه الصحيحة هي التي جمعت كلمة قبائل العرب وارتقت بهم من حضيض الهمجية إلى أوج الفضائل وأشرفت بهم على دول العالم بالسيادة والسلطان وهدتهم الى العلوم والفنون ولا خلاف في ان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذي سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذي يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم وقد بدأ الدين غريبا وانتشر بالدعوة والتعليم ولم تكن الحروب في أثناء الدعوة إلا وسيلة لسماع صوته ، كما سنبينه

في فرصة أخرى » وقد عاد الآن غريبا وينتشر بالدعوة والتعليم « وفقا لما ورد في الحديث الشريف » ولا حاجة مع ذلك إلى الحروب ولا الى الخوارق والمعجزات لان الذين يراد إحياء تعاليم الدين وفضائله وآدابه فيهم أولاً و بالذات معتقدون أن جميع ما جاء في الدين حق وأن القرآن معجزة باقية إلى الأبد ولا يصدنا عن الارشاد والتعليم صاد ولا يمنعنا منهما مانع في أمتنا و بلادنا ولا في غيرها . وكيف والدعوة الى الاسلام لا يعارضها في الممالك الغربية معارض ولم يلق القائمون بها ذرة من البلاء الذي لقيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بدء الاسلام ولا الأئمة الذين دعوا الى البدعة بعده من قبل خلفاء المسلمين وأمرائهم . ولا يتوقف العمل إلا على اقتناع العلماء بان هذا الاصلاح مطلوب منهم وموكول اليهم وهم المسئولون عنه بين يدي الله تعالى وانه لا يتوقف على مساعدة الامراء والسلاطين فضلا عن كونه لا يأتي إلا منهم فاذا أشربوا ذلك في قلوبهم وتقشعت سحب اليأس من نفوسهم وجعلوا إمامهم القرآن وأحيوا معانيه في العقول في دروسهم ومجالسهم وخطبهم تهبط على الامة روح الوحدة من سماء العزة فيجتمع شرقيهم بغربيهم ويعيدون للشرق مجده « ولا يبعد ان يكون هذا مراد صاحب المقالة وان كان المتبادر خلافه » نعم ان الامراء والسلاطين إذا ساعدوا العلماء في عملهم هذا وسهلوا لهم سبيله يكون أسرع سيرا وأقرب وصولا وهذا ما حملنا على كتابة ما ترى في المنار من مقالات الاصلاح الديني واقتراحها على مقام الخلافة الاسلامية أيده الله تعالى وأعزه ولكن يجب ان لا ييأس العلماء من روح الله إذا لم يجب الطلب ولم يلتفت الى الاقتراح فقد علمنا التاريخ الحديث ان الامم في هذه العصور اذا تربت وتعلمت فانها تربي الحكام والسلاطين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (*

*) الغرض تنبيه الأمة الى قوتها الذاتية وتنبيه العلماء الى ان إحياء الأمة و إعادة قوتها اليها موكول اليهم. وما كتبنا ما كتبناه من اقتراح الاصلاح على مقام الخلافة الا لتنبيه المسلمين وتذكيرهم بتلك المسائل المقترحة ليوجهوا نفوسهم اليها وتذكيرهم بتقصير خليفتهم في خدمة ملتهم ليعلموا بعد إعراضه عما يقترح عليه انه لا اصلاح لهم به وقد يكون صلاحه هو بصلاحهم

﴿ قضايا مسلمة ﴾

في طعن عوام الشرقيين في الاوربيين

من القضايا المسلمة عند جماهير الشرقيين ان الاوربيين ما بلغوا شأو الشرقيين في الطب ولا قاربوا وان الذين يسيرون على آثارهم في مداراة الصحة وفي التطبب تضعف بنيتهم وتضوى أجسادهم وتفشو فيهم الامراض والادواء · وان عقولهم ضعيفة لا تدرك العلوم العويصة ولا تصل الى المسائل الدقيقة وما امتازوا على الشرقيين بشيء من العلم الا بالصناعات العملية ويعبرون عن هذا الاعتقاد بقولهم «الافرنج عقولهم في أيديهم - وبعضهم يقول - في أعينهم» وان الفضائل بعيدة عنهم بمراحل فهم أصحاب خفة وطيش سريعو الحركة يعدون في المشي عدوا قليلو الادب يجلسون مادين أرجلهم مهما كان جلساؤهم عظاما ، بخلاء أشحاء لا يرحمون فقيرا ولا يحضون على طعام المسكين، يستأذن أحدهم زائره في القيام الى المائدة ولا يدعوه الى مشاركته في تناول الطعام الذي حضر سواء كان الزائر صديقا وحبيبا أم قريبا أم غريبا، شهواتهم غالبة على أمرهم، وارواحهم في وحشة من جسومهم، ولا يكتفون بالاستدلال على ذلك بكثرة شربهم للخمور، وتهتكهم في الفجور، بل يعدون من أدلته شدة تكريمهم وتعظيمهم للنساء بحيث يشرك الرجل قرينته معه في جميع الشؤون ويشاورها في كل أمر ويرافقها الى الملاعب والمتنزهات العامة والخاصة ويسافر بها الى البلاد القاصية لمحض التنزه بل ارتقوا في تعظيم امرهن الى تصديرهن في المجالس وتقبيل الملوك أيديهن بل الى تقليدهن الاعمال والوظائف في الحكومة

ما كل مسلَّم بصحيح فالاوربيون أربوا على الشرقيين في الطب وأما ضعف أبدان الذين يسيرون على آثارهم في مداراة الصحة فليس السبب فيه الطب ومداراة الصحة على طريقتهم وانما سببه الترف والانغماس في الشهوات والافراط في اللذات التي يتولد منها ما ذكر من الامراض · ومن لاحظ الاحصاآت الصحية في بلادهم ينجلي له كيف قلت بتقدم الطب الوفيات وخفت فتك الامراض والادواء وأما قولهم ان عقولهم ضعيفة الخ فهذا يقوله من لا يعرف ما عندهم من العلوم ومن

يعتقد ان العلوم الصحيحة هي التخيلات والسفسطات الفكرية التي لا ترشد الى عمل ولا تنطبق على حقيقة واقعة، وأما كلامهم في أخلاقهم وآدابهم فمنها الصحيح والفاسد وأ كثر رذائل القوم مبنية على فساد الاعتقاد فهم لا يأتون ما ننتقده عليهم الا وهم يرون حسنه في الغالب ، وأما افراطهم في تعظيم النساء فيقابله تفريطنا في ذلك وليس ذلك التعظيم لمجرد الشهوة بل فيه مصلحة عظيمة للامة ولكنهم أفرطوا كما قلنا وان لنا كلاما آخر في هذه المسائل نرجئه للفرص

﴿ خطبة ناظر خارجية ألمانيا ﴾

ألقى ناظر خارجية المانيا خطابا تكلم فيه على المسائل الخارجية فآثرنا منه مايتعلق بمصالحنا نقلا عن جريدة الاخبار الغراء لما فيه من العبرة

المسائل الشرقية

إن المسألة الشرقية بوجه عام واقفة في حض السلم والامن .ولا أريد من ذلك أن أقول أن هذه المسألة قد حلت حلا نهائيا .لان المسألة الشرقية كخيلة البحر اذا اختفى منها جزؤ ظهر آخر والحل النهائي لهذه المسألة لايراه أحد منا .اذ لابد ان ندع لابنائنا وأحفادنا من بعدنا بعض النوى لتكسره أسنانهم (ضجيج عظيم) أما الآن فان هذه المسألة ليس فيها الخطر الداهم الذي كان موجودا منذ سنوات ماضية . ولربما كانت في كيفيتها وفي جوهرها قد أصبحت اكثر اشكالا وتعقيدا مما كانت عليه منذ عشرين سنة

المسألة البلقانية

انه منذ ذلك العهد حتى الآن أصبح الخلاف بين الشعوب البلقانية أشد من الخلاف بين المسيحيين والمسلمين لان تلك الشعوب يزيد اختلافها كلما زادت رغبتها في استقلالها وسلطتها ونجاحها فاذا يوجد في البلاد البلقانية بعض ظروف يمكن ان تمسي ذات يوم ثمرة الخلاف والشقاء . على انها طفيفة لاتهدد السلم العام . أما المانيا فانها لا تنوي نيل نفوذ في الشرق تختص به دون سواها وهذه الخطة ليست فقط نتيجة أخلاقنا وطباعنا بل هي المبدأ العام الذي يستند عليه نفوذنا في قرن الذهب

ونحن قد اكتسبنا ميل تركيا الينا لان هذه الدولة ترى ان ألمانيا تود مراعاة الحقوق الدولية معها وأن يستتب في الشرق سلم دائم وامن اكيد وبما أنا بذلك لانقف حائلا في وجه دولة من الدول فنحن اصدقاء الدول كلها . واني أورد هنا بكل مسرة أن رومانيا لها اليد الكبيرة في حفظ النظام وتأييد السلم وانماء المدنية في الولايات البلقانية

المسألة الكريدية

أما المسألة الكريدية فان انسحابنا منها واستدعاءنا باخرتنا الحربية كان سببه تغيير وجهها ولا ننكر ابدا ان كيفية سياق المسألة تدلنا على ان كثرة الطهاة لاتجيد الطعام احسن من قلتهم (ضجيج) فنحن اذاً نسر بعمل الدول الاربع التي تولت الحل النهائي (ليعتبر العثمانيون)

سفر الامبراطور

ان رحلة الامبراطور الى فلسطين وعودته منها تدل صريحا على أن الاشاعات التي أذيعت عن مقاصده وعن امكان حصول الخلاف والشقاق لاصحة لها

والذي يقول لي كيف تتفق مطالب الامم المختلفة الاجناس والاديان أشكره واعترف له بالمهارة . والالمان والمسيحيون لايقرون لاحد بحق منازعتهم بان يكون لهم كنيسة في الاراضي المقدسة

(وهنا ذكر الوزير النواب برغبة الامبراطور فردريك غليوم الرابع وبرحلة ولي العهد فردريك عام ١٨٦٩ وقال)

فرغبة الامبراطور غليوم الثاني في ان يفتتح هو نفسه كنيسة انجيلية كانت ناتجة عن مبرة بوالده وجده وعن عواطف دينية تخامر له وهذه العواطف ليس فيها شيء عدائي لدولة من الدول «برافو»

وامبراطور المانيا الذي هو امبراطور الالمان جميعهم بدون استثناء دل باعطائه الارض التي كان عليها مسكن العذراء مريم انه يريد ان يسر جميع رعاياه المسيحيين على السواء من رحلته، والمساعي التي بذلت لاقلاق بال السلطان من هذه الرحلة لم تنجح

وجلالة السلطان يرى جيدا فلم يقدر احد على خداعه بأن الامبراطور غليوم يريد من رحلته أن يفعل مافعله الصليبيون بأخذه من تركيا سورية وفلسطين «ضحك»

مستقبل الاسلام (*)

يسرنا أن شعور المسلمين بالخطر الذي يتهددهم في مشارق الارض ومغاربها قد نبه الافكار الى البحث في أسبابه والسعي في علاجه فكأن أرواح العقلاء والنبهاء تتناجى في كل قطر من الاقطار وكأنني أسمع كريرا « هو صوت من الصدر كصوت المنخنق » وزفيرا يفصحان عن الخطب ويمثلان الكرب ، فأضان من صدور أهل الشرق والغرب ، ويتلاقيان في مركز الدائرة و بهرة الاسلام مصر المحروسة أعزها الله تعالى . بالامس سمعنا صوت الكاتب المراكشي يحذر وينذر ويسأل ويجيب ، واليوم نسمع صوت الكاتب الهندي يوقظ وينبه ويستنهض الهمم ، ويستسقي الديم ، بكاء ونواح ، وعويل وصياح ، واثارة رياح ، أسف واستياء ، واتفاق على الداء ، واختلاف في العلاج والدواء ، فمتى تتفق الافكار في النتيجة كما اتفقت في المقدمات ، وأيان تشترك في الاعمال ، مثلما اشتركت في الاقوال

ما هي النتيجة : قالوا اجتماع كلمة ، اتفاق قلوب ، التفاف حول لواء الخلافة ؛ اتحاد المشرق مع المغرب الاسلاميين ، علوم ومعارف ، فنون وصنائع ، معاهدة ملوك الاسلام ، تأليف جمعيات ، عقد شركات . . . . كلمات متقطعة ، بين همهمة وهينمة ، أو ضوضاء وجلبة ، لا تظهر حقيقة ، ولا ترشد إلى طريقة

نشرنا مقالة المغربي في العدد الماضي من جريدتنا وأجبنا عن سؤاله ، ونشر الآن نبذة من مقالة المشرقي « الهندي » ونجيب عنها ، وما الجواب الا واحدا ولكن الاساليب تتلون بألوان كثيرة وتتجلى في اشكال متعددة

قال الكاتب الهندي الفاضل فيما ترجمه المؤيد الاغر عن جريدة محمدان الغراء بعد كلام شكر فيه صاحب هذه الجريدة « محمدان » على نقله عن الجرائد الاسلامية ما يهم المسلمين ويبعث على تقوية رابطتهم

« وان أحدنا ليحزن حقاً إذا جال بخاطره في بلاد الاسلام وممالكه ورآها

(*) نشرت في اول العدد ٤١ المؤرخ في ١٧ شعبان ١٣١٦ و ٣١ دسمبر ١٨٩٨

جميعاً على غاية من التأخر والاضمحلال وانه لا توجد دولة واحدة من بين الدول الاسلامية تستحق الاعجاب بها والمباهاة بتقدمها » ثم قال

« أجل ان الوقت حرج والمركز صعب والحياة مريرة فاذا لم يعمل المسلمون بكل جهدهم ويستيقظوا من سباتهم العميق فانهم بلا ريب يصبحون كأمةاليهودلا وطن ولا دولة لهم (ولكن ليهود اليوم المال يحميهم ويرفع شأنهم أما يهود الغد الفقراء فلا يكون نصيبهم سوى الذل والهوان)

«واذا قيل أين الوقت وأين الفرصة قلنا الساعة التي نحن فيها على بقية من الرمق ، فالواجب على أصحاب المدارك السامية من المسلمين أن يقدحوا أزند أفكارهم ويبحثوا عن المسالك النافعة والطرق المؤدية الى منفعتهم

«هذا هو الوقت الذي يلزم فيه أمير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد الثاني المشهور بالعقل والدهاء وحب توثيق عرى الجامعة الاسلامية حوله أن يبرهن للعالم الإسلامي على أنه الاحق بالخلافة من كل خليفة لبس تاجها »

ثم تكلم في موضوع تأسيس مجتمع إسلامي في الاستانة العلية تحت رئاسة مولانا أمير المؤمنين (وذلك مالا يكون) ثم قال

« واذا أردت زيادة التوضيح فاسمح لي أن أقول ان هذه البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا إذا حمل الافراد على مشاركة الحكومات فيما تجريه وفي جميع مسئولياتها فان الحمل أصبح الآن على أكتف الحكومات التي يديرها رجل واحد أو رجلان على الاكثر ثقيلا جداً ، فالحكومات الاوربية الآن تحمل على حكومات الاسلام بوطأة شديدة واذا نوقشت بالعقل أفحمتها بأن وراءها البرلمانات التي تمثل الامم في قوتها تقهرها على السير في السبيل الذي تسلكه

«أي رجل معتوه يقول ان وزيرا من وزراء دولة العجم مثلا يقدر أن يقف وحده تجاه برلمان انكلترا أو مجلس نواب فرنسا ؟؟

«ان كل فرد من أفراد ممالك أوربا يعتقد في نفسه أنه عضو عامل في حكومة بلاده بينما المسلم لا يعتبر الا انه حجر ينقل الى حيث ينقل ويستقر حيث يلقى أو يقذف به من حالق . وزد على ذلك انه جاهل يدعوه جهله الى الا يتعاد عن وسائل

المدنية الحقة . وفي بلاد الاسلام تجد الجزء الاكبر من الشيوخ الذين لهم تأثير عظيم في النفوس لايحبون الاصلاح ولا الانتقال عما اعتادوه وورثوه عن آبائهم ثم هم مع ذلك يشغلون أوقاتهم بالامور التافهة والمشاكل الشخصية فلا يجد الحكام مجالا لبث أشعة نور الاصلاح مع كل هذه الاحوال فكيف ينتظر لنا مع هذه الحال نجاح، أو ارتقاء في مدارج الاصلاح

« يتضح لك مما تقدم أن تأخرنا ناتج عن جهل المجموع وخموله فاذا نحن عقدنا النية على ترقية شأننا فعلينا أولا أن نرقي المجموع ونقيم ماأعوج من أموره ولا تكون هذه التربية النافعة قاصرة على المكاتب الصغيرة القديمة العقيمة . بل تترجم الى لغاتنا جميع مباحث العلوم العصرية وفروعها وتدخل الصنائع والادارات التي رفعت درجة العالم الاوروبي وتهب حكومات الاسلام رعاياها حرية الكلام في الخطابة والكتابة مع بعض امتيازات تسمح بأن يكون لهم صوت و يد في سير الحكومة وتدبيرها حتى يتمكنوا من إدخال الاصلاح »

ثم تكلم عن دولة الفرس وعدم التفاتها الى التعليم والتنظيم العسكري وذكرها بما يتهددها من قوة الروسيا ثم قال

« شهد العالم في العام الماضي فوز الدولة العلية وانتصار جنودها الباسلة واستعداد ضباطها . فلم لاتأخذ دولة الفرس ضباطا من الاتراك بدل الضباط من الروس . أولماذا لاترسل دولة الفرس شبانا من عندها ليتعلموا الفنون العسكرية في المدارس الحربية العثمانية ليعودوا ضباطا ماهرين اكفاء للقيام بأعباء وظيفتهم

« انه وان تكن البلاد الهندية لم تصل الى درجة عظمى من المعارف لكن مدرسة « عليكده » التي أسسها المرحوم السيد أحمد خان قد أنتجت رجالا أفاضل نابغين في المعارف والعلوم أفلا تحسن حكومة الفرس لو استعارت من أمثالهم معلمين في مدارسها أو لخدمتها أولى من تعيين البلجيكي والطلياني أو غيرها ؟

« واذا أدار الانسان نظره الى شطر بلاد الافغان رأى ان أميرها حفظه الله يجتهد كل الاجتهاد في ايجاد مملكة قوية حربية و يضاف الى ذلك ظهوره بمظهر الولاء

لانكلترا في أحرج المواقف وأصعبها ولكن النجاح الذي تناله الافغان ليس مما يعظم الامل في مستقبلها

«وان الانسان يتولاه الاندهاش حين يرى رجلا عظيما مثل الامير عبد الرحمن خان لايهتم بالتعليم والتربية في بلاده وقد شهدت له الناس بالغيرة الشديدة على إنجاحها فلا تزال مدرسة «غازني» كما كانت من قديم لم يحور في تعليمها شيء ولم تزد عليها من العلوم العصرية زيادة ولايلزم أن تبقى الحالة على الصناعة الحربية بل من الواجب ارسال بعض اتباعه الى البلاد الاجنبية للنظر في حالة تلك البلاد والنقل عن معارفها وآدابها

«اما المصريون فهم الآن قابلون للتقدم والارتقاء والاولى بهم أن ينتهزوا الفرص ويقوموا يدا واحدة لتربية الناشئين والاعتناء بأمر التعليم حيث لا ينفع قول ليت ولعل وقد ظالمت في رحلة مولانا شبلي أن التعليم في الازهر الشريف ليس كما يرام ولا ينتظر منه لبلاد الاسلام منفعة كبرى وعائدة جليلة وفضلا عن ذلك فان مسلمي مصر أغنى بكثير من مسلمي الهند وانهم اذا أرادوا ووطدوا العزيمة قادرون على تأسيس مدارس جامعة كبرى مثل (اكسفورد) و (كمبردج) الانكليزية فهلا يتنبهون للمستقبل وما يأتي به الغد من الحوادث الخطيرة

«اعترف الاعداء قبل الاصدقاء أن جلالة السلطان عبد الحميد أمير المومنين أقدر الملوك واعظم سلطان جلس على أريكة سلطنة آل عثمان ولكنه وحيد يشتغل وحده لا يشرك ولا يجد من يساعده من الافراد على العمل(*) وهذا مركب صعب ولكن أهم شيء هو الاتحاد الاسلامي وجمع الكلمة على العمل يدا بيد وقد تكلمت الجرائد الانكليزية أخيرا عن هذا الاتحاد وقالت انه قريب الحصول ولكن هذه الاخبار لم تتحقق الآن غير أني أقول لاخواني المسلمين في كافة بقاع الارض ان الاسلام جسم واحد رأسه الدولة العلية وساعداه الافغان ومراكش ورجلاه مصر والعجم ولا يمنع الدول الاجنبية من الاعتداء والتداخل في بلاد الاسلام غير هذا الاتحاد فاجمعوا الكلمة ونادوا بذلك أولا ثم متى حصلتم على مراد كم منه رقوا

(*) بل وجد من يساعده على التخريب والهادمون وان قلوا كثيرون

شأن داخلياتكم وكونوا مع العصر يوما بيوم في الآلات الحربية وغيرها والا كان الاتحاد قليل الجدوى فسأل الله الهداية الى اقوم سبيل « ل . ي »

﴿ ملاحظة المنار ﴾

يدور كلام الفاضل الهندي على ستة أقطاب «١» بيان خطر الحال الحاضرة «٢» ذكر ان سببها الجهل والخمول «٣» ذكر ما اقترحه بعض الكتاب (صاحب رسالة نشرت في جريدة محمدان بامضاء الباحث الاسلامي من تأسيس جمعية إسلامية في الاستانة العلية للنظر في تأخر المسلمين وفي وسائل تقدمهم والسؤال كيف قوبلت في البلاد الاسلامية «٤» الجزم بأن البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا اذا شارك الافراد الحكومات فيما تجريه . يريد ان يكون للأمة رأى في أعمال الحكومة الكلية كالحكومات الشوروية الحية «٥» العمل أولا على ترقية شأن المجموع بترجمة جميع مباحث العلوم العصرية وفروعها الى لغاتنا والعناية بالصناعات والادارة التي رفعت درجت العالم الاوربي وحرية الخطابة والكتابة «٦» استعانة الامم الاسلامية بعضها ببعض بان تستبدل دولة الفرس الضباط العثمانيين بالضباط الروسيين وتستعين بالمعلمين من مسلمي الهند على نشر التعليم العصري

ما احسن هذا البيت المسدس الاركان لو وجد له صناع يبنونه ويملؤنه من عسل المدنية الفاضلة أو يودعون فيه نتائج السجايا الانسانية كما يبني النحل بيته المسدس ليودع فيه نتاجه ثم مؤنته من العسل، النحل ينبعث للتعاون على عمله الذي تتوقف عليه حياة نوعه بحادي الالهام الفطري، وفطرته سليمة لا يطرأ عليها فساد ولا انقلاب والانسان فطر على التنازع والخلاف وأعطي قوة على تعديل فطرته الروحية، واجابة داعي العقل الى الوفاق والاتحاد برابطة الدين أو الجنسية أو الوطنية ، فاذا انحلت الرابطة بما يعرض على الروابط الاجتماعيه فيحلها فلا بد من العمل قبل كل شيء على عقدها ومع كل شيء على حفظها وتقويتها والمسلمون لا تجمعهم الا رابطة الدين كما قلنا غير مرة وقد انحلت بالتراخي وكادت تبطل بالمرة . فليس أول عمل يجب علينا هو ترجمة العلوم العصرية الى لغاتنا كما قال الكاتب بل اول عمل يجب علينا هو ما قلناه آنفا

من اعادة الرابطة الدينية التي تجمع القلوب وتوحد بين الشعوب

لا خلاف في أن الشعوب الاسلامية في أسوإ الاحوال وانه مامن أمة من الامم ولا ملة من الملل الا وفيها من أخذ من ترقي العصر بأوفر نصيب الا الامة الاسلامية . الوثنيون لهم دولة قوية جارت أوربا وسايرتها خطوة بخطوة وضربت معها بكل سهم وهي الآن أعز دولة شرقية وأقواها ألا وهي (اليابان) . اليهود سابقوا أوربا في جميع أنواع الكسب باسبابه ووسائله فسبقوها وهي الآن تتبرم منهم وتضطهدهم في كل مكان ، فاذا كان في الشرق روح خبيث يحول دون الترقي كما يتوهم المتوهمون فلماذا لم يلابس هذا الروح غير المسلمين ؟ أليس اليابان واليهود من الشرقيين ؟ اذا كان النجاح متوقفا على أعمال الحكومة فأية حكومة نهضت بالاسرائيليين ؟ . أجمع الباحثون في علم الاجتماع على أن تأخر المسلمين ماجاءهم من اختلاف طبائع الاقطار فانهم يسكنون كل أرض ومتبوؤن كل قطر فمن بلادهم الحار والبارد والمعتدل وانما كل البلاء جاءهم من دينهم فما داموا على هذا الدين لا يرفع لهم علم ولا تقوم لهم سيادة ولا يستنشقون نسيم السعادة بل لابد أن ينزع منهم دينهم كل سلطة ويهبط بهم الى أسفل سافلين ، وهذه حوادث الدهر بهم شاهدة بذلك: تنتقص بلادهم من أطرافها وتنزع من أيديهم ولاية بعد ولاية بل مملكة في أثر مملكة وما بعد العيان من برهان ، قالوا ومن زعم ان لذلك سببا غير الدين ، فليخبرنا عن مميز آخر انفردوا به عن جميع العالمين ؟

بينا في غير هذا العدد من جريدتنا أن هذا القول صحيح ولكن الذي رمانا ويرمينا بالنوائب هو الابتداع في الدين لا الاتباع له والانحراف عن سننه (بالفتح) لا الاخذ بسننه (بالضم) وترك آدابه، لا التمسك بأسبابه، وهذه حقيقة لاينكرها أحد من علماء المسلمين ولا من عامتهم فهم متفقون مع الأوربيين في أن بلاءهم من الدين ولكنهم مختلفون في التوجيه والتأويل

العلم الاجمالي لا يبعث على العمل، ولا يرشد من الغي والزلل، لأنه محل للتأويل والاختلاف في البيان ولذلك لم ينهض المسلمون للاصلاح الديني مع علمهم الاجمالي بأنهم في أشد الحاجة الى الاصلاح ، ولماذا ؟ العلماء يلقون التبعة على الحكام قائلين

انهم هم الذين أفسدوا في الدين بحكمهم بالقوانين وتقليدهم الافرنج في نظاماتهم العلمية والعملية والعادية كالبوس ونحوه ، والحكام ينحون باللوم على العلماء ويقولون اننا لم نجد عندهم غناء عن القوانين والنظامات التى أخذنا بها وان النظامات العلمية والعملية التي قلدنا بها أوربا قد ارتقت بنا ورفعتنا على سائر الحكومات الاسلامية التي لم تأخذ بها كحكومة مراكش وسائر الحكومات الأفريقية . وقد ضاعت الامة بين الفريقين (الحكام والعلماء)

ليس الحكم بالقوانين هو الذي هبط بالمسلمين الى هذا الحضيض فلقد بذرت بذور الهبوط في العصر الاول وذلك ما عناه الامام علي كرم الله تعالى وجهه بقوله لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا . ولقد حدثت الفتن في المسلمين ولم يكن هناك شيء من هذه القوانين فروح الدين الذي ينهض بالامم ويحييها بل يوجدها من العدم هو الاتفاق في العقائد الحقيقية والآداب الصحيحة وقد تزعزع هذان الركنان في المسلمين فالتوحيد الذي اجتث الاسلام به شجرة الشرك الخبيثة واستأصل جراثيم الوثنية وأطلق ارادة الانسان وافتك عزيمته من قيودها فنال بذلك الحرية الكاملة واندفع لكل عمل مفيد قد صبغ بصبغة الجبر وجعل آلة لإضعاف الهمم ، وتكسيل النفوس عن العمل ، ولم يق المسلمين من نزغات الوثنية فقد تمكنت نزغاتها في كثير منهم حتى انهم ألهوا الامام عليا في عصره ، ولا تسل عما جرى بعد ذلك الى اليوم ، وهذا الموضوع طويل الذيل يحتاج في بيانه الى مؤلفات وقد أوقفنا عليه جريدتنا فكتبنا وسنكتب فيه الى ما شاء الله تعالى

أما ما أشار اليه الفاضل الهندي من تأسيس جمعية اسلامية فأول من اقترح هذا الاقتراح السيد جمال الدين الفيلسوف الشهير وقد بسطنا الكلام عليه في مقالتي « الاصلاح الديني » في العددين الماضيين على الوجه القريب من الصواب والامل بحصوله ضعيف جدا . وأما جزمه بأن البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا اذا شارك الافراد فيها الحكومات الخ فهو من الكماليات ولا يتوقف عليه الاصلاح المطلوب وطلبه اليوم هو من طلب الغاية في البداية(*) ، وأما استعانة الامم الاسلامية بعضها ببعض

*) هذا هو تفسير قولنا من الكماليات ولم نعن بالكماليات ما يقابل الضروريات

فهو حسن لا ريب فيه. وأما العمل على ترقية مجموع الأمة بالعلوم العصريه والصناعات فلم نأخذ عليه فيه الا قوله ان ذلك يجب علينا أولا ورجال الدين يقولون ان تلك العلوم كفر اوطريق للكفر ومجموع الامة تبع لهم . فالذي ينبغي قبل كل شيء اقناع هؤلاء بأن هذه العلوم والفنون تتوقف عليها قوة الامة ومجدها وان القرآن أرشد اليها بما أمر من النظر والتفكر وبمثل قوله « هو الذي خلق لكم في الارض جميعا » وقوله « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه »

كيف يتسنى لنا نشر هذه العلوم قبل هذا وقد سعى بعض عقلاء العلماء بادخال علم الحساب وتقويم البلدان وتاريخ الاسلام في الازهر فاضطربت لذلك الافكار واختلفت الظنون وقال الاغرار (وا كثرنا اغرار) ان الازهر قد فسدت بذلك تعاليمه وأصبح الدين على وشك الاضمحلال والزوال . لم يكن للازهر نظام يرجع اليه فبعد ان وضع له النظام وقبل أن يجري فيه أقل انتظام وقعت فيه الحادثة المشهورة التي سببها الحقيقي الخلل وفساد الاخلاق والجهل بأمور الزمان فقال بعض اللابسين لباس العلماء « ان وجود النظام في الازهر هو الذي أجرى عليه أحكام النظام وان الازهر قوامه بالبركة التي جرى عليها أربابه من قبل فكل تغيير فيه لا يكون الا افسادا له »

فلينظر القائلون بأن اعادة مجد الاسلام تكون بنشر الفنون العصرية في الامة الاسلامية الى أوربا التي يرومون أن يقلدوها في نهايتها وهم بدايتهم هل تسنى لها الاخذ بهذه الفنون الا بعد الإصلاح الديني وازالة تلك العقبات التي كانت تعد العلم والصناعات كفرا وتضطهد المشتغلين بهما أشد الاضطهاد ؟ أكرر القول بأن الاصلاح الديني هو المطلوب قبل كل شيء ومع كل شيء ولدينا مقالة في ذلك من قلم أعلم حكماء الامة في هذا العصر ننشرها في العدد الآتي ان شاء الله تعالى (١)

﴿ عالم قريش الامام محمد بن ادريس الشافعي ﴾

« رضي الله تعالى عنه »

نذكر شيئا من سيرة هذا الامام الجليل بمناسبة احتفال العلماء في هذه الايام

والحاجيات بل عنينا ان هذا مما يكون للأمة اذا ارتقت في معارج الكمال الاجتماعي فهو نهاية لا بداية (١) اعدنا نشر هذه المقالة في ص ٦٦٤ من المجلد التاسع فتطلب منه

بما يسمونه « مولد الامام » وقد احتفلوا قبل ذلك بأيام احتفالا غير هذا يسمونه (الكنسة) وهو اجتماع يكنسون فيه الضريح ويقسمون الكناسة بينهم للتبرك بها والموالد في هذه الديار كثيرة جدا تكاد تستغرق أيام السنة ولذلك كان السيد عبدالله نديم الكاتب المصري يقول: للافرنج في كل عام كرنفال ولنا في كل يوم كرنفال. (*) ولا يتولى العلماء بانفسهم الاحتفال في مولد منها الا مولد الامام الشافعي وان كان لا يخلو منهم مولد من الموالد وكأنهم لاحظوا أن هذا المولد الإمام من أعظم أئمة العلم فكان المناسب ان يتولى الاحتفال بمولده العلماء الذين من صنفه بخلاف سائر الموالد فانها للاولياء وشيوخ الطريق والمناسب ان يتولى شأنها أهل الطريق

وقد ذكرنا في مقالات سابقة ما في هذه الموالد من البدع والاضاليل فلا نعيد ذلك بتفصيله ولكننا ننقل من سيرة الامام ما تعلم منه الذين ادعوا الاهتداء بهديه أو حاولوا مرضاته أو مرضاة الله تعالى باحتفالهم بمولده لم يصيبوا الغرض أو نقول كما قال الامام حجة الاسلام الغزالي عند تراجم الائمة المجتهدين «ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة .. وان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم » واذا كان هذا قول حجة الاسلام في الفقهاء منذ ثمانية قرون فماذا عسانا نقول الآن؟ ذكر الغزالي ان كل واحد من الأئمة المجتهدين كان عابدا وزاهداً وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى قال فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات لا تقاس الملائكة بالحدادين اه

قلت وهذه الخامسة قد فقدت أيضا اذ لا يكاد يوجد اليوم فقيه في مصالح الخلق قادر على الاتيان بتفاريع في الفقه على حسبها . بل يكاد يكون من خواص فقهاء هذا العصر عدم معرفة شيء من أحوال الزمان ومصالح الناس فيه ومن المقرر

(*) الكرنفال عيد يتنكرون فيه بملابس السخرية فيلعبون ويمجنون ولا يعرفون

عند الحنفية حملة المذهب المعمول به في الجملة عند احكام انه لا يجوز لاحد في مثل هذا العصر أن يستنبط حكما من الاحكام بل ولا ان يصححه ومن أقدم على ذلك لا يقبل استنباطه ولا تصحيحه وشيخ الاسلام في دار الخلافة لا يأذن لمفت أن يفتي من مجلة الاحكام العدلية الموافقة لحالة العصر وان صدر أمر الامام بالعمل بها لان فيها ما هو ضعيف عند الفقهاء الذين يفتي بقولهم بحسب رسم المفتي المتبع عندهم وان كان موافقا لما هو الصحيح عند غير أولئك الفقهاء من أئمة العلم . فاذا يقول الامام الغزالي في هؤلاء الفقهاء وأين هم من تعريف بعض القدماء للفقيه بانه (المقبل على شانه البصير بأحوال زمانه) وقد أطلنا في هذه المقدمة فاستمع لما تقصه عليك من الترجمة

كان الامام عليه الرضوان من أعظم أنصار السنة وخذال البدعة والعلماء بدين الله تعالى الواقفين على أسرار كتابه العظيم وكلام رسوله الكريم محافظا أشد المحافظة على حفظ الأوقات أن تضيع في غير ما ينفعه و ينفع الناس بعيدا عن اللغو في القول بمعزل عن العبث في العمل ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث ثلث للعلم وثلث للعبادة وثلث للنوم فثلث العلم للناس وثلث العبادة لآخرته وثلث النوم لنفسه ولكل حق يجب أداؤه وهذه القسمة أفضل من قيام الليل كله لان النوم لا بد منه في حفظ الحياة وقد جعل الله الليل سكنا وفي حديث البخاري « قم ونم » وهذا من الجلي الذي لا يحتاج لزيادة البيان وأعظم خدمة خدم بها الشريعة المطهرة وضعه لقواعد أصول الفقه التي هدى بها العلماء الى كيفية استنباط الاحكام من الكتاب والسنة على وجه السداد وسهل على المشتغلين بالفقه الاجتهاد

ومن محافظته على السنة ووقوفه مع نصوصها ما تواتر عنه من انه كان يقول « اذا صح الحديث فهو مذهبي » وانه كان يأمر ان يضرب بكلامه عرض الحائط إذا خالف الحديث وقال في الرسالة (وهي أول ما كتب في علم الأصول) أخبرني أبو حنيفة ابن سماك ابن الفضل الشهابي قال أخبرني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح الكعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح « من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ان أحب أخذ العقل وأن أحب فله القود » قال أبو حنيفة فقلت لابن

أبي ذئب أتأخذ بهذا يا أبا الحارث فضرب صدري وصاح صياحا كثيراً ونال مني وقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أتأخذ به نعم آخذ به وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه وان الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وسلم من الناس فهداهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك . قال وما سكت حتى تمنيت أن يسكت

وكان يعظم النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام) عند ذكره بمثل قوله فداه أبي وأمي وبصلوات بليغة لم يلهمها أحد من قبله وقال يصف هداية القرآن في الرسالة بعد جملة طويلة في الصلاة المشار اليها محفوفة ببليغ الثناء

« وأنزل عليه كتابه فقال (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فنقلهم من الكفر والعمى ، إلى الضياء والهدى ، وبين فيه ما أحل منّاً بالتوسعة على خلقه وما حرم لما هو أعلم به من حظهم في الكف منه في الآخرة والأولى ، وابتلى طاعتهم بان تعبدهم بقول وعمل وامساك عن محارم حماهموها ، وأثابهم على طاعته من الخلود في جنته ، والنجاة من نقمته ، ماعظمت به نعمته جل ثناؤه ، وأعلمهم ما أوجب على أهل معصيته ، من خلاف ما أوجب لاهل طاعته ، ووعظهم بالاخبار عن كان قبلهم ممن كان أكثر منهم أموالا وأولادا ، وأطول أعمارا وأحمد آثارا ، فاستمتعوا بخلاقهم في حياة دنياهم ، فآزفتهم (*) عند نزول قضائه مناياهم دون آمالهم ، ونزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم ، ليعتبروا في أُنُف الأوان ، (١) ويتفهموا بجلية التبيان ، ويتنبهوا قبل رين الغفلة ، ويعملوا قبل انقطاع المدة ، حين لا يعتب مذنب ولا تؤخذ فدية ، وتجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا . فكل ما أنزل الله في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة علمه من علمه وجهله من جهله لا يعلم من جهله ولا يجهل من علمه

« والناس في العلم طبقات ، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العمل به فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون

(*) آزافتهم أعجلتهم (١) يعني مستقبل الوقت وما يتجدد منه

طلبه، واخلاص النية لله في استدراك علمه نصا واستنباطا والرغبة إلى الله في العون عليه فانه لا يدرك خيرا إلا بعونه فان من أدرك علم احكام الله في كتابه نصا واستدلالا ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه وانتفت عنه الريب، ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الامامة، فنسأل الله المبتدي لنا بنعمه قبل استحقاقها، أن يديمها علينا مع تقصيرنا في الاتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس وأن يرزقنا فهما في كتابه ثم في سنة نبيه، وقولا وعملا يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيده،

(لها بقية)

آثار علمية أدبية

« الشعر في شكوى الزمان »

كتب الادب العربية ملأى من شكوى الزمان فما من أديب ولا عالم قال الشعر الا وشكا من سوء حظه وعتب على الزمان وأنحى على الدهر بالذم على رفعه قدر الجهلاء، وغمصه حقوق الفضلاء، منهم المكثر في ذلك كأبي العلاء المعري ومنهم المقل. ومن المتبرمين من كان لهم عند الأمراء والعظماء القدر الرفيع والجاه المنيع لكنهم كانوا يرونه دون ما يستحقون، وقد ذكر حكيم زمانه العلامة ابن خلدون في مقدمته ان رجال العلم والدين قلما تكون عندهم الثروة. وهذه القاعدة قد تغيرت أو هي تتغير تدريجا بأساليب العمران الجديدة المبنية على العلم ورفعة قدر العلماء والأدباء فقد كان لفيكتور هيكو شاعر الفرنسيس من الحرمة عند قومه مالم يكن للملوك أو الامبراطورين، وليس من غرضنا في هذه النبذة الخوض في هذه المسألة من الجهة العلمية الفلسفية فنتوسع في البيان ونأتي بالشواهد عليه، وانما أوردناه في باب الأدبيات فنأتي عليه ببعض الشواهد الأدبية قال بعضهم

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل وخفض لذي علم فقالت خذ العذرا

بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم　　وأهل التقى أبناء ضرتي الاخرى

وقال الامام تقي الدين بن دقيق العيد

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها　　أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا كأنا غير جنسهم　　منازل الوحش في الاهمال عندهم
فما لهم في توقي ضرنا نظر　　ولا لهم في ترقي قدرنا همم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم　　مقدارهم عندنا أولو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى　　وعندنا المتعبان العلم والعدم

وقد ناقضه الفتح الثقفي المنسوب للزندقة فقال وأجاد

ان المراتب في الدنيا ورفعتها　　عند الذي نال علما ليس عندهم
لاشك أن لنا قدرا رأوه وما　　لقدرهم عندنا قدر ولا لهم
هم الوحوش ونحن الانس حكمتنا　　تقودهم حيثما شئنا وهم نَعَم
وليس شيء سوى الاهمال يقطعنا　　عنهم لانهم وجدانهم عدم
لنا المريحان من علم ومن عدم　　وفيهم المتعبان الجهل والحشم

ولعمري ان ابن دقيق العيد كان في عصره محل التعظيم والتمجيد لان عصره كانت الامة فيه حية تقدر الفضل قدره بالنسبة لما هي فيه الآن وله من الشعر مايومي الى ان العلماء كانوا معظمين ومكرمين فقد قال في التوجيه باصطلاحات الاصول

قالوا فلان عالم فاضل　　فاكرموه مثلما يرتضي
فقلت لما لم يكن ذاتقى　　تعارض المانع والمقتضي

﴿ الجمعية الخلدونية في تونس ﴾

طالما نوهنا بان الجمعيات المالية هي التي تنفخ في الامم روح التقدم والعمران ولا نسر بشيء نكتب عنه في جريدتنا كما نسر بذكر الجمعيات الاسلامية الناجحة . وقد حملت الينا جريدة الحاضرة التونسية الغراء خبر الاجتماع السنوي الذي عقدته

الجمعية الخلدونية في تونس فلخصنا من تقرير رئيس الجمعية صاحب الفضائل والفواضل السيد البشير صفر عيونه

بين الرئيس أولا ان الجمعية دائبة على العمل بلا افتخار ، ولا نفخ في المزمار ، لان الغاية أجل وأسمى من سفاسف التباهي وحب الاشتهار ، وان المقصد منها بث المعارف التي عليها مدار العمران (قال) سيما وقد صيرتنا صروف الاحوال ، أحوج اليها من الظمآن الى الماء الزلال ، ثم السير بالتعليم ، في منهاجه القويم ، وتكلم عن المالية فأبان أن أربعين ونيفا من الاعضاء المشتركين تأخروا عن تسديد معلوم اشتراكهم (ياللاسف والعار) قال ولو زادت الموارد لاتسع النطاق ، بنشر مجلة في الآفاق ، واعانة بعض المبرزين من أبناء مدارسنا على مزاحمة غيرهم في حلبة السباق ، اذ هذا العصر كما تعلمون عصر صارت فيه قيمة العباد ، بحسب الاستعداد ، لا بمجد الآباء والاجداد ، ثم تكلم عن التعليم والمتعلمين بما نصه

(التعليم) — أما طريق التعليم فقد سارت فيه لجنتكم بفضل الله سيراً حثيثاً وذلك انها اعتبرت أولاً لزوم تسهيل المطالعة والمراجعة فأحدثت مكتبة احتوت على نيف ومائتي مجلد كبير وصغير في فنون شتى كالجغرافيا والحساب والهندسة والجبر وحفظ الصحة وغيرها وجميع هذه الكتب عربية العبارة سهلة المأخذ فانتفع بها المعلمون والمتعلمون ولا زالت هذه المكتبة قابلة للكمال والتحسين والمأمول ان توجه نحوها عناية اللجنة القابلة .

« ثم رأت لجنتكم ان التعليم آخذ في مفهومه وجود المعلم والمتعلم وان الأول ربما انفصم حبل استمراره على التدريس إذا لم يشد بوثاق الأجر العاجل ، والثاني يوشك ان ترتخي عزيمته اذا لم تعالج بمنشطات الخير الآجل ، ولذلك طلبت من الحكومة المحمية بواسطة جناب مدير العلوم والمعارف ان تؤجر المعلمين إذ لا تسمح بذلك الآن مواردنا الماليـة ، وان تضع امتيازات للمتعلمين كي يجتنوا ثمرة اقبالهم على الفنون العصريه ، وقد أجابت الدولة هذين السؤالين فكرمت من جهة بتخصيص مرتبات وقتية للقائمين بالتعليم المستمر ومن جهة أخرى أصدرت أمراً علياً تعلمون أيها السادة فحواه ومداره على ترشيح الجامعين بين العلوم العربية والفنون

النافعة وتقديمهم على من سواهم في كثير من الوظائف الإدارية وهي عناية من الحكومة تستوجب الثناء الجميل والشكر الجزيل وبذلك أصبح اليوم هيكل جمعيتكم في قرار مكين اذ أقيمت دعائمه على أساس متين

المتعلمون — ابتدأت دروس الخلدونية أثناء السنة الفارطة وأوائل السنة الجارية وعدد الطلبة زهيد ، ولا عجب فقد كان مشروعنا ككل جديد موضوعاً للقال والقيل وذهبت الأفكار في شأنه مذاهب بين مستحسن ومنتقد فلا غرو ان كان الطلبة يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى في وقت كانت الخلدونية فيه مرمى السهام ، من بعض ذوي الافهام، مع اننا بحمد الله لسنا ممن ينحرف مع الإلحاد، أو يسعى في الأرض بالفساد ، وأي ذنب لنا في هذا الباب ، يا أولي الالباب ، سوى غيرة ملية بعثتنا على السعي بقدر الاستطاعة في بث فنون كانت ولم تزل محط الرجال، لفحول الرجال ، في كثير من الأجيال ، إذ عليها مدار العمران ، وما بعد العيان بيان ، فان كنا في ذلك آثمين ، وعن منهج الاصابة ضالين ، فقد أثم من قبلنا ذوو هم ما نحن منهم الا كقطرة من يم ، أثم من قبلنا الخليفة المأمون ، ناشر لواء هذه الفنون ، وأثم ابن سينا والفارابي وابن رشد وابن الهيثم وابن طفيل وغيرهم من الجهابذة الاعلام ، الذين وسعوا دائرة هذه العلوم في الاسلام ، فاكسبوا أمتهم فخراً بين الاقوام ، ومجداً لم يزل حديثه موضوع الكلام لدى الخاص والعام ، فان كان هذا الذنب ونحن في البداية ، فنعم الذنب ونعمت الغواية ، نسأل الله ان يمدنا فيها بالعناية حتى النهاية ،

لكن لا لوم ولا عتاب فقد انتقد المنتقدون قبل ان يتبينوا وهاهم اليوم ادركوا كنه المقصود فصاروا جزاهم الله خيراً من المساعدين ، بعد ان كانوا من المثبطين ، والدليل لم تفتح دروسنا منذ شهرين الا وتقاطرت عليها أفواج الطلبة من كل حدب وفيهم من أحرز رتبة التطويع بالجامع الأعظم دام عمرانه وكثير من طلبة المطولات وفيهم من هم دون ذلك وجميعهم أفكار وقادة وقابلية كبرى للتحصيل

وهنا لا بد من الاعتراف بأن الفضل في ذلك راجع الى السادة العلماء الاعلام ، هداة الأنام ، إذ عن اشارتهم حققت الآمال ، بهذا الإقبال

« أما عدد الطلبة المثابرين اليوم على دروس الخلدونية فمعدله مائة وخمسون

جعلناهم ثلاثة أقسام مع المحافظة على الشرط الذي التزمناه من عدم التداخل في الأوقات بين ساعات التعليم هنا وساعات التدريس بالجامع الأعظم فجاء التقسيم على الصورة الآتية

القسم الأول — معدل تلامذته عشرة ودروسه من الساعة الخامسة الى الساعة السابعة مساء بالتعديل العربي وهذا القسم مؤلف من تلامذة الخلدونية من حين نشأتها فكانوا بذلك على درجة حسنة في التحصيل إذ قد أتموا فن الجغرافية السياسية والطبيعية لأقسام الأرض الخمسة مع تفصيل الجغرافية التونسية والالمام بجانب مهم من الجغرافية التجارية والتاريخية كما درسوا أيضا دراسة اتقان فن الحساب بجميع عملياته صحيحا وكسرا وجميع قواعده المحتاج اليها في المعاملات وحساب المكاييل والمقاييس الجاري بها العمل في هذا القطر

ودرسوا ما به الحاجة من المساحة والهندسة العملية وهم الآن بصدد تعلم الهندسة النظرية بحيث يمكن أن يقال ان هذا القسم أحرز المطلوب (إلا في التاريخ) للتحصيل على شهادة الترشيح غير أن إقبال تلامذته على العلوم النافعة سما بهم الى حب الترقي والتقدم ولذلك جعل لهم درس في الجبر وعن قريب إن شاء الله توضع لهم دروس في التاريخ العام وفي قياس المثلثات وما يلزم لتعاطي الرياضيات من اللوغر ثم استخراج الجذور ،

القسم الثاني — من مضي ساعة إلى ساعتين بعد الزوال ومعدل تلامذته مائة وعشرون وهؤلاء باشروا الدروس منذ شهرين فأتموا جغرافية أوربا وآسيا وأفريقياء وهم الآن بصدد الجغرافية التفصيلية للبلاد التونسية ، ودرسوا من الحساب عملياته الاربعة للأعداد الصحيحة والكسرية الأعشارية والاعتيادية مع ما يتبعها من التمرينات وحل المسائل الحسابية و بعد قليل يشرعون في الهندسة العملية ثم التاريخ

القسم الثالث — من الساعة السابعة إلى الثامنة ومعدل تلامذته أربعون وهو كالقسم الثاني في التحصيل

هذه هي الدروس الرسمية وما عداها جعلنا مسامرة طبية في كل أسبوع ودرسين أسبوعيين في اللغة الفرنسوية ودرسين الترجمة

وبما تقرر يظهر لسيادتكم ان لجنتكم لم تأل جهداً في ترتيب الدروس على وجه وجه كافل ان شاء الله للحصول على المقصود من بث مبادئ المعارف النافعة تدريجا بين نجباء هذا القطر وعلى الله الاتكال في بلوغ الا مال

وقبل الختام استسمح سيادتكم في اسداء عاطر الثناء لاخواني أعضاء اللجنة الذين شاركوا فيما شرحناه لكم من الأعمال واخص منهم بالذكر الفاضلين الأكملين سيدي العربي العنابي كاتب اللجنة وسيدي عبد العزيز الحيوني حافظ ماليتها على ماأظهراه من الحزم والاجتهاد واختلاس نفيس الاوقات للقيام بما عهد اليهما من الكتابات والحسابات وفقنا الله جميعا الى خدمة الأوطان بما تقتضيه حالة الزمان اه

ثم تلا الرئيسَ أمين صندوق الجمعية الفاضل السيد عبد العزيز الحيوني فبين دخل الجمعية في هذا العام وهو بحساب الفرنك ١٦ر٣٩٦١ و بين نفقاتها وهي بحساب الفرنك أيضا ١٤ ر١٤٩٨ وقد فصل ذلك تفصيلا · فنسأل الله تعالى ان ينجح مساعي هذه الجمعية المفيدة ويجزي أعضاءها الكرام وكل من يساعدها ويعضدها أفضل الجزاء بمنه وكرمه

ذكرت جريدة الحاضرة الغراء خبر الاحتفال السنوي لأعانة التلامذة الفقراء في المكاتب وانه كان في هذه السنة على أحسن حال اذ أقبل على المشاركة فيه سمو الباي المعظم وولي عهده الا كرم وسائر آل بيته الكرام وكذلك أولوا الحل والعقد من الفرنساويين والتونسيين · وذكرت ان حضرة الامير سيدي محمد الناصر باي تفضل فوق الاعانة المالية باعارة آلة ناطقة (فونغراف) لتفكهة من حضر الاحتفال من الذين لا يعرفون هذا المخترع العجيب وقد ابتهج القوم لحسن منطق الآلة بالالحان والاغاني والاناشيد التي من ألطفها أبيات لحضرة العلامة الفاضل سيدي سالم بوحاجب نظمها عن لسان حال الآلة فانشدتها الآلة بمقالها مطلعها

لكم يا سادتي أهدي سلامي وأبدي سر صنع ذي احتكام
فهل قبلي رأيتم أو سمعتم جمادا يستميلك بالكلام
يشافهكم بألفاظ فصاح ويسليكم بنثر أو نظام

ومنها

فهذا كله رمز لحالي ومنه غدا المعمى ذا انفهام
ولا تعجبوا فالكون تبدو بدائعه على طول الدوام
وأصل جميعها العرفان كم قد تيقظ أهله غب المنام
وكم نفعوا العباد بما ابانوا وما أدراك مانفع الانام
وكم قالوا وقلتم ذا محال وبعد الكشف صرتم للوئام
فأهل العلم أهل ان يقولوا لمن يعزو لهم طيش السهام
اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ماقالت حذام

محاورة في اصلاح التعليم (*)

(في الازهر)

لولا أن اليأس من روح الله مقصور في كتاب الله على القوم الكافرين لقلنا كيف يرجى اصلاح حال أمة يعتقد علماؤها ان الاصلاح محال، وان العمل على ارجاع مجد الدين عبث وضلال ، لان الزمان فسد والساعة قربت وظهر في الناس مصداق الاحاديث بغوايتهم وتركهم للدين ولا يوجد احاديث أخرى تدل على انهم يرجعون الى هديه . وأن العلوم العصرية حتى الحساب والتاريخ مضلة للامة صادة لهم عن سبيل الحق مسجلة عليهم الحرمان من السعادة. وأن السعادتين الدنيوية والاخروية — اللتين حث عليهما الاسلام — لاتنالان الا بدراسة هذه الكتب المطولة في النحو والفقه وان كان أكثرها عقيما لايصلح لسانا ولا عملا ، ولا يقي الآخذ به زيغا ولا زللا، وأن ماسوى ذلك من علوم التفسير والحديث والتهذيب لاضرورة تدعو

(*) هي المقالة الثانية من العدد الثاني والاربعين الصادر في يوم السبت ٢٤ شعبان سنة ١٣٩٦ الموافق ٢٦ ك ٢ (دسمبر) سنة ١٨٩٩ وحذفنا المقالة الاولى لاننا اعدنا نشرها في المجلد التاسع (ص٦٦٤ م ٩) كما تقدم

اليها بل لاحاجة لتعلمها اذ تقليد الفقهاء هو المتحتم على كل فرد من أفراد الأمة ومن اعتقد صحة حديث نبوي مخالف لقول فقهاء مذهبه وقال آخذ بالحديث دون قول الفقيه فذلك زنديق (نعوذ بالله تعالى)

وهل يوجد في علماء المسلمين من هبط بدينه وعقله الى هذه الاعتقادات والآراء؟ نعم وانا لنخجل من كتابة ذلك عنهم ونشره بين الناس ولكن الضرورة تلجئنا الى نشره لأنه أدوأ أمراضنا ومن كتم داءه قتله · اجتمع بعض الناس بشيخ من اكابر علماء الازهر وتذاكرا فيما لهجت به الجرائد من الاصلاح وأن تعليم الازهر لا يرجى منه خير للملة كما جاء في بعض الجرائد الهندية ونقلته الجرائد المصرية (المؤيد والمنار) فقال (الانسان) لاحاجة الى تكليف كل طالب للعلم ان يدرس جميع مطولات كتب الفقه لاسيما مالا يتعلق به عمل كفقه المالكية والشافعية ماعدا العبادات وما في معناها فمن الاصلاح في التعليم أن يخصص بعض فقهاء المالكية مثلا لقراءة المطولات لمن يرغب في ذلك وتتوجه همته اليه من الطلاب إذ هذا الفريق هو الذي يرجى منه حفظ المذهب واتقانه ويقتصر باقي الطلاب على درس الكتب المختصرة أو المتوسطة بحيث يعرفون الواجب عليهم من ذلك ويعرفون أساليب الفن حتى اذا مادعتهم الحاجة الى التوسع فيه أمكنهم ماأخذوا من تحصيل مالم يأخذوا وان يصرف هؤلاء الوقت الذي كانوا يصرفونه في قراءة مطولات الفقه الى علم القرآن والحديث وأخلاق الدين التي هي الفقه الحقيقي عند الله ورسوله لانها هي التي يكون بها الوعظ والارشاد والبشارة والإنذار قال عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

قال حجة الاسلام الغزالي في هذا المقام مامعناه ومعلوم ان علم الاجارة والسلم ونحوه مما يسمونه فقهاء لا يحصل به الانذار ولا يرجى به الحذر من أسباب الشقاء فليس مما عناه القرآن

فأجاب (الشيخ) هذا (الانسان) بما محصله ان علم الحديث لا حاجة اليه في هذه العصور البتة — أما من حيث الرواية فقد فرغ منه من قرون وأما من حيث الدراية فلا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث بل الواجب الأخذ بكلام الفقهاء ومن ترك كلام

فقهاء مذهبه للأخذ بحديث مخالف له فهو زنديق (كبرت كلمة هو قائلها) فتعجب الانسان وقال أنا أرى أن الذي يترك كلام صاحب الشريعة المعصوم الذي يعتقد صحته وانه قاله ويأخذ بكلام فقيه يجوز عليه ترك الحق عمدا وخطأ هو الزنديق. فقال الشيخ صاحب الكلمة يجوز أن يكون الحديث الذي يأخذ به ضعيفا أو موضوعا فقال الانسان انما كلامنا في حديث يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا أقدر أن أفهم معنى إسلام رجل ينبذ ما يعتقد أن نبيه قاله لقول أي انسان من الأناسي ،

ومن الغريب ان كثيراً من الشيوخ يعتقدون صحة قول صاحب هذه الكلمة الأثيمة وسنبين في الكلام على تقصير العلماء ان هذه الكلمة لبعض المتفقهة الذين لا يؤخذ بقولهم في الترجيح والتصحيح فضلاً عن الاستنباط والتشريع ولم تنقل عن أحد من المجتهدين (حاشاهم) بل صح عنهم الأمر بالأخذ بالحديث وضرب عرض الحائط بكلامهم إذا هو خالفه كما رأيت في العدد الماضي عن الامام الشافعي. وكما يقولون تلك الكلمة في شأن الحديث يقولونها في شأن القرآن أيضاً وهي أعظم ضلالة وقع فيها أصحاب العمائم الاسلامية وقد اتبعوا فيها سنن من قبلهم فقد كان الكتاب المقدس عند الأمم النصرانية مقصوراً على رجال الدين لا يجوز لأحد ان يتناوله إلا على سبيل التبرك ومن قال فهمت منه كذا أو أعمل بما أفهم منه وان خالف كلام قسوس الكنيسة وأحبارها حكموا بمروقه من الدين وهكذا كان شأن اليهود من قبل أيضا. ومع هذا فان هؤلاء الشيوخ يفسرون حديث « لتتبعن سنن من قبلكم الخ » بما يشتهون فاذا خاضوا في غيبة الحكام وأبناء الدنيا قالوا وا أسفاه قد ضاع الدين وصدق فينا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فاتبعنا سنن من قبلنا فترك حكامنا العمائم والجبب والفرجيات والبوابيج الصفر ولبسوا الطربوش والبنطلون والجزمة الخ الخ وأكلوا على الموائد المرفوعة بالآنية الافرنجية الخ الخ فكأن الدين انما أنزل لبيان الأكل واللباس ولا يقوم إلا بذلك وفاتهم أن النبي عليه السلام لبس الجبة الرومية والطيالسة الكسروية ولكنه لم يوسع اردانه ويجر أذياله كما يفعلون وقد جمح بنا القلم فلنعد إلى المحاورة

قال (الانسان) انما سلمنا ان الأخذ بكلام الفقهاء متعين وان خالف الحديث

الصحيح فهل يفيد ذلك ان الحديث لا فائدة فيه مطلقا ؟ أليست آداب الدين وفضائله مبثوثة في الأحاديث النبوية ؟ ألا يكون المتفقه الواقف على الحديث على بينة من مذهبه ؟ ألا ينبغي له إذا رأى فقهاء مذهبه قد تركوا الأخذ بحديث ان يبحث عن السبب في ذلك ليطمأن قلبه لقولهم ؟ ومن هنا انتقلا الى البحث في ترقية الأمة الاسلامية فقال الانسان المشار اليه ان الدين انتشر بالتعليم والارشاد فاذا صلح أمر التعليم والارشاد يصلح حال المسلمين و يعود للدين شأنه فخالفه الشيخ في كل ما ذهب اليه غير قيام الدين بالدعوة والتعليم والارشاد قائلاً ان الحكومة هي ترقي الأمة وتقويها و بدونها لا يكون في الأمة ترق أو اصلاح فرد عليه بنحو ما كتبناه في ابطال هذا الزعم غير مرة

ثم قال له نحن نتكلم في اصلاح شؤون الأمة الملية لا الإدارية والسياسية فقال الشيخ بعد غض النظر عن كون هذا يطلب من الحكام أيضا أقول ان الذي حل بالمسلمين هو مصداق الاخبار الصحيحة ولا يمكن زواله فهو دليل قرب الساعة وانقضاء عمر الدنيا (هذا غاية استفادته من علم الحديث فان كان كل من يقرأ الحديث في الأزهر يقع في القنوط واليأس من اصلاح الأمة فنحن على رأيه في عدم لزومه أوفي لزوم عدمه) وأورد عليه حديث (بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدا) فقال له (الانسان) ان هذا حجة لي فأنا أقول ان الاسلام غريب و يعود كما بدا بالدعوة والتعليم والإرشاد فيجب على المسلمين عامة والعلماء خاصة ان يعملوا على اعادته

هذا بعض من كل أوردناه على سبيل الاعتبار بحالتنا والتصديق لما كتبه العلامة شبلي النعماني مدرس العلوم العربية في كلية عليكده في الهند من أن تعليم الأزهر لا يرجى منه خير للاسلام إذا بقي على حاله . ولكن لنا الأمل بعلمائه العقلاء ان يتبصروا ويتدبروا و يمعن النظر من لم يقف منهم على أحوال الزمان بأقوال من وقف واختبر ويتعاونوا جميعا على اصلاح التعليم ومتى أنصفوا في المذاكرة تنجلي لهم شبههم التي يحتجون بها على اليأس من الاصلاح بالتعليم وان الخير في هذه

الأمة الى يوم القيامة وقد ورد انها كالمطر لا يدرى الخير في أوله أو في آخره وسنعود إلى هذه المواضيع ان شاء الله تعالى و بالله التوفيق

انتشار الاسلام

جاء في جريدة الحاضرة الغراء تحت هذا العنوان ما نصه

ظهر للبعثات الدينية التي ذهبت حديثا الى مجاهل آسيا وافريقيا على اثر دخول دول اوروبا اليهما ان الاسلام منشور في كثير من البلدان وان أهله على غاية الرقة واللطف بخلاف بقية الطوائف من البربر والمجوس والوثنيين وغيرهم ممن لا يدينون بدين

والمسلم هناك ممتاز عن غيره بالفضائل والكمالات الانسانية وبحسن البزة والنظافة بخلاف بقية الاهالي الذين لا يعرفون شيئاً والطهارة عندهم مفقودة لا وجود لها

ولا أحد يعلم كيف كان دخول الاسلام الى مجاهل تلك البلاد ولكن يظن انه كان من نتائج اسفار المسلمين وتوغلهم في داخلية البلاد بقصد الكسب والاتجار فلما آنس الاهالي منهم الامانة والوفاء اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا وعاينهم الدين الاسلامي فأنار أبصارهم و بصائرهم واخرجهم من حطة البهيمية الى خطة الاسلامية

قال المسيو ريمون الرحالة الشهير انه اثناء تطوافه في مجاهل افريقيا لم يكن ليأمن على نفسه وعلى رجاله الا عند المسلمين فكان يصادف منهم انسا ولطفا وحسن ضيافة بخلاف جيرانهم من الناس الذين لا دين لهم فكثيرا ما غدروا به و برجاله حتى كان يضطر الى استعمال الاسلحة النارية دفاعا عنه وعن رجاله

وقد كتب رسالة طويلة في الاسلام والمسلمين مدحهم بها وفضلهم على سائر الامم والشعوب وقال ان نور الاسلام انتشر كثيرا في جهات افريقيا وآسيا وكان انتشاره طبيعيا لان المسلمين كانوا قدوة في أعمالهم الحسنة لسائر جيرانهم فاحتذوا بهم وحذوا حذوهم و بالتدريج عرفوا ما الاسلام فاعتنقوه وصاروا مسلمين

الاسلام مظهر الاحترام من جميع الشعوب ولهذا أخذ يتوسع نطاقه وينتشر نوره في جميع أطراف الدنيا ولا محل هنا للكلام عما هو عليه في الهند والصين واليابان وغيرها لان أمره صار معروفا لدى الخاصة والعامة وانما الذي يستحق الذكر ما ظهر للرحالات والطوافات من أن المسلمين كثيرون وهم يزيدون على ثلاثمائة مليون فان الفرنسويين والبلجيكيين وجدوا عددا وفراً من المسلمين في البلاد التي فتحوها حديثاً ووجد الالمانيون والانكليز مثل ذلك أيضاً

وفي بعض الروايات انهم استخدموا كثيرين من المسلمين في معسكراتهم فصادفوا منهم غاية الامانة وحسن الوفاء الى غير ذلك

ويظن ان أهل الجغرافية متى وقفوا على مجاهل البلاد وعلموا ما فيها من المسلمين صححوا جغرافياتهم وعلموا أنه يوجد في الارض من أهل الاسلام مايزيد على ٤٠٠ مليون من النفوس والله أعلم

﴿ خطاب اللورد كرومر ﴾

ألقى اللورد كرومر في ٤ يناير خطابا في أم درمان على جمهور من عمد السودان ومشايخه وأعيانه حضره سعادة السردار وبعض الانكليز وعد فيه السودانيين بأن حاكمهم من قبل الحكومة الانكليزية والحكومة الخديوية هو السردار لان جلالة الملكة وسمو الخديوي يثقان به وانه يكون مستقلا في حكمه قال « فلاناس لادكم من مدينة القاهرة ولا من مدينة لندن بل ان الذي يسوسكم هو السردار ومنه تطلبون العدالة وحسن الاحكام وانا على يقين من أن أملكم لا يخيب » ثم بين لهم أن جلالة الملكة ورعاياها متعلقون بدينهم ويعلمون كيف يحترمون دين غيرهم وأن المسلمين الذين تحكمهم وهم أكثر من كل ما يحكمه غيرها من الملوك يعيشون في الراحة والاطمئنان تحت حكمها الهنيء وكذلك يكون السودان « فلا يتعرض لكم أحد في دينكم على الاطلاق » فقاطعه بعض المشايخ سائلا هل يتضمن هذا الوعد الجري على الشريعة فقال اللورد « نعم » ثم وعدهم بالعدالة والانتظام ومحو آثار العسف المصري القديم وانه لا يؤخذ منهم الا الضرائب التي تضرب عليهم وان الموظفين

من الانكليز ستقيم في كل مركز لاجراء الاحكام طبق هذه المبادئ
خطب اللورد بالانكليزية وترجم خطابه سكرتيره حرفيا

﴿ وميض لمع في ظلمات بدع ﴾

الحمد لله قد تنبه المسلمون من جميع الطبقات الى الاصلاح فهم يعرجون في مراقيه تدريجا فكما نسف بعض الفضلاء بدعا كثيرة من المآتم قام بعض شيوخ الطريق بمحو أضاليل ومنكرات من الموالد وعسى أن يستمر هذا السير ويقلد الناس بعضهم بعضاً في طرق الخير

كتبنا غير مرة في منكرات الاجتماعات والاحتفالات التي تقام في الديار المصرية للاموات من الصالحين ورجال الطريق ويسمونها الموالد وقد توهم مرضى اليأس من الاصلاح ان هذه الموبقات قد رسخت ولا أمل بالرجوع عن شيء منها وقد فندنا رأيهم الفاسد بالبرهان وكذبه أهل الاصلاح بالفعل ففي الاسبوع الماضي احتفل بمولد الولي الشهير سيدي دمرداش المحمدي (قدس سره) فجاء أهل الغواية الى ضواحي المسجد الدمرداشي يضربون الخيام للبغايا والمومسات و باعة الحشيش ونحوه من متلفات العقول والأموال فانتدب الاستاذ الكبير للطائفة الدمرداشية الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي لتقويض خيامهم وطردهم من ضواحي المسجد ولم يمكن أحد من المكث هناك وهذا أول مولد أقيم في الديار المصرية لم تقم فيه سوق مخصوصة للبغاء وشرب الحشيش والافيون والرقص والتهتك في الفحش الذي يسمونه (المساخر) وغير ذلك من الشعوذة والميسر (القمار) والتخنث بل ومن الألاعيب المعتادة كالاراجيح وخيمة الخيل والطبول والزمور وقد انتهى المولد طاهرا من هذه الرذائل وكانت ليلة أمس (الجمعة) موعد خروج الشيخ المومأ اليه ومريدي الطريقة من خلواتهم فاحتفل بذلك الاحتفال المعتاد وحشر الناس لحضوره أفواجا ومما امتاز به أهل هذه الطريقة على غيرهم نظافة ملابسهم فقد كانوا جميعا لابسي البياض وعدم وجود الاغاني وآلات الطرب في ذكرهم . فما أجدر كافة أهل الطريق بالاقتداء بهم في ذلك وعسى ان يكون الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرحيم خير قدوة

لهم في تطهير الطريق من كل البدع وتحريره على السنة السنية ولو بالتدريج

وهنا ننبه الذين يقيمون الموالد باسماء شيوخهم وأجدادهم أن يجروا على سنن المولد المحمدي الدمرداشي فيبطلوا الفواحش والمنكرات فان لم يفعلوا فليأذنوا بحرب من الله ورسوله وليعلموا ان سهام التوبيخ تصيب صدورهم وقوارع التقريع تقع على رؤسهم لا سيما اذا كانوا من المنتسبين للعلم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

رمضان المبارك (*)

استهل هذا الشهر الشريف وثبت بالرؤية شرعا ان أوله الجمعة (أمس) فأصبح المسلمون صائمين فاهلا بشهر انزل فيه القرآن وهو أكبر نعمة من الله على نوع الانسان. لانه صدق المرسلين ، وزعزع أركان الوثنيين ، ووضع أصول الوحدة في الاعتقاد والاجتماع ، ودعا إلى الحب والتأليف ، وأسس أركان العدالة في الاخلاق والآداب النفسية والعملية ، والاحكام القضائية والمدنية ، وساوى بين الناس في الحقوق واعتقهم من رق العبودية لغير الله ، وتمم مكارم الاخلاق ، وأرشد الى الكمالات الروحية ، مع عدم اهمال الحقوق الجسدية ، بل حث على طلب سعادة الدارين معا ، وخاطب العقل وجعله مشرق أنوار الدين ، ونبه الناس الى أن للكون سننا ثابتة لا تتبدل وهداهم الى مراعاتها والاعتبار بها ليصلوا الى كمالهم النوعي . فأجدر بالمسلمين أن يجعلوا القرآن في هذا الشهر سميرهم ، ومرشدهم وأميرهم ، وأن يضموا الى قراءته وإقرائه التدبر لآياته والمذاكرة في معانيه الشريفة والاعتبار بحكمه والاتعاظ بمواعظه والتأدب بآدابه لئلا يكون حجة عليهم فما أقبح من يقرأ أو يقرأ عليه مثل قوله تعالى « لعنة الله على الكاذبين » وقوله تعالى « إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون » وهو من الكاذبين ، يسمع المقروء عليه وهو يكذب ويفرغ القارئ من قراءته فيخوض في الكذب مع الخائضين فيكون قد لعن نفسه . أخرج الطبراني من حديث عبد الله ابن عمرو أن النبي صلى الله تعالى

*) فاتحة العدد ٤٣ المؤرخ في ٢ رمضان سنة ١٣١٦ — ١٤ يناير (ك ٢) ١٨٩٩

عليه وسلم قال « اقرإ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه » واخرجه أيضا ابو نعيم والديلمي وله شواهد عند غيرهم . وأخرج الطبراني أيضا من حديث انس وكذا ابو نعيم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الزبانية أسرع الى فسقة حملة القرآن منهم الى عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم » وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى للقراء انكم قد اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه وتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار . وقال ابن مسعود الصحابي الجليل أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وأبي ذر جندب الغفاري رضي الله عنهما قالا لقد عشنا دهرا وأحدنا يوتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يوتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ مابين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ماينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدقل (محركة الرديء من التمر) قال بعض العلماء يدل قوله (لقد عشنا) الخ على ان ذلك اجماع من الصحابة . وفي حديث سعد عند ابن ماجه مرفوعا اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا . قال الامام الغزالي « ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت » فعسى أن يعير القراء والمستمعون هذه البينات التفاتا ولا يكتفوا بالتلذذ بالنغم وحسن الصوت والالقاء

اما الصوم الذي هو عبادة الشهر فرياضة بدنية ، وتأديب للشهوة البهيمية ، و إشعار للغني المنعم ، بحاجة الفقير المعدم ، بحيث تتحرك عاطفة الشفقة بالاحسان اليه ، و يعظم في نفسه مقدار الله عليه ، لان الاشياء تدرك قيمتها بفقدها ، والامور تعرف بضدها ، فمن غلبته الشهوة على نفسه ، وملكت عليه أمره ، فلم يصم فهو حيواني الطبع يزاحم الخنزير والقرد في خاصيتها وان من الحيوان ما يمسك عن الطعام والشراب لعلة الشرف فيقال ان الأسد لا يأكل من فريسة غيره

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب ولغن فيه

والذي يفطر في رمضان أحد رجلين إما كافر لا يدين بالاسلام كبعض الذين قتلت أرواحهم أدواء التمدن الإفرنجي وان لنا معهم كلاماً نوجهه اليهم في وقت آخر وإما جهول لئيم ليس له من الانسان الا صورته ولا من الدين الا أنه من طائفة يسمون مسلمين . والصوم الصحيح يهيء الانسان للتقوى فتكون مرجوة منه « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

ومن أدب الصيام كف الجوارح كلها عن المحرمات وأي اعتبار للكف عن الشهوات المباحة كالأكل والوقاع في الحل مع الانهماك في الشهوات المحرمة كالخوض في الباطل من كذب وغيبة وفحش . وفي الحديث الصحيح «إنما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث (الرفث محركة فحش القول والجماع ومقدماته) ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم » (أخرجه الشيخان وغيرهما) وقد ضرب الامام الغزالي للصائم المنهمك في المعاصي مثل من يبني قصراً ويهدم مصراً قال فان الطعام الحلال يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا تعداه الى تناول السم كان سفيها والحرام مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله و يضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش (أخرجه النسائي وابن ماجه)

ومن سجايا المسلمين المحمودة في رمضان كثرة الصدقات وكثرة التزاور وهما من أسباب التحاب والتآلف ولو انهم يجعلون حظا من سمرهم في ليلهم المذاكرة في شؤون الأمة والبحث في الأساليب والوسائل التي يمكنهم بها القيام لتربية النشء الجديد في بلادهم وتعليمه ما ينفعه وينفع أمته كلها معه لأمست منتدياتهم مهبط الفضائل ومبعث روح الحياة العزيزة . واننا نرفع التهنئة الى سيدنا ومولانا امير المؤمنين والي سمو مولانا العباس عزيز مصر ثم قراء جريدتنا الكرام بالشهر ونسأل الله تعالى ان يعيده على اهله بالعز والسعادة

﴿ سيرة الامام الشافعي رضي الله عنه ﴾

(بقية ما سبق)

ذكرنا في العدد الأسبق من سيرة الامام أثارة من علمه وشدة تمسكه بالسنة ووقوفه عند حدودها وتعظيمه بالحق لمن جاء بها وخذله للبدعة ونفوره منها وذلك كاف للتذكير بفضائله المسلمة ومناقبه الكثيرة ومما يؤثر عنه انه قال « من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى » وحسبك هذا الاثر وحده حجة على الذين يحتفلون بمولده وكنسة ضريحه فان صورة هذا الاحتفال بدعة مصبوغة بصبغة الدين ومواظبة أكابر العلماء عليها يوقع في قلوب العامة أنها مشروعة جاعلين اياها من زيارة القبور المأذون بها من الشارع ولكن زيارة القبور التي رخص فيهـا الشارع لاجل تذكر الموت لم تكن بهذه الكيفية من تعظيم القبر وجميع ما يحتف به حتى الكناسة والنسيج الذي يوضع عليه من نحو ستر وعمامة والوقوف حوله بغاية الذلة والخضوع بل والصلاة في جانبه فقد نطق التاريخ بان مثل هذا وجد أولا عند الوثنيين وسرى لبعض أهل الكتاب بالامتزاج بهم وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يلعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى في مرض موته كما في الصحاح وكان يقول في مرض موته أيضا « لا تتخذوا قبري عيداً » أخرجه في الموطأ . ويتوهم من لم يقف على نبأ الاولين والقوم الذين اشارت الاخبار الى اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد وأوثانا ونطق القرآن بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً أنهم كانوا يسمونهم آلهة و يعبدون أشخاصهم أحياء وقبورهم أمواتا عبادة حقيقية وليس كذلك بل كانوا يعظمونهم تعظيماً لم يأذن به الله فيجعلونهم وسطاء بينهم و بينه في قضاء حاجهم الدنيوية ووسيلة لمرض أعمالهم على رحمن البرية ويحتفلون الاحتفالات الدينية عند قبورهم كالصلاة والدعاء ويزعمون ان الله أعطاهم قوى روحية يتصرفون بها في الكون باذنه بمـا لا يصل اليه سعي

غيرهم ويطبقون أفعالهم واعتقاداتهم على نصوص الدين بالاستنباط والتأويل (١) ·
وكتبهم الدينية وكتب التاريخ شاهدة بذلك · أي معنى لانكار العلماء باسم الدين
على موحد لم يرض أن يضع العمامة التي توضع على ضريح الإمام على رأسه مثلهم
وعلى قوله إن أكل هذا البرتقال خير لي من وضعها على رأسي لانه ينفعني وهي
ليست من أسباب النفع مثله ؟ أليس هو من انكار المعروف ؟ ؟ لو ورد مثل هذا
عن الشارع لوجب أن نعده من الأمور التعبدية التي لا يقاس عليها ولذلك قال
سيدنا عمر في الحجر الأسود اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع(٢) ولولا اني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك · وقطع هذا الخليفة الذي أعزّ الله
به الاسلام الشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان واجتمع عندها النبي وخيرة
أصحابه وما قطعها رضي الله عنه الا لانه رأى بعض الناس يعظمها · لحذر ان يعتقد
فيها سببية النفع أو وسيلة الزلفى الى الله تعالى وتلك الوثنية بعينها ، لم لا ينكرون
المعاصي والمكروهات التي تقع هناك وهي كثيرة جدا

كان كاتب هذه السطور يوما ما في قبة الإمام وكان ثم جماعة من أكابر علماء
الأزهر وأشهرهم فأذن المؤذن العصر مستدبرا القبلة فقلت لهم لم لم يستقبل هذا
المؤذن القبلة كما هو السنة فقال احدهم « انه يستقبل ضريح الإمام » !! أوليس هذا
من الاقرار على المنكر ؟ وكذلك لا ينكرون على من يستقبل قبر الامام في صلاته
والإمام يتبرأ من ذلك لانه من المحظورات والمنكرات في الدين ومذهبه في ذلك معروف

هذا قليل من كثير والتعظيم الصحيح للإمام هو إحياء علمه واقتفاء أثره في
الاجتهاد في العلم والعمل والفضائل وذكره بالخير كالدعاء له فان حسن الذكر هو
الشرف الباقي وبمثل هذا كان يعظمه الامام أحمد بن حنبل بعد موته فقد جاء في الاحياء
عنه انه قال ما صليت منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي قال الغزالي « فانظر إلى
انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه
الاعصار وما يجري بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء

---

(١) كل ما ذكر عنهم آنفا فهو عبادة حقيقية (٢) وروي هذا مرفوعا أيضا

بهؤلاء . ولكثرة دعائه له قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف ، وكان أحمد يقول ما يمس أحد بيده محبرة الا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة » وأورد في الاحياء شواهد عن الامام تدل على تبحره في علم القرآن واخلاق الدين محتجا على الفقهاء الذين يزعمون اتباعه وهم أخلياء منها وذكر أيضا بعض الوقائع التي تدل على خشيته من الله تعالى وزهده في الدنيا ثم قال « ولا يحصل ذلك الى من معرفة الله تعالى فإنما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما »

أقول فليعتبر المخذولون الذين يقولون ان الدين كله في هذه الكتب الفقهية فينبغي صرف الهمة اليها ونبذ الكتاب والسنة ظهريا الا مايكون من التغني بالقرآن والتبرك بقراءة نحو البخاري أو الشفاء ولم تنحرف أمة عن هدي الدين أكثر من هذا الانحراف

وقال الامام أبو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي . وقال أبو زرعة الرازي ما أعلم أحدا أعظم منة على أهل الاسلام من الشافعي . ومحاولة استقصاء كلام الأئمة والعلماء في الثناء عليه محاولة محال ولكن لم ينقل عن واحد من أولئك الاخيار الذين كانوا يجلونه كل هذا الاجلال انه أخذ شيأ من كناسة ضريحه أو تبرك بثياب توضع عليه . فبمن نقتدي اذا اختلف الادلاء ، واذا تفرقت السبل فايها يسلك الجهلاء ؟ لا جرم أن النجاة في سلوك سبيل الاولين ، والاقتداء بالسلف الصالحين ، فلا تغتري أيتها العامة بالعمائم المكورة ، والاردان المكبرة ، والاذيال المجررة فالحق لا يموت بانتشار البدع في العالمين ، والله ولي المتقين

أما مذهب الامام في الفقه فهو أقصد المذاهب . ذلك أن الفقه إنما نفقت سوقه وزخرت بحاره في الحجازيين والعراقيين فأهل الحجاز وأشهر أئمتهم مالك بن أنس كانوا أصحاب رواية كثيرة ولذلك مهروا في فقه الحديث وأهل العراق واشهر أئمتهم أبو حنيفة النعمان وصاحباه برعوا في فقه القياس والامام الشافعي برع في الفقهين معاً

كما حققه ابن خلدون حكيم المؤرخين . وحسبك انه واضع علم الاصول الذي لم يصل الفقه الى درجة الكمال الا به

مناظرات الامام

كان له مناظرات مع ائمة عصره يعلم منها علو مدركه ودقة نظره في القياس نذكر منها هنا واحدة وهي ملخص المناظرة الشهيرة بينه و بين الامام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله تعالى عنهم

قال محمد ما تقول في رجل غصب من رجل ساحة فبنى عليها بناء انفق فيه الف دينار ثم جاء صاحب الساحة فأثبت بشاهدين عدلين ان هذا اغتصبه هذه الساحة و بني عليها هذا البناء ما كنت تحكم قال الامام اقول لصاحب الساحة يجب ان تأخذ قيمتها فان رضي حكمت له بالقيمة وإن أبى الا ساحته قلعتها ورددتها عليه . فقال محمد فما تقول في رجل اغتصب من رجل خيط ابريسم فخاط به بطنه فجاء صاحب الخيط فاثبت بشهادة عدلين ان هذا اغتصبه هذا الخيط أكنت تنزع الخيط من بطنه؟ فقال الامام لا . فقال محمد الله اكبر تركت قولك . فقال الامام لا تعجل اخبرني او لم يغتصب الساحة من أحد واراد ان يقلع هذا البناء منها ايباح له ذلك ام يحرم ؟ فقال بل يباح فقال الامام أفرأيت لو كان الخيط خيط نفسه فارد أن ينزعه من بطنه ايباح له ذلك أم يحرم ؟ فقال محمد بل يحرم . فقال الامام فكيف تقيس مباحا على محرم؟ فقال محمد أرأيت لو غصب رجل لوحاً وادخله في سفينة ولجج في البحر اكنت تنزع اللوح من السفينة ؟ فقال الامام لا بل آمره ان يقرب سفينته الى اقرب المراسي اليه ثم أنزع اللوح وأدفعه الى صاحبه . فقال محمد أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» فقال الامام هو أضر بنفسه ولم يضر به أحد . ثم قال الامام له ما تقول في رجل اغتصب من رجل جارية فاولدها عشرة كلهم قد قرؤا القرآن وخطبوا على المنابر وحكموا بين المسلمين فأثبت صاحب الجارية بشاهدين عدلين ان هذا اغتصبها منه ناشدتك الله بماذا كنت تحكم ؟ قال كنت احكم بان أولاده ارقاء لصاحب الجارية . قال الامام فأيهما أشد عليه ضررا أن يجعل أولاده أرقاء أو يقلع البناء من الساحة (ومثله أن يقلع اللوح من السفينة) اهـ

حكم منثورة تؤثر عنه

منها وددت أني اذا ناظرت أحدا أن يظهر الله الحق على يديه . ومنها طلب العلم أفضل من صلاة النافلة . ومنها أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه . الوقت سيف وافضل العصمة أن لا تجد . تفقه قبل أن ترأس فان رأست فلا سبيل الى التفقه ، دققوا مسائل العلم لئلا تضيع دقائقه ، جمال العلماء كرم النفس وزينة العلم الورع والحلم ، فقر العلماء اختيار وفقر الجهلاء اضطرار ، أقول يعني ان العلماء يفضلون الاشتغال بما هم فيه من العلم على الاشتغال بالكسب الذي يخرج الانسان من مأزق الفقر الى باحة الغنى فقرهم اختياري بخلاف الجهلاء فانهم لا يدعون سبيلا علموه للغنى الا اتخذوه ففقرهم اضطراري ، ومنها المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن ، أقول وما وسع خرق الخلاف بين علماء المسلمين حتى فرقوا دينهم بددا ، وذهبوا في مذاهبهم طرائق قددا ، الا المراء وعدم ارادة الحق بالجدال

ومن مناقبه رضي الله عنه ، انه قال ما كذبت قط ولا حلفت بالله صادقا ولا كاذبا وما تركت غسل الجمعة في برد ولا سفر ولا حضر ، ولا شبعت منذ ١٦ سنة الا شبعة واحدة طرحتها من ساعتي . وكان يقول من لم تعزه التقوى فلا عزله ، ومن حكمه : من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومنها من أحب أن يفتح الله عليه بنور القلب فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين لا يريدون بعلمهم الا الدنيا ، أقول لأن هؤلاء يميلون مع الهوى ويشترون الضلالة بالهدى يقول أحدهم « ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق » بخلاف الذين يقولون « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » فالذي يريد بعلمه سعادة الدارين تنير صحبته القلب ،

ومنها لو اجتهد أحدكم كل الجهد على أن يرضي الناس كلهم فلا سبيل له فليخلص العبد عمله بينه وبين الله تعالى ، ومنها لا يعرف الرياء إلا المخلصون ، ومنها سياسة الناس أشد من سياسة الدواب ، أقول لان الدواب لا تنازعك الرأي وأفرادها على طبيعة واحدة قال الشاعر

وليس يزجركم ما توعظون به　　والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

ومنها العاقل من عقل نفسه عن كل مذموم ، ومنها لو علمت أن الماء البارد ينقص مروءتي ماشربته ، أقول بهذه الشهامة والعزة تسود الأمم وتبلغ المعالي فليعتبر الذين يعدون الذل والمهانة من الدين ، ومنها ليس بأخيك من احتجت الى مداراته (وما أجلها كلمة وأروعها حكمة) ومنها من علامة الصادق في أخوة أخيه ان يقبل علله و يسد خلله و يغفر زلله ، ومنها من علامة الصديق ان يكون لصديق صديقه صديقا ، ومنها ليس سرور يعدل صحبة الاخوان ولا غم يعدل فراقهم ، ومنها لاتقصر في حق أخيك اعتماداً على مروءته ولا تبذل وجهك الى من يهون عليه ودك ، ومنها من وعظ أخاه سراً فقد نصحه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ، ومنها لا تشاور من ليس في بيته دقيق

ومنها من نم لك نم عليك ومن اذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك (أي مدحا) كذلك إذا أغضبته قال فيك ماليس فيك (أي ذما فليعتبر الذين يغترون بتملق المنافقين) ومنها من سامى بنفسه فوق ما يساوي رده الله الى قيمته

ومنها من كتم سره ملك أمره ، ومنها الانبساط الى الناس مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مجلبة للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط ، ومنها ما أكرمت أحداً فوق قدره الا نقص من مقداري بقدر ما زدت في اكرامه ، ومنها مداراة الأحمق غاية لا تدرك ، ومنها من ولي القضاء ولم يفتقر فهولص ، ومنها من خدم علم

اشعار مأثورة عنه

الشعر ديوان الأدب ومنهل الحكم وقلما يجيده العلماء لمزاحمة الملكات العلمية الملكته ولذلك ولكونه صار آلة للاستجداء ترفعوا عنه وللإمام شعر جيد لا سيما في الحكم ومع ذلك قد قال

(ولولا الشعر بالعلماء يزري　　لكنت اليوم أشعر من لبيد)

لما شخص الامام الى (سر من رأى) دخلها وعليه أطمار رثة وكان طال سفره فطال شعره فتقدم الى مزين فاستصغره لما نظر الى زيه وقال له امض الى غيري

فاشتد على الامام أمره فالتفت الى غلام كان معه وقال ايش معك من النفقة فقال عشرة دنانير فقال ادفعها الى المزين فدفعها اليه وولى الامام وهو يقول

عليّ ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أجل وأخطرا

وماضر نصل السيف أخلاق غمده اذا كان عضباً حيث أنفذته سرى

فان تكن الايام أزرت بزتي فكم من حسام في غلاف مكسرا

وهذه الابيات تنبيء عن رفعة وشمم وعزة نفس وعلو همة وكرم وسخاء ، وناهيك بها فهي أمهات الفضائل ، وغرر السجايا المقائل ، وما أجدر أئمة الدين بها والله تعالى يقول « ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » وفي الحديث الشريف « علو الهمة من الايمان »

وروى العلامة السبكي في طبقاته الكبرى بسنده الى أبي حيان النيسابوري قال بلغني ان عباسا الازرق دخل على الشافعي يوما فقال يا أبا عبدالله قد عملت أبياتا ان أنت أجزت لي بمثلها لا يؤمن أن لا أقول شعرا أبدا فقال له الشافعي ايه فأنشأ يقول

ما همتي الا مقارعة العدا خلق الزمان وهمتي لم تخلق

والناس أعينهم الى سلب الفتى لا يسألون عن الحجا والأولق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلقي

فقال الشافعي هلا قلت كما أقول استرسالا

ان الذي رزق اليسار فلم يصب حمدا ولا أجرا لغير موفق

فالجد يدني كل أمر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق

واذا سمعت بأن محظوظا حوى عودا فأثمر في يديه فصدق

واذا سمعت بأن محروما أتى ماء ليشربه فغاض فحقق

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقد أورد هذه الأبيات ابن خلكان في ترجمة الإمام وعد منها قول عباس الأزرق لو كان بالحيل الغني — البيت — وزاد بعده بيتا آخر وهو :

لكن من رزق الحجا حرم الغنى ضدان مفترقان أي تفرق

وتقص منها قوله (وأحق خلق الله بالهم امرؤ) البيت

ومن حكمه المنظومة في الشعر، كما ينظم في السلك نضيد الدر، قوله

كلما أدبني الدهـر أراني نقص عقلي

واذا ما ازددت علما زادني علما بجهلي

ومنها ومنزلة الفقيه من السفيه كمنزلة السفيه من الفقيه

فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه

ومنها هذا البيت المفرد

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

ومنها وهو مما ينبئ عن كرمه، وشرف شيمه

يالهف نفسي على مال أجود به على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسألني مالبس عندي من إحدى المصيبات

ومنها في الصداقة

صديق ليس ينفع يوم باس قريب من عدو في القياس

وما يبقى الصديق بكل عصر ولا الاخوان الا للتآسي

عمدت الدهر ملتمساً بجهدي أخا ثقة فأعياه التماسي

تنكرت البلاد عليّ حتى كأنّ أناسها ليسوا بناس

ومنها في الاعتماد على النفس من دون الناس

اذا المشكلات تصديني كشفت حقائقها بالنظر

ولست بإمّعة في الرجا ل أسائل هذا وذا ما الخبر

ولكنني مدره الاصغر ين فتاح خير وفراج شر

ومنها في المال ورفعة شأن أهله في نظر الناس وان كانوا أخساء

وأنطقت الدراهم بعد صمت اناسا بعد ان كانوا سكوتا

فما عطفوا على احد بفضل ولا عرفوا لمكرمة بيوتا

ومنها في العلم وصونه عن غير أهله

أأنثر درا بين سارحة النعم وأنظم منثورا لراعية الغنم
فان يسر الله الكريم بفضله وألفيت أهلاً للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستفدت وداده والا فمخزون لديّ ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وتزوج الإمام جارية من قريش فكان يلاطفها ويداعبها ويقول

ومن البلية ان تحب فلا يحبك من تحبه

فتجيبه هي

ويصد عنك بوجهه وتلحّ أنت فلا تُغبه

وروى السبكي بسنده إلى البويطي صاحب لامام قال قلت الشافعي قدقلت في الزهد فهل لك في الغزل شيء فأنشدني

يا كاحل العين بعد النوم بالسهر ما كان كحلك بالمبرث للبصر
لو أن عيني اليك الدهر ناظرة جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر
سقيا لدهر مضى ما كان أطيبه لولا التفرق والتنغيص بالسفر
ان الرسول الذي يأتي بلا عدة مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر

وبسنده الى صاحبه الربيع بن سليمان قال كنت عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فقرأها ووقع فيها فمضى الرجل وتبعته إلى باب المسجد فقلت والله لا تفوتني فتيا الشافعي فأخذت الرقعة من يده فوجدت فيها

سل المفتي المكي هل في تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح

وقد وقع عليها الشافعي بهذا البيت

فقلت معاذ الله ان يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع فأنكرت على الشافعي ان يفتي لحدث بمثل هذا فقلت يا أبا عبدالله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب فقال لي يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد أعرس في هذا الشهر (رمضان) وهو حديث السن فسأل هل عليه جناح ان يقبل أو يضم من غير وطء فأفتيته بهذا . قال الربيع فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي انه مثل قال الشافعي فرأيته أحسن فيها . وفقنا الله لاقتداء بهذا الإمام الجليل في علمه وعمله وخلقه وأدبه

﴿ موافقة وانتقاد ﴾

قرأنا في جريدة المقطم الصادرة في ٤ يناير مقالة تحت عنوان (الرأي العام — امتيازات الأجانب) بامضاء « يوسف نحاس » بين فيهـا كاتبها النبيل ان العلماء الذين بحثوا في سبب إباحة الدولة العلية للدول الأجانب الامتيازات الشاذة عن القوانين الدولية المقدسة اتفقوا على أنها لم تمنحهم اياها مضطرة « اضطرارها الآن الى تلبية مطالب أوربا » لانها كانت وقتئذ في عنفوان دولتها ذات قوة ومنعة لا يرهبها وعيد ولا يهولها تهديد . وثانياً لان الدول المسيحية لم تطلب منها تلك الامتيازات بصوت واحد ولا توعدتها بحشد الجيوش ومعاملتها بالقوة والإكراه اذا هي لم تعطها ما طلبت عفواً — فالسلاطين لم يفعلوا ما فعلوا اكراها بل عن طيب نفس و «خاطر» ثم قال ان السلاطين لم يعتنوا بمزج الشعوب التي أخضعوها وجعلها أمة واحـــدة « بل حفظوا لتلك الشعوب صبغتها وتقاليدها الأصلية وعدوها كأجنبية عنهم واستشهد على ذلك بان السلطان محمد الفاتح نصب بطريركا للروم في القسطنطينية « وأعطاه الأمان على دينه وسلطة مدنية على أبناء طائفته فبقي الروم ممتازين عن الفاتحين ولم تسع الحكومة قط في مزجهم بسائر رعيتها ولا حاولت تغيير عوائدهم ودينهم فكان بين الفريقين حد فاصل ولكل أمة منهما حياة خاصة بها وهذا التفريق هو الذي مكن الشعوب الخاضعة للسلطان من حفظ جنسيتها وحياة أمتها على ممر السنين وانعاشها عند ما استطاعت التنصل من ربقة العبودية (وكان الصواب أن يقول عند ما كفرت النعمة وخرجت عن الطاعة اذ العبودية بعيـــدة بمراحل عن الاستقلال الديني والمدني بل الامتياز على سائر الأمـة ولو استعبدوا لمحيت جنسيتهم وماتت عزتهم حتى لا يمكنهم أن يثوروا بل ولا أن يتفكروا في الثورة والخروج واذا أمكنهم شيء من ذلك بعد طول الأمد فالنجاح يكون بعيدا عنهم بمراحل كما تشاهد فيمن تستعبده دول أوربا من الشعوب الشرقية) ثم قال حضرة الكاتب البارع « فاذا

كانت هذه سياسة الحكومة العثمانية مع الأمم الخاضعة للسلطة العثماني فكيف نحاول مزج الأجانب النزلاء » برعاياها وبسط أحكامها عليهم ، ثم علل ذلك بقوله « والذي ساعد في البدء على حفظ ذلك الحق للأجانب هو تقاليد الاسلام نفسه فانه يخص الاسلام وحدهم بشريعته ولا يبيح اطلاقها على غيرهم من الاجانب»

وهنا محل الانتقاد الذي كتبنا لاجله هذه السطور فما ذكره حضرة الكاتب غير صحيح فان الشريعة الاسلامية عامة يجب على الحكام القضاء بها بين جميع الامم التي تدخل في سلطة أهلها وبين كل من يتحاكم الى حكامها من الاجانب

أما في الذميين فلأننا - كما قال البيضاوي أمرنا بالذب عنهم ودفع الظلم منه وأما في الاجانب فلأنه لا حكم الا لله ولإراءتهم عدلنا واستمالتهم به وغير ذلك . وكان القرآن خير النبي عليه السلام في الحكم بين الاجانب وعدمه فقال في شأن اليهود الذين لم يكونوا أهل ذمة « فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » ولذلك اختلف الفقهاء في تخيير القاضي بالحكم بينهم ومذهب الحنفية الذي عليه الدولة العلية ان الحكم واجب مطلقاً وكأنهم يرون التخيير مخصوصاً بالنبي او بتلك الحال أو يرون نسخه بقوله تعالى « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » الآية ثم ان الاسلام منع الاكراه في الدين وأعطى حرية لاهل كل دين في شؤونهم الدينية ولم يجعل لامراء المسلمين سلطة عليهم في ذلك . وأما الحقوق فاذا تراضوا بينهم فيها فالحكام المسلمون لا يعارضونهم في ذلك مالم تنتهك الحقوق العمومية أما اذا تحاكموا اليهم في أي نوع من أنواع الحقوق فانهم يحكمون بينهم بالشريعة لا محالة . وكأن الكاتب اشتبه عليه معنى حرية الدين في الاسلام فظن انها تشمل الامور المدنية والقضائية ويوشك أن يكون أخذ ذلك من فعل السلطان محمد الفاتح ظنا أن فعله حجة شرعية وليس كذلك . ولقد غلط بتساهله في هذه المسألة غلطة لا تغفر عند أرباب السياسة والدولة تذوق مرارتها الى اليوم

هذا وان الجامعة العثمانية لا تقوم الا بوحدة الاحكام اذ يستحيل عادة أن

يجمع شعوبها دين أو لغة . ومحاكم الدولة العلية جارية على ما ذكرنا حتى المحاكم الشرعية فان الذميين يتحاكمون اليها في المواريث وغيرها فيحكم القضاة بينهم بالشريعة الغراء كما هو معلوم للجميع

﴿ الاستعمار الاوربي ﴾

جاء في جريدة ثمرات الفنون الغراء تحت هذا العنوان مانصه

ما استعمر الاوربيون قرية أو بلدة الا واستبدلوا أخلاق اهليها واستنزفوا ثروتهم اذا لم تقل دماءهم وارتكبوا فيها أنواعا من الفظائع المنكرة مما تستك من هوله الاسماع وتتبرأ منه المدنية الحقة وذلك بزعم إرهاب البلاد التي يستعمرونها فلا يعصون لهم أمرا ومن المشهور عن عدلهم انهم لايعاملون أهالي المستعمرات معاملة رعاياهم الأصليين فالذي يجوز للانكليزي الأصل مثلا ان يعمله في الهند لايجوز للهندي عمله أو ان يتمتع هذا بالحقوق التي يتمتع بها ابن التاميز و بالأخص اذا كان سكان لمستعمرة من المسلمين وكثيرا ما يقتلون الأنفس بغير ذنب أو بمجرد الوهم والتصور الى غير ذلك من الأعمال الوحشية . ومن العجيب انهم مع هذا كله ينادون « نداء جهوريا عريضا) أنهم نصراء الانسانية وحلفاء المدنية وانهم لا يودون الا خير بني الانسان وراحتهم بوجه عام دون الالتفات الى الأجناس والاديان . دعوى باطلة وتشامخ كاذب فياشقاوة العباد الذين قضى عليهم الدهر فكانوا سكان بلاد اتخذها الأوربيون مستعمرة لهم . ولكيلا يذهب الوهم بالقارئ الكريم اننا امتطينا في قولنا هذا مطية المغالاة نورد له هنا حادثة قالها القوم أنفسهم .ومعلوم أن الانسان قد لا يذكر فظائع نفسه بالتمام بل كثيراً مايسدل عليها ثوبا من التمويه

قالت جريدة التيمس والايكو بتاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٨٩٤ عدد ٨٦١ صحيفة ٥١٨ تحت عنوان « الفرنسيس في غربي افريقية » ما تعريبه

« نقل الينا ركاب الباخرة المسماة « ايل رمز » وبحارتها حادثة حدثت في مستعمرة جبون الافرنسية وهي أن أحد التجار الفرنسويين قد عامل أربعة رجال من أهالي

المستعمرة بسلع تجارية ولما استحق له عندهم مبلغ قليل من المال ذهب الى قريتهم وطالبهم بذلك فاستمهلوه مدة ريثما يتأتى لهم جمع المال فابى وشدد عليهم النكير بالطلب واخذ يؤنبهم و يشتمهم مما افضى الى المخاصمة فاستل الفرنسي مسدساواطلق رصاصة على احد الاربعة فقتله ولما رأى الثلاثة رفيقهم يتخبط بدمه قبضوا على القاتل الافرنسي ونزعوا المسدس من يده وراموا وثاقه وتسليمه الى الحكومة فلم يستطيعوا ذلك اذ فر من بينهم بواسطة ... ولم يكتف القاتل بما عمل بل ما بلغ مقر حكومة المستعمرة الاوشكا اولئك الثلاثة فارسلت الحكومة اليهم عدة من رجال الدرك فجاؤا مكبلين دون ان يعبأ بالدم المسفوك ظلما وعدوانا

ولما أحضر الثلاثة لدى المحكمة الفرنسوية وقصوا عليها دعواهم بالحق لم يستطع الفرنسي القاتل الانكار بل أقر بفعله وقال انني قتلت منهم نفساً غيرانهم أوسعوني بعد ذلك ضرباً وراموا وثاقي والاتيان بي الى هنا موثقا ففررت فصدر حكم المحكمة العادلة اذ ذاك لا يقتل القاتل بل يقتل الثلاثة الذين ضربوه لقتله رفيقهم بدعوى ان ليس لهم حق باهانة رجل افرنسي ولو كان قاتلا

ولما كان اليوم التالي سيق اولئك الثلاثة المساكين الى فسحة في ظاهر البلدة وربطوا بالاشجار واطلق عليهم الجندي الفرنسي الرصاص حتى فارقوا الحياة وتركوا مدة حالهم هذا دون ان يواروا التراب ليعتبر بهم ولا يتجاسر أحد على اهانة الفرنسوي وان كان قاتلا . اه

هذه ثمرة من ثمر الاستعمار الاوربي وهذا هو نظام تمدنهم وشغفهم بخير النوع الانساني ونصرتهم للمدنية فليتدبره اولو الالباب . ومن غريب الاتفاق انه في ذلك الشهر الذي حدثت فيه هذه الحادثة التي لم يرو لنا التاريخ افظع ولا أقبح منها حتى ولا من اشر خلق الله وأشدهم غلظة وهمجية فرجت دولتنا العلية العثمانية عن كثير من أشقياء الارمن الذين سعوا في الارض فسادا

وقالت الجريدة الانكليزية ذاتها بتاريخ شهر آب سنة ١٨٩٣ تحت عنوان « قتال شديد » ما نصه (مترجما) بالحرف :

لما وصلت المدرعة الانكليزية « بنش » أنزلت بحارتها مدججين بالسلاح

وذهبوا بقيادة الكونت لو فاتلي مع من عنده من الجند الى التل المعروف بتل الاتراك ومن ثم الى مدينة هجوان ودهموها على حين غفلة من أهلها فلم ينج منهم أحد ثم أوقدوا النار بمنازلها فمن لم يمت بالرصاص قتلا مات بالنار حرقاً ولم يمض عليها بضع ساعات حتى أصبحت قاعا صفصفاً كأنها لم تكن بالامس . ثم قالت الجريدة :

ولقد أحسن الكنت المذكور في عمله هذا غاية الاحسان اذ بهذه الاعمال ترهب أهل البلاد ويفزعون . اه

هاؤم أيها القوم نغمة أخرى من نغمات المدنية الأوربية في مستعمراتها ولو رامت دولتنا العلية قصاص أحد المفسدين من الأرمن وغيرهم ممن ارتكبوا ما ارتكبوه من أنواع الفظائع وضروب المنكرات لثار ثائر القوم في أوربا ينادون يا للانسانية يا للمدنية يا . . . يا . . . ولما كانوا هم قاتلي الابرياء الذين بينهم الأطفال الرضع والعجائز كما مر آنفا قاموا يحمدون هذا الفعل الفظيع الذي لا يسعنا الا أن نعده ضربا من ضروب التمدن الجديد : وقانا الله شره

قال حضرة المطران كولونصو الانكليزي في كتابه المدعو (خراب بلاد الزولو) وهو مجلدان مطبوع في عاصمة البلاد الانكليزية عام ١٨٨٤ وقد صدر الوجه الأول من المجلد الأول منه برسمه وكتب تحته ما تعريبه بالحرف :

«إنه لمخيف ومحزن أن نرى تيار الشرور قد طغى طغيانا عظيما في البلاد (أي بلاد الزولو) وليس بالامكان ايقافه وان أمنع من اظهار المظالم وبيان الجور من هذه الحرب الزولية حتى كان ما كان ولم تمكن من ايقاف سفك الدماء ومنع خراب البلاد وتدميرها ظلما وعدوانا حتى فات الوقت لحفظ حياة ألفي جندي انكليزي ووطني « ممن يستخدمه الانكليز » وعشرة آلاف رجل من الزولين . كما فات حفظ اسم انكلترا من ان يصبح علما عند أهل هاتيك البلاد للظلم والجور والخيانة والعسف بعد أن كان علما للعدالة والأمانة والرأفة والاحسان . اه

وذلك كلام رئيس روحي ترجم التوراة الى لغة الزولو وقد كان بودنا نشر ما أودعه في كتابه هذا من أنواع المظالم وضروب الرشوة وسفك الدماء الى غير ذلك مما نرجع اليه ان شاء الله اه

بسمارك والدين (*

معربة عن الفرنسوية بقلم الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده الشهير قال حفظه الله

رأيت في وقائع بسمارك التي نشرت بعد موته بقلم كاتم أسراره موسيو بوش كلاما جاء به البرنس وهو على مائدة الطعام مع جلسائه يتعلق بالدين فاستحسنت ترجمته ليطلع عليه ، لم يعن بقراءة هذا الكتاب من شباننا الذين يمدون النسبة الى دينهم سببه ، والظهور بالمحافظة عليه معرة ، وليعلموا أن الايمان بالله و بالوحي الإلهي الى أنبيائه ليس تصافي الفكر ، ولا ضلة عن صحيح العلم ، ولا عيا في الرياسة ، ولا ضعفا في السياسة

جلس البرنس بسمارك على مائدة الطعام فرأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لاصحابه «كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في اعماق قلوب الشعب ولو لم يكن هنالك أمل في الاجر والمكافأة ، ذلك لما استكن في الضمائر من بقايا الايمان ، ذلك لما يشعر به كل أحد من ان واحدا مهيمنا يراه وهو يجالد و يجاهد و يموت وان لم يكن قائده يراه » فقال بعض المرتابين «اتظن سعادتكم أن العساكر يلاحظون في أعمالهم تلك الملاحظة » فأجابه البرنس

ليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور ووجدان ، هو بوادر تسبق الفكر ، هو ميل في النفس وهوى فيها كأنه غريزة لها ، ولو أنهم لاحظوا لفقدوا ذلك الميل وأضلوا ذلك الوجدان ، هل تعلمون اني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات أو كيف يحملون غيرهم على أداء ما يجب عليه ان لم يكن لهم ايمان بدين جاء به وحي سماوي واعتقاد بآله يحب الخير وحاكم ينتهي

(*) فاتحة العدد ٤٤ المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١٣١٦ — ٢١ يناير (ك ٢) ١٨٩٩

اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة » ثم ساق الوزير كلامه على هذا النمط بأسلوب آخر فقال

« لو نقضت عقيدتي بديني لم أخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان . اذا لم أضع ثقتي في الله لم أضعها في سيد من أهل الارض قاطبة. لكن انظروا الى مجدوفي قد ملكت من موارد الرزق مايكفيني وارتقيت من المناصب مالا مطمع بعده فلماذا اشتغل ؟ ولم أجهد نفسي في العمل ؟ ولم أعرضها للهموم والآلام ؟؟ لا يبعثني على شيء من هذا الاشعوري بأني في جميع ذلك أعمل عملي لوجه الله . اولم يكن لي إيمان بالعناية الالهية التي قضت بأن يكون لهذه الامة الالمانية شأن كبير وأثر في الخير عظيم لطرحت لساعتي ماحملته من اثقال وظائف الحكومة . ماذا أقول؟ بل لولا ذلك الايمان لما قبلت شيئا من هذه الوظائف لان الرتب والالقاب لا ابهاء لها في نظري . لولا يقيني بحياة بعد الموت ما كنت من حزب الملكية ، لو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهوريا . نعم أنا جمهوري بالفطرة » يتبين ذلك من الغارات التي أشنها على هنات وخصال الشره رجال الحاشية من مدة تزيد عن عشر سنين . من هذا يظهر أن إيماني قد بلغ من القوة أعلاها حتى حملني بقوته على ان أكون ملكيا . أسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني . اعلموا انني لو لم أكن مسيحياً مخلصاً لم يكن لكم وزير كبير مثلي يدبر أمر الاتحاد الالماني . لو لم أكن مخلصاً في ديني لوليت ظهري جميع الحاشية ، ولو وجدتم لي في الغد خلفا يكون أخلص مني في يقينه لانفلت من المنصب في الحال . ماأعظم سروري بهجر الوظائف لو تعلمون . إني أحب المعيشة في القرى والحقول ، أحب الآجام ومناظر الخليقة . إنزعوا مني هذه الرابطة التي تصلني بالله تجدوني من الغد رجلا يأخذ أهبته للسفر الى « وارزين » ليشتغل بحراثة أرضه وتنمية غرسه . ان لم أكن خاضعاً لامر الهي فلم أضع نفسي تحت طاعة هذه العائلة المالكة مع أنها تتصل بأصل ليس بالاعلى ولا بالانبل من الاصل الذي تتصل به عشيرتي »

هذا كلام بسمارك وهو يدلنا على ان هذا الرجل العظيم كان يعتقد ان عظائم أعماله انما كانت من مظاهر إيمانه وان الاعتقاد بالله والتصديق باليوم الآخر هما الجناحان اللذان طار بهما الى مالم يدركه فيه مفاخر ولم يكثره مكاثر

الجزية والاسلام

« رسالة لشمس العلماء الشيخ شبلي النعماني استاذ العلوم العربية في مدرسة العلوم في عليكده (الهند) »

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة على رسوله محمد وآله وأصحابه اجمعين

اعلم ان الجزية من اعظم ماتعلق به الاوروباويون في القدح على الشريعة الاسلامية والحط من شأنها فمن ظان يظن ان الجزية لم يكن لها عين ولا أثر في جيل من الاجيال ودولة من الدول وانما الشريعة الاسلامية هي التي أحدثت هذه البدعة وأسست بنيانها ومهدت لها أصولها وأركانها . ومن زاعم يزعم ان وضع هذه القاعدة لم يكن الا اذلالا لأهل الذمة واهانة لهم فهي آية الذل وسمة الهوان وشعار الخزي وعلامة العار حتى انه هان على كثير من الاقوام الدخول في الاسلام هربا عن احتمال الضيم والرضاء بالذل . ولاجل هذا ترى الاوروباويين اذا قرع سمعهم هذا اللفظ يمجه سمعهم وتشمئز منه نفوسهم . والحق انهم غير ملومين في ذلك فان من أحاط علما بنصوص المتأخرين من الفقهاء يستبين له في أول الامر ان وضع أمثال هذه الرسوم أقصى مايقصد به اذلال قوم وإرغام أنفهم مع ان الشريعة الاسلامية أبعد محلا وأرفع شأنا من ان يمسها عار أو يلحقها عيب وأبى الله الا براءتها عن كل جور وحيف

ولما رأيتهم يتهافتون في أمثال هذه الاغلاط أردت أن أكشف لهم عن جلية الحال حتى لا أترك لنفسهم ريبه ولا شكا . فنقول ان لنا في اثبات دعوانا ابحاثا . « الاول » في تحقيق لفظ الجزية والفحص عن مادته وصيغته . « الثاني » في تحقيق ان الجزية متى كان حدوثها ومن أسسها أولا « الثالث » في تحقيق الغرض الذي كان سببا لاختيارها في الاسلام

(الاول) لم يتعرض الجوهري ولا المجد لبيان أصله واشتقاقه . وقال بعضهم « وهم

ليسوا ممن يثبت بهم اللغة » الى انه مشتق من الجزاء بناء على انها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه وهذا ما اختاره الزمخشري في تفسيره اما العارفون بلغة الفرس فأطبقوا على ان اللفظ فارسي محض وان أصله كزيت وان الجزية انما هي تعريب له واستشهدوا في ذلك بورود هذا اللفظ كثيرا في كلام شعرائهم على زنته الاصلية . قال الحكيم سوزني

كتاب خويش نخوانيم وزو عمل نكنيم   كه تا كزيت ستانند خود ز أهل كتاب

وقال النظامي

كهش قيصر كزيت دين فرستد   كهش خاقان خراج چين فرستد

ونقول لما ثبت من تصريحاتهم «وهم أعرف بلسانهم » أنها فارسية فاما ان يقال انها عربية أيضا كما هو شأن توافق اللغات وذلك احتمال بعيد لا يلجأ الى أمثاله الا عند ضرورة محوجة، وإما أن يقال إنها فارسية الاصل وانما سبيله في تداوله عند العرب سبيل الدعي والدخيل في القوم . وهذا الاحتمال تعاضده قرائن وأمارات منها أن العرب خالطوا العجم قديما وعاشروهم فأغاروا على جانب عظيم من لغتهم واستباحوها وتصرفوا فيها كيف ماشاؤا ولعبوا بها كل ملعب

وذلك كالكوز والابريق والطست والخوان والقصعة وغيرها مما أحصاها الثعالبي في كتابه فقه اللغة . فليس من المستنكر أن تكون الجزية أيضا من جملتها

ومنها ان العرب كانوا قبل الاسلام أصحاب البؤس والشقاء رعاة الابل والشاء ماملكوا أرضا ولا استعبدوا قوما . فلم يتفق لهم وضع الالفاظ بإزاء المعاني التي هي من مختصات المدنية والعمران ولذلك لا تجد في كلام العرب العرباء ألفاظا تقوم مقام الوزير والصاحب والعامل والتوقيع والدست وغيرها ولما كانت الجزية أيضا من خصائص الملكية كفوا مؤنة وضع لفظ بازائها . ومنها ان الحيرة (وكانت منازل آل نعمان) كانت تدين للعجم وتؤدي اليهم الاتاوة والخراج . ولما كان كسرى أنوشروان هو الذي سن الجزية أولا كما نبينه فيما سيأتي يغلب على الظن ان العرب أول ماعرفوا الجزية في ذلك العهد وتعاوروا اللغة العجمية بعينها . ومن مساعدة الجد أن اللفظ كان

زنته زنة العربي فلم يحتاجوا في تعريبه الى كبير مؤنة بعد ما أبدل كافها جيما صارت كأنها عربي الاصل والنجار . ومع هذه كلها فان هذا البحث لايهمنا ولا يتعلق به كبير غرض فان اثبات مانحن بصدده لايتوقف على الكشف عن حقيقة اللفظ فنحن في غنى عن اطالة الكلام و إسهابه في أمثال هذه الابحاث

(الثاني) أول من سن الجزية فيما علمنا كسرى أنوشروان وهو الذي رتب أصولها وجعلها طبقات . قال الامام العلامة المحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يذكر مافعله كسرى في أمر الخراج والجزية : وألزموا الناس ماخلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرازبة والكتاب ومن كان في خدمة الملك وصيروها على طبقات اثنى عشر درهما وثمانية وستة وأربعة بقدر إ كثار الرجل أو إقلاله ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السن دون العشرين وفوق الخمسين »

ثم قال « وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس » وقال المؤرخ الشهير أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري (وهو أقدم زمانا من الطبري) في كتابه الاخبار الطوال في ذكر كسرى انوشروان « ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك . ولم يلزم أحدا لم تأت له عشرون سنة أو جاوز الخمسين » وقريب من هذا ماذكره شاعر العجم ولسانهم فردوسي في كتابه شاهنامه

همه بادشاهان شدند انجمن	زمين را بسنجيدو برزدرسن
كزيتي نهادندبريك درم	كرايدون كه دهقان نمودي درم
كزيت ز بارور شش درم	بخراستان برهمين زد رقم
كسي كش درم بودودهقان نبود	نبودي غم ورنج كشت ودرود
كزارنده ازده درم تاجهار	بسالي ازو بستدى كاردار
دبير و پرستنده شهريار	نبودي بدبوان كسي راشمار

ومن وقف على هذه النصوص يظهر له ان الجزية مأثورة من آل كسرى وان الشريعة الاسلامية ليست بأول واضع لها وان كسرى رفع الجزية عن الجند والمقاتلة وان عمر بن الخطاب اقتدى بهذه الوضائع

أما المعنى الذي توخاه كسرى في هذا الاستثناء فبينه العلامة ابن الأثير في كتابه الكامل ناقلا عن كلام كسرى فقال «ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء لأهل العمارة وأهل العمارة أجراء المقاتلة فانهم يطلبون اجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم عن وراءهم فحق أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة في النفس والمال لايتم إلا بهم ورأيت ان المقاتلة لايتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا بأهل الخراج والعمارة فأخذت المقاتلة من أهل الخراج مايقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم مايقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحد من الجانبين»؟

وحاصله انه يجب على كل فرد من أفراد الملة المدافعة عن نفسه وماله فمن كان يقوم بهذا العبء بنفسه فليس عليه شيء — وهؤلاء أهل الجند والمقاتلة — وأما من كان يشغله أمر العمارة وتدبير الحرث على المخاطرة بالنفس فيحق عليه ان يؤدي شيئاً معلوما في كل سنة يصرف في وجوه حمايته والدفاع عنه — وهذا هو المعني بالجزية فانها تؤخذ من أهل العمارة وتعطى المقاتلة والجند الذين نصبوا أنفسهم لحماية البلاد واستتباب وسائل الامن والسلامة لكافة العباد —   (البقية بعد)

الاختلاف والتفرق في الدين

ذكرنا في عدد سابق ان تقصيرات العلماء التي وصلت بنا الى مانحن فيه اليوم عشرة ووعدنا بالكلام عليها تفصيلا في مقالات متعددة وأهمها أولها في الذكر وفي سوء التأثير وهو التفرق في الدين واختلاف المذاهب في أصوله بالاخص ولما كان هذا يحتاج الى شهادة التاريخ رأينا أن نذكر بعض الوقائع التاريخية في الموضوع لما فيها من الفائدة والاعتبار ولرغبة النفوس في الاطلاع عليها وعنايتها بقراءتها . وهاؤم اقرؤا في أولها هذه الواقعة التي وقعت في مثل هذا الشهر المبارك على انها من أهون الوقائع وهي

﴿ الواقعة الأولى ﴾ لما اتصل بالملك الاشرف موسى ابن الملك العادل في دمشق (قبل خروجه الى مصر) ماعليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام من العلم والدين وانه سيد

أهل عصره وحجة الله على خلقه أحبه وصار يلهج بذكره ويؤثر الاجتماع به والشيخ لا يجيب الى الاجتماع به وكانت طائفة من مبتدعة الحنابلة القائلين بالحرف والصوت ممن أحبهم السلطان في صغره يكرهون الشيخ ويطعنون فيه وقرروا في ذهن السلطان الاشرف ان الذي هم عليه اعتقاد السلف واعتقاد أحمد ابن حنبل وفضلاء أصحابه واختلط هذ بلحم السلطان ودمه وصار يعتقد ان مخالفه كافر حلال الدم . ولما مال السلطان الى الشيخ عز الدين دست اليه هذه الطائفة ان الشيخ اشعري العقيدة يخطيء من يعتقد الحرف والصوت ويبدعه ومن جملة اعتقاده أن يقول بقول الاشعري ان الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق . فاستهول ذلك السلطان واستعظمه ونسبهم الى التعصب عليه فكتبوا فتيا في مسألة الكلام وأوصلوها اليه مريدين أن يكتب عليها فيسقط وصفه عند السلطان وكان الشيخ قد اتصل به ذلك فلما جاءته الفتيا قال هذه الفتيا كتبت امتحانا لي والله لا أكتب فيها الا ما هو الحق فكتب العقيدة المشهورة فلما فرغ منها وماها اليهم وهو يضحك عليهم فطاروا بالجواب وهم يعتقدون أن الحصول على ذلك من الفرص العظيمة التي ظفروا بها ويقطعون بهلاكه واستباحة دمه وماله فأوصلوا الفتيا الى الملك فاستشاط غضبا وقال صح عندي ما قالوه عنه وهذا رجل كنا نعتقد انه متوحد في زمانه في العلم والدين ويظهر بعد الاختبار أنه من الفجار لا بل من الكفار وكان ذلك في رمضان عند الافطار وعنده على سماطه عامة الفقهاء من جميع الاقطار فلم يستطع أحد منهم أن يرد عليه بل قال بعض أعيانهم السلطان أولى بالصفح ولا سيما في مثل هذا الشهر ومموه آخرون بكلام موجه يوهم صحة مذهب الخصم يظهرون أنهم بموافقته (انظر الى علماء السوء وفقهاء الضلال كيف استعبدوا للسلاطين وأغضبوا الحق لارضائهم فضاع بينهم الدين) فلما انفصلوا تلك الليلة من مجلسه بالقلعة اشتغل الناس في البلد بما جرى في تلك الليلة عند السلطان وأقام الحق سبحانه وتعالى الشيخ العلامة جمال الدين أبا عمر بن الحاجب المالكي وكان عالم مذهبه في زمانه وقد جمع بين العلم والعمل فتكلم في هذه القضية ومضى الى القضاة والعلماء الاعيان الذين حضروا هذه القضية عند السلطان وشدد عليهم النكير . وقال العجب انكم كلكم على الحق وغيركم على الباطل وما فيكم من نطق بالحق وسكتم

وما انتصرتم لله تعالى وللشريعة المطهرة ولما تكلم منكم من تكلم قال السلطان أولى بالعفو والصفح وهذا غلط يوهم الذنب فان العفو والصفح لا يكونان الا عن جرم وذنب هلا أعلمتم السلطان بأن ماقاله ابن عبد السلام مذهبكم ومذهب أهل الحق وان جمهور السلف والخلف عليه لم يخالفهم فيه الا طائفة مخذولة يخفون مذهبهم ويدسونه على تخوف الى من يستضعفون علمه وعقله وقد قال تعالى «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» ولم يزل يعنفهم ويوبخهم الى أن اصطلح معهم على أن يكتب فتيا بصورة الحال ويكتبوا فيها بموافقة ابن عبد السلام فوافقوه على ذلك وأخذ خطوطهم بموافقته

والتمس ابن عبد السلام من السلطان عقد مجلس للشافعية والحنابلة وبحضرة المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين وذكر انه يعتقد ان السلطان اذا ظهر له الحق يرجع اليه ويعاقب من قوى الباطل عليه وانه أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل تغمده الله برحمته وانه عزز جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة وانه أخذ خطوط الفقهاء الذين كانوا بمجلس السلطان في ذلك الوقت

فلما وقف السلطان على ذلك أجابه كتابة بجواب يذكر فيه انه رأى من عقيدته مايغنيه عن الاجتماع به وانه (أي السلطان) يتبع ماعليه الخلفاء الراشدون وذكر فيه مااذا كان الشيخ يدعي الاجتهاد . فأجابه الشيخ بجواب مطول يصدع فيه بالحق فاستشاط السلطان غضباً وأمر أن لا يفتي الشيخ ولا يخرج من بيته وأن لا يجتمع بالناس ففرح الشيخ لما بلغ ذلك فرحا شديدا وقال لرسول السلطان لو كان عندي خلعة تليق بك لخلعت عليك ولكن خذ هذه السجادة فصل عليها ونحن على الفتوح فقبلها وقبلها (وكان الرسول يعتقد صلاح الشيخ) ولما ذكر للسلطان مادار بينه و بين الشيخ قال لمن حوله قولوا لي ما أفعل به هذا رجل يرى العقوبة نعمة اتركوه بيننا و بينه الله وبقي الشيخ على هذا ثلاثة أيام

ثم ان الشيخ العلامة جمال الدين الحصري شيخ الحنفية في زمانه وكان قد جمع بين العلم والعمل ركب حماره وحوله أصحابه وقصد السلطان فاتاه خاصته وأدخلوه الى دار الملك راكبا كما أمرهم ولما رآه السلطان مشى اليه وأنزله عن حماره وأكرم

مثواه وكان ذلك في رمضان قريب غروب الشمس فلما صلوا المغرب احضر السلطان قدح شراب وناوله للشيخ فقال له الشيخ ماجئت الى طعامك ولا الى شرابك فقال له السلطان : يرسم الشيخ ونحن نمتثل مرسومه ، فقال له ايش بينك و بين ابن عبد السلام : هذا رجل لو كان في الهند او في اقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان ان يسعى في حلوله في بلاده ليتم بركته عليه وعلى بلاده ويفتخر به على سائر الملوك فقال السلطان عندي خطه باعتقاده في فتيا وخطه ايضا في رقعة سيرتها اليه فيقف الشيخ عليهما و يكون الحكم بيني و بينه ثم احضر السلطان الورقتين فقرأهما الشيخ الى آخرهما وقال هذا اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ويقين المؤمنين وكل مافيهما صحيح ومن خالف مافيهما وذهب الى ماقاله الخصم من اثبات الحرف والصوت فهو حمار فقال السلطان نحن نستغفر الله مما جرى ونستدرك الفارط في حقه والله لاجعلنه أغنى العلماء وأرسل الى الشيخ واسترضاه وطلب محالته ومخالته

وكان الحنابلة قد استنصروا به على أهل السنة وعلت كلمتهم عليهم بل صاروا يسبونهم و يضربونهم فأمر السلطان الفريقين بالامساك عن الكلام في مسألة الكلام وان لايفتي فيها أحد سدا لباب الخصام فانكسرت نفوس المبتدعة بعض الانكسار وفي النفوس مافيها ولم يزل الامر على ذلك حتى قدم السلطان الملك الكامل من مصر الى دمشق وكان اعتقاده صحيحا ومتعصباً لاهل الحق فاستقصى ماوقع في المسألة وقال للملك الاشرف ياخوند ماذا صنعت في أمر الشافعية والحنابلة فقال ياخوند منعت الطائفتين من الكلام واقطع بذلك الخصام فقال الملك الكامل : والله مايح ماهذه الا سياسة وسلطنة تساوي بين أهل الحق والباطل وتمنع أهل الحق من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يظهروا دين الله وأن يشنق من هؤلاء المبتدعة عشرون نفسا ليرتدع غيرهم وأن يمكن الموحدون من ارشاد المسلمين وان يبينوا لهم طريق المؤمنين . فعند ذلك زلت اعناق المبتدعة وانقلبوا خائبين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال على يد الملك الكامل وانقشعت المسألة للملك الاشرف وصرح بخجله وحيائه من الشيخ وقال لقد غلطنا في ابن عبد السلام غلطة عظيمة وصار يترضاه و يعمل بفتاويه و يقرأ مصنفاته

آثار علمية ادبية

(شكوى الزمان)

ذكرنا في عدد سابق انا روينا في الاحاديث والآثار المسلسلة ان عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها كانت تنشد قول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وتقول « رحم الله لبيداً فكيف لو رأى زماننا هذا » ويتلو هذا البيت بيتا آخر روى انها كانت تنشده أيضاً وهو

يتأكلون خيانة ومشحة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

ويروى ان اعرابيا قال لابن عباس (رض) اني سمعت عائشة تذم دهرها وهي تمثل بيتي لبيد فقال ابن عباس لئن ذمت عائشة دهرها لقد ذمت عاد دهرها قيل وجد في خزائن عاد سهم مفوق كاطول ما يكون من رماحنا واذا عليه مكتوب

ألبس الى اجياد صبح بذي اللوى ... لوى الرمل فاعذر للنفوس معاد

بلاد بهـا كنا وكنا نحبها ... اذ الناس ناس والبلاد بلاد

وعن ابن أحمر قال كنا عند أبي نعيم فذكروا قول لبيد فقال أبو نعيم

ذهب الناس واستقلوا فصرنا ... خلفا في أراذل النسناس

من أناس نعدهم من عـديد ... فاذا كوشفوا فليسوا بناس

كلما جئت ابتغي النيل منهم ... بدوني قبل السؤال بياس

وبكوا لي حـتى تمنيت اني ... عند هذا خلصت راساً براس

(النسناس) بفتح النون وكسرها حيوان على شكل الانسان هكذا يذكر في معاجم اللغة والعامة تسمي به نوعاً من القردة فاذا كان يوجد حيوان أقرب الى الانسان من القرد وكان هو المسمى بالنسناس فلعله إذا اكتشف عليه حيا أو ميتا

متحجرا يكون هو الحلقة المفقودة التي يتوقع الظفر بها أهل مذهب النشوء ونحن معاشر المليين نقول ان الانسان خلق ابتداء على صورته هذه سواء وجدت تلك الحلقة أم لم توجد . روي ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ذهب الناس وبقي النسناس . قيل وما النسناس قال الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس

وفي كتاب تفضيل الكلاب بعد ذكر بيتي لبيد قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد النحوي قال ذكر لي بعض المشايخ قال كنت عند بشر بن الحارث عشية فرأيته مغموما فما تكلم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال

ذهب الرجال المقتدي بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور

وأنشدنا أيضا غيره

ذهب الذين إذا رأوني مقبلا ... سروا وقالوا مرحبا بالمقبل
وبقي الذين اذا رأوني مقبلا ... سيئوا وقالوا ليته لم يقبل

(وقال آخر)

ذهب الذين إذا غضبت تحملوا ... واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا أصبت غنيمة فرحوا بها ... واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

قال وأنشدني أبو عبد الله الدستواني

ذهب الذين هم الغياث المنزل ... وبقي الذين هم العذاب المرسل
وتقطعت أرحام أهل زماننا ... وكأنما خلقت وليست توصل
الناس منتبهون من كشفته ... كشفت منه عن الذي لا يحمل
أما الفقير فحاسد متغطر ... حسدا وأما ذو الثراء فيبخل
ويظن أن له بكثرة ماله ... فضلا عليك وغيره المتفضل

وأنشدني أبو يعقوب الأديب

ذهب الكرام فأصبحوا أمواتا ... ورقا تطير به الرياح رفاتا
وتبدلت عرصاتهم من بعدهم ... بسوى ثبات الصالحين ثباتا
وبقيت في خلف أحاذر شره ... وأخاف فيه من الصديق بياتا

(وقال آخر)

ذهب الناس وانقضت دولة النا س فكل الا القليل الكلاب

غير ان الوجوه في صور الا س وأبدانهم عليها الثياب

لست تلقى الا بخيلا كذوبا بين عينيه للاياس كتاب

إن من لم يكن على الناس ذئباً أكلته في ذا الزمان الذئاب

وقال الشاعر

ذهب الذين فضولهم معلومة ولهم اذا قحط الزمان جفان

ذهبوا فليس لهم نظير واحد اذ لا تراهم لا أبالك كانوا

لم يبق من أهل الفضائل والنهى الا فلان باسمه وفلان

وقال الشاعر

ذهب الذين عليهم وجدي وبقيت بعد فراقهم وحدي

سلف مضى وبقيت بعدهم وكذاك يذهب من بقي بعدي

هذا ما يقوله الشعراء في كل زمن سواء كان ما قبله شراً منه أو خيرا منه فلا يصح للمؤرخ ان يحتج بقولهم في تفضيل زمان على زمان لان الدليل مشترك الإلزام

***

« أيها المسلم »

ان كنت تترك الصوم لارتيابك في أصل الدين فمصيبتك أعظم المصائب ومرضك أقتل الامراض ويجب عليك بحكم العقل ان كنت تعقل ان تبحث قبل كل شيء عن علاج الكفر الذي كان في قلبك بسبب الجهل . سل العلماء العقلاء عن الشبه التي عنت لك فاوقعتك في الريب ويسهل عليك ان تورد السؤال مورد البحث والاستفهام من غير تظاهر بأن الشبهة متمكنة من نفسك واذا كانت شبهتك جائية من الفنون الطبيعية فاياك ان تسأل عنها من لا وقوف له على تلك الفنون فانه يزيدك مرضا ولا يصيب منك غرضا . واذا كان يصعب عليك قصد

العلماء أو الظهور بالسؤال فاكتب الى ادارة هذه الجريدة ولك الخيار في التصريح باسمك وعدمه الا اذا كنت تحب ان يكون الجواب خالصا لك من دون الناس لامر ما . هذا هو الاحتياط والعلم لا يعطيك الا نورا والسكوت قد يكون سبب هلاكك الابدي

قال المنجم والطبيب كلاهما   لا تبعث الاموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولي فالخسار عليكما

وان كنت تترك الصوم مغلوبا للشهوة البهيمية فعليك أن تعالج نفسك لتكون انسانا يغلب شهوته لا حيوانا لا يحول بينه و بين شهوته الا العجز عن تناولها ويساعدك على هذا تصور فوائد الصوم الرياضية من تجفيف الرطوبات البدنية وافناء المواد الرسوبية التي تكون من آثار الطعام (هكذا سماها الرئيس ابن سينا الحكيم الشهير) وقد يتولد منها أمراض . وتصور الفوائد الادبية التي أشرنا اليها في العدد الماضي مع تذكر ما أعدالله تعالى للصائمين من الاجر وما على تاركي الصوم من الوزر والاصر وأنت مؤمن بكل هذا

(كلمة أخرى) واذا أعيتك الحيلة في شهوتك واخترت ان لا يكون لك تفوق على القرد والخنزير اللذين لا يصبران عن شهوة الا كل والوقاع متى عرضت لهما فاستتر بحجاب فان معصية العلانية أشد وأقبح من معصية السر لان في العلانية هتك الحرمة وعدم المبالاة بالدين وآدابه وايناس الناس بالرذيلة وتجريئهم على ارتكاب المنكرات واجتراح السيئات فتحمل بذلك أوزارهم مع أوزارك وليكن احتجابك على أشده عن ولدك وأهلك لكيلا تفسد أخلاقهم وتسيء تربيتهم فينشئون عبيد الشهوات وحلفاء الاسراف وأولياء الشيطان ،

بالتربية الحسنة تسعد العائلات والامم ومدار التربية على الاقتداء ، والرجل قدوة المرأة ، والا باء والأمهات ، هم الاسى (جمع أسوة بمعنى القدوة) التي تأتسى بها الابناء ، والدين هو المرشد الأمين ، والنور المبين ، فمن ضل عن نهجه الآباء لحقهم الأمهات إما مشايعة ومتابعة وإما اقرارا وسكوتا فكيف يكون مع هذا حال الابناء

والنات ؟ ليل بهيم ، وفساد عظيم ، فلا تكونوا معاشر المسلمين أعوانا للشياطين على أبنائكم وأنصارا (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)

﴿ الحكم بالشريعة في السودان ﴾

ذكرنا في عدد سابق مخلص خطبة اللورد كرومر في أم درمان وانه حين وعد بالعدالة وقال ان الانكليز متعلقون بدينهم ويعلمون كيف يحترمون دين غيرهم وخاطب السودانيين بقوله « فلا يتعرض لكم أحد في دينكم على الاطلاق » سأله أحد المشايخ هل يتضمن هذا الوعد الجري على الشريعة والعمل بها؟ فقال اللورد نعم . ولا يصدق وعد اللورد وجوابه الا بأمرين اثنين أحدهما عدم ارسال أحد من دعاة النصرانية الى السودان بل عدم تمكينهم من الذهاب اليه فاذا وفد المبشرون بالانجيل من قسوس البروتستان أوغيرهم الى السودان يدعون أهله الى دينهم فالوعد يكون مكذوبا قصد به الخداع والتغرير لان التعرض للدين في هذا العصر لا يكون الا بالدعوة وهذا التعرض لم تسلم منه مصر فاذا سلمت منه السودان فلا مندوحة لنا عن القول بأن هذه السلامة نعمة يحق لبريطانيا أن تمنها على السودانيين ويحق عليهم أن يشكروها لها

وثانيهما ان تكون جميع الاحكام القضائية والمدنية بالشريعة الاسلامية الغراء والاحكام الشرعية لا تكون صحيحة ونافذة الا اذا كانت تولية القضاء من جانب خليفة المسلمين وامامهم الاعظم أو من مأذونه وقد صرح اللورد في خطبته بأن الذي يؤسس المحاكم ويولي القضاة هو اللورد كتشنر وان الموظفين من الانكليز هم الذين يقيمون الاحكام في كل مركز من السودان فأنى لهؤلاء الانكليز معرفة الشريعة الاسلامية ؟ ومتى كان اللورد كتشنر خليفة على المسلمين أو مأذونا بتولية القضاء من الامام الاعظم ؟ ؟ واذا لم يكن هذا ولا ذاك فما معنى جوابه للشيخ بنعم . ان وعده يتضمن الجري على الشريعة الا اننا لم نفهم لهذا معنى ولم نتصور اذهاننا كيف يكون صادقا

والذي يتبادر الى الذهن ان الوعد بالحكم بالشريعة واحترام الدين في السودان

يكون كالوعد السابق بأن السودان كله للحكومة الخديوية كمصر وان بريطانيا العظمى تساعد مصر على قطع دابر الثوار الخارجين وارجاع البلاد اليها . . . أو كالوعد بعد الفتح بأن البلاد السودانية ستكون مشتركة بين مصر وانكلترا لان الثانية ساعدت الاولى على الفتح وشريعة العدل تقضي أن من يساعد أحدا في شيء يكون شريكه فيه وان كان في مساعدته متبرعا والمساعد (بفتح العين) هو صاحب الشيء وصاحب العمل ويقدر على القيام من دون مساعدة ثم تفسير هذه المشاركة بأن صاحب الملك والعمل ليس له في الشركة شيء الا الانعام عليه بلفظ « شريك » بشرط انه لا يملك في المشترك فيه قولا ولا عملا

﴿ بغداد والتجاره ﴾

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

قراء (وكيل) يعرفون مااشتهرت به هذه المدينة من قديم الزمان حتى انه لم يكن يوجد لها نظير في المدائن الشرقية لاسيما أن ماحوته من الفضل وحازته من الرونق والبهاء تشهد به آثارها الباقية للآن ومما يزيد الشهرة فيها ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره وأفاض علينا بره فبهذا فاقت على أمثالها من البلاد الشرقية حتى ان جميع المسلمين من انحاء الكرة الارضية يأتون لزيارته أفواجا أفواجا ويتبركون بزيارة قبره الشريف ففي مثل هذه البقعة المباركة التي جذبت قلوب المسلمين اليها الاعزم لتجارها أن يساعدوا الزوار والسكان فيما يحتاجون اليه من أمورهم الدنيوية وما أقصده من هذا هو ان تجار بغداد يلزمهم أن يهتموا في تأسيس فابريقات كما اهتم اخوانهم في الاستانة ليتمتع البغداديون بحاصلات بلادهم ويتمول التجار من حاصلات أوطانهم

فما هذا الكسل الذي اخبرنا به مكاتب جريدة وكيل القراء في بغداد فقد كتب ان التجار يرسلون الصوف في كل سنة بمقدار ملايين جنيهات الى لندرا ومارسيليا و بعد نسجه فيها يرجع للبلاد فيبيعه هؤلاء التجار بأثمان غالية جداً للوطنيين والظاهر ان البغداديين اذا اهتموا بتأسيس الفابريقات يكون ذلك سببا لمعيشة الفقراء

المساكين وعونا لهم برخص الملابس ولا يخفى ان كل ما ينتفع به الصناع في لندرا ومارسيليا يعود ذلك على أهلها فهذا العمل انفع الاعمال للبلاد فانه يضعف ثروة التجار ويقوي همة أهل الديار

أفلا ينظر البغداديون الى سكان أوربا كيف تغلبوا على البلاد الشرقية وتملكوا عليها بتأسيسهم الفابريقات ورواج تجارتهم مع كثرة المصنوعات فقلما يوجد بيت خال من مصنوعاتهم ومجلس عار عن مفروشاتهم حتى ان الخيط والابرة والازرار التي يحتاج اليها الانسان في كل حين كل ذلك من مصنوعاتهم وجلها من عمل فابريقاتهم ومع ذلك فانها متقنة الصناعة ورخيصة القيمة

فعجبا لقوم يعجز افرادهم عن تحصيل لوازم المعيشة ويحتاجون في ذلك الى قوم دون قومهم فهذه والله اسباب الانحطاط فيالها من مصيبة

حافظ عبد الرحمن الهندي

(المنار) صاحب هذه النبذة هو المكاتب الخصوصي في القاهرة لجريدة وكيل الغراء التي تصدر في بلدة امرتسر (بنجاب) وقد أخبرنا ان مكاتب هذه الجريدة في بغداد خاطبنا بواسطته ورغب الينا واليه في نشر مقالة في الترغيب بانشاء المعامل « الفابريقات » الصناعية الوطنية خدمة للبلاد وقد أجابه هو الطلب بهذه المقالة الوجيزة وسنكتب نحن ايضا في الموضوع ان شاء الله تعالى

﴿ القضاء المبرم على السودان ﴾

جاء في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) ما نصه :

﴿ وفاق ﴾

بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومة الجناب العالي خديو مصر بشأن إدارة السودان في المستقبل

حيث ان بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة

الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانكليز والجناب العالي الخديوي

وحيث قد أصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة

وحيث انه من المقتضي التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في وضع النظام الاداري والقانوني الآنف ذكره وفي اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل

وحيث انه تراآى من جملة وجوه أصوبية إلحاق وادي حلفا وسواكن إدارياً بالاقاليم المفتتحة المجاورة لها

فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو

(المادة الأولى) تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي

أولاً الأراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو

ثانياً الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد أو

ثالثاً الأراضي التي قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعدا

(المادة الثانية) يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معا في البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصري فقط

(المادة الثالثة) تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عالٍ خديوي بناء

على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية

(المادة الرابعة) القوانين وكافة الأوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به والتي من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسري مفعولها على جميع انحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمنا تحوير أو نسخ أي قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة

وعلى الحاكم العام ان يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار حكومة الجناب العالي الخديوي

(المادة الخامسة) لا يسري على السودان أو على جزء منه شيء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعدا الا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

(المادة السادسة) المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي بموجبها يصرح للاوربيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول

(المادة السابعة) لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضي المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الأراضي المصرية الا أنه في حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من مواني ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجاري تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج ، ويجوز أن

تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمنشورات التي يصدرها بهذا الشأن

(المادة الثامنة) فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

(المادة التاسعة) يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

(المادة العاشرة) لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة به قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

(المادة الحادية عشرة) ممنوع منعا مطلقا إدخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجرا آت اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن

(المادة الثانية عشرة) قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الاسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها

الامضا آت

تحريرا بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ « كرومر » « بطرس غالي »

(المنار) الخلاصة ان السودان أصبح وأمسى مستعمرة انكليزية باقرار الحكومة المصرية رسميا واقرار الدولة العثمانية سكوتا « ان سكتت بحجة انتظار الفرص أو غيرها من الاحوال التي تراها تضيع فيها حقوقها » ولمصر فيه شركة لها منها الراية التي ترفع بجانب الراية الانكليزية وعليها ان تقدم الاموال لإدارة السودان والعساكر لحفظه تحت السلطة الانكليزية . فهكذا تقضي القوة على الضعف وهكذا يسود العلم على الجهل . فلتنتقل الحكومات الاسلامية من النوم الى الموت حتى لا يبقى لها عين أو أثر ولتعتقد الشعوب الاسلامية ان لا قوام لها ولا نهوض الا بحكوماتها التي هي أشد بلاء عليها من أعدائها أو لتنهض الى العمل بنفسها مقاومة لحكامها قبل الاجانب والله لا يضيع أجر العاملين

﴿ كيفية انتشار الاديان ﴾

رسالة نفيسة صنفها صديقنا الكامل والكاتب الفاضل صاحب العزة رفيق بك عظم « زاده » من أمراء القطر السوري . وقد قسمها الى خمسة فصول . الفصل الاول في حاجة البشر الى الاجتماع و بيان ان دعامته الدين . الفصل الثاني في ترقي الشرائع بترقي الانسان . الفصل الثالث « القوة في الشرائع » الفصل الرابع الجهاد في الشرائع الالهية . الفصل الخامس كيفية قيام الشرائع وانتشارها . وسننقل منها في الاعداد التالية نبذا يتبين منها عظيم فائدتها ان شاء الله تعالى وقد طبعت في مطبعة جريدة الاسلام في مصر

﴿ الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ﴾

كتاب يؤلفه وينشره تباعا حضرة الاديب النبيل أربي أفندي أبو العز وقد طبع في هذه الايام الجزء الثالث منه وهو في تاريخ العرب قبل الاسلام و بعده الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جرى فيه على النهج الحديث في الترتيب والتقسيم وأكثر فيه من الشعر لانه ديوان العرب ومظهر أفكارهم وأدبهم حتى صار الكتاب أشبه بالأدب منه بالتاريخ وذلك مما يستميل الى مطالعته وقد طالعنا منه « الفصل الرابع — في أخلاق العرب » فانتقدنا عليه انه لم يذكر فيه ما كان فاشيا فيهم قبل الاسلام من الاخلاق المذمومة فعساه يستدرك ذلك بذكر أخلاق العرب بعد الاسلام والمقابلة بين الحالين فوظيفة المؤرخ بيان الحقيقة محمودة كانت أو مذمومة والكتاب يطلب من حضرة مؤلفه ومن مكتب الحاج محمد حجاج في مصر فنحث على اقتنائه ونشكر مصنفه على اجتهاده في خدمة هذا الفن المفيد

من المسئول (*

﴿ الحكومة أم الشعب ﴾

(لحضرة الكاتب الفاضل عزتلو رفيق بك عظم زاده من أمراء الشام)

ان من لوازم العمران ومقتضى الحضارة ترقي قوة العلم بالاختصاص بمزايا الاجتماع القائم على دعائم التعاون بين الشعوب وكلما نمت هذه القوة في قوم كانوا آخذ بنواصي المدنية وأقرب لتسنم ذرى الحضارة لما يترتب على وجود سنن الاختصاص بين الشعوب من تحديد المقاصد وتوزيع الاعمال على قانون مخصوص تشعر به كل نفس بطبيعة الترقي والعلم بما يفرض عليها عمله ويسوغ لها تركه في عالم الاجتماع ‹ وهذا ما نريده من معنى الاختصاص بمزايا الاجتماع المدني أو هو بعبارة أصرح معرفة كل فرد ما أنيط به من العمل في مجتمعه على حدود وأحكام تمنع اختلاط المقاصد وتغالب النفوس المؤديين الى تشويش نظام الاجتماع وفقد توازن القوى العاملة بين الافراد البشرية في أي قبيل كان

فاذا فقد هذا التوازن رجح القوي على الضعيف وأكل الغني الفقير فينشأ عن ذلك فوضى الاعمال التي بها تتهافت النفوس على حب الأثرة ويتغالب الناس على مناط الحاجات فيستهلك فريق كبير من الشعب في سبيل تحصيل القوت وتنتهك القوى المتضافرة فتخمد النفوس السامية ويختل نظام الحياة القومية وتنفصم عرى التعاون والاختصاص بين أفراد الشعب ومن ثم يأخذون بالهبوط الى دركات الضعة فينتهون الى حيث يبدأ غيرهم بالعصور من الشعوب سنة الله في الذين خلوا من قبل

ومن المقرر ان أس الاجتماع في هذا الوجود البشري ومناط الرجاء في انضمام الأيدي العاملة هي الحكومة التي اختصت بالهيمنة على نظام الهيئة المحكومة والقيام

*) فاتحة العدد ٤٥ المؤرخ في ١٦ رمضان سنة ١٣١٦ــ٢٨ يناير (١٧ك) ١٨٩٩

اجراء قوانين الاجتماع الطبيعية والوضعية ونريد بالأولى العوائد والأخلاق التي تتدرج في مهد الأمة وتترقى بترقي الزمان فالحكومة مكلفة بمراعاة جانب هذه القوانين والمحافظة عليها من عبث العابثين تفاديا من تطرق العوارض الفاسدة والعلل المضرة على أخلاق الامة ومألوفات النفوس . وبالثانية قوانين التشريع الكافلة لاستمرار سير نظام المعاملات الدنيوية على وتيرة العدل القاضي بحياة المجتمعات وعمران الممالك في كل زمان ومكان ، فالحكومة مكلفة بتنفيذ أحكام هذه القوانين على وجه يبيح لكل فرد من أفراد الشعب التمتع بثمرات عمله دون مغالبة عليها من سواه أو مزاحمة ممن عداه

فإن فرطت الحكومة بشيء من خصوصيات الهيمنة العادلة على القوانين المذكورة أو عبثت بتلك السنن الطبيعية فقد بدأت بتشويش نظام الاختصاص ومهدت للشعب سبيل التغلب وطريق الفوضى في الاعمال والتباين في المقاصد فأودت به الى الملاك وبحياتها الى خطر الارتباك

لهذا كان لا بد لإنماء قوى العلم بالاختصاص بمزايا التعاون من سلامة سنته الناجحة وقوانينه النافعة وانما تكون سلامتها بالمسيطر عليها وهو الحكومة فالحكومة بهذه المثابة مربية الشعوب فاذا ربت شعباً على مبادئ احترام القوانين الاجتماعية نشأ كل فرد من أفراده على معرفة الواجب والعلم بما له وعليه وهذا غاية ما يطلب من أسباب الترقي للمجتمعات البشرية والعكس بالعكس ولا يحتاج اثبات هذه القضية لا كثر من النظر الى حكومات المغرب المتمدنة التي احترمت عندها قوانين الاجتماع فنمت في شعوبها قوة الاحساس والشعور بمزايا التعاون والاختصاص فعرفوا طرق الواجب التي تؤدي الى خير المجتمعات فسلكوها غير متلكئين وأدركوا من الحضارة شأوا أعجز الأولين

والامر في المشرق بخلاف هذا فانك ترى الحكومات الآن فيه بالغة منتهى الضلال في تربية الشعوب على نبذ قوانين الترقي والاجتماع وهتك حرمة الاختصاص حتى أدى ذلك الى اختلال نظام المجتمع الشرقي وانحلال عرى دوله العظيمة ذلك من جراء استرسال الاهواء وتغالب النفوس التي ضلت عنها المقاصد فكانت

دونها الهمم وخمدت العواطف ففقد الشعور بحاجات العمران ومقتضيات الزمان. هذا كله وقد بلغ الامر بتلك الحكومات الى أنها لا تزال تهدم بيدها أهم القواعد في قوانين الاجتماع وسنن الطبيعة وهي كثيرة ومنها ما نذكره مثالا يؤيد ما ذهبنا اليه في هذه المقالة ويبرهن على منتهى ما بلغت اليه في هذا العصر حكومات المشرق — وأخصها الاسلامية — من سوء التدبير في سياسة الامم واليك المثال

قضت سنن الوجود الطبيعية أن يكون العقل في الانسان رائد العلم الضروري لحياة البشر وتدبير أصول المعيشة فلا يزال هذا العقل دائبا في تتبع هذه الغاية حتى يبلغ مبلغ الكمال الاكتسابي الذي يؤهل الانسان لبسط يد السلطة على العالم بمقتضيات الحياة المادية ويرفعه الى ذرى الحضارة والتمدن وهذا معنى قولهم الانسان مدني بالطبع

فاذ كانت طبيعة الوجود البشري نفسها تقضي بتسريح العقل في مناحي العلم لاكتساب معرفة مواد الحياة المدنية فأي خرق في الرأي وافساد في سنن الطبيعة أعظم من حيلولة الحكومة بين الشعب وبين مناحي عقول أفراده التي تؤهله لأن يكون مدنيا عارفا بواجبات الانسان القاضية بتفضيله على سائر الحيوان

هذا الخرق في الرأي والافساد في سنن الطبيعة هو ما تفعله الآن حكومات الاسلام في المشرق وذلك باتخاذها الوسائل القاضية بإضعاف قوة النزوع الى العلوم في سائر أفراد الشعب لاسباب [illegible] ناه وظنون تضحك الثكلى

ثم نرى أن بعض تلك الحكومات لا تحصر العقول في دائرة ضيقة من العلم الذي لا يتعدى الضروري من أمر الدين كما يفعله البعض الآخر بل هي تبيح تلقي العقول لعلوم الدنيا وتؤسس لها المدارس ولكن تغفل عما وراء ذلك من لزوم تنشيط النفوس على العمل بل تحظره البتة تفاديا من رقي العقول الى متناول المعرفة بالحقوق والواجبات التي تلزم كل فرد من أفراد الشعب بالنسبة الى الحكومة والوطن فهي تحظر الاجتماعات العلمية وتحجر على الجرائد وتختم على الافواه وتغل الايدي وتبعد النوابغ وتدني الجهلاء الى آخر ما يدعو لمنع الفوائد التي يترقبها الشعب من تلك المدارس ويرجو الحصول عليها من تلك العلوم . اذن فلا تفاوت في الوجهة بين سائر

حكومات المشرق في سوء التدبير الذي انتهى الى ماأصبحنا فيه معاشر الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا من الفوضى في الأعمال والتباين في المقاصد والضعف في النفوس والأضلال في العزائم والفتور في الهمم وغير ذلك من بواعث التقهقر الذي مزق الاحشاء وأدمى القلوب وأودى بحياة الأمة وقضى على الشرق قضاء لامرد له الا بتنبه حكوماته من سنة الغرور واطراحهم لعجرفة الايام الغابرة والعمل مع الشعوب بما يدفع هذه الرزايا و يصرف هذه المحن والافالله ان تلك الحكومات لمسؤلة امام اللهوامام الانسانية وأمام العدل عن تلك الحرمات المهتوكة والدماء المسفوكة والربوع المستباحة لسلب السالبين ونهب الناهبين والممالك الممزقة والشعوب المفرقة ومالا يعلم بنهايته الا الله والله بكل شيء عليم اه

رأي المنار في الجواب

ماذهب اليه حضرة الكاتب الفاضل من أن المسؤل باسعاد البلاد وترقي الامة حكامها هو المذهب المتبع عند الشعوب الشرقية كافة وسببه استعباد حكام الشرق وملوكه لتلك الشعوب واستبدادهم فيها بحيث صار هذا الفعل والانفعال راسخين في النفوس بالوراثة وقد جاء الاسلام بالتعليم الديمقراطي المعتدل وقيد سلطة الملوك والامراء والرؤساء بشرعه الذي جعل الناس فيه شرعا (بالتحريك أي سواء) ولكن محي هذا التعليم بعد الخلفاء الراشدين كما شرحناه في مقالات (الخلافة والخلفاء) وغيرها وصار ملوك المسلمين وحكامهم بتمادي الزمان أشد استبدادا ممن عداهم . ولما سرى روح هذا التعليم في اوربا بسبب انتشار العلوم والمعارف فيها - وانما كان مبدأ فيضانه من الاسلام - تربت بحسن تربيتهم ملوكهم وحكامهم وقيدوا السلطة حتى انتهوا الى الجمهورية فارتقوا بذلك ارتقاء لم يعهد في تاريخ الانسان حتى كاد يتم لهم الاستيلاء على العالم كله . فخذل الجاهل أمام العالم ودحر الظالم تجاه العادل وأوشك تنازع البقاء ان يقضي بمحو السلطة الشرقية أو الاسلامية خاصة من لوح الوجود بما ظهر من عجز مقاواة السلطة الاستبدادية للسلطة الدستورية الشوروية وأحست الشعوب الشرقية أو الاسلامية بالخطر الذي يتهددها — وهو العدم والفناء القومي والملي —

لكن الجهل بحقيقة الداء والدواء تركها في أمر مريج تنظر الى ملوكها وحكامها فتشاهد البلاء ينصب عليها من قبلهم فتقع في هوة اليأس وتهوي الى وهدة القنوط . وكيف لا ييأس من يشاهد الطبيب يقتل المرضى بمايجرعهم من السموم؟ وكيف لا يقنط من يرى البلاء والشقاء ، ينصب عليه من مازيب السعادة والنعماء ؟

اليائس لاعمل له ، اليائس لا يرجى منه خير ، اليائس في عداد الموتى ، فمن أراد أن يخدم أمة يئست من الحياة العزيزة القومية يأسها من حكامها فليقنعها قبل كل شيء بأن قوة الشعب فوق كل قوة ، لانها مظهر القوة الالهيـة ، وأن الامم اذا تربت وتعلمت تربية وتعليما صحيحين تعتز وتسعد بقسميها الحاكين والمحكومين وان الامة في استطاعتها أن تقوم بهذه التربية وهذا التعليم من دون الحكومة بهمة علمائها العقلاء وأغنيائها الفضلاء وبهذا نهضت أوروبا التي بهرت مدنيتها أبصارهم وحيرت ألبابهم .وهذا الموضوع الشريف هو اهم المقاصد التي أنشأنا لاجلها جريدتنا (المنار) فقد قلنا في مقدمة العدد الاول

« فعليك بالعلم والعمل رض بهما نفسك ، ورب عليها ولدك ، فلقد حل من لساني عقدة الاعتقال والسكوت ، وأطلق قلمي من عقال الدعة والسكون ، استغراق بعض اخوتي واخوتك في النوم ، وغرق بعضهم في بحار الوهم ، وجهل المريض منهم بدائه ، ويأس العالم بمرضه من شفائه ، فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لإصلاح الخلل ، ومشايعة للساعين في مداواة العلل ،الذين أرشدتهم التعاليم الدينية ، وهداهم النظر في الآيات الكونية ، الى أن اليأس من روح الله ،والقنوط من رحمته جل علاه ، هو عين الكفر والضـلال ، وآية الخزي والنكال ، فأحبوا أن يعملوا لأمتهم ، ويقوموا بخدمة ملتهم » الخ ثم قلنا في بيان مقاصد الجريدة من المقـدمة أيضا « وغرضها الأول الحث على تربيـة البنات والبنين ، لا الحط على الأمراء والسلاطين ، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون ، لا الاعتراض على القضاة والقانون ، واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم ، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة في الاعمال النافعة وطروق أبواب الكسب والاقتصاد » ومنها أيضا « وتنبه (أي الجريدة) العثمانيين على أن الشركات المالية هي مصدر العمران ، وينبوع الرقي ، وان عليهما

مدار تقدم أوروبا في الفنون والصنائع لا على الملوك والامراء فهي التي تنشيء المكاتب والمدارس، وتشيد المعامل والمصانع، وتسير المراكب والبواخر، ونموذج ذلك بين أيديهم وتحت مواقع أبصارهم »

وكتبنا في العدد الثاني محاورة في سعادة الأمة أوردنا فيها أسئلة كثيرة تتعلق بتحصيل هذه السعادة وقدنا في الكلام عن أجوبتها جواب من حصر السعادة في الحكام فقلنا بعد إيراد الاسئلة

« فلما فرغت المسائل، وسكت السائل، وطلب ما عند القوم من الجواب، ابتدر أحدهم فقال لا شك ان الأمراء والحكام هم الذين يكونون بني (جمع بنية) الأمم وينفخون فيها روح الوحدة، وينشقونها نسيم الحياة الوطنية، ويمدون فيها جداول الثروة بما يمهدون من طرق الكسب، ويحفرون من الترع، ويبنون من المعامل والمصانع، ويهيئون من الآلات والأدوات الخ ما أشرتم اليه من أسباب السعادة

« فرد عليه السائل قائلا إذا فرضنا ان الحكومة غنية مع فقر الأمة وأمكنها ان تعمل كل هذه الأعمال فهل في استطاعة الحاكم أن يقتلع من نفوس الأمة جراثيم الاخلاق الذميمة وينقي منها بذور العادات الرديئة التي تنجم عنها الأفعال المضرة، ويغرس فيها أشجار الاخلاق الفاضلة والسجايا الجميلة التي تثمر الأعمال النافعة، كلاّ ان من يلقي التبعة كلها على الحكام مخطئ في حكمه واني رأيت أكثر الأمم الشرقية لا يرون لأنفسهم وجوداً الا بالحكام ويرون أن صلاح الأمة وفسادها وغيها ورشادها وصحتها ومرضها وغناها وفقرها بل وحياها ومماتها كل ذلك بيد الحاكم حتى كأن الحاكم بيده ملكوت شيء وهو يجير ولا يجار عليه وكأن هذا الوهم متسلسل فيهم بالإرث من عهد من قال « انا أحيي وأميت » وعهد من قال « انا ربكم الأعلى » وجهلوا ان الحاكم ليس إلا رجلا من الأمة وان الحاكمية ما زادت في فضائله ولا منحته قوة فوق القوى البشرية بل ربما أفسدت أخلاقه وأسقمت مداركه (كما شوهد في البعض) والصواب ان اصلاح الأمة لا يكون من الحاكم نعم إن الحاكم إذا ساعده يكون أسرع سيراً وأقرب نجاحا » اه

والحاصل ان ما قاله الكاتب الفاضل صحيح ونحن معه إلا في حصر المسؤلية

بالحكام والحق ان الحاكم مسؤل والشعب مسؤل فاذا قصر الأول لا ينبغي أن يقصر الثاني وبالله التوفيق

الجزية والاسلام

﴿ تتمة ما سبق – من ص – ﴾

الثالث – ان الشريعة الاسلامية وان لم تكن شأنها شأن الملكية والسلطة بل الغاية التي توخاها الشرع ليست الا تكميل النفس وتطهير الأخلاق والحث على الخير والردع عن الآثام ولكن لما كانت هذه الأمور يتوقف حصولها على نوع من السياسة الملكية لم تكن الشريعة لتغفل عنها كليا فاختارت جملة من الوضائع تكون مع سذاجتها كافلة لانتظام أمر الناس واصلاح ارتفاقاتهم

ومن ذلك الجهاد والقتال المقصود بهما الذب عن حمى الاسلام والدفع عن بيضة الملك وازاحة الشر وبسط الأمن واستتباب الراحة فجعل الجهاد فرضا محتوما على كل أحد ممن دخل في الاسلام اما كفاية وهذه اذا لم يكن النفير عاما ، وعينا إذا هاجم العدو البلد وعم النفير . قال في الهداية الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به فريق من الناس سقط عن الباقين فان لم يقم به أحد أثم جميع الناس بتركه الا أن يكون النفير عاما فحينئذ يصير من فروض الاعيان

فالمسلم لا يخلو من إحدى الخطتين اما مرتزق وهو من دخل في العسكر ونصب نفسه للقتال أو متطوع وهو من لم يأخذ نصيبه من الجهاد ولكن إذا جاءت الطامة ووقع النفير لا يمكنه الاعتزال عن القتال والتنحي عنه بل عليه ان يدخل فيما دخل المسلمون طوعا أو كرها – واذا كان من المسلم الثابت ان المرتزق والمتطوع سيان في الحقوق الكلية التي تمنح للعسكر كان من الحق الواضح ان يعفى المسلمون كلهم عن ضريبة الجزية ، أما أهل الذمة فما كان يحق للاسلام أن يجبرهم على مباشرتهم القتال في حال من الأحوال بل الامر بيدهم ان رضوا بالقتال عن أنفسهم وأموالهم عفوا عن الجزية وأن أبوا أن يخاطروا بالنفس فلا أقل من أن

يساعوا بشيء من المال وهي الجزية ؛ ولعلك تطالبني بإثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية ما كانت تؤخذ من الذميين الا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وان الذميين لو أدخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لعفوا عن الجزية فان صدق ظني فاصغ الى الروايات التي تعطيك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فنها) ما كتب خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها وهذا نصه: «هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة وما منعنا كم (أي حمينا كم) فلنا الجزية والا فلا . كتب سنة اثنتي عشرة في صفر» (ومنها) ما كتب نواب العراق لأهل الذمة وهاك نصه «براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكففتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء» . (ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لأمراء المسلمين وهذا نصه «انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم» (ومنها) المقاولة التي كانت بين المسلمين وبين يزدجرد ملك فارس حينما وفدوا على يزدجرد وعرضوا عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد «وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعنا كم والا قاتلنا كم» . (ومنها) المقاولة التي كانت بين حذيفة بن محصن وبين رستم قائد الفرس وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص وافدا على رستم في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه «أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم الى ذلك» فانظر الى هذه الروايات الموثوق بها كيف قارنوا بها بين الجزية والمنعة وكيف صرح خالد في كتابه بأنا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعنا كم ودفعنا عنكم وان عجزنا عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجل الصحابة فكان سبيلها سبيل المسائل المجمع عليها قال الامام الشعبي وهو أحد الائمة الكبار أخذ «أي سواد

العراق « عنوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا تظنن أن شرط المنعة في الجزية انما كان يقصد به مجرد تطييب نفوس أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمر النظر في سير الصحابة واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا الا وقد عضوا عليها بالنواجذ وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية التي يدور رحى الكلام عليها ـ فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ماجبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي حتى لايدعوا شيئاً »

وقال العلامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان حدثني أبو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن

المدينة مع عاملكم ونهض اليهود فقالوا والتوراة لايدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا لئن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

وقال العلامة الأزدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون « ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ماقدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كلثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبي منهم الذين كانوا أمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أماننا » ،

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة أو شاركونا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فعمدتنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عمالهم فانهم أولى الناس بالتنبه لغرض الشارع وأحقهم بادراك سر الشريعة « والروايات في ذلك وان كانت جمة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يغني عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهاك نصه بعينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا

عن جزائه ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ولا يغير شيء من ذلك ،
شهد سواد بن قطبه وهند بن عمر وسماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس وكتب
في سنة ١٠٨ اه « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه:

« هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه
(طبري صحيفة ٢٢٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقة عامل عمر بن الخطاب وبين شهر براز كتب به سراقة الى عمر فأجازه وحسنه وهاك نصه :

« هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا ولا ينقضوا وعلى أرمينية والأبواب الطرّاء منهم والتناء (١) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل اذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مقرن وشهد اه
(طبري صحيفة ٢٦٦٥ و٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجمة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل لكام عند معدن الزاج فيما بين بياس و بوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه

---

(١) الطراء الغرباء الذين يطرءون جمع طارئ والتناء المقيمون

المسلمون لهم ولم يثبتوا عليهم ثم ان أهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلم الفهري فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجراجمة مع انهم لم يوفوا ونقضوا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى ان بعض العمال في عهد الواثق بالله العباسي ألزمهم جزية رءوسهم فرفعوا ذلك إلى الواثق فأمر باسقاطها عنهم

ولما بلغت من التعمق في البحث والامعان في الفحص إلى هذا الحد حان لي أن أقول اطفئ المصباح ، فانه قد طلع الصباح ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، و بالله ثقتي وعليه اعتمادي وهو العلي الكبير المتعال

﴿ اسطقس الحق ﴾

رسالة للعلامة الفهامة مولوي عبد الرحمن صاحب سيستاني الهندي أحد تلامذة بحر العلوم مولانا محمد لطف الرحمن صاحب بردواني حرر بها مؤلفها القول في « حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة من الرضاعة » وبين غلط الفقهاء فيها وقد أرسلها لنا العلامة محمد لطف الرحمن وعهد الينا بنشرها في المنار « كي تشتهر في الامصار ، اشتهار الشمس في رابعة النهار » فإجابة لطلبه ننشرها كما هي وهي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

اعلم انه قد مضت الدهور ، وانقضت الشهور ، وطالت المناظرة ، وشاعت المكابرة ، وظهرت المشافهة ، وزهرت المسافهة ، وحبطت الأعمال ، وخبطت الأقوال ، في حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة من الرضاعة ، وهما شر البضاعة ، فنحن نبين دليلا كافيا ، وبرهانا شافيا ، بلطف الرحمن ، وفضل المنان ، فاعلم ان الاصل في باب الحرمة الرضاعية قول النبي صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » معناه ان الافراد

التي تحرم من النسب تحرم تلك الافراد بعينها من الرضاعة أيضا ولا يخفى عليك ان ما يحرم من النسب هو ما تعلق به خطاب التحريم بقوله تعالى « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم و بنات الاخ و بنات الاخت » فلو فرضنا أن زيدا مثلا ارتضع من هندة وولد هندة المرضعة لم يرتضع من امرأة فتحرم من رضاع زيد بحكم الحديث الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ و بنات الاخت فتكون المرضعة وما فوقها مصداق الامهات للرضيع وفروعه مصداق البنات للمرضعة وزوجها و بناتهما واخواتها وأخوات زوجها و بنات أبنائها و بنات بناتها يكن مصاديق الاخوات والخالات والعمات و بنات الاخ و بنات الاخت له . فهذه المجموعات السبع تحرم من رضاع زيد الرضيع كما تحرم تلك المجموعات بعينها في النسب . وأما حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة فغير ثابتة من الحديث . فان قلت معنى الحديث ان كل من يحرم من النسب يحرم من الرضاع ومما يحرم من النسب هو بنت الاخ ولا شك ان بنت الرضيع بنت الاخ لولد المرضعة فتحرم عليه . قلت ويحك هذا الذي أوقعك في ورطة الغلط؛ اذ هذا المعنى باطل من وجهين أما اولا فلانه يلزم من هذا ثبوت حرمة مجموع الافراد السبع من رضاع الرضيع وزيادة حرمة فرد وهي حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة وهو باطل اذ النص الشريف أعني قوله «حرمت عليكم» الآية ينادي بأعلى نداء أنه من نسب كل واحد ثبتت حرمة هذه المحرمات السبع بلا زيادة وكذلك في الرضاع بمقتضى الحديث وأيضاً الصورة المزعومة غير متحققة في النسب الذي قيس الرضاع عليه فلم يكن القياس صحيحا و بطل مقتضى الحديث وهو محال . أما ثانيا فلانه ماذا أراد بقوله هذا ؟ أما أراد أن تحرم في النسب بنات الاخ فقط فكذا في الرضاع أو أراد انه تحرم فيه العمات والخالات و بنات الأخ وغيرهن فتحرم بنات الاخ في الرضاع والاول باطل إذ يستحيل في النسب أن تحرم بنات الاخ فقط كما لا يخفى وسيجيء بيانه ان شاء الله تعالى والثاني أيضاً باطل من وجهين أما الاول فلانه كما تحرم في النسب بنات الاخ كذلك تحرم فيه العمات والخالات أيضا فيلزم أن تحرم على ولد المرضعة العمات والخالات من الرضاع

وأما الثاني فلانه مستحيل بهذه المقدمات المسلمات (الاولى) ان الله بين الآية الكريمة أعني قوله «حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم» الآية بالواو العاطفة وهي للجمع فان قلت يجوز أن تكون الواو بمعنى أو التي هي أداة الانفصال قلت أف لك هذا الاحتمال مع كونه ههنا من المحالات يقطع دابر القوم الذين ظلموا بقولهم من حرمة بنت الرضيع فقط على ولد المرضعة اذ لفظة «أو» وضعت لاحد الامرين في أصل الوضع فمقتضاها ثبوت حرمة إحدى المحرمات لا على التعيين لكل واحد واحد فمع كونه صريح الاستحالة يقدح ما يرومه الزاعمون بقولهم من جهة مجموع الافراد السبع من رضاع الرضيع مع زيادة حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة اذ ثبوته محال من النص سواء كانت الواو بمعناها أو بمعنى لفظة أو (والثانية) أن العلة المحرمة في المحرمات السبع واحدة تامة (والثالثة) انه لو كانت لعدة معلولات علة واحدة تامة لزم انه اذا وجدت احدى المعلولات وجدت العلة التامة وجدت المعلولات الاخر البتة (الرابعة) ان الآية الكريمة موجبة لحرمة مجموع الأفراد السبع باقتضاء تلك الواو العاطفة التي تقدم ذكرها في المقدمة الاولى (الخامسة) ان حرمة بنت الاخ في النسب ثابتة بقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الآية فمن كان محكوما عليه فيه بحرمة بنات الاخ يجب دخوله تحت خطاب قوله و بنات الاخ في قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية والا لم يكن ثبوتها من الله وهو كما ترى (السادسة) أنه لو دخل أحد في النسب تحت خطاب قوله « و بنات الاخ » لاستحال أن لا تتحقق المحرمات الباقية (أي الامهات والعمات والخالات وغيرهن) وجودا أو صلوحا بحكم المقدمة الرابعة وأيضاً من المقدمة الثانية والثالثة (السابعة) انه من كان داخلا تحت خطاب قوله « و بنات الاخ » في النسب يستلزم دخوله فيه تحقق المحرمات الباقيــة وجودا أو صلوحا بحكم المقدمة السادسة (الثامنة) أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله حرم من الرضاعة ماحرم من الولادة » يبين بيان شاف ان وزان الرضاع وزان النسب بعينه وان المحرمات من الرضاع محرمات من الله قطعا (التاسعة) ان العلة المحرمة في المحرمات السبع من الرضاع أيضا واحدة تامة (العاشرة) انه من كان محكوما عليه بحرمة بنات الاخ من الرضاع وجب دخوله تحت خطاب قوله و بنات الاخ بحكم المقدمة الثامنة وأيضاً

منها ومن الخامسة (الحادية عشرة) انه من كان داخلا تحت خطاب قوله « و بنات الاخ » في الرضاع يستلزم دخوله فيه تحقق المحرمات الباقية وجوداً أو صلوحا بحكم المقدمة الثامنة وأيضا منها ومن السابعة بانضمام التاسعة

فاذا تمهدت هذه المقدمات المسلمات نقول انه لو حرمت بنت الرضيع على ولد المرضعة من الرضاع يجب دخوله تحت خطاب قوله تعالى « و بنات الاخ » بحكم المقدمة العاشرة ودخوله فيه يستلزم تحقيق المحرمات الباقيه أي العمات والخالات وغيرهن من الرضاع بحكم المقدمة الحادية عشرة وهو محال اذ حينئذ مصداق العمات والخالات الرضاعية لولد المرضعة إما العمات والخالات النسبية للرضيع أو لغيره والاول ظاهر لاتحاد العلة المحرمة فيهن وهو باطل اذ لم تثبت من الدليل الشرعي حرمتهن على ولد المرضعة وكونه عماته وخالاته فحرمتهن محال والثاني أيضا باطل من وجهين أما أولا فلانه يماثل قول ذي جنة اذ استلزام حرمة بنت خالد مثلا لحرمة عمات بكر وخالاته محال جدا لعدم القدر المشترك بينهن وأما ثانيا فلان العمات والخالات الرضاعية ليست ثابتة له وجودا أو صلوحا فيما نحن فيه أي فيما اذا صدر فعل الرضاع من الرضيع ولم يتحقق الرضاع من ولد المرضعة فحرمتهن محال (لها بقية)

مصاب مصر بالسودان

ان الفجيعة الاخيرة بالسودان قد جرحت قلوب المصريين جرحا لا يندمل وجميع عقلائهم متفقون على أن ترك السودان لانكلترا خالصا لها من دون مصر كان أولى من هذه الشركة الاسمية التي عقدت بين انكلترا ومصر في (وفاق ١٩ يناير) بل منهم من يقول ان التصريح بحماية الانكليز لمصر والسودان مما هو أهون مصابا من هذا الوفاق الجائر ويرون بالاجماع أن كل من رضي بهذه القسمة الضيزى من حاكم ومحكوم فهو خائن لامته ووطنه بائع بلاده بيعا مقلوبا شرط فيه ان يكون الثمن على البائع يؤديه للمشتري . ذلك ان الانكليز قد بنت ضرائبهم على مصر بهذه الشركة ١١٤١٢٨٦ جنيها مصريا في السنة منها ٨٤٨٢٥ نفقات جيش الاحتلال

والباقي للحربية العمومية وللادارة والعسكرية في السودان (كما بينه المؤيد الاغر في عدد يوم الاثنين الماضي) و يدخل في هذا البيع أو الوفاق أو الشركة أن للانكليز الحق في أن يفتحوا ما شاءوا من بلاد أفريقيا برجال مصر وأموالها من غير رضاء أمير ولا سلطان . ولا لوم على الانكليز في اخلاف الوعود، ونقض العهود، فان هذا كله حرب وجهاد، و « الحرب خدعة » باتفاق العباد ، وانما اللوم والتثريب بل اللعن من الله وملائكته والناس أجمعين ، على من يفضل الموت فما دونه على تسليم بلاده ووطنه لاعدائه المحاربين والله عليم بالظالمين

الوعظ والوعاظ (*)

قال أستاذ حكيم « ان الايمان نائم في قلوب العامــة يحتاج الى إيقاظ » وهي كلمة صحيحة لا ريب فيها ، والذي يوقظ الايمان حتى تصدر عنه آثاره الحسنة وتتشعب فوائده وفضائله التي أدناها اماطة الأذى من الطريق — هو التــذكير الصحيح والموعظة الحسنة فلو وجد فينا علماء مخلصون لهم غيرة على الدين بعدد مساجدنا وتولى كل واحد منهم الوعظ والتذكير في مسجد منها وارشاد خطيبه الى الخطب النافعة ولو بانشائها له لا مكنهم إيقاظ الايمان في قلوب الناس ، ومتى استيقظ الايمان صدرت عنه آثاره وتلك سعادة الدنيا والآخرة

لا أعني بالعلماء من قرأ حواشي الصبان على الأشموني ومطولات الفقه بحيث يقدر على التنكيت في قوله وانتحال العلل لتقديم الأبواب والفصول وتأخيرها ولا من يحفظ فروعا كثيرة في أبواب الرقيق ونحوها مما لا يتعلق به عمل في هذا العصر ولا من عنده كثير من الاحكام الغريبة التي لا تقع فيحتاج الناس إلى معرفة حكمها كجواز التناكح بين الإنس والجن وعدمه ، وانما أعني بالعلماء كل من له وقوف على سر الدين وحكم التشريع وانطباق أحكام الاسلام على مصالح البشر وتأثيرها في

*) فاتحة العدد ٤٦ المؤرخ في ٢٣ رمضان سنة ١٣١٦ — ٤ فبراير (٢٤ك) ١٨٩٩

سعادتهم في الدارين وحكمة في وضع الاشياء في مواضعها ومخاطبة الناس على قدر عقولهم واعطائهم ما تمس اليه حاجتهم ، وانما تجتمع هذه الصفات لمن يجمع بين العلم باخلاق الدين وعقائده وآدابه والعلم بأحوال الناس وشؤونهم ومرامي أفكارهم وكيفية معاملاتهم ، لا لمن يقول لا يمكن الجمع بين العلم واختبار شؤون الناس كما سمعناه من بعض مشاهير الشيوخ

الطب الروحاني الذي هو تهذيب الأخلاق وتقويم الملكات والعادات والوقوف بالنفس الناطقة الانسانية موقف الاعتدال هو كالطب الجثماني الذي غايته اعتدال مزاج البدن . وأهم ما في الطبين معرفة حقيقة المرض ثم معرفة علاجه ، العلاج ووصف الدواء مشروح في الكتب ولكن بدن الانسان ونفسه لا يوضعان في الكتب فلا بد من النظر فيهما بما ترشد اليه المعرفة الصحيحة وكل من يتصدى لمعالجة الأبدان أو الأرواح قبل الوقوف على حقيقة مرضها فهو خادع أو مخدوع ولا يزيد علاجه المريض الا بلاء وعناء

تدخل مسجد سيدنا الحسين (عليه الرضوان والسلام) في هذه الأيام فتشاهد كثيرا من الوعاظ والمدرسين وقد حشر الناس اليهم حتى كادوا يكونون عليهم لبدا ، ولكن أكثر هؤلاء الوعاظ من أطباء النفوس الكاذبين الذين يضاعفون الداء فينهك من يعالجونه مرضاً حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ؟ يزيدون الخاملين خمولا بما يكررونه من عبارات التزهيد في الدنيا ويزيدون الفجار استرسالا في فجورهم بما يعدونهم ويمنونهم المغفرة والعتق من النار مهما عظمت الذنوب وتراكمت الاوزار ، نعم ان منهم من يأمر بالتوبة ويستتيب الناس ولكن تلك التوبة كلام بكلام فهي أيضاً من جملة أنواع التغرير ، فبتزهيدهم في الدنيا أمسكوا بالهمم عن تحصيل سعادتها الصحيحة وبتمنيهم بالمغفرة والرحمة أمنوهم من العقوبة فبطل الخوف الذي يزجر عن المحرمات وصار الرجاء الذي يحث على الجد في العمل غرورا ، والخوف والرجاء هما الجناحان اللذان يطير بهما صاحب الدين ، الى مرضاة رب العالمين ، وهي غاية السعادة الأخروية ، فهكذا تضافر الخطباء والوعاظ على قطع طريقي السعادتين ، وطمس معالم النجدين ، وتركوا المسلم مقصوص الجناحين

فمتى يفوز ومن عداه بعضه ومتى يفيق ومن ضناه طبيبه

حدثنا بعض أبناء المدارس الأذكياء انه جلس على أحد أولئك الوعاظ المدرسين فكان الدرس وهو في تقليم الاظافر مدعاة لاستغراب هذا الذكي لانه لم يكن يتصور أن الدين شرع لتعليم الناس كيف يقلمون أظافرهم ومتى يقلمونها . ولا أنكر ان بعض الكتب التافهة يوجد فيها كثير من اللغو الذي لا يصح في السنة ولا يرشد اليه العقل يشتغل به من لا قيمة للوقت عندهم فيضيعون الاعمار باللغو والعبث . ومن هذا اللغو بحث تقليم الاظفار وقد أوردوا فيه كلاما غريبا وجعلوا له ترتيباً وكيفيات وانتحلوا له فوائد وغوائل تختلف باختلاف الايام منها ان التقليم يوم الخميس يورث الفقر ويوم الجمعة يورث العلم ويوم السبت يورث الأكلة الخ

على ان هذا الدرس الذي لا ينفع ولا يضر الا بتضييع الوقت الذي لا قيمة له عند أكثر قومنا أخف مصابا على الأمة من الدروس الأخرى التي تنفث في الارواح سم التكسيل عن الكسب والتجرؤ على الاسترسال في اللهو والمعاصي والاعتذار عن التقصير بالقضاء والقدر وبمثل هذه السموم يموت روح الدين

يا رباه ماذا أقول؟ لو كان هؤلاء الوعاظ يقرؤن للناس شيئا من الاحكام الفقهية لما وصل اضرارهم الى هذا الحد . فالخطأ في الاعتقاد ينتج الكفر والخطأ في تهذيب النفوس ينتج فساد الاخلاق واختلال الاعمال وشقاء الأمة في الحال والمآل . أما الخطأ في الاحكام الفقهية فالأمر فيه أهون لأنه لا يكون غالباً الا في الاحكام الخفية التي يعذر جاهلها ولا يؤاخذ المخطيء بها على ان هذه الاحكام لما يكثر فيها من الخلاف لا يكاد يعدو المدرس قول فقيه يؤخذ بقوله ومع هذا كله نجد علماءنا لا يبالون الا بهذا الفن الذي يسمونه فقها وقد أهملوا في الاكثر فقه الدين وهو تهذيب الاخلاق الذي هو موضوع البشارة والانذار اللذين لم ترسل الانبياء الا لأجلهما بشهادة قوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) وقد بينا من قبل ان الفقه في الدين هو ما تعلق به الانذار بدليل قوله عز وجل (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم) لا علم الاجارة والبيع والسلم ونحوها

يظن أكثر شيوخنا أن علم الاخلاق الذي هو مادة الوعظ والتذكير بديهي

لاحاجة الى دراسته وتلقيه لسهولته بخلاف الفقه — وهو من أغرب الظنون الآثمة. فان موضوع هذا العلم قوى النفس الانسانية وصفات الروح العاقل المدبر للبدن المتصرف فيه في أعماله وغايته السعادة الحقيقية لان السعادة ثمرة الاعمال الصالحة النافعة والاعمال تابعة للاخلاق حسنا وقبحا كما أوضحناه في مقالة سابقة. لاجرم أن هذا العلم من أدق العلوم وأعوصها كما انه من ألذها وأنفعها

كان من أهم الوظائف الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر والاستاذ الفاضل السيد علي الببلاوي انتقاء الوعاظ والمدرسين للمسجد الحسيني من أعلم الشيوخ بالتهذيب وأفقههم في الدين وأكثرهم وقوفا على ماتمس اليه حاجة الناس في مصالحهم وامتحان من يتصدى لذلك مدعيا الكفاءة كما امتحن الامام علي كرم الله تعالى وجهه الحسن البصري فقد روي أنه دخل مسجد البصرة أو الكوفة فرآه كالمسجد الحسيني في هذه الايام مملوءا بالقصاص فطردهم الا الحسن فانه رأى عليه سيما العلم والصلاح فقال له يافتى اني سائلك عن شيء ان أجبت عنه والا طردتك كما طردت أصحابك ثم قال له ما ملاك الدين ؟ فقال الحسن الورع، فقال له وما فساد الدين ؟ قال الطمع . قال اثبت فمثلك من يتكلم على الناس . وانما اكتفى الامام منه بهذا لانه مع صحته يوثق بأن الحسن يعظ لوجه الله تعالى لا طمعا في نوال المستمعين واستمالة قلوبهم كما عليه اكثر القصاص من ذلك العصر الى اليوم . ومن كان يريد الحق يهتدي اليه ومن كان يريد التقرب من الناس فان الهوى يعميه ويصده عن سبيل الحق فيقص عليهم ما يرى انه يسرهم وان كان يضرهم وما يرضيهم وان كان يضرهم فيكون ضالا مضلا . وان على من يعلم الحق ويكتمه مثل ما على من يعلم بغير الحق من الوزر أو أكثر ومثلهما في ذلك من يقدر على ازالة المنكر ووضع المعروف في موضعه ولا يفعل . فعسى ان يحاسب العلماء أنفسهم ويقوم كل بما يجب عليه فترى المساجد في جميع الشهور (لا في رمضان فقط) ينابيع لعلوم الدين وتهذيب المسلمين وتنفي بعلم الراسخين جهل الجاهلين والله ولي المتقين

يمكنني أن أذيل كلامي هذا بكلمة ثناء على أمثل مجلس حضرته في وعظ العامة في مصر اشراقا بالحق لاهله وتغبيطا للواعظ والموعوظ. ذلك مجلس الاستاذ الفاضل

الشيخ علي الجربي فقلنا خطب في أحد المساجد خطبة ما سمعت مثلها. مع زيادة شيء
منها وعقد بعد الصلاة مجلس وعظ لا يتناوله شيء من انتقاد هذه المقالة والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم

الاسلام والترقي

امتازت جريدتنا « المنار » بالتنويه المتواصل بان الاسلام جاء بتعاليم كافية
لعروج الامم الى سماء السيادة العلياء و بلوغها مراتب السعادة القصوى، لانها أبطلت
جميع الاعتقادات التي تحول بين الانسان و بين كماله كالاعتقاد بأن الانسان ناقص
حقير لا يصح له ان يرفع أعماله الحسنة الى الجناب الالهي الاقدس ولا ان يطلب
من مولاه الحقيقي العفو عن تقصيره وتفريطه بالتوبة الصحيحة بينه و بين ربه الرؤف
الرحيم الا بواسطة رؤساء الدين المعبر عنهم بالقديسين أو الأولياء المقربين. فأبطل
الامتياز الصنفي وألغى هذه الوساطة والرئاسة التي تهبط بالطباع وجعل الناس كلهم
عبيداً لله وحده أحرارا بالنسبة لما سواه لافضل لاحد على أحد الا بالعلم والعمل
والكمالات المكتسبة. وكما أبطل سلطة الرؤساء الروحانيين قيد سلطة الملوك والحكام
(كما بينا ذلك من قبل) بشريعة حقة مبنية على أصول الحرية الصحيحة والعدل
والمساواة التي سادت بها أوربا في ممالكها واعتز سلطانها ولم تقتبسها الامم الاسلام
وستضطر أوروبا الى الاخذ بما لم تأخذ به من قواعد الاسلام كايجاب الزكاة التي
هي العلاج الوحيد لمرض من أشد الامراض الاجتماعية وهو الاشتراكية وكاعطاء
المرأة حقوقها التي كانت مهضومة قبل الاسلام عند جميع الامم في الشرق والغرب
فجاء القرآن يقول « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » واحدة وهي
القيامة بالرعاية والحراسة والانفاق لأن الفطرة والطبيعة تعطيه حق رئاسة المنزل وحراسته
والانفاق عليه لانه أقوى وأقدر على الكسب. وفي الحديث الشريف « النساء
شقائق الرجال » فاقتبست أوربا ذلك وعظمت شأن النساء ولكن لم تأخذ بكل
ما جاء به الاسلام في ذلك لان الاوربيين ما فتئوا يعدون المرأة التصرف بمالها

والمدافعة عن حقوقها بنفسها وتقيدونها في ذلك بزوجها وهذا التقييد مبني على الاعتقاد القديم بضعف عقلها وعدم أهليتها للتصرف . وكمحو التعصب الذميم بالعدل الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يساوي بين الامام علي بن أبي طالب ورجل من آحاد اليهود . والفرنسيون أئمة المدنية الاوربية الذين يشير علمهم الى العدل والحرية والمساواة لا يزالون يضطهدون اليهود الى اليوم وتنشئ الجمعيات المؤلفة لاضطهادهم الجرائد وتؤلف الرسائل في التحريض عليهم والتنفير منهم — الى غير ذلك من التعاليم الصحيحة التي تكفل لمن يأخذ بها السعادة الحقيقية

هذا ما يحملنا على تكرار القول بأن أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس له أو يضيف اليه ما ليس منه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا . كيف وقد اعترف للاسلام بمزاياه الشريفة مما ذكرنا وما لم نذكر جميع الناظرين في التاريخ والباحثين في الملل والشرائع بالانصاف من غير المسلمين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب أقلامهم فيما يكتبونه ويجري على ألسنتهم عندما ينطقون، من غير روية ولا تكلف، ولا مصانعة ولا تصنع، ونذكرهنا على سبيل الاستشهاد مقالة لبعض الكتاب الافاضل نشرت في المقطم (عدد ٢٩٨٩) من عدة مقالات في أسباب انحطاط الشرق وها كها بحروفها

اسباب انحطاط الشرق

﴿ الهيئة الاجتماعية الشرقية ﴾

« لحضرة الافوكاتو الفاضل نقولا يوسف دبانة »

بينما كان ملوك الغرب لا يقيدهم دستور ولا يعرفون قانونا الاقانون استبدادهم كان ملوك الشرق مقيدين بدستور يمنعهم عن كل استبداد وظلم ولم يحملهم منه ارادتهم الخاصة ولا ارادة الشعب وذلك القيد هو القرآن الشريف . افليس الحكم الذي هذه صفاته الأصلية أفضل من سائر الأحكام لانه مبني على أساس الحرية

الصحيحة والعدل والمساواة وهل ينكر أحد بعد هذا أن الشرق مهد المبادئ الجمهورية والحكومة الدستورية

ولا يغرب عن البال انا انما نتكلم عن المبادئ لا عن الحوادث ، فقد قام في الشرق حكام مستبدون زادوا عدداً عن الذين قاموا في الغرب لكن ذلك لا يقدح في قولنا أن مبادئ الاحكام في الشرق مبادئ دستورية ، فاذا تعدى الانسان الشريعة فتعديه لا يبطل وجودها ، وشبيه ما في الشرق ما جرى في فرنسا لما حكمها نابليون الأول فانه كان من أعظم الملوك استبداداً ومع ذلك كان يلقب رسميا نابليون امبراطور جمهورية فرنسا فقيام حاكم كالحاكم بأمر الله لا ينافي قولنا إن مبادئ الهيئة الاجتماعية الشرقية مؤسسة على الجمهورية والمساواة

ومما يدل على أن حق الملك في الشرق ليس حقاً شخصيا هو أن الشرق ميال الى إلقاء مقاليد الاحكام الى الارشد في العائلة لا الى الابن ولا الى الوارث الاقرب كما في أوروبا فتختلف وراثة الحكم بذلك عن وراثة المقتنيات ولو كان الحكم حقا شخصيا لكان يرثه الذي يرث المقتنيات والاموال ، فكأن الشعب الشرقي يقول عند اعطائه الحكم للارشد انا لما كنا نبايع حاكمنا حق الحكم علينا وجب أن نطالب منه أن يكون أهلا للحكم متمكنا فيه ، فالارشد في العائلة أولى بذلك من ابن الحاكم السابق لأن خبرته أكثر ومادته أوفر وارادته أمضى وعزمه أشد

هذا ويتضح من البحث الدقيق أن المبادئ الجمهورية والاشتراكية المنتشرة الآن في الغرب والتي يعدها الغرب تقدما وتمدنا وجدت في الشرق من البدء وهي

أولا — حقوق المرأة المدنية ، فان المرأة في الغرب لا تستطيع أن تتصرف بدرهم من مالها الخاص ولا ان تعقد عقدا ولا ان تدافع عن حقوقها امام المجالس ولا ولا بلا أذن من زوجها على حين أن المرأة الشرقية مطلقة الحرية في ذلك كله

ثانيا — اعانة الفقراء بالاموال الاجبارية ، فان الحكومات الغربية تسعى الآن في إلزام الاغنياء باعانة الفقراء فيلتزم كل غني أن يدفع شيئا معلوما من ماله لاعانة الفقراء والمساكين ، وهذا جل ما يسعى اليه الاشتراكيون ولكن الشرق سبقهم اليه والزكاة وبيت المال شاهدان عليه

ثالثا — إبطال الجمعيات المستقلة بنفسها و بقوانينها عن الهيئة الاجتماعية كالاكليروس والرهبنة والشرق قل قبل الغرب لا رهبنة في الاسلام ، ولا حاجة في الاسلام الى الواسطة بين الله والعبيد إذ كل انسان له الحق أن يكون إماما وخطيبا الخ

رابعا — عدم تعرض الحكومات للأديان ، واحسن قاعدة للحكومات في معاملة أديان الشعوب هي ما تجري حكومات الشرق عليه مبدئيا في ذلك

فتبين مما تقدم ما هي مبادئ الشرق الاصلية ولو اتبعت لارتقت بالشرق الى أعلى درجات التقدم والتمدن ، ولكن الحكام لم يتبعوها فجاروا وما عدلوا وداموا على ذلك مدة طويلة والشيء إذا دام صار عادة والعادة إذا طالت صارت فطرة فاتبع الحكام الظلم فصار عادة واعتاد المحكومون الخضوع فصار فطرة وجعل الحكام يعدون عدم الاستبداد ضعفا وعليه قال الشاعر « انما العاجزمن لا يستبد » واضاع المحكومون معرفة حقوقهم فباتوا طعمة لكل آكل ، وكيف يمنعون الغريب من التسلط عليهم وهو هاضمهم بقوته الاجنبية على حين أنهم لا يستطيعون منع الحاكم الوطني من ان يجوز عليهم وهو لا يقدر ان يظلم الا بواسطتهم ومساعدتهم له إذ هم الحاشية والحرس والجلادون والسجانون وسائر منفذي الاوامر، هذه العاقبة الاولى ، واما الثانية فهي أن الحكام خافوا قيام الشعب المظلوم فاحتالوا لذلك باستخدام الفرس والخزر والتركمان والانكشارية والمماليك فصارت الآفة آفتين الاولى ان ذلك الجند الغريب طغى على الشعب أيضا مع حكامه وتاريخ المماليك والانكشارية شاهد على ذلك وأصل الدولة التركية من ذلك الجند الغريب ، واما الآفة الثانية فهي انه لما كانت جيوش البلاد مؤلفة من الاجانب نسي الوطنيون حمل السلاح حتى جعلوا يظنون الدخول في العسكرية من أعظم المصائب وفقدوا الروح العسكري فاذا جاء العدو لم يجد وطنيا يريد مقاومته أو يستطيعها اذا أراد

والعاقبة الثالثة انه لم يقم في الشرق عائلات شريفة ولا قوية ، نعم إن زيادة سطوة تلك العائلات ماديا تكون خطرا على الحكومة ولكن إذا كانت سطوتها أدبية فقط ساعدت الحكومة على التقدم والارتقاء لانها تضطر الى المحافظة على شرفها والبعد عن كل ما يشينه وتكون امينة على كنوز الحب الوطني جامعة تحت لوائها

جميع تابعيها وخدمها ومجاوري قصورها ، واعظم شاهد على ذلك حالة العائلات الشرقية « كذا » في انكلترا فهي رأس الشعب وزهرته وغره ومستودع حب الوطن والمعين الأعظم للحكومة ، اما في الشرق فالعائلات الشرقية لا تكاد توجد فضلا عن العائلات البسيطة كما تقدم

اسطقس الحق

﴿ تتمة ما سبق ﴾

(وأما القول) بأن العمات والخالات النسبية لولد المرضعة من العمات والخالات الرضاعية له بعينها فباطل إذ مع انه يشبه هذا هذيانات المجانين نفرض ان ولد المرضعة لم يرتضع من أمه فحينئذ لا يتحقق له الرضاع رأسا لا بالمعنى اللغوي ولا بالمعنى الشرعي وليس هذا مجرد فرض بل هو متحقق في نفس الامر ألم تعلم انه كم من ولد لا يرتضع من أمه ولا من ثدي آدمية بل ينشر لحمه وعظمه من حليب بقرة وايضا الشق الاول من الترديد الثاني يهدم بنيانه كما لا يخفى فحصحص لك أن دخوله تحت خطاب قوله « وبنات الاخ » مستحيل أي حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة محال والا لزم المحال وكل ما هو مستلزم المحال محال ويتألف منه قياس اقتراني منتج المطلوب هكذا : حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة يستلزم المحال وكل ما يستلزم المحال محال فحرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة محال . ولك ان تؤلف قياسا استثنائيا منتجا المطلوب أيضا هكذا : لو حرمت بنت الرضيع على ولد المرضعة لدخل تحت خطاب قوله تعالى « وبنات الاخ » لكن دخوله تحت خطاب قوله تعالى « وبنات الاخ » محال فحرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة محال . وأيضاً تقرر الدليل بوجه حسن جامع مختصر هو أن حرمة المحرمات من الرضاع ثابتة بقوله صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » فالمحكوم عليه بحرمة هذه المحرمات إما أن يكون من صدر منه فعل الرضاع أولا والثاني صريح الاستحالة من وجوه . أما أولا فلان قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من

الرضاع مايحرم من النسب يحكم بأعلى صوت ان الحرمة الرضاعية متحققة من الرضاع البتة فلزوم الحرمة من دونه مخالف لحكم الحديث وأما ثانيا فلان الرضاع هو علة تامة لحرمة المحرمات من الرضاع كما ينص به الحديث فعدم العلة التامة ووجود المعلول محال قطعاً وأما ثالثا فلانه يلزم منه ان يثبت لكل فرد من أفراد أمة النبي صلى الله عليه وسلم تلك المحرمات من الرضاع من دون صدور فعل الرضاع منه وهو كما ترى. وعلى الاول ان حرمت بنت الرضيع على ولد المرضعة فاما ان يكون هو كالرضيع ممن يصدر منه فعل الرضاع أولا يكون فعلى الشق الاول يلزم ان تحرم من الرضاعة مجموع العمات والخالات والأخوات وغيرهن من الرضاع كما تحرم مجموع تلك المحرمات في النسب من نسبه والابطال مقتضى الحديث وهو محال. وعلى الثاني حرمة بنت الرضيع على ولد المرضعة صريح البطلان والوجه ماتقدم

(فان قلت) ان ولد المرضعة وان لم يكن ممن يصدر منه فعل الرضاع لكن له علاقة رضاعية لارتضاع الرضيع من أمه فتحرم بنت الرضيع عليه من رضاع الرضيع (قلت) ليت شعري ما شجعه على هذا القول اذ هو باطل من وجوه أما أولا فلان علة الحرمة لكل واحدة من بنات الاخ والعمات والخالات وغيرهن سواء كن من النسب او الرضاع واحدة فلو حرمت بنت الرضيع على ولد المرضعة بناء على انها بنت الاخ له من الرضاع من رضاع الرضيع لزم ان تحرم عليه العمات والخالات من الرضاع أيضا أما ثانيا فلان ثبوت الحرمة من رضاع الرضيع بعلاقة رضاعية بما رويناه من الحديث غير مسلم ومن ادعى فعليه البيان من الحديث والقرآن. أما ثالثا فلان ولد المرضعة وان كانت له علاقة رضاعية لكنه ليس ممن يصدر منه فعل الرضاع وثبوت الحرمة لمن لا يصدر منه فعل الرضاع باطل من الوجوه التي تقدم ذكرها. أما رابعاً فلانه هنا شخصان أحدهما هو الذي صدر منه فعل الرضاع وهو الرضيع فقد حرمت من رضاعه الامهات و بنات الاخ والعمات والخالات وغيرهن من الرضاع بمقتضى الحديث وثانيهما هو الذي لم يصدر منه الرضاع لكن له علاقة رضاعية وهو ولد المرضعة فحينئذ ان حرمت عليه بنت الرضيع من رضاعه فاما ثبت الحرمة بقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع مايحرم من النسب أولا والثاني صريح

الاستحالة اذ الحرمة الرضاعية ثابتة بهذا الحديث فهل يجترئ أحد على القول بالحرمة بدونه . وعلى الأول لو سلم ثبوتها منه لزم ان تحرم من هذا الرضاع مجموع الامهات والعمات والخالات وغيرهن من الرضاع بمقتضى الحديث والابطل مقتضاه وهو صريح الاستحالة وأما ثبوت حرمة بنت الرضيع فقط على ولد المرضعة فمحال قطعا

واعلم ان حكم الرضاع والجزئية واحد اذ على القول بعلية الجزئية وتسليمها لا بد أن يعبر عن الرضاع والنسب في قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب بالجزئية النسبية ابقاء الحديث الذي هو المستدل به عند الكل فهما سيان في الحكم وهذا هو المحقق لدى المحققين الكاملين وان كان القوم عنه غافلين

(وأيضا) تقرر دليلا آخر أحسن وهو يقتضي تمهيد مقدمات . الاولى ان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من الولادة يحكم بأن الولادة هي علة تامة لحرمة المحرمات السبع من النسب وينص بأن وزان الرضاع وزان النسب بعينه . والثانية أن الظاهر من قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ان المخاطبين بقوله تعالى حرمت عليكم الآية كل فرد من أفراد أمة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في المقدمة الأولى أن الولادة هي علة الحرمة في المحرمات السبع فوجب أن تكون علة الحرمة قائمة بكل واحد واحد بالذات والا انعدم الخطاب اذ سبب الخطاب وجود علة الحرمة وهي الولادة كما يفصح من الحديث ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من الولادة فلو لم توجد العلة لم يوجد السبب وانعدام السبب يستلزم انعدام المسبب فالحرمة كما ترى على أن وجود الحرمة بلا قيام علة الحرمة بالمخاطب باطل من وجوه أما أولا فان الخطاب بأنه حرمت عليكم أيها المخاطبون عماتكم من الولادة والولادة قائمة بغيرهم مستحيل اذ هو ينبئ عن السفاهة والجهالة والله تعالى عنهما علوا كبيرا وأما ثانيا فلان حرمة العمات لزيد عليه لما كانت معللة بالولادة لزم قيام العلة به فلو لم تكن العلة قائمة به لزم وجود المعلول بلا وجود العلة وهو محال على أن حرمة المحرمات السبع اذا كانت معللة بالولادة فمن قامت به الولادة حرمت عليه لا على غيره كما لا يخفى وأما ثالثا فلانه يلزم منه أن تحرم أخت عمرو على زيد مثلا من العلة المحرمة

القائمة بعمرو وما آله أن يرتفع حينئذ عقد النكاح الذي هو متحقق من الله ورسوله عن سطح الأرض اذ يلزم منه أن تحرم بنت كل واحد وأخته مثلا على الآخر بالعلة القائمة به وهو كما ترى وأما رابعاً فلان المخاطبين بهذا الخطاب كل واحد واحد على حياله وكل واحد من العباد سواء عند الله الحق فثبوت الحرمة من العلة القائمة بالغير تخصيص بلا مخصص وهو محال والتخصيص من الله أيضا باطل اذ نسبته الى جميع الممكنات واحدة كما لا يخفى وأما خامسا فلانه لما كان كل واحد مخاطبا ومحرما عليه بعلة الولادة وجب قيام الولادة بكل واحد حتما والا استحال وجود المخاطب والمحرم عليه فضلا عن ثبوت المحرمات له وكذا الحكم في الرضاع بعينه بحكم المقدمة الاولى (والثالثة) ان قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب يحكم بان حرمة المحرمات الرضاعية ثابتة من الرضاع كما أن حرمة المحرمات النسبية ثابتة من النسب وان الرضاع علة تامة للمحرمات من الرضاع كما أن النسب علة للمحرمات من النسب (والرابعة) ان الحرمة الرضاعية مستحيلة بدون الرضاع بحكم المقدمة الثالثة (والخامسة)أن الضرورة شاهدة بأنه لا بد من قيام علة الحرمة بالمحرم عليه أو المحرم بالذات والا حكم بحرمة المباحات بأسرها كما لا يخفى

فاذا تمهدت هذه المقدمات فنقول : انه لو فرضنا أن زيدا مثلا ارتضع من طلحة حرمت رضاعة المحرمات السبع من الرضاع بحكم المقدمة الثالثة وأما ولد المرضعة فلا يخلو اما أن يكون له الرضاع أم لا فعلى الاول لزم أن تحرم من رضاعه أيضا المحرمات السبع من الرضاع بلا فرق بحكم المقدمة الثالثة وعلى الثاني ثبوت الحرمة له مستحيل جدا بحكم المقدمة الرابعة وأيضا القول بأن بنت الرضيع محرمة على ولد المرضعة من رضاع الرضيع محال قطعا بحكم المقدمة الثانية وأيضا من الخامسة فقد استبان لك أن بنت الرضيع غير محرمة على ولد المرضعة البتة هذا حكم حديث الرسول الكريم والحق عند الرحمن الرحيم

(المنار) أثبتنا هذه الرسالة بحروفها ونرغب إلى أفاضل علماء الأزهر الشريف انتقادها اجابة لطلب مؤلفها وبيانا للحق ونحن ننشر ما يكتبون لنا في ذلك ونرجو منهم مراعاة الاختصار

﴿ الاعتقاد بالجمادات ﴾

ذم القرآن التقليد ووبخ المقلدين وفرض على المسلمين أن لا يعتقدوا مالا يقوم عليه برهان وخاطب الآخذين بالخرافات بقوله « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وقال تعالى « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة والغرض من ذلك تطهير العقول من دنس الأوهام ورجس الخرافات فان عقيدة خرافية تطمس نور العقل وتعمي عين البصيرة بما تحمل على قياس المثل على المثل حتى تستحوذ الأوهام على النفوس وتكون سدا بينها وبين المعارف الصحيحة المرشدة إلى سعادة الدارين ومن هنا تفهم السر في نهي الشارع عن التصوير وعن اتخاذ الصور بهيئة معظمة فان صور الانبياء كانت مرسومة في الكعبة وتعظم كما تعظم سائر الأصنام وأزالها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، ورأى عليه الصلاة والسلام قراما (ستارا) عليه صور عند عائشة فهتكه ثم اتخذوا منه وسائد لان الصورة في الوسادة ممتهنة غير معظمة كما تكون في القرام المنصوب ، وقطع الامام عمر عليه الرضوان الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان بين النبي وأكابر أصحابه حيث علم ان بعض من لم يفهم الاسلام حق الفهم يعظمها ويتبرك بها وتلك شعبة من شعاب الوثنية ، لكن المسلمين لم يسلموا من الخرافات مع كل هذا الاحتراس منها في دينهم لا سيما أهل هذه القرون الأخيرة فقد انتهى بهم الغلو في اعتقاد الصالحين وتصرفهم في الأكوان إلى الاعتقاد بالجمادات من الاحجار ونحوها ففي المسجد الحسيني في القاهرة عمود من الرخام يطوف به الرجال والنساء من العامة ويتمسحون به التماسا للبركات وتقربا الى السيد البدوي الذي يزعمون انه يجلس بجانبه عند زيارة جده الحسين ، ومنهم من يزعم ان روح السيد توجد دائما هناك ولا ترى أحدا من العلماء ينكر عليهم ، فأجدر بخطيب ذلك المسجد أن يزجر الناس عن هذا العمل ويأمرهم بتركه في كل خطبة جمعة ما لم يقلعوا ويرجعوا ، ولعامة هذه البلاد اعتقادات بأحجار

ومساجد أخرى كمسجد أبي العلاء في بولاق ومسجد عمرو بن العاص في مصر العتيقة . وكالعمود الذي يضربونه في جامع عمرو العمودان اللذان يختبرون العاصي بالمرور من بينهما وربما نتكلم على ذلك في عدد آخر

عجائب أمريكا

(لحضرة الفاضل صاحب الامضاء)

حقا ان بلاد الامريكان جديرة بان تسمى بلاد الغرائب والعجائب إذ هي ميدان الصناعة والاعمال ومهد التفنن والاختراع قد امتاز أهلها بعدم الوقوف عند أوساط الامور في أعمالهم وصنائعهم بل يميلون في كل أشغالهم الى التناهي إما في الضخامة والعظم واما في الدقة والصغر حتى ان الانسان ليجد عندهم ما بلغ حد الضخامة المتناهية وحد الصغر المدهش الغريب

فالقادم على هذه الديار الآهلة العامرة بالسكان المجدين في العلوم والصنائع يجد القناطر الهائلة المريعة والعمارات المرتفعة المهيمنة مع الضخامة والاتساع الفائق مما يدل على مهارة القوم ودرجة تقدمهم ومقدار ثروتهم ونعيمهم فقد بلغ عدد طبقات بعض دورهم زيادة عن العشرين عدا وذلك مثل عمارة (سان بول بلدنج) الشهيرة في نيويورك بحسن نظامها واتقان بنيانها واتساع ارجائها

ومع هذا فان الامريكانيين الذين هم أصحاب هذه الاعمال الهائلة هم أيضا أصحاب الاعمال الدقيقة العجيبة ومخترعي الآلات الصغيرة الغريبة التي تنبئ عن اقتدارهم وقوتهم الفائقة

قد عمل المسيو « ج . ه . شريفر » الصانع بمدينة « دنفر » من أعمال كلورادو الامريكية آلة بخارية « وابورا » يجر قطارا مركبا من ٨ عربات تقل ثمانية عشر مسافرا ذات ثقل خفيف بحيث يتيسر لكل انسان رفعها بيده . وقد جعل قطر أسطوانة الوابور المحركة له ثلاثة سنتمترات ونصف وقطر عجلاته عشرين سنتمترا وطوله مترين وعشرين سنتمترا وجعل عرض عرباته الثانية ٣٦ سنتمترا وطولها

كل واحدة من سته منها مترا واحدا ولا تقل غير رجلين فقط . وأما العربتان الباقيتان فطول كل واحدة منهما متر وعشرون سنتمترا ولا تسع غير ثلاثة ركاب

وطول القضبان الحديدية التي يسير عليها القطار لا تزيد عن ١٣٥ مترا والمسافة الفاصلة بينها عشرون سنتمترا

ولم يحتج المعلم شريفر صاحب هــذا القطار لمساعد في تسييره بل باشر كل ما يلزم له بنفسه فكان يؤدي وظيفة ناظر وسائق ومسّاح و بالجملة كل ما يستلزمه حسن سير وانتظام القطارات العادية

وقد عاد عليه هذا الاختراع بالفوائد الجمة والارباح الطائلة إذ قلما يجد الانسان قطاره خاليا من المسافرين وان شئت فقل من المتفرجين

وأغرب من ذلك ما أتاه المطان (يانج ومالتشي) في مدينة (اطلانطق سِتي) التابعة لولاية نيوجرسي الأمريكية فانهما صنعا قطارا يمكن الانسان وضع وابوره في جيبه كل عربة من عرباته تقل والدين يدفع كل واحد منهما خمسة صلديات « مليم تقريبا » أجرة المسافة بين كل محطتين ، ويقال ان هــذا القطار أصغر قطار وجد إلى يومنا هذا ؟

وكذلك عمل الخواجات (و . س . بانيول) قطارا لطيفا أعــدوه للنزه في أملاكهم الواسعة وجعلوه على منوال القطار السريع السير (اكسبرس) الذي يخترق طريق جريت نورثرن الأمريكية الشهيرة ايابا وذهابا بين المحيــط الاطلانطيقي والاقيانوس الاعظم وقطر أسطواناته المحركة له نحو عشرة سنتمترات وأما عجلاته فمحيطها أربعة وسبعون سنتمترا وزنة الوابور بلغت ٢٥٠٠ كيلوجرام ويسير خمسة وعشرين ميلا في الساعة الواحدة

ومما يوقف نظر الغريب عن هذه البلاد ويوجب التأمل والاستغراب مايشاهده من الضخامة البالغة حد التناهي المفرط مثل الأدوار التي ذكرناها في ابتداء كلامنا ومثل النظارة الفلكية (تلسكوب) العجيبة التي صنعها المسيو «شارلس بركيس» في مدينة سنتياغو إذ جعل مقاس زجاجتها ١٩٤٥ مترا

ومما لا يصدق لغرابته لولا اجماع الجرائد على ذكره واخبار بعض المشاهدين

له ما عمله المسيو بردنج اذ تيسر له بعد ٦ سنوات أن يوجد مركبا يخلو يا لا يزيد طوله عن خمسة وسبعين سنتمترا

فتأمل ما وصل اليه القوم من البراعة الفائقة والتقدم العظيم ولتعلم أن لا شيء يصعب على الجد المجتهد مع الارادة الصادقة والعزيمة الثابتة

محمود سامي
بمدرسة الحقوق الخديوية

﴿ الشعر عند الانكليز ﴾

قص على قراء الأنيس حكاية جديرة بالذكر تدل على محبة الأوربيين للعلم وحفاوتهم بالشعر خاصة ذلك أن غلاما فقيرا جدا في لندن كان يشتغل باحد معامل الفراء وهو لا يتجاوز الخامسة عشر من عمره فاتفق مرة لبعض رؤسائه انهم وجدوه متعلقا على نظم الشعر فراقبوه وقرؤا أشعره فوجدوا فيه من الآراء الحسنة والمعاني الغريبة ما يدل على أن الفتى شاعر مطبوع وانه يبشر بمستقبل حسن فأشاعوا أمره بين الناس ونشرت جريدة لندن شيئا من شعره في ذلك العهد فاعجب به رجال الشعر هنالك فجاءته المساعدة من كل ناحية حتى نقلوه من تلك الصناعة الحقيرة ووضعوه في مدرسة يتعلم بها علم النحو وسواه ليكون شعره سليما من الخطاء فأخذ الفتى يتعلم ويتهذب مدة السنتين وهو يزداد شاعرية وذكاء حتى تضايق أبوه الفقير من مكث ابنه كل هذه المدة دون أن ينتفع منه بشيء فجاء الى المدرسة وألح جدا باخراج ابنه منها وارجاعه الى معمل يكتسب منه فعارضه الرئيس في ذلك أشد المعارضة ونشر حكاية هذا الغلام على الجرائد وقال أنه اذا خرج من المدرسة واحترف الحرف اليدوية فان دولة انكلترا بل كل العالم الانكليزي يخسرون أعظم شاعر للمستقبل يعظم به شرف المملكة ويزداد فخرها ثم قال ان مئة جنيه فقط تعطى لوالد هذا الغلام تكون كافية لافتداء الشعر والحرص على مجد انكلترا

فما شاع قوله هذا حتى جاءته تلك المئة جنيه من أحد الفضلاء العارفين بقيم القول فلبث الغلام في المدرسة يزرع فيها حبوب الشعر لتصبح بعد ذلك حديقة

غناء يجني منها المال والشرف ويجني قومه اللهو والاعجاب والطرب

وقد نشرت الجرائد شيئاً من شعره الذي نظمه الآن وهو في السابعة عشرة وقالت انه لا يزال فيه شيء من الخطإ النحوي ولكن معانيه باهرة تدل على انه متى اتسع عقله باتساع عمره فقد يرد الى انكلترا شكسبير وبرنس وبيرون وتنسون وأمثالهم من الشعراء المخلدين ويكون كل ذلك من كلمة واحدة قالها رئيسه في ذلك المعمل الحقير فدوت في انكلترا حتى كان منها ظهور هذا الغلام

ومما نذكر في هذا الباب دلالة على فضل العرب في أيام دولهم وعرفانهم مراتب القول واقدار الشعراء كما يعرفها الاوربيون الآن ان ابن الزقاق البلنسي كان فقيراً جداً وكان أبوه حدادا لا يكتسب قوت يومه ولكن الولد كان مولعا بنظم الشعراء حتى كان يسهر من أجله الليل فكان أبوه يعاتبه ويردعه عن النظم ويقول له نحن قوم فقراء لا نملك مانشتري به الخبز فكيف نضيف علينا ثمن الزيت للمصباح فلم يكن الولد يعبأ لهذا القول على شعوره بذلك الفقر بل ظل ينظم الشعر ويصقل قريحته به حتى جاء بلدته أبو بكر بن عبد العزيز فمدحه بقصيدة يقول فيها

ياشمس خدر ما لها مغرب ... أرامـــة دارك أم غرّب
ذهبت فاستعبرت طرفي دما ... مفضض الدمع به مذهب
ناشدتك الله نسيم الصبا ... اين استقلت بعدنا زينب
لم نسر الا بشـذا عرفهـا ... أولا فـاذ النفس الطيب

فاعجب بها الحاكم اعجابا شديدا واجازه عليها بثلاث مئة دينار فأخذها الفتى وجاء بها الى ابيه وهو يشتغل بالحدادة ورماها بين يديه وقال له خذ هذه فاشتر بها زيتا فانها جاءت من الشعر الذي أنفقنا عليه الزيت. فانظر كيف كان العرب في عهدهم الاول من العلم والفضل وكيف كان الافرنج في ذلك الحين من الغباوة والجهل ثم انظر كيف صرنا الآن وكيف صاروا وقل « وتلك الايام نداولها بين الناس »

أنيس الجليس

﴿ الجنسية العثمانية المصرية ﴾

وضعت نظارة الحقانية لائحة في الجنسية المصرية ملخصها ان المصري (١) من استوطن مصر من عهد محمد علي باشا الكبير غير محمي من الاجانب و (٢) من ولد في مصر وظل مستوطناً لها و (٣) كل عثماني أقام في مصر ١٥ سنة فما فوقها وأبلغ ذلك المحافظة أو المديرية التي استوطنها و(٤) كل من ولد في مصر من أبوين مجهولين من غير الاجانب · وانه يشترط في الحصول على الجنسية المصرية ان يكون مريدها قد قام بواجبات القرعة التي يفرضها القانون العسكري وان المتجنسين بالمصرية من العثمانيين الذين أقاموا ١٥ سنة بشرطها وكانوا قضوا الخدمة العسكرية في بلادهم أو كان عمرهم وقت ابلاغهم المحافظة أو المديرية خبر استيطانهم أكثر من ١٩ سنة — لا يطلب منهم الدخول في الخدمة العسكرية في مصر بل يكلفون دفع البدل العسكري وقدره ٢٠ جنيهاً

هذا ملخص اللائحة وقد انتقدت الجرائد السورية هنا تكليف العثماني الذي أدى الخدمة العسكرية في بلاده الاصلية دفع البدل العسكري وهو انتقاد وجيه فعسى أن يصادف التفاتا

﴿ المدرستان الروسيتان بطرابلس الشام ﴾

كتب الينا من طرابلس الشام أن المدرسة الروسية التي افتتحت حديثا فيها لتعليم الذكور قد بلغ عــدد تلامذتها نحو الثلاثمائة والتي افتتحت في ميناءهــا لتعليم الاناث قد بلغ عدد تلميذاتها نحو الخمسمائة · وان المدرستين تعطيان الكتب والورق للتلامذة مجانا ويطعم فيهما البائس الفقير · فيا أيها القوم الذين يزعمون أن التعليم لا دخل له في اتحاد الامم وتقدمها ولا اثر له في قوة الشعوب وتمدنها اخبروني لماذا تبذل الدول الاوربية العناية في تأليف الجمعيات لانشاء المدارس في البلاد الاجنبية التي تطمع بامتلاكها أو بتوسيع دائرة نفوذها فيها سواء كان في السياسة أم في التجارة

اذا كان التعليم يقوي نفوذ الدولة المعلمة من غير أمتها بل في بلاد أعدائها فكيف يكون أثره في بلادها وأمتها ؟ لاجرم إن قوام الامم ورقيها في مراقي التمدن وتقدمها على غيرها من العزة والمنعة ونفوذ الشوكة وعموم السيادة وسائر ضروب السعادة كل ذلك منوط بالتربية والتعليم الصحيحين وانما يقوم بذلك عقلاء الأمة وأغنياؤها لاحكامها وأمراؤها . فليعتبر الذين سجلوا على أنفسهم الحرمان بل وطنوها على الموت الزؤام لاعتقادهم أن نهوضهم لايأتي الا من قبل حكامهم الميؤس منهم

﴿ فتن مكدونية ﴾

تفيد الجرائد الاوربية ان الدولة العلية في قلق من القلاقل في مكدونية وانها تحشد الجيوش وترسل الذخائر الى حدود البلغار فنسأل الله ان يجعل النهاية خيرا

﴿ اعانة مسلمي سنغافورة للدولة ﴾

أرسل مسلمو سنغابوره ٢٤٩ ليره عثمانية الى الاستانة اعانة لأولاد الشهداء

﴿ مرصع الزاج ﴾

أهدانا عالم الشعراء وشاعر العلماء في حاضرة تونس سيدي محمد النيفر نجل العلامة الكامل الشيخ القاضي المالكي ارجوزة حكمية من نظمه سماها « مرصع الزاج من سلسلة واسطة التاج ، فيما اليه من عيون الحكم والوصايا يحتاج » جعلها ثمانية أبواب «١» فيما يستعان به على فضيلة العلم والعقل و«٢» على الزهد والعبادة و «٣» على أدب اللسان و«٤» على أدب النفس و«٥» من مكارم الاخلاق و«٦» على حسن السيرة و«٧» على حسن السياسة و«٨» على حسن البلاغ . وقد «رخص لكل من أراده اعادة طبعه أوترجمته لأية لغة تعميما للنفع» ولولا ضيق المقام لأوردنا في العدد شيئا من تلك الحكم فجزى الله الناظم فوق ماتستحقه عنايته واخلاصه ونفع بحكمه وآدابه

﴿ اليمن ﴾

أرسلت الدولة العلية الى اليمن ذخائر تساوي قيمتها مليوني فرنك وتفيد الاخبار الأخيرة ان الدولة العلية ظفرت بالثائرين

﴿ الخط الحديدي بين الاسكندرية ورأس الرجا ﴾

يقول المستر سسل رودس ان المسافة بين مدينة رأس الرجاء والاسكندرية ستة آلاف ميل منها ٣٢٢٩ ميل لم تمد فيها الخطوط الحديدية ويحتاج الى نحو ٢٥٠ مليون فرنك الى مد الخطوط فيها لان نفقة الميل الواحد نحو ٧٥ ألف فرنك وهو يسعى لدى حكومته باتخاذ الوسائل لمد هذه الخطوط ووصل الاسكندرية برأس الرجاء ليتم لها الرجاء السابق بامتلاك شرقي أفريقيا من الرأس الى الذنب وستكون المسافة بين مصر والكاب عشرة أيام في الا كثر

﴿ ميزانية روسية الحربية والبحرية ﴾

كانت ميزانية روسية في العام الماضي ٢٩٨ مليون روبل للجيش و٦٧ مليون للبحرية وقد جعلتها في هذا العام ٣٢٤ مليون للجيش و٨٣ مليون للبحرية فما معنى اقتراح القيصر نزع السلاح أو تخفيفه مع زيادة ١٥ مليون روبل في ميزانية الحربية وقد كانت جرائد المانيا وانكلترا تقول منذ شهرين ان القيصر وافق على بذل ٢٨٠ ألف روبل في تنظيم بطريات الميدان فكيف يطابق عمله اقتراحه

الصنائع — والتربية والتعليم (*)

الصنائع ركن من أركان المعيشة الانسانية لا يستغني عنهـا البشر في طور من أطوار حياتهم وهي تترقى بترقي النوع في مدارج الحياة فتبتدي في طور البداوة بما يناسبه من البساطة والسذاجة والبعد عن الزخرف والزينة ولاحد لنهايتها وانما يسوق الناس الي الترقي فيها الحاجة فكلما ازدادوا عمرانا وعلما تجددت لهم حاجات تناسب الطور الذي ارتقوا اليه والحاجة ام الاختراع فهي التي تهديهم الى الاستنباط والعلم

مطالبة الامة في طور من أطوار الحياة بالصنائع التي تناسب طورا أعلى منه إعجاز وإعنات لا سيا في هذه الازمنة التي بنيت فيها الصنائع على أسس العلوم الطبيعيـة والرياضية والاقتصادية فاذا كلفنا تجار بغداد ـ الذين طلب منا مكاتب جريدة وكيل المتدية القراء أن نحثهم على انشاء المعامـل ـ ان ينشئوا معملا للقطن أو للصوف ونحن نعلم أنهم يحتاجون في ذلك الى اجتلاب جميع آلات المعمل وادواته من اوربا بأثمان أغلى مما هي عليه في بلادها والى نفقات النقل مع صعوبة المواصلات والى دفع المكوس والضرائب للحكومة والى عمال من الاجانب يشتغلون في المعمل لجهل الوطنيين بذلك فهل نقدر على اقناعهم بان مصنوعهم هذا يمكن أن يباع بالسعر الذي يباع فيه مثله من المصنوع الاوربي مع الربح الذي يساوي أو يربي على ما يربحونه من تصريف أموالهم في تجارتهم الحاضرة ؟؟ لا بد لمن يحث هؤلاء على عمل كهذا ان يعرف جميع ما أشرنا اليه مفصلا تفصيلا . التجار والعمال أعلم بموضوع عملهم من ارباب الجرائد وان كانوا لا يستغنون عن ارشادها وما توصله اليهم من انباء أبناء صنفهم وأعمال البعداء عنهم مما يتعلق بالموضوع نفسه وغـير ذلك مما يحتاجون لمعرفته فيما هم فيه كما تحتاج السياسة الى الجرائد السياسية . وربما تنبه الجرائد أهـل السياسة أو التجارة والصناعة الى ما لم يحيطوا به علما لانها وصلة الهيئة الاجتماعية وملتقى

(*) افتتح بها العدد ٤٧ المؤرخ في ٨ شوال سنة ١٣١٦ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٩٩

أفكار الاصناف ولكن لا يقول أحد أن قوام السياسة أو غيرها بالجرائد وان كتابها أعلم من السياسة والتجار والصناع في مواضيع أعمالهم

من مست حاجته الى شيء وتهيأت له أسبابه تكفيه الاشارة الاجمالية الي الاخذ به ويزيده التفصيل بصيرة ومن يؤمر بما تنافيه حالته في نفسه وفي قومه ووطنه فجدير بأن لا يمتثل الامر ولا يعي الخطاب

اذا شئت أن تعصى وان كنت ناصحا فمر بالذي لا يستطاع من الامر

مما شرحنا تفهم السر في اكتفاء الديانة الاسلامية — التي جاءت لسوق الناس الى سعادة الدارين — بالارشاد الاجمالي في المصالح الدنيوية كقوله تعالى « وخلق لكم ما في السموات ومافي الارض » ونحوها وقوله عز وجل « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وقوله « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » والشكر انما يكون باستعمالها فيما خلقت لاجله وقوله « وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » الابتغاء من فضله مفسر بالتجارة . اكتفى القرآن بمثل هذا الاجمال والتنبيه على ان للكون سننا لا تتغير ينبغي الاهتداء بها وافاض في تقبيح العقائد الباطلة والحث على الاخذ بالبرهان في الاعتقاد كما افاض في الحض على تهذيب الاخلاق ومحاسن الاعمال لان هذا هو الذي يجمع كلمة الامة ويرقيها في معارج الكمال الاجتماعي وعند ذلك تهتدي الي ما في ذلك الاجمال من الارشاد الى السعادة فتندفع له عن بصيرة وعقل فتبلغ الغاية منه باذن الله تعالى

والخلاصة ان لكل مقام مقالا ولكل طور من أطوار الحياة أعمالا ونحن معشر المسلمين اليوم منحطون في كل شيء ومحتاجون اشد الاحتياج الى مجاراة مجاورينا في كل ماهم فيه من التقدم الاجتماعي والمدني والعسكري ويتوقف ذلك على علوم وفنون وأعمال وصناعات نحن في بعد عنها كلها بقدر مانحن في حاجة اليها وابعدنا عنها أمور كثيرة ترجع الى شيئين وهما الدين والحكومات أما الدين فمن وجهين (أولها)

الاعراض عنه تخلقا وعملا لعدم تعلمه والتربية عليه على الوجه الذي ينبغي ولذلك تفرقت الكلمة وارتفعت الثقة وصار الاخوة أعداء ولا يمكن مع هذا القيام بالصنائع والاعمال النافعة التي تتوقف على الاجتماع والتعاون وروحهما الثقة وهي لاتحصل بالتكلف ولا بالاجبار بل يكون الانسان أهلا لان يوثق به لصدقه وأمانته ونشاطه وكل هذا يكون بالتربية والتعليم الصحيحين . (وثانيهما) فهمه على غير وجهه فان أكثر المسلمين يعتقدون ان العلوم الطبيعية والرياضية كفر وكل من تعلمها تفسد عقيدته ويحتجون على ذلك بأن متعلميها لايبالون بالدين والسبب الصحيح في عدم المبالاة هو عدم تعلم الدين وعدم التربية عليه وربما كان قول بعض شيوخ الدين لمن تكلم في مسألة من هذه الفنون يعتقدها بالبرهان انها من الكفر ومخالفة الدين سببا في اعتقاده بطلان الدين لان كل ما خالف الحقيقة الثابتة بالبرهان باطل ويقع مثل هذا كثيرا

وأكثر المسلمين يعتقدون أيضا ان السعة في الدنيا خاصة بالكافرين ومن الجمل المسلمة الدائرة على ألسنتهم « لهم الدنيا ولنا الآخرة » وقد جاءهم هذا الوهم من الوعاظ وخطباء الفتنة وقد أوردنا لك آنفا قوله تعالى « هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وهو صريح في أن الزينة والطيبات هي موهوبة من الله تعالى للمؤمنين باستحقاق لانهم الذين يشكرون عليها ويأخذونها بحقها وان كان غيرهم يشاركهم فيها كما أفاده قوله «خالصة يوم القيامة» ولهم غير ذلك من الاعتقادات المأخوذة من الدين على غير وجهها وهي من عقبات التقدم والاصلاح وقد ألممنا بها في المقالات السابقة اجمالا وتفصيلا

وأما الحكومات فهي متمكنة بمالها من الاستبداد المطلق والسلطة النافذة من تمهيد العقبات والنهوض بالامة في أقرب الاوقات كما فعل ميكادو اليابان ولكنها تعسر ولا تيسر وتمنح الاجنبي وتحرم الوطني وتفصيل ذلك يطول والشواهد عليه كثيرة جدا نكتفي هنا بواحد منها وهو ما كتب الينا حديثا من سوريا قال المكاتب ما مثاله:

احتكر المسيو موسى فريج من بيروت من عدة سنين بضاعة افرنجية وهي نوع من نسيج الديباج أو الاستبرق يتخذ سجوفا للمناظر (ستائر للنوافذ والشبابيك) وظهارات للارائك والمقاعد يبيع الذراع منه بثمانين قرشا الى ١٥٠ قرشا فاطلع على

ذلك أحد المهرة في صناعة الحياكة والنسج من أهل دمشق الشام فأنشأ يقلد هـذا النسيج حتى جاء بخير منه متانة وحسنا وأرخص منه ثمنا فهبطت أسعار النسيج الافرنجي ونقص ربح فريح الفاحش فطفق يتجسس الاخبار ويبحث عن السبب حتى اهتدى الى ما كان من النساج الدمشقي فابتغى الى رشيد بك والى بيروت الوسيلة ٠٠٠ في منعه فقابل الوالي ذلك بما تقتضيه عثمانيته من الاهتمام واستحضر ذلك الوطني المسكين وحتم عليه ترك العمل وهدده بالعقوبة اذا هو عاد اليه ولم يكتف بذلك بل كسر له المنوال الذي يحوك عليه لكن حلاوة الربح حملت العامل على اتخاذ منوال آخر يحوك عليه سرا قال الكاتب وهذا النسيج الوطني يباع الآن في بيروت سراً كما يباع البارود والديناميت إنا لله وإنا اليه راجعون

هذا هو الوالي الذي تقدسه جرائد سوريا ويشفع له بعض المقربين كلما أراد مولانا السلطان عزله أي خزي تخزى به أمة أشد من نزول البلاء عليها من حيث ترتجي النماء لماء وفيضان طوفان الشقاوة عليها من سماء السعادة ؟ أمة هذا شأنها بماذا يكون ارشادها ؟ ما هو الاهم الذي يقدم على المهم ؟ بماذا ينبغي الاسهاب والتفصيل وما الذي يكتفي فيه الاجمال والاختصار ؟

يذهب قوم الى أن الاهم المقدم هو التحامل على الأمراء والحكام واظهار معايبهم وآخرون الى الترغيب في الاعمال والصنائع وما تتوقف عليه من العلوم والفنون وهذا ما تلهج به الجرائد العلمية والسياسية ٠ أما رأينا فهو أن أهم ما يجب تقديم العناية به وتفصيل القول فيه هو الحث على التربية والتعليم الصحيحين اذ بهما تأتلف القلوب وتجتمع الكلمة وتعرف الحقوق والواجبات الملية والقومية والوطنية معرفة كاملة تبعث الارادة على العمل ومتى تكونت الامة وتربت وتعلمت فهي تصلح حكامها وتندفع بطبيعتها الى الاعمال النافعة والصنائع المفيدة ولهذا أنشأنا المنار وعليه جرينا نعم اننا ما قلنا ولن نقول انه لا ينبغي ان يكون مع التربية والتعليم شيء آخر بل حثثنا ولا نزال نحث على تأليف الشركات المالية للقيام بالاعمال النافعة زراعية وتجارية وصناعية بحسب ما تقتضيه حالة الزمان والمكان ونبين ان ذلك لا ينافي الدين بل يحفظه ويعززه ، ونكل التفصيل في ذلك لاهله جريا على سنة الدين فقد كان الشارع عليه

السلام يرغب في الاعمال بمثل قوله « اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»
وهو أبلغ مايقال في التنشيط على العمل الدنيوي وقال في حادثة تأبير النخل «أنتم
أعلم بأمور دنياكم »هذا هو رأينا ومن أشرب به في قلبه لايعذلنا فيه و بالله التوفيق

﴿ صلاة الجمعة في جامع عمرو ﴾

هذا الجامع أقدم جوامع مصر وأعظمها ولا يصلى فيه الا آخر جمعة في رمضان
من كل سنة وللناس فيه اعتقادات وهمية غريبة منها انه سيكون هنالك في آخر الزمان
ملحمة عظيمة ويتأولون بذلك ماتطلقه الحربية من المدافع إجلالاً لأمير البلاد، وعناية
الحكومة بتجريد من يدخل الجامع من السلاح بل ومن العصيّ (على مايقولون)
وكأن السبب في هذا هو الاحتراس عن قوع مشاجرة تفضي الى فتنة كبيرة يشتعل
ضرامها بريح الاعتقاد الوهمي وكنت عازماً على الصلاة في هذا الجامع لأنظر بعيني
مايكون من أمر الناس في الاعمدة التي أشرنا اليها فيما كتبناه تحت عنوان (الاعتقاد
بالجمادات)في العدد الماضي فلم يتح لي ذلك ولكن حدثني منتقد فاضل بما أذكره
ملخصاً قال

كان الطريق مفروشا بالرمل النظيف وطائفة من الجند تذود عنه المسلمين دون
الافرنج مع ان الاولين هم المقصودون بالذات الذين تقام بهم الصلاة ولولا ذهابهم
لما ذهب الافرنج فكيف جازلهم اهانة المصلين واضطرارهم الى المشي في الطريق
الذي تسوخ الارجل فيه فتثير غبارا يملأ أفواههم وخياشيمهم وهم صائمون ، وتتسخ
منه أبدانهم وثيابهم ويستحب أن يصلوا وهم منظفون ، وقد جرى هؤلاء الجنود
على قاعدة الاستصحاب في تعظيم الافرنج والمتفرنجين ، وتحقير الوطنيين لاسيما ان كانوا
صالحين ، ولا شك ان سمو العباس أعزه الله تعالى لا يرضى بهذه المعاملة الجائرة فقد
سمعه منشي، هذه الجريدة يقول انه يحب التنقل في المساجد لصلاة الجمعة ويرى من
فائدتها اصلاح الطرق لاسيما في المساجد البعيدة كجامع أبي العلا في بولاق -وكان
الحديث بعد صلاته فيه - فعسى أن يلتفت لهذا الامر من يناط بهم مثله بعد الآن .

قال محدثي أما المسجد فقد كان مملوءا بالمنكرات والمتقدات فمن ذلك ان صدره كان مفروشا بالزرابي والطنافس والبسط الجميلة وقسم منه كان مفروشا بالحصير وباقيه غير مفروش فصلت الالوف من الناس على الارض الوسخة الرطبة . ومنها أن أبناء الطريق (الماقين) قد اجتمعوا بعد الصلاة يرقصون ويعزفون بدفوفهم ومزاميرهم . ومنها ان الافرنج وغيرهم دخلوا المسجد رجالا ونساء بأحذيتهم وازدحم الذكران والاناث على حلق المتقسين للطريق ولا تسل عما في هذا الازدحام من المنكرات وأقلها الضوضاء والجلبة . ومنها التبرك بالعمود الذي كانوا يضربونه من قبل وقد سألهم محدثي عن سبب ما كان من اهانته وضربه أولا وما استبدل بذلك من تعظيمه والتبرك به بل بحظيرة الحديد التي أقامتها الحكومة الخديوية حوله فقالوا له انه كان عصى عمرو بن العاصي عندما أراد الاتيان به المسجد فكانوا يضربونه لذلك ثم ان الخديوي رآه في نومه وقد هم ان يفتك به فسأله عن السبب فقال لانك لا تمنع هؤلاء الناس من ضربي وايذائي فهذا ما حمل سموه على الامر ببناء الحظيرة عليه وتبين أن فيه سرا يتمكن به من التصرف في الناس . ومنها العمودان اللذان يختبر الطائع والعاصي بالمرور من بينهما وقد شاهد ذلك محدثي بعينيه

أما الخطبة فأخبرني أنها كانت بعض سجعات في وداع رمضان . وأجدر بمن يخطب في مسجد تؤتي فيه المنكرات وتشاهد فيه البدع والخرافات ويحضره الالوف وعشرات الالوف أن يخطب الناس في الموضوع الذي يناسب المقام وتمس اليه الحاجة نعم أن من أسباب الخروج بالخطب عما شرعت لأجله مرضاة الامراء والسلاطين ولكن أميرنا العباس ليس من أولئك الامراء الذين يجعلون الحق تابعا لاهوائهم بل هو من امراء الاصلاح(*) الذين يحبون ان يصدق عليهم الحديث الشريف «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» ومن آية ما أقول صلاته الجمعة في جامع أبي العلاء فانه أيده الله تعالى قصد بذلك نسخ آية خرافية ، وإبطال عقيدة وهمية ، ذلك أن عامة المصريين يعتقدون من زمن بعيد ان بلاء كبيرا يحدث اذا صلى أمير مصر في

(*) هذا ما كان يظنه الكاتب في ذلك الوقت ولم يقصد به المصانعة ولا حدثته به ولا حملت احدا على إبلاغه اياه

مسجد أبي العلاء وكنت أحب أن تكون الخطبة يومئذ في موضوع هذا الاعتقاد وتوخى العزيز حماه الله تعالى إبطاله و بيان أن في صلاته تلك تربية عملية للامة • وأي عمل اصلاحي يمكن ان يعمله سمو العباس في هذا المقام أشرف من هذا ؟ أمر النبي عليه الصلاة والسلام الناس بالحلق يوم الحديبية فتوقفوا عن الامتثال فلما حلق بادروا للاقتداء به لان التربية بالعمل أنفع من التربية بالقول فلو أن الخطيب قال أيها الناس ان الله تعالى خالق كل شيء قد جعل بحكمته لكل شيء سببا وقد هدانا لهذه الاسباب بمشاعرنا وعقولنا وبما أرشد اليه في كتابه وعلى لسان نبيه لنعمل لمعاشنا ومعادنا على بصيرة وقد ضل كثير من الناس فجعلوا ماليس بسبب سببا للنفع أو للضر فكان ذلك عقبة في طريق سعادتهم في دينهم أو دنياهم بحسب الاختلاف في موضوع الضلال • وان مما شاع بينكم من الاسباب الباطلة مما لم ينزل الله تعالى فيه وحيا ولم يرشد اليه بعقل ولا حس اعتقاد أن بعض البقاع أو الجمادات يكون سببا أو واسطة لبعض المنافع أو المضار كاعتقاد بعضكم أن صلاة عزيز مصر في هذا المسجد يتولد منها مضرة وأن في زيارة بعض أعمدة الرخام في المسجد الحسيني والتمسح بها منفعة •• و إن من عناية مولانا العباس في ارشاد أمته أن جاء وصلى في هذا المسجد ليزيل هذا الاعتقاد الوهمي الفاسد وينبهكم على ان تقيسوا على ذلك سائر المواقع والمساجد فالنفع والضر والبلاء والنعماء كل ذلك بيد الله تعالى و يطلب من أسبابه المادية التي يعرف الضروري منها وما عدا ذلك ينكشف بعلوم مخصوصة قد سعد المشتغلون بها في دنياهم من حيث شقينا واستغنوا من حيث افتقرنا وقووا من حيث ضعفنا وان شفاءنا وفقرنا وضعفنا في الدنيا من ضعف الدين . لان حماية الحق والتمكن من القيام به لا يمكنان الا بالقوة والثروة فلا تعولوا في نيل مصالحكم وتحصيل سعادتكم الا على الاسباب الصحيحة التي خلقها الله تعالى وجعلها سننا ثابتة لا تتغير ولا تتحول • واعلموا انه ليس وراء سنن الكون قوة الا القوة الالهية التي يستند اليها كل شيء • اتفق على هذا برهانا العقل والوحي قال الله عزوجل فيما أوحاه الى نبيه الا كمل « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير و بشير لقوم يعقلون »

بمثل هذا كان ينبغي أن يخطب في مسجد أبي العلاء أو في مسجد عمرو عند ماصلى الامير فيهما لا بمدح الشهور ووداعها . وفق الله خطباءنا لما فيه الخير للامة بمنه وكرمه

دمشق الشام

علمنا من أنباء سوريا أن حضرة دولتلو ناظم باشا والي الولاية الولاية المشار اليها أصدر أمره باجتماع بعض الاعيان وأرباب الغيرة الوطنية في نادي دولته وذاكرهم بما فيه ترقي الوطن ونجاح أهله وكان أهم بحث طال الاخذ والرد به لزوم الزراعة التي عليها مدار الثروة والنجاح وفي ختام هذه الجلسة قرأ حضرة عزتلو عبد القادر بك المؤيد العظمي مقالة مهمة في هذا الباب وهي

بنا على استدعاء دولتكم بعض الذوات لحضوركم العالي لطفا وتنزلا وفي جملتهم هذا العاجز للتداول في ترقي الزراعة التي هي ينبوع ثروة الولاية ومصدر سعادة الاهالي ورفاهيتهم بظل سيدنا الخليفة الاعظم عناية مخصوصة من قبل دولتكم بهذا الامر المهم بادرت لتحرير هذه اللائحة في بيان الوسائل التي تؤول لترقي الزراعة في ولايتنا وتحسين احوال الفلاحين وقدمتها وأنا لا أشك في أن الحكمة والصواب في رأي دولتكم فأقول : ان الوسائل والتدابير اللازمة لترقي الزراعة هي كثيرة جدا تحتاج لزيادة شرح واسهاب لا يحتملها المقام فاذكر منها ما يأتي بوجه الايجاز والاختصار

(أولا) تأليف مجالس زراعية في مركز الولاية التابعة لها للنظر في الامور الزراعية والاهتمام على الدوام باتخاذ التدابير والوسائل المقتضية وكل ما يؤول لترقي الزراعة وتحسين شؤون الفلاحين وعرض قراراتهم المتعلقة بذلك على مقام الولاية العالي لأجل النظر فيها

(ثانيا) اصلاح الطرق الوعرة المسالك بين القرى والقصبات بإلزام كل فرد مكلف من الفلاحين بالشغل بها أياما معدودة في السنة وفقا لنظام الطرق والمعابر وذلك تحت مناظرة مجلس الزراعة بشرط أن لا يقع سوء استعمال في سوقهم وتشغيلهم

(ثالثا) فتح مكاتب ابتدائية في القرى الكبيرة والاستئذان من المرجع

الايجابي بأن تكون نفقاتها من حصة المعارف على وجه أن تعم بعد ذلك كل القرى

(رابعا) ارسال تلميذين في كل سنة من اولاد الفلاحين النجباء الى المدارس الزراعية العالية في الاستانة العليه والممالك الاوربية لتعلم علم الزراعة النظري والعملي على الاصول الجديدة واستخدامهم بعد عودتهم في المصالح الزراعية

(خامسا) توحيد اسعار النقود في كل الولاية واعتبار المجيدي أساسا لها وتنزيل سعره الى عشرين قرشا في التداول بين الاهالي وتسعة عشر قرشا في الصاغ كما هو متداول في الاستانة العلية وهكذا تتنازل أسعار النقود المتنوعة فيخلص الفلاحون من الفرق الذي بين الصاغ والرائج

(٦) تسهيل أسباب الاستدانة على المضطرين للنقود من الفلاحين من المصارف « البنوك » الزراعية التي انما فتحت رحمة بهم في ظل الحضرة العلية السلطانية لوقايتهم من ظلم الصيارفة وربا هم الفاحش وذلك بمنع المصاعب التي يقيمها بعض مأموري هذه المصارف وازالة العقبات التي يضعونها في سبيل الفلاح المسكين جرا للمنفعة الشخصية

(٧) وقاية الفلاحين من اعمال بعض صغار الموظفين وحركاتهم المخالفة للرضاء العالي وخصوصا أنفار الدرك «الجاندرمة» الذين يعاملون الفلاح معاملة مخالفة للقانون

(٨) التنبيه على الجباة «التحصيلدارية» بأن لا يطالبوا تقاسيط الخراج «الويركو» منهم قبل إدراك مواسمهم حتى لا يضطروا للاستدانة من الصيارفة وتحصيلها دفعة واحدة عند ادراك الموسم والزامهم باعشار قراهم بالبدل اللائق وفقا للرضاء العالي ووقايتهم من ظلم الملتزمين وغدرهم

(٩) فتح معرض زراعي في مركز الولاية مدة ثلاثة أو أربعة أيام في السنة تحت حماية دولتكم ونظارة مجلس الزراعة تعرض فيه أدوات الزراعة القديمة والحديثة والفواكه الغضة والمجففة وأنواع البقول والجذور والخضر والازهار والنباتات والماشية وتخصص أربعة أو خمسة جوائز من البلدية أو من واردات المعرض لا تتجاوز الجائزة عشر ليرات عثمانية لمن ينالون قصب السبق في اتقان آلات الزراعة وادواتها وتربية الماشية وتنميه الاثمار والخضر وتربية الازهار والنباتات والحكم في ذلك راجع لمجلس الزراعة ولجنة يختارها من كبار المزارعين

«١٠» مكافأة المجتهدين من الفلاحين مكافأة مادية لقاء تربيتهم عددا معلوما من الاشجار النافعة مثلا ان من يغرس مائة شجرة زيتون يعفى من دفع العشر عنها ١٥ سنة ومثله من يغرس ٥٠٠ شجرة توت أو مشمش و٤٠٠٠ جفنة كرم وحيث ان ذلك لا يكون الا بارادةسنية سلطانية فاذا سمحت به العواطف الملوكانية فب الاستئذان من طرف الولاية الجليلة يصير اعلانه للفلاحين

«١١» حث الفلاحين على زراعة الحراش الصناعية في الاماكن القابلة لذلك كجبال الكلبية في لواء حماه وجبــل الشيخ وجبل عجلون والقنيطرة والقلمون وبعلبك وغيرها

«١٢» تعيين مكافأة نقدية من صندوق بلدية كل لواء تعطى لمن يشتغل أوفرغلة من الحنطة أو الذرة من فدان من الارض بمعرفة مجلس الزراعة و بعض أهل الخبرة

«١٣» ابدال المحراث القديم بالمحراث الجديد الاوربي تدريجاوذلك بتشويق بعض الذوات لجلب عدة محاريث من أحدث نوع وأبسطه وأقله كلفة مما يجره فدان واحد من البقر ليستعملوه في أراضيهم فاذا رأى الفلاحون فوائده اقتدوا بهم أيضا وهكذا يجلب غيره من أدوات الفلاحة الحديثة والبذور والاغراس الغربية

«١٤» تسهيل الزواج بين الفلاحين تكثيرا للنسل وذلك بالايعاز الى الخطباء والمشايخ بالوعظ على المنابر وحلقات المساجد والاجتماعات بتخفيض المهور وعــدم المغالاة بالجهاز مما يكون سببا في افتقار بعض الفلاحين أو وقوعهم تحت طائلة الدين أو إبطائهم عن الزواج وخصوصا في لواء حوران وقضاء المرج وغيرهما

«١٥» توزيع المهاجرين الوافدين للولاية على القرى ليشتغلوا في الارض التي هي في احتياج شديد الى العمال فتستفيد البلاد منهم ويستفيدون هم منها

«١٦» ترجمة بعض الكتب الحديثه الزراعية من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية وطبعها في مطبعة الولاية ونشرها بين الناس وهذا كله مفتقر لمساعدة دولتكم وعنايتكم و به تزداد الزراعة ترقياً والأهالي راحة وسعادة في أيام دولتكم بظل الحضرة

العلية السلطانية الساهرة على راحة تبعتها ورعيتها خلد الله ملكها إلى ماشاء الله

(طرابلس)

(المنار) إن مثل هذه الآراء السديدة والارشادات المفيدة جديرة بأن تصدر من مثل هـذا الأمير العاقل والسري الفاضل كما أن صاحب الدولة ناظم باشا في همته وإقدامه جدير بتنفيذها ونرى أن بعض ما يتوقف على اذن الاستانة العلية كانشاء المكاتب الزراعية من حصة المعارف من الاموال الأميرية يعسر الوصول اليه إلا إذا ساعدت المقادير ومالا يدركه كله لايترك قله

﴿ وعود فرنسا في تونس ﴾

أوسل بعضهم رسالة الى التيمس يذكر فيها وعود فرنسا وعهودها التي فاهت بها عند احتلالها بتونس ، وهذه صورتها : —

كتب المسيو سان ميلار ناظر خارجية فرنسا حينئذ في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨١ يقول عن احتلال تونس « اننا لا نفكر البتة في ضمها الى أملاكنا بل كل ما نسعى اليه عقد معاهدة مع الباي تضمن لنا حدودنا ومصالحنا » .

وكتب في ١٩ مايو يقول

« لا يمكن أن تكون تونس سـببا للخلاف بيننا (بين فرنسا وانكلترا) فقد صرحنا لأوربا باننا لا نروم ضمها ولا فتحها ولا نحاول ذلك بل نحتل بنزرت وأماكن أخرى ما دمنا نرى احتلالها لازما ولكننا لا نجعل بنزرت ميناء لنا ، ولن تمتلك فرنسا تونس وستشهد أعمالنا باننا لا نقول غير الحق »

وكتب أيضا في ٢٣ مايو يقول

« ان ما صرحت به عن مقاصدنا في تونس هو الحق الذي لا ريب فيـه ، وضمها حمق وجهل ، ثم اننا لا نريد أن نفعل شيئا في بنزرت »

وكتب أيضا في ٩ يوليو ما يأتي

« اننا سنخمد الثورة ولكن ذلك لا يغرينا بالفتوحات لاننا لا نريدها وليس في زيادة سطوتنا على تونس اجحاف بالمصالح الانكليزية ولا بغيرها ، وسترى أوربا

عن قريب أن وعودنا ليست من قبيل العبث وان مقاصدنا في تونس حسنة لانا لا نطلب شيئا غير سلامة مستعمرتنا الافريقية العظيمة « الجزائر »

وكتب في ٢٧ منه

ولي الأمل ان ما أجبت به أول أمس يقنع انكلترا بحسن نيتنا و بصدق السياسة الفرنسوية واخلاصها

وكتب في ١٥ ابريل سنة ١٨٨٤ — ولا أعلم ما إذا كان لا يزال ناظرا للخارجية حينئذ — يقول « اني على رأيكم في سياسة انكلترا المصرية فما عليكم الا أن تفعلوا ما قلناه نحن في تونس حيث الاحوال على ما يرام فان في ذلك مصلحة بلادكم ومصلحة التمدن والانسانية معا »

وكتب الكونت دي باري عدو الجمهورية الفرنسوية الى المستر ويف في ١٧ ستمبر سنة ١٨٨٤ عن حملة تونكين فقال

إن السياسة الاستعمارية سارت على خطة غير منتظمة فتشددت عزائمها في تونكين وارتخت في مصر وقد كان يمكن اتخاذ مسألة مصر قاعدة للاتفاق مع انكلترا فعوضا عن ذلك لم ترد فرنسا مساعدتها بل حنقت عليها لانها أقدمت على العمل وحدها ولما بدأت المشاكل والمصاعب في سبيل انكلترا لم تتفق فرنسا معها على حلها ولا توارت وراء أوربا حينئذ حتى لا تقع المسئولية عليها عند الاخفاق في المؤتمر « المقطم »

« المنار » فليعتبر الذين لا يزالون ينخدعون لأوربا ويغترون بعهودها ووعودها فقد علمتهم الحوادث والوقائع الكثيرة ان كانوا يفقهون

﴿ فرنسا والسودان ﴾

لاتزال الجرائد الفرنسوية تقيم الحجج والبراهين على مخالفة وفاق السودان لجميع الاصول القانونية والشرائع الدولية ومما نشرته جريدة الدنيا في ذلك من عهد قريب رسالة من القاهرة ملخصها أن مصر ولاية تابعة للدولة العلية في جميع شؤونها

الداخلية الكبرى والخارجية العظمى مقيدة بفرامين سلطانية أقدمها فرمان سنة ١٨١٠ وأحدثها فرمان سنة ١٨٩٢ فلا حق لحكومتها أن تعقد وفاقا أو معاهدة مع دولة ما وأوضح دليل على هذا أن الدول تأبى عليها تعيين وكلاء ومعتمدين في بلادها وما وكلاء الدول في مصر الا قناصل جنرالية لا يمكن أن يعطى لهم غير هذا اللقب وأن جلالة السلطان هو الذي أذن الخديوي في سنة ١٨٧٤ بأن يوافق الدول على معاهدات الاصلاح القضائي وفي سنة ٧٩ بأن يعقد قرضا في البلاد الاجنبية لحل المسائل المالية ولما أذن له في فرماني سنة ٧٩ وسنة ٩٢ بعقد المعاهدات التجارية والجمركية قيد ذلك بهذا النص «ليس للخديوي ان يتنازل لآخرين بأية حجة وسبب عن الامتيازات الممنوحة لمصر كلها أو بعضها ولا عن أي جزء من الاراضي »وعلى هذا كان يجب أن يكون وفاق السودان بأذن خاص من جلالة السلطان ليكون صحيحا. وأما الاعتراض بأن انكلترا مشاركة في الفتح والفاعل مستحق اجرته على قول الانجيل الشريف فهو ضعيف لان الولايات السودانية «لم تخلها الجنود المصرية على الاطلاق منذ سنة ١٨٨٢ »وانما هي ولايات ثارت وعصت وأدبت فاخماد الثورة شيء والفتح شيء آخر . وقد صرحت انكلترا بلسان حكومتها وجرائدها بأن مصر أبقت حقوق سيادتها على السودان غير ممسوسة وان الحملة لم يك المقصود منها الا تسكين مقاطعات ثائرة وصرح اللورد كرزون وكيل خارجيتها «حاكم الهند الآن »في مجلس العموم سنة ١٨٩٦ بأن شرف السودان التي تقرر أمرها عائد كله الى الحكومة المصرية وحدها والنتيجة ان «وفاق السودان »فيه غمط لحقوق السلطان وحقوق أوربا . وقد أورد الكاتب كلمتين من كتب فن « الحقوق الدولية »محتجا بهما على الانكليز الاولى « ان المعاهدة المعقودة بين مملكتين تنفذ في جميع الاملاك والاراضي التي تنفذ فيهما سلطتهما وتقرر عليهما سيادتهما »والثانية« انه حينما تضم دولة أرضا ما اليها فكل المعاهدات التي تربط بها هذه الدولة تنفذ لساعتها في الارض التي تضمها اليها» وختم كلامه بأنه سوف يرى اذا كانت تصبر أوربا على هضم حقوقها أم لا انتهى

(المنار) قد ذكرت جريدة الاهرام مانشرته الدنيا باسهاب ونحن نقول كما

قلنا من قبل ان المسألة مبنية على القوة لا على الحق والا فا بال سوا كن ووادي حلفا ... فلو كان عند الفرنسويين أسطول كأسطول الانكليز لنهضت حججهم وأصابوا غرضهم . ثم ان فرنسا ليست كفوءا لانكلترا ولكنها دولة قوية والاحتجاج لا بد أن يفيدها فائدة ما فقد جاء في أنباء البرق العمومية ما يشعر بأن انكلترا قد تسمح لفرنسا بمنفذ في النيل ولكن المصيبة الكبرى على من له كل شيء ولا يسمح له بشيء لانه لا يستطيع أن يقول لانه لا يستطيع ان يفعل . فعلى المصريين ان لا يغتروا بأحد ولا يثقوا بأحد وان يتفكروا في كيفية حياتهم في هذه الاطوار الجديدة التي طرأت عليهم فالانكليز لا يمنعونهم من منافعهم ان لم يقوموا بها بعنوان مناهضتهم ومعاداتهم فليشيدوا المدارس الوطنية وليعقدوا الشركات المالية وليسابقوا الاوربيين الى السودان للاتجار وابتياع الاراضي الواسعة الرخيصة فهم اقدر على سكنى السودان واستعماره من الاوربيين ان كانوا يعقلون

﴿ انكلترا والسودان ﴾

خطب اللورد سالسبوري في مجلس الاعيان خطبة رد فيها على اللورد كمبرلي زعيم الاحرار في اعتراضاته في مسألة السودان وأبدى ارتيابه في كون بلاد السودان عدت في زمن من الازمان جزءا من بلاد السلطان وأعرب عن حسن نية حكومته في هذه البلاد وتكلم عن حقوق الحضرة الخديوية كلمة نتمنى ان تكون صادرة عن الاخلاص لا عن التمويه السياسي المعهود لاسيما عند الانكليز وهي

هذا وليس في كل الكلام الذي قلناه حتى الآن مايفيد ان السودان صار ملكا لجلالة الملكة فاننا استحوذنا على أملاك الخليفة بحقين الاول انها جزء من أملاك مصر التي نحتلها الآن والثاني حق الفتح وهو أقدم الحقوق وأقلها اشكالا وأقربها الى الافهام لان الجنود الانكليزية والجنود المصرية فتحت تلك البلاد

وقد بنيت حجتي على السودان في البلاغ الاول الذي كتبته الى فرنسا على حق الفتح علما مني ان هذا الحق أفيد وأبسط وأقرب الى التوءدة والسلام من الحق الآخر ولكنني دحضت كل مايمكن استنتاجه من ذلك وهو اننا ننوي ان ننازع الجناب

الخديوي حليفنا على حقوقه أو أن نظلمه بشيء من الاشياء بل قد اعترفت له بمقامه في السودان

﴿ الصوم والفطر ﴾

تناقلت الجرائد المحلية ان كثيرا من أهل الريف أفطروا في يوم السبت (٣٠ رمضان) بناء على ان التقاويم (التنج والامساكيات) متفقة على ان الشهر ٢٩ يوما ولا سبب لهذا الا الجهل بالحكم الشرعي فمن عرف الحكم لا يبالي بالتقاويم ومن الغريب ان بعض أهل القاهرة قد أفطروا بحجة اتفاق التقاويم وتوهموا ان فطرهم صادف الواقع حيث تبين ان الهلال روئي في ليلة الاحد مرتفعا وكبيرا بحيث يجزم انه ابن ليلتين وكل هذا لا اعتبار له في نظر الشرع

الدين الاسلامي لم يجعل أمر العبادة منوطا برئيس ولا عالم بل جعله مما يتناوله الكافة لان اناطة العبادات بالرؤساء قد جر على الامم السابقة شقاء طويلا . فلو أن اثبات الصوم والفطر موكول الى الفلكيين ولو على تقدير وجودهم لجاز أن لا يوجد في البلد الكبير أو القطر العظيم الا واحد منهم وربما كان هذا الواحد أو الآحاد من أصحاب الاهواء الذين يتلاعبون بامر الدين اجابة لداعي الشهوة أو لرغائب الامراء والكبراء أو لغير ذلك من الاسباب وفي ذلك فساد كبير لا يخفى على المستبصرين . لاحظ الشرع الحكيم هذا فجعل أمر الصوم والفطر مبنيا على روئية الهلال فان لم يرفعلى اكمال عدة الشهر ثلاثين يوما وأول ليلة يرى فيها الهلال من الشهر هي أول الشهر في الاصطلاح الشرعي سواء كان مرتفعا أم منخفضا ولا مشاحة في الاصطلاح والحكمة ظاهرة اذ يتساوى بهذا الحكم جميع المسلمين لا فرق بين الاعرابي في باديته والحضري في مصره . يعمل كل مسلم بعلمه الا اذا ثبت شرعا بروئية الهلال ان يوم الثلاثين من شعبان هو أول رمضان أو يوم الثلاثين من رمضان انه العيد فيصوم و يفطر عملا بالثبوت الشرعي الذي يقوم مقام علمه بنفسه واذا رأى الهلال يصوم ويفطر بحسب روئيته وان لم يثبت ذلك شرعا بان لم يشهد أو لم يحكم بشهادته ولكن ينبغي أن لا يتظاهر بخلاف ما عليه الناس لئلا يظن به السوء

ينحي أكثر الناس باللوم فيما حصل من الخطأ في الفطر على الحكومة ويقولون كان من وظيفتها اعلام سائر جهات القطر بعدم ثبوت العيد ليلة السبت وقالت جريدة المقطم كان ينبغي الاعلام بعدم إمكان رؤية الهلال · والصواب أن معرفة الحكم الشرعي كافية لعدم الخطأ وان التعريف به من وظيفة الخطباء والمدرسين فأكثر المسلمين يحضرون صلاة الجمعة فلو استبدل الخطباء في آخر جمعة من رمضان بيان هذا الحكم بوداع رمضان واعلام الناس بما يعلمونه من ايقاد المصابيح واطفائها ونحو ذلك مما لا فائدة فيه لاهتدى الناس ولما وقعوا في هذا الالتباس فعسى أن يلاحظوا هذا في السنين المقبلة وبالله التوفيق

﴿ تنازع أوربا الممالك الاسلامية ﴾

يقول خطباؤنا في خطبهم التي هي عبارة عن (روزنامة دينية) كلمة في فضل الشهور تناسب ما نريد أن نقول عن تنازع أوربا في الممالك الاسلامية وهي « فلا يمضي عنكم شهر شريف الا ويأتيكم نظيره في الشرف ، فان كان شهر رجب قد رحل عنكم وبان ، فهذا نور شعبان قد وضح لكم وبان » وحكومات أوربا يقول بعضها لبعض لا تستولون على مملكة اسلامية ، الا ويعرض لكم مثلها في المنافع الاستعمارية ، فان كان قد انتهى أمر مملكة السودان ، فقد فتح باب ممالك بورنو وواداي وعمان ، فهذه فرنسا قد سبقت الى الاخيرة فتنازل لها سلطانها عن مرفأ بندر جاو في خليج عمان وهو على بعد خمسة أميال من مسقط عاصمة المملكة ويساوي ميناءها في الاتساع واذا حصن يكون من أمنع المعاقل الحربية وتتحدث بعض الجرائد الاوربية بانشاء قنصلية روسية في مسقط وهذه مبادىء الاستيلاء على المملكة كلها وقد وجهت انكلترا انظارها الى منازعة فرنسا أو مشاركتها في هذه الغنيمة الجديدة ولا ندري كيف تنتهي المناظرة

﴿ سلطانا العثمانيين والمغرب الاقصى ﴾

يسوء المسلمين جميعاً ان أمراءهم وملوكهم لا صلة بينهم وهم يتمنون أن ترتبط بعضهم ببعض بالوداد والخلاف مع استقلالهم في داخلية بلادهم وان استعدت ضعفهم وقوتهم

وجاهلوهم بعالمهم على اصلاح البلاد وترقية الامة وقد سرنا ما نقلته الجرائد من عهد قريب من تكرم مولانا أمير المؤمنين وكبير سلاطين المسلمين بهدايا نفيسة من الخيول الجياد وغيرها ارسلها الى مولاي عبد العزيز سلطان مراكش فعسى ان تكون هذه الهدية فاتحة الالطاف و بداية الاسعاف

القوة والقانون (*)

﴿ من مقالات الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده الشهير ﴾

قبل الكلام على خصائص هذين الركنين لهيئة الوجود الانساني نريد أن نبين حقيقة كل منهما ليكون القارئ على علم بما يلقى اليه بعد فلا يخطئ الغرض، ولا يجاور المرض، ولا تلحقه شبهة توقعه في ظلام الحيرة وغيهب التردد — أما القوة فلا نعني بها الا ما يستعمل لجلب الملائم ورفع المكروه سواء كان من شخص واحد أو جماعة متآلفة أو شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، وسواء كانت آلة تحصيل الملائم ورفع المصادم هي القوة البدنية مجردة عن سواها كما تراه في السباع الضارية والحيوانات الكاسرة أو هي منضمة الى السيوف القاطعة والآلات المحرقة وغير ذلك مما يستعمله الانسان في مواطن الغلبة والصيال

أما القانون فهو الناموس الحق الذي ترجع اليه الامم في معاملاتها العمومية وأحوالها الخصوصية وهيئاتها النفسانية أعم من أن يكون متعلقا بروابط الممالك وعلاقتها أو منوطا بالسياسة الداخلية، كالادارة المدنية والتدابير المنزلية، أو باحثا عن الاخلاق الفاضلة وما ينبغي أن يتحلى به الانسان منها، وما يجب أن يبتعد عنه من اضدادها، وسواء كان في امة واحدة أو أمم متعددة

وهاتان الحقيقتان هما موضوع كلامنا الآن اما القوة فكانت شرعة الأمم الغابرة والشعوب السالفة وقت ان كان الانسان جبلي الطبع لا يمتاز عن غيره من

(*) افتتح بها العدد ٤٨ المؤرخ في ١٥ شوال سنة ١٣١٦ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٩

أنواع الحيوانات الا بالفصل المميز أعني قابلية النطق المجرد عن نور المعارف وشعار التمدن فكانت له الحاكم الفيصل يرجع اليها في تحصيل غرضه ونوال مطلوبه وباختلافها وتفاوتها اشتدادا وضعفا وتقدما وتقهقرا كانت تختلف الأمم وتتنذ في الشرف والضعة والسطوة والفقر والغنى من غير نظر الى شيء من وسائل تلك الوجوه مهما كانت طرائقها فكان الرجل يمتاز بين قومه بصفة الاقدام والجراءة وكثرة السلب والنهب والبتك والفتك وكانت القبيلة التي هي أشهر القبائل في هذه الصفات تعرف بالمجد الاثيل والشرف الباذخ والمكانة العالية فيدين لها مجاوروها ويخضع لسطوتها كل أمة قرع اسماعها ما هي عليه من علو المنزلة وشدة الانفة وقوة الشم وتساق اليها الهدايا من تخوم الاقطار وشاسع البلدان وتأتيها الغنائم أفواجا يقتادها رجالها الابطال من ساحات الصدام والنزال ولم تزل الازمان الغابرة محكومة بسلطان القوة تقلب الامم على جمر الخوف والاضطراب وتضرب بصولجانها جراثيم القلوب الضعيفة فتلقي بها في مهاوي الذل والهوان حتى خضعت لها الامم ودانت لها الشعوب وصارت هي الديان المسيطر على كل شيء فاذا تمت لقوم تبعتها السلطة التامة والحكم المطلق فيتسلطون بقدر مكنتهم على ما شاء الله من الشعوب والقبائل ويتخيرون واحدا منهم سلطانا أو ملكا قد امتاز بالتهور والجراءة وجلالة المنظر والنضارة يملكونه زمام الحكم والسلطة ثم ينتخبون من عشائرهم رجالا يعدونهم حفاظ الملك وأرباب النجدة والنصرة على العدو والعدة لفتح الممالك والامصار ويتسلطون بهؤلاء على بقية من هم تحت سلطانهم بالرهبة والقساوة لئلا يتخلصوا من ربقتهم فيذعنون لملكهم قهرا لا طوعا وينظرونه مقتا لا حبا ويحملون اليه الخراج وهم صاغرون وذلك دون مراعاة طرق عادلة أو أحكام مؤسسة على أصول المساواة واستعمال الشفقة والمرحمة بل بحسب ما تقتضيه القوة التي سفكت الدماء وذللت الشعوب وانتهكت حرمات الامم وسجنت حرية الانسان في مطمورة الرق والاستعباد ،

هذا ما ولدته القوة في تلك الاعصار الخالية التي كانت مشحونة بظلمات الجهالة مسربلة بجلابيب الغباوة، مغمورة في بحار الوحشية، وما أظن تلك الشريعة المشار اليها كانت خاصة بأمة من الامم، أو صنف من أصناف البشر، بل كانت عامة بين أبناء

الانسان على اختلاف أجناسه وتباين مواطنه ، فكنت ترى عامة القبائل وكافة الشعوب مقسمة الى ممالك متعددة ، وإمارات متباينة ، تجول فيها يد القوة ، ويحكمها مجرد الرهبة ، و يطويها الخوف و ينشرها الفزع ، و يشملها الاضطراب والاختلال ، وتتبادلها أيادي السلب ، يبيت ضعفاؤها غير آمنين على أنفسهم و يصبح أقوياؤها غير مطمئنين على حياتهم ، فانبعثت في قلوب هؤلاء الأوزاع الذين ضربتهم يد السطوة بعصي القوة علة الضعف ، ودبت فيها سخائم الحقد ، فاختلفت الاغراض وتباينت المشارب وتفرقت القلوب وتنوعت وحدة الانسان الحقيقية الى أنواع لا يجمعها سوى جامعة الحيوان الناطق وتبدلت فطرته السلمية الى أخلاق لا مناسبة بينها و بين جوهره المقدس الشريف ،

ولقد تمكنت سطوة القوة في قلوب أولئك الشعوب وارتسمت صورها في مخيلاتهم ، وانسحبت معانيها الى ذاكراتهم ، وصارت محفوظة في خزانة حافظاتهم ، قائمة نصب أعينهم ، حتى توهموها مقلب القلوب والأحوال ، حافظ القوى والأكوان ، اليها مرجع الحوادث ، وعليها تدبير النوازل والكوارث ، فاحتسبوها المدبر في المكونات بأجمعها وصوروا تماثيل على صور مختلفة ، وأنواع متباينة ، تشير ظواهرها الى القوة وتؤدي هيآتها معاني العظمة والسطوة ، ووضعوها في أماكن عبادتهم ليؤدوا لها فرائض السجود والركوع ، ويقربوا اليها القرابين من نوع الانسان وأنواع الحيوان ، وهذه أصنام العرب والصين والعجم وآثار قدماء المصريين ، وآلهة اليونانيين المصنوعة على أشكال الحيوانات العادية ، والملوك العاتية ، يشرح التاريخ أحوالها فلا داعي الى الاسهاب في تفاصيل شؤونها ، ومن تتبع تواريخ هذا الانسان الوحشي بامعان وتبصر ظهر له ان القوة هي التي دوخت قوى الانسان السلمية و بددتها وأحدثت به من القبائح ما أحدثت ولولا أن القانون كسر سورتها وذلل صعوبتها لما أشرق نور الحق على صفحات الوجود ولا تمتع الانسان في الازمان الأخيرة بلذة الراحة والسعادة

فالحق للقانون لا للقوة

و بينما الانسان تائه في أغوار الاستعباد ، في هاتيك الازمنة أزمنة القوة والاستبداد ، والجور والعيث والعار ، ليس له حق يصان ، ولا عرض الا ويهتك ويهان ، اذ أشرقت

عليه قرائح الذين جادت بهم مراحم الفضل ، وعرفوا بمناهج الخير ، فأبصر من طلائع أفكارهم ما يهديه الى سبل الرشاد ، ويوقظ فكرته الى التماس الصواب من أبواب السداد ، فعلم أن القوة هي منحة جليلة ، ونعمة كبيرة ، يستعين بها على حاجاته الضرورية ، ولوازم معيشته المرضية ، قد غرزها الله تعالى بالاتحاد والائتلاف حتى اذا عجز الفرد الواحد عن الاطاقة له عليه من نفائس المطالب ، وجلائل الرغائب ، استعان بعشيرته ثم بقبيلته ثم بأمته التي يجمعها دين أو ملك ثم بجميع أفراد نوعه ، وان القوة اذا لم تكن على قانون لا تتعداه ، وخط لا تتخطاه ، بأن استعملت على أي وجه ، وفي أي زمان أو مكان ، لا ينال ثمرتها المحبوبة ، وغايتها المطلوبة ، فأسف على ما كان ، ونزع من رقدة الغفلة يحاول لها النظام المعبر عنه بالقانون ، فكان نورا يهتدي به وقائدا رشيدا يسلك بالانسان الى ما أهله له من الكرامة والنعيم ، فتبع سبيله المهتدون ، ومال عن سننه الضالون

أما الانسان الذي ساعده التوفيق بالانقياد لاحكام القانون فانه حفظه باطنا وظاهرا ، وتمسك به غائبا وحاضرا ، حتى صار ركنا من لوازم حياته ، وعدة لمقاصده وغاياته ، وملهج لسانه في بكره وعشياته ، الى ان عرف به واجباته الحقوقية ، وفرائض معيشته العمومية والخصوصية ، وأمن به من مصائب الظلم ونوازله ، والجور وغوائله ، واطمأن به على نفسه وعرضه وماله ، فسكن قلبه بعد اضطراب ، وقرت عينه برياض الامن والامان ، وتولد فيه أمل حمله على ادمان العمل فأعمل فكرته الخامدة ، وأجرى حركته الراكدة ، ولا زال يرتاد مواطن العلم ومعاهده ، ويقتنص بحبالة الاستكشاف كل فائدة ، ويستعمل قواه في حل المبهمات ويستطلع ببصيرته ما خفي من مجهول الكائنات ، الى ان حداه العلم الى معرض الاختراع والابداع ، فطار على جناح البخار بدل الشراع ، واستخدم النضار ، لقضاء الاوطار ، واستعمل البرق على بعد الديار ، رسول الاخبار ، وجعل المدافع والقنابل ليبيد بها مضاديه ومعانديه ، وانغمس في النعيم مطعما ومشربا وملبسا ومسكنا ، الى غير ذلك مما اتيح له من محاسن الحضارة ، ولطائف الرفاهة والنضارة ، ولا زال يضرب في تخوم البلاد ويذلل بقوة عزمه اخلاق العباد الى ان أصبحت البسيطة في قبضة زمامه ولا غرو فان فائدة الاتحاد والائتلاف

وباعثه الوفاق لا الاختلاف وهو الآن كما بدأ يحافظ على القانون بانسان مقلته ، ويصرف في حراسته ما يدخل تحت قوته ، فانه ملاك سعده ، وأساس مجده، ومنتهى جده

أما الذي ضرب عن القانون صفحا ، وطوى عنه كشحا ، فهو على رذالة أخلاقه، وبساطة أفكاره ، يصبح مضغة تحت اضراس الظلم ، ويمسى كرة لصولجان البغي ، فليحي صاحب القانون على بساط النعمة الهني

فيا أيها الذين ينحرفون عن القوانين ويعدلون عن طرق النظامات لغرور وقتي ارفقوا بانفسكم واعتبروا بمن يماثلكم في الصورة الانسانية وانظروا اليهم كيف عظموا القوانين ورفعوا شأن الحقوق فأصبحوا في غاية من القوة والعزة فانهضوا لمجاراتهم في الصدق ان كنتم تعقلون وايا كم والتمادي فيما تسوله النفوس من الاغترار بظاهر من السلطة فللأيام تغلب وتقلب لكن صراط الحق واحد وسالكه لا يضل ان عثر يوما استقام أعواما اما طرق الاعوجاج فهي وعرة خطرة كثيرة الغوائل سالكها معارض لمدبر العالم سبحانه وتعالى في أحكامه فانه عز شأنه قد أقام الكون بنظام الحكمة ورتب لكل شيء حدودا هي سور بقائه وسياج دوامه فان خرج عنه انحدر الى مهاوي العدم والفناء ومن تأمل الكون الاعلى وما فيه من الكواكب والشموس والاقمار ثم نظر الى العالم الاسفل وما احتوى عليه من نبات وحيوان يشهد في الجميع لكل نوع منها قانونا خاصاً في سير وجوده تقوم البراهين القاطعة على انه لو انحرف عنه لحكم عليه سلطان القهر الالهي بالعدم والانقلاب وانه بباهر حكمته قد جعل للهيئة الانسانية حدودا عامة هي الشرائع وقوانين الآداب التي تحدد سير الانسان في معيشته لخاصة نفسه أو معاملته مع غيره وقد اودعها العلماء والحكماء بطون كتب التهذيب والتربية البشرية، بعد ان نطقت بها الشرائع الالهية، وقد شهدت التجارب بالاخبار المتواترة، عن الأمم الماضية والمشاهدة الحالية في الاوقات الحاضرة، ان من تخطى حدود هذه الحقائق رماه القهر الالهي بسهم لا يخطيء مرماه فالقانون هو سر الحياة وعماد سعادة الامم وان القوة لا تأتي بثمرتها الحقيقية الى اذا عضدت باتباع

الشرع والقانون العام الذي أقر العقلاء بوجوب اتباعه

فكيف يصح لذي شوكة أو صاحب سلطة أن يغتر بعد رؤيته هذه البراهين الباهرة بقوته ، أو يعجب بصولته ، ويدع الامور لارادته ومشيئته ، ويزدري ما للقانون من حفظ القوة ونمو الثروة في من هم تحت امرته ، فيفعل ما تسول له نفسه ، ويأتي كل ما يسوقه اليه حسه ، فيسري الاهمال في طبقات رجاله ، ويجارون حاكمهم في عوائده واخلاقه ، وتصير الاموال لديهم مباحة ، والحقوق مبتذلة ، والاعراض منتهكة ، ووسائل الربط والضبط معطلة ، وعقد المواثيق والعهود محللة ، فيكثر فيما وليه غوائل الخسران ، وتنمو به جوائح البهتان ، حتى تصير افراد المحكومين اخلاطا رعاعا لافرق بين كبيرهم وحقيرهم الا بوفرة الشهوات ، والتمكن من وسائل اللذات ، مع توافق في الفطرة ، وتشابه في الغريزة ، ولا يطول عليهم ذلك العهد حتى يصبح الحاكم محاطا بجم غفير من الغرماء يتجاذبونه بايد طالما تقدته من خزائنها ما ظنه نزرا يسيرا في جانب اسرافه وتبذيره وهو على كاهل الاهالي حمل ثقيل العبء لا تقدر أن تقله وتمسي عمارية البلاد تنعي محاسن صبحتها أو بابها طوامس المعالم مظلمة الاطراف ، ليس فيها سوى نعاب البوم وهمس الهوام ، وحينئذ لا تسل عن العاقبة فانها أسر ونهب وبئس المآل

ذلك ما يولده الغرور بالقوة ، والاعجاب بالسطوة ، وترك القانون الذي عليه سعادة العباد ، وخصب البلاد ، فاذا أرادت تلك الامة التي تصرف فيها ذوو البغي والغرور على خلاف القانون ان تعيد لها مجدها الاثيل وعزها الاول فلا بد لها من اعادة شأن القانون ، فتشيد منه ما هدمته يد الغرور ، وبددته سطوة الفجور ، وتأخذ الوسائل النافعة لاستمالة قومها الى التمسك بعراه ، ومتابعة رشده وهداه ، ولا تبارح الحيل والتدابير لهذا الغرض وما كان اغناها عن الاصلاح بعد الافساد والتعمير بعد التخريب ولكنها باعت القانون بثمن بخس فكان جزاؤها أن تشتريه بنفوسها العزيزة ودمائها الشريفة حيث عرفت ما هي القوة وما هو القانون ولنا في هذا الموضوع كلام يأتي بعد أن شاء الله تعالى

(المنار) ان مباحث هذه المقالة من « علم الاجتماع » الذي يستمد من علم

التاريخ وقد جرى فيها مولانا الاستاذ على نهج السداد بجمل الكلام فيها عاما في القوانين سواء كانت وضعية أم سماوية لان خلط الفنون الفلسفية وغيرها بالدين الذي جرى عليه المسلمون أولاً أضر بهذه الفنون كما أضر بالدين كما يعلم ذلك من النظر الدقيق في التاريخ ولا شك ان النسبة بين سلطة القوة وسلطة القانون وان كان وضعيا هو عين ما ذكره الاستاذ ، وأما كون الحكم بالقانون الوضعي غير مرضي لله تعالى ولا مؤد لسعادة الآخرة فهو ليس من مباحث هذا الفن واعتقاد المسلمين فيه معلوم وقد ألمَّ اليه الاستاذ وأشار إلى تعظيم شأن الشريعة السماوية

حجة ناهضة وشبهة داحضة

من عذيري من قوم لا يكادون يفقهون حديثا ، يرون القبيح حسنا ويحسبون طيب خبيثا ، يهيجون على من قال الحق ، ويحتمون على من نطق بالصدق ، وأما الاعمال فقيمتها عندهم بحسب تسميتها ، لا بحسب حقيقتها ، فاذا سموا الرذيلة فضيلة والمنكر معروفا والفجور برا والفسق طاعه والكفر إيمانا فتعظيم هذه الاشياء واعتبارها يكونان عندهم بمقدار ما تستحق مفهومات هذه الاسماء في الاصل كما ان الجاهل منهم يفرح ويسر إذا سمي عالما أو أطلق عليه لفظ الأستاذ ونحوه والغر الاهبل يتبجح بلقب بيك أو باشا والدعي يفتخر بكلمة السيد الشريف ، وهكذا قد جارت علينا مملكة الالفاظ حتى جعلت بيننا و بين الحقائق سدا منيعا لا ندري متى يدك أو يخرق ،

انحرف المتنسبون لطريق التصوف عن هدي سلفهم الصالح حتى صاروا معهم على طرفي نقيض ومع ذلك ترى العامة تخضع لهم لان العلماء يقرونهم على ما هم فيه ويحترمونهم على مقدار مظاهرهم الدنيوية وقد كان العلماء من قبل واقفين بالمرصاد لاهل التصوف الصادقين حتى اذا آنسوا منهم انحرافا بقول أو عمل أقاموا عليهم النكير وسلطوا عليهم الحكام يجلدون ويسجنون بل يصلبون و يسلخون فأين صوفيتنا من أولئك الصوفية وعلماؤنا من أولئك العلماء ؟ ؟ الحمد لله قد بقي عندنا من

الحق التسليم بان سلف الفريقين خير من هذا الخلف المخالف له في عمله والمتخلف عنه في علمه

ان سكوت العلماء بل سكونهم الى هؤلاء المنكوسين المركوسين الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً وحرفة وكسباً ، أثبت في اعتقاد العامة انهم على شيء ولذلك عذلنا في الكلام على منكرات الموالد ونحوها منهم العاذلون ، وأنكر علينا معروفنا من سفالتهم المنكرون ، أما العلماء فقد قالوا ان ما كتبته كلام شرعي صحيح وياليته يقبل وينتفع به ! ! ولقد قرأت في مجلس إدارة الأزهر الشريف مقالة (المرشدون والمربون أو المتصوفية والصوفيون) وهي إحدى المقالات التي كتبتها تحت عنوان (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) فأعجب بها شيخ الاسلام وأثنى عليها هو ومن حضر مجلسه ذلك من العلماء الأكارم والعجيب في هذا المقام ان بعض من يعتقدون ان جميع ما أنكرناه منكر لا ريب في قبحه و بعده عن هدي الدين اعترضوا علينا بنشره في الجريدة محتجين بأن في ذلك نشرا لمعايب قومنا وإطلاعا لأعدائنا الاجانب عليه وفاتهم ان الجريدة لا يكاد يقرأها أحد من الاجانب وان من الجهل وسفه الرأي أن يكتم المريض داءه وهو ظاهر حذرا من شماتة عدوه به وان الاجانب أعلم منهم بهذه القبائح بل الفضائح وانهم يعيبون بها المسلمين بل الدين الاسلامي نفسه وان المجامع الهذيانية الجنونية التي تسمى « حضرات » و « اذكارا » مصورة في كتبهم وجرائدهم وانهم استأجروا نفرا من هؤلاء الاشرار وأخذوهم لمعرض شيكاغو لعرض عبادات المسلمين واسرارهم المضحكة على أنظار العموم . وقد حدث في هذه الأيام ما فيه عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتدبر ويزدجر ، وهو حجة لنا يذعن لها المنتقدون من أهل الانصاف ، وتنقطع بها ألسنة اللاغطين من ذوي الاعتساف ، وهاك الخبر ، نقلا عن المؤيد الأغر ، وهو ما جاء في عدد يوم الثلاثاء الماضي بنصه قال

﴿ وأين باب مشيخة الطرق ؟ ؟ لنقرعه ﴾

كانت ليلة الامس من أبهج الليالي وأبهاها في منزل جناب البارون أو بنهايم

الموظف في الوكالة الالمانية حيث كان جنابه قد وزع رقاع الدعوة على الكثيرين من السياح لحضور « حفلة ذكر » فلم تأت الساعة الرابعة مساء حتى ازدحم شارع الكبري الكائن فيه منزل جنابه بالعربات على اتساعه ازدحاما يفوق ازدحام شارع السيوفية أيام الجمع في الشتاء بعربات المتفرجين من السياح على تكية المولوية وأخذ المدعون يدخلون فرادى وجماعات من سائحين وسائحات ليشنفوا الاسماع برخيم الغناء ويمتعوا الانظار بجميل الرقص المعبر عنه بالذكر

وبعد ان أخذ الجميع مجالسهم وتناولوا ما طاب من مأكل وشراب وكان مجلس الذكر قد استعد للرقص هب المتفرجون من مجالسهم وانتشروا حول حلقة الذاكرين يلعبون ويمرحون ويهزءون ويضحكون من قوم ترى عمائمهم على شكل دائرة تمثل قوس قزح أو ألوان الطيف من بيضاء ناصعة وصفراء فاقعة وحمراء قانئة وخضراء صافية وسوداء حالكة وهم بين شاب في مقتبل العمر غض الشباب وشيخ هرم تهوي السنون برجله الى القبر قد أخلقت لباس جدته الايام فلم تكسه غير شيب وعيب حيث جعل دينه هزؤا وسخرية امام قوم يظنون ذلك من الدين وهو بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولم يفعلوا ذلك إلا طمعا في بعض دريهمات لا تكفي لشراء غداء فبئس هذا الحال ولا حول ولا قوة إلا بالله

فهلا يوجد في مصر من علماء الاسلام وأهل الطرق من يمنع هؤلاء من تحقير ديننا في أعين الاجانب حتى صيروه لعبة وهزؤا وصرنا نحن أمامهم كالانعام وساء ما يفهمون اه

وفي عدد اليوم التالي (الاربعاء) ما ملخصه

« أين باب مشيخة الطرق ؟؟ لنقرعه »

محققنا اليوم ان (الليلة الراقصة) التي جاد بها جناب البارون أو بنهايم على ضيوفه من السياح بواسطة (قرود الذاكرين) كانت تحت ادارة حضرة الروحاني الكبير الذي يسمي نفسه « الشيخ عليش » وقد كان جالسا على تخته اثناء انعقاد مجلس الرقص وشيمته تصبب أسرارا روحانية يوجهها الى دراويشه الذين كانوا ببركته يأكلون النار ويزدردون الزجاج ويبرزون من الكرامات « الباهرات » ما يعجز عنه مهرة المشعوذين بل كبار السحرة المتفننين اه

(المنار) أما جوابنا عن سؤال المؤيد وأين باب مشيخة الطرق لنقرعه ؟ فهو

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا ... فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

وما منعنا ان نوجه الملام فيما كتبناه عن منكرات أهل الطرق من قبل الا أن شيخهم ورئيسهم الاكبر سماحة الشيخ محمد توفيق البكري كان يعدنا ويمنينا بالاصلاح وقد عيل الصبر ولم نر الوفاء بالوعود وتحقيق الاماني أنواء . فعسى أن تزعجه وخزات هذه الحوادث المؤلمة الى العمل ، والتجافي عن مضجع الكسل ، فيبطل الغرور ، ويستنير الديجور ، ويستبدل المدح والثناء ، باللوم والازراء

﴿ حضرات أهل الطريق ﴾

كنا كتبنا من بضع سنين نبذة في حال المنتسبين للطريق في الديار السورية أودعناها فاتحة المقصد السادس من كتابنا « الحكمة الشرعية » أحببنا ان نوردها هنا بمناسبة الحادثة التي كشفت القناع للمغرورين بهؤلاء القوم من كون فعلهم اهانة للاسلام ، تجعله سخرية عند جميع الانام ، قلنا هناك بعد كلام في حقيقة التصوف وأهله ما نصه

قد علمت مما شرحناه أصل طريقة القوم وما كانوا عليه علما وعملا وكيف صرح أئمتهم من بضعة قرون بأنهم قد انحرفوا عن الصراط السوي ولم يبق عندهم الا الرسوم .. وأما الآن فقد محيت تلك العلوم ، واندرست هياتيك الرسوم ، وطاحت تلك الاشارات ، وذهبت تلك العبارات ، واعتكر الاظلام ، واشتبهت الاعلام ، وتمسكوا بحبال الاوهام والايهام ، فاتخذوا الطريق أحبولة للجاه ، وحيلة للمفاخرة والمباراة ، فبعد ان كان عملا وحالا صار صناعة وعلما ثم انتكس حال المتظاهرين بذلك فأخذوا أولا بالتقليد والتشبه بالقوم تيمناً وتبركا على حد قول القائل

ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ... ان التشبه بالكرام فلاح

وسارت ايام ومرت ليال على ذلك وهم على ماهم ، تعرفهم بسيماهم ،

أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم غلبت الاهواء ، وعمت اللأواء ، فلا خيام ولا نساء ، الا ما كان تحت حجاب الخفاء ، ولم يبق عند المتأخرين من علم القوم الا شقشقة اللسان ، وزخرفة الكلام ، بألفاظ

لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعقلون مرماها ، كالسكر والوجد والادلال والشطح والفرق والجمع والتلوين والتمكين ، وما أشبه هاتا من الكلم الذي تلقفوه من الكتب مع تحريفه عن مواضعه . وأما العمل فليس لهم منه الآن الا ضرب الدفوف ودق القارات والصنوج والنفخ بزمار الشبابة بل والضرب بآلات الاوتار عند البعض والتغني بالاشعار الغرامية المهيجة للنفوس المنغمسة في الترف والنعيم والباعثة لها على التوغل في الحظوظ النفسية والاستهتار في عشق الاحداث والنساء بما فيها من التخيلات في أوصاف الحسان المهيجة للانفعال المحركة للوجدان وشرح أحوال العشاق وأطوارهم كالهجر والوصال والتيه والدلال كأشعار سيدي عمر بن الفارض وغيره ويسمون كل ذلك عبادة حيث يأتونه في حالة الذكر الذي جعلوه كيفية من الرقص يتعلمها حسان الاحداث وغيرهم ويمتزجون أثناء الذكر بالرجال ويتواجدون و يصيحون واذا أنكر عليهم منكر وعنفهم في صنعهم هذا عاذل فالعذر لهم ان بعض الشيوخ الصادقين والاولياء السالفين قد اتفق لهم شيء من مثل ذلك ، وهذا لا تقوم به حجة لان من ينقل عنه لم يقل أحد انه كان متعمدا له ومتخذه صناعة وانما قيل انه كان لغلبة الحال عليه وذلك مما صرحوا بانه لا يقتدي بصاحبه فيه « وهذا فيما لا يقطع بتحريمه في نظر الفقه وأما ما صرح الفقهاء بتحريمه فلا يلتفت لفاعله سواء كان متعمدا أم مغلوبا على أمره

يطبق على هذا الخلف الصالح لذلك السلف الصالح أتم الانطباق ما نقله الحفني في حواشيه على الجامع الصغير عن المناوي عند الكلام على الخبر الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف وهو « ان الأرض لتعج الى الله تعالى من الذين يلبسون الصوف رياء » قال أي إيهاما للناس انهم من الصوفية الصلحاء الزهاد ليعتقدوا و يعطوا وما هم منهم قال المعري

أرى جيل التصوف شر جيل ... فقل لهم وأهون بالحلول

أقال الله حين عبدتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

وقال آخر

قد لبسوا الصوف لترك الصفا ... مشايخ العصر بشرب العصير

بالرقص والشاهد من شأنهم شر طويل تحت ذل قصير

انتهى ما نقله الحنفي رحمه الله تعالى ، أقول وقد أكثر العلماء والأولياء من الكلام في السماع فقال به أقوام ومنعه آخرون وللمحققين فيه تفصيل معروف ومنه انه محظور في حق من يحركهم على فعل محرم أو يحملون ما يسمعون من الغزل والنسيب على أمرد أو أجنبية وما أكثر هذا في أبناء هاته الأيام ، وما قبلها بسنين وأعوام ، وقد شاهدت بعيني غير مرة بعض من عرف واشتهر بحب الاحداث وقد حضر مجلس ذكر وفيه قوال حسن الصوت خبير بصناعة الانشاد والتغني فكان الشاب العاشق يبكي كلما غرد المنشد حتى ينقطع عن الذكر لغلبة البكاء والنشيج ومعظم الحاضرين على علم بأن سبب بكائه استيلاء عشق الحدث عليه وقهره إياه تحت سطوة سلطانه . ولعمر الانصاف انه لا يعذل على بكائه وانما العذل والملام على من عقد له ولأمثاله مجلس سماع يتوخى حضوره ويتحيه حيث كان لعجزه عن انشاء مثله ومعلوم ان الانسان لايخلو في وقت من الاوقات من حال حاكمة عليه وناهيك بحال العشق الذي

كم ملك الاحرار للعباد وأوجد الرقة في الجماد

وحكم الظبا على الآساد وصوب الخطا على السداد

وألبس الغي بعين الرشد

وهو من أشد أمراض النفوس قاهرا ومذللا لها حتى انه يهبط بطباع أعاظم الاشراف من أوج عزها الى الاستكانة والخضوع لأحقر فتيان السوقة أو فتيات الاعراب من ذوي النذالة والمهانة ، وان السماع من أمس الدواعي لتحريك سواكنه ، وإنشاب براثنه ، وأنى لذلك الشاب المسكين ولأمثاله بألهية يشغل بها نفسه عن التفكر بمحاسن محبوبه وإدلاله عليه إذا سمع المنشد يلحن هذه الابيات

ته دلالا فأنت أهل لذاكا وتحكم فالحسن قد أعطاكا

ولك الامر فاقض ما أنت قاض فعليّ الجمال قد ولاكا

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا

وأمثال ذلك مما يعتاد انشاده في مجلس الذكر ، وليت شعري ما ذا يسبق الى

فهم الجاهل منهم أو العالم وهو مكبل في أسر النفس الحيوانية وغريق في بحار رعوناتها إذا سمع القوال ينشد

تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا　　وخل سبيل الناسكين وان جلوا
وقلت لزهدي والتنسك والتقى　　تخلوا وما بيني و بين الهوى خلوا

ولقد حدثنا بأغرب من نبأ الشاب الذي مر ، وأدهى وأمر ، ...

ثم توسعنا بالقول في السماع بما لا محل له هنا

ولما جئنا هذه الديار ، ورأينا المجامع التي تسمى الاذكار ، تجلى لنا ان سيئات السور يين عندها حسنات ، فهنا لك يذكرالله تعالى كل من حضرولا ينشدون من الشعر إلا ما كان منسو با للصوفية من الإلهيات والنبويات ، والخمريات والغراميات ، وهنا يوجد نفر قليل بين المئات والألوف يرقصون بتكسر وتثن ولا يكاد يسمع منهم قول الله أو لا إله إلا الله و باقي القوم يستمعون المنشد الذي يغنيهم بأحدث الاغاني الغرامية التي تغنى في مجالس اللهو والشرب على العود والقانون وهم يصرخون ويتأوهون إلى آخر ما هو مشاهد ولا حاجة بنا الى شرحه ، وانما الحاجة الى منعه ، وجعل الذكر ذكرا ، لا لهوا ولغوا وهزؤا ولعبا ، أما آن لنا أن نعتبر ونذكر؟ حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ ملوك المسلمين والتاريخ ﴾

كان الملوك ولا يزالون في الشرق فتنة للامم وبلاء على التاريخ اذهم الذين يحملون الكاتب على ستر الحقائق والتمويه على الناس بجعل الباطل حقا وإلباس القبيح ثوب الحسن وكلما ترقت الامم والدول الغربية وعلت تدلى الشعوب والحكومات الشرقية وتسفل فلقد كان مؤرخو الشرق الغابرين لا سيما المحدثين منهم أكثر حرية من مؤرخيه الحاضرين لذلك كانوا ينتقدون أعمال الخلفاء والملوك الذين كانوا أحسن حالا من خلفهم و يشرحون سيئاتهم من غير مبالاة ، ومؤرخو عصرنا هذا عامة وأصحاب الجرائد منهم خاصة يقدسون الملوك الامراء وينزهونهم خداعا

لمامة الناس وتغريرا بهم ولولا انهم صبغوا ذلك بصبغة دينية لما كنا نحفل بالبحث فيه ونعني بكشف الحجاب عنه فاننا وقفنا جريدتنا على خدمة الملة والامة لا على القدح والهجاء أو المدح والاطراء وسنبين الحق في جميع ما يتعلق بشؤون الملوك والامراء الدينية حفظاً للدين وأحكامه ان تكون سياجا للظلم وآلة للغش ونكتفي الآن بذكر مسألة نعرضها على أرباب الجرائد المتملقة من المؤرخين الكاذبين ونرغب اليهم بيان ما عندهم من الاعذار المنتحلة وهي

الحج ركن من أركان الدين الاسلامي وقد ورد في الاحاديث الشريفة ما معناه ان من مات ولم يحج وهو مستطيع فلا عليه ان يموت غير مسلم وقال الخليفة الاعظم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه الرضوان لقد هممت أن أبعث رجالا الى الامصار فينظروا كل من له جِدَة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية فما هم بمسلمين قال العلامة ابن حجر ومثل ذلك الحديث لا يقال من قبل الرأي فيكون في حكم المرفوع ومن ثم أفتيت بأنه حديث صحيح ، ثم ان اجتماع الحج هو أعظم اجتماع في العالم لانه مع كونه دينيا فيه من الفوائد المدنية والسياسية مالا يخفى ولإمام المسلمين في الموقف الاكبر فيه وظيفة الخطابة التي تجمع القلوب وتوحد وجهتها بوحدة التعليم والارشاد اذا جاءت على وجهها الصحيح

وقد كان الخلفاء والملوك يؤدون فريضة الحج مع بعد عواصمهم وتنائي ممالكهم وعدم امكان الوقوف على ما يجري فيها مدة سفرهم فلماذا أهمل ملوك المسلمين في هذه الازمنة أمر هذه الفريضة ولم يبالوا بهذا الركن العظيم الذي هو دعامة بقاء سلطتهم لو اهتدوا الى اقامته وحافظوا عليه كما يجب مع انه يتسنى لاكثرهم الوقوف على احوال مملكته تفصيلا في كل زمان وفي كل مكان

فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إن ملوك أوربا وقياصرتهم وعواهلهم « امبراطوريهم » لووجدوا سبيلا الى شهود هذا الجمع الاكبر « الحج » لأقبلوا عليه فما بال أهله وقد فرض عليهم لا يسعون اليه !! نرجو الجواب (من الجرائد) عن هذا السؤال ، ولنا على كل جواب مقال

﴿ ولي العهد للخديوية المصرية ﴾

ألا يا بشير السعد كرر لنا البشرى   ويا ايها الاقوام حسبكم بشرا
فقد انجز (الاقبال) ربي وعده   وجاد على مصر بما اثلج الصدرا
هلال تيقنا بحسن نموه   بان سنراه في سما قطرها بدرا
احب بنوها أن يدوم أميرهم   بابنائه طول المدى لهم ذخرا
مرام توقعناه قبل وقوعه   فكان وحققنا العيافة والزجرا
فقم أيها العباس لله شاكرا   وان كنت لا تحصي على فضله الشكرا
وقل للذي أنجبت قم وارق للعلى   معي فهو واع يعقل النهي والامرا
وعش ياولي العهد بالله واتقا   بمنة تاريخ نغيث بها مصرا
سنة ١٣١٦   ١٨٩٩

طالما ترقبت الآمال ، بزوغ بدر الكمال ، من فلك الاقبال ، وتشوفت نفوس الناس ، لتحقق الاماني بولي عهد العباس ، إذ قد سبق لسموه ثلاث ودائع ، كانت شموسا طوالع ، شموس خدور مقصورات في الخيام ، لا شموس سياسة وأحكام ، ثم نادى بشير السعد ، يقول قد أنجز الزمان الوعد ، بولادة ولي العهد (في الساعة الثامنة العربية والثانية الافقية من ليلة الاثنين ٩ شوال سنة ١٣١٦ هـ و ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ م) . وبلغت نظارة الداخلية الخبر رسميا فطيرته مع البرق الى جميع انحاء القطر واطلق من كل موقع عسكري مائة مدفع ومدفع احتفالا بالمولود الميمون ، و بلغ الجناب العالي ذلك لمولاه الاعظم سيدنا أمير المؤمنين في دار السعادة العلية

أما ما كان من ابتهاج المصريين واحتفالاتهم من جميع انحاء القطر بهذا المولد الميمون فحدث عنه ولا حرج فلقد كان لهم في شهر شوال عيدان عيد الفطر الاصغر وعيد ولي العهد الاكبر الذي سيبقى مستمرا الى ماشاء الله تعالى . ولو أردنا ان نصف الزينة التي تقيمها دولة والدة الجناب العالي في قصر عابدين وميدانه أو الزينات التي تقوم بها اللجان المؤلفة من كبراء المصريين أو أفرادهم لضاقت بعضها صحائف

الجريدة .وقد عجز مكتب (عموم التلغرافات) في القاهرة كما عجزت جميع المكاتب في انحاء القطر عن أداء رسائل التهاني الى قصر المنتزه من جماهير المهنئين وما قولك برسائل عجز البرق في سرعته عن ادائها وايصالها ؟ ماهو السبب في كل هذه البهجة والحبور والحفاوة والاحتفال بصورة لم يعهد لها نظير ؟؟

السبب في ذلك هو الحب الصادق لشخص سمو العزيز عباس حلمي باشا فلقد صدقنا فيما كتبناه في عدد سابق من أن قلوب المصريين لم تجمع على حب عزيز بعد يوسف الصديق ، كاجماعها على حب العباس بن توفيق ، ومن صدق في حب شيء أحب بقاءه ، و بقاء الانسان لايكون الا بأبنائه الذين يعد وجودهم نسخة من وجوده ، ويحفظ بهم اسمه ونسبه ، فنسأل الكريم المنان ، الذي أفاض هذا الانعام والاحسان ، أن يحفظه بعين عنايته ، ويحرسه في ظل سمو والده ورعايته ، وأن يبلغ هذا القطر في أيامهما مراده ، و يسبغ عليه حلل السعادة ، وأن يجعل هذه السلسلة بهما متصلة الحلاق الى آخر الزمان ، ونهاية الدوران ، ان ربي سميع الدعاء

جاء في مصباح الشرق المنير ان مرتب ولي العهد في الشهر ثلاثة عشر ألفا وثلاثمائة جنيه وكانت تستولي عليه دولة والدته المعظمة قبل ولاده

﴿ ليلة الجمعية الخيرية الاسلامية ﴾

ما رأى الرائي منظرا أبدع ، ولا محضرا أروع ، (المحضر القوم النازلون على المياه) مما كان في ليلة السبت الماضية من الزينة التي أنشأتها الجمعية الخيرية الاسلامية ، في حديقة الازبكية والجمع لها ، وحبذا الاجماع على الصفاء والوداد ، المنبعث من حب سعادة البلاد ، كنا تقابل من الحديقة فتاة من أحسن الجواري ، متمنطقة من المصابيح بالدرر بل الدراري ، ولها من كل باب وجه يتلقى وجوه الناس ، بغاية البشر والايناس ، فاذا مادخلتها تجدك من ليلك في نهار ، في جنة تجري من تحتها الانهار ، لاتسمع فيها الا قليلا سلاما سلاما ، وألحانا مشجية وأنغاما ، ولاتبصر الا مواكب تواكب وتسايره مواكب ، وأشجارا مثمرة بالكواكب ، ومادة تطير في الجواء ، وتتحدى أكبير الهواء ،

فتعود الى الارض بهيئة قلائد من العقيان ، أو عقود من الياقوت والزمرد واللؤلؤ والمرجان ، وبحيرة قد أحاطت بها أشكال من الاضواء ، وانطبعت فيها نجوم المصابيح فقابلت بذلك السماء ، بل حاكت شمس النهار بما انعكس من سطحها من الانوار ، وقد أقيمت على جوانبها هياكل ونصب نورانية ، ذات أشكال هندسية ، وألوان ظريفة ، ما أحاط بها الطرف ، فيحيط بها الوصف ، وبالجملة قد كانت ليلتنا تلك جداً في صورة هزل ، وبراً واحساناً في قالب لهو ولعب ، وخيراً اجتماع عام ، على مصلحة الاسلام ، عليها مدار تربية المئات والالوف من أبناء الفقراء والمساكين ، وكل فرد من أفراد الحاضرين ، قد صار بانه ركن من أركان هذا الخير العظيم ، اذ مجموع الامداد من هذه الافراد

﴿ مراكش ﴾

كل يوم تبدي صروف الليالي   خلقاً من أبي سعيد عجيبا

ما كفى بلاد مراكش فتنها الداخلية حتى تشن عليها دول أوربا كل يوم غارة جديدة ينتحلون لها سبباً فلا يزالون يمتصون دماءها باسم التعويض عن اهانة أو خسارة لمن يلم باطرافها من رعاياهم حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين

كانوا يطلبون منها المغارم فرادى فصرن يطلبنها مجتمعات فقد جاء في الاهرام أن وكلاء الدول في طنجة اجتمعوا في دار السفارة الانكليزية في ١٤ الجاري ليقرروا طلب تعويض عام من سلطان مراكش عن القلاقل التي وقعت في سنة ١٨٩٦ في ناحية ميزاب لان جواب حاكم كازابلانكة على مطالب التجار الانكليز وغيرهم لم يكن مرضياً لهم

﴿ التعايشي وفارة السودان ﴾

انضم الى التعايشي ومن انهزم معه بعضه أوزاع من الفارين بعد هزيمته فألف منهم جيشاً عظيماً وكان نازلاً على بحيرة شركله على مسافة ١١٢ ميلاً من النيل فغادرها وتوجه شمالاً وقاتل بعض الاعراب فهزمهم ونكل بهم ، بهذا جاءت رواد الاخبار من كردفان الى أم درمان وطير الخبر مع البرق الى العاصمة وفيه أن

التعايشي قطع بجيشه ثلي المسافة بين بحيرة شركلة والنيل

وقد صدر أمر السردار حاكم السودان الى ضباط الجيش المصري الذين هنا من الانكليز والسودانيين أن يعودوا الى أم درمان ليكون دائما على أهبة واستعداد لقتاله وهم يسافرون تباعا

﴿ حرية الجرائد في السودان ﴾

نشرت جريدة السلام الغراء مقالة بينت فيها أن نسخها ونسخ جريدتي المؤيد والاهرام تحرق في عمل (مديرية أوقومندانية) اسوان بأمر اللورد كتشنر باشا حاكم السودان العام منعا لها من دخول البلاد السودانية ويؤذن لجرائد الاحتلال التي تسبح بحمد الانكليز وتقدسهم في كل أصيل ، وقابلت الجريدة بين هذا الفعل المنكر من حماة الفوضويين وأنصار الحرية وبين مراقبة الجرائد في بلاد الدولة العلية التي قصاراها قص بعض أوراقها أو ترميج بعض سطورها (افسادها بعد كتابتها) وعبارة السلام « أو الضرب بالقلم الاحمر على بعض سطورها »

﴿ عالم الارواح ﴾

لقد انتشر الاعتقاد بعالم الارواح وتعاليمه ومحادثة الذين ماتوا بواسطة وسيط أو وسيطة وكثر في انكلترا الى حد يفوق الوصف ، وحمل البرق عن لندن في ٢٩ الجاري (يناير) ان إحدى السيدات الباذلة كل ما في وسعها لنشر هذا المعتقد قد ارتأت مؤخرا تعليم هذا المذهب في المدارس العالية كما يعلم فن الطب وارتأت بناء كليات كبرى لتدريس الوسطاء والوسيطات فيها ، أما السيدة التي اهتمت بهذا المشروع فهي (لادي ستانرد) من البارعات المتقدمات في هذا المذهب الجديد الذي يحدث عنه الناس غرائب عجائب (كوكب أمريكا)

(المنار) لم تزل الابحاث في هذا الموضوع غامضة وأكثر العلماء في أوربا على أن ما يزعمون مشاهدته من الارواح لا حقيقة له وان هو الا تخيلات وأوهام وستظهر مواصلة البحث حقيقة الامر ولو بعد حين

تقاريظ

(مجموعة سعادة الدارين) أهدانا نسخة منهـا جامعها المعن المفن ، الضارب بسهمه في كل فن ، الملا عثمان الموصلي الغني بشهرته عن التعريف مشطر اللامية والباقيات الصالحات . والمجموعة تحتوي على «المنظومة الموصلية العثمانية في أسماء السور القرآنية » وهي من نظمه ومتن الحكم للعارف ابن عطاء الله السكندري ، ومنظومة أسماء الله الحسنى المنسوبة للامام العارف بالله تعالى سيدي عبد القادر الجيلي مخمسة بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم من نظمه (أي الملا عثمان) وقد أذن لمن شاء بطبعها ليعم في الناس نفعها فجزاه الله تعالى خيرا

﴿ حافظة الآداب وموقظة الالباب ﴾

كتاب صغير منثور ومنظوم لمؤلفه الأستاذ الفاضل الشيخ محمد الجنبيهي حمله على تأليفه وطبعه الغيرة الدينية على حرمة الادب من هؤلاء الشبان الفاسدي التربية المنغمسين في المنكرات والفواحش فنحث محبي الفضيلة الذين لم تطمس من قلوبهم أعلام الهداية ولم تدرس من نفوسهم رسوم الخيـر من هؤلاء الشبان على مطالعة الكتاب وهو يباع عند السيد عبد الواحد بك الطوبي والسيد محمد صالح في السكة الجديدة والشيخ حسنين محمد في درب الجماميز وعلي أفنـدي أبي زيد في الحلوجي ومحمد أفندي حبيب في باب الخلق

﴿ اداب الفتاة ﴾

كتيب لطيف ألفه الفاضل علي أفندي فكري من الموظفين في نظارة المعارف المصرية جمع فيه كثيرا من الحكم والوصايا الدينية والادبية والصحية التي لا تستغني عنها الفتيات وعبـارته في السهولة بحيث لا يتوقفن في فهمه مهما كن جاهلات بل فيه كثير من المفردات والاساليب المولدة والعصرية وأقل ما فيه الوصايا الدينية

فلو استبدل بغسل الوجه والفم والوجه كل صباح وتنظيف الاسنان « بواسطة الحلة أو منظف الاسنان » الوصية بالوضوء والسواك لكان أولى وعسى أن ينتبه الشبان الى أنه لا يمكن صيانة النساء وتهذيبهن الا بالدين « فعليك بذات الدين تربت يداك »

« الجامعة العثمانية »

مجلة سياسية ادبية علمية ذات عشرين صفحة تصدر ثلاث مرات في الشهر وسيكون شهر مارث المقبل مبدأ ظهورها وهي لمديرها الوجيه مخائيل افندي كرم ومنشئها الكاتب الفاضل فرح افندي أنطون واحسن ما يكتب الآن عنها اعلام قراء الجرائد بان صاحبيها كفؤان لادامة اصدارها على الوجه سيرونه من نموذجها لما عندهما من المادة الوافرة مالية وقلمية فنحث عليها سلفا

« البريد المصري »

يشتكي كثير من قراء المنار في مصر من عدم وصوله اليهم في أوقاته ومن احتجاب بعض أعداده عنهم ولقد كنا من قبل ننيط الاهمال بمستخدمي ادارة الجريدة الذين يتولون تغليفها وارسالها الى البريد ثقة بأمانة ادارة البريد المصري وانتظام أعمالها ثم لما تكررت الشكوى بعد التنبيه على مستخدمي الجريدة ممن ذكر والاستيثاق منهم علمنا ان التقصير من مستخدمي البريد ويشكو وكلاءنا في القطر التونسي منذ شهرين من تأخر وصول الجريدة اليهم عن مواعيدها الاولى فقد كانت تصل الى تونس في نحو تسعة أيام وهي لاتصل الآن الا في سبعة عشر يوما فنستلفت المكلفين بهذا الامر أن يتداركوا الامر ويكفونا مؤنة الشكوى بازالة الشكوى

الاخوة والصداقة (*

(انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون).

الصنو أشبه بالصنو منه بالشجرة التي يخرجان من أصلها أو الثمرة التي تخرج منها، والاخوان صنوان متساويان في الأصل والمنشأ وفي النبات والنمو ويتماهدان بتربية واحدة في الغالب ، فأجدر بالاخ أن يأنس بأخيه، ما لا يأنس بأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لما ذكرنا من كال المناسبة والمشاكلة التي هي علة الأنس والحب، ولأن للوالدين من الرفعة وحقوق الاحترام والاحتشام ما يقف بالانس بهما دون كماله، كما أن القيام على البنين بالتأديب والسيطرة مناف للاسترسال في الانس بهم والانبساط اليهم في جميع الشؤون والاطوار، فكم من كلام وعمل مما يرتاح اليه يعرض عنهما الانسان اذا كان على مرأى ومسمع من أصوله وفروعه ويقبل اليه مع إخوانه وصنوانه، أما الصاحبة (الزوجة) فلا يظهر هذا الوجه بالاضافة اليها لان الانس بها لا يكاد يساويه أنس ولكن الاخ يفوقها في مناسبة الاتفاق في المنبت والتربية فان لاختلاف التربية أقوى تأثير في الالفة والمحبة والنفور والوحشة وهو العلة في التنازع بين الازواج واختلال نظام العائلات المؤدي الى سقوط الامة في عواثير الشقاء ومهاوي الملكات . ومزية أخرى يفضل بها الاخ الزوج وهي أن الاستعاضة عنه اذا فقد ليست مما يناله الكسب ويتوصل اليه بسعي أخيه الذي فقده

يحكى أن امرأة كان لها ابن وأخ وزوج وقعوا في غضب الحجاج فأراد الايقاع بهم وعهد الى المرأة أن تختار أحدهم كفيلا لها ليقتل من عداه فاختارت الاخ قائلة ان الابن والزوج يمكن الاعتياض عنهما وأما الاخ فلا عوض عنه. فاعجب الحجاج بقولها

*) افتتح بها العدد ٤٩ المؤرخ في ٢٢ شوال سنة ١٣١٦ الموافق ٤ مارس سنة ١٨٩٩

لانها غلبت العقل والحكمة على الحنان والشهوة وعفا عن الجميع وقال لو اختارت غير الاخ لقتلت الكل ولم أدع لها أحدا

وبالجملة ان لكل قريب ونسيب مكانة تفضله من وجه على الآخر فللوالدين التعظيم والاحترام وللولد الرأفة والحنان وللاخ والزوج يطلق على الذكر والانثى كما لا يخفى) ارتياح المساواة وأنس الكفوء والنديد ولذلك يسمى الأخ شقيقا كأن الاخوين شيء واحد شق نصفين و يسمى صنوا والصنوان هما فسيلتا النخل تخرجان من أصل واحد ويسمى كل من الرجل والمرأة المقترنين زوجا للآخر بملاحظة أنهما شيء واحد في المعنى ظهر بصورتين ثنت احداهما الاخرى . وقد علمت ان مكانة الأخ لا يحلها سواه وان الميل اليه ميل الى كفيح ونديد ترى له عليك مثل مالك عليه بخلاف سائر الاقربين ولهذا سمى الصديق أخا وجاء القرآن يعلم الناس ويرشدهم لأن يكونوا كلهم أصدقاء وأخوة ويجعلوا أباهم في هذه الاخوة الايمان بالله تعالى وبما نزل من الحق فقال (انما المؤمنون اخوة) ورتب على ذلك قوله (فأصلحوا بين اخويكم) وفي الحصر بانما والعطف بالفاء ووضع الظاهر في اخويكم موضع الضمير مالا يخفى من تأكيد هذه الاخوة وتقريرها ثم قال (واتقوا الله) بأن تقوموا بحقوق هذه الاخوة وما ترتب عليها من الاصلاح بالمساواة اذ لا وجه لمحاباة أحد والكل اخوة (لعلكم ترحمون) في الدنيا والآخرة وما أجدر من يقوم على هذا الصراط السوي بان يرحم

يسمي الناس كل صاحب صديقا وأخا وأين الصداقة والأخوة من كل من تصحبه . اذكرهنا ملخص رقيم كنت أرسلته في سنة ١٣٠٤ لصاحب آخيته في بعض البلاد السورية (* وهو ما جاء بعد كلام

«انني أحب ان أكتب اليك الآن كلمات تتعلق بهذا اللقب الشريف (الاخ الصديق) الذي أطلقته عليك وهي

قد اعتاد الناس اطلاق هذا اللقب الشريف على كل من ارتبطوا معه برابطة

---

*) ان الصديق الذي كتبت اليه هذا لم يثبت على صداقته بل حل عقدها بعد ظهور المنار وانتشاره لما حدث له من الميل الى الخرافات

من روابط الاجتماع ولو كانت الرابطة منفصمة العرى مقطعة الاسباب ، أو انتكث فتلها بعد ابرام ، وتداعت دعائمها بعد إحكام ، فاذا كانت رابطة المصاحبة هي الاجتماع على القيل والقال ، واضاعة المال ، بنحو اكل وشرب ، ولهو ولعب ، فيجدر بنا أن ندعو ذويها أصحاب الوجوه وهم كثيرون حيث تكثر البطالة وتقل دواعي العمران ، واذا كانت الجامعة بينهم الاشتراك في المنافع المالية والعلائق الشخصية العملية فينبغي أن نسمي صحبتهم صحبة المصالح والحظوظ وهؤلاء يكثرون بكثرة الاعمال التجارية والصناعية في المدن النافقة الاسواق الكثيرة السكان الوافرة العمران ، واذا كانت جامعتهم هي المشاكلة في الاخلاق والسجايا فهؤلاء هم الذين يصح اطلاق لقب الصاحب على آحادهم بغير قيد وصحبتهم هي الصحبة الحقيقية وهم فرق كثيرة لاختلاف السجايا وتباين الاخلاق ، واكثر أفراد المتصاحبين من الانواع المتقدمة الذكر لا يعرفون معنى الصداقة وان أكثروا من الثرثرة بلفظها لان أساسها الذي يقوم عليه بناؤها هو الصدق في السر والعلن ، والغيبة والشهود ، والقرب والبعد ، وفي السراء والضراء ، والزعزع والرخاء ، وهو اعز من الكبريت الاحمر ولذلك أنكر الصديق الوفي المنكرون فقال أحدهم

سمعنا بالصديق ولا نراه   على التحقيق يوجد في الانام
واحسبه محالا أو مقولاً   على وجه المجاز من الكلام

وقال آخر

أيقنت ان المستحيل ثلاثة   الغول والعنقاء والخل الوفي

لعمرك ان غير الصدوق معذور باعتقاد استحالة وجود الصديق لما عنده من الدليل الوجداني على ذلك والصدوق يعذر أيضا إذا ارتأى انه انفرد بالصدق في بعض الاحايين لما يعانيه من الابتلاء بمراوغة المنافقين ، ومخادعة الكاذبين ، ونظير ذلك ما تنوقل عن السلطان محمود انه أقسم مرة انه لا يوجد في استانبول مسلم غيره وغير فرسه وسيفه يريد عليه الرحمة انه لم يصدق معه غيرهما ، وانه لا يثق الا بهما ، فاذا ظفر مثل هذا الصدوق بآخر مثله ربما ادعى انحصار الصداقة فيه وفي صديقه وانما يصح ذلك بالنسبة لاختباره في وطن اقامته

ثم إن أقوى الصـداقة أساسا ، وأضواها نبراسا ، وأمنعها من الانحلال ، وأبعدها عن الاختلال، صداقة أرباب المبادئ الشريفة، والمقاصد الجليلة، فما كان للصديقين منزع واحد ومشرب واحد هو مقصدهما من حياتهما تعاهدا عليه وتآخيا من أجله فلا جرم ان اخوتهما تكون أقوى من الاخوة النسبية ، ورابطة صـداقتهما أقوى من سائر الروابط الاجتماعية

ثم ان الثبات على الصداقة ـ كغيرها ـ مشروط بحسن الخلق وتهذيب النفس لأن فاسد الأخلاق عرضة للتغير والانقلاب تتلاعب به عواصف الأهواء فتقلبه ذات اليمين وذات الشمال ، فلا يستقر له شأن ولا يثبت على حال، فكم تألفت في أوطاننا شركات تجارية وصناعية فبدد فساد أخلاق أفرادها شملها ، ونثر منظوم أهلها ، وفرق اجتماعهم وجعلهم عبرة للمعتبرين ، ربما كان التنازع على شيء لا يبالي به عاقل ، ولا يلتفت اليه مهذب ، سبباً للفشل ، ونفض اليدين من العمل ، بل في نقض أساس رفع بناؤه ، وحل عرى أحكم فتلها ، وذلك كالتقدم في المجلس أو في الختم على الأوراق أو التحلي بلفظ رئيس أو مدير ونحوهما من الالقاب أو مراعاة مصلحة شخصية (واخجلتاه) وهذا هو السبب الذي قضى على الأمم الشرقية أو الاسلامية في هذه الأزمنة الاخيرة بالتقاطع والتنازع حتى رزؤا بالضعف والهبوط ، بل بالخسف والسقوط ، وصارت حالهم ـ كما نرى ـ شر الاحوال ولا حول ولا قوة إلا بالله

قام فيهم مصلحون مجددون نبهوا الافكار الغافلة ، وحركوا سواكن الهمم فاستضاءت بنور الحقيقة بصائر ، ونشطت للعمل اعضاء ، سلكت الجادة وأتت البيوت من أبوابها حتى كادت تبلغ الغاية لكن عارضها في سيرها وحال دون تمام العـمل نفوذ العدو الغربي المتيقظ لما يعقب نهضة هذه الفئة المصلحة من ايقاف مطامعه في الشرق عن الامتداد بل من تحويل مده الى جزر لا يفيض بعده ثائب ، وساعد العدو الغربي على معاكسة (كذا) الاصلاح الامير الشرقي الجاهل فكان عاملاً على ثل عرشه ، وانتزاع سلطانه ، ولقي أولئك المصلحون من الألاقي « الدواهي » ما لا محل لشرحه هنا ، وهم لا يزالون على سعيهم وتعاليمهم الشريفة لها من ذوي النفوس الزكية والعقول الصافية المحل الاول والمقام الاسنى ، وبانبعاث أشعتها في

أفكارهم ، وإضاءتها أرجاء قلوبهم ، تدب فيهم حرارة الغيرة على الدين والوطن وما بعد انفعال الغيرة إلا الأخذ بوسائل العمل ومقاصده « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

« إن لكل عاقل غرضا صحيحاً من حياته وغرض هذا العاجز إنما هو خدمة أمته ووطنه من طريق علمي تهذيبي على ما يرشد اليه سبر المصلحين ، ولما كان هذا أمرا عاما كليا وكل أمر كلي عام لا يفي به الواحد احتجت لانتقاء الاخوان الموازرين المساعدين الذين يوثق بثباتهم لتهذبهم وحسن مقاصدهم ونياتهم فلم اصطف في طرابلس إلا واحدا أو اثنين من صنفنا (أهل العلم) وقد اصطفيتك أنت من أهل . . . (١) لما رأيته فيك من سمو الأفكار ، والنظر في حوادث الكون بعين الاعتبار ، مع التبصر والتدبر ، والتأسف والتحسر ، بحيث لم يبق عندي ريب في انك على المشرب الذي نستقي منه ، والمنحا الذي ننتحيه ، ولم يبق من شروط الاخوة الكبرى الا الصدق والثبات الناشئين عن تهذيب الأخلاق (كذا في الاصل ولا أرى ان قول الناس نتج كذا عن كذا عربيا) وعندي ان اكتناه المرء واختباره التام الذي تعرف به أخلاقه وسجاياه لا بد فيه من المعاشرة والمخالطة عدة سنين ، لكن لما كان مشربنا الذي أومأنا اليه محالفا للتهذيب غالبا لا يكاد يجنح اليه إلا محب للكمال ، ولا يرسخ في نفس فاسدة الاخلاق والآداب ، وكنتم مع قوة ميلكم اليه قد توفقتم (الصواب وفقتم) للمطالعة في كتاب إحياء العلوم الذي هو أحسن كتاب تهذيبي إسلامي ـ وهو أستاذي الأول ـ فهذان الامران اثبتا لي أملا قويا وحسن ظن بصدقكم وثباتكم فعاهدتكم على الولاء وأطلقت عليكم لقب (الاخ الصديق) وسيزيد الرجاء قوة وتمكنا بكرور الايام ، ويصير الظن عين اليقين ؛ (٢) ونكون في جنة الاعمال المفيدة إخوانا على سرر متقابلين ، يوم ينفع العالم منا بعلمه ، والمتمول بماله ، ونعم أجر العاملين اه

---

(١) وضعنا في الاصل نقطا مكان اسم البلد لئلا تطلع الحكومة على المقالة فتبحث عن الصديق فتوقع به . أما وقد أعلن الدستور فنقول انها بيروت

(٢) تقدم في هامش سابق ان الزمان جعل هذا الظن كذبا لا يقينا

حقوق الاخوة والصحبة

قال الامام الغزالي «اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح فهكذا عقد الاخوة فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء والاخلاص والوفاء و بالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق

(الحق الاول) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى » وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فهكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا توافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهكذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار .

والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب (أدناها) أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة (الثانية) أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن كان أحدهم يشق ازاره بينه و بين أخيه . (الثالثة) وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين (أقول في هذا بحث أوردته في كتابي «الحكمة الشرعية» و بينت فيه أن مرتبة الايثار على النفس ليست عليا المراتب وسأذكره في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى) ومن تمام هذه الرتبة الايثار بالنفس أيضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري . فبادر الى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له في ذلك قال أحببت ان أوثر اخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم

من حكاية طويلة — فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست مرضية عند ذوي الدين . روي أن عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك الى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعي الاخوة في الله وتقول هذا . ومن كان في هذه الدرجة من الاخوة فينبغي أن لا تعامله في الدنيا قال أبو حازم اذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك وانما أراد به من كان في هذه الرتبة

وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) أي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال مالي أو نعلي لانه أضافه الى نفسه. وجاء فتح الموصلي الى منزل أخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته وأخبرت الجارية مولاها فقال «ان صدقت فأنت حرة لوجه الله» سرورا بما فعل. وجاء رجل الى أبي هريرة رضي الله عنه وقال اني أريد أن أواخيك في الله فقال أتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير اذنه ؟ قال لا ، قال فلستم باخوان

ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فان أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغني ان احدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه . وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال اني اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على شرط ان كون أملك لشيئك منك، قال لا ، قال أعجبني صدقك . قال فكان ابراهيم رحمه الله اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه. وصحبه رجل شراك (هو الذي يعمل الشرك للنعال) فأهدى رجل الى ابراهيم في بعض

المنازل قصعة من ثريد فتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة
وردها الى صاحب المدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك ؟ قال ذلك الثريد الذي
أكلته أيش كان؟ قال كنت تعطيه شرا كين أو ثلاثة؟ قال اسمح يسمح لك. وأعطى
مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك
قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأس شاة فقال أخي فلان أحوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر
فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة. وروي ان
مسروقا ادّان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين
خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم. ولما آخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والاهل
فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة
والبداية إيثار والايثار أفضل من المساواة . وقال ابو سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها
لي فجعلتها في فم أخ من اخواني لاستقللتها له . وقال ايضا اني لالقم اللقمة أخا من اخواني
فأجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء
قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله أحب الى من ان اتصدق
بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لان اضع صاعا من طعام واجمع اخواني في الله
احب الى من أعتق رقبة واقتداء الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر
مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال يارسول الله كنت والله احق بالمستقيم مني
فقال « مامن صاحب يصحب صاحبا ولوساعة من النهار الا سئل عن صحبته هل اقام
فيها حق الله ام اضاعه » فأشار بهذا إلى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة.
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان
الثوب وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل
فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة
وقال بأبي انت وأمي يارسول الله لاتفعل فأبى عليه السلام الا ان يستره بالثوب حتى

افضل وقيل صلى الله عليه وسلم مااصطحب اثنان قط الا كان احبهماالى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان محمد ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن وقال يامويلك هكذا كنا لايحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى « اوماملكتم مفاتحه او صديقكم » كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان اخوه يتحرج من الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الآية « واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء »

الاشتراكية والدين

﴿ ملخص من كتابنا الحكمة الشرعية ﴾

علم مما تقدم عن الاحياء للامام الغزالي أن عليا درجات الاخوة ورتبهـا هي كون الاخوان كلهم خلطاء في الاموال وشركاء لا يميز بعضهم رحله عن بعض ومعلوم أن المؤمنين كلهم أخوة « كما في نص القرآن » وان كان الكثير بل الأكثر منهم غير قائم بحقوق هـذه الأخوة ، واذا كان بلوغ الرتبة العليا من الأخوة مستحسنا ومطلوبا شرعا فهو دليل على أن الاشتراكية التي ينزع اليهـا بعض الجمعيات في أوربا مستحسنة ومطلوبة في الجملة لان لها أصلا في الشريعة الاسلامية الحقة المؤيدة بالعقل الصحيح مع أننا نرى الحكماء والعقلاء لا سيما رجال الدين منهـم يطلقون القول في ذمها وذم ذويها فهل ذلك من الصواب أم لا ؟

الجواب — الذي يتراءى لنا هو اننا اذا نظرنا في المسألة بعين العقل المجرد تجلى لنا أن الاشتراكيين مطالب عادلة في الجملة وانهم معذورون في تحزبهم للتحامل

على الاغنياء الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ، ينفقون اسرافا وتبذيرا ، ولا يرحمون مسكينا ولا فقيرا ، لكن بعض مطالبهم جائزة لا يمكن أن ترضى بها أمة من الناس كما ينقل عن بعضهم القول بأن الاشتراك ينبغي أن يكون في كل شيء حتى في الابضاع ونحو هذه من القول لا يقول به الا السفهاء والى الآن لم يستطع أحد من زعماء الاشتراكيين أن يأتي بتعاليم للاشتراكية مقبولة عند جماهير العقلاء المنصفين ولو طلبوا هاته الرغبة في الدين الاسلامي لظفروا بها — ذلك أن الشريعة الاسلامية الغراء تفرض في أموال الاغنياء من عين أو تجارة وفي نتائج زراعة الزارعين فرضا معينا يخف عليهم أداؤه تصرفه لمن يعجز عن كسب يقوم بكفايته من فقير ومسكين والغارمين وأبناء السبيل الخ التفصيل المعروف في كتب الفروع

وهذا الفرض يلزم به الاغنياء إلزاما ويجبرون عليه اجبارا ، وتحث الناس بعد ذلك على التنفل في الصدقة وعلى الصلة والهدية والمواساة واكرام الضيوف وعلى الصداقة والاخوة التي أرفع درجاتها أن يتصرف الصديق في مال صديقه كما يتصرف في مال نفسه ولا يصادف منه على ذلك الا الرضى بل الفرح والاستبشار . ثم هذه الرتبة لا يحصل عليها الناس كرها وانما يقادون اليها بسلاسل الآداب الدينية مع الرفق والحكمة الى أن يأتوها راضين وذلك بنشر تلك الآداب والتربية للاحداث ذكرانا وأناثا على أصول تعاليمها

لا ريب أن انتهاج هذا المسلك يأتي بفائدة كبرى للأمة هي السعادة بعينها وان كان وصول جميع الافراد لمرتبة الاخوة الكبرى بعيد المنال ، لما يعترض التربية من العوارض الخارجية والاحوال ، فضلا عن كون تعميمها لا يتم الا بالقوة وكثرة المال ، واكراه العموم على ذلك حرج شديد ، لا يقول به ذو رأي سديد ، ولا يزال أولئك الاشتراكيون كلاًّ على كاهل أوربا ولا يصلون الى تمام ما يطلبون لأن رجال الدين ورجال السياسة جميعا يرفضون تعاليمهم ويسفهون أحلامهم الا ما كان من الجمعية الفرنساوية التي تسمى جمعية الأخوة فأولئك تشبه أحوالهم وتعاليمهم ما كان من الاخوة في شبيبة الملة كما تقدم عن الاحياء وقد صدر عن هذه الجمعية آثار نافعة للأمتهم من نشر العلوم والفنون الرياضية والفلسفية مقرونة بالدين المسيحي

على المذهب الكاثوليكي وقد انتشرت مدارسهم في ممالك الشرق يوطئون المسالك ويمهدون السبل لامتداد نفوذ فرنسا وتسلطها على البلاد التي ينشرون فيها تعاليمهم كما يفعله غيرهم من جمعيات دول أوربا في ممالك الشرق وأهل الشرق لاهون غافلون عما يراد بهم

قاعدة في الطاقة، والكلب يأكل في العجين
يا كلب كل واتهنا، ما للعجين اصحاب

بل أهل الشرق نيام فاذا ماتوا باستعباد الأجانب لهم ونوقشوا الحساب، وحاق بهم العذاب، انتبهوا وأنى ينفع الانتباه، ولا حول ولا قوة الا بالله، وأجدر بالمسلمين أن يكونوا هم السابقين لمثل تلك الجمعية، بل ولكل مزية مفيدة مرضية، من المزايا التي سبقتنا بها الامم الغربية، وما كنا لنستفيق فصبر جميل

هذا وان للاشتراكيين والمتآخين في أوربا حجة في كتابهم الديني الذي عليه مدار النصرانية وهو المسمى بالعهد الجديد فقد ذكر فيه ما نصه

«وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول ان شيئا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم اذ لم يكن فيهم أحد محتاجا لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها على أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد له احتياج ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ لاوي قبرسي الجنس اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند ارجل الرسل ورجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة باع ملكا واختلس من الثمن وامرأته لها خبر ذلك وأتى بجزء ووضعه عند أرجل الرسل فقال بطرس ياحنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل أليس وهو باق كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في سلطانك فما بالك وضعت في قلبك هذا الامر أنت لم تكذب على الناس بل على الله . فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات وصار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك فنهض الاحداث ولفوه وحملوه خارجا ودفنوه ثم حدث بعد مدة نحو ثلاث ساعات

أن امرأته دخلت وليس لها خبر ماجرى فأجابها بطرس قولي لي أفابهذا المقدار بعتما الحقل فقالت نعم بهذا المقدار فقال لها بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب هو ذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب وسيحملونك خارجا فوقعت في الحال عند رجليه وماتت فدخل الشباب ووجدوها ميتة فحملوها خارجا ودفنوها بجانب رجلها فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك» انتهى من أواخر الاصحاح الرابع وأوائل الاصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل (ابركسيس)

وفيه أن الاشتراك كان في كل شيء متمول عندهم وهو مصرح به في الاصحاح الثاني أيضا وان الاشتراك كان مانعا لاحدهم أن يتصرف في ماله كيف يشاء ويختار أو يمسكه عنده بل كانوا يلزمونه أن يؤديه الى الرسل وهم ينفقون عليه كما يريدون . ألم تر الى بطرس كيف عد حنانيا مختلسا عند ما أمسك بعض ثمن الحقل وهذا الحد من الافراط لم تقل به الشريعة الاسلامية ولا في أوائل مدة الهجرة التي شارك فيها الانصار المهاجرين في أموالهم طوعا واختيارا وحيث كان التوارث بالاسلام لا بالقرابة لما تقتضيه حالة ذلك الوقت

وأما تعاليم العهد الجديد الذي هو أصل النصرانية كما ألمعنا اليه قريبا فجميعها ناطقة بالافراط في التمسك بالفضائل وتلزم الآخذ بها أن يكون أزهد الزهاد لا يتخذ مالا ولا يبتغي جاها ولا يدافع عن نفسه بل يكون خائفا ضارعا مستسلما لتصرف الحاكمين، مستبسلا لتعدي المعتدين، وقد رفض النصارى تلك التعاليم من حيث التخلق والعمل، وادعوها بقول الجدل، كما أن المسلمين قصروا بنشر تعاليم دينهم الخالصة من الشوائب ولم ينظروا بأخلاقه على وجه الكمال الذي حدده لهم الا قليل منهم مع انه الكافل لهم سعادة الدارين والفوز بالحسنيين ولذلك جدت أمم النصارى في مصالح الدنيا وهم قاعدون، وقالوا بالنصر وهم خائبون، فانا لله وإنا اليه راجعون اه

(المنار) هذا ما كتبناه «في الحكمة الشرعية» من بضع سنين ولم نقصد به الاعتراض على أفضل مقاصد الملة النصرانية ولا على تعاليمها لاننا نعلم أن الافراط في التنفير عن الدنيا وفي التزهيد بالمال والسلطة كان مناسبا لحال ذلك

العصر لما كان عليه الناس من الفساد والبغي وطغيان الشهوة والقوة بسبب مدنية الرومانيين المعروفة ، وانما تتعجب من أحوال الامتين ، وعدم انطباقها على تعاليم الديانتين ، وفي العروة الوثقى مقالة نفيسة في هذا الموضوع سننشرها في عدد تال ان شاء الله تعالى

الاصلاح الاسلامي والجرائد

عند ما عزمنا على انشاء المنار كاشفنا بعض اهل النظر والخبرة بعزمنا وشاورناهم في الامر فقال أوسعهم اختبارا ان الجريدة لا تروج الا اذا جاءت بمشرب جديد وطرقت سبلا لم تكن تطرق وهي مما يحتاج الى السلوك فيها . ولما ظهر المنار اعترف صاحب هذا الرأي كغيره بأنه جاء بما لم تأت به الاوائل من بيان الامراض الاجتماعية التي طرأت على الامة الاسلامية والشرق كله والبحث في اسبابها وعلاجها وحمد سعينا وعملنا العقلاء والفضلاء واصحاب الجرائد خاصة قولا وكتابة الا ان جريدة معلومات العربية انتقدت علينا مرة ما كتبناه عن مراكش من سوء الحال ، ودوام الاختلال ، المؤذن — ان لم يتدارك — بالزوال ، وبنت انتقادها على أن تلك البلاد متمسكة بالدين ومن لوازمه الانتظام وحسن الحال وانه ما كان ينبغي لنا أن نهول ببيان ضعفها واختلال شؤونها محافظة على كرامتها ثم انها مع ذلك استحسنت ما نصحنا به سلطان مراكش من الاستنانة بمولانا السلطان الاعظم على الاصلاح بأن يطلب منه رجالا لبث المعارف والفنون العسكرية في بلاده . ومن الغريب أن بعض أكابر رجال الدولة كتب الينا يومئذ يستحسن ما نشرناه في شأن مراكش الا الاستعانة بسلطاننا قال لئلا ترسل اليه الدولة مثل فلان وذكر رجلا من موظفي المعارف يعلم انتا والفنون على جهالته . . وانتقد علينا أيضا من ادارة جريدة طرابلس فكتب لنا أولا (١) بانتا بينا معايب المسلمين وكشفنا الستار عن جهالتهم وضعف دولهم وانه كان ينبغي لنا أن نسدل الستار على هذه المخازي والمقاذر ونؤول للمخطئين على أعين الناس من الاجانب والاعداء ، ثم كتب في الجريدة شيء في هذا . . ووافق طرابلس

---

(١) الذي كتب هذا هو شيخنا الشيخ حسين الجسر

على هذا الرأي جريدة مصرية واحدة لا قيمة لها فنذكر اسمها

ثم ماذا — لم يمض على المنار الا أشهر حتى رن صوته في الآذان ولهجت بمواضيعه الألسن وظهر لما أثر في الجرائد واتفق أن الآلام التي دفعت بنا الى الكتابة في هذه المواضيع حركت بعض من ألمت بهم من الكتاب في المشرق والمغرب وحملتهم على الكتابة في الاخطار التي تهدد الشرق كله والمسلمين فيه بخصوصهم فكانت جريدة المؤيد ملتقى أفكارهم ومنعكس صدى أصواتهم ولم يطل الامد على نشر مقالة المراكشي ومقالة الهندي فيها (وفي المنار) حتى جاءته رسالة ضافية من حضرة جودت بك محرر جريدة إقدام في الاستانة العلية في ضعف الامة الاسلامية والاخطار التي تحدق بها وما عساه يقيها منها وليس في تلك الرسالة جملة لم يرد مثلها في المنار حتى توهم بعض المصريين أنها قد لخصت من المنار تلخيصا ثم نشرت جريدة معلومات العربية مقالة وجيزة في الموضوع وجهت اليها نظر المؤيد فنشرها ثم جاءنا العدد الاخير من جريدة طرابلس فاذا هي مفتتحة بمقالة لخصت فيها ما كتبه جودت بك وما جاء في معلومات منزلة عما أنكرته علينا من قبل فالحمد لله على الوفاق بعد الخلاف

ذكرت معلومات أن للاصلاح ١٣ أصلا لا بد منها وذكرت أصولا مجملة مبهمة متداخلة الاول منها « الاعتصام بالدين القويم » وياليت شعري ما مراده به ؟ فإن كان مراده التعاليم الشائعة التي يسميها الناس دينا فهي التي أوقعتهم فيما هم فيه وذلك كالتوحيد أو التوكل الذي رماهم بالجبر والكسل فمنعهم من الاعتماد على الاسباب التي ناط الله بها مصالح الكون دون الاعتماد على الشيوخ أحياء وامواتا وطلب الحوائج من قبورهم الخ ما شرحناه غير مرة في المنار ، ومن فهم الدين مقلوبا ما يأتيه بعض المتعبدين من أمرائنا واغنيائنا من بذل الاموال الوافرة لعمارة الاضرحة والقبب عليها باسم الدين وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عمارة القبور في أحاديث كثيرة ومن ذلك ما نقل الينا أخيرا عن السلطانة عديلة عمة مولانا السلطان الاعظم التي ماتت من عهد قريب من أنها أرسلت جميع ما عندها من الحلي والجواهر الى المدينة المنورة ليزين بعقد منها يساوي ١٨٠ ألف جنيه قبر السيدة فاطمة عليها

السلام » ويصنع من الباقي ثمنه نحو ١٥٠ ألف جنيه ثريا « نجفة » تعلق في روضة النبي « عليه الصلاة والسلام » ولو أنها كانت تعلم ان النبي و بنته لا يحبان الزينة لا سيما بعد الموت وانهما يحبان العلوم والمعارف لأوصت بأن تصرف هذه الاموال لفتح المدارس في تلك البلاد التي كانت مشرق أنوار المعارف للكون فأمست من أجهل البلاد وضيقت الدولة في أمر المطبوعات التي تدخلها حتى ان كل عدد من أي جريدة لا يدخل الحجاز الا بأمر من الاستانة على ما بلغنا . وان لنا لعودة الى هذا الموضوع ان شاء الله تعالى وقيل ان حلي السلطانة أرسل للمدينة لغير تلك الغاية

(الاصل الثاني الاعتصام بحبل الخلافة) وهذا يدخل في الاول كما يدخل فيه قيام الخليفة بحقوق الخلافة على ما شرحناه في مقالات الاصلاح الديني

(الثالث علم العلماء وأعاظم الامة ما عليه الامة وتركهم ترجيح النفع الخاص على العام) ومن الذي يقلب تربيتهم وأكثرهم عالم بجهال الامة ويائس من اصلاحها ولذلك يعمل لنفسه فقط

(الحادي عشر اصدار جريدة في كل بلدة اسلامية تختص مباحثها بما يناسب شأن تلك البلدة وارتقاء أهلها علما وأخلاقا) وهذا الاصل يمكن أن يوجد فيما عدا بلاد الدولة العلية من بلاد الاسلام فاننا قد انشأنا المنار لهذه الغاية فكانت تمنع أعداده من بلاد سوريا بحجة اننا نرمي المسلمين بالجهالة وتقول انهم في حاجة الى التربية والتعليم بالصبغة الدينية ثم صدرت الارادة السنية من مقام الخلافة الاسلامية بمنعها من البلاد العثمانية بكلمة كتبها المابين والي بيروت (رشيد بك) الذي يعرف مولانا السلطان فن دونه حقيقة حاله السيئة ، فبلاد يمنع فيها عمل عظيم عام الفائدة بكلمة من جهول فاسد الاخلاق سيئ الاعمال هل يمكن يجري فيها اصلاح؟؟ ونحن قد سبقنا معلومات لمثل هذا الاقتراح في مقالات الاصلاح الديني

أما بقية الاصول التي ذكرها فهي ترجع الى شيء واحد وهو تأليف شركات مالية لتعميم المدارس للذكور والأناث ولطبع المؤلفات النافعة وانشاء المنتديات العلمية وتوظيف خطباء طوافين وكل هذه المباحث قد فصلنا القول فيها تفصيلا وانشاء المنتديات العلمية متعذر في دار السلطنة ومتعسر في سا[ئر ب]لاد الدولة لان كل اجتماع

يكون مدعاة لبث الدسائس من الجواسيس كما هو معلوم ومن العجب انه ذكر التعليم ولم يذكر التربية وهي الركن الاهم الأنفع

وفي الختام نسأل الله تعالى بكمال الاخلاص أن يوفق حكامنا وعلماءنا وجرائدنا لما فيه خير الأمة والملة ونحمد الله ونثني عليه أن وفق الجرائد في بلاد الدولة على مشاركتنا في البحث في أمراض الأمة وعلاجها ونرجو من فضله أن يقي أصحابها من ولاة السوء الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً فيواظبوا على هذا العمل المبرور الذي يحيي الهمم ويبعث على النهوض وبالله التوفيق

﴿ منتدى سمر ﴾

ضمنا وبعض فضلاء السمار سامر من السمار (السمر الحديث في الليل ويسمى فاعله ومكانه سامرا وجمعه في معنييه سمار) فجرى ذكر الطرق وما كتبه المنار في عدده الماضي بمناسبة الحادثة الاخيرة في شأن ذويها وتحدثوا بأن شيخ الشيوخ سيجمعهم للمذاكرة في الاصلاح فقال قائل لا يمكن ان يأتي الاصلاح من جانب هؤلاء الشيوخ لانهم اذا تركوا الرقص والغناء وآلات الطرب ينفض أكثر الناس من حولهم فيقل سوادهم الذي يفيض عليهم بالأبيض والاصفر ، ومدار معاشهم وجاههم على هذا ، إنهم ليعلمون كما نعلم أو أكثر علما أنهم لو اقتصروا على الذكر الشرعي لا يحضر مجالسهم الا بعض الاتقياء العقلاء الذين لا يقدمون لهم نذرا ولا يتقدونهم شيئا وهذا ما يضطرهم الى استمالة الغوغاء من الناس باللهو والباطل فلغوا يكتب المنار وعبثا يحاول مبتغي الاصلاح (وأشار اليّ) فقال سامر آخر نرجو ان يظلوا واقفين عند هذا الحد في الاستمالة ولا يتعدوه الى نحو الحشيش والافيون فانبرى له آخر وقال وما يدريك انهم لم يتعدوا الحدود التي ذكرت؟ ان الخيام التي يشرب فيها الحشيش في الموالد هي مأوى المجاذيب المعتقدين ومنتحى العفاة والطالبين ولا يمكن لاحد ان ينبس ببنت شفة في الاعتراض على ذويها لئلا يتصرفوا فيه . فتذكرت بكلام هذا السامر ما كنت سمعته من بعض القضاة الشرعيين في غضون مدة مولد

السيد من ان بعض الحشاشين من الاولياء اصحاب الكشف وانه سرق لبعض الناس متاع فوقف على خيمة حشاشين فاشار واحد منهم الى ان متاع الرجل قفة وانها في مكان كذا فجاء الرجل المكان المشار اليه فوجد متاعه هناك في قفة كما قال الحشاش ·

ولم أحدث السمار بالقصة لكنني قلت لمن قال ان الكلام في اصلاح الطرق عبث: انني يغلب عليّ اليأس من الشيوخ في الغالب ولكن رجائي في الامة كامل وأنا أكتب لأبين لها الحق من الباطل فمتى علمت أعرضت عن هؤلاء المضلين الذين يأكلون أموالها باسم الدين ويشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً وان الحق يعلو ولا يعلى عليه والعاقبة للمتقين

﴿ ولي العهد الخديوية ﴾

سمى الجناب العالي الخديوي نجله وولي عهده (محمد عبد المنعم) فجمع بين فضيلتي الاسماء المشار اليها في حديث «أفضل الاسماء ما عبّد وحمّد» فنسأل الله تعالى الذي ألهم سمو والده بأن يضع له خير الاسماء أن يجعله خير مسمى ويقر به عيون الامة والوطن المصري العزيز

﴿ اشتراك يوناني بالجمعية الخيرية الاسلامية ﴾

كتب الموسيو أكيلو بولو من وجهاء التجار اليونانيين في الاسكندريه الى الجمعية الخيرية الاسلامية بانه يعتد مصر وطناً ثانيا له لطول إقامته فيها ومن حق الوطن مساعدة الاعمال الخيرية فيه ولذلك يلتمس من الجمعية أن تعتبره من المشتركين بمبلغ سنوي قدره أربعون جنيها انكليزيا فاجابته الجمعية معترفة له بالفضل ومكافئة عليه بالشكر ، فليعتبر الذين يرجئون دفع ما عليهم من سنة الى أخرى بل ليعتبر سائر أغنياء القاهرة ثم أغنياء القطر الذين يقصرون في مساعدة هذه الجمعية ولو كان للكثير منهم روح شريف ومعرفة بقيمة الوطن كمعرفة الموسيو أكيلو بولو لعمت مدارس هذه الجمعية جميع مدن القطر ولكن الكرام قليل فنسأل الله تعالى ان يزيد في أوطاننا عددهم ويضاعف مددهم فبالاغنياء الفضلاء تحيا البلاد وتنهض الأمم وبهم تسقط في مهاوي العدم

خاتمة السنة الأولى للمنار

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى
أما بعد فقد تم لمنارنا بفضل الله تعالى سنة قمرية كاملة (إذ كان صدور أول عدد منه في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥) أنبته صدق الخدمة فيها نباتا حسنا وتقبله فضلاء الامة بقبول حسن ولا يزال في نمو تدريجي يبشر بالكمال، ولقد صدق الله تعالى إلهامنا وحقق رجاءنا بموازرة الكرام ومعاضدة الاخيار وها نحن أولاء نراهم يزدادون يوما فيوما ، أما الرجاء الذي أشرنا اليه فهو ما جاء في آخر فاتحة الجريدة — بعد بيان منهاجها والاشارة الى مشارب الناس في الجرائد وانه انتقاد الحكومة أو المدح والذم في الاشخاص أو النكت الهزلية والروايات الغرامية — وهو «فاذا رأوا جريدة تفند أكثر أقوالهم، وتنعي على اسرافهم في أمرهم ، وتسجل عليهم التقصير في العمل المفيد عمارة بلادهم ، بل التشمير للعمل على خراب أوطانهم، أوتسليمها لأيدي الأغيار من المهطعين الى الاستعمار ، يوشك أن يلفظوها لفظ النوي و يضربوا بها عرض الحائط ، لكني وطنت النفس على الاقتناع بموازرة الكرام ومعاضدة الاخيار ، ثم ان الكرام قليل ورجاؤنا أن يكونوا آخذين في النمو لما تقتضيه حالة المصر ويزعج الأمة اليه موقفها الحرج » الخ

كانت الجريدة ترسل الى المشهورين من القراء فيردونها من غير أن يزيلوا غلافها وينظروا فيها ثم يتفق لهم النظر فيها عند بعض أصحابهم فيطلبونها، وأكثر الذين اشتركوا في أثناء هذه السنة حتى في الشهرين الحادي عشر والثاني عشر طلبوا الجريدة من أولها حتى احتجنا لإعادة طبع ما نفد من أعدادها ، ولو أن لنا وكلاء يسعون في نشرها لكان نموها أسرع وانتشارها أعم . اما رد الناس للجرائد الحادثة من قبل الاطلاع عليها فهو لما رأوه من كدورة مشاربها وعدم ثباتها في الغالب

وذنب جره سفهاء قوم ... وحل بغير فاعله العقاب

الانتقاد على المنار

قلنا إن المنار نال رضي العلماء والفضلاء ولكنه لم يسلم من الانتقاد، أما علماء الأزهر

الكرام فقد أنكر بعضهم علينا مسألة واحدة وهي ما جاء في (محاورة في اصلاح التعليم في الازهر) من وجوب العمل بالحديث الشريف دون قول الفقهاء المخالف له ووعدناهم باننا سنبسط الكلام في هذا الموضوع في مقالة نكتبها في (الاجتهاد والتقليد) وأشار علينا بعض الفضلاء والكتاب بأن نقلّ من الالفاظ الغريبة والاصطلاحات العلمية ونختار السهولة في الاساليب ليتسنى لكل الطبقات ان تفهم ما يكتب ولذلك ترى ان الاعداد الاولى من المنار أرقى في الغالب أسلوبا، وا كثر غريبا،

وأما غوغاء الناس فقد قام جماعة من سفهائهم فسلقونا بألسنة حداد في جرائد البذاء والنفاق لنبذة نشرناها في سبب الخلاف الذي كان وقع بين الرفاعية والقادرية وأغاساقهم الى هذا حب التقرب من صاحب السيادة والسماحة أبي الهدى افندي الرفاعي الشهير وذلك ان عطوفة مخدومه حسن بك خالد كتبت مقالة في الموضوع ينهى اتباعهم فيها عن الرد على المنار ولكن طاش سهمهم وخاب ظنهم وقد علمت سماحته اننا لم نقصد بما كتبناه الاخيرا وكتبت الينا تقول بأن جميع ما كتب في الرد علينا غير ما كتبه المخدوم لم يكن مرضيا عندها وانها اعتقدت اخلاصنا وحسن قصدنا .

وانتقد علينا من مصادر مختلفة مقالات منكرات الموالد ومسئلة نفي الواسطة بين الله تعالى وبين الناس الا في الهدي والارشاد ومسائل في زيارة القبور وتعميمها والقراءة للاموات، وفي الاقتصار على الحث على التربية والتعليم دون الاعمال المادية بل الاكثار من الاول والاقلال من الثاني، وفي تفضيل العلم على الحرب وفتح المدارس على فتح البلاد وقد اجبنا عن ذلك كله بما فيه مقنع

وعود المنار

جاء في أطواء الكلام وتضاعيفه وعود كثيرة منها ما وفينا به ومنها ما ارجأناه للفرص والنهز ومن هذا الاخير الوعد بالكلام على القضاء والقدر والجبر وعلى التربية الجسدية والنفسية والعقلية وعلى ان الاصل في الامم الترقي لا التدلي خلافا لما هو شائع عند المسلمين وعلى تمثيل الروايات وموعدنا الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى ويدخل في هذا ما كتبناه وقلنا ان له تتمة ولم نأت بها كمقالات (سلطة مشيخة الطريق الروحية) ورساله (فكاهة العلوم) لكاتبنا الإسكندري أما تتمة مقالات

مشيخة الطرق فقد منع من ا كالمانع واما فكاهة العلوم فاستطلناها على غير فائدة ،

مستقبل المنار

علمنا ان أكثر المشتركين يحفظون أعداد المنار لاجل تجليدها في آخر السنة ومن ثم اقترح علينا كثيرون ان نجعله مجلة بشكل الموسوعات والهلال لان شكله الآن يخرج في التجليد كبيراً وورقه يخسر بالطي بعض حسنه ومتانته. واقترح علينا آخرون من الافاضل ان نودعه نبذا تعليمية للناشئين والناشئات من البنين والبنات تكون في غاية البساطة والسهولة لان هؤلاء يرونه احكم معلم للآداب والفضائل الدينية والوطنية الخالية عن الشوائب ونزغات البدع المسقمة للاخلاق الشريفة المضنية العقول المكسلة عن العمل الباعثة على الغلو في الدين من جهة والضعف والتقصير فيه من جهة ثانية، واقترح آخرون ان نضرب صفحاً عن الكلام في جزئيات المسائل السياسية والجرح والتعديل فيها ونكتفي بذكر الاخبار المهمة على الوجه الصحيح كما هو شأن المؤرخ البعيد عن الاغراض فاننا قد انحرفنا عن هذه الخطة في بعض المسائل انحرافا ماوقد صادفت هذه الاقتراحات عندنا قبولا .

وهانحن أولاء نجعل جريدة المنار في أول سنتها الثانية مجلة أسبوعية ونجعل فيها بعد المقالات الافتتاحية التي تبحث في جميع المواضيع باباً مخصوصا لمباحث التربية والتعليم ويدخل في التربية علم تدبير المنزل بجميع شعبه وفنونه وفي التعليم البحث في أساليبه ودروس مختصرة في فنون شتى يسهل تناولها على الناشئين والناشئات من تلاميذ المدارس وغيرهم. ووراء ذلك باب الآثار العلمية الادبية وتدخل فيه الافاكيه والملح. وبعده باب الاخبار التاريخيه تذكر فيه الجوائب (الاخبار الطارئة) الداخلية والخارجية مع مايرشد الى الاستفادة منها والاعتبار بها من غير غميزة ولا إزراء بالحكومات أو بسواهم.

ونرجو من اخواننا الافاضل الذين استعذبوا مشرب الجريدة وراق في أعينهم ماتحلت به من صادق الخدمة ان يشدوا ازرنا بتعميم نشرها ونحن نعدهم ببذل الجهد في ترقية شأنها واختيار مانراه أفيد للامة وأنفع للوطن (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) (محمد رشيد رضا)

تم